الجمهورية الجزائرية الديمقراطـية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانم
كلية الأدب العـربي والفنون
قسم الدراسات اللُغوية و الأدبية

شعبة الدراسات الأدبية تخصص أدب عربي حديث ومعاصر

أطروحة مُقدمة لنيل شهادة دكتوراه في الطور الثالث موسومة

التناص في شعر يوسف النبهاني

إعداد الطالب: إشراف:

الجرادات بركات أمين يوسف د/ قاضي الشيخ

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الصفة في اللجنة	الرتبة	مؤسسة الانتماء
قوفي أحمد	رئيسا	أستاذ	جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم
قاضي الشيخ	مشرفا ومقررا	محاضر «أ»	جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم
بوغازي حكيم	عضوا مناقشا	محاضر «أ»	جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم
غول شهرزاد	عضوا مناقشا	محاضر ة «أ»	جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم
برادي بغداد	عضوا مناقشا	أستاذ	جامعة سيدي بلعباس
خليفي سعيد	عضوا مناقشا	أستاذ	جامعة غليزان

الموسم الجامعي: 1445/1446هـ- 2024/2025م

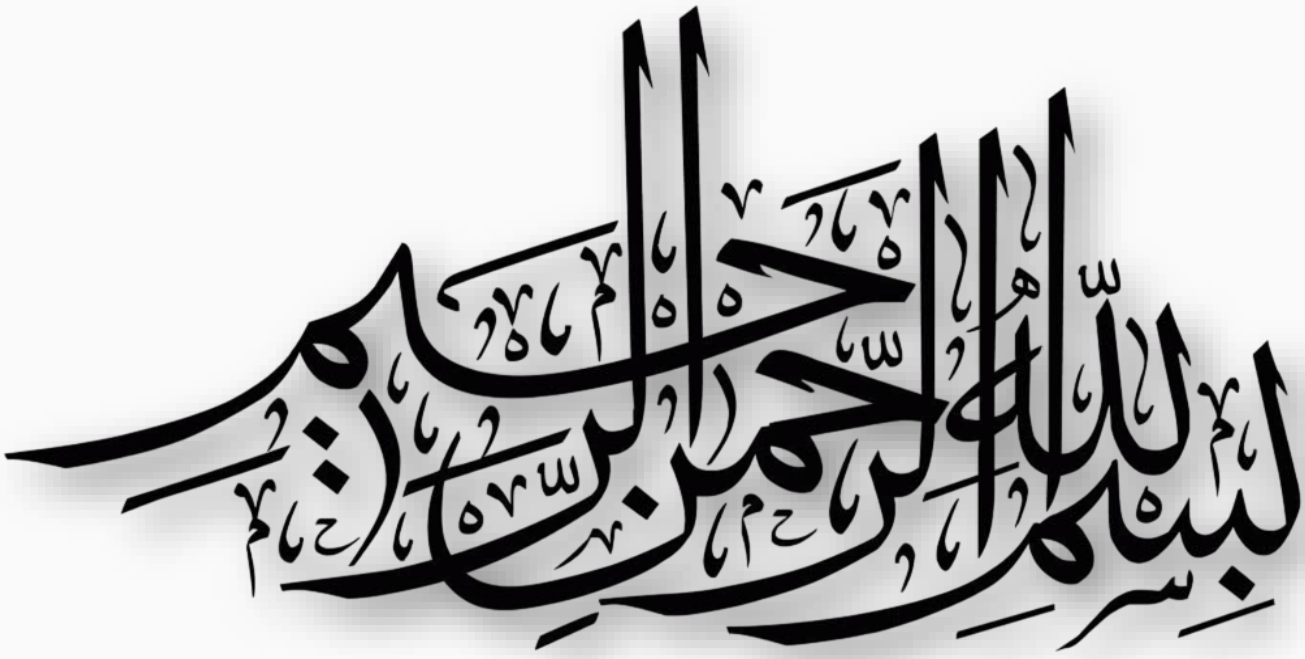
بسم الله الرحمن الرحيم

الإهدَاء

إِلَيكِ زَوجَتِي الأَغلَى ... لِأُمِّ الزَّيدِ وَالفُضْــلَى

وَنِبْرَاسِــي مُهَنْدِسَــتِي ... وَبِكْرِ الأُسْرَةِ الأَحْلَى

وَزَيْــدِ البِــرِّ وَالْعَــوْنِ ... وَعَمْرِو يَـرَانِيَ الْخِلَّ

وَقَلْبِي زَهْرَتِي الصُّغْرَى ... أَرَى فِي حُبِّــهِمْ ظِلًّا

وَخَيــرُ حِكَـايَةِ الدُّنيَا ... وَمَن قَد كَمَّلُوا الأَهَلَ

إِلَى أَروَاحِ مَـن رَحَلُوا ... وَنَالُوا صُحبَةَ الأَعلَى

أَبِي، أُمِّي، وَتِذكَـارِي ... أَخِي غَازِي وَمَا خَلَّى

إِلَيــكُم إِخـوَتِي أُهدِي ... هَدِيَّــةَ ذَاكِــرٍ فَضلَا

وَلِــلأَخَــواتِ أَربَعَــةٌ ... لَهُنَّ مَحَبَّتِي المُثـلى

إِلَى أَصحَابِ مَاضِينَا ... وَأَصـحَابٍ رَؤُوا فِعْلَا

أَسَـاتِذَتِي الأُلَى كَـانُوا ... وَمَــا زَالُـوا لَهُم قَـولَا

إِلَيــكُم أَيُّهَــا الأَهـلُ ... سَــأُهدِى بَـاقةً تُملَى

وَدُمتُمْ بِخَيرٍ وَسَعَادَةٍ

الشُّكرُ وَالتَّقدِيرُ

إلَى بُــودراحَ رَاعِيــنَا قِيَـادَتُـهُ تُــوافينا

بِصَــرِحِ العِلْمِ تَـرْفَعُنَا إِدَارَتُــهُ فُتُعْــلِينَا

وَمَعــهُ لَطِـيفُنُــا عَبدٌ لِرَبّي فِيـهِ يَحميَنَا

وَعُثْمَــانِي بِإِخْـلَاصٍ وَجِدِّ الفِعْـلِ آتـيْنَا

لِقَاضِي الشَّيخِ قَاضِينَا مُسَــاعِدِنَا وَدَاعِينَا

وَمُشــرِفِنَا عَلَى العَمَلِ بِتَوجِيــهٍ سَـيَكفِينَا

إِلَيــكَ عَمِيدَنَا الـرَّاقِي لابنْ دَحَّانَ غَالِينَا

وَعَبــــدَ اللهِ نَــــائِبَــهُ مُعَاونَنَــا وَسَاعِينَا

وَبُــــوقِــــرطٍ بِطِيبتِهِ وَبَسـمَتِــهِ يُشافِينَا

وَمَكـرُومَ الَّذِي يَسـعَى إِلَى أَدَبٍ سَـيُعلِينَا

لِعَبــدِ القَـادرِ الـوَاعِي بِمَخبَــــرِهِ يُـوعِّينَا

وَمَنصــورِ الَّذِي أَرسَى بِدَايَـةَ عَهدِنَا حِينَا

وَعَبدِ القَـادرِ السَّـاعِي إِلَى حَلٍّ سَيُرضِينَا

وَابِنْ يشُو الَّذِي كَـانَتْ لَـهُ بَصَــمَاتُهُ دَينَا

وَمَـنْ لِأَمَـانَةٍ أَضْـحَى ... عَلَى الإِنتَاجِ آمِينَا

لِشَــهـــــرَزَادَ مُلْهِمَتِي ... بِحِكمَتِهَــا سَتُغنِينَا

وَزَهْـرَتُــنَـا بِمَــورُوثٍ ... تُبَـارِكُهَا مَسَـاعِينَا

وَدَحْمَــانِــي بِـلَـجْنَتِهِ ... بِـرُوحِ العِلْمِ يُفتِينَا

وَخَيـرُ مَلِيكَـةٍ تَمْضِــي ... بِمَجلِسِــنَا فَتـُؤتِينَا

وَمَيـلُودِي وَمَــا مَنَحَتْ ... بِكُلِّ الخَيـرِ تُهدِينَا

لِأَعضَـــــــاءِ بِلَجنَتِنَـا ... وَأَعــوَانٍ وَمَنْ فِينَا

وَبُوغـَــازِي الَّذِي أَبْدَى ... لَنَا اسْــتِعَدَادَهُ لِينَا

ليأتي عضــوَ لَـجنَتِنَا ... بِكَــدٍّ كَيْ يُـلَاقِينَا

لِبَحَّــوصٍ وَهِشْــمَاوِي ... وَبَغدَادِ المُضِـيفِينَا

وَقُوفِـي أَحْـمَدِ الآتِــي ... رَئِيْسًا دَامَ يُرْضِينَا

وَفِي غلِيــزَانَ صَحِابُنَا ... سَـعِيدٌ جَـاءَ يُرسِينَا

وَفِي لِيـْطَــا لَطِـيْفَتُـنُا ... غَدَتْ بِالْفِعلِ تَبْنِينَا

مِنَ الأَزهَـــارِ بَـاقَاتٌ ... وَقَد حَقَّــتْ أَمَانِينَا

فَــأَرجُـو اللهَ يُعلِيــكُمْ ... عُلُوَّ الشَّـأْنِ، آمِينَا

دُمْتُمْ وَدَامَ عَطَاؤُكُمْ

الملخص

خَلُصَتْ هَذهِ الدِّراسةُ المَوسومةُ بِـ **(التَّناصِ فِي شِعرِ يُوسفِ النَّبهَانِي)** إلى الكَشفِ عَن مَاهيَّةِ التَّناصِ ومَفهُومِهِ، وَعَلاقَاتِهِ بِالظَّواهِرِ البَّلَاغِيَّةِ النَّقدِيَّةِ الأُخرَى، كَمَا أَشَارَت إلى أُصولِ التَّناصِ فِي تُراثِ الأَدبِ العَربي القَديمِ، ثُمَّ دَورِ عَلمَاءِ الغَربِ وَنقَّادِهِ فِي إبرازِ ظَاهرةِ التَّناصِ بِوجهِهِ الخَالصِ بِناءً عَلى دِراساتٍ عَربيَّةٍ إسلَاميَّةٍ سَبقَتهُ، وَأَشَارَت إلى جُهودِ عُلمَاءِ العَربِ وَالمُسلمينَ المُعاصرينَ فِي دِراسةِ التَّناصِ، وَإضَافةِ أَنواعٍ جَديدةٍ إليهِ، عَلَاوةً عَلَى الأَنوَاعِ الرَّئيسةِ الَّتِي انبَثَقَت عَنهُ مِن خِلَالِ دِراسةِ الشِّعرِ العَرَبي وَالغَربِي عَلَى حَدٍّ سَواءٍ.

وَتَمثَّلتِ الدِّراسَةُ فِي عَرضِ نَماذِجَ تَناصِيَّةٍ لِشُعراءَ قُدامَى وَمُعاصِرينَ، أَبرزُوا ظَاهِرةَ التَّناصِ بِأَنواعِهِ: (الدِّينِي، الأَدبِي، التَّاريخِي، التُّراثِي الشَّعبِي، وَالأُسطُورِي) كَأنواعٍ رَئيسةٍ وَمَتدَاولَةٍ، ثُمَّ ظُهورِ أَنوَاعٍ جَديدةٍ تَناولَهَا بَاحِثونَ وَدَارِسونَ عَربٌ وَأَجَانبُ، مِنهَا :(التَّناصُ القَصَصي، الصُّوفِي، الإيقاعِي، والاستِدعَائِي)، وتناوَلَت الدِّراسَةُ هَذهِ الأَنواعَ بِاستِفاضَةٍ تَطبيقيَّةٍ مِن خِلالِ نَمَاذِجَ عَديدَةٍ مِن شِعرِ الشَّاعرِ الفِلسطِينِي يُوسُفِ النَّبهَانِي الَّذِي تَحدَّثَتِ الدِّراسَةُ عَن حَياتِهِ بِالتَّفصِيلِ مُشيرةً إِلَى الأَحوَالِ الفِكريَّةِ وَالسِّياسيَّةِ وَالاجتِمَاعيَّةِ الَّتِي عَايشَهَا فِي أَحلَكِ الفَترَاتِ الَّتِي تَمرُّ عَلَى الأُمَّةِ الإسلَامِيَّةِ، إِذْ جَاءَتْ فِي ظِلِّ سُقُوطِ دَولَةِ الخِلَافَةِ العُثمانِيَّةِ الَّتِي كَانَت بِمَثابَةِ الدَّولَةِ المُوحِّدَةِ لِلأُمَّتينِ العَربيَّةِ وَالإسلَاميَّةِ، وَقَد ظَهرَ ذَلِكَ جَليًّا فِي شِعرِ النَّبهانِي.

وَتَناوَلَتِ الدِّراسَةُ كَذَلكَ الأَمثلةَ المُستفيضَةَ عَلَى التَّنَاصِ بِأَنواعِهِ المَذكورةِ، بِاستثنَاءِ التَّنَاصِ الأُسطُورِي الَّذِي لَم يَظهرْ فِي شِعرِ النَّبهَانِي سَوى فِي بَيتٍ وَاحدٍ تَناصَّ بِهِ مَعِ الشَّاعرِ كَعبِ بنِ زُهيرٍ فِي قَصيدَتِهِ الشَّهيرةِ (بَانَتْ سُعَادُ)، فِي حِين فَصَّلَتِ الدِّراسَةُ فِي الأَنواعِ الأُخرَى تَفصِيلًا وَاضِحًا.

وَاعتمَدَتِ الدِّراسةُ المَنهجَ الاستِقرَائِي التَّحلِيلِي، إِذْ تَرجَمَتْ لِشَخصِيَّةِ الشَّاعرِ يُوسُفِ النَّبهَانِي، وَفَسَّرتْ ظَاهِرةَ التَّنَاصِ الأُسلوبيَّةِ البَلاغيَّةِ، وَأُصولِهَا، وَعَلاقاتِهَا، وَأَنواعِهَا، ثُمَّ حَلَّلَتِ النَّمَاذِجَ الشِّعريَّةَ تَحليلًا مُفصَّلًا حَسبَ نَوعِ التَّنَاصِ المُرادِ تَوضيحُهُ، وَطَبَّقَتْ أَنواعَ التَّنَاصِ عَلى شِعرِ يُوسُفِ النَّبهَانِي، فَوجَدَتِ الغَزارَةَ النَّوعيَّةَ فِيهِ، خَاصَّةً التَّنَاصُ الدِّينِي.

وَقُسِّمَتِ الدّراسَةُ إِلى تَمهيدٍ وَثَلاثةِ فُصولٍ، تَحدَّثَتْ فِي التَّمهيدِ عَن حَياةِ الشَّاعرِ يُوسُفِ النَّبهانِي، وَظُروفِ حَياتِهِ، وفِي الفَصلِ الأَوَّلِ تَنَاوَلتْ ظَاهِرةَ التَّنَاصِ وَمَا يَرتبطُ بِهَا، وَبَصمَاتِ العُلَمَاءِ فِيهَا، وَفِي الفَصلِ الثَّانِي تَناوَلَتْ أَنواعَ التَّنَاصِ المَعروفَةِ مَعْ تَطبِيقَاتٍ عَلَيهَا فِي الشِّعرِ العَربِي، وَفِي الفَصلِ الثَّالِثِ طَبَّقَتِ التَّنَاصَ بِأنواعِهِ فِي شِعرِ يُوسُفِ النَّبهَانِي، ثُمَّ انتَهَتْ بِخَاتِمةِ الدِّراسةِ وَنَتَائِجِهَا وَتَوصِياتِهَا.

الكَلِمَاتُ المِفتَاحِيَّةُ: التَّنَاصُ، يُوسُفُ النَّبهَانِي، أَنوَاعُ التَّنَاصِ، الاقْتِبَاسُ، التَّضمِينُ، المُعَارَضَاتُ.

Abstract

This study, entitled (Intertextuality in the Poetry of Yousef Al-Nabhani), concluded with revealing the nature and concept of intertextuality, and its relations with other critical rhetorical phenomena. It also pointed to the origins of intertextuality in the heritage of ancient Arabic literature, then the role of Western scholars and critics in highlighting the phenomenon of intertextuality in its pure form based on Arab-Islamic studies that preceded it.

It also pointed to the efforts of contemporary Arab and Muslim scholars in studying intertextuality, and adding new types to it, in addition to the main types that emerged from it through the study of Arabic and Western poetry alike.

The study was represented in presenting intertextual models of ancient and contemporary poets, who highlighted the phenomenon of intertextuality in its various types: (religious, literary, historical, popular heritage, and mythological) as main and common types, then the emergence of new types that were addressed by Arab and foreign researchers and scholars, including: (narrative, Sufi, rhythmic, and evocative intertextuality), and the study addressed these types in an applied detail through many examples of the poetry of the Palestinian poet Youssef Al-Nabhani, whose life the study spoke about in detail, referring to the intellectual, political, and social conditions that he experienced in the darkest periods that the Islamic nation is going through, as it came in the shadow of the fall of the Ottoman Caliphate, which was like a unified state for the Arab and Islamic nations, and this appeared clearly in Al-Nabhani's poetry.

The study also dealt with extensive examples of intertextuality in its aforementioned types, with the exception of mythological intertextuality, which did not appear in Al-Nabhani's poetry, except in one verse in which he intertextualized with the veteran poet Ka'b bin Zuhair in his famous poem (Banat Su'ad), while the study detailed the other types in clear detail.

The study adopted the analytical inductive approach, as it translated the personality of the poet Youssef Al-Nabhani, and explained the phenomenon of stylistic rhetorical intertextuality, its origins, relationships, and types, then analyzed the poetic models in detail according to the type of intertextuality to be clarified, and applied the types of intertextuality to Youssef Al-Nabhani's poetry, and found qualitative abundance in it, especially religious intertextuality.

The study was divided into an introduction and three chapters. The introduction talked about the life of the poet Youssef Al-Nabhani and the circumstances of his life. In the first chapter, I discussed the phenomenon of intertextuality and what is related to it, and the fingerprints of scholars on it. In the second chapter, I discussed the known types of intertextuality with applications to them in Arabic poetry. In the third chapter, I applied intertextuality in its types to the poetry of Youssef Al-Nabhani. Then it ended with the conclusion of the study, its results and recommendations.

Keywords: Intertextuality, Yousef Al-Nabhani, types of intertextuality, quotation, inclusion, oppositions.

المُقدّمةُ

الحَمدُ للهِ الَّذِي أَرسلَ فِينَا رَسُولًا يَتلُو عَلينَا آياتِهِ، وَيُعلّمُنَا الكِتابَ والحِكمةَ، وَنشكرُهُ عَلى نعمائِهِ بِأنْ جَعلنَا مُسلمينَ مُوحّدينَ، مُقتدينَ بِسنَّةِ رَسولِهِ الأمينِ ﷺ، وَمُلتزمينَ نَهجَهُ وَدستورَهُ وَلُغتَهُ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلى هادِينَا أَولَى العَالَمينَ بِالمَدحِ، لِأَنَّهُ سَيّدُ الأَوَّلينَ وَالآخِرينَ فِي العَفوِ والصَّفحِ، وَقُدوةِ المُؤمنينَ العَابدينَ فِي الدَّعوةِ وَالصَّدحِ.

أَمَّا بَعدُ:

فَإِنَّ اللُّغةَ العَربيَّةَ لُغةُ الجَمالِ فِي القَولِ الفَصيحِ، وَلُغةُ الزَّخَارفِ اللَّفظيَّةِ، وَالظَّواهرِ الأُسلوبيَّةِ المُتنوّعةِ، وقَد بَرزَتْ تِلكَ الظَّواهرُ مِن خِلالِ تِكرارِهَا فِي القَوالبِ اللَّفظيَّةِ فِي الشِّعرِ وَالنَّثرِ، ولِكَونِ الشِّعرِ أَعذَبُ قَولًا، وَأَرقُّ لَفظًا وَمُوسَيقى، فقَد تَجلَّتْ تِلكَ الظَّواهرُ الأُسلوبيَّةُ فِيهِ أَحسنَ تَجَلٍّ، ومِن هذهِ الظَّواهرِ الأُسلوبيَّةِ: ظَاهرةِ الحُقولِ الدَّلاليَّةِ وَالتَّركيبيَّةِ، وَالانزِياحِ، وَالمُفارقَةِ، والتَّوازِي، والتِّكرارِ وَأخيرًا التَّنَاصِ الَّذِي سَنتناولُهُ فِي هَذهِ الدِّراسَةِ بِتفصيلٍ وَإسهَابٍ مِن خِلَالِ التَعريفِ بِمفهومِهِ، وَانطلاقَتِهِ، وَآراءِ العُلماءِ اللُّغويينَ وَالباحِثينَ فيهِ شَرقًا وَغربًا، وَبيانِ الفَرقِ بينَهُ وَبينَ الظَّواهرِ الّتِي تَشبهُهُ فِي جَماليَّاتِ اللُّغةِ النَابعةِ مِن عِلمِ البَلاغَةِ ومَا يَرتبطُ بَهمَا مِن بَديعٍ، وَبيانٍ، ومعانٍ، كَالاقتِباسِ، وَالتَّضمينِ، وَغيرِهمَا.

وفِي حَديثِنَا عَن التَّناصِ لَا بُدَّ مِن تَطبيقٍ لَهُ فِي الشِّعرِ العَربي المُعاصرِ وَالحَديثِ لِلكَشفِ عَن مَدى تَطوُّرِ هَذهِ الظَّاهرةِ الأُسلوبيَّةِ الحَديثةِ، لِذلكَ اخترنَا شِعرَ شَاعرٍ مُعاصِرٍ مِن شُعَراءِ فِلسطينَ، قلَّمَا تَحدَّثَ عنهُ البَاحثونَ، وَتناولَهُ الدَّراسونَ؛ إِنَّهُ الشَّاعرُ وَالفقيهُ وَالشَّيخُ يُوسُفُ النَّبهَانِي مِن خِلالِ دِيوانِهِ الوحيدِ ومَدائِحِهِ النَّبويَّةِ الَّتِي تَناولَتْ خَيرَ الأَنامِ مُحمَّدٍ ﷺ بِأسلُوبٍ جَميلٍ رائعٍ مِن المَديحِ والوصفِ وَالتكريمِ.

لِذلكَ كَانَ مِن الأهميَّةِ أنْ نجمعَ بَينَ ظَاهرةٍ أُسلوبيَّةٍ حَديثةٍ مَتجلّيةٍ فِي الشِّعرِ العَربي كَظاهِرةِ التّناصِ لِنتناولِهَا بِالبحثِ والتَّمحيصِ وَالتَّفسيرِ، بِجمعِهَا مَع شبيهاتِهَا مِن ظَواهرَ بَلاغيَّةٍ وَإبداعيَّةٍ أُخرى، وَاستخرَاجِهَا من شِعرِ شَاعرٍ غَزيرِ الشِّعرِ، ومُكثرٍ فِي المَديحِ النَّبويّ، وَلعَلَّ

كَثيرًا مِن الشُّعراءِ تَناولُوا هَذا الغَرضَ الشِّعريّ فِي ثَنايَا أَشعَارِهِم، وَلكنْ لَم يكُنْ دَيدنُهُم، ولَا الغَالبُ فِي شِعرِهِم كمَا هُوَ الحَالُ عِندَ الشَّاعرِ يُوسُفِ النَّبهَانِي.

لذَا فإنَّ مَا دَفعنِي إلى تَناوِلِ هَذهِ الظَّاهرةِ الأُسلوبيَّةِ الحَديثةِ هُو الخِلَافُ الَّذِي حَدثَ حَولَ اعتِبارِهَا ظَاهرةً قَديمةً تُشبهُ الاقتِبَاسَ وَالتَّضمينَ، أَو أَنَّهَا اسمٌ آخرُ أُطلِقَ عَلى هَذينِ الظَّاهرتَينِ، وقَد جَاءَت وَافدَةً إلينَا مِن الغَربِ فَفضَّلنَاهَا عَلى الظَّاهرَتينِ القَديمتينِ مِن قَبيلِ الحَدَاثةِ الَّتِي غَزَتْ لُغَتنَا وَأَدبَنا كَمَا غَزَتْ حَضَارَتَنا وَمَدنيتَنا؛ إلَّا أَنَّ المَسألةَ تَكمُنُ فِي وَضعِ النُّقاطِ عَلى الحُرُوفِ وَإنهَاءِ هَذا الجَدَلِ بِرفعِ اللُّغةِ العَربيَّةِ إلى قِمَّةِ مَجدِهَا الَّذِي تَستَحِقُّهُ بِقَبولِهَا أَيَّ حَديثٍ وَجديدٍ مَعِ اعتِبارِ أَنَّهُ قَد مَرَّ عَلَيهَا مِثلَهُ فَي سَالفِ عَهدِهَا وَلكِنْ بِمُسمَّيَاتٍ أُخرَى، وَلَا ضَيرَ فِي قَبولِ هَذا الجَديدِ مَا دَامَ لَهُ أَصلٌ عِندَ لُغتَنَا، وَليسَ غَريبَ الأصلِ وَالفَرعِ فِيمَا يَخصُّ بَعضَ اللُّغَاتِ ويَختَصُّ بِهَا.

وَلِكَي نُبيّنَ تِلكَ الإِشكَاليَّةَ، آثرنَا أَنْ نَطرحَهَا بِجوانِبهَا جَميعِهَا، لِحَلِّ أيِّ عُقدةٍ فِي طَريقِنَا قَد تَتطَلَّبُ حَلًّا، وَمِن أَجلِ تَطبيقِ هَذهِ الظَّاهرةِ فِي أَدبِنَا الخَاصّ بِالشِّعرِ اخترنَا شِعرًا حَديثًا وَمعاصِرًا، وَتَناولنَا الظَّاهرةُ مِن خَلالِ أَغراضِ الشِّعرِ العَديدةِ، وعَلَى رَأسِهَا المَدائحُ النَّبويَّةُ، وَفَصَّلنَا فِي أَهمِّ تَناصٍّ، بَلْ وَأكثَرِهِ أَلا وَهُوَ التَّناصُ الدِّيني، مع تَناولِ الأنوَاعِ الأُخرَى مِن التَّناصِ بِهدفِ التَّنويعِ وَالإجمَالِ.

ومِن هُنا لَا بُدَّ أَنْ نَطرحَ الإِشكَاليَّاتِ الآتيةِ لِبيانِ مَا هُوَ مَطلوبٌ فِي هَذهِ الدِّراسةِ مِن تَحليلٍ وَتَفسيرٍ وَاستنتاجٍ بِطرحِ التَّساؤُلاتِ التَّاليةِ:

- مَا العَلاقةُ بَينَ التَّناصِ وبعضِ الظَّواهرِ المُشابهةِ لهَا كَالتَّضمينِ وَالاقتِباسِ؟
- كَيفَ بَرزَتْ ظَاهرَةُ التَّناصِ فِي الشِّعرِ العَربِي الحَديثِ وَالمُعاصرِ كَظَاهرةٍ استحوَذَتْ عَلى مَذهبِ التِّكرارِ فِي الشِّعرِ طَلَبًا لإحيَاءِ القَديمِ، وَتجميلِ الحَديثِ؟
- كَيْفَ بَرَزَ التَّنَاصُ بِأَنْوَاعِهِ فِي شِعْرِ يُوسُفَ النَّبهَانِيّ؟

وَلِحلِّ هَذهِ الإِشكاليّاتِ جَاءَتْ هَذهِ الدِّراسةُ المُستفيضةُ لِتشتمِلَ عَلى تَفسيرِ الظَّاهرةِ وَتَحليلِهَا، وَبَيانِ مَدَى انتِشَارهَا وَتَفاعُلِهَا، وَإبرازِهَا مِن خِلالِ نَموذَجٍ مِن الشِّعرِ العَربيّ الحَديثِ

وَالمُعاصرِ، وَذلكَ بِتناوُلِهَا مِن خِلالِ عُنوانِ هَذهِ الدِّراسَةِ المَوسومَةِ بِـ "**التَّناصِ فِي شِعرِ يُوسُفِ النَّبهَانِي**".

وكانَ لِزامًا على الباحثِ أنْ يستعينَ ببعضِ الدِّراساتِ المُعاصرةِ والحديثةِ وعلى رأسِهَا:

- جوليا كريستيفا. **علمُ النَّصّ**. ترجمةُ: فَريد الزَّاهي. دارُ توفال للنَّشرِ والتَّوزيع. الدَّارُ البيضاءُ. المملكةُ المَغربيَّةُ. ط٢. ١٩٩٧م.
- أحمد مطلوب. **مُعجمُ المُصطلحاتِ البَلاغيَّةِ**. ج٢. مَطبعةُ لِبنانَ. بيروت. لِبنان. ط٢. ٢٠٠٣م.
- ظاهر محمَّد زواهرة. **التَّناصُ في الشِّعر العَربي المُعاصرِ (التَّناصُ الدِّينِي أُنموذجًا)**. دارُ ومكتبةُ الحامدِ للنَّشرِ والتَّوزيع. عمَّان. المملكةُ الأردنيَّةُ. ط١. ٢٠١٣م.
- محمَّد عَزّام، **النّصُّ الغَائبُ (تَجلّياتُ التّناصِ في الشِّعرِ العَربي)**. (دِراسة) منشوراتُ اتِّحادِ الكُتَّابِ العَربِ. ط١. ٢٠٠١م.
- عصام واصل. **التَّناصُ التُّراثي فِي الشِّعرِ العربيّ المعاصرِ**. دارُ غيداءَ للنَّشرِ والتَّوزيعِ. عمَّان. الأردن. ط١. ٢٠١١م.
- يوسفُ النَّبهاني. **ديوانُ يوسفُ النَّبهاني (العقودُ اللُّؤلؤيَّةُ في المَدائحِ النَّبويَّةُ والبَشائرُ الإيمانيَّةُ فِي المُبشّراتِ المَناميَّةِ)**. مَطبعةُ صَبرا. بيروت. ط١. ١٣٢٩هـ.
- يُوسفُ النَّبهانِي. **المُجموعةُ النَّبهانيَّةُ في المَدائحِ النَّبويَّةِ**. أربعةُ أجزاءَ. المطبعةُ الأدبيَّةُ. بيروت. لِبنان. ط١. ١٩٠٢م.
- عيسى ماضي. **يُوسفُ النَّبهانِي الشَّاعرُ الفِلسطينيُّ الرَّائدُ** (دراسَة). جَزآنِ. جامعةُ الأزهرِ الشَّريفِ. القاهرة. مِصر. ط١. ١٩٧٧م.

يُضافُ إليهَا عددٌ آخرُ من المَصادرِ والمَراجعِ الَّتِي تناولَتِ التَّناصَ وعَلاقاتِهِ وَأنواعِهِ مِن جهةٍ، وتطبيقاتِهِ مِن خِلالِ شِعرِ يُوسُفِ النَّبهانِي المُشتملِ في غَالبيتِهِ عَلى المَدائحِ النَّبويَّةِ.

وتتطلَّبُ خِطَّةُ الدِّراسةِ اعتمادَ مَنهجٍ بحثِيٍّ مُناسبٍ للمَوضوعِ المُتناولِ في الدِّراسةِ، ولأَنَّ المَوضوعَ يَحتاجُ وصفًا دَقيقًا لِظاهِرةِ التَّناصِ الأُسلوبيَّةِ، ووصفًا لِظروفِ الشَّاعرِ ودُيوانِهِ

الشِّعري المُرادِ تَطبيقِ التَّناصِ فِي شعرِهِ، فقَد تَمَّ اعتمادُ المَنهجِ الوصفِي التَّحليلِي فِي هذهِ الدِّراسةِ، وذَلكَ للأَسبابِ الآتيةِ:

- وصفُ الظُّروفِ الفِكريَّةِ وَالسِّياسيَّةِ والاجتماعيَّةِ الَّتِي واكبَتْ حَياةَ الشَّاعرِ يُوسفِ النَّبهاني.
- وصفُ الدِّيوانِ ومَا وردَ مِن شعرٍ للشَّيخِ الشَّاعرِ في كُتُبٍ أُخرى عَديدةٍ مِن كتبِهِ.
- وصفُ ظاهرةِ التَّناصِ وأنواعِها وعَلاقاتِهَا معْ ما تَشابَهَ معهَا.
- تَحليلُ الأنواعِ المتعلِّقةِ بالتَّناصِ مِن خلالِ تطبيقاتٍ على نماذجَ مِن الشِّعرِ العربيِّ الحديثِ والمُعاصرِ.
- تَحليلُ نصوصٍ شِعريَّةٍ للشَّاعرِ يُوسفِ النَّبهاني لاستخراجِ التَّناصِ الموجودِ في ثنايَا هذهِ الأشعارِ.
- تَحليلُ الأسبابِ الَّتِي تَدفعُ الشُّعراءَ إلى تَناولِ آياتٍ مِن القُرآنِ الكَريمِ أَو أحاديثَ نبويَّةٍ شَريفةٍ أو أشعارٍ لِشعراءَ قُدامَى مَعروفينَ، وغيرِهَا مِن التَّحليلاتِ لِأَنواعِ التَّناصِ وَالتَّطبيقاتِ عَليهَا مِن خِلالِ شِعرِ يُوسفِ النَّبهانِي.

وتكوَّنَتْ خِطَّةُ الدَّراسةِ المُفصَّلةِ _ الَّتِي بينَ أيدينَا بعدَ المُلخَّصِ وَالمقدِّمةِ _ مِن تمهيدٍ تناولَ حَياةَ الشَّاعرِ يُوسفِ النَّبهاني وَالأحوالِ الحَياتيَّةِ الَّتِي عَايشهَا ومُؤلفاتِهِ، ثُمَّ الفصلُ الأَوَّلُ مِن الدِّراسةِ تناولَ _ مِن خِلالِ مَباحثَ عدَّة _ مفهومَ التَّناصِ وعَلاقاتِهِ وخَصائصِهِ، والآراءِ النَّقديَّةِ عندَ النُّقَّادِ الغَربِ حولَ هَذهِ الظَّاهرةِ، وَالآراءِ النَّقديَّةِ عندَ النُّقَّادِ العَربِ حَولَ هَذهِ الظَّاهرةِ، وفي الفَصلِ الثَّانِي تَمَّ تَناوُلُ أَنواعِ التَّناصِ المَعروفةِ مَعِ تطبيقاتٍ مِن الشِّعرِ العَربي القَديمِ والحَديثِ حولَهَا بحيثُ أفردَ لِكلِّ نَوعٍ مَبحثًا، وفِي الفَصلِ الثَّالثِ التَّطبيقِي تَمَّ تَناولُ أغراضِ شعرِ النَّبهَانِي في توطئة سريعة، ثمَّ أنواعِ التَّناصِ القديمةِ والجديدةِ في مَباحثَ عدَّة، تناولَتِ التَّناصَ في المَدائحِ النَّبويَّةِ والقَصائدِ الأخرَى الَّتِي نسجهَا الشَّاعرُ يوسفُ النَّبهانِي، فكانَ أكثرُ أنواعِ التَّناصِ تَجلِّيًا فِي شعرِهِ التّناصَّ الدِّينِي، يليهُ التَّناصُّ الأدبِي، ثُمَّ التَّناصَّ التَّاريخِي، فالتَّناصُ التُّراثِي، وتناولَتِ الدِّراسةُ نوعًا حديثًا مِنَ التَّناصِ هوَ التَّناصُ الإيقاعِي.

وقَد واجهَ البَاحثُ صُعوبةٍ فِي الحُصولِ عَلى نسخةٍ مِن الدِّيوانِ أَوَّلَ الأمرِ، إِذْ تَمَّ الحُصولُ عَلى نُسخةٍ وَحيدةٍ قديمةٍ فِي الأَرشيفِ، وهيَ نسخةٌ احتفظَ بهَا حفيدُ الشَّاعرِ (خيرُ الدِّينِ)، وتَمَّ إنزالُها عَلى الإنترنِت، لأنَّ الشَّاعرَ أوصَى بِإتلافِ النُّسخِ الورقيّةِ مِن دِيوانِهِ، وبقيَتْ هذهِ النُّسخةُ، لذلِكَ اعتمدَ البَاحثُ عَلى قَصائدَ عَديدةٍ للشَّاعرِ وُجدَتْ فِي ثنايَا كُتبِهِ أوْ خُصِّصَتْ لهَا كُتبٌ باسمِهَا. كمجلَّداتِ المَدائحِ النَّبويَّةِ الأربعةِ، بعدَ اكتشافِ الدِّيوانِ تمَّتِ الاستعانةُ بِهِ.

وتكمنُ أهميَّةُ هذهِ الدِّراسةِ فِي التَّركيزِ عَلى ظَاهرةِ التَّناصِ مِن خِلالِ تَثبيتِ وُجودِهَا كَظاهرةٍ حديثةٍ معاصرةٍ، فهيَ ظَاهرةٌ لهَا كَينونتُهَا وأهمّيتُهَا فِي الغَربِ والشَّرقِ، ومِن خِلالِ تَطبيقِ هَذهِ الظَّاهرةِ فِي الشِّعرِ العَربي المُعاصرِ وَالحَديث؛ نجدُ أنَّ هدفَهَا الأسمى ترسيخُ آيَاتِ اللهِ في الأذهانِ، وتداولُ أحاديثِ رَسولِ اللهِ ﷺ فِي الأشعارِ للتَّذكيرِ بهَا دومًا عَلاوةً عَلى أهمّيَّةِ إبرازِ عمودِ الشِّعرِ القَديمِ وإحيائِهِ، وربطِهِ بِالتَّاريخِ والتُّراثِ والأُسطورةِ.

ولا بدَّ مِنْ كَلمةٍ أَخيرةٍ للدُّكتورِ المُشرفِ الفَاضلِ (قَاضي الشِّيخ) الَّذِي كانَ لَهُ الدَّورُ البَارزُ في مدِّ يدِ العَونِ والمَساعدةِ للبَاحثِ مِن أوَّلِ يَومٍ وَطِئَتْ فيهِ قدماهُ أرضَ الجزائرِ الأغرِّ، فَلا شكرَ ولا تقديرَ ولا عِرفانَ يُوفيانَهُ حقَّهُ، ويكافئانِ ما قدَّمهُ حتَّى رأَتْ هذهِ الدِّراسةُ المُتواضعةُ النُّورَ، وأضافَتْ لَبِنةً جديدةً إلى لَبنَاتِ اللُّغةِ العَربيَّةِ وعلومِهَا المُتعدِّدةِ الَّتِي برزَتْ بِجماليَّاتِهَا الأُسلوبيَّةِ مِن خِلالِ ظَواهرِهَا العَديدةِ، وعلَى رأسِهَا التَّناصُّ بِأنواعِهِ المُختلفةِ، ويبقَى هذا العَملُ مَنقوصًا ما لَم يجدِ النُّورَ نَحوَ الاستمرارِ فِي الإشعاعِ، وضرورةِ تدريسِ ظَاهرةِ التَّناصِّ في مدارسِنَا وجامعاتِنَا، وجعلِهَا مِن الظَّواهرِ المُهمَّةِ، لأنَّهَا سَهلةُ التَّناوُلِ، بَسيطةُ الدِّراسةِ.

الباحث

بركات أمين يوسف الجرادات

العاشر من شعبان عام ١٤٤٦هـ

الموافق للتاسع من شباط عام ٢٠١٥م

المدخل

يتبارَى الشُّعراءُ في نسجِ الشِّعرِ فيبدعونَ في شَتَّى فنونِهِ، وقَد يكونُ الشَّاعرُ الحَاذقُ ملمًّا بفنونِ الشِّعرِ جميعِهَا، وحاذقًا في شتَّى ألوانِهَا وصنوفِهَا، ولكنَّهُ يُكثرُ في فَنٍّ واحدٍ يجعلُهُ شغلَهُ الشَّاغلَ، ومبعثَ قولِهِ المُتناولِ، فترَى شَاعرًا يغلبُ على شعرِهِ فَنَّ الوصفِ كالبُحترِي (ت:٨٩٧م)، وآخرَ يغلبُ عَلى شعرِهِ فَنَّ الرِّثاءِ والبُكائيَّاتِ كَابنِ العَتاهيةِ (ت:٨٢٨م)، وآخرَ يغلبُ عَلى شعرِهِ فنَّ الحِكمةِ والفَلسفةِ كَأبي العَلاءِ المَعرّي (ت:١٠٢٧م)، وآخرَ يغلبُ عَلى شعرِهِ فنَّ المَديحِ كَالمُتنبّي (ت:٩٦٥م)، وآخرَ يغلبُ عَلى شعرِهِ المَديحَ النَّبويَّ كالبُوصيري (ت:١٢٩٤م). ومِن بينِ الشُّعراءِ الَّذينَ تَخصَّصُوا في هذا الفَنِّ، وألَّفُوا دِيوانًا وكُتبًا، الشَّاعرُ يُوسفُ النَّبهانِي الَّذِي سَنتناولُ التَّعريفَ بهِ في هذهِ الدَّراسةِ، ونقفُ عندَ أهمِّ محطَّاتِ حَياتِهِ، ونتناولُ شعرَهُ فِي مديحِ الرَّسولِ ﷺ بمَا يخدمُ هذهِ الدِّراسةَ مِن خلالِ تَوضيحِ هَذا الفَنِ وغيرِهِ مِن الفُنونِ، ومِن أجلِ استخراجِ النُّصوصِ الشِّعريَّةِ الَّتِي تناصَّ بهَا مَع نُصوصٍ أُخرى مِن كتابِ اللهِ أوْ أحاديثِ رَسولِ اللهِ ﷺ، أوْ أشعارِ الشُّعراءِ السَّابقينَ لهُ، أو إشاراتٍ تاريخيَّةٍ سَبقَ أنْ تناولَهَا غيرُهُ مِن الشُّعراءِ والأدَباءِ أوْ أشارَ إليهَا الشَّاعرُ للتَّذكيرِ بحادثةٍ تاريخيَّةٍ أو مَوقعةٍ إسلاميَّةٍ أو موقفٍ رُجوليٍّ لِرجالاتِ الإسلامِ الأوَائلِ، وَلا بُدَّ مِن الإشارةِ إلى حَياةِ هَذا الشَّاعرِ الفِكريَّةِ والسِّياسيَّةِ والثَّقافيَّةِ والدَّعويَّةِ.

أَوَّلًا: مولدُ الشَّيخِ يُوسُفِ النَّبَهَانِي وَنشأتُهُ

ولدَ الشَّيخُ يُوسفُ بنُ إسماعيلَ بنُ يُوسفُ النَّبهانِي سَنةَ ١٢٦٦هِجريَّةٍ المُوافقةِ لِسنةِ ١٨٤٩الميلاديَّةِ في قريةِ (إجزم) التَّابعةِ لمدينةِ حِيفَا السَّاحليَّةِ الفِلسطينيَّةِ، وكانَ والدُهُ الشَّيخُ إسماعيلُ النَّبهانِي شيخًا وقورًا مُتفقِّهًا حَريصًا عَلى مُلازمةِ العُلماءِ والدُّعاةِ، وقَد حَرصَ عَلى أنْ يتعلَّمَ ابنُهُ الشَّيخُ يُوسفُ العُلومَ الإسلاميَّةِ، فأوفدَهُ إِلَى الأزهَرِ الشَّريفِ الَّذِي مكثَ فيهِ ناهلًا مِن العِلمِ الشَّرعِي وَالعُلومِ الأُخرَى هُناكَ مِن سَنةِ ١٢٨٣هـ حتَّى سَنةِ ١٢٨٩هـ[١].

[١] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. هادي المريد إلى طريق الأسانيد. ص٥٦. مطبوعات دار الكتبي. بيروت. ط١. ٢٠٠٨م

ويرجعُ نُسبُهُ إلى قبيلةِ نَبهانِ الَّتِي سكنَت فِي باديةِ فِلسطينَ بعدَما انتقلَتْ مِن الجَزيرةِ العَربيَّةِ بفعلِ الفُتوحَاتِ، ورَوى الزِّركلِي أنَّ أصلَ القَبيلةِ مِن اليمَن، ونبهانُ هُوَ أحدُ ابنِي المَلكِ تُبَّعِ اليَمانِي (ت: ٤٥٠م) ملكُ اليَمنَ، وهُمَا (نبهانُ وهمدانُ)، ثُمَّ انتقلَتْ هَذهِ القَبيلةُ إِلى الجَزيرةِ العَربيَّةِ بعدَ خَرابِ سَدِّ مَأربَ، ومنهَا كَانَ نَبهانُ الحَفيدُ الأكبرُ، إِذْ بقيَ الاسمُ يتكرَّرُ فِي القَبيلةِ حتَّى وصولِهِمْ فَلسطينَ، واستقرارِهِم فيهَا، مَعِ العلمِ أنَّ هُناكَ فُروعًا لِلقبيلةِ نفسِهَا فِي اليَمنِ والجَزيرةِ العَربيَّةِ والأردنِّ وسوريَّا وَالعِراقِ ومِصرَ وغيرِهَا مِنْ بِلادِ العَربِ المُسلمينَ.

وقالَ الدَّبَّاغُ فِي شَأنِ قَبيلةِ الشَّيخِ يُوسفِ النَّبهانِي قولًا آخرَ مَفادَهُ أنَّ قَبيلةَ نبهانَ تَابعةٌ لِعشيرةِ النَّباهينِ مِنَ الحَناجرةِ، وبنو نَبهانَ بَطنٌ مِنْ بَني سَمَّاكَ مِنْ لَخْمٍ، وَفِيهَا أَربعُ أَنسَابٍ:

- نَبهانُ بَنو سَمَّاكَ ولَخْم.
- النَّبهَانُ _ آلُ الفَضلِ/ رَبيعةُ وطَيءٍ.
- آلُ نبهانَ _ بطنانِ (بَنو لامٍ وجُديلةَ).
- آلُ زُميلٍ _ سِنجَارةَ وشَمرَةَ.

والرَّاجحُ أنَّهُ منْ قَبيلةِ نَبهانَ (بنو سَمَّاكَ اللَّخميينَ) وقَد سكنُوا جَنوبَ فِلسطينَ وَوسطَهَا وشمالَهَا مُنذُ أكثرِ مِن ألفَي عَامٍ، وكانُوا قَد قدِمُوا أصلًا مِنْ جَزيرةِ العَربِ، وقبلَهَا مِنَ اليَمَنِ[1].

نَشأَ يُوسفُ النَّبهَانِي فِي قَريةِ إجزمِ التَّابعَةِ لمَدينةِ حِيفَا فِي فِلسطينَ، وتَرعرعَ فِيهَا ودرسَ فِي الكُتَّابِ فِي مَساجدِهَا، وحَفِظَ القُرآنَ الكريمَ عَلى يدِ والدِهِ إسمَاعيلِ النَّبهَانِي، وبعدَ أنْ أتمَّ السَّنةَ السَّابعةَ عشرةَ مِنْ عُمرِهِ أرسلَهُ والدَهُ إِلَى مِصرَ حَيثُ الأزهرُ الشَّريفُ، وفيهِ نَهَلَ مِنَ العُلومِ النَّقليَّةِ والعَقليَّةِ عَلى مَدارِ سَبعِ سَنواتٍ أَي مَا بَينَ عَامَي (١٢٨٣-١٢٨٩هـ)، ثُمَّ عَادَ إِلى فِلسطينَ، ومكثَ فِيهَا فَترةً قَصيرةً اشتغَلَ فِيهَا فِي القَضاءِ فِي قَصبةِ جِنينَ مِنْ أَعمالِ نَابلس، ثُمَّ انتقلَ إِلَى الأستَانةِ عَاصِمةِ الخِلافةِ العُثمانيَّةِ، وعَملَ فِي جَريدةِ (الجَوائبِ)[2]، إِذْ

[1] الدباغ، مصطفى مراد. بلادنا فلسطين. ج٧. ق٢. ص٦٥٧. مطبعة دار الهدى. كفر قرع . فلسطين. ط٢. ١٩٩١م

[2] **جريدة الجوائب:** جريدة شاملة أنشأها الأديب أحمد فارس الشدياق عام ١٨٨١م في الأستانة، باللغة العربية، واستمرت حتى عام ١٨٨٤م، وكانت تُعنى بالفكر والسياسية والأدب.

كانَ يَقومُ بِتصحيحِ مَا يُطبعُ فِي مَطبعتِهَا، وَانتقلَ بعدَهَا إِلى العَملِ قاضيًا فِي كِوِي سِنجقَ مِنْ أَعمالِ مَدينةِ المُوصلِ فِي العِراقِ، وبعدَها عَملَ رَئيسًا لِمحكمَةِ القَضاءِ التَّابعةِ لِلاذقيَّةِ فِي سُوريَّا، ثُمَّ عَادَ إِلى فِلسطينَ مرَّةً أُخرَى وعَمِلَ رَئيسًا لِمحكَمةِ القَضاءِ فِي القُدسِ الشَّريفِ، وَأخيرًا عَمِلَ رَئيسًا لِمحكَمةِ الحُقوقِ التَّابعةِ لِبيروتَ فِي لِبنانَ[1].

ثانيًا: أسرتُهُ

يُترجمُ يُوسفُ النَّبهانِي لِنفسِهِ فِي كِتابِهِ (هَادِي المُريدِ إِلَى طَرِيقِ الأَسانيدِ) فَيقولُ:(وقرأتُ القُرآنَ عَلَى يَدي سيِّدِي وَوَالدِي الشَّيخِ الصَّالحِ الحَافظِ المُتقنِ لكِتابِ اللهِ الشَّيخِ إِسماعيلِ النَّبهانِي، وهوَ الآنَ فِي عَشرِ الثَّمانينَ كَاملُ الحَواسّ، قَويُّ البِنيةِ، جَيّدُ الصِّحَّةِ، فهوَ مِن الحَفظةِ المَاهرينَ المُلازمينَ لِتلاوَةِ القُرآنِ الكَريمِ فِي أكثرِ الأَوقاتِ، وكانَ يختمُ كُلَّ أُسبوعٍ ثَلاثَ خِتماتٍ ... وبعدَ أنْ حَفَّظنِي المُتونَ وسِنّي سَبعَ عشرةَ سَنةً أرسلنِي إِلى مِصرَ لِطلبِ العِلمِ فِي الجَامعِ الأزهرِ، فدخلتُهُ فِي غَرَّةِ مُحرَّمٍ سَنةَ ألفٍ ومِئتينِ وثَلاثٍ وثَمانينَ وأقمْتُ فيهِ نحوَ سِبعِ سَنواتٍ، وبعدَ أنْ حصلتُ عَلى مَا قدَّرنِي اللهُ مِن العُلومِ النَّقليَّةِ وَالعَقليَّةِ، رجعتُ بِأمرِ وَالدِي إِلى الوَطنِ فِي شَعبانَ سَنةَ ١٢٨٩هـ)[2].

لمْ يذكرْ شَيئًا عَنْ والدتِهِ عَائشةَ، أمَّا زوجتُهُ فهيَ السَّيدةُ صَفِيَّةُ بنتُ محمَّد بيك السَّجعانِ، أحدُ وجوهِ بيروتَ مِنْ ذَوي البُيوتِ القَديمةِ الكَريمةِ، وهيَ مِنَ الصَّالحاتِ الصَّادقاتِ، وقَد رزقَهُ اللهُ منهَا ولدًا واحدًا وثَلاثَ بَناتٍ، أمَّا الولدُ فاسمُهُ محمَّد شَمسِ الدِّينِ، وكُنيتُهُ أُبو المَكارِمِ، وقَدْ كَانَ يَعملُ قَاضيًا فِي بَيروتَ وبعلبكَ السُّوريَّةِ بعدَ أنْ تَخرَّجَ فِي مدرسةِ الحُقوقِ فِي تُركيَّا، وتَزوَّجَ مِن فاطمةِ بنتِ محمَّد صَادقِ الجَبالي التُّونسِي الأَصلِ، وهوَ مِنْ أُسرةِ البَاهي الأدغَمِ رَئيسِ وُزراءِ تُونسَ سَابقًا (ت:١٩٩٨م)[3].

---

[1] كحَّالة، عمر رضا. معجم المؤلفين. ج٤. ص١٤٥. مؤسسة الرسالة. بيروت. ط١. ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

[2] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. هادي المريد إلى طريق الأسانيد. ص٥٦.

[3] ماضي، عيسى محمد علي. يوسف النبهاني الشاعر الفلسطيني الرائد. ج١. ص١٤٢. (دراسة). جامعة الأزهر الشريف. القاهرة. ط١. (١٣٩٧هـ-١٩٧٧م).

وَأَمَّا بناتُهُ فهُم ثَلاثةٌ (تَقيَّةُ وَعائشةُ وفاطمةٌ)، وقَدْ تزوَّجَتِ الأُولَى مِنَ الشَّيخِ إبراهيمِ النَّبهانِي ابنِ عمِّهِ وَأنجبَتْ لهُ الشَّيخَ العَالمَ تقِي الدِّينِ النَّبهانِي (ت:١٩٧٧م) (مُؤسسُ حِزبِ التَّحريرِ الإسلامِي)[١]، فقَدْ أرسلَهُ جدُّهُ لأمِّهِ الشَّيخُ يُوسفُ النَّبهانِي إلى الجَامعِ الأزهَرِ الشَّريفِ لِدِراسَةِ العُلومِ الشَّرعيَّةِ، وتكفَّلَ بِدراستِهِ عَلى حِسابِهِ الشَّخصِي. والثَّانيةُ ابنتُهُ عائشةُ، فقَد تَزوَّجَتْ منْ محمَّد صَادقِ الجَبالِي التُّونسِي صِهرَهُمْ، وكانَ كَثيرًا مَا يَعتزُّ بِتلكَ المُصاهَرةِ، أمَّا فَاطِمةُ _ أكثرُ المُقرَّباتِ إليهِ _ فكانَتْ كَثيرةَ الرُّؤَى، فقَدْ تزوَّجَتْ مِنَ الشَّيخِ عَبدِ الوَاحدِ الخَطيبِ نَقيبِ أشرافِ حَيفَا، ورزقَهُ اللهُ مِنهَا الشَّيخَ يُونسَ الخَطيبِ، وَالشَّيخَ محمَّدَ بَدرِ الدِّينِ الخَطيبِ[٢].

ثالثًا: وفاتُهُ

تُوفِي الشَّيخُ يُوسفُ النَّبهانِي فِي العَاشرِ أوِ الحَادِي عَشرَ مِنْ شَهرِ رَمضانِ المُباركِ سَنةَ ١٣٥٠هـ المُوافقِ لِسنةِ ١٩٣٢م عَنْ عُمرٍ نَاهزَ ٨٤ عامًا، إذْ أُصيبَ بِنزلةٍ صَدريَّةٍ حَادَّةٍ وتُوفِي عَلى أثرِهَا بعدَ ٢٤ سَاعةٍ، وقَدْ أَرسلَ إلى حَفيدِهِ خَيرِ الدِّينِ قَبلَ وَفاتِهِ بِلحظاتٍ وطَلَبَ منهُ أنْ يَنزعَ حِذاءَهُ، وَيلبسَهُ ثَوابًا أَبيضَ، وبعدَ ذَلِكَ بِدقائقَ فَاضَتْ رُوحُهُ إلى بَارئِهَا، وَكانَ آخرُ مَا دعَا بِهِ:(اللَّهُمَّ لَا تُغنِنِي، وَلَا تُغنِي أَحدًا مِنْ ذُرِّيتِي)، وَوُرِيَ الثَّرَى فِي مَقبرةِ البَاشُورَا فِي بَيروتَ، وتُوفِي بعدَهُ فِي الشَّهرِ نفسِهِ صَديقُهُ المُقرَّبُ الشَّيخُ مُصطفَى نَجَا (ت:١٩٣٢م)[٣] الَّذِي كَانَ يُنظِّمُ الجَنازةَ مَعْ عَددٍ مِنَ العُلمَاءِ الرَّبَّانيينَ، مِنهُمْ: الشَّيخُ تَوفيقُ الهُبري (ت:١٩٥٤م)، ووصفَ بعضُ العُلماءِ الجَنازةَ المَهيبةَ وصفًا رائعًا، إذْ قَالَ الشَّيخُ محمَّد سعيد الكُردِي (ت:١٩٧٢م) إنَّهُ رأَى أَنوارًا تَسطعُ مِنَ السَّماءِ إلى الأَرضِ أثناءَ جَنازتِهِ، وقَد كُتِبَ عَلى نُصيبةِ القَبرِ الأَبياتُ الآتيةُ:

---

[١] **حزب التحرير الإسلامي:** حزب سياسي مبدؤه الإسلام، يعمل في الأمة الإسلامية كلها من أجل استئناف الحياة الإسلامية بإقامة دولة الخلافة الراشدة التي توحّد الأمة وتحكمها بالإسلام، مستندا إلى براهين ساطعة من القرآن الكريم، وبشائر من سنة الرسول ﷺ على عودة الخلافة آخر الزمان ونزولها بيت المقدس، وقد تأسس هذا الحزب عام ١٩٥٣م في القدس على يد القاضي الفلسطيني الشيخ تقي الدين النبهاني.

[٢] ماضي، عيسى محمد علي. يوسف النبهاني الشاعر الفلسطيني الرائد. ج١. ص١٤٥-١٤٦.

[٣] المصدر نفسه. ص١٤٨-١٤٩.

هَذَا ضَـــرِيحُ العَالِمُ الرَّبَّانِي حَسَّانُ أَحْمَدُ يُوسُفُ النَّبَهَانِي

فِي دِينِهِ وَالذَّبُّ عَنهُ وَمَدْحُهُ سِـــتّونَ تَأْلِيفًا كَعِقْدِ الجُمَانِ

يَا زَائِرًا فَاقْرَأْ لَهُ مَا شِئْتَ مِنْ سَـــــبْعٍ مَثَانٍ ثُمَّ مِنْ قُرْآنِي

وَادْعُوا الْإِلَهَ بِمَا تَشَـاءُ لَعَلَّهُ لَكَ يَسْـتَجِيبُ بِوَابِلِ الْإِحْسَانِ

لَمَّـا دَعَـاهُ اللهُ فِي رَمَضَانِهِ لَبَّـــاهُ يَذْكُـرُهُ بِخَيْـــرِ لِسَانِ

وَلِسَـانِ قُدْرَتِـهِ يَقُوْلُ مُؤَرِّخًا لِلْخُـلْدِ أَرْفَعُ يُوسُفَ النَّبَهَانِي[1]

رَابِعًا: مَا قِيلَ فِيهِ مَدحًا

نالَ الشَّيخُ يُوسفُ النَّبهاني حظًّا وافرًا مِن الرِّثاءِ، وذكرِ مَناقبِهِ، والإشَادةِ مِن العلماءِ الَّذينَ يعرفونَهُ، فهذَا الشَّيخُ علي داود رحمهُ اللهُ (ت:١٩٤٥م) يرثيهُ بمرثيَّةٍ طويلةٍ، جاءَ فيهَا:

هَلْ قَضَى نَحبَهُ حَلِيفُ المَعَانِي صَفْوةُ النَّاسِ مِنْ أُولِي العِرْفَانِ

قُدوَةُ العَـــالَمِينَ فِي وَقْتِـهِ بَلْ خَيْـرُ حَبْـرٍ وَعَـالِـمٍ رَبَّانِي

هَلْ مَضَـى خَيْرُ عَالِمٍ قَدْ عَلَّمَنَا مُحِبًّـــا لِلْمُصْـــطَفَى العَدْنَانِي[2]

وذكرَ حفيدُهُ خيرُ الدِّينِ أنَّ مَساجدَ فِلسطينَ رفعَتِ الأذَانَ فِي غيرِ وقتِهِ إعلَانًا بِوفَاةِ الشَّيخِ يُوسفِ النَّبهاني وَإشارةً إلى رحيلِهِ، رحمهُ اللهُ، ورضيَ عنهُ وأرضَاهُ.

وذكرَ حفيدُهُ خيرُ الدِّينِ حينمَا سألَهُ عيسى ماضِي (البَاحثُ في حياتِهِ) عَن ميراثِهِ، فَأجابَ: لَم يَترِكْ وراءَهُ مَالًا حتَّى يُوصِي منهُ[3].

---

[1] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. تفسير جزء عم للشيخ يوسف النبهاني. ص٤. ت: محمد مصطفى أبو العلا الشهير بحامد.

[2] المصدر نفسه. ص٧.

[3] ماضي، عيسى محمد علي. يوسف النبهاني الشاعر الفلسطيني الرائد. ج١. ص١٤٩.

وذكرَهُ يَعقوبُ العُوداتِ المُلقَّبُ بالبَدوي المُلثَّمِ (ت:١٩٧١م) واصفًا أسلوبَهُ الشِّعريّ بِالمتانةِ والبُعدِ عَنِ الرَّكاكةِ، وقالَ إِنَّ شعرَهُ أشبَهُ مَا يكونُ بشعرِ العَصرِ العَباسيّ الأَوَّلِ؛ إِذْ تكثُرُ المُحسِّناتُ البديعيَّةُ في كتاباتِهِ شِعرًا ونَثرًا، وقَدْ وجدْتُ لهُ أكثرَ مِن سبعةٍ وستينَ كِتابًا فَي دارَ الكُتبِ المِصريَّةِ، وقَدْ تَركَ لنَا دِيوانَ شِعرٍ كَبيرٍ سَمَّاهُ (العُقودُ اللُّؤلؤيَّةُ فِي المَدائحِ النَّبويَّةِ)، وقالَ عنهُ أميرُ البَيانِ شَكيب أَرسلان (ت:١٩٤٦م):"...**وكانَ مِنْ أشهرِ شُعراءِ عَصرِهِ**"، وقالَ عنهُ إِسعافُ النَّشاشيبي (ت:١٩٤٨م):" ...**لَولَا ضِيقُ أغرَاضِ الشِّعرِ الَّتِي تناولَهَا لوضعتُهُ فِي صَفِّ شَوقِي**"، وَقالَ الشَّيخُ الشِّنقيطِي (ت:١٩٧٤م) عنهُ:"...**أمَّا مُصنفاتُهُ فهِيَ كَثيرةٌ جِدًّا وجُلُّهَا فِي المَديحِ النَّبوِي، والحَديثِ الشَّريفِ ومتعلَّقاتِهِ، وَالسِّيرةِ النَّبويَّةِ بِتفصيلاتِهَا، وَيُعتبرُ أكثرَ المَادحينَ لِلرَّسولِ ﷺ مِن بينِ الأقدمينَ وَالمُتأخِّرينَ، لهَذا فقَدْ انحصرَتْ مُعظمُ أغراضِ شعرِهِ فِي المَدائحِ النَّبويَّةِ وَالدِّفاعِ عَنِ الإسلامِ**"[١].

خامسًا: مَا قِيلَ فِيهِ نَقدًا وَهِجاءً

هاجمَ الشَّيخُ النَّبهانِي رِجالاتِ الإصلاحِ الدِّينِي أمثالَ جمالَ الدِّينِ الأفغانِي (ت:١٨٩٧م)، ومحمَّد عبدُه (ت:١٩٠٥م)، ومحمَّد رَشيد رِضا (ت:١٩٣٥م)، مُعدًّا فِكرةَ الإصلاحِ قَادمةً مِن الغَربِ، وفيهَا مِن المَكرِ والدَّهاءِ لِلإسلامِ مَا فِيهَا، وقَدْ بلغَ الخِصامُ بَينهُمْ مبلغَهُ، وكانَ الخِديوي عَبَّاسُ (ت:١٩٤٤م) يمقُتُ هَؤلاءِ الإصلاحيينَ فَكافَأَ النَّبهانِي لأَنَّهُ تَصدَّى لهُمْ، وذَمَّ أفعالَهُم، إِذْ خَصَّصَ لَهُ رَاتِبًا شَهريًّا مِن وَزارةِ الأَوقافِ المِصريَّةِ، وفِي المُقابلِ هاجمَ مَذهبَ (الوهَّابيينَ)[٢]، إِذْ نسجَ قَصيدةً طَويلةً فِي الرَّدِّ عَليهِم سَمَّاهَا (الرَّائيَّةُ الصُّغرَى)، فَمَا كانَ منهُمْ إِلَّا أَنْ رَدُّوا عَليهِ بِقصائدَ مُماثلةٍ، وأشهرُ مَن ردَّ عليهِ _ مِن الوهَّابيينَ _ الشَّيخُ محمَّد بَهجَت

[١] مناع، عادل. أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني (١٨٠٠-١٩١٨). ص٣٤٩. مؤسسة الدراسات الفسطينية. بيروت. لبنان. ط٢. ١٩٩٥م.

[٢] **الوهابيون:** أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ت: ١٧٩٢م) الذي أسس الحركة الوهابية أو الدعوة النجدية في شبه الجزيرة العربية، وهي دعوة سنية تقوم على العودة إلى أصول الدين، ومحاربة البدع والمحدثات التي طرأت على الإسلام، وقد تحالف الشيخ مع مؤسس المملكة السعودية محمد بن سعود ليسمح له بممارسة دعوته دون مضايقات.

الأَثَرِي (ت:١٩٩٦م) بِقصيدةٍ مُناقضةٍ لهَا، وردَّ عليهِ الشَّيخُ محمودُ شُكري الأَلوسِي (ت:١٩٢٤م)، إذْ أَلَّفَ كتابًا فِي الرَّدِّ عَليهِ سَمَّاهُ (غَايَةُ الأَمَانِي فِي الرَّدِّ عَلى النَّبهَانِي)[١].

وقدْ انتقدَ النَّبهاني ابنَ القَيِّمِ الجَوزيَّةِ (ت:١٣٥٠م) الَّذِي دعَا إِلى الإكثارِ مِن زِيارةِ القُبورِ، وعَدَّ النَّبهَاني هَذهِ الزِّياراتِ المُتكرِّرةَ للقُبورِ بدعةً، فردَّ الشَّيخُ الأَلوسِي عليهِ قَائِلًا:"**إِنَّ النَّبهانِي قَدْ أُلبسَ عَليهِ الأمرُ فِي هَذهِ المَسألةِ فأوهمَ وَحرَّفَ، وَنقلَ العِبارةَ عَنِ ابنِ القَيِّمِ خَطأً فَوقعَ فِي جَهلِهِ**"[٢].

سَادِسًا: آثارُهُ

لَمْ يَترِكِ الشَّيخُ يُوسفُ النَّبهاني مالًا ولا عقَارًا لأولادِهِ وأحفادِهِ، وكانَ دعاؤُهُ الرَّتيبُ: (**اللَّهُمَّ لَا تُغنِنِي وَلا تُغنَي أَحدًا مِن ذُرِّيتَي**)، ولكنَّهُ تَركَ آثارًا مُستفيضةً بِالعلومِ الشَّرعيَّةِ وَالفِقهيَّةِ، ومَدائحَ نبويَّةٍ، وتَفسيرًا لِلقُرآنِ الكريمِ فِي مُصنَّفاتٍ عَديدةٍ تَجاوزَتِ الأربعينَ كِتابًا، عَلى النَّحوِ التَّالِي:

- **المجلَّدُ المُسمَّى (العُقودُ اللُّؤلؤيَّةُ فِي المَدائحِ النَّبويَّةِ وَالبَشائِرِ الإيمانيَّةِ فِي المُبشِّراتِ المَناميَّةِ):** يشتملُ المُجلَّدُ فِي بابِهِ الأَوَّلِ عَلى دِيوانِ الشِّعرِ المُسمَّى (العُقُودُ اللُّؤلؤيَّةُ فِي المَدائحِ النَّبويَّةِ) ويضمُّ فِي صفحاتِهِ مجموعةً مِن القَصائدِ المُطوَّلةِ فِي مَدحِ الذَّاتِ الإلهيَّةِ وَالمِلَّةِ الإسلاميَّةِ، ومدحِ الرَّسولِ ﷺ والسُّنَّةِ النَّبويَّةِ، وتناولِ الصِّفاتِ، وَالأخلَاقِ، والمَواقفِ، والمُعاملاتِ، ومدحِ بَعضِ مَشايخِهِ ورثائِهِم، ومدحِ رفاقِهِ مِن الشُّعراءِ، والهُجومِ بِالهِجاءِ المُدقعِ عَلى اليهودِ وَالنَّصارَى، ورِجَالاتِ الإصلاحِ الدِّيني، وأتباعِ الحَركةِ الوهَّابيَّةِ فِي جزيرةِ العَربِ، ويقعُ الدِّيوانُ فِي (٤٢٤) صفحةٍ، ويشتملُ عَلى سَبعِ قَصائدَ مُطوَّلةٍ، وسِتِّينَ مَقطوعةٍ شِعريَّةٍ، تَضمُّ (٤٨٠٠) بيتًا مِن الشِّعرِ، ويشتملُ المجلَّدُ فِي بابِهِ الثَّاني النَّثري المُسمَّى (البَشائِرُ الإيمانيَّةُ فِي

[١] مناع، عادل. أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني (١٨٠٠-١٩١٨). ص١٥١.

[٢] الألوسي، محمود شكري. غاية الأماني في الرد على النبهاني. مج٢. ص٧. مطابع الرياض. المملكة العربية السعودية. ط١. (د. ت).

- المُبشِّراتِ المَناميَّةِ) عَلى ستِّينِ مُبشِّرةٍ مِن المُبشِّراتِ المَناميَّةِ الَّتِي رَآهَا النَّبهَانِي فِي نومِهِ، وتوافقَتْ مَعِ البَشائرِ الإيمانيَّةِ فِي واقعِ حَياتِهِ، وحَياةِ المُقرَّبينَ منهُ، وخَاصَّةً الشُّهداءُ منهُمْ.
- **معجمُ الشِّيوخِ:** تناولَ فيهِ عددًا مِن العُلماءِ والفُقهاءِ وشُيوخِ الإسلامِ، ومدحَ بعضَهُم وهاجمَ بعضهُم الآخرَ أمثالَ محمَّد عبدُه وجمالَ الدِّينِ الأفغَاني والإمامِ الأَلُوسِي المُفسِّر.
- **المَجموعةُ النَّبهانيَّةُ فِي المَدائحِ النَّبويَّةِ:** وهوَ فِي أربعةِ أجزاءَ، وقدْ جمعَ فيهَا المَدائحَ النَّبويَّةَ الَّتِي كتبهَا فِي مدحِ الهَادِي البَشيرِ محمَّد ﷺ، وبعضُهَا مَدائحُ قالَهَا غيرُهُ مِن شُعراءِ المَديحِ النَّبوي فِي عصرِهِ.
- **جَواهرُ البِحارِ فِي فَضلِ النَّبِي المُختارِ:** كتابٌ فِي أربعةِ مُجلَّداتٍ جمعَ فيهِ مَا وردَ فِي الكتابِ والسُّنَّةِ وكُتبِ الصَّحابَةِ وَالتَّابعينَ وَالأئمةِ وَالعُلماءِ فِي سِيرةِ المُصطَفَى ﷺ.
- **الفتحُ الكَبيرُ فِي ضَمِّ الزِّيادةِ إلى الجَامعِ الصَّغيرِ:** فِي ثلاثةِ مُجلَّداتٍ، جَمعَ فيهِ الأحاديثَ الصَّحيحةَ وَالحسنةَ وَالمشهورةَ.[1]
- **جَامعُ كَراماتِ الأَولياءِ:** وهوَ مُؤلَّفٌ فِي مُجلَّدينِ، جمعَ فيهَا أَسماءَ الأولياءِ الصَّالحينَ فِي مُختلفِ العُصورِ، والحَديثُ عَن كراماتِهِم فِي حياتِهِم وبعدَ موتِهِم[2].
- **رِياضُ الجَنَّةِ فِي أذكارِ الكِتابِ وَالسُّنَّةِ:** وقدْ جمعَ فيهِ مَا وردَ مِن أذكارٍ وَأدعيةٍ فِي القُرآنِ الكَريمِ والسُّنَّةِ النَّبويَّةِ، ومِن الأقوالِ المأثورةِ عَن كبارِ الصَّحابةِ وعُلماءِ السَّلفِ الصَّالحِ والتَابعينَ.
- **وسائلُ الوُصولِ إلى شَمائلِ الرَّسُولِ ﷺ:** وقَدْ جمعَ فيهِ مَا قِيلَ فِي الرَّسُولِ ﷺ مِن ذكرٍ للصِّفاتِ الخَلْقِيَّةِ وَالخُلقِيَّةِ، وفيهِ ذِكرٌ لمواقفِهِ مَعِ الصَّحابةِ مِن جهةٍ، ومعِ الأعداءِ مِن قُريشٍ وَيهودَ.[3]

---

[1] سريكس، يوسف. معجم المطبوعات. ص١٨٣٨. مطبعة سركيس، القاهرة. مصر. ط١. ١٩٢٨م.

[2] المصدر نفسه. ص١٨٣٨.

[3] المصدر نفسه. ص١٨٤٠.

- **أفضلُ الصَّلواتِ عَلى سَيّدِ السَّادَاتِ:** وقدْ جمعَ فيهِ مَا قِيلَ فِي فضلِ الصَّلاةِ عَلى سَيّدِ المُرسلينَ ﷺ، وَأضافَ إليهِ مَا شَعرَ بهِ فِي حَياتِهِ مِن فَضلِ الصَّلاةِ عَلى سَيّدِ السَّاداتِ ﷺ.
- **تهذيبُ النُّفوسِ فِي تَرتيبِ الدُّروسِ:** وقدْ جمعَهُ مِن كتابِ رِياضِ الصَّالحينَ لِلنَّووِي (ت:١٢٧٧م)، وَأضافَ عليهِ مِن تجاربِهِ فِي خَلواتِهِ، وجلوسِهِ فِي حلقاتِ الذِّكرِ، ومُجالسةِ العُلماءِ والشُّيوخِ[١].
- **حُجَّةُ اللهِ عَلى العَالمينَ:** وقدْ جمعَ فيهِ مَا ذكرَهُ مِن المُعجزاتِ النَّبويَّةِ الَّتِي كانَتْ بِمثابةِ حُججٍ وبراهينَ ساطعةٍ مِن اللهِ تَعالى تدلُّ عَلى ثُبوتِ نُبوَّةِ محمَّدٍ ﷺ.
- **نُجومُ المُهتدينَ:** وقدْ جمعَ فيهِ كلَّ مَا يُشيرُ إلى دَلائلِ النُّبوَّةِ ومُعجزاتِ الرَّسولِ ﷺ، ومَا حدثَ معهُ مِن إشاراتٍ وَاضحةٍ، وبَراهينَ سَاطعةٍ عَلى صِدقِ نُبوَّتهِ ﷺ[٢].
- **السَّابِقاتُ الجِيادُ فِي مَدحِ سَيّدِ العِبادِ:** وهيَ مَجموعةٌ مِن القَصائدِ المُعشَّراتِ فِي مَدحِ الرَّسولِ ﷺ مُرتَّبةً عَلى حُروفِ المُعجمِ.
- **الشَّرفُ المُؤبَّدُ لِآلِ مُحمَّد:** وقدْ جمعَ فيهِ الآياتِ وَالأحاديثَ الَّتِي تحُثُّ عَلى تَكريمِ آلِ البَيتِ وتَشريفِهِم، وَتحريمِ الإساءةِ إليهِم، أوِ النَّيلِ مِنهُم[٣].
- **تَنبيهُ الأفكارِ إِلَى حِكمةِ إِقبالِ الدُّنيَا عَلَى الكُفَّار:** وقدْ جمعَ فيهِ مَا قيلَ فِي تحذيرِ الكفَّارِ مِن الدُّنيَا، وفيهِ دَعوةٌ لِلمسلمينَ وتَحذيرٌ لهُمْ مِن التَّعلُّقِ بِالدُّنيَا وَمتاعِهَا الزَّائلِ، وأهميَّةِ العَملِ لِلآخِرةِ.
- **سَعادةُ الدَّارينِ فِي الصَّلَاةِ عَلى سَيّدِ الكَونينِ:** وقدْ جَمعَ فيهِ فَضائلَ الصَّلاةِ عَلى الرَّسولِ ﷺ مِن الأذكارِ والأحاديثِ والمأثورِ مِن أقوالِ الصَّحابةِ والتَّابعينَ.

---

[١] معجم الاسماء، الرابط: http://arabicnames.hawramani.com/.

[٢] سريكس، يوسف. معجم المطبوعات. ص١٨٤٢.

[٣] معجم الاسماء، الرابط: http://arabicnames.hawramani.com/..

- **سَعادةُ المَعادِ فِي مُوازنةِ (بَانَتْ سُعاد):** وهيَ قَصيدةٌ مُطوَّلةٌ فِي مَديحِ الرَّسولِ ﷺ، وجاءَتْ عَلى غِرارِ قَصيدةِ (بَانَتْ سُعادُ) لِكعبِ بنِ زُهيرٍ _ رَضِيَ اللهُ عَنهُ _ (ت:٦٦٢م)، وفيهَا مَدحٌ وَاعتذارٌ وتَشفُّعٌ ونداءٌ للرَّسولِ ﷺ.
- **طَيبةُ الغَرَّاءُ فِي مَدحِ سَيِّدِ الأنبياءِ:** وهيَ قَصيدةٌ مُطوَّلةٌ فِي مَديحِ الرَّسولِ ﷺ، وذكرِ مواقفِهِ فِي المَدينةِ المُنوَّرةِ مَع الأنصارِ وأهلِ المَدينةِ المُنوَّرةِ.
- **الفَضائلُ المُحمَّديَّةُ:** كتابٌ يجمعُ مَا قيلَ فِي فَضلِ رَسولِ اللهِ ﷺ فِي كتابِ اللهِ وسُنَّةِ رَسولِ اللهِ ﷺ وفِي كُتُبِ المَادحينَ وَالذَّاكرينَ لفضائلِهِ ﷺ.
- **القَولُ الحَقُّ فِي مَدائحِ خَيرِ الخَلقِ:** وهوَ كِتابٌ جَامعٌ لِسلسلةِ القَصائدِ الَّتِي قِيلَتْ فِي مَدحِ الرَّسولِ ﷺ مِن كِبارِ الشِّعرِ القُدامَى والمُحدَثينَ.
- **الهَمزِيَّةُ الأَلفِيَّةُ:** وهيَ قَصيدةٌ فِي ألفِ بيتٍ تَقريبًا فِي مَدحِ الرَّسولِ ﷺ وذكرِ خِصالِهِ وفضائلِهِ.
- **القَصيدةُ الرَّائيَّةُ الكُبرَى فِي الكَمَالاتِ الإلهيَّةِ وَالسِّيرةِ النَّبويَّةِ ووَصفِ المِلَّةِ الإسلاميَّةِ والمِللِ الأُخرَى،** وَالرَّائيَةُ الصُّغرَى فِي ذَمِّ البِدعةِ (الوَهَّابيَّةِ) ومَدحِ السُّنَّةِ الغَرَّا.

وأمَّا ديوانُهُ الشِّعري (العُقودُ اللُّؤلؤيَّةُ فِي المَدائحِ النَّبويَّةِ) فقدْ أوصَى بحرقِهِ بعدَ وفاتِهِ، وتَمَّ العَملُ بالوصِيَّةِ، لكنَّ حفيدَهُ خيرَ الدِّينِ احتفَظَ بِنسخةٍ واحدةٍ، وتَمَّ نَسخُهَا إلكترونيًّا، عَلاوةً عَلى القَصائدِ الطَّويلةِ المَوجودةِ فِي كُتبِهِ العَديدةِ، لِذلكَ فقَد كَانَ شعرُهُ غَزيرًا رغمَ إتلافِ دِيوانِهِ المَذكورِ[1]. وتكريمًا لهُ، واعترافًا بِغزارةِ إنتاجِهِ الأدبيِّ والدَّعويِّ، وعِرفانًا بِجميلِهِ، أُنشئَتْ مَطبعةٌ ودارُ نشرٍ تَحملُ اسمَهُ (دارُ الإمامِ يُوسفِ النَّبهَانِي)، ومقرُّهَا العَاصمةُ المَاليزيَّةُ (كُولالَمبُور).

[1] سريكس، يوسف. معجم المطبوعات. ص١٨٤٢.

سَابعًا: الحياةُ الفِكريَّةُ الَّتِي وَاكبهَا النَّبهَانِي

خَضعَتْ فِلسطينُ لِلحكُمِ العُثمانيّ بعدَ طردِ المَماليكِ منهَا فِي مَعركةِ مرجِ دَابقٍ سنةَ ١٥١٦م، وقدْ وقعَتِ المعركةُ قربَ حلبٍ، وكانَ العُثمانيونَ قدْ قضُوا على الزَّحفِ (الصَّفويّ)[١] الشِّيعي فِي معركةٍ أُخرى قُربَ المُوصلِ، وبهذَا سَيطرَتِ الدَّولةُ العُثمانيَّةُ الَّتِي كانَتْ تَتبنَّى المَذهبَ السُّنِّي، عَلى مُعظمِ بِلادِ المُسلمينَ الَّتِي كانَتْ خَاضعةً لِلدَّولةِ العَبَّاسيَّةِ، وبهذَا أصبحَتْ بلادُ الشَّامِ ومِن ضِمنهَا فلسطينَ تحتَ حُكمِ العُثمانيينَ حتَّى عامَ ١٩١٧م حينمَا صدرَ (وعدُ بِلفور)[٢] الَّذِي بموجبِهِ أصبحَتْ فلسطينُ بوصايةٍ مِن بريطانيَا الَّتِي كانَتْ فلسطينُ تقعُ تحتَ انتدابِهَا، أصبحَتْ وطنًا قوميًّا لليهودِ بعدَ أنْ رفضَ السُّلطانُ العُثمانيُّ عبدُ الحَميدِ الثَّانِي (ت:١٩١٨م) أنْ يمنحَ فلسطينَ لليهودِ مُقابلَ عَرضٍ سَخيٍّ مِن المالِ، وقدْ قالَ السُّلطانُ قولتَهُ المَشهورةُ:(إنَّ فِلسطينَ ليسَتْ مُلكِي وَإنَّمَا هِيَ مُلكُ المُسلمينَ، ولَعَملُ المِبضعِ فِي صَدرِي أهونُ عَليَّ مِن أنْ أَرى فِلسطينَ فِي أَيدي اليَهودَ ...)[٣].

وقدْ سادَ في فلسطينِ المَذهبُ الإسلاميُّ السُّنِّي على مدارِ حكمِ الدَّولةِ العُثمانيَّةِ لفلسطينَ، ولكنْ فِي أواخرِ عهدِهَا، وبعدَ أنْ أصبحَتِ الدَّولةُ العُثمانيَّةُ ضعيفةً وتُلقَّبُ بالرَّجلِ المَريضِ، أصبحَتْ فِلسطينُ لقمةً سائغةً للاستعمارِ الغَربي، فوقعَتْ _ بعدَ الحَربِ العَالميَّةِ الثَّانيةِ وهزيمةِ الدَّولةِ العُثمانيَّةِ مع دولِ المِحورِ _ تحتَ الانتدابِ البِريطانِي الَّذِي أهدَاهَا مِن طرفِهِ لليهودِ كَوطنٍ قوميٍّ، ولمْ تكنْ هناكَ مُقاومةٌ فعليَّةٌ وجدِّيَّةٌ لهذهِ القَراراتِ والوعُودِ الغَربيَّةِ مِن طرفِ حُكوماتِ الدِّولِ العَربيَّةِ المُحيطةِ، وكذلكَ انشغالُ الدَّولةِ العُثمانيَّةِ فِي إخمادِ الثَّوراتِ الَّتِي حدثَت فِي مُحيطِهَا بعدَ هَزيمتِهَا فِي الحربِ العَالميَّةِ الأولَى، وجعلِ السَّيطرةِ الفعليَّةِ للإنجليزِ على فِلسطينَ سَهلةً، وقدْ مهَّدَتِ الغَزواتُ الفِكريَّةُ مِن خِلالِ نَشرِ الفِكرِ العِلمانِي

---

[١] **الصفويون:** نسبة إلى إسماعيل الصفوي (ت:١٥٢٤م) مؤسس الدولة الصفوية في إيران والعراق وأذربيجان وشمال شرق الأناضول، ويعتبر أول شاهات إيران، وأول من اعتمد المذهب الشيعي الأثني عشري كمذهب للدولة، حاول السيطرة على بلاد الشام ولكن الأتراك تمكنوا من هزيمته في معركة وقعت قرب حلب، فأوقفت الزحف الصفوي عند حدود العراق.

[٢] **وعد بلفور:** وعد بريطاني بمنح فلسطين لليهود، سلَّمه بلفور رئيس وزراء بريطانيا أنذاك للزعيم اليهودي اللورد روتشيلد عام ١٩١٧م.

[٣] توما، إميل. فلسطين في العهد العثماني. ص٦٧. الدار العربية للنشر والتوزيع. عمان. ط١. ١٩٨٠م.

والمَبدأِ الرَّأسمالي، ودعواتِ الحُرّيَّةِ وَالتَّحرُّرِ إلى وقوعِ أهلِ فِلسطينَ ضَحيَّةَ تِلكَ الأَفكارِ والتَّجاذُباتِ الفِكريَّةِ، خَاصَّةً بعدَ بُزوغِ شمسِ الفِكرِ الشّيوعِي فِي الاتِّحادِ السُّوفِيتي وانتشارِهِ فِي بِلادِ المُسلمينَ لِينافسَ الفِكرَ العِلمانِي في إبعادِ العَرَبِ وَالمسلمينَ عَنْ دِينهِمْ شَيئًا فَشيئًا[1].

وساهمَتِ البِعثَاتُ التَّبشيريَّةُ البَاباويَّةُ فِي تَرسيخِ بعضِ أفكارِ التَّسامحِ مَعِ الآخرِ، وَتقبُّلِهَا إنسانيًّا رَغمَ الَّذِي فعلَهُ فِي المُسلمينَ وَأبنائِهِم.

لذلكَ يمكنُ القَولُ أنَّ الفِكرَ الَّذِي سادَ فِي تلكَ الفَترةِ هوَ الفكرُ العِلمانِي بِقيادةِ بريطانيَا العُظمى، إلى جَانبِ انتشارِ الفِكرِ الشُّيوعِي الَّذِي برزَ وهيمنَ فِي الاتِّحادِ السُّوفيتِي بعدَ الثَّورةِ البَلشفيَّةِ سَنةَ ١٩١٧م[2].

وكانَ أهلُ فلسطينَ خاصَّةً، وبلادُ الشَّامِ عامَّةً فِي هذهِ الأوقاتِ يعيشونَ حالةً مِن الفَوضَى الفِكريَّةِ والتَّناقضَاتِ ما بينَ المُحافظةِ عَلى دينهِمِ الإسلامِي الَّذِي يتعرَّضُ لِهجومٍ فِكريٍّ غربيٍّ وشَرقيٍّ شرسٍ، وفي المُقابلِ اقتناعُ بعضِ العَربِ والمسلمينَ بالفكرِ العَلمانِي والانتماءِ إليهِ، وكذلكَ اقتناعُ بعضِهِم بالفِكرِ الشّيوعِي والانتماءِ إليهِ، وقدْ أدَّتْ هذهِ الاختلافاتُ الفكريَّةُ إلى خِلافاتٍ وجَدلٍ جعلَ الأمَّةَ تتشرذَمُ وتتفرَّقُ فوقَ تشرذُمِهَا وَتفرُّقِهَا المُسيطرَ عليهَا أصلًا بفعلِ الغَزوِ الفكريِّ مِن جهةٍ، والغزوِ التَّبشيريِّ مِن جهةٍ أُخرَى[3].

ثامنًا: الحَياةُ السَّياسيَّةُ الَّتِي واكبَهَا النَّبهَانِي

شهدَتِ البلادُ العربيَّةُ وعلى رأسِهَا بلادُ الشَّامِ حركاتِ تمرُّدٍ وانقسامٍ بدعمٍ مِن الغربِ الَّذِي كانَ يطمحُ إلى تقسيمِ بِلادِ المُسلمينَ الخَاضعةِ للدَّولةِ العُثمانيَّةِ، بعدَ أنْ أصبحَتِ الدَّولةِ فِي حالةِ ضَعفٍ شَديدٍ، وأصبحَتْ تُلقَّبُ بِالرَّجلِ المَريضِ، واستغلَّ اليهودُ هَذا الضَّعفَ فهرولُوا لِمفاوضةِ الخَليفةِ العُثمانِي عبدِ الحميدِ الثَّاني، وعرضُوا الأموالَ الطَّائلةَ عليهِ لشراءِ جزءٍ مِن أرضِ فلسطينَ واتِّخاذِهِ وطنًا قوميًّا لهُم، ولكنَّ الخَليفةَ رفضَ عرضَهُم رفضًا قاطعًا مؤكِّدًا

[1] مناع، عادل. تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني (١٨٠٠-١٩١٨). ص٢٥٨.

[2] توما، إميل. فلسطين في العهد العثماني. ص٦٧.

[3] مناع، عادل. تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني (١٨٠٠-١٩١٨). ص٢٥٦.

عَلى إسلاميَّةِ فلسطينَ، واعتبارِهَا مُلكًا للأُمَّةِ الإسلاميَّةِ[1] قاطبةً، وليسَتْ خَاصَّةً بِأهلِ فِلسطينَ، بلْ هيَ وقفٌ إسلاميٌّ عامٌّ للمُسلمينَ جميعِهِم، فَلا يملكُ الخَليفةُ عبدُ الحميدِ الثَّانِي التَّنازلَ عَنْ شبرٍ منهَا.

ولكنَّ اليهودَ لمْ يستسلمُوا لهذَا الرَّفضِ، بلْ استخدمُوا وسائلَ خِداعٍ مِن جهةٍ ووسائلَ إغراءٍ مِن جهةٍ أُخرى، عَنْ طَريقِ استئجارِ الأرضِ مِن مُلَّاكِها لِسنواتٍ طَويلةٍ بِمبالغَ طَائلةٍ، وعرضِ أموالٍ عَلى بعضِ الوُلاةِ ورِجالِ الأعمالِ مُقابلَ استئجارِ تلكَ الأرضِ أوْ شرائِهَا منهُمْ دونَ علمِ السَّلطاتِ العُثمانيَّةِ، وقدْ زادَتْ تِلكَ الحَركةُ الاستيطانيَّةُ الَّتِي كانَتْ تَسيرُ تحتَ عَمليَّاتِ استئجارٍ للأراضِي الفِلسطينيَّةِ وتحويلِهَا إلى (كِيبوتسَات)[2] أثناءَ الحَربِ العَالميَّةِ الأُوْلى وبعدَهَا، وحينمَا صدرَ وعدُ بِلفورِ عَامَ ١٩١٧م، ووقعَتْ فلسطينُ تحتَ الانتدابِ البريطانيِّ؛ أصبحَ الاستيلاءُ على الأراضِي أسهلَ بكثيرٍ مِن قبلُ، وأخذَ اليهودُ يُشكِّلونَ عِصاباتِ (الهَاجانَاه)[3] بدعمٍ وتَسليحٍ مِن الجَيشِ البريطانِي المُستعمرِ لفِلسطينَ، وكانَ مِن نتائجِ ذلكَ مَا حدثَ سَنةَ ١٩٢٩م إبَّانَ ثورةِ البُراقِ[4]، أيْ قبلَ وفاةِ النَّبهَاني بِثلاثِ سَنواتٍ[5].

زارَ النَّبهانِي الآستانةَ عاصمةَ الخِلافةِ العُثمانيَّةِ، فوجدَ فيهَا النَّظرةَ العُنصريَّةَ للعَربِ، والتَّفكيرَ المنتشرَ بينَ المُفكرينَ المُتأثرينَ بالغربِ أمثالِ جماعةِ (الاتِّحادِ والتَّرقِّي)[6] وغيرِهِم مِن المُفكِّرينَ وَالمُثقَّفينَ الدَّاعينَ عَلنًا إلى انفصالِ الدَّولةِ العُثمانيَّةِ عَنْ بلادِ المُسلمينَ، وتركيزِ

---

[1] ماضي، عيسى محمد علي. يوسف النبهاني الشاعر الفلسطيني الرائد. ج١. ص٨٥.

[2] **كيبوتسات:** مصطلح عبري يعني تجمعات سكانية للمهاجرين إلى أرض فلسطين، والتي أصبحت فيما بعد مستوطنات إسرائيلية ثم مدن.

[3] **الهاجاناة أو الهاغاناه:** مصطلح عبري يُطلق على المنظمة الصهيونية العسكرية التي تأسست عام ١٩٢١م، لحماية الكيبوتسات، وقد أشرف على تسليحها الجيش البريطاني بدعم خالص من يهود أوروبا وعلى رأسهم االرود روتشيلد (الملياردير اليهودي).

[4] **ثورة البراق:** ثورة فلسطينية اندلعت في القدس سنة ١٩٢٩ عند حائط البراق، بسبب سماح القوات البريطانية لليهود بالصلاة عند الحائط الغربي المسجد الأقصى، ومحاولة اتخاذه معبدا لهم، وقد ارتقى فيها عدد من الشهداء الفلسطينيين.

[5] ماضي، عيسى. يوسف النبهاني الشاعر الفلسطيني الرائد. ج١. ص٨٧.

[6] **جماعة الاتحاد والترقي:** جمعية ثورية سرية تأسست سنة ١٨٨٩م، على يد جماعة من طلبة الطب في كلية الطب العسكرية، ثم أصبحت فيما بعد حزبا سياسيا على رأس حركة تركيا الفتاة التي دعت إلى تكوين تركيا الحديثة بعد انفصالها عن بلاد المسلمين المكونة للخلافة العثمانية، مما أدى إلى إلغاء الخلافة سنة ١٩٢٤م، والإعلان عن قيام تركيا الحديثة.

جهودِ النظامِ نحوَ تطويرِ تركيَّا الحديثةِ الَّتِي بدأوا يدعونَ إلى جعلِهَا دولتِهِم المصغَّرةِ كبديلٍ عَنِ الخلافةِ الممتدَّةِ فِي القَارَّاتِ الثَّلاثةِ، وحينمَا لاحظَ النَّبهانِي هذهِ النَّظرةَ الخَطيرةَ، وهذهِ الحَركاتِ المتمرّدةَ الانفصاليَّةَ امتعضَ وتأسَّفَ لهذَا الحَالِ، وأنشدَ قائلًا:

أَلْفَيْـتُ فِيْـهَا أُمَّـــةً عَـرَبِيَّةً ... يَرَى التـَّـرْكُ مِنْهَا (أُمَّةَ الـزِّنْـجِ) أَكْرَمَا

وَمَا نَقَمُوا مِنَّا بَنِي العُرْبِ خِلَّةً ... سِوَى أَنَّ (خَيْرَ الْخَلْقِ) لَمْ يَكُ أَعْجَمَا

كمَا أردفَ قَائلًا ومتحسِّرًا عَلى دارِ الخِلافةِ زَمنَ الخَليفةِ عبدِ الحميدِ الثَّانِي الَّذِي أُحبُّهُ، فقالَ وكأَنَّمَا هوَ يَرثيهَا وَيبكيهَا:

وَيَمَّمْتُ دَارَ الْمُلْكِ أَحْسَبَ أَنَّهَا ... إِلَى الْيَوْمِ لَمْ تَبْرَحْ إِلَى الْمَجْدِ سُلَّمَا

فَأَلْفَيْتُهَا قَدْ أَقْفَرَتْ مِنْ كِرَامِهَا ... وَلَمْ يَـبْقَ فِيْهَـا الْمَجُـــدُ إِلَّا تَوَهُّمَا[1]

وهذهِ الظَّروفُ الصَّعبةُ الَّتِي كانَتْ تَمرُّ بهَا دولةُ الخلافةِ العُثمانيَّةِ جعلَتْ بِلادَ المُسلمينَ فِي حَالةٍ مُزريةٍ وخاصَّةً البلادَ العربيَّةَ الَّتِي استحوذَ عَليهَا الولاةُ، وَأخذُوا يتحَكَّمونَ بهَا كَأَنَّهَا مُلكٌ لهُمْ، وقَدْ بَلَغَ مِنْ إهمالِهِم أنَّ الأراضِي فِي فِلسطينَ كانَتْ تُباعُ لِليهودِ عَلى عِلمِهِم، وَلَا يَأبهونَ[2].

إلَّا أنَّ دورَ النَّبهانِي كانَ ثابتًا فِي الدِّفاعِ عَنْ دولةِ الخلافةِ العُثمانيَّةِ، وقَدْ كانَ شعرُهُ حَافلًا بُمهاجمةِ المُتآمرينَ عَلى الخلافةِ والخَليفةِ، وكانَ مهاجمًا كلَّ مَنْ تُسوّلُ لهُ نفسُهُ الدَّعوةَ إلى الفُرقةِ والتَّنازعِ، وظَلَّ يَرى فِي الخَليفةِ عبدِ الحَميدِ الثَّانِي، خَليفةَ المُسلمينَ فِي الأرضِ كُلِّهَا، ويَرى الآستانةَ عاصمةَ الخِلافةِ دونَ مُنازعٍ[3].

تَاسِعًا: الحَياةُ الثَّقافيَّةُ الَّتِي وَاكبهَا النَّبهَانِي

[1] ماضي، عيسى. يوسف النبهاني الشاعر الفلسطيني الرائد. ج١. ص٨٩.

[2] مناع، عادل. أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني (١٨٠٠–١٩١٨). ص٣٤٩.

[3] ماضي، عيسى. يوسف النبهاني الشاعر الفلسطيني الرائد. ج١. ص٨٩.

أكملَ الشّيخُ يوسفُ النّبهانِي دراستَهُ العُليا فِي الأزهرِ الشَّريفِ، وهُناكَ تتلمذَ عَلى يدِ عددٍ مِن عُلماءِ الأزهرِ وشُيوخِهِ، ذكرَ مِنهُم:

- الشَّيخُ محمَّدٌ الدَّمنهورِي المُتوفَى سَنة ١٢٨٥هـ، وقدْ حضرَ عندَهُ دُروسَ الآجروميَّةِ[١]، وشرحَ القُطرِ لابنِ هشامٍ، والحَديثِ المُتسلسلِ، ومنهُ حديثُ:(**الرَّاحمونَ يَرحمهُمُ اللهَ**).
- الشَّيخُ إبراهيمُ البَاجوري (ت:١٢٧٧هـ)، وقدْ تتلمذَ على يدِهِ عددٌ مِن المشايخِ الَّذينَ لازمهُمْ الشَّيخُ النَّبهانِي وأخذَ عنهُم، أمثالَ:(الشّيخُ إبراهيمُ السَّقَّا (ت:١٨٨١م)، والشَّيخُ راضِي الشَّرقَاوي (ت:١٨٨٩م) ، والشَّيخُ توفيقُ البيجِيري (١٨٧٧م)، وقدْ أخذَ جميعُهم كذلكَ عنِ الشَّيخِ حسنِ القَويسني (ت:١٨٣٨م) شَمائلَ التِّرمذِي، ومِن هؤلاءِ المشايخِ :(الشّيخُ محمَّدُ الفَضالي (١٨٧٠م)، والشَّيخُ محمَّدُ الأميرِ الصَّغيرِ، والشَّيخُ صالحُ الجيَّاوي (١٣٠٣هـ)، والشَّيخُ محمَّدُ العِشماوي (ت:١٣١٥هـ)، وغيرُهُم)[٢].
- الشَّيخُ عبدُ القادرِ الرَّافعِي (ت:١٢٨٣هـ)، وهوَ شيخُ رواقِ الشّوامِ[٣]، وقدْ حضرَ النَّبهانِي عندَهُ دروسًا فِي الجُزءِ الثَّانِي مِن حاشيةِ ابنِ عَابدينَ[٤] مِن الدُّرِّ المُختارِ وشقيقُهُ الشَّيخُ عمرُ الرَّافعِي (ت:١٩٦٤م)، كذلكَ حضرَ عندَهُ الشَّيخُ حاشيةَ البَاجوري[٥]، إضافةً إلى مجموعةٍ مِن العلماءِ والمشايخِ الَّذينَ حضرَ عندَهُم دروسًا فِي شرحِ الأزهريَّةِ[٦]، بحاشيةِ العَطَّار[٧]، وشرحِ الدُّرِّ المَختارِ والكَّافيةِ[٨]، وكلُّهُم مشايخُ

---

[١] الآجرومية: كتاب في علم النحو ألفه محمد بن آجروم الصنهاجي (ت: ١٣٢٣م)، بدأه بالكلام وأنواعه، ثم تسلسل في علم النحو بأسلوب بسيط سهل، وقد حُظيت الآجرومية بشروح عديدة من علماء اللغة والنحو.

[٢] ماضي، عيسى. يوسف النبهاني الشاعر الفلسطيني الرائد. ج١. ص١٥٣-١٥٤.

[٣] **رواق الشوام:** أحد الأروقة الملحقة بجامع الأزهر في مصر، وقد تم إنشاؤه في العصر المملوكي، وما زال موجودا حتى يومنا هذا، إذ كان يجتمع فيه طلبة العلم القادمين من الشام.

[٤] حاشية محمد الأمين المعروف بابن عابدين (ت:١٢٥٢هـ)، وحاشيته موسوعة في الفقه الحنفي مشروحة شرحا وافيا.

[٥] حاشية العلامة إبراهيم بن محمد الباجوري (ت:١٨٥٩م)، موسوعة في الفقه الشافعي مفسرة ومشروحة شرحا وافيا.

[٦] **المقدمة الأزهرية:** موسوعة في علمي النحو والصرف للمؤلف خالد بن عبد الله الأزهري المعروف بالوقاد (ت:٩٠٥هـ).

[٧] حاشية حسن العطار (ت:١٨٣٥م) مجلدان في جوامع الفقه المالكي مع شروح لفقهاء سابقين، مختصرة ومفيدة.

[٨] الكافية: كتاب في علم النحو لمؤلفه عثمان بن عمر الدويني المعروف بابن الحاجب (ت:١٢٤٩م)، تقابلها الشافية في علم التصريف.

حَنفيّينَ، عُرفَ منهُم: الشَّيخُ شريفُ الحلبي (ت:١٩٨٤م)، والشَّيخُ مسعودُ النَّابلسِي (١٩٧٦م)، والشَّيخُ فخرُ الدِّينِ اليانيُورِي (١٩٦٨م)[١].

وقدْ استمدَّ النَّبهانِي علمَهُ وثقافتَهُ إلى جانبِ ما أخذَهُ عَنْ والدِهِ الشَّيخِ إسماعيلِ النَّبهانِي الَّذي كانَ شيخًا فقيهًا لا يحتاجُ إلى شَهاداتٍ، بلْ كانَت ثقافتُهُ ذاتيةً، منْ خلالِ حفظهِ لكتابِ اللهِ تعالى، والأحاديثِ النَّبويَّةِ، ودراستهِ لأمَّاتِ الكُتُبِ الفِقهيَّةِ والشَّرعيَّةِ واللُّغويَّةِ، ومعْ تَعمُّقِهِ فِي عُلومِ القرآنِ الكريمِ، والحَديثِ الشَّريفِ، وعلومِ اللُّغةِ العربيَّةِ أصبحَ عالمًا ومؤلِّفًا فِي شتَّى تلكَ العلومِ، وقدْ تجاوزَتْ مؤلَّفاتُهُ الخمسينَ مؤلَّفًا ما بينَ مَطبوعٍ ومَخطوطٍ[٢].

وحصلَ الشَّيخُ النَّبهانِي بعدَ هذا العلمِ الغَزيرِ على خمسِ إجازاتٍ منَ الأزهرِ الشَّريفِ، منحَهَا لهُ مشايخةُ الأزهرِ الَّذينَ تتلمذَ على أيديهِم، وهذهِ الإجازاتُ جاءَتْ عَلى النَّحوِ التَّالِي:

- إجازةُ الشَّيخِ إبراهيمِ السَّقا الَّتِي منحهَا لهُ عندَ تخرُّجهِ فِي الجامعِ الأزهرِ الشَّريفِ عامَ ١٢٨٩هـ وكانَتْ إجازتُهُ فِي الحديثِ الشَّريفِ والأثرِ ومنْ أُصولٍ وفروعٍ ومنقولٍ ومعقولٍ.
- إجازةُ السَّيدِ الشَّريفِ السَّيدِ محمَّدِ أفندِي الحَمزاوي الحَنفِي (مُفتِي دمشقَ) (ت:١٨٨٧م)، وقدْ منحَهُ الإجازةَ عامَ ١٢٨٩هـ فِي التَّفسيرِ بحروفِ المُهملِ المُسمَّى (درُّ الأسرارِ)[٣]، ونظْمُ الجامعِ الصَّغيرِ للإمامِ محمَّدٍ بنِ الحَسنِ الشَّيبانِي (ت:٨٠٥هـ) صاحبِ أبي حَنيفةِ النُّعمانِ (ت:٧٦٧هـ) _ رحمهُمَا اللهُ تعالَى _، كمَا أخذَ عنهُ دروسًا في اللُّغةِ والطَّريقةِ الواضحةِ فِي تناولِ الصَّحاحِ وعلى رأسِهَا صَحيحِ البُخارِي.
- إجازةُ الشَّيخِ محمَّد أمينِ البيطارِ الشَّامِي (ت:١٨٩٥م) في ١٩ منْ شعبانَ ١٣١٥هـ، وجاءَتْ إجازتُهُ في علومِ القرآنِ والحديثِ، وبناءً على إجازةِ العلماءِ والمشايخِ السَّابقينَ لهُ.

---

[١] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. هادي المريد إلى طرق الأسانيد. ص٥٨.

[٢] ماضي، عيسى. يوسف النبهاني الشاعر الفلسطيني الرائد. ج١/ ص١٥٨.

[٣] **درُّ الأسرار**: كتاب تفسير للقرآن الكريم بالحروف المهملة للمفسر العلامة محمود بن حمزة الحسيني (ت:١٨٨٧م).

- إجازةُ الشَّيخِ محمَّدٍ أبي الخيرِ أفندي عَابدينَ (ت:١٩٢٥م)، وقدْ أجازَهُ في كلِّ مرويَّاتِهِ عامَ ١٣١٥هـ فِي دمشقِ الشَّام، ومنهَا الحاشيةِ الكُبرى على الدُّرِّ المُختارِ في الفقهِ الحَنفِي، وقدْ رواهَا باثنينِ وأربعينَ ثبتًا بسندِهِ المُتَّصلِ إلى مؤلفيهَا.
- إجازةُ الشَّيخِ محمَّد محمَّدٍ الخانِي الشَّافعِي النَّقشبندِي (ت:١٩٠٠م)، وقدْ أجازَهُ في ١٩ مِن شوالَ سنةَ ١٣١٢هـ في مروِّاياتِهِ وكتبِهِ كالرِّسالةِ العجلونيَّةِ الَّتِي تحتوي على أربعينَ حديثًا جُمعَت مِن أربعينَ[١] كتابًا مِن كُتُبِ الحَديثِ، كمَا تمَّتْ فيهَا قراءةُ الأورادِ المنسوبةِ إلى الشَّيخِ مُحي الدِّينِ الأندلسي الطَّائِي (ت:١٢٤٠م)، والأورادِ المنسوبةِ إلى الشَّيخِ العارفِ أبي الحَسنِ الشَّاذلِي (ت:١٢٥٨م)[٢].

وقدْ حصلَ على إجازتينِ منفصلتينِ مِن الشَّيخِ أحمدِ بنِ حسنٍ بنِ عبدِ اللهِ العطَّاسِ (ت:١٩١٥م) بعدَما رفضَ أوَّلَ الأمرِ منحَ الشَّيخِ النَّبهانِي إجازةً، إذْ إنَّ الشَّيخَ راسلَهُ أكثرَ منْ مرَّةٍ، وأخيرًا أرسلَ إليهِ برسالةِ الإجازةِ الأولَى في ٢٤ مِنْ شعبانَ سَنةَ ١٣٢٠هـ، وأرسلَ إليهِ برسالةِ الإجازةِ الثَّانيةِ فِي ١٥ مِن رجبٍ ١٣٢١هـ، وجاءَتْ الإجازةُ الأولَى فِي المدائحِ النَّبويَّةِ، والإجازةُ الثَّانيةُ فِي الأثرِ والأورادِ النَّبويَّةِ[٣].

وكثيرًا ما كانَ يرَى فِي منامِهِ الرَّسولَ ﷺ والصَّحابةَ وَالأولياءَ، وقدْ تناولَ هذهِ المَرائِي النَّبويَّةَ في كتابِهِ (البَشائرِ الإيمانيَّةِ فِي المُبشِّراتِ المَناميَّةِ)، وكانَ يذكرُهَا بالتَّفصيلِ، فقدْ ذكرَ بأنَّهُ رأى الخَضرَ يأخذُ بيدِهِ إلى قبرِ الرَّسولِ ﷺ وسألَهُ الخَضرُ عَنْ مكانةِ الشَّيخِ النَّبهانِي فأجابَ رسولُ اللهِ ﷺ إنَّهُ ولدٌ مُحسنٌ، ورأى فِي ليلةٍ أُخرَى الصَّحابِي عبدَ اللهِ بنَ عمرِ بنَ الخطَّابِ – رضيَ اللهُ عنهُمَا –، وقدْ عرضَ عليهِ طلبَ الإجازةِ، فقالَ لهُ: سأعلِّمُكَ الصَّلاةَ علَى النَّبِيِّ ﷺ خيرًا لكَ مِنَ الإجازةِ، وعلَّمَهُ الصَّلاةَ عَلى النَّبِيِّ ﷺ بِنصٍّ غيرِ النَّصِّ المعهودِ[٤].

---

[١] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. هادي المريد إلى طرق الأسانيد. ص١٢-١٤.

[٢] المصدر السابق. ص٢٩.

[٣] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. جواهر البحار في فضل النبي المختار. مج١. ص ٣٤٥-٣٤٦. ضبط وتصحيح: محمد أمين الضناوي. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.

[٤] ماضي، عيسى. يوسف النبهاني الشاعر الفلسطيني الرائد. ج١/ ص١٧٠.

وشهدَ عهدُ النَّبهانِي حركةً ثقافيَّةً مستمدَّةً منَ الغربِ عنْ طريقِ الحركاتِ التَّبشيريَّةِ، والغزوِ الثَّقافِي الغربِي للبلادِ العربيَّةِ وَالإسلاميَّةِ، إلَّا أنَّ النَّبهانِي وغيرَهُ مِنْ المشايخِ والعُلماءِ والفُقهاءِ المُحافظينَ على القَديمِ وقفُوا مِنْ هذا الغَزوِ موقفَ التَّصدِّي والرَّفضِ القَاطعِ، وخاصَّةً للحَمْلاتِ التَّبشيريَّةِ الهادفةِ إلى إبعادِ النَّاسِ عَنِ الإسلامِ والتَّشكيكِ فيهِ، وقدْ دعمَ الغَربُ بقياداتِهِ إلى جانبِ اليهودِ هذهِ الحَمْلاتِ التَّبشيريَّةِ الغَربيَّةِ تمهيدًا للسَّيطرةِ عَلى بلادِ المُسلمينَ بعدَ القَضاءِ على الخِلافةِ العُثمانيَّةِ الحاميةِ لهُمْ.

فقدْ كانَ الشَّيخُ النَّبهانِي مِن أشدِّ المدافعينَ عنِ الخلافةِ الإسلاميَّةِ، والعاملينَ في سبيلِ الإبقاءِ عليهَا ودعمِهَا بشتَّى الطُرقِ، وليسَ العَملُ على إصلاحِهَا مِن خلالِ إدخالِ قوانينَ جديدةٍ مستمدَّةٍ مِن الغَربِ كمَا دعَا إلى ذلكَ بعضُ الإصلاحيينَ أمثالُ: جمالُ الدِّينِ الأفغَانِي، ومحمَّد عبدُه، ومحمَّد رشيد رِضا، والَّذينَ نالُوا جميعًا حظَّهُمْ مِن النَّقدِ والهُجومِ القويِّ عليهِمْ مِنْ الشَّيخِ النَّبهانِي معدَّهُمْ مُنافقينَ مُنتفعينَ[1].

أمَّا التَّعليمُ فِي دَولةِ الخِلافةِ العُثمانيَّةِ فِي عهدِ الشَّيخِ النَّبهانِي فقدْ انقسمَ إلى ثَلاثةِ فُروعٍ:

١. **المدارسُ الحُكوميَّةُ:** الَّتِي تهتمُّ بالتَّعليمِ الرَّسمِي الَّذِي يركِّزُ على تدريسِ اللُّغةِ التُّركيَّةِ، ويهملُ اللُّغةَ العربيَّةَ وعلومَ الدِّينِ الإسلامِي تبعًا (لِسياسةِ التَّتريكِ)[2] الَّتِي اتَّبعتهَا الخِلافةُ العُثمانيَّةُ فِي آخرِ عهدِهَا.
٢. **المدارسُ الأجنبيَّةُ:** الَّتِي كانَتْ تدرِّسُ اللُّغاتِ الأجنبيَّةَ، وكانَتْ تتميَّزُ بتدريسِ الأفكارِ الغربيَّةِ مِنْ خِلالِ كتبٍ تمَّ تأليفُهَا فِي الغَربِ لتغييرِ أفكارِ النَّشءِ المُسلمِ فِي بلادِ المُسلمينَ.
٣. **المدارسُ الطَّائفيَّةُ الدِّينيَّةُ:** الَّتِي كانَتْ تتنافسُ فِي تدريسِ العلومِ الدِّينيَّةِ التَّبشيريَّةِ الموجَّهةِ، وكانَتْ مدعومةً مِن إيطاليَا والفَاتيكانِ؛ لأنَّ هدفَهَا تعليمُ الدِّينِ المَسيحيِّ

[1] ماضي، عيسى. يوسف النبهاني الشاعر الفلسطيني الرائد. ج١. ص (ز).

[2] **سياسة التتريك:** تعني قيام القيادة التركية بتحويل المناطق التي تخضع لسيادتها إلى سيطرة تركية بالإكراه، ونشر اللغة والعادات والتقاليد على أجناس ليسوا أتراكا كالعرب والبربر والأمازيغ والتتار، ويعد جمال باشا السفاح (ت: ١٩٢٢م اغتيالا)، أول من مارس هذه السياسة في بلاد الشام الخاضعة لولايته.

بطوائفِهِ الثَّلاثةِ (الكاثوليكِ، والأرثذوكسِ، والبُروتستانتِ)، إذْ كانَتْ المنافسةُ قويَّةً بينَهُمْ فِي إثباتِ تأثيرِ كلِّ طائفةٍ منهُمْ عَلى المُسلمينَ[1].

وبقيَ التَّعليمُ الدِّينيُّ فِي المساجدِ والجَوامِعِ هوَ التَّعليمُ المُحافظُ على الإسلامِ واللَّغةِ العربيَّةِ وعلومِ القرآنِ الكريمِ، كمَا هوَ الحَالُ فِي الجامعِ الأزهرِ الشَّريفِ فِي مصرَ، وجامعِ الزَّيتونةِ فِي تونسَ، والمسجدِ الأقصَى المُباركِ فِي القُدسِ[2].

بعدَ الحربَ العالميَّةِ الأولى _ وانتصارِ دولِ الحلفاءِ بقيادةِ بريطانيَا، وانهزامِ دولِ المِحورِ بقيادةِ ألمانيَا ومشاركةِ دولةِ الخلافةِ العثمانيَّةِ _الَّتِي كانَتْ مُستهدفةً مِن الحربِ بشكلٍ خاصٍّ_ تمَّ اقتسامُ ولاياتِ الخلافةِ العثمانيَّةِ بينَ دولِ الحلفاءِ فِي مؤتمرِ سان رِيمو سنةَ ١٩٢٠م، واتِّفاقيَّةِ سايكس بيكُو _ في السَّنةِ نفسِهَا _[3] الَّتِي بمُوجبِهَا أصبحَتْ فِلسطينُ تحتَ الانتدابِ البِريطانيِّ إلى جَانبِ مصرَ والعِراقِ وشرقِ الأردنِّ، وقدْ حرصَتْ بريطانيَا ومعهَا فَرنسَا عَلى نشرِ ثقافتِهِمَا وفرضِ لغتِهِمَا عَلى أهلِ البِلادِ الواقعةِ تحتَ انتدابِهِمَا، وإنْ كانَ ذلكَ قدْ حدثَ فِي نهايةِ عهدِ يُوسفِ النَّبهانِي، إلَّا أنَّهُ شهدَ هذهِ التَّغيُّراتِ، وتأثَّرَ بهَا، ودافعَ عنْ ثقافةِ الأمَّةِ الإسلاميَّةِ، ودعَا إلى حِمايةِ اللُّغةِ العربيَّةِ، واعتبرَهَا اللُّغةَ الأُولى قبلَ اللُّغةِ الإنجليزيَّةِ، لا مثلَ مَا يُريدُهُ الأعداءُ[4].

عَاشِرًا: الحياةُ الأَدبيَّةُ الَّتِي وَاكبَهَا الشَّاعرُ

لا شكَّ أنَّ الظُّروفَ السِّياسيةَ ألقَتْ بِظلالِهَا عَلى الأَدبِ فِي هَذا العَصرِ الَّذِي كَانَتْ الدَّولةُ العُثمانيَّةُ تُعانِي _ وقتهَا _ مِن ضعفٍ شديدٍ على الأصعدةِ كافَّةً، ومعْ صعودِ عددٍ كبيرٍ منَ

---

[1] بدران، أيوب. التعليم والتحديث في المجتمع الفلسطيني. ج١. ص٦١-٦٢. مركز الأبحاث الفلسطيني، لبنان. ١٩٧٩م.

[2] المصدر السابق. ص١٠٧.

[3] **اتفاقية سايكس بيكو ومؤتمر سان ريمو:** اتفاقية عقدت بين الدول المنتصرة في الحرب العالمية الأولى (بريطانيا، فرنسا، إيطاليا، إسبانيا، وغيرها) ضد دول المحور (ألمانيا، الدولة العثمانية، والنمسا، وغيرها)، وقد نصت الاتفاقية وما تبعها من مؤتمر على اقتسام بلاد العرب والمسلمين التي كانت تحت سيطرة الدولة العثمانية بين دول الحلفاء المنتصرة، مقابل منح الاستقلال لتركيا الحديثة بقيادة مصطفى كمال أتاتورك (ت: ١٩٣٨م)الذي أعلن إلغاء نظام الخلافة سنة ١٩٢٤م، مقابل منحه تركيا الحديثة ليكون حاكما عليها بعد طرده لآخر سلاطين الدولة العثمانية من تركيا.

[4] ماضي، عيسى. يوسف النبهاني الشاعر الفلسطيني الرائد. ج١. ص٣٣.

الأُدباءِ فِي البِلادِ العربيَّةِ خاصَّةً فِي هذا العهدِ، ونجاحِ بعضِهِم فِي نيلِ إمارةِ الشِّعرِ كالشَّاعرِ المصري أحمد شَوقي (ت:١٩٣٢م)، وإمارةِ البَيانِ كالأديبِ اللُّبنانِي شَكيب أَرسَلان (ت:١٩٤٦م)، وعمادةِ الأدبِ العَربي كالأديبِ المصري طهَ حسين (ت: ١٩٧٦م) وغيرِهِم، إلَّا أنَّ الدَّولةَ العُثمانيَّةَ لمْ تكنْ تهتمُّ كثيرًا بِالحياةِ الأدبيَّةِ بسببِ انشغالِهَا فِي محاولاتِ الإصلاحِ الشَّاملةِ الَّتِي لمْ تنجحْ فِي أغلبِ الأحيانِ، بلْ إنَّ مشاركةَ الدَّولةَ العُثمانيَّةَ فِي الحربِ العَالميَّةِ الأولى وهزيمتِهَا معْ دِولِ المِحورِ أمامَ دِولِ الحُلفاءِ أدَّى إلى انهيارِ المَنظومةِ السِّياسيَّةِ وتبعتهَا المَنظوماتِ كلِّهَا، إلَّا أنَّ ولاةَ البِلادِ العَربيَّةِ الَّذينَ كانُوا يَنظرونَ إلى الغربِ كَمخلِّصينَ لهُمْ مِن حكمِ العُثمانيِّينَ حَرصُوا عَلى دعمِ بعضِ الأدباءِ والشُّعراءِ ممَّنْ يَتبعونَ الخطَّ الغربيَّ والتَّأثيرَ والتَّأثُّرَ، ونقلَ ثقافةِ الغربِ إلى بلادِ المُسلمينَ، وفِي المُقابلِ قمعُوا كلَّ صوتٍ يبكِي أو يتباكَى على مجدِ العُثمانيِّينَ الَّذينَ رحلُوا عنْ بلادِ العربِ مهزومينَ[١]؛ لذلكَ كانَتْ الحالةُ الأدبيَّةُ تدورُ حولَ بكائياتٍ لمَنْ حزنَ على رحيلِ العُثمانيِّينَ، واحتفالاتٍ بالشِّعرِ والنَّثرِ والنَّشيدِ لمَنْ فرحَ لرحيلِهِم[٢]، وبينَ هؤلاءِ وَأولئكَ ازدهرَ الأدبُ رغمَ مرورِهِ بسنينِ الجمودِ والرَّكاكةِ والضَّعفِ إبَّانَ القَرنِ الثَّامنِ عشرَ وأوائلِ القرنِ التَّاسعِ عشرَ، وهذهِ الفترةُ الزَّمنيَّةُ الَّتِي واكبَهَا الشَّاعرُ النَّبهانِي الَّذِي ركَّزَ _ مِنْ بينَ فنونِ الشِّعرِ _ عَلى فنِّ المدائحِ النَّبويَّةِ، إذْ نسجَ عشراتِ القصائدِ، وأفردَ لبعضِهَا مُؤلَّفاتٍ خاصَّةٍ لشدَّةِ حبِّهِ لِرسولِ اللهِ ﷺ، ورغمَ اهتمامِهِ بعمودِ الشِّعرِ، وتأثُّرِهِ بشعراءِ العصرِ العَبَّاسِي الأَوَّلِ، إلَّا أنَّ الحالةَ الأدبيَّةَ المتدهورَةَ أثَّرَتْ على شعرِهِ أحيانًا؛ لذلكَ نجدُ بعضَ الرَّكالةِ فِي القَليلِ مِنْ قصائدِهِ رغمَ حرارةِ العَاطفةِ، وصدقِ المَشاعرِ فِي مدحِ خيرِ الأنامِ، ويمكنُ الخُروجُ بهذِهِ الخَصائصِ الَّتِي اختصَّ بهَا الأدبُ فِي هذا العَصرِ كمَا يلي:

- إصابَةُ الشِّعرِ بِحالةٍ منَ الجُمودِ والتَّخلُّفِ فِي أواخرِ القَرنِ الثَّامنِ عشرَ المِيلادي.
- سيطَرَةُ المَضامينِ الفارغةِ، والمَوضُوعاتِ التَّقليديَّةِ.
- تِكرارُ الألفاظِ والمَعانِي ممَّا جعلَ للتَّناصِ الدَّورُ البارزُ فِي تِكرارِ النَّصِّ وتَضمينِهِ.

[١] المصدر السابق. ص٥٤.

[٢] السوافيري، كامل، الأدب العربي المعاصر في فلسطين. ص٣٨. دار المعارف، القاهرة. مصر. ط١: ١٩٩٨م.

- الإكثارُ مِنَ الزَّخارفِ اللَّفظيَّةِ وَالمُحسّناتُ البّديعيَّةُ المُتكرّرةُ.
- بروزُ عَناصرِ التَّرصيعِ والتَّزويقِ وحسابِ الجُمَّلِ وَالتَّلاعبِ بِالألفاظِ.
- غيابُ التَّجديدِ فِي الشِّعرِ، وبروزُ فُنونٍ جديدةٍ أوْ إحداثِ انقلابٍ فِي بِنيةِ الشِّعرِ وعمودِهِ[1].

وبعدَ هذا الجمودِ كانَ لا بدَّ مِن عاصفةٍ تتبعُ الهُدوءِ الصَّادمِ الَّذِي عانَى منهُ الأدبُ العَربيُّ بشقَّيهِ (الشِّعرِ والنَّثرِ)، فمَا بدأَ القَرنُ التَّاسعَ عشرَ حتَّى انطلقَ الشُّعراءُ المُجدِّدونَ مِن جهةٍ، والشُّعراءُ المُحافظونَ على عمودِ الشِّعرِ الَّذينَ اضطرُّوا فِي ظلِّ المُنافسةِ الشَّديدةِ إلى التَّعمُّقِ فِي الألفاظِ، والتَّجديدِ فِي المَعانِي، فعادَتْ إلى الأدَبِ مكانتُهُ، وانتشَى فترةً مِن الزَّمنِ، ومِنَ التَّجديدِ فِي الشِّعرِ مَا ظهرَ فِي فنِّ المُعارضاتِ الَّتِي تميَّزَ بهَا أحمد شَوقي، وحافظ إبراهيم (ت: ١٩٣٢م)، ومحمُود سامِي البَارودي (ت: ١٩٠٤م) وغيرُهُم، وكانَ منْ بينِهِم الشَّاعرُ يُوسفُ النَّبهانِي الَّذِي تفاعلَ مَعْ هذا التَّجديدِ، وعَارضَ البُوصيرِي (ت: ١٢٩٥م) فِي قصيدتِهِ (البُردةُ) فِي مدحِ الرَّسولِ ﷺ فِي قصيدةِ الهمزيَّةِ الألفيَّةِ، كمَا عَارضَ الشَّاعرَ المخضرمَ كعبَ بنَ زُهيرٍ (ت:٦٦٢م)[2] فِي قصيدتِهِ المشهورةِ (بانَتْ سُعادُ)، إذْ عارضَهَا يُوسفُ النَّبهانِي بقصيدةٍ سمَّاهَا (سَعادةُ المِعاد فِي مُوازنةِ بانَتْ سُعاد) وعددُ أبياتِهَا مِئةٌ وخمسونَ بيتًا[3].

وقدْ شهدَتْ مرحلةُ مَا قبلَ الحَربِ العَالميَّةِ الأُولى تنويعًا فِي الأدبِ، إذْ كانَ بِمثابةِ تَحوُّلٍ مِنَ الرُّكودِ والانحطاطِ والتَّخلُّفِ إلى بِدايةِ التَّململُ نحوَ الجَديدِ الَّذي برزَ بِوضوحٍ بعدَ الحَربِ العَالميَّةِ الأولَى، فقدْ اشتهرَ الأدبُ في هذهِ المرحلةِ بظهورِ التَّقريظِ[4] والمَدحِ وتبادلِ رَسائلِ

[1] المصدر السابق. ص٤١.

[2] كعب بن زهير (ت: ٦٦٢) شاعر مخضرم من قبيلة مُضر المكية، من أشهر شعراء العرب.

[3] ياغي، عبد الرحمن. حياة الأدب الفلسطيني الحديث. ص١٤٥-١٤٦. دار الآفاق الجديدة. لبنان. ط١. ١٩٨١م.

[4] التقريظ: من الفعل قرظ أي دبغ الجلدَ وزيّنه، ويُقصد به مدح الشخص من خلال تعداد مناقبه، وتزيينه بالكلمات والأوصاف النبيلة، لذلك يُعتبر التقريظ مرادف للمدح والثناء على الممدوح.

الشُّكرِ والدَّعمِ بينَ الأدباءِ، فقدْ مدحَ النَّبهانِي الأديبَ والشَّاعرَ والمؤرّخَ أحمد فَارسِ الشِّدياقِ فِي إحدَى قَصائدِهِ،[1] إذْ قالَ:

يَـا فِكرُ مَا لَكَ حَـاجَةٌ فِي وَصْفِهَا ... عُدْ لِلمَـدِيـحِ فَـإِنَّ ذَلِكَ أَحْمَدُ

الفَاضِلُ اللَّسِنُ الَّذِي بِبَيَانِهِ وَبَنَانِهِ ... عَقَـــدُ القَـــرِيـْــضُ مُنَضَّدُ

أَمُّ القَوافِي حَولَ كَعبَةَ فَضْـلِهِ فِي ... الطُّـرْسِ إِمَّـا رَكَّـعٌ أَوْ سُجَّدُ

تِلْكَ الْكَـــوَاكِبُ لَا أَذِمُّ شُـــرُوفَهَا ... لَكِـنِ لـَـدَى أَشِـعَارِهِ لَا تُحْمَدُ

كَلَّا وَلَسْـــتُ أَلُـــومُهَا لَمَّـا غَدَتْ ... لِكَلَامِهِ المَحْسُـــودِ مِمَّنْ يُحسَدُ

نَظْـــمٌ وَنَثْـرٌ صَـــادِرَانِ عَنِ امْرِئٍ ... هُوَ لِلْفَضَـائِلِ وَالْفَوَاضِـلُ مَوْرِدُ

يـَــا أَيُّهَا المَــولَى الَّذِي مِنْ فِكْرِهِ ... سَهْمٌ عَلَى كَيْدِ الْبَغِيْضِ مُسَدَّدُ

وَمِنَ الدَّفَـاتِرِ وَالْمَحَـاضِرِ لَمْ تَزَلْ ... بِثُبُـوتِ دَعْـوَاهُ الْمَعَـالِي تَشْهَدُ

اللهُ قَلَّـــدَكَ الْمَعَـارِفَ وَالـْوَرَى قَدْ ... قَلَّـــدُوكَ بِهَـــا فَـــأَنْـــتَ مُقَلَّدُ[2]

فمنْ خلالِ أبياتِ القصيدةِ نلاحظُ المُحافظةَ عَلى عمودِ الشِّعرِ بارزةً بِوضوحٍ فِي القَصيدةِ، فهوَ شِعرٌ قديمٌ بألفاظِهِ ومعانِيهِ، جديدٌ فِي أُسلوبِهِ وخصائصِهِ ومراعاتِهِ للتَّطوُّرِ الحَضاري، وقدْ علَّقَ النَّاقدُ الفِلسطينيُّ عبدُ الرَّحمنِ ياغي (ت:٢٠١٧م) على هذهِ القَصيدةِ قائلًا: **(نَحنُ في إزاءِ صُورةٍ جديدةٍ مِنْ صورِ التَّقريظِ تَمضِي شَوطًا آخرَ بعيدًا عَنِ الرَّسائِلِ الَّتِي عهدنَاهَا، فرغمَ مُحاولاتِ النَّبهانِي الانعتاقَ مِنْ قُيودِ القَديم، إلَّا أَنَّهُ سُرعانَ مَا يَرجعُ ويَلتزمُ بِهِ، لأَنَّهُ مُؤمنٌ تَمامًا أنَّ عصورَ الأدَبِ وَالشِّعرِ _ تحديدًا _ كانَتْ مُفعمةً بِالحيويَّةِ فِي**

[1] ياغي، عبد الرحمن. حياة الأدب الفلسطيني الحديث. ص١٥١.

[2] الشدياق، أحمد فارس. كنز الرغائب في منتخبات الجوائب. ج٤. ص١٣١-١٣٣. مطبعة الجوائب. بيروت. لبنان. ط١. ١٢٨٩هـ.

العَصرينِ العَباسي وَالأمَوي، ولَا يَخفَى على أحدٍ أنَّ الالتزامَ بِالقديمِ لهُ شَأنُهُ، وَالتَّجديدُ لهُ شَأنُهُ الآخرُ)[1].

وعليهِ، يَنبغي أنْ نَصفَ تلكَ الفَترةَ بفترةِ التَّحوُّلِ مِنَ القديمِ إِلى الجديدِ، ولهَذا فإنَّ النَبهانِي لمْ يكُنْ لِيُنجرَّ إلى القديمِ بِتقصيلاتِهِ الغريبةِ، ولَا يَنطلقُ بِالجديدِ إلَّا بعدَ التَّيقُّنِ بِصلاحِهِ لِكلِّ زَمانٍ ومَكانٍ، فالنَّبهَانِي يمكنُ اعتبارُهُ شاعرًا مخضرمًا فيمَا يَتعلَّقُ بتحوُّلِ الأدَبِ بينَ عَصرينِ، لا وقوعُ الشَّاعرِ بينَ فَترتينِ.

[1] ياغي، عبد الرحمن، حياة الأدب الفلسطيني الحديث، ص١٤٥-١٤٦، ط١: ١٩٨١م، دار الآفاق الجديدة_ لبنان.

الفصلُ الأوَّلُ

التَّناص: مفهومُهُ وعلاقاتُهُ، خصائصُهُ وأنواعُهُ

المبحثُ الأَوَّلُ: مفهومُ التَّناصِ وأصولُهُ.

المبحثُ الثَّانِي: التَّناصُ وعلاقاتُهُ.

المبحثُ الثَّالثُ: التَّناصُ فِي الأدبِ الغَربي.

المبحثُ الرَّابعُ: التَّناصُ فِي الأَدَبِ العَربي.

المبحثُ الخامسُ: أنماطُ التَّناصِ وَخصائصُهُ.

المبحثُ الأَوَّل

مفهومُ التَّناصِ وأصولُهُ

أوَّلاً: التَّناصُ لغةً

منَ الفعلِ (نَصَصَ)، والنَّصَّ رفعُ الشَّيءِ، وَنَصَّ الحَديثِ ينصُّهُ نَصَّاً أيْ رفعَهُ، وكلُّ مَا أُظهرَ فهوَ مَنصوصٌ، يُقالُ: نَصَّ الحَديثَ إلى فُلانَ أيْ رفعَهُ إليهِ وأسندَهُ، وكذلكَ نَصَصتُهُ إليهِ، ونَصَّتُ الظَّبيةُ جِيدَهَا أيْ رفعَتْهُ، وَوُضِعَ عَلى المَنصَّةِ أيْ عَلى غَايةِ الفَضيحَةِ وَالشُّهرةِ والظُّهورِ، والمَنصَّةُ مَا تظهرُ عليهِ العَروسُ لِتُرَى، وقدْ نصَّهَا وانتصَّتْ هِيَ، والمَاشطةُ تَنصُّ العَروسَ أيْ تُقعدَهَا عَلى المَنصَّةِ، وكلُّ شَيءٍ أظهرتُهُ فقدْ نَصصْتُهُ، ونَصَّ المَتاعَ نَصًّا أيْ جعلَ بعضَهُ عَلى بَعضٍ، ونَصَّ الدَّابةَ يَنصُّهَا أيْ رفعَهَا فِي السَّيرِ، ونَصَّ النَّاقةَ حَرَّكَهَا حَتَّى تَستخرِجُ أقصَى سَيرِهَا، والنَّصُّ وَالنَّصيصُ: السَّيرُ الشَّديدُ وَالحَثُّ، وأصلُ النَّصِّ أقصَى الشَّيءِ وغايتِهِ، والنَّصُّ: الإسنادُ إلى الرَّئيسِ الأكبرِ، وَالنَّصُّ: التَّوقيفُ، وَالنَّصُّ: التَّعيينُ عَلى شَيءٍ مَا، ونُصُّ الأمرِ شدَّتُهُ، ونَصَّ الرَّجلُ نصًّا أيْ سألَهُ عَنْ شَيءٍ حتَّى يَستنصِي مَا عندَهُ، ونُصُّ كلَّ شَيءٍ منتهَاهُ، وينصُّهُم أيْ يَستخرجُ رَأيهُمْ ويُظهرُهُ، ومِن ذَلكَ قَولُ الفُقهاءِ: نَصُّ القُرآنِ الكريمِ، ونَصُّ السُّنَّةِ النَّبويَّةِ: أيْ مَا دلَّ ظاهرُ لفظِهِمَا عَليهِ مِنَ الأحكامِ[1].

ثانيًا: التَّناصُ اصطلاحًا

عرَّفتْهُ جُوليَا كريستيفَا (رائدةُ هذهِ الظَّاهرةِ الأُسلوبيَّةِ) تَعريفاتٍ عدَّة، منهَا:

- تِرحالٌ للنُّصوصِ وتَداخلٌ نَصِّيٍّ، ففِي فَضاءِ نَصٍّ مُعيَّنٍ تَتقاطعُ وتَتنافَى مَلفوظاتٍ عَديدةٍ مقتطعةٍ مِن نُصوصٍ أُخرَى.
- إعادةُ تَوزيعٍ للنَّصِّ حسبَ عَلاقتِهِ باللِّسانِ الَّذِي يتموقعُ دَاخلَهُ؛ لِذلكَ فهوَ قَابلٌ لِلتَّناولِ عبرَ المَقولاتِ المَنطقيَّةِ لَا عبرَ المَقولاتِ اللِّسانيَّةِ الخَالصةِ[2].

---

[1] ابن منظور. أبو الفضل جمال الدين بن مكرم. لسان العرب. مج٧. ص٩٧-٩٨. مادة (نصص). ط: دار صادر. بيروت. لبنان.

[2] كريستيفا، جوليا. علم النص. ص٢١-٢٢. ت: فريد الزاهي. دار طوبقال، الدار البيضاء. المغرب. ط١. ١٩٩١م.

- تعويضُ الرُّؤيةِ البَلاغيَّةِ العتيقةِ لِلأنواعِ بنمذجةٍ أُخرَى للنُّصوصِ، أيْ بِصيغةٍ أُخرَى، بحيثِ يتمُّ تحديدُ التَّنظيماتِ النَّصيَّةِ المُختلفةِ عبرَ مَوقعتِهَا فِي النَّصّ العَامِ (الثَّقافةِ) الَّتِي تنتمِي إليهِ أوْ ينتمِي بدورِهِ إليهَا، وهذا ينطبقُ عَلى تقاطعِ نظامٍ نَصّيٍّ مُعيَّنٍ مع المَلفوظاتِ الَّتِي سَبقَ غيرَهَا فِي فضائِهِ أوْ الَّتِي يُحيلُ إليهَا فِي فَضاءِ النُّصوصِ[1].

يُلاحظُ مِن خلالِ التَّعريفِ المتعدّدِ للتَّناصِ المرتبطِ كلَّ ارتباطٍ بالنَّصّ وترحالِهِ أوْ انتقالِهِ أوْ إعادةِ بلورتِهِ أنَّ للتَّناصِ علاقةً طلبيَّةً تتبلورُ فِي ذهنِ الأديبِ أوِ الشَّاعرِ فتدفعُهُ إلى العَودةِ إلى الوَراءِ لدعمِ رأيِهِ بنصٍّ خلَّدهُ التّاريخُ الأدَبي أوْ خلَّدَهُ اللِّسانُ الحَافظُ لأسبابٍ تتعلَّقُ بقدسيَّتِهِ أوْ أهمّيتِهِ أوْ تموضعِهِ فِي ذهنِ الحافظِ والسَّامعِ، وهذا التَّعريفُ المتعدّدُ للتَّناصِ، يؤكّدُ عَلى أنَّ التَّداخلَ فِي النُّصوصِ لهُ أسبابٌ عديدةٌ، ولا بدَّ مِن ذكرِهَا وتَوضيحِهَا.

وتُشيرُ كريستيفا إلى التَّداخلِ النَّصّي والتَّصحيفيَّةِ فِي لُغَةِ الخِطابِ الشِّعريّ، والتَّداخلِ النَّصّي هوَ التَّناصُ بعينِهِ أمَّا مصطلحُ التَّصحيفيَّةِ[2] فقدْ استعملَهُ سُوسير أوْ (دُو سوسور) (ت: ١٩١٣م)، ويعنِي امتصاصُ نصوصٍ (مَعانٍ) متعدّدةٍ داخلَ الرِّسالةِ الشِّعريَّةِ الَّتِي تُقدِّمُ نفسَهَا مِن جِهةٍ أُخرَى باعتبارِهَا موجَّهةٌ مِن طرفِ معنًى معيَّنٍ، وهناكَ ثلاثةُ أنماطٍ مِنَ التَّرابطَاتِ النَّصيَّةِ بينَ المَقاطعِ الشِّعريَّةِ والنُّصوصِ المَلموسةِ والقَريبةِ مِنْ صِيغتِهَا الأصليَّةِ لشُعراءَ سابقينَ[3].

- **النَّفيُ الكُلّيُ:** ويكونُ فيهِ المَقطعُ الدَّخيلُ مَنفيًّا كليَّةً، ومعنَى النَّصّ المَرجعيّ مقلوبًا، ومثالُ ذلكَ مَا تنقلُهُ كريستيفَا عَنِ الشَّاعرِ الفَرنسِي باسكال (ت: ١٩٩٠م) في هذا المقطعِ، إذْ يقولُ:(**وَأنَا أكتبُ خَواطرِي تنفلتُ مِنّي أحيانًا، إلَّا أنَّ هَذا**

[1] المصدر السابق. ص٢٢.

[2] تصحيفات سوسير: عبارة عن دراسات في اللسانيات كتبها زنُشرت بعد وفاته، وقد اعتبرها النقاد نقلة نوعبة من اللسانيات التي تتجاوز الجملة لتدريس النص الأدبي.

[3] كريستيفا، جوليا. علم النص ص٧٨.

يُذكّرِنِي بِضعفِي الَّذِي أسهُو عنهُ طَوالَ الوقتِ، وَالشَّيءُ الَّذِي يُلقّنِنِي درسًا بالقَدْرِ الَّذِي يُلقّنُنِي إياهُ ضَعفِي المَنسِي، ذلكَ أنَّنِي لَا أتوقُ إلَّا إلى مَعرفةِ قَدْرِي)[1].

وهوَ ما ذكرَهُ قبلَهُ الشَّاعرُ الفَرنسي لوتريامون (ت: ١٨٧٠م) إذْ قالَ :**(حِينَ أكتبُ خَواطِرِي فإنَّهَا لَا تنفلِتُ مِنّي، هَذا الفعلُ يذكّرِنِي بِقوَّتِي الَّتِي أسهُو عنْهَا طَوالَ الوَقتِ، فأنَا أَتعلَّمُ بِمقدَارِ مَا يُتيحُهُ فِكري المُقَيَّدُ، ولَا أتوقُ إلَّا إلى مَعرفةِ تناقضٍ رُوحيٍّ مَعِ العَدمِ)**[2].

- **النَّفيُ المُتوازي:** وهُنا يظلُّ المَعنى المَنطقِي للمقطَعينِ هوَ نفسُهُ، إلَّا أنَّ هَذا لا يمنعُ مِنْ أنَّ يمنحَ اقتباسُ لوتريامون للنَّصّ المَرجعي معنًى جديدًا معاديًا للأُنسيَّةِ والعاطفيَّةِ والرُّومانسيَّةِ الَّتِي تطبعُ الأَوَّلَ، ومثالُ ذلكَ هذا المَقطعُ للكاتبِ الفَرنسِي أروشفوكو (ت:١٦٨٠م):**(إنَّهُ لدليلٌ عَلى وَهَنِ الصَّداقةِ عدمُ الانتباهِ لانطفاءِ صداقةِ أصدقائِنَا)**، ويصبحُ المقطعُ نفسُهُ عندَ لوتريامون الَّذِي جاءَ بعدَهُ، إذْ قالَ:**(إنَّهُ لَدليلٌ عَلى الصَّداقةِ عدمُ الانتباهِ لِتنامِي صَداقةِ أَصدقائِنَا)**، وهكَذا نفترضُ أنَّ القِراءةَ الاقتباسيَّةَ مِن جديدٍ تَجميعًا غيرَ تركيبيٍّ للمَعنيينِ فقطْ[3].
- **النَّفيُ الجزئيُ:** إذْ يكونُ جزءًا واحدًا فقطْ مِن النَّصّ المَرجعي مَنفيًّا، فقدْ ذكرَ باسكال فِي نَصٍّ لهُ قائلًا:**(نحنُ نضيّعُ حَياتَنَا، فقطْ ونحنُ نتحدَّثُ عَنْ ذَلكَ)**، وقالَ لوتريامون فِي نصٍّ مُشابِهٍ :**(نحنُ نُضيّعُ حَياتَنَا بِبهجَةٍ، المُهمُّ ألَّا نتحَدَّثُ عَن ذَلكَ قطْ)**[4]. وهكذَا يُفترضُ المعنَى الاقتباسِي، القِراءةُ المُتزامنةُ للجُملتينِ معًا.

---

[1] باسكال، بلير. (١٩٩٠م). خواطر باسكال. ص٣٤. ترجمة: ادوار البستاني. اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع. ط١. ١٩٧٢م.

[2] لوتريامون، أيزيدور توكاس. (١٩٦٦م). أناشيد مالدورور. ص١٢. ترجمة: سمير الحاج شاهين. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. ط١. ١٩٨٢م.

[3] لارشفوكوا، فرانسوا دو. (١٩٨٠م). حكم وأفكار. ص١٩. ترجمة: محمد علي اليوسفي. الدار التونسية للنشر. المعهد القومي للآثار والفنون. تونس. ط١. ١٩٩٠م.

[4] لوتريامون، أيزيدور توكاس. (١٩٦٦م). أناشيد مالدورور. ص١٩٤

وهذهِ الأنماطُ الثَّلاثُ تُعدُّ مِثالًا عَلى الحِوارِ بينَ النُّصوصِ السَّابقةِ واللَّاحقةِ، وهَذا التَّناصُ الشِّعريُّ ظاهرةٌ مُعتادةٌ عَلى طُولِ التَّاريخِ الأدبي، سَواءٌ كَانَ أدبًا غربيًّا أمْ أدبًا عَربيًّا[1].

وعرَّفَ الفَيلسوفُ والنَّاقدُ الأدبِي الفَرنسي رُولان بارت (ت:١٩٨٠م) التَّناصُ بأنَّهُ:(**نسيجٌ مِنَ الاقتباسَاتِ والإحالاتِ والأصداءِ مِنَ اللُّغَاتِ الثَّقافيَّةِ السَّابقةِ والمُعاصرةِ الَّتِي تَخترقُهُ بكاملِهِ ... وكُلُّ نَصٍّ هوَ تَناصٌّ مَعْ نَصٍّ آخرَ ينتمِي إلى التَّناصِ ...**)[2].

فالنَّصُّ الجديدُ كمَا يَرى (بَارت) يقومُ بهضمِ النُّصوصِ الَّتِي سبقتْهُ وتَمثِّلِهَا وتَحويلِهَا، فهوَ لَا يستطيعُ الخَلاصَ منَ الوقوعِ فِي شِركِ جَدليَّةِ (القِراءةِ والكتابةِ) اللَّتينِ تُعدَّانِ مَرجعيَّةَ الإنتاجِ الأدبِي، وتحدِّدانِ علاقةَ النَّصِّ الجَديدِ بِالنُّصوصِ الأُخرَى الَّتِي تتفاعَلُ معهَا، ولَا يمكنُنَا الكشفُ عنْ طَبيعةِ هذهِ العَلاقةِ إلَّا عَنْ طريقِ التَّناصِ[3].

وعرّفَهُ النَّاقدُ الفَرنسي مَايكل رِيفاتير (ت:٢٠٠٦م) قائلًا:(**إنَّ التَّناصَ هوَ مجموعةُ النُّصوصِ الَّتِي نجدُ بينهَا وبينَ النَّصِّ الَّذِي نحنُ بِصددِ قراءتِهِ قرابةً، وهوَ مجموعُ النُّصوصِ الَّتِي نَستحضرُهَا فِي ذَاكرتِنَا عِندَ قِراءةِ مَقطعٍ مُعيَّنٍ، أمَّا تَداخلُ النُّصوصِ فهوَ ظاهرةٌ توجّهُ النَّصَّ، ويمكنُ أنْ تُحدِّدَ تأويلَهُ وهوَ قراءةٌ عَموديَّةٌ مُتناقضةٌ معِ القِراءةِ الخَطِّيَّةِ**)[4].

وعرّفَهُ الفيلسوفُ البُلغاريُّ تِزفيتان تُودوروف (ت:٢٠١٧م) بأنَّهُ:(**كلُّ علاقةٍ تكونُ بينَ مَلفوظينِ مُتجاورينِ ـ الواحدِ معِ الآخرِ ـ يَدخلانِ فِي نوعٍ خاصٍّ مِنَ العَلاقاتِ الدَّلاليَّةِ**

[1] كريستيفا، جوليا. علم النص. ص٧٨-٧٩.

[2] بارت، رولان. نظرية النص. ترجمة: محمد الشملي وآخرون. حوليات الجامعة التونسية. ص٨١. ع٢٧. سنة ١٩٨٨م.

[3] الأسدي، عبد الستار .السرقة الأدبية والتأثر(بارت، كريستيفا، باختين). مجلة كتابات المعاصرة. ص٧١. ع٤٤، ١٩٩٩م.

[4] محمد حماد، حسن. تداخل النصوص في الرواية العربية. ص٧١. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. ط١. ١٩٩٧م.

ندعوهَا نَحنُ عَلاقاتٍ حِواريَّةٍ، والعَلاقاتُ الحِواريَّةُ هِيَ عَلاقاتٌ (دَلاليَّةٌ) بينَ المَلفوظاتِ جميعِهَا الَّتِي تَقعُ ضِمنَ دَائرةِ التَّواصلِ اللَّفظِي)[1].

وعرّفَهُ النَّاقدُ الفَرنسي جِيرار جِينيت (ت:٢٠١٨م) بأنَّهُ:**(كُلُّ مَا يضعُ النَّصَّ فِي عَلاقةٍ ظَاهرةٍ أوْ خَفيَّةٍ مَعِ النُّصوصِ الأُخرَى)**.

وقدْ جعلَ جِينيت التَّعديةَ النَّصّيَّةَ تَضُمُّ جَامعَ النَّصّ بِوصفِهِ نمطًا مِنْ أنماطٍ عِدَّة تضمُّهَا عَلاقاتُ التَّعديَّةُ النَّصّيَّةُ الَّتِي أُجملُهَا فِي خَمسةِ أَنماطٍ أُطلقُ عَليهَا :**(التَّناصّيَّةُ، المُلحقُ النَّصّي، المَاورائيَّةُ النَّصّيَّةُ، الجَامِعيَّةُ النَّصّيَّةُ، وَالاتّساعِيَّةُ النَّصّيَّةُ)**[2].

ويُعرّفُ جِينيت النَّمطَ الأَوَّلَ (التَّناصّيَّةَ) بِأَنَّهُ :**(عَلاقةُ حُضورٍ مُشتركٍ بينَ نَصَّينِ وعددٍ مِنَ النُّصوصِ بِطريقةٍ استحضارِيَّةٍ، وهيَ فِي أغلبِ الأحيانِ الحُضورُ الفِعلِيُّ لِلنَّصّ فِي نَصٍّ آخرَ)**، وهَذا النَّمطُ يَتقاربُ كَثيرًا مَعْ مفهومِ (الاقتباسِ)، والاقتباسُ لهُ خُصوصيتُهُ فِي السّياقِ بِأنْ يُوضَعُ بينَ قَوسينِ، وإذَا لمْ يُوضعْ كذلكَ فهوَ سَرقةٌ، لِأنَّ الاقتباسَ أكثرُ عَلاقاتِ التَّنَاصِ وُضوحًا وحِرفيَّةً.

أمَّا النَّمطُ الثَّانِي (المُلحقُ النَّصّيُ) فهوَ أقلُّ وضوحًا وَأكثرُ بعدًا عَنْ عَلاقتِهِ، إذْ إنَّهُ يَشملُ العُنوانَ الرَّئيسَ وَالعناوينَ الفَرعيَّةَ المُشتركةَ، والمَدخلَ، والمُحلقَ، وَالتمهيدَ، إضافةً إلى المُسوَّداتِ، والمُلخَّصاتِ، والمُخطَّطاتِ المُتنوّعةِ الَّتِي يُطلقُ عليهَا جينيت (مَا قبلَ النَّصّ)، ويُعِدُّهُ منجمَ أَسئلةٍ بِلا أَجوبةٍ، ممَّا يَدلُّ عَلى أَهمّيتِهِ.

أمَّا النَّمطُ الثَّالثُ (المَاورائيَّةُ النَّصّيَّةُ) فهيَ عندَ جِينيت :**(العلاقةُ الَّتِي شاعَ تَسميتُهَا بِالشَّرحِ الَّذِي يجمعُ نَصًّا مَا بنَصٍّ آخرَ، يَتحدَّثُ عنهُ دونَ أنْ يَذكرَهُ بِالضَّرورةِ (يَستدعِيهُ) دونَ أنْ يُسمّيهِ)**.

---

[1] تودوروف، تزفيتان. نظرية الأجناس الأدبية (دراسات في التناص والكتابة الأدبية). ص٨٦. ترجمة: عبد الرحمن بو علي. ط١. ٢٠١٦م. دار نينوى للطباعة والنشر والتوزيع. دمشق. سوريا.

[2] جينيت، جيرار. طروس (الأدب على الأدب). ص١٣١-١٣٢. ترجمة: محمد البقاعي ومحمود خير. مجلة الموقف الأدبي. مج: ٢٨. ع٣٣٣. ١٩٩٩/١/٣١م.

أمَّا النَّمطُ الرَّابعُ (الجَامعيَّةُ النَّصِّيَّةُ) فقدْ عَدَّهَا جِينيت(**علاقةً خرساءَ تمامًا، ولَا تظهرُ فِي أحسنِ حَالاتِهَا إلَّا عبرَ مُلحقٍ نَصِّيٍّ** (مُثبتٍ)، **أوْ هُوَ فِي الغَالبِ مُثبتٌ جُزئيًّا**[1]، **كَمَا هُوَ فِي التَّسمياتِ** (رِوايَةً، قَصَّةً، قَصائدَ ... الخ)، **الَّتِي تُرافِقُ العُنوانَ عَلى الغِلافِ، وَإنَّ كُلَّ ذَلكَ _ كَمَا نَرى _ ذُو انتماءٍ تَصنِيفِي خَالِصٍ**).

أمَّا النَّمطُ الأخيرُ (الاتِّساعيَّةُ النَّصِّيَّةُ) فقدْ عَدَّهُ جِينيت أهمَّ الأنماطِ جَميعِهَا، لِأنَّهُ _ فيمَا يَرَى _ جَوهرُ عمليَّةِ التَّناصِ الَّتِي قامَ عليهِ مَفهومُهُ، إذْ جعلَ فيهِ جِينيت العَلاقةَ بينَ نَصَّينِ أحدِهِمَا وهوَ الحَاضِرُ، وقدْ سَمَّاهُ (المتَّسِع)، والآخرَ وهوَ الغَائبُ وقدْ سمَّاهُ (المُنحَسِرُ)، ويعنِي جينيت بالاتِّساعيَّةِ النَّصِّيَّةِ:(**كلُّ عَلاقةٍ توحِّدُ نَصًّا اسمُهُ النَّصُّ** (المُتَّسِعُ) **بنَصٍّ آخرَ سابقٍ لهُ اسمُهُ النَّصُّ** (المُنحسِرُ)، **فالنَّصُّ المُتَّسعُ يُسيطرُ عَلى النَّصِّ المُنحسرِ دُونَ شرحٍ وتَفصيلٍ**)، لِذَا يَقولُ جِينيت عَنْ مَدَى مُرونةِ الاتِّساعيَّةِ النَّصِّيَّة :(**إنَّ الاتِّساعيَّةَ النَّصِّيَّةَ هِيَ بُعدٌ عَالَمِيٌّ (بِدرجةٍ مُختلفةٍ إلى الأبدِ)، فلَيسَ هُناكَ عَمَلٌ أدبِي لَا يَستدِعي بَعضَ الأعمالِ الأُخرَى، وبذلكَ تَكونُ الأَعمالُ الأُخرَى كلَّهَا اتِّساعيَّةً، وَإنْ تفاوتَتْ دَرجةُ الاتِّساعِ بينَ نَصٍّ وآخرَ حَسَبَ السِّياقِ، ومَعْ ذَلكَ تكونُ أكثرَ ظُهورًا ووضوحًا مِنْ غَيرِهَا الَّتِي سَبَقتْهَا**)[2].

وعرَّفَ النَّاقدُ المِصريُّ محمَّد عزَّام (ت:٢٠٠٥م) التَّناصَ بأنَّهُ :(**تَشكيلُ نَصٍّ جَديدٍ مِنْ نُصوصٍ قَديمةٍ سَابقةٍ أوْ مُعاصرةٍ بِحَيثُ يُصبحُ النَّصُّ المُتناصُّ خُلاصةً لعَددٍ مِنَ النُّصوصِ الَّتِي تمحو الحُدودَ بينَهَا؛ لِتُعيدَ صِياغتَهَا مِنَ النُّصوصِ السَّابقةِ دُونَ مَادَّتِهَا، فيكونُ الأصلُ قدْ غَابَ فَلا يُدركُهُ إلَّا ذُو الخِبرةِ وَالمِرانِ**)[3].

---

[1] المصدر نفسه. ص١٣٦.

[2] . المصدر السابق. ص١٣٨-١٣٩.

[3] عزام، محمد. النص الغائب (تجليات التناص في الشعر العربي). ص٢٩. (دراسة). ط١. منشورات اتحاد الكتّاب العرب. ٢٠٠١م.

وعرَّفَهُ النَّاقدُ المَغربي محمَّد مِفتاح (ت: ٢٠٢٢م) بأنَّهُ :(**عَمليَّةُ تَعانقُ نَصّ للدّخولِ فِي عَلاقةٍ مَعْ نُصوصٍ أُخرَى، ويتمُّ ذلكَ فِي رأيهِ بآليَّاتٍ مُختلفةٍ، وهذهِ الآليَّاتُ هِيَ: الاقتباسُ، والتَّضمينُ، وغيرُهُمَا**)[١].

وعرَّفَهُ الشَّاعرُ المغربِي محمَّد بِينس بِمصطلحٍ آخرَ سمَّاهُ :(**التَّداخلُ النَّصِّي، وهوَ مَا يحدثُ نتيجةَ تَداخلِ نَصّ حَاضرِ مَعْ نُصوصٍ غَائبةٍ، والنَّصُّ الغَائبُ هوَ مَا تُعيدُ النُّصوصُ كتابتَهُ وقراءَتَهُ، أيْ مَجموعةُ النُّصوصِ المُنتشرةِ الَّتِي يَحتويهَا النَّصُّ الحَاضرُ، وتعملُ بشكلٍ باطنِيّ عُضويّ عَلى تَحقُّقِ هَذا النَّصّ وتَشكُّلِ دَلالتِهِ**)[٢].

وعرّفَهُ الرّوائِي المَغربي سَعيد يَقطين بِمصطلحٍ آخرَ سَمَّاهُ (**التَّفاعُلُ النَّصِّي، وهوَ عَمليَّةُ التَّعالقِ النَّصَّي أيْ رَبطُ نَصّ أَوَّلٍ سَابقٍ بِنصّ ثَانٍ لاحقٍ، بِحيثُ يكونُ النَّصُّ السَّابقُ هوَ المَنبعُ وَالإطارُ والمَرجِعُ، ويُقصدُ بِذلكَ أنَّ النُّصوصَ الغَائبةَ تكونُ لهَا عَلاقةٌ مَعِ النُّصوصِ الحَاضرةِ**)[٣].

وعرَّفَهُ البَاحثُ المِصريُّ صَبري حَافظ بِمصطلحٍ مركَّبٍ سمَّاهُ (**المجالُ التَّناصِّي، ويَقصدُ بذلكَ أنَّ النَّصَّ لَا يَستقلُّ بذاتِهِ، ولَا يكونُ مِنْ إبداعِ واحدٍ فقطْ، وإنَّمَا يكونُ حُضورًا لِنصوصٍ مُسبقةٍ أوْ غَائبةٍ**)[٤].

وعرَّفَهُ المُفكِّرُ الجَزائريُّ عبدُ المَلكِ مُرتاضَ (ت:٢٠٢٣م) بأنَّهُ :(**إعادةٌ لِكلامِ غَيرِنَا بِنسيجٍ آخرَ مِنْ غَيرِ أنْ نُكوّنَهُ فِي أطوارِنَا كلّهَا ونستوحيهُ، نُضادُّهُ، ونعارضُهُ، ونستحضِرُهُ عَلى وجهٍ مَا فِي الذِّهنِ أوْ فِي المُخيّلةِ، فيجرِي عَلى القَريحةِ ويُحتذَي نَصًّا عائمًا فِي القَريحةِ، شَاردًا فِي فضائِهَا، وقدْ لَا يَعرفُ أحدٌ ذلكَ عَلى الإطلاقِ**)[٥].

---

[١] مفتاح، محمد. تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص). ص١٢١. منشورات المركز الثقافي العري. ط١. ١٩٨٦م.

[٢] بينس، محمد. ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب. ص٢٥١. دار العودة. بيروت. لبنان. ط١. ١٩٧٩م.

[٣] يقطين، سعيد. انفتاح النص الروائي (النص والسياق). ص٩٢. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء. المغرب. بيروت. لبنان. ط٢. ٢٠٠١م

[٤] حافظ، صبري. التناص وإشارات العمل الأدبي. ص٨١. مجلة عيون المقالات. ع٢. ١٩٨٢م.

[٥] مرتاض، عبد الملك. نظرية النص الأدبي. ص٣٥. دار هومة للطباعة والنشر. الجزائر. ط٢. ٢٠١٠م.

وعرّفَهُ النَّاقدُ السُّوريُّ الدُّكتورُ خَليلُ المُوسَى (ت:٢٠١٤م) بأنَّهُ:(**تَشكيلٌ نَصِّيٌّ جَديدٌ مِنْ نُصوصٍ سَابقةٍ أوْ مُعاصرةٍ تَشكيلًا وَظيفيًّا، بِحيثُ يُعَدُّ النَّصُّ المُتناصُّ خُلاصةً لعددٍ مِنَ النُّصوصِ، وقيامُ التَّناصِ بِعمليَّاتٍ إجرائيَّةٍ مُختلفةٍ، كَالاستدعاءِ القَصدِي، أوْ غيرِ القَصدِي، والتَغايرِي والتَّوافقِي، أوِ الامتصاصِ الاسفنجِي المُوظَّفِ، والتَّداخلِ، والتَّحويلِ وهوَ أهمُّ عَمليَّاتِ التَّناصِّ والاندماجِ**)[١].

وأوردَ محمَّد عَزَّام مَفاهيمَ عدَّة للتَّناصِ، منهَا:

- **التَّفاعلُ الضِّمنِي:** ويكونُ بينَ بِنيتينِ: بِنيةِ النَّصِّ وبِنيةِ النَّصِّيَّةِ، ولَا يكونُ مُباشرةً، بلْ قدْ يكونُ ضِمنيًّا.
- **البِنياتُ النَّصِّيَّةُ:** إذْ يُنتجُ كلَّ كَاتبٍ نُصوصَهُ ضِمنَ بِنيةٍ نَصِّيَّةٍ مُعاصرةٍ لهُ أوْ سَابقةٍ عليهِ.
- **التَّعالقُ النَّصِّيُّ:** ويَرى فيهَا أنَّ النَّصَّ اللَّاحقَ يكتبُ النَّصَّ السَّابقُ بِطريقةٍ جديدةٍ.
- **المُصاحباتُ الأَدبيَّةُ:** وهيَ الاستشهاداتُ الأدبيَّةُ الَّتِي تدخلُ فِي بِنيةٍ نَصِّيَّةٍ مُعيَّنةٍ.
- **التَّناصِّيَّةُ:** وهيَ مَجموعةٌ مِن العَلاقاتِ الَّتِي نَراهَا، وتَتجاوزُ قَضيَّةَ التَّأثُّرِ إلى أمورٍ تَتعلَّقُ بِالبِنيةِ وَالفَضاءِ الإبداعِي[٢].

يُلاحظُ ممَّا سبقَ مِنْ تَعريفاتٍ غَربيةٍ وعَربيَّةٍ للتَّناصِ أنَّ المُتفقَ عليهِ وجودُ عَلاقةٍ تَربطُ نصِّينِ بِبعضِهِمَا بعضًا، أحدَهُمَا سابقٌ والآخرَ لاحقٌ، وقدْ تعمَّقَ بعضُ الباحثينِ فِي مَسألةِ المُفهومِ، وبحثُوا فيهِ عميقًا مِن خِلالِ سبرِ غَورِهِ وَالخَروجِ بِمعطياتٍ تُفيدُ أنَّ التَّناصَ لهُ أشكالٌ عَديدةٌ فِي ماهيَّتِهِ، فقدْ يتمُّ نقلُ النَّصِّ كمَا هوَ دونَ تغييرٍ ولَا تبديلٍ معِ اختلافِ السِّياقِ الَّذِي قيلَ فيهِ جُزئيًّا، وَأحيانًا يكونُ النَّقلُ انقلابيًّا مُغايرًا رغمَ استخدامِ جزءٍ كبيرٍ مِنْ الألفاظِ بينَ النَّصِّ السَّابقِ والنَّصِّ اللَّاحقِ، وأحيانًا يتمُّ اشتمامُ النَّصِّ مِنْ خَلالِ التَّلميحِ وليسَ التَّصريحُ، ومعْ هذا يكونُ تناصًّا؛ لأنَّ الفِكرةَ المُنبثقةَ تكونُ مُشابهةً للفِكرةِ السَّابقةِ كثيرًا.

---

[١] الموسى، خليل. التناص ومرجعياته. دمشق. سوريا.مجلة المعرفة. ص٩٤. ع٤٧٦. إصدار سنة ٢٠٠٣م.

[٢] عزام، محمد، النص الغائب (تجليات التناص في الشعر العربي)، ص٣٠، منشورات اتحاد الكتاب العرب،ط١: ٢٠٠١م، دمشق _ سوريا.

أمَّا الَّذِينَ فَصَّلُوا في التَّناصِ منْ حيثُ البِنيةِ التَّركيبيَّةِ فقدْ وضعُوا تفريعاتٍ للتَّناصِ مِنْ خِلالِ تَفكيكِ بِنيتِهِ وَالحُصولِ عَلى صُورٍ مُتعدِّدةٍ للتَّناصِ مِنْ حيثُ ماهيتِهِ، فهوَ إمَّا تفاعلٌ للنَّصّ، أوْ تَعالقٌ، أوِ اصطحابٍ وكلُّ ذلكَ يندرجُ تحتَ الأخذِ والاستفادةِ منَ النَّصّ الغَائبِ[1]، أمَّا فيمَا يتعلَّقُ بصورِ التَّناصِ فقدْ أشارَتْ كريستيفا إلى التَّناصِ المَنفي جُزئيًّا وكلِّيًّا، واتَّخذَتْ مِن بَعضِ الكُتَّابِ والشُّعراءِ نَماذجَ للنَّفِي الكُلِّيّ والنَّفِي الجُزئِي، ونَادَتْ بِالنَّفِي المُتوازِي، وهوَ صورةٌ مِنْ صُورِ التَّناصِ الَّذِي يجعلُ مِنَ التَّناصِ صُورةً شبهَ متطابقةٍ بينَ النَّصَّينِ، ورُبَّمَا مُتوافِقةٌ جدًّا[2].

ويمكنُ الخُروجُ بِتصوُّرٍ واضحٍ حولَ مفهومِ التَّناصِ وهوَ :**(المُشاركةُ الفَاعلةُ لِنصَّينِ أحدِهِمَا قديمٍ والآخرِ حديثٍ بحيثُ يندمجُ النَّصَّانِ ضمنَ سِياقٍ مُتشابِهٍ، ويتمُّ اتِّخاذُ أشكالٍ مُتلائمَةٍ مَعِ الحَدثِ أوِ القِصَّةِ أوِ المَوضوعِ، سَواءٌ كَانَ ذلكَ مُوافقًا للسِّياقِ أوْ مُغايرًا لهُ)**، ويعنِي ذلكَ أنَّ النُّصوصَ المُكرَّرةَ يَجبُ أنْ تكونَ نُصوصًا ذاتِ أهميَّةٍ عَاليةٍ للقَارئِ أوِ المُستمعِ بحيثُ يندمجُ وجدانُهُ معهَا، فَلا يُحسَنُ أوْ يُؤتِي بنصٍّ غَائبٍ لِيدخلَ فِي الحاضرِ وهوَ فِي زمانِهِ مُبتذلٍ ولَا قيمةَ لهُ.

وهُنا، نجدُ شعراءَ جاهليّينَ ردَّدُوا أبياتٍ فِي مُعلَّقاتِهِم تَطابقَتْ تَمامًا لفظًا ومعنًى، ولمْ تختلفْ إلَّا فِي لفظةِ الرَّوي، ومثالُ ذلكَ مَا وردَ فِي مُعلَّقةِ الشَّاعرِ امرئِ القَيسِ (ت:٥٤٤م)، إذْ قالَ:

وُقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسًى وَتَجَمَّلِ[3]

وقدْ تَناصَّ مَعِ البيتِ الشِّعري فِي مُعلَّقةِ الشَّاعرِ طَرَفةَ بنِ العَبدِ (ت:٥٦٩م)، إذْ قالَ:

وُقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيُهُمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسًى وَتَجَلَّدِ[4]

---

[1] المصدر نفسه. ص٤١.

[2] كريستيفا، جوليا. علم النص. ص٧٩.

[3] امرؤ القيس. ديوان امرئ القيس. ص٩، القسم الأول. رواية الأصمعي عن الأعلم. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف. بيروت. لبنان. ط١. ١٩٨٤م.

[4] طرفة بن العبد. ديوان طرفة بن العبد. ص١٩. شرحه: مهدي محمد ناصر الدين. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط٣. ٢٠٠٢م.

فقدْ توافقَ البَيتانِ تَوافقًا تَامًّا بِاستثناءِ لَفظةِ الرَّوي (تَجمَّلِ، وتَجَلَّدِ) وكِلاهُمَا يَحملانِ معنًى مُتقاربًا وهوَ الصَّبرُ والتَّجلُّدُ وتُحمُّلُ المُعاناةِ، وقدْ ذهبَ بعضُ النَّقَّادِ إلى اعتبارِ ذَلكَ سَرقةً وانتحالًا، وعلى رأسِ هَؤلاءِ النَّاقدِ المِصري طَه حُسين[1] .

ثالثًا: أُصولُ التَّناصِ

هناكَ جذورٌ للتَّناصِ فِي الأدبِ العَربي قديمًا، وإنْ سَمَّاهُ بَعضُهُمْ بِمُسمَّياتٍ أُخرَى، إلَّا أنَّ أُصولَ هذا المُصطلحِ كانَتْ فِي الأدبِ العربي الجاهلي بارزةً للعَيانِ، إذْ استمدَّ شُعراءُ الجَاهليَّةِ نصوصًا مِنَ الكُتبِ السَّماويَّةِ السَّابقةِ للقُرآنِ، ثُمَّ إنَّ القرآنَ الكريمَ الَّذِي نزلَ بِلغةِ العَربِ قدْ جاءَ بِقوالبَ لفظيَّةٍ جديدةٍ، ولكنْ لهَا أُصولٌ فِي الشِّعرِ الجَاهلِي، وذلكَ لكِي يكونَ تقاربًا فِي اللَّفظِ مَعْ هذهِ الأُصولِ، وإنْ اختلفَ المَعنى قليلًا، واختلفَ السِّياقُ كَذلكَ، وتميَّزَ القرآنُ بإعجازِهِ مُنقطعَ النَّظيرِ[2].

وإذا مَا عدنَا إلى العصرِ الجاهلي، ونظرنَا فِي شعرِهِ بتمعُّنٍ وجدنَا أنَّ هناكَ أبياتًا مِنَ الشِّعرِ مُتشابهةً كُلِّيًّا أوْ جُزئيًّا، تناقلَهَا شُعراءُ مُشهورونَ عَنْ بعضِهِمْ بعضًا، كمَا نجدُ كذلكَ بعضَ الأبياتِ مِنَ الشِّعرِ المُتعلِّقِ بالحكمةِ وذكرِ الآخرةِ متَّفقًا معْ آياتٍ مِنَ القُرآنِ الكريمِ، أوْ نُصوصٍ مِنَ الكُتُبِ المقدَّسةِ السَّابقةِ كَالتَّوراةِ وَالإنجيلِ، وهذا لَا يعدُو كونُهُ تأثُّرٍ بهذِهِ الكُتُبِ السَّماويَّةِ السَّابقةِ، ومَا جاءَ فِي القُرآنِ الكَريمِ يتَّفقُ فِي بعضِ النُّصوصِ الَّتِي جاءَتْ بِهِ الكُتُبُ السَّمَاويَّةُ السَّابقةُ غيرُ المُحرَّفةِ، لذلكَ فَإنَّ قَضيَّةَ انتحالِ الشِّعرِ قَضيَّةً غيرَ صَحيحةٍ، ولكنْ لا يَعنِي أنْ يقومَ بعضُ المُتأخِّرينَ مِنْ قَولِ الشِّعرِ وَنسبِهِ إلى شُعراءَ قُدامَى فِي الجَاهليَّةِ لِمحاولاتٍ مِنهُمْ لِلنيلِ مِنْ كِتابِ اللهِ تَعالَى، والتَّشكيكِ فيهِ، وهوَ مُنزَّهٌ عَنْ ذَلكَ ومَحفوظٌ[3]

[1] حسين، طه. في الأدب الجاهلي. ص٩٧. مؤسسة هنداوي.. ٢٠١٤م.

[2] القِيرواني، ابنُ رَشيق. العمدة في محاسن الشعر وآدابه. ج٢. ص٢٩٢. تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل. بيروت. ط٥. ١٩٨١م.

[3] الأسدي، ناصر الدين. مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية. ص٣٧٧-٣٧٩. دار المعارف بمصر. ط٧. ١٩٨٨م.

بحفظِ اللهِ لهُ، ولكنَّ المعاييرَ الَّتِي تُوضعُ لمعرفةِ الشِّعرِ ومدَى نسبِهِ إِلى قائليهِ مِن شُعراءِ العَصرِ الجَاهلِي كفيلةً بأنْ تكشفَ الشِّعرَ المنحولَ الَّذِي لمْ يقلْهُ الشَّاعرُ الجَاهلِي فعلًا[1].

لكنَّ المهمَ فِي المَوضوعِ أنَّ هذهِ الاتِّهاماتِ بِالانتحالِ قادَتْ النُّقَّادَ والمُؤرِّخينَ وأهَل اللُّغةِ إِلى إيجادِ مَخارجَ للتَّشابِهِ الواضحِ فِي الألفاظِ والمَعانِي بينَ الشِّعرِ عَلى مُرورِ الزَّمنِ، فجَاءَ فِي عُصورِ التَّدوينِ بعضُ العُلماءِ واللُّغويينَ الَّذِينَ عَالجُوا ظَواهرَ النَّقلِ وَالنَّسخِ وَالتَّأثُّرِ والتَّأثيرِ وتشابُهِ الألفاظِ وَالمعانِي بينَ شَاعرٍ سَابقٍ وشَاعرٍ لاحِقٍ، فظهَرَ كلٌّ منَ (الاقتباسِ، والتَّضمينِ، وتَوارِدِ الخَواطرِ، وغيرِهَا)، وسوفَ نأتِي عَلى ذكرِهَا بِالتَّفصيلِ فِي مَبحثٍ لاحقٍ.

ومنْ خلالِ ذكرِ رأيِ عُلماءِ اللُّغةِ والبَاحثينَ فِي ظاهرةِ التَّناصِ وأصولِهَا، فقدْ أشارَ أَبو هِلالٍ العَسكري (ت:٣٩٥هـ) صاحبُ كتابِ (الصِّناعتينِ) ويقصدُ بهمَا (صناعةِ الشِّعرِ والنَّثرِ)، أشارَ إِلى التَّناصِ مِنْ خِلالِ إطلاقِ مُصطلحِ (حُسنِ الأخذِ) أيْ أنْ يأخذَ الشَّاعرُ نصًّا سابقًا مِنْ نُصوصٍ مَحفوظةٍ ومردَّدةٍ عَلى أَلسنةِ العَامَّةِ، وذلكَ لأَثرِهَا فِي نفوسِهِمْ، فيكونُ هذا الأخذُ حَسنًا لأنَّهُ جاءَ فِي موضعِهِ المُناسبِ ليدعمَ مَا يقولُهُ الشَّاعرُ، ويقوِّي شعرَهُ بِهِ، فيشعرُ القَارئُ أوِ المُستمعُ أنَّهُ يقرأُ أوْ يستمعُ إِلى شِعرٍ أَصيلٍ مُؤثِّرٍ[2]

ويُعِدُّ ابنُ رشيقٍ القِيروانِي (ت: ١٠٩٤م) أنَّ ما تشابَهَ مِنْ أشعارٍ بينَ شاعرينِ أحدِهِمَا قديمٍ والآخرِ حديثٍ، يُعِدُّ هذا التشابُهٌ سرقةً قامَ بهَا الشاعرُ الحديثُ منَ الشَّاعرِ القديمِ، وفِي بابِ السَّرقةِ تحدَّثَ القِيرواني كثيرًا ونقلَ عنِ السَّابقينَ لهُ، إِذْ عَدَّ السَّرقةَ فِي الألفاظِ والمعانِي معًا، وقدْ تكونُ فِي الألفاظِ دونَ المَعانِي، وقدْ تكونُ فِي المَعانِي دونَ الألفاظِ وقسَّمَ السَّرقةَ إِلى أنواعٍ منهَا:(الاصطرافِ، الاجتلابِ، الانتحالِ، الاهتدامِ، الإغارةِ، المرافدةِ، والاستلحاقِ)، وأشارَ إِلى قولِ بعضِ الحُذّاقِ فِي مجالِ السَّرقةِ فقالَ:(مَنْ أخذَ معنًى بلفظِهِ فهوَ سَارقٌ، ومَنْ أخذَهُ ببعضِ لفظِهِ[3] كانَ سالِخًا، وإِنْ أخذَهُ ببعضِ معناهُ كانَ حاذقًا) ، وأمَّا تَفصيلاتُ السَّرقةِ

---

[1] المصدر نفسه. ص٣٧٩.

[2] العسكري، أبو هلال (الصناعتين في الكتابة والشعر)، ص١٩٦، منشورات العصرية، بيروت _ لبنان، (د.ط)(د.ت).

[3] القيرواني، ابن رشيق، العمدة في صناعة الشعر ونقده، ج٢/ص٢٨٠-٢٨١، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط١: دار الجيل للنشر والتوزيع، بيروت_لبنان.

وأنواعِهَا الَّتِي ذكرَهَا القِيروانِي فقَدْ وضعَهَا تحتَ مُسمَّياتٍ **كالاصطرافِ:** كأنْ يُعجبُ شاعرٌ ببيتٍ من الشِّعرِ فيصرفُهُ لنفسِهِ، فإنْ صرفَهُ إليهِ على جهةِ المثلِ فهوَ **اجتلابٌ واستلحاقٌ،** وإنْ ادَّعاهُ جملةً فهوَ **انتحالٌ،** ولا يُقالُ (مُنتحلٌ) إلَّا لمَنْ أخذَ بيتًا منَ الشِّعرِ لغيرِهِ وهوَ يقولُ الشِّعرَ، أمَّا إنْ كانَ لا يقولُ الشِّعرَ فهوَ ادِّعاءٌ وقائلُهُ مُدَّعٍ، وإنْ كانَ الشِّعرُ لشاعرٍ مَغمورٍ وأخذَهُ منهُ غلبةً فتلكَ **الإغارةُ والغَصبُ،** وإنْ أخذَهُ هبةً فذلكَ **الاسترفادُ أوِ المُرافدةُ،** وإنْ كانَ الأخذُ لِمَا دُونَ البيتِ فذلكَ **الاهتدامُ،** ويُسمَّى **النَّسخُ،** فإنْ تَساوَى المَعنيانِ دونَ اللَّفظِ فذلكَ **النَّظرُ والمُلاحظةُ،** أمَّا إنْ تضادَّا ودلَّ أحدُهُمَا على الآخرِ فذلكَ **الإلمامُ،** فإنْ تمَّ تَحويلُ المعنَى مِنَ المديحِ إلى النَّسيبِ فذلكَ **الاختلاسُ،** ويُسمَّى أيضًا **نقلُ المَعنَى،** وإنْ أُخِذَ بنيَّةِ الكَلامِ فقطَ فتلكَ **المُوازنةُ،** فإنْ جعلَ مَكانَ كلِّ كلمةٍ ضدَّهَا فتلكَ **العَكسُ،** وإذَا تَواردَ الشَّاعرانِ الشِّعرَ وهُمَا في العَصرِ نفسِهِ دونَ أنْ يسمعَ أحدُهُمَا عنِ الآخرِ فَتلكَ **المُواردةُ (توارُدُ الخَواطرِ)،** وإنْ ألَّفَ بيتًا مِنَ الأبياتِ قدْ رُكِّبَ بعضُهَا منْ بعضٍ فذلكَ **الالتقاطُ والتَّلفيقُ،** أو ما يُسمَّى **بالاجتذابِ والتَّركيبُ،** وكلُّ ذلكَ في بابِ السَّرقاتِ الَّتِي لهَا معاييرُ ودوافعُ تتعلَّقُ بطبيعةِ الشَّاعرِ والعَصرِ الَّذِي عاشَ فيهِ، وهلْ وصلَهُ شعرُ الَّذِي قبلَهُ حتَّى يسرقَ عنهُ[1].

وقدْ ذكرَ البُحتري (ت: ٨٩٧م) في أحدِ أبياتِهِ منَ الشِّعرِ إشارةً إلى تقسيمِ السَّارقينَ للشِّعرِ إلى أقسامٍ ثلاثٍ، فقالَ:

وَقَدْ نَافَسَتْنِي عُصْبَةٌ مِنْ مُقَصِّرٍ وَمُنْتَحِلٍ مَا لَمْ يَقُلْهُ وَمُدَّعِي[2]

وهذهِ إشارةٌ واضحةٌ إلى وقوعِ السَّرقاتِ في ذلكَ العصرِ على الأقلِّ، ولمْ تسلمْ منهَا العصورُ السَّابقةُ ولا اللَّاحقةُ كذلكَ، وعلى سبيلِ المثالِ في السَّرقاتِ من بابِ الاصطرافِ المُفضِي إلى الاجتلابِ أو الاستلحاقِ ما قالَهُ النَّابغةُ الذِّبيانِي (ت: ٦٠٤م):

---

[1] المصدر السابق. ص٢٨٢-٢٨٣.

[2] البحتري، أبو عبادة الوليد. ديوان البحتري. ص١٢٤١. تح: حسن كامل الصيرفي. دار المعارف. القاهرة. مصر. ط٣. ٢٠٠٩م.

وَصَهْبَاءُ لَمْ تَخَفِ الْقَذَى وَهُوَ دُوْنُهَا تُصَفِّقُ فِي رَاوُوقِهَا حِيْنَ تَقْطُبُ

تَمَـزَّزْتُهَـا وَالدِّيْـكُ يَدْعُـوْ صَــبَاحَهُ إِذَا مَا بَنُو نَعْـشٍ دَنُوا وَتَصَوَّبُوا[1]

فقدْ استلحَقهَا البيتُ الثَّانِي فِي مَقطوعةٍ أُخرَى، إِذْ قالَ:

وَإِجَــانَةٍ رَيَّـا السُّــرُورِ كَـأَنَّهَا إِذَا غَمَزَتْ فِيْهَا الزُّجَاجَةُ كَوْكَبُ

تَمَزَّزْتُهَا وَالدِّيْكُ يَدْعُو صَبَاحَهُ إِذَا مَا بَنُوا نَعْشٍ دَنُوا وَتَصَوَّبُوا[2]

وأمَّا المُرافدةُ فيعنِي أنْ يُعينَ الشَّاعرُ صَاحِبَهُ فِي الشِّعرِ فَيهبُهُ بيتًا أوْ أبياتٍ يُضيفُهَا إلى مَا قالَهُ لكَي يكونَ القولُ مؤثِّرًا، وعادةً مَا تتمُّ المُرافدةُ منْ شاعرٍ حَاذقٍ لصاحبِهِ الأقلِّ منهُ حذاقةً، ومثالُ ذلكَ ما أرفدَ جريرٌ (ت:٧٢٨م) لذِي الرُّمَّةِ (ت:٧٣٥م) عندَمَا قالَ جريرٌ لِذِي الرُّمَّةِ أنشدنِي مَا قُلتُ لهشامٍ الرَّائي فأنشدتُهُ قصيدتَهُ الَّتِي مطلعُهَا:

نَبَتْ عَيْنَاكَ عَنْ طَلَلٍ بِجَزْوَى مَحَتْهُ الرِّيْحُ وَامْتَنَحَ القِطَارَا

فقالَ لَهُ جَريرٌ: أَلَا أُعينكَ، قالَ ذُو الرِّمَّةِ: بلَى، بأبِي وأمِّي، فقالَ: قلْ لهُ:

يُعَدُّ النَّـاسِـبُونَ إِلَى تَمِيْمٍ بُيـُوْتَ الْمَجْـدِ أَرْبَعَــةً كِبَارَا

يُعِدُّوْنَ الرَّبَـابَ وَآلَ سَعْدٍ وَعَمْــرًا ثُمَّ حَنْظَلَـةَ الْخَيَارَا

وَيَهْلَكُ بَيْنَهَا الْمَرْئِيُ لَغْوًا كَمَا أَلْغَيْتَ فِي الدِّيَةِ الْحَوَارَا[3]

وأمَّا عبدُ القاهرِ الجِرجانِي (ت:٤٧١هـ) فقدْ أطلقَ مُصطلحَ (تداخلِ النَّصوصِ) كمقابلٍ للتَّناصّ سابقًا، وهوَ ما يشبهُ الاحتذاءُ والتَّقليدُ والأخذُ والسَّرقةُ وإنْ كانَتْ الأخيرةُ قليلةً جدًّا، و**الاحتذاءُ**: أنْ يعمدَ الشَّاعرُ إلى الابتداءِ بمعنًى لهُ غَرضٌ وَأُسلوبٌ مُؤَثِّرٌ، ثُمَّ يَعمدُ شاعرٌ آخرُ لاحقًا لهُ إلى الإتيانِ بالمَعنى نفسِهِ أوْ يُشبهُهُ، ومعنَى ذلكَ أنْ يأخذَ شاعرٌ مِن أسلوبِ

[1] لم أعثر على هذين البيتين في أي نسخة من نسخ الديوان.، ولا في رواية من الروايات المتعددة.

[2] القيرواني، ابن رشيق. العمدة في صناعة الشعر ونقده. ج٢. ص٢٨٣.

[3] المصدر نفسه. ج٢. ص١٨٦.

شاعرٍ آخرَ تأثَّرَ بهِ كتأثُّرِ البُحتري بأبِي تمَّامٍ، وهَذا الدَّمجُ بينَ الأُسلوبينِ يُسمَّى تُداخلُ النُّصوصِ، وذلكَ ناتجٌ عنِ التَّأثُّرِ وَالتَّوافقِ[1].

وظلَّ الاختلافُ حولَ هذهِ الظَّاهرةِ بينَ النَّقَّادِ واللُّغويينَ، مَا بينَ اعتبارِهَا سَرقاتٍ أوِ اعتبارِهَا حُسنِ أخذٍ أوِ اعتبارِهَا توارِدِ خَواطرَ أوْ تَداخلِ النُّصوصِ، إلى أنْ جاءَ العَصرُ الحَديثُ، وخضَعَتِ الظَّاهرةُ للدِّراسَةِ الدَّقيقةِ مِن علماءِ اللُّغةِ والبَاحثينَ الغَربيينَ، فتوصَّلُوا بعدَ محالاتٍ عدَّة إلى تَسميةِ هذهِ الظَّاهرةِ البَلاغيَّةِ بَالتَّناصِ.

فقدْ أشارِتْ كريستيفا إلى وجودِ أصولٍ للتَّناصِ ذكرَهَا الفَيلسوفُ الرُّوسيُّ مِيخائيلُ باختين (ت:١٩٧٥م) فِي كتابِهِ (المبدأُ الحِواري) تحتَ مُسمَّى (الحِواريَّةُ) والَّتِي تُشيرُ إلى تداخلِ النُّصوصِ الشِّعريَّةِ بحيثُ تُحيلُ المَدلولَ الشِّعريَ إلى مدلولاتٍ خِطابيَّةٍ مُغايرةٍ، بشكلٍ يمكنُ معهُ قراءةِ خِطاباتٍ عديدةٍ داخلَ القولِ الشِّعريّ[2].

ويؤكِّدُ باختين على أنَّهُ منَ المستحيلِ وجودُ نصَّ نفِي، فكلُّ نَصٍّ هوَ صدًى لِنَصٍّ آخرَ إلى اللَّانهائيَّةِ، فهوَ يُصرُّ عَلى أنَّ الأدبَ يجبُ أنْ يُقرأَ فِي ضوءِ سِياقاتِهِ الثَّقافيَّةِ والتَّاريخيَّةِ، وهذا يعني أنَّ أيَّ نصٍّ يُؤخذُ يجبُ أنْ يُنظرَ إلى المَاضِي فيكونُ مُتطلِّعًا إلى الثَّقافاتِ وطارقًا أبوابَ التَّاريخِ منْ أجلِ إنشاءِ نُصوصٍ أُخرَى، ويُفهمُ مِن ذلكَ أنَّهُ لَا يُوجدُ نَصٌّ مُبتدعٌ بذاتِهِ وإنَّمَا مِنْ خِلالِ نُصوصٍ أُخرَى هيَ ابتدعتْهُ وطوَّرتْهُ، ويكونُ ذلكَ مِنْ خلالِ الثَّقافاتِ التَّاريخيَّةِ المُتعدِّدةِ[3].

أمَّا رولان بارت فقدْ ذكرَ في مقالتِهِ أنَّ التَّناصَ رابطٌ بينَ النَّصِّ والاقتباساتِ الأُولى، إذْ قالَ:**(إنَّ كلَّ نصٍّ جَديدٍ نَسيجٌ لِاقتباسَاتٍ مَاضيةٍ)**، وهذا التَّعريفُ تكرارٌ للتَّعريفاتِ السَّابقةِ، وقَدْ أشارَ كذلكَ إلى المَفهومِ نفسِهِ بمصطلحِ (التَّداخلِ النَّصِّي)، وذلكَ لكَي يكشفَ عنْ أثرِ الفردِ فِي النَّصِّ؛ لأنَّ الفردَ هوَ الَّذِي يقومُ بِالتَّحليلِ وَالتَّأويلِ، فعمليَّةُ الاستحضارِ لا تتوقَّفُ

[1] الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز في علم المعاني. ص٣٨٧. دار اليقين للنشر والتويع. بيروت. ط١. ٢٠٠١م.

[2] باختين، ميخائيل. المبدأ الحواري. ص١٢٦. تح: فخري صالح. المؤسسة العربية للدراسات. بيروت. ط٢. ١٩٩٦م.

[3] عباس، محمد زبير. التناص مفهومه وخطر تطبيقه على القرآن الكريم. ص٣٩. (دراسة). كلية اللغة العربية. الجامعة الإسلامية العالمية. إسلام أباد. باكستان. ٢٠١٤م.

على المُؤلِّفِ الَّذِي استحضرَ نصًّا غائبًا وداخلُهُ معْ نصوصِهِ، بلْ إنَّ القَارِئَ كَذلكَ يستحضرُ ذلكَ النَّصَّ ممَّا يزيدُ المَسألةَ تَعقيدًا، لأنَّ القارِئَ سيرجعُ إلى النُّصوصِ السَّابقةِ الَّتِي أخذَ منهَا المُؤلِّفُ نصَّهُ[١].

وهذا الرَّأيُ ينفِي السَّرقةَ مِنْ نصوصٍ أُخرَى، ويركِّزُ علَى ظاهرةِ التَّناصِ، معْ وجودِ بعضِ الإشكالاتِ فيهَا خاصَّةً فيمَا يتعلَّقُ بِالنُّصوصِ الغَائبةِ.

وأشارَ النَّاقدُ الرُّوسيُّ ميخائيل ديفايتر إلى التَّناصِ معتبرًا أنَّهُ نصٌّ يتقاربُ معْ نصٍّ آخرَ، وهذهِ النُّصوصُ يتمُّ استحضارُهَا مِنَ الذَّهنِ عندَ قراءةِ مقطعٍ معيَّنٍ لهُ صلةٌ بذلكَ النَّصُّ أوِ المقطعِ، وتداخلُ النُّصوصِ ظاهرةٌ طبيعيَّةٌ، يتمُّ فيهَا توجيهُ النَّصِّ بهدفِ إحيائِهِ أوِ التَّأكيدِ عليهِ، ويمكنُ أنْ يتمَّ تأويلُهُ مِنْ خلالِ قراءةٍ عموديَّةٍ متناقضةٍ للقراءةِ الخَطِّيَّةِ[٢].

ورأَى العالِمُ الألمانِي روبرت شُولز (ت:١٩٧٤م) أنَّ التَّناصَ عبارةٌ عنْ نصوصٍ متداخلةٍ اصطلحَ عليهَا السِّيميولوجيونَ مثلُ (كريستيفا، وبارت)، والمبدأُ العامُّ يبيّنُ أنَّ النُّصوصَ تشيرُ إلى نُصوصٍ أُخرَى مثلمَا الإشاراتُ الَّتِي تُشيرُ إلى إشاراتٍ أوْ رُموزٍ أُخرَى، وليسَتْ أشياءٌ معيَّنةٌ مباشرةٌ، فالنَّصُّ المُتداخلُ هوَ نَصٌّ يَتسرَّبُ إلى داخلِ نَصٍّ آخرَ ليُجسِّدَ المدلولاتِ، سَواءٌ وعَى الكَاتبُ تلكَ المَدلولاتِ أمْ لمْ يعِ[٣]. أمَّا النَّاقدُ الفرنسِي مارك أنجينو (ت:١٩٨٩م) فقدْ كشفَ عَنْ ماهيَّةِ التَّناصِ الَّذِي يشيرُ إلى تعايشِ النُّصوصِ بطريقةٍ منَ الطُّرقِ معِ النُّصوصِ الأخرَى، وبالتَّالِي يصبحُ كلُّ نصٍّ معِ النَّصِّ المُشابهِ لهُ تناصًّا، وهكذَا يكونُ النَّصُّ الأدبِي عِبارةً عنْ مجموعةِ نُصوصٍ مُتداخلةٍ ومُتعايشةٍ مَعْ بعضِهَا بعضًا[٤].

---

[١] الزواهرة، ظاهر محمد. التناص في الشعر العربي المعاصر. ص٣٢. دار الحامد للنشر والتوزيع. عمان. الأردن. ط١. ٢٠١٣م.

[٢] حمادة، حسن محمد، تداخل النصوص في الرواية العربية. ص١٧. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. مصر. ط١. ١٩٩٧م.

[٣] الغذامي، عبد الله. الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية (قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر). ص٣٢٠-٣٢٢. النادي الأدبي الثقافي. جدة. المملكة العربية السعودية. ط١. ١٩٨٥م.

[٤] أنجينو، مارك. في أصول الخطاب النقدي الجديد. ص١٠٢. تر: أحمد المديني. دار الشؤون الثقافية. بغداد. العراق. ط١. ١٩٨٧م.

ويبقَى الدَّورُ الأكبرُ فِي وضعِ قواعدِ التَّناصِ ومتعلَّقاتِهِ لجوليا كريستيفا الَّتِي ارتبطَ التَّناصُ باسمِهَا، وقدْ أشارَتْ إلى أُصولِ التَّناصِ منْ خلالِ حديثِهَا عنْ تَصحيفيَّةِ دِي سُوسيرَ الَّتِي تشيرُ إلى تفكيكِ شَفراتِ التَّداخلاتِ النَّصِّيَّةِ للنُّصوصِ المُتشابهةِ، وهذهِ العَلاقةُ المُتبادلةُ تُعيدُ النُّصوصَ مرَّاتٍ عَديدةً فِي قوالبَ وسياقاتٍ جديدةٍ، ومشابهةٍ للسِّياقاتِ القديمةِ، وتصحيفيَّةِ دي سوسيرَ تشيرُ إلى امتصاصِ النُّصوصِ المُتعدِّدةِ داخلَ الرِّسالةِ الشِّعريَّةِ الَّتِي تقدِّمُ نفسَهَا من جهةٍ أُخرَى كونُهَا مُقدَّمةٌ منْ جهةِ معنًى معيَّنٍ، ويُعدُّ تداخلُ النُّصوصِ فِي الأدبِ القديمِ اندماجًا ناتجًا عنْ توارِدِ الخَواطرِ، وفِي الأدبِ الحَديثِ امتصاصٌ ناتجًا عنْ تأثيرِ المقروءِ على المُنتجِ الَّذِي أبدعَهُ الشَّاعرُ، فاستعانَ بغيرِهِ فِي هذا الإبداعِ[1]، وتبقَى للتَّناصِ علاقاتُهُ بمَا سبقَهُ ضمنَ ظَواهرَ.

[1] كريستيفا، جوليا. علم النص. ص٧٨-٧٩.

المبحثُ الثَّانِي

التَّناصُ وعلاقاتُهُ

بالإشارةِ إلى أُصولِ التَّناصِ فِي الأدبِ العربي عبرَ عصورِ ازدهارِهِ، وقبلَ تأثُّرِهِ بالأدبِ الغربي حديثًا، نجدُ أنَّ تعالقَ النُّصوصِ في الأدبِ العربي قديمًا تَمَّ تناولُهَا منْ خلالِ مصطلحاتٍ استخدمَهَا اللُّغويونَ والنُّقادُ، وكانَتْ تتشابُهُ إلى حدٍّ كبير بمصطلحِ التَّناصِ الغربي الأصلِ، ولذلكَ تمَّ إيرادُ التَّناصِ مِنْ خلالِ هذهِ العلاقاتِ الَّتِي يرتبطُ بهَا عبرَ تعالقِ النُّصوصِ الَّذِي ظهرَ فِي الأدبِ العربي منذُ العصرِ الجاهلي حتَّى العصرِ الحديثِ.

وسيتمُّ إبرازُ المُصطلحاتِ القديمةِ في الأدبِ العَربي ونقدِهِ، تلكَ الَّتِي أوردَهَا علماءُ اللُّغةِ والنُّقَّادِ فِي عصورِ ازدهارِ الأدبِ العَربي، إذْ أطلقُوا تلكَ المُصطلحاتِ للتَّناسبِ معْ إشكاليَّةِ تداخلِ النُّصوصِ، ولكنْ منهُمْ منْ بالغَ فِي ذلكَ مِنْ خلالِ اعتبارِ هذا التَّداخلِ والتَّشابِهِ سرقةٍ، ومنهُمْ مَنْ قالَ تَوارِدُ خواطرَ، ومنهُمْ مَنْ عَدَّهُ مِنْ حُسنِ الأخْذِ، ، وفريقٌ منهُمْ عدَّ ذلكَ توليدًا للنُّصوصِ القَديمةِ بِنصوصٍ جَديدةٍ مِنْ جِنسِهَا، وبعضُهُمْ قالَ إنَّ ذلكَ عِبارةً عَنْ تضمينٍ إنْ كانَ ضمنَ النُّصوصِ الأدبيَّةِ، أوِ اقتباسٍ إنَّ كانَ ضِمنَ النُّصوصِ الدِّينيَّةِ المقدَّسةِ، وأخيرًا أطلقُوا عليهَا نقائضَ ومعارضَاتٍ، وهيَ تلكَ النُّصُوصُ الَّتِي جاءَتْ مِنْ جنسٍ واحدٍ، ولكنَّ اللاحقَ تفوَّقَ على السَّابقِ، وبقيَ الفضلُ للسَّابقِ مِنْ جهةِ الإبداعِ، وحُسنُ الابتكارِ[1]. وسوفَ يتمُّ توضيحَهَا جميعَهَا عَلَى النَّحوِ التَّالِي:

أوَّلًا: التَّناصُ والسَّرقاتُ الشِّعريَّةُ

السَّرقاتُ الشِّعريَّةُ: ظاهرةٌ تتعلَّقُ بنسخِ بيتٍ مِن الشِّعر، ونسبُهُ لشَاعرٍ وهوَ ليسَ لهُ، وقدْ تمَّتِ مُناقشةُ هذهِ الظَّاهرةِ كَمعيارٍ أخلاقيٍّ لا معيارٍ نقديٍّ[2]، لأنَّ المسألةَ تتعلَّقُ بغصبٍ أوِ اختلاسٍ أوْ إغارةٍ كمَا كانَتْ تُسمَّى الظَّاهرةُ عَلى ألسنةِ النُّقَّادِ، وهيَ تسمياتٌ وقعَتْ قديمًا قبلَ الاتفاقِ على مُصطلحِ السَّرقاتِ الأدبيَّةِ.

[1] المغربي، حافظ. (د. ت) التناص وتحولات الخطاب الشعري المعاصر. ص١٣. دار المناهل. بيروت. لبنان. (د. ط).
[2] المصدر نفسه. ص١٦.

ويُعدُّ ابنُ رَشيقٍ القيراوِني أوَّلَ ناقدٍ تناولَ مصطلحَ السَّرقاتِ الشعَّريَّةِ بعدَ اطِّلاعِهِ عَلى أشعارِ العربِ عبرَ عصورِ الأدبِ المتتابعةِ، فاعتبرَ التَّداخلَ والتَّشابهَ بينَ النُّصوصِ لا يعدُو كونِها سرقاتٍ شعريَّةً، قامَ بهَا الشُّعراءُ اللَّاحقونَ فأخذُوا منَ الشُّعراءِ السَّابقينَ وبنُوا عَلى مَا سرقوهُ منهُم[1].

وقدْ أيَّدَ كلامَهُ ودعمَهُ منْ خلالِ إيرادِ آراءِ نقادٍ سبقوهُ وعاصرُوهُ فِي الموضوعِ نفسِهِ، فأشارَ إلى ما أشارَ إليهِ عبدُ القاهرِ الجرجانِي، إذْ قالَ:(**ولستُ تُعَدُّ مِنْ جَهابذةِ الكَلامِ، ولَا مِنْ نقَّادِ الشِّعرِ، حتَّى تَميَّزَ بينَ أصنافِهِ وأقسامِه، وتحيطُ علمًا برتبِهِ ومنازلِهِ، فتفصلُ بينَ السَّرقةِ والغصبِ، وبينَ الإغارةِ والاختلاسِ، وتعرفُ الإلمامَ منَ المُلاحظةِ، والتَّفرُّقُ بينَ المُشتركِ الَّذِي لا يجوزُ ادِّعاءُ السَّرقةِ فيهِ، والمُبتذلُ الَّذِي ليسَ لأحدٍ حقٌّ بهِ مَنَ الآخرِ، وبينَ المُختصِّ الَّذِي حازَهُ المُبتدِئُ فملكَهُ، واجتبَاهُ السَّابقُ فاقتطَعَهُ**)[2].

وأوردَ القيروانِي رأيًا للنَّاقدِ الجزائري عبدِ الكريمِ النَّهشلِي (ت:١٠١٤م) يقولُ فيهِ:(**السَّرقةُ فِي الشِّعرِ مَا نُقلَ مَعناهُ دونَ لفظِهِ، وأُبعِدَ فِي أخذِهِ، إلَّا عنْ مثلِ بيتِ امرئِ القيسِ وطَرَفَةَ بنِ العبدِ، إذْ لمْ يختلفْ إلَّا فِي الرَّوِي (تَجَمَّلِ، وَتَجَلّدِ)، وهذا يحتاجُ إلى دَليلٍ مِنَ اللَّفظِ معِ المعنَى، ويكونُ الغامضُ عندَهُمْ بمنزلَةِ الظَّاهرِ، وهُمْ قَليلٌ**)[3].

أمَّا النَّاقدُ التُّونسي ابنُ خُلدونَ (ت:١٤٠٦م) فقدْ أشارَ إلى السَّرقاتِ الشِّعريَّةِ فِي حديثِهِ عنِ الانتحالِ وذلكَ فِي مقدِّمتِهِ الخاصَّةِ بالشِّعرِ وصناعتِهِ، إذْ قالَ:(**إنَّ صِناعةَ الشِّعرِ تتطلَّبُ الحفظَ الغزيرَ قبلَ الكتابةِ، وعلَى قدرِ حفظِ الشِّعرِ تكونُ الصِّناعةُ، وأمَّا الانتحالُ فقدْ يكونُ ذلكَ نتيجةٌ لمَا حفظَهُ الشَّاعرُ مِنْ شعرِ غيرِهِ حفظًا جيِّدًا فيكرِّرُهُ فِي ثَنايَا شعرِهِ، وهذا التِّكرارُ طَبيعيٌّ بسببِ إعادةِ إنتاجِ مَا تمَّ تخزينُهُ فِي الذَّاكرةِ بقوالبَ أُخرَى، وقدْ تَرفَّعَ كبارُ**

[1] القيرواني، ابن رشيق. العمدة في صناعة الشعر ونقده. ج٢. ص٢٨٢.

[2] المصدر نفسه. ص٢٨٠.

[3] المصدر نفسه. ص٢٨١.

الشُّعراءِ عنِ انتحالِ الشِّعرِ)[1]، ولعلَّ ابنَ خلدونَ هُنا أرادَ الحديثَ عنِ التَّناصِ، ولكنْ بصيغةِ السَّرقاتِ الشِّعريَّةِ الَّتِي كانَتْ حديثَ النُّقَّادِ في ذلكَ العصرِ.

وخُلاصةُ ما انتهَى بهِ قُدامَى النَّقَّادِ مِن أُصولٍ في تحديدِ السَّرقاتِ الشِّعريَّةِ مِن غيرِهَا، مَا يلي:

١. أنَّ السَّرقةَ لا تكونُ في المَعانِي العامَّةِ الشَّائعةِ بينَ النَّاسِ، والمشهورةِ عَلى أَلسنتِهِم.
٢. أنَّ السَّرقةَ لا تكونُ إلَّا في المَعانِي الخَاصَّةِ الَّتِي ابتدعَهَا الشَّاعرُ، وأصبحَتْ مرتبطةً بهِ.
٣. أنَّ مبتكرَ الفَنِّ الأدَبِي أوِ الصُّورةِ الفَنيَّةِ أوِ المعنَى العَميقِ مُفضَّلٌ عَلى سائرِ الآخذينَ عنهُ.
٤. أنَّ الَّذِي يأخذُ معنًى مِن غيرِهِ فيزيدُ عليهِ بتوليدِهِ بقالبٍ جديدٍ مثلُهُ أوْ أفضلَ منهُ لا يُعدُّ سارقًا.
٥. أنَّ الَّذِي يأخذُ معنًى ويعكسُهُ أوْ يعملُ ضدَّهُ نقيضًا لهُ، لَا يُعدُّ سَارقًا[2].
٦. أنَّ الَّذِي يأخذُ اللَّفظَ والمَعنَى مِن غيرِهِ، ويشوّهُ جمالَهُ أوْ يُصبُهُ فِي قَالبٍ غيرِ مُناسبٍ لهُ؛ يُعدُّ سارقًا ولزمَهُ عيبُ السَّرقةِ ومذمَّةِ القُصورِ.

ثانيًا: التَّناصُ وحُسنُ الأَخذِ

ليسَ أخذُ لفظٍ أوْ معنًى أوْ كلاهُمَا مِن قصيدةٍ جَميلةٍ، إلَّا بهدفِ تَدعيمِ القَصيدةِ الجَديدةِ، وإحياءِ المأخوذِ.

وأشارَ النَّاقدُ الفَارسي أَبو هِلالٍ العَسكري (ت:١٠٠٤م) إلى السَّرقاتِ مِن خِلالِ اعتبارِهَا ضمنَ حسنِ الأخذِ، إذْ قالَ فِي كتابِهِ الصِّناعتينِ:**(ليسَ لأحدٍ منْ أصنافِ القائلينَ غِنًى**[3]

[1] ابن خلدون، ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد. مقدمة ابن خلدون. مج٢. ص٤١٣. تح: عبد الله الدرويش. دار البلخي. دمشق. ط١. ٢٠٠٤م

[2] شعيب، محمد عبد الرحمن. المتنبي بين ناقديه. ص١٨٩. ط١. ١٩٦٤م. دار المعارف. القاهرة. مصر.

[3] العسكري، أبو هلال، الصناعتين، ص١٩٦.

عنْ تَناولِ المَعانِي ممَّنْ تَقدَّمَهُمْ والصَّبِّ عَلى قَوالبَ مَنْ سَبَقَهُمْ، ولكنْ عَليهِمْ ـ إنْ أَخذُوهَا ـ أنْ يَكسَوهَا ألفاظًا مِنْ عندِهِم، ويبرزوهَا في معارضَ مِنْ تأليفِهِم، ويوردُوهَا فِي غيرِ حِليتِهَا الأُولَى، ويزيدُوهَا في حسنِ تأليفِهَا، وجودةِ تركيبِهَا، وكمالِ حِليتِهَا ومعرضِهَا، فإنْ فَعلُوا ذلكَ فهُمْ أحقُّ بهَا ممَّنْ سَبقَ إليهَا، ولوْ أنَّ القَائلَ يُؤدِّي مَا سَمِعَ؛ لمَّا كانَ في طَاقتِهِ أنْ يقولَ، وَإنَّمَا ينطقُ الطِّفلُ بعدَ استماعِهِ مِنَ الآخرينَ)[1].

ومِنْ حُسنِ الأخذِ مَا أخذَهُ الشَّاعرُ الجاهلِي النَّابغةُ الذِّبيانِي (ت:٦٠٤م) عَنِ الشَّاعرِ الجَاهلي وهبِ بنِ الحَارثِ بنِ زهرةَ (٥٩٨هـ)، حينَ قالَ:

تَبْدُو كَوَاكِبُهُ وَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ تَجْرِي عَلَى الْكَاسِ مِثْلَ الصَّبِّ وَالْمَقَرِ

وَقَالَ النَّابِغَةُ الذِّبْيَانِي آخِذًا مِنْهُ:

تَبْدُو كَوَاكِبُهُ وَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ لَا النُّوْرُ نُوْرٌ وَلَا الْإِظْلَامُ إِظْلَامُ[2]

واستقبحَ العَسكرِيُّ الأخذَ الَّذِي يأتِي منسوخًا دُونَ تَغييرٍ إلَّا فِي كلمةٍ واحِدةٍ فقطْ، كمَا جاءَ في كتابِهِ عَنْ تَوافقِ بيتٍ مِنَ الشِّعرِ لامرئِ القَيسِ وطرَفةَ بنِ العبدِ إذْ أخذَ طَرفَةُ عَنِ امرئِ القيسِ فِي مُعلَّقتَيهِمَا[3]، فقالَ امرؤُ القَيسِ:

وُقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيُّهُمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسًى وَتَجَمَّلِ[4]

وقَالَ طرَفةُ بنُ العبدِ:

وُقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيُّهُمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسًى وَتَجَلَّدِ[5]

فلمْ تتغيَّرْ سِوى كَلمةِ الرَّوي فقطْ، وظَلَّ البيتُ كمَا هوَ.

---

[1] المصدر السابق. ص١٩٧.

[2] النابغة الذبياني. ديوانه النابغة الذبياني. ص١٤. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف. القاهرة. ط٢. ٢٠٠٩م.

[3] العسكري، أبو هلال. الصناعتين. ص١٩٦.

[4] امرؤ القيس. ديوان امرئ القيس. ص٩. القسم الأول. رواية الأصمعي عن الأعلم الشنتمري.

[5] طرفة بن العبد، ديوان طرفة بن العبد، ص١٩.

ثالثًا: التَّناصُ وتَواردُ الخَواطرِ

مصطلحُ توارِدِ الخَواطرِ هوَ مصطلحٌ بديلٌ حلَّ محلَّ مصطلحِ السَّرقاتِ الشِّعريَّةِ، فقدْ سُئلَ أبو العَلاءِ المعريّ عنْ شَاعرينِ يتَّفقانِ عَلى لفظٍ واحدٍ ومعنًى واحدٍ، فقالَ: **(عُقولُ رجالٍ توافقَ عَلى ألسنتِهَا)**، وقيلَ للمُتنبّي: معنَى بيتِكَ هذا أُخذَ مِن الطَّائِي، فقالَ:**(الشِّعرُ جَادَّةٌ وربَّمَا وقعَ حَافرٌ عَلى حَافرٍ)**، وهذانِ الرَّأيانِ يُؤكّدانِ وقوعَ تَوارِدِ الخَواطرِ حتَّى مَعْ كِبارِ الشُّعراءِ، وقدْ أُطلقَ عليهِ (التَّناصُ اللَّاواعِي)، في حينِ أنَّ التَّناصَ الواعي هوَ الَّذِي يكونُ ناتجًا عنْ تأثيرِ شاعرٍ فِي شاعرِ آخرَ، ممَّا يجعلُهُ يكرّرُ ألفاظَهُ ومعانيهُ فِي قصائدِهِ[1].

ونفَى النَّحْوي الفَارسِي عبدُ القَاهرِ الجرجانِي (ت:١٠٧٨م) وجودَ سرقةٍ في الشِّعرِ إلَّا ما كانَ منسوخًا، وذلكَ لأنَّ مكارمَ الأخلاقِ كانَتْ صِفةً غالبةً فِي ذلكَ العصرِ، فاعتبرَ الجرجانِي أنَّ التَّوافقَ فِي الأبياتِ الشِّعريَّةِ بينَ شاعرينِ (سابقٍ ولاحقٍ) مردُّهُ إلى توارِدِ الخَواطرِ، خاصَّةً في العَصرينِ الأُمويّ والعَباسِي، إذْ كانَ الشِّعرُ أنذاكَ معبّرًا عَنِ الوجدانِ وصادقًا، ولكنَّ فنِّي المدحِ والرِّثاءِ يَحتاجانِ إلى صدقِ المَشاعرِ، والصِّدقِ في نقلِ الرَّوايةِ يُعدُّ صفةً مهمَّةً، حتَّى لا يكونُ المدحُ والرِّثاءُ فيهمَا مبالغةً، وذكرُ الممدوحِ أوِ المَرثِي بمَا ليسَ فيهِ مِنْ بابِ كسبِ مشاعرِ النَّاسِ تجاهُهُ[2].

لذلكَ يُعدُّ الجرجانِي واحدًا مِنَ الَّذِينَ نفُوا السَّرقاتِ الشِّعريَّةِ، ولكنَّهُ أشارَ إلى وجودِ قَليلٍ منهَا يكونُ منسوخًا نسخًا، وهَذا يحتاجُ إلى أدلَّةٍ وافيةٍ، لذلكَ اعتبرَ أنَّ تشابهَ النُّصوصِ بينَ سَابقٍ ولاحقٍ مردُّهُ إلى توارِدِ الأفكارِ والتَّأثيرِ المَشاعري بينَ الشَّاعرينِ، وما ذكرَهُ طهَ حسين مِنِ اعتبارِ الشِّعرِ الجَاهلِي منحولًا معْ ذكرِهِ لأدلَّةٍ غيرِ واقعيَّةٍ يؤكّدُ خطأَ هذا الرَّأي[3]. وعليهِ، فإنَّ أصولَ التَّناصِ بدأَتْ منْ خلالِ التَّشكيكِ فِي النُّصوصِ المُتشابهةِ لفظًا ومعنًى، أوْ لفظًا دونَ المَعنى، أوْ معنًى دونَ لفظٍ، إذْ عدَّ بعضُ النُّقَّادِ _ وعَلى رأسِهِمْ أَبو رَشيقٍ القِيروانِي _ أنَّ ذلكَ سَرقةً.

---

[1] شعيب، محمد عبد الرحمن. المتنبي بين ناقديه. ص١٨٦-١٨٧.

[2] الجرجاني، عبد القادر. أسرار البلاغة. ص٢٤. تح: محمود شاكر. منشورات دار المدني. جدة. السعودية.

[3] المصدر نفسه. ص٢٥- ٢٦.

ونفَى الجِرجانِي وجودَ سَرقاتٍ شِعريَّةٍ إلَّا مَا كانَ نسخًا، وعَدَّ التَّشابُهَ بينَ نَصَّينِ سابقٍ ولاحقٍ، قدْ يكونُ مردُّهُ إلى توارِدِ الخَواطرِ[1].

وفِي مسألةِ حُسنِ الأخذِ فقدْ أوردَ أَبو هِلالٍ العَسكري فكرةَ حُسنِ الأَخذِ مِنْ خِلالِ تَفوُّقِ اللَّاحقِ عَلى السَّابقِ فِي الألفاظِ أوِ المَعانِي الَّتِي أخذَهَا أوْ كِلاهُمَا معًا[2].

وكمَا يسلِّمونَ ببراعةِ مُبتكرِ المَعنى الجَديدِ، كذلكَ يُسلِّمونَ ببراعةِ الآخذِ[3]، فالَّذِي يَأخذُ معنًى مِنْ غيرِهِ ويُحسنُ وضعَهُ فِي قَالبٍ جَديدٍ فإنَّمَا هوَ أحيَا هَذا المَعنى مِن جهةٍ، ودعمَ فكرتَهُ بهِ فأحسنَ الأخذَ والدَّعمَ.

رابعًا: التَّناصُ وَالتَّوليدُ

المقصودُ بهذا المُصطلحِ :**(أنْ يَستخرجَ الشَّاعرُ المُولِّدِ معنًى مِن معنَى شَاعرٍ تقدَّمَهُ أوْ يزيدُ فيهِ زيادةً مَلحوظةً)**، وهذا التَّوليدُ جاءَ كَذلكَ لنفِي السَّرقةِ واستبعادِهَا خاصَّةً فِي المعانِي، وتُعرفُ هذهِ الظَّاهرةُ كذلكَ بالإبداعِ لأنَّ اختيارَ معنًى مشهورٍ ومؤثِّرٍ، وتوليدَ معنًى آخرَ منهُ يُعدُّ ذلكَ إحياءً لهُ، وكذلكَ إبداعًا فِي اختيارِهِ، والأتيانِ بمعنًى آخرَ منهُ ربمَّا يكونُ أقوى مِنهُ أوْ نظيرَهُ، وبعضُ النُّقّادِ ممَّنْ تَعنيهُمْ مذاقةُ الحروفِ، وسلامةُ التَّراكيبِ، وعذوبةُ الأساليبِ، يجعلونَ المُبدعَ أَولى بالمَعنَى مِنَ المُخترعِ، وأحقُّ بهِ مِنَ المُبتكرِ[4].

ومِنَ المعانِي المُبتدعَةِ قولُ أَبي تمَّام:

لَا تَنْكِرُوا ضَرْبِي لَهُ مِنْ دُونِهِ مَثَلًا شَرُودًا فِي النَّدَى وَالْبَاسِ

فَاللَّهُ قَدْ ضَــرَبَ الأَقَـلَّ لِنُـورِهِ مَثَــلًا مِنَ الْمِشْــكَاةِ وَالنِّبْرَاسِ[5]

---

[1] الجرجاني، عبد القادر. أسرار البلاغة. ص٢٧.

[2] العسكري، أبو هلال. الصناعتين. ص١٩٨.

[3] شعيب، محمد عبد الرحمن. المتنبي بين ناقديه. ص١٨٧.

[4] بدوي، أحمد أحمد. أسس النقد الأدبي عند العرب. ص٣٧٥. دار نهضة مصر. القاهرة. مصر. ط١. ١٩٩٦م

[5] أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي. ديوان الحماسة برواية: أبو منصور موهوب الجواليقي. ص٢٧٨. تح: أحمد حسن بسج. منشورات محمد علي بيضون. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط١. ١٩٩٨م.

وهذا المَعنَى مَخصوصٌ قدْ ابتدعَهُ أَبو تمَّام، ورُبَّمَا تَكرَّرَ عَلى أَلسنِةِ شُعراءَ كُثُرٍ بعدَهُ، ولكنْ فِي البيتِ الثَّانِي جاءَ التَّشبيهُ مِنَ القُرآنِ الكَريمِ، والمَعنَى الأصيلِ فيهِ، ومِنْ هُنَا عَدَّهُ بَعضُ النَّقَّادِ سَرِقَةً، إلَّا أَنَّ الشَّائعَ أنَّ الأَخذَ الحَسنَ إِذَا جاءَتْ عليهِ زِيادةٌ، ولَمْ يكُنْ تكرارًا للمعنَى بلْ تمَّ صَبُّهُ فِي قَالبٍ جديدٍ، وبصورةٍ جَميلةٍ.

خامسًا: التَّناصُ وَالتَّضمينُ

المقصودُ بالتَّضمينِ: أنْ يُضمِّنَ الشَاعرُ شعرَهُ آيةً مِنَ القُرآنِ الكريمِ أوْ عِبارةً مِنَ الحَديثِ الشَّريفِ أوِ مِنَ القَولِ المَأثورِ، أوْ مِنَ الحِكَمِ والمَواعظِ المَشهورةِ، أوْ مِنْ شِعرِ الشُّعراءِ السَّابقينَ لهُ، ممَّنْ هُمْ مِنْ حُكَماءِ الشِّعرِ، بحيثُ يكونُ النَّصُّ المُضمَّنُ متَّفقًا معِ النَّصِّ المُضمِّنِ لهُ، وقدْ يكونُ التَّضمينُ كلِّيًّا، أوْ جُزئيًّا، وَ**التَّضمينُ الكلِّيُّ:** ذكرُ العبارةِ أوِ النَّصِّ كاملًا ووضعِهِ بينَ قوسينِ، و**التَّضمينُ الجُزئيُّ:** ذكرُ العبارةِ مفرَّقةٌ ضمنَ البيتِ الشِّعري، وهُنا لا تُوضعُ بينَ قوسينِ لأنَّهُ تخلَّلهَا كَلامُ الشَّاعرِ، والتَّضمينُ إمَّا حَسنٌ وَإمَّا مُعيبٌ، فالحَسنُ مَا يَكتسبُ بهِ اللِّسانُ حَلاوةً، والكلامُ طلاوةً، وإنْ كانَ مُبتذلًا وغيرَ مُتَّفقٍ مَعِ العِبارةِ المُضمَّنةِ فهوَ مُعيبٌ، ويُعدُّ مِنْ عُيوبِ الشِّعرِ[1].

ولَا عَلاقةَ للتَّضمينِ بِالسَّرقةِ، لأنَّهُ مِنَ المَفروضِ أنْ يضعَ الشَّاعرُ النَّصَّ الَّذِي ضَمَّنهُ بينَ قوسينِ، وإنْ لمْ يضعْهُ فذلكَ تضمينٌ جُزئيٌّ، كمَا أنَّ فِي التَّضمينِ إمَّا تَصريحٌ أوْ تَلميحٌ، وفِي الحَالتينِ تكونُ النُّصوصُ الَّتِي تمَّ تَضمينُهَا مشهورةً ومعروفةً[2].

والتَّضمينُ فِي النُّصوصِ الدِّينيَّةِ يُفضَّلُ أنْ يكونَ للنَّصِّ كَاملًا، ويتمُّ إدراجُهُ إدراجًا معْ إشارةٍ بذلكَ، وأمَّا إنْ كانَ جُزئيًّا فالأفضلُ أنْ يكونَ فِي بيتٍ واحدٍ مِن الشَّعرِ، لا فِي بيتينِ كمَا هوَ الحَالُ فيمَا يُسمَّى تضمينُ الإسنادِ، وهوَ مُعيبٌ عندَ كثيرٍ مِنَ النُّقَّادِ، معْ أنَّهُ لَا عيبَ فيهِ سِوى أنَّهُ يذوبُ فِي البيتِ الشِّعريِّ فيكونُ أقربَ إلى التَّلميحِ منهُ إلى التَّصريحِ، فإذَا كانَ

[1] ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين الموصلي. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. ج٢. ص٣٢٣. تح: محمد محي الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية. صيدا. لبنان. ط١. ١٩٩٠م.

[2] بوترعة، الطيب. التناص في الشعر الجزائري المعاصر (دراسة). ص٢٦. كلية الآداب. جامعة وهران. الجزائر. ط١. ٢٠١٠/٢٠١١م.

المعنَى الَّذِي جاءَ مناسبًا لهُ، ومتَّفقًا معهُ، يُشيرُ إلى عمقِ الفكرةِ، وحُسنِ التَّأتّي، فإنَّ هذا التَّضمينُ وإنْ كانَ تَضمينَ إسنادٍ يُعدُّ مِنَ التَّضمينِ الحَسنِ[1].

ومِنَ الأمثلةِ عَلى التَّضمينِ الكُلّيِّ، قولُ الشَّاعرِ العَبَّاسِي أَبي نُوَّاسٍ (ت:٨١٤م) في الخَمريَّاتِ:

حِيريَّةٌ كَشُعاعِ الشَّمسِ صَافيةً تَطِيرُ بِالْكَأْسِ مِنْ لَأْلَائِهَا شُعَلُ

فَقَالَ هَـاتِ وَغَنِّينَـا عَلَى طَرَبٍ وَدِّعْ هُـرَيرَةَ إِنَّ الـرَّكْبَ مُرْتَحِلُ[2]

فعَجُزُ البيتِ الثَّانِي هوَ صَدْرُ البيتِ الأَوَّلِ مِنْ معلَّقةِ الشَّاعرِ الجَاهلِي الأَعشَى (ت:٦٢٥م) الَّتِي مطلعُهَا:

وَدِّعْ هُرَيرَةَ إِنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلُ وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ[3]

وهذا يُعدُّ مِنَ التَّضمينِ الكَاملِ، فسواءٌ كانَ البَيتُ جَميعُهُ أوْ أحدُ شطريهِ فهوَ تَضمينٌ كَاملٌ؛ لذلكَ وجبَ وضعُهُ بينَ قوسينِ، وإنَّ عدمَ وضعِهِ بينَ قَوسينِ يُعدُّ سَرقةً، وهوَ مُصنَّفٌ ضِمنَ سَرقاتِ أَبِي نُوَّاسٍ.

وأمَّا التَّضمينُ مِنْ كِتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ، الّذِي يُطلقُ عليهِ اقتباسٌ كذلكَ كمَا سنبيّنُ فيمَا بعدُ، فقدْ وردَ فِي خُطَبِ ابنِ نباتَهْ عبدِ الرَّحمنِ بنِ محمَّدٍ الفَارقَي الحلبِي (ت:٩٨٤م)، وكانَ خطيبًا مشهورًا زَمنَ الدَّولةِ الحَمدانيَّةِ، إذْ قالَ فِي إحدَى خُطَبِهِ:(**هناكَ يقعُ الحِسابُ على مَا أحصاهُ اللهُ كتابًا، وتكونُ الأعمالُ المَشوبةُ بِالنِّفاقِ سرابًا، يومَ يقومُ الرُّوحُ والمَلائكةُ صفًّا لَا يتكلَّمُونَ إلَّا مَنْ أَذِنَ الرَّحمنُ وقالَ صَوابًا**)[4]، فالعبارةُ الأخيرةُ تضمينٌ مِنْ كتابِ اللهِ أوِ

[1] ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين الموصلي. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. ج٢. ص٣٢٣.

[2] أبو نواس، أبو علي الحسن بن هانئ. ديوان أبي نواس. ص٤١٥. تق: علي فاعور. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط١. ١٩٧١م.

[3] الأعشى، ميمون بن قيس، ديوان الأعشى الكبير. ص. تح: محمد حسين. مكتبة الآداب. القاهرة. مصر. ط١. ١٩٧٤م.

[4] ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين الموصلي. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. ج٢. ص٣٢٨.

اقتباسٍ مِنْ سُورةِ النَّبأ فِي قولِهِ تعالَى:"**يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا**"[1]، وهذا النَّوعُ منَ التَّضمينِ يُعدُّ تَضمينًا كاملًا، لأنَّ الآيةَ وردَتْ كاملةً ضمنَ السِّياقِ، ولمْ يتخللَّهُا كلماتُ غريبةٌ أوْ دَخيلةٌ، معِ الإشارةِ إلى أنَّ هذا النَّوعَ يُعدُّ اقتباسًا كمَا بيَّنَهُ كثيرٌ مِنَ العُلماءِ وَالنُّقَّادِ، وعَلَى رَأسهِمْ عَبدُ القَاهرِ الجرجانِي.

والعلاقةُ بينَ التَّناصِ والتَّضمينِ هيَ علاقةٌ تَطوريَّةٌ، إذْ إنَّ التَّناصَ هوَ الشَّكلُ الأخيرُ الَّذِي وصلَ إليهِ التَّضمينُ، والتَّضمينُ أقلُّ شُموليَّةً، إذْ إنّهُ يُركِّزُ عَلى اللَّفظِ والمَعنَى كَاملًا أوْ جزئيًّا، فِي حينِ أنَّ التَّناصَ يشتملُ عَلى المَعنَى مُنفصلًا عَنِ اللَّفظِ أوِ اللَّفظِ مُنفصلًا عَنْ المعنَى أوِ اللَّفظِ والمعنَى معًا، وقدْ تَرِدُ العِبارةُ كمَا هيَ في التَّناصِ والتَّضمينِ، وقدْ تَرِدُ مُتقطِّعةً فِي التَّناصِ ولَا تَرِدُ مُتقطِّعةً فِي التَّضمينِ، وعليهِ، فإنَّ التَّناصَ هوَ آخرُ مَا وصلَ إليهِ الاشتراكُ فِي النُّصوصِ بينَ شَاعرٍ أوْ أديبٍ مُتقدِّمٍ مَعْ شَاعرٍ أوْ أَديبٍ مُتأخِّرٍ بِهدفِ إحياءِ النَّصِّ القَديمِ، ورفعِ شَأنِ النَّصِّ الحَديثِ بِتضمينهِ النَّصِّ القَديمِ المشهورِ.

سَادسًا: التَّناصُ وَالاقتباسُ

الاقتباسُ لغةً: مِن القَبَسِ أيْ شُعلةٌ مِن نَارٍ، أوْ جَذوةٍ، وَاقتبَسَ نَارًا أيْ اتَّخذَهَا لِلإضاءةِ، ومثلِهَا اقتبسَ علمًا، واتّخاذُ النَّارِ لِلإضاءةِ بِمثابةِ النُّورِ فِي الظَّلامِ، كَاتّخَاذِ العِلمِ فِي ظِلِّ الجَهلِ، والقَبسُ الخَبرُ[2].

والاقتباسُ اصطلاحًا: تضمينُ الشِّعرِ أوِ النَّثرِ آيةً قرآنيَّةً أوْ حَديثًا نبويًّا عَلى أنْ لَا يُقالُ قَالَ تَعالَى أوْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَحِينئذٍ لَا يَكونُ اقتباسًا[3].

---

[1] سورة النبأ. آية رقم: ٣٨.

[2] ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين. لسان العرب. مج٦. ص١٦٧. دار صادر، بيروت _ لبنان.

[3] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. الإتقان في علوم القرآن. ص٣٨٦. تح: أبو الفضل إبراهيم. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. مصر. (د.ط). ١٩٧٤م.

فالاقتباسُ إذنْ خاصٌّ بِآياتٍ مِنَ القرآنِ الكَريمِ، ونُصوصٍ صَحيحةٍ مِنْ أحاديثِ رَسولِ اللهِ ﷺ، وهوَ تَضمينٌ كَذلكَ، ولكنْ مُقتصَرٌ عَلى النُّصوصِ المُقدَّسةِ، ولِلاقتِباسِ أَنواعٌ، منهَا: (مقبولٌ أوْ مُباحٌ أو} مُردودٌ).

فَالأَوَّلُ: نوعٌ لا يخرجُ بهِ المُقتبِسُ فِي اقتباسِهِ عنْ معناهُ الأصليّ، أيْ يكونُ موافقًا لمعنَى الآيةِ وسياقِهَا كمَا وردَتْ فِي القُرآنِ الكريمِ[1]، كَقولِ الأديبِ البَصْري الحَريرِي (ت:١٠٥٤م): **(فلَمْ يكُنْ إلَّا كَلمحِ البَصرِ أوْ أقربَ حتَّى أنشدَ فأغربَ)**[2]. فقدْ اقتبسَ عبارتَهُ مِنَ الآيةِ القرآنيَّةِ:" **وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**"[3]، وهذا النَّوعُ مِنَ الاقتباسِ مُقبولٌ؛ لِأَنَّهُ لمْ ينقلِ الآيةَ، ولمْ يَستخدمْهَا فِي المَعنَى نفسِهِ.

وَالثَّانِي: نوعٌ يخرجُ بهِ المُقتَبِسُ فِي اقتباسِهِ عَنْ معناهُ الأصليّ، أيْ أنْ يكونَ غيرَ مُوافقٍ لمعنَى الآيةِ وسياقِهَا كمَا وردَتْ فِي القُرآنِ الكَريمِ[4]، كَقولِ الشَّاعرِ العَبَّاسِي ابنِ الرُّومِي (ت:٨٩٦م):

لَئِنْ أَخطَأَتَ فِي مَدْحِي كَمَا أَخْطَأْتَ فِي مَنْعِي

لَقَدْ أَنْــزَلْتَ حَـاجَـاتِي بِــوَادٍ غَيْــرِ ذِي زَرْعِ[5]

وَالثَّالثُ: نوعٌ يتمُّ فيهِ تَغييرُ لفظِ المُقتَبَسِ منهُ: بزيادةٍ أوْ نُقصانٍ أوْ تَقديمٍ أوْ تَأخيرٍ، أوْ إبدالِ الظَّاهرِ مِنَ المُضمرِ[6]، ومِثالُ ذلكَ عَلى التَّقديمِ والتَّأخيرِ قَولُ الشَّاعرِ الأندلسي المُعتَمدُ بنُ عبَّادٍ (آخرُ مُلوكِ بَنِي عَبَّادٍ فِي الأندلسِ) (ت:١٠٩٥م)[7].

---

[1] الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله. خزانة الأدب وغاية الأرب. ج٢. ص٤٥٥. تح: عصام شقيو. ، دار ومكتبة الهلال. بيروت. لبنان. (د.ط) ٢٠٠٤م).

[2] الحريري، أبو محمد القاسم بن علي. مقامات الحريري. ص٣٢. مطبعة المعارف. بيروت. لبنان. (د. ط). ١٩٧٣م.

[3] سورة النحل. آية رقم: ٧٧.

[4] الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله. خزانة الأدب وغاية الأرب. ج٢. ص٣٨٣.

[5] ابن الرومي، أبو الحسن علي بن العباس. ديوان ابن الرومي. ج٢. ص٣٩٤. شرح: أحمد حسن بسج. منشورات محمد علي بيضون. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط٣. ٢٠٠٢م.

قَالَ لِيْ إِنَّ رَقِيْبِي سَيْءُ الْخُلْقِ فَدَارِهِ

قُلْتُ دَعْنِي وَجْهَكَ الْجَنَّةُ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ[1]

فعبارةُ (**الْجَنَّةُ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ**) مُقتبسَةٌ مِنَ الحديثِ النَّبويّ الشَّريفِ المَرويّ عَنْ أَنسِ بنِ مَالكٍ (رَضِيَ اللهُ عنهُ) عَنْ رَسولِ اللهِ ﷺ :(**حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارِ بِالشَّهَوَاتِ**)[2].

وهناكَ أَمثلةٌ كَثيرةٌ عَلَى الاقتباسِ مِنَ القُرآنِ الكَريمِ أوِ الحَديثِ الشَّريفِ.

وقدْ اختلفَ العُلماءُ واللُّغويونَ فِي جَوازِ الاقتباسِ مِنْ عَدَمِهِ لِمَا فِي ذلكَ تَشبيهُ كَلامِ اللهِ بِكلامِ البَشرِ، لِذلكَ ذَهَبُوا إلى منعِهِ وتحريمِهِ[3].

وقدْ نسبَ العَلَّامةُ الشَّافعِي المِصري جَلالُ السِّيوطِي (ت:١٥٠٥م) هذا الرَّأيَ إليهِ فِي ألفيَّتِهِ (عُقودُ الجُمانِ)، إذْ قالَ:

مِنْ ذَاكَ الاقْتِبَاسِ إِنْ تَضَمَّنَا مِنَ القُرْآنِ وَالْحَدِيْثِ مَا عَنَى

قُلْتُ وَمَا حُكْمُهُ فِي الشَّرْعِ فَمَا لَكَ مُشَدِّدٌ فِي المَنْعِ[4]

وذهبَ القاضِي البَصْري أبو بَكرٍ البَاقلَّانِي (ت:١٠١٣م) إلى كَراهيَّةِ الاقتباسِ مِنَ القُرآنِ الكَريمِ والحديثِ الشَّريفِ فِي الشِّعرِ، وجوازِ ذلكَ فِي النَّثرِ[5].

---

[6] المصدر نفسه. ص٤٥٦-٤٥٧.

[7] القزويني، جلال الديم أبو عبد الله محمد. الإيضاح في علوم البلاغة. ص٣٨٢. دار إحياء العلوم. بيروت. لبنان. ط٤. ١٩٩٨م.

[1] ابن عباد، المعتمد، ديوان المعتمد بن عبّاد. ص٧٦. تح: أحمد بدوي وحامد عبد المجيد. المطبعة الأميرية. القاهرة. مصر. ط١. ١٩٥١م.

[2] ابن حبان، البستي. صحيح ابن حبان. ص٧١٦. تح: أحمد شاكر. دار المعارف. القاهرة. مصر. ط١. ١٩٥٢م

[3] السيوطي، جلال الدين. عقود الجمان في علم البلاغة والبيان. ج١. ص٣٨٦. تح: إبراهيم الحمداني وأمين الحبار. دار الفكر. بيروت. لبنان. ط٢. ١٩٥٥م.

[4] السيوطي، جلال الدين. شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، وبهامشه: حلية اللب المصون على الجوهر المكنون للشيخ أحمد الكمنهوري. ص١٦٥-١٦٦. طبعة دار الفكر. بيروت. لبنان. (د. ت).

[5] الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله. البرهان في علوم القرآن. ص٤٨٣. تح: محمد أبو الفضل إبرهيم. دار إحياء الكتب العربية، بيروت. لبنان. ط١. ١٩٥٧م.

واتَّفقَ معهُ فِي الكَراهيَّةِ العَلَّامةُ المِصريُّ بهاءُ الدِّينِ السُّبكِيُّ (ت: ١٣٧٢م)، إذْ يرى أنَّ تركَ الاقتباسِ مِنَ الوَرعِ، ولمْ يُصرِّحْ بِالتَّحريمِ صَراحةً، وخَاصَّةً إذَا كانَ عَلى شكلِ اقتطاعِ آيةٍ مِنَ القُرآنِ الكريمِ بِنصِّهَا كمَا هِيَ، واعتبرَ ذَلِكَ الفِعلَ لا يناسبُ المُتَّقينَ[١]، ومثَّلَ عَلى ذلكَ بمَا نُسبَ إِلى الصَّاحبِ بنِ عَبَّادٍ (ت:٩٩٥م) الَّذِي قَالَ:

كَتَبَ الْمَحْبُوبُ سَطْرًا فِي كِتَابِ اللهِ مَوْزُون

لَنْ تَنَالُوا البِـرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّـــا تُحِبُّون[٢]

وعلى منعِ الاقتباسِ مِنَ القرآنِ الكريمِ فِي الشِّعرِ، تنزيهُ القُرآنِ الكريمِ المُنزَّلِ مِنْ عِندِ اللهِ تعالَى عَنْ تَشبيهِهِ بِالشِّعرِ، وتبرئةِ الرَّسولِ ﷺ مِن اتِّهامِهِ بالشَّاعرِ، فقدْ اتَّهمَهُ المشركونَ بذلكَ، وتنزَّلَتْ الآياتُ فِي تنزيهِ القُرآنِ عَنِ اعتبارِهِ شعرًا، وَتأكيدِ براءةِ الرَّسولِ ﷺ مِنْ قولِ الشِّعرِ، إذْ قالَ تَعالَى فِي سُورةِ الحَاقَّةِ:"**وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيْلًا مَا تُؤْمِنُوْنَ**"[٣]، وكذلكَ فِي سُورةِ الطُّورِ:"**أَمْ يَقُوْلُوْنَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُوْنِ**"[٤]، وهذا خاصٌّ بِالشِّعرِ، أمَّا النَّثرُ فيجوزُ الاقتباسُ فِيهِ كَشواهدَ عَلى صِدقِ القَولِ، فالآياتُ القُرآنيَّةُ وَالأحاديثُ النَّبويَّةُ تَأتِي فِي سِياقِ النَّثرِ كَبراهينَ سَاطعةٍ حولَ مَا يُطرَحُ مِنْ رَأي فقهيٍّ أوْ فكريٍّ أوْ عِلميٍّ[٥].

وبناءً على ما سَبقَ مِنْ وُقوعِ الاقتباسِ بينَ التَّحريمِ وَالكراهيَّةِ وَالورعِ، يمكنُ القولُ أنَّ تضمينَ آياتٍ صريحةٍ كمَا هِيَ مِنَ القُرآنِ الكَريمِ فِي الشِّعرِ غَيرَ مَقبولٍ، وذلكَ لورودِ أدلَّةٍ مِنَ القُرآنِ الكَريمِ تثبتُ بُعدَ القُرآنِ الكَريمِ عَنِ الشِّعرِ، وترفُّعَ الرَّسولِ ﷺ عنْ قَولِ الشِّعرِ، وذلكَ لقولِهِ

---

[١] السبكي، أبو حامد بهاء الدين أحمد بن علي. جمال القراء وكمال الإقراء. ج٢. ص٣٣٤. تح: عبد الحق عبد الدايم سيف القاضي. مؤسسة الكتب الثقافية. بيروت. لبنان. ط١. ٢٠٠٣م.

[٢] لم أعثر على البيتين في ديوان الصاحب بن عبّاد، وهما منسوبان إليه، وقد وردا في كتاب السبكي (جمال القراء وكمال الإقراء). ج٢. ص٣٣٤.

[٣] سورة الحاقة. آية رقم: ١٥.

[٤] سورة الطور. آية رقم: ٣٠.

[٥] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. الحاوي للفتاوي. ج١/ ص٢٦٦. تح: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط١. ٢٠٠٠م.

تعالَى فِي سُورةِ الطَّارقِ:"**إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ، وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ**"[1]، وكَذلكَ مِنْ بابِ تَعظيمِ كَلامِ اللهِ وشعائرِهِ لقولِهِ تعالَى فِي سُورةِ الحَجّ:"**ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوْبِ**"[2]، فهذهِ الآياتُ الَّتِي تُعظِّمُ آياتِ اللهِ، وتمدحُ مَنْ يُعظِّمُهَا تُؤكِّدُ عَلى أنَّهُ ليسَ مِنَ المَقبولِ خَلطَ هذهِ الآياتِ بِكلامِ البَشرِ دونَ الإشارةِ إلى أنَّهَا آياتُ اللهِ، وَأنَّهَا بَراهينُ عَلى صدقِ مَا يقولُهُ البَشرُ مِنْ رَأي شَرعيٍّ فِي مَسألةٍ مَا[3].

إلَّا أنَّ إطلاقَ التَّحريمِ والمنعِ كُليًّا عَلى الاقتباسِ فيهِ بعضُ المَحاذيرِ، فقدْ يَحتاجُ الشِّعرُ إلَى دليلٍ مِنَ القُرآنِ عَلى غِرارِ النَّثرِ، ومِنْ هُنا أجازَ الشَّافعيَّةُ ومَنْ أيَّدَ رأيَهُمْ الاقتباسَ فِي الشِّعرِ كمَا هُوَ الحَالُ فِي النَّثرِ مَعْ ضَرورةِ الإشارةِ إلى أنَّ مَا وردَ مِنْ آياتِ اللهِ فِي الشِّعرِ هِيَ دَليلٌ عَلى صِدقِ الرَّأي، وَتَحتاجُ إلَى وَضعِهَا بَينَ قَوسينِ.

وممَّنْ أجازَ هذا النَّوعَ مِنَ الاقتباسِ مِنْ عُلماءِ الشَّافعيَّةِ:(أبُو بكرٍ البَيهَقِي (ت:١٠٦٦)، وأبُو مَنصورٍ عَبدُ القَاهرِ التَّميمِي البَغدَادِي (ت:١٠٣٧م)، وأبُو القَاسمِ بنُ عَساكرَ (ت:١١٧٦م)، وياقوتُ الحَمَوي (ت:١١٧٨م)، وأبُو القَاسمِ الرَّافعِي القِزوينِي (ت:١٢٢٦م)، وزينُ الدِّينِ ابنُ الوردِي (ت:١٣٤٩م)، إضافةً إلى جمعٍ مِنَ المُتأخِّرينَ، عَلى رأسِهِم الحَافِظِ شِهابِ الدِّينِ ابنِ حَجَرٍ (ت:١٤٤٩م) ؛ وبرَّرُوا ذلكَ لأنَّهُ يأتِي كَشاهدٍ عَلى صِدقِ الكَلامِ المُقالِ، وربَّمَا يَدعمُ الشِّعرَ لأنَّهُ مِنْ كَلامِ اللهِ ورسولِهِ ﷺ، وعَدُّوا أنَّ تضمينَ الشِّعرِ بعضًا مِنْ كَلامِ اللهِ عَزَّ وجلَّ، يُعطِي قوَّةً للشِّعرِ، ويُثبِتُ صدقَهُ، ويرفعُ شأنَهُ، فِي حينِ أنَّ شَيخَ الشَّافعيَّةِ يَحيى بنَ شرفٍ النَّووِي (ت:١٢٧٧م)، وبهاءَ الدِّينِ السُّبكِي وهوَ كذلكَ مِنْ عُلماءِ الشَّافعيَّةِ، قدْ ذَهَبا إلَى كَراهيَّةِ الاقتباسِ مِنَ القرآنِ الكَريمِ فِي الشِّعرِ وَالتورُّعِ عَنْ ذَلكَ، مَعْ جوازِ الاقتباسِ فِي النَّثرِ كَشواهدَ وبراهينَ عَلى صِدقِ القَولِ، وإثباتِ الحُجَّةِ[4].

---

[1] سورة الطارق. آية رقم: ٨٦.

[2] سورة الحج. آية رقم: ٣٢.

[3] ربة، امحمد. الاقتباس من القرآن الكريم (عرض وتقديم). ص٦٩١. مجلة الدراسات الإسلامية. جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية. قسنطينة. الجزائر. مج. عد١. ٢٠٢٢م.

[4] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. الحاوي للفتاوي. ج١. ص٣٦٥- ٣٦٦.

وقدْ أوردَ السّيوطِي عَلى لسانِ الشَّافعيَّةِ الَّذينَ أجازُوا الاقتباسَ بِقولِهِ:(**فَسكوتُهُمْ عَلى ذَلكَ وعدمُ نصّهِمْ عَلى تَحريمِهِ يدلُّ عَلى أنَّهُمْ رَأوْهُ جائزًا، كَضربِ الأمثَالِ وَالاقتباسِ فِي النَّثرِ**)[1]، ونَظَمَ فِي ألفيَّتِهِ (عِقدُ الجُمَانِ) أبياتًا مِنَ الشِّعرِ تُشيرُ إلَى هَذا الرَّأي، بقولِهِ:

وَلَيْسَ فِيْهِ عِندَنَا صَرَاحَهْ ... لَكِنَّ يَحْيَى النَّوَوِيَّ أَبَاحَهْ

فِي النَّثرِ وَعْظًا دُونَ نَظْمٍ مُطلَقًا ... وَالشَّرفُ المُقرِيُّ فِيهِ حَقَّقَا

جَوَازَهُ فِي الوَعْظِ وَالزُّهدِ وَفِي ... مَدْحِ النَّبِيِّ وَلَو بِنَظْمٍ فَاقْتَفَي

وَتَاجُنَا السُّبْكِيُّ جَوازَهُ قَد نَصَرْ ... إِذْ التَّمِيمِيُّ الجَلِيلُ قَد شَعَرْ

وَقَد رأيْتُ الرَّافِعِيَّ اسْتَعْمَلَهْ ... وَغَيْرُهُ مِن صُلُحَاءَ كَمَّلَهْ[2]

وخُلاصةُ القولِ، إنَّ الاقتباسَ مِنَ القُرآنِ الكريمِ بنسخِ الآيةِ كَمَا هِيَ لَا يجوزُ لِلإِدِّلةِ الَّتِي سردنَاهَا سابقًا، ويجوزُ الاقتباسُ مِنَ الآياتِ المَنثورةِ بِتضمينهَا كلمةً أوْ أكثرَ بينَ ثناياهَا، ودليلُ ذلكَ أنَّ شاعرَ الرَّسولِ ﷺ الصَّحَابِي الأنصَارِي الجَّليلِ حسَّانَ بنَ ثَابتٍ _ رَضِيَ اللهُ عنهُ _ (ت:٦٧٤م)، قدْ اقتبسَ مِنْ آياتِ القُرآنِ الكَريمِ فِي شعرِهِ، وقدْ سمعَ منهُ الرَّسولُ ﷺ ولمْ يمنعْهُ مِنْ ذلكَ، أوْ يُنكرْ عَليهِ، وهذا دَليلٌ صَريحٌ عَلى جَوازِ الاقتِباسِ مِنْ آياتِ القُرآنِ الكَريمِ، بشرطٍ أنْ لَا يكونَ نَسخًا للآيةِ كمَا هيَ، بلْ أنْ يتمَّ إضافةُ كلمةٍ أوْ حرفٍ بينَ كَلماتِ الآيةِ حتَّى لا يكونَ نقلًا حَرفيًّا لِلآيةِ، وبِالتَّالِي يكونُ ذلكَ تشبيهٌ للقُرآنِ بِكلامِ البَشرِ، وخاصَّةً الشِّعرُ الَّذِي كانَ تهمةً للرّسولِ ﷺ والقرآنِ الكَريمِ أثناءَ الدَّعوةِ الإسلاميَّةِ فِي مكَّةَ المُكرَّمةَ، إذْ اتهمتْهُ قُريشٌ بقولِ القُرآنِ الكريمِ عَلى أنَّهُ شعرٌ كَأشعارِ العَرَبِ.

وممَّا قالَهُ حسَّانُ بنُ ثابتٍ _ رَضِيَ اللهُ عنهُ _ فِي قَصيدتِهِ يمدحُ الرَّسولَ ﷺ وصحابَتَهُ، ويهدِّدُ قريشًا ويتوعَّدُهُمْ قبلَ صلحِ الحُديبيَّةِ:

---

[1] المصدر السابق. ص١٦٥.

[2] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. عقود الجمان في علم المعاني والبيان. ص١٢٢.

وَإِمَّا تُعْرِضُوا عَنَّا اعْتَمَرنَا وَكَانَ الفَتْحُ وَانْكَشَفَ الغِطَاءُ

وَإِلَّا فَاصْبِرُوا لِجِلَادِ يَومٍ يُعِزُّ اللهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ[1]

فعَجُزُ البيتِ الثَّانِي **(يُعِزُّ اللهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ)** اقتباسٌ مِنْ آياتِ القُرآنِ الكَرِيمِ فِي سُورةِ آلِ عِمرانَ فِي قولِهِ تَعالَى:"**قُلْ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**"[2]، فقولُهُ تُعالَى:" **وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ**" وردَ فِي البيتِ الثَّانِي مِنْ شعرِ حَسَّانِ بنِ ثابتٍ _ رَضِيَ اللهُ عنهُ _، ولكنَّهُ أضافَ لفظَةَ (الجِلادِ) وحرفِ الجرِّ (فِي) معِ الضَّميرِ المُتَّصلِ العَائدِ عَلى اليومِ، وهذهِ الإضافةُ منعَتْ النَّسخَ الحَرفِي لِلآيةِ، فكانَ اقتباسًا منثورًا عَلى لسانِ الشَّاعرِ، وذلكَ وفقَ المَعنَى المَطلوبِ دونَ اللَّفظِ الحَرفِي الواردِ كمَا هوَ، وهناكَ أمثلةٌ أُخرى كَثيرةٌ مِنِ اقتباساتِ حسَّانِ بنِ ثابتٍ، ولكنَّهَا جميعَهَا لمْ يتمْ نسخُهَا حرفيًّا، بلْ جاءَتْ بمعناهَا وبعضِ ألفاظِهَا معْ زيادةٍ فِي اللَّفظِ أوْ تغييرٍ طَفيفٍ فِي تَركيبتِهِ النَّحويَّةِ أوِ الصَّرفيَّةِ.

لذلكَ أكَّدَ السِّيوطِي فِي كتابِهِ (الحَاوي لِلفَتاوي) عَلى جَوازِ الاقتباسِ مِنَ القُرآنِ الكريمِ والحَديثِ الشَّريفِ، ورمَى المَانعينَ بِالجَهلِ، إذْ قالَ:(إنَّمَا استنكرَهُ هَؤلاءِ جَهْلًا منهُمْ بالنِّصوصِ والنُّقولِ، فقدْ استعملَهُ الرَّسولُ ﷺ فِي غَيرِ مَا حَديثٍ، واستعملَهُ الصَّحابةُ والتَّابعينَ والعُلماءُ قديمًا وحديثًا، ونصُّوا فِي كُتُبِ الفِقهِ عَلى جوازِهِ)[3].

وعليهِ، يجوزُ الاقتباسُ مِنْ آياتِ القُرآنِ الكَريمِ والحَديثِ الشَّريفِ اقتباسًا جُزئيًّا لَا حَرفيًّا، لِأنَّ فِي ذلكَ قوَّةً للرَّأي، ودعمًا للقولِ، وذلكَ يُعدُّ بِمثابةِ الشَّاهدِ فِي الشِّعرِ وَالنَّثرِ معًا.

---

[1] حسان بن ثابت الأنصاري. ديوان حسان بن ثابت. ص١٩. شرح وتقديم: عبدأ مهنا. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط٢: ١٩٩٤م.

[2] سورة آل عمران. آية رقم: ٢٦.

[3] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. الحاوي للفتاوي. ج١. ص٢٣. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط١. ٢٠٠٥م.

وقَدْ بيَّنَتْ آثارُ السَّلفِ الصَّالحِ، وأهلِ السُّنةِ والجَماعةِ مِنْ علماءَ وفقهاءَ ومؤلفينَ أنَّ كُتبهَمْ ونصوصَهُمْ تَضمَّنَتْ اقتباسَاتٌ مِنْ آياتِ القُرآنِ الكَريمِ، وأحاديثِ الرَّسولِ ﷺ، وقدْ حَدَثَ الاقتباسُ زمنَ الرَّسولِ ﷺ وأقرَّهُ.

سَابعًا: التَّناصُ والنَّقائضُ

النَّقائِضُ: تعنِي المُخالفَاتُ أوِ المُعاكسَاتُ ونقضَ الشَّيءَ نقضًا أيْ خَالَفَهُ وأفسدَهُ بعدَ إصلاحِهِ وإحكامِهِ[1]، ونقَضَ القَصيدةَ خالفَهَا قصدًا وجاءَ بضدِّهَا، وردَّ عَلى صاحبِهَا شعرًا بقصيدةٍ تخالفُهَا فِي اللَّفظِ والمعنَى، وقدْ تتَّفقُ فِي الوزنِ والرَّوي، ونقضَتْ غزلَهَا أيْ أعادتَهُ كمَا كانَ قبلَ إبرامِهِ ونسجِهِ[2]، ومِنْ ذلكَ قولُهُ تَعالَى فِي سُورةِ النَّحلِ:"**وَلَا تَكُوْنُوْا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا**"[3]، وقيلَ أنَّ امرأةً خَرقاءَ كانَتْ فِي مكَّةَ كلَّمَا أتمَّتْ نَسجَ غزلِهَا نقضَتْهُ أيْ أعادتْهُ خِيطانًا متفرقةً بعدَ غَزلِهِ ونَسجِهِ[4].

ومِنْ أشهرِ النَّقائضِ فِي الشِّعرِ، نقائضُ الشَّاعرينِ الأمويَّينِ جَريرِ بنِ عَطيَّةِ التَّميمِي البَصْري (ت:٧٢٨م)، والفَرزدقِ، هَمَّامِ بنِ غالبِ التَّميمِي البَصْري (ت:٧٢٨م)، فقدْ تَبارَى الشَّاعرانِ فيمَا بينَهُمَا شعرًا، كلٌّ واحدٍ منهُمَا يفتخرُ بنفسِهِ وقومِهِ، ويهجُو ويذِمُّ الآخرَ ويهاجمُ قومَهُ، فهُمَا يتناقضَانِ فيمَا بينهُمَا شعرًا، ويتبارَى قومُهُمَا بشعرِهِمَا الَّذِي كثيرًا مَا سبَّبَ العَداوةَ بينَ الشَّاعرينِ مِنْ جهةٍ، وقومِهِمَا مِنْ جِهةٍ أُخرَى[5].

وممَّا قالَهُ جَريرٌ يفتخرُ بقومِهِ ويهجُو ويذِمُّ الفَرزدقَ وقومَهُ:

نَحْنُ الحُمَـــاةُ بِكُـــلِّ ثَغْـــرٍ يَتَّقِى وَبِنَـــا يُفَـرَّجُ كُـــلُّ بَـابٍ مُغْلَقٍ

---

[1] ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين. لسان العرب. مج٧. ص٢٤٢-٢٤٣.

[2] الشايب، أحمد. تاريخ النقائض في الشعر العربي. ص٤+٥. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة. ط٢. ١٩٥٤.

[3] سورة النحل. آية رقم: ٩٢.

[4] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير). ج٤. ص٢٧٧. تح: سامي بن محمد السلامة. طبعة دار طيبة للنشر والتوزيع. الرياض. المملكة العربية السعودية. ط١. ١٩٩٧م. ط٢. ١٩٩٩م.

[5] أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي المصري. كتاب النقائض (نقائض جرير والفرزدق). ج١. ص١٥٥. ت: خليل عمران المنصور. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط٢. (١٤١٩هـ-١٩٩٨م).

وَبِنَـــا يُدَافِـعُ كُـلُّ أَمْـــرِ عَظِيْمَةٍ لَيْسَتْ كَنَزْوِكَ فِي ثِيَابِ الْكَرَقِ

قَدْ أَنْكَـرَتْ شِـــبْهَ الْفَـــرَزْدَقِ مَالِكٌ وَنَزَلْتَ مَنْـزِلَةَ الذَّلِيْلِ الْمُلْصَقِ

حَوْضُ الْحِمَارِ أَبُو الْفَرَزْدَقِ فَاعْلَمُوا عِقْدَ الْأَخَـادِعِ وَانْشِنَاجِ الْمِرْفَقِ[1]

فهوَ هُنا يفتخرُ بقومِهِ الحُماةِ الأبطالِ، الذَّينَ يدفعونَ الأمورَ العِظامَ فِي الحُروبِ والخُطوبِ، بينمَا يكونُ الفرزدقُ وقومُهُ مُتسربلينَ فِي ثيابِ الذُّلِّ، ويتمادَى بنعتِ الفَرزدقِ بِالحِمارِ، وقدْ استخدمَ وزنَ البحرِ الكَاملِ وروِي القَافِ المَكسورةِ، فالتزمَ الفَرزدقُ بالوزنِ نفسِهِ والرَّويِّ نفسِهِ، وظلَّ المَوضوعُ رغمَ التَّناقضِ نفسِهِ مِنْ خِلالِ الرَّدِّ عَلى ادِّعاءاتِهِ، مُخالفًا رأيَهُ فِي نفسِهِ وقومِهِ، ومهاجمًا جريرًا وقومَهُ، إذْ قَالَ:

إِنْ تَكُ كَلْبٌ مِنْ كُلَيْبٍ فَإِنَّنِي مِنَ الدَّرَامِيِّينَ الطِّوَالِ الشَّقَاشِقِ

نَظَـلُّ نَدَامَـى لِلْمُلُـــوكِ وَأَنْتُمُ تُمَشُّونَ بِالْأَرْبَـاقِ مَيْلَ الْعَوَاتِقِ

وَإِنَّـــا لَتُرْوَى بِالْأَكُفِّ رِمَاحُنَا إِذَا أَرْعَشَـــتْ أَيَدِيْـكُمْ بِالْمَعَالِقِ

وَإِنَّ ثِيَـــابَ الْمُـــلْكِ فِي دَارِمٍ هُمْ وَرِثُوهَـا لَا كُلَيْـــبُ النَّواهُقِ[2]

نلاحظُ الهَدمَ لجريرٍ وقومِهِ، والبناءَ لهُ ولقومِهِ، فهوَ التَّناقضُ التَّامُّ رغمَ الاتِّفاقِ فِي المَوضوعِ والوَزنِ والرَّوي، وذكرَ اللُّغويُّ الأديبُ أبُو عُبيدةَ المُثنَى بنُ معمَّرٍ التَّيمِي البَصْري (ت:٨٢٥م) فِي كتابِهِ نقائضِ جريرٍ والفَرزدقِ كثيرًا مِنَ المُساجلاتِ والخُصوماتِ والنِّزاعَاتِ الَّتِي كَانَتْ تدورُ بينَ الشَّاعرينِ، ويتناقلُهَا قومَاهُمَا، ممَّا يُؤدِّي إلى حُدوثِ مُشاجراتٍ تَدومُ

[1] جرير، أبو حرزة جرير بن عطية الكلبي. ديوان جرير. ص٣٢٢. دار بيروت للطباعة والنشر. بيروت. لبنان. ط١. ١٩٨٦م.

[2] الفرزدق، همام بن غالب الدارمي. ديوان الفرزدق. ص٤١٠. تق: علي فاعور. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط١. ١٩٨٧م.

سنينًا، وقدْ يتدخَّلُ أهلُ الحَلِّ والعَقدِ لإبرامِ هُدنةٍ بينهُمَا، وأحيانًا كانَتِ الهُدنةُ لا تدومَ طويلًا، إذْ ينقضُهَا أحدُهَمَا، فتعودُ المُساجلاتُ والمُشاحناتُ والخُصوماتُ مِنْ جديدٍ[1].

والعلاقةُ بينَ التَّناصِ والنَّقاضِ ليسَتْ عَلاقةَ مشابهةٍ تامَّةٍ، بلْ هيَ عَلاقةٌ تتسمُ بالتَّوافقِ الجُزئي مِنْ حيثُ المَوضوعِ مِنْ جهةٍ، والوزنِ والرَّوي مِنْ جِهةٍ أُخرَى، لكنَّ الأبياتِ الشِّعريَّةِ قلَّمَا تتَّفقُ لفظًا ومعنًى أوْ لفظًا دونَ معنًى أوْ معنًى دونَ لفظٍ، وهذا التَّوافقُ الجُزئي أثبتَ وجودَ عَلاقةٍ بينَ التَّناصِ والنَّقائضِ، ولكنَّهَا عَلاقةٌ جزئيَّةٌ لَا كُلِّيَّةٌ أوْ مُتقاربةٌ كَثيرًا.

ثَامنًا: التَّناصُ وَالمُعارضاتُ

المُعارضاتُ: هيَ المُقابلةُ بينَ قولينِ مُتساويينِ فِي اللَّفظِ، مُتَّفقينِ فِي المَوضوعِ والوزنِ والرَّوي، وقدْ يتفوَّقُ السَّابقُ عَلى اللَّاحقِ، وقدْ يتفوَّقُ اللَّاحقُ عَلى السَّابقِ، وربَّمَا يَشتركانِ فِي بعضِ المَعانِي إلى جانبِ الأَلفاظِ[2]، والمُعارضةُ تدلُّ عَلى المُحاذاةِ والمُحاكاةِ، وعَارضَهُ فِي الشِّعرِ يعنِي نافسَهُ فيهِ لإظهارِ جوانبِ القُوَّةِ والضَّعفِ، وربَّمَا تفوَّقَ عليهِ لفظًا ومعنًى، والمُعارضَاتُ فِي الشِّعرِ العَربي كَثيرةٌ، قَديمًا وحديثًا[3].

ومِنْ أشهرِ المُعارضاتِ بينَ القِديمِ والحَديثِ مُعارضاتُ أميرِ الشُّعراءِ أحمد شَوقِي معْ شُعراءَ قُدامَي كَالشَّاعرِ العَبَّاسِي أَبي عُبادةَ البُحتري (ت:٨٩٧م)، فِي قصيدتِهِ الَّتِي وصفَ فِيهَا إيوانِ كِسرَى، والشَّاعرُ مُحمَّدٌ بنُ سعيدٍ البُوصِيري (ت:١٢٩٤م) فِي قصيدتِهِ (البُردة) الَّتِي مدحَ فيهَا رَسولُ اللهِ ﷺ، وقدْ تفوَّقَ عليهُمَا فِي بعضِ مَواطنِ قَصيدتيهِ[4].

أمَّا قَصيدةُ أحمد شَوقِي الَّتِي عارضَ فيهَا البُحتري فِي وصفِهِ لإيوانِ كِسرَى، فهيَ قَصيدتُهُ فِي وصفِ قَصرِ الحَمراءِ فِي الأندلسِ، إذْ قالَ فيهَا:

---

[1] أبو عبيدة، المثنى بن معمر التيمي. كتاب النقائض (نقائض جرير والفرزدق). ج١. ص٧-٨. حاشية: خليل عمران المنصور. منشورات محمد علي بيضون. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط١. ١٩٩٨م.

[2] مصطفى، عبد الرؤوف زهدي والأسعد، عمر. المعارضات وأثرها في إغناء التراث العربي. ص٩٠٤-٩١١. مجلة دراسات العلوم الاجتماعية والإنسانية. مج٣٦ (ملحق). ٢٠٠٩م.

[3] مفتاح، محمد. تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص). ص١١٨.

[4] مصطفى، عبد الرؤوف زهدي والأسعد، عمر. المعارضات وأثرها في إغناء التراث العربي. ص٩١٢.

اخْتِلَافُ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ يُنْسِي اذْكُـرَا لِي الصِّـبَا وَأَيَّـامَ أُنْسِي

وَعَظَ البُحْتُـرِيُّ إِيْـوَانِ كِسْرَى وَشَفَتْنِي الْقُصُوْرُ مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ

مَنْ لِ"حَمْرَاءَ" جُلِّلَتْ بِغُبَارِ الدَّ هْرِ كَـالْجُـرْحِ بَيْنَ بُـرْءٍ وَنَكْسِ[1]

فقدِ اتَّفقَ شَوقِي معِ البُحتري فِي المَوضوعِ والوزنِ والرَّوي، كَمَا تقاربَتِ الأَلفاظُ والمَعانِي كثيرًا فِي أكثرِ مِنْ موضعٍ مِنَ القَصيدةِ الطَّويلةِ الَّتِي قالَ فِيهَا البُحترِي:

صُنْتُ نَفْسِي عَمَّا يُدَنِّسُ نَفْسِي وَتَـرَفَّعْـتُ عَنْ نَـدَى كُـلِّ جَبْسِ

وَإِذَا مَـا رَأَيْـتُ صُـورَةَ أَنْطَـا كِيَّـةَ أُرْتِعَـتْ بَيْـنَ رُومٍ وَفُرْسِ

وَالْمَنَـايَـا مَوَاثِـلٌ وَأَنُـوشِرْ وَانَ يُزْجِي الصُّفُوفَ تَحْتَ الدِّرَفْسِ[2]

فقدْ عارضَ شوقِي البُحتري فِي سِينيتِهِ بكلِّ تفاصيلِهَا واقفًا عَلى قصرِ الحَمراءِ كمَا وقفَ البُحترِي عَلى إيوانِ كِسرى، فاتَّفقَا فِي المَوضوعِ والوصفِ والوزنِ والبحرِ والرَّوي، وتقارَبَتِ الألفاظُ والمَعانِي، إذْ يقولُ شوقِي:(...**ثمَّ جعلْتُ أروِّضُ القَولَ عَلى هذا الرَّوِي، وأعالجُهُ عَلى هذا الوزنِ حتَّى نظَمْتُ هذهِ القَافيةَ المُهلهلةَ، وأتمَمتُ هذهِ الكلمةَ الرِّيِّضةَ، وأنَا أعرضُهَا عَلى القُرَّاءِ راجيًا أنْ يَلحظونَهَا بعينِ الرِّضاءِ، ويَسحبونَ عَلى عيوبِهَا ذيلَ الإغضاءِ**)[3].

وفِي معارضةٍ أُخرَى لأحمد شَوقِي، إذْ عَارضَ البُوصيري فِي قَصيدةٍ سمَّاهَا (نهجَ البُردةِ) فِي مدحِ الرَّسولِ ﷺ، وقصيدةُ (البُردةِ) للبُوصيرِي نسجَهَا بعدَ رُؤيتِهِ للرَّسولِ ﷺ فِي منامِهِ، وقدْ ألقَى عليهِ بردتَهُ، فنسجَ قَصيدتَهُ مَستلهِمًا اسمَهَا مِنْ بُردةِ رَسولِ اللهِ ﷺ، وَهِيَ قَصيدةٌ طويلةٌ فِي مدحِ الرَّسولِ ﷺ، يقولُ فيهَا البُوصرَي:

أَمِـنْ تَذَكُّـرِ جِيـْـرَانٍ بِـذِي سَـلَمٍ مَزَجْتَ دَمْعًا جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمٍ

---

[1] شوقي، أحمد. الشوقيات. ص٣٩٤-٣٩٩. القاهرة_مصر. مطبعة مؤسسة هنداوي. ٢٠١٢م. ط١. ١٩٢٦م.

[2] البحتري، أبو عبادة الوليد، ديوان البحتري، ص١١٥٢-١١٥٤.

[3] شوقي، أحمد، الشوقيات، ص٣٩٤.

لَولَا الْهَوَى لَمْ تَرِقْ دَمْعًا عَلَى طَلَلٍ وَلَا أَرِقْتَ لِـذِكْـرِ البَـانِ وَالْعَلَمِ

يَا لَائِمِي فِي الْهَـوَى الْعُذْرِيِّ مَعْذِرَةً مِنِّي إِلَيْـكَ وَلَوْ أَنْصَـفْتَ لَمْ تَلُمِ[1]

وعارضَهَا شَوقِي فِي قصيدتِهِ المُسمَّاةِ (نهجُ البُردةِ)، إذْ قَالَ فيهَا:

رِيْمٌ عَلَى الْقَاعِ بَيْنَ الْبَانِ وَالْعَلَمِ أَحَلَّ سَـفْكَ دَمِي فِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ

لَمَّا رَنَـا حَدَّثَتْنِي النَّفْـسُ قَائِلَةً يَا وَيْحَ جَنْبِكَ بِالسَّهْمِ المُصِيبِ رُمِي

يَا لَائِمِي فِي هَـوَاهُ وَالْهَوَى قَدَرٌ لَـوْ شَـفَّكَ الْوَجْـدُ لَمْ تَعْذِرْ وَلَمْ تَلُمِ[2]

وهُنا تظهرُ المعارضةُ صريحةً فِي الموضوعِ والوزنِ والبحرِ والقافيةِ، وهُناكَ تَوافقٌ فِي كَثيرٍ مِن الأَلفاظِ والمَعانِي، وبدا تناصٌ واضحٌ فِي البيتِ الثَّانِي مِن قصيدةِ البُوصيري معِ البيتِ الأَوَّلِ مِنْ قصيدةِ شَوقِي، وكذلكَ البيتُ الثَّالثُ فِي القَصيدةِ اتَّفقَ اتِّفاقًا شِبهَ كاملٍ فِي تَناصٍّ شِبهَ كُلِّيٍّ مِنْ أَوَّلِ البيتِ حتَّى آخرِهِ، إذْ يَقولُ البُوصيري:

يَا لَائِمِي فِي الْهَوَى الْعُذْرِي مَعْذِرَةً مِنِّي إِلَيْـكَ وَلَوْ أَنْصـفْتَ لَمْ تَلُمِ

ويَردُّ عليهِ شَوقِي قائلًا:

يَـا لَائِمِي فِي هَـوَاهُ وَالْهَوَى قَدَرٌ لَوْ شَفَّكَ الوَجْدُ لَمْ تَعْذِرْ وَلَمْ تَلُمِ

فالبيتانِ مُتَّفقانِ فِي اللَّفظِ والمعنَي إذا تجاوزْنَا القليلَ مِنَ الألفاظِ الواردةِ، وهذا البيتُ يمثِّلُ التَّناصَ تَمثيلًا واضحًا.

وعليهِ، فإنَّ شِعرَ المُعارضاتِ يَتخلَّلهُ تَناصٌّ جُزئيٌّ أوْ كُلِّيٌّ فِي كَثيرٍ مِنَ الأبياتِ، ممَّا يُؤكِّدُ عَلى وجودِ عَلاقةٍ قَويَّةٍ وواضحةٍ بينَ شِعرِ المُعارضاتِ والتَّناصِ بأنواعِهِ وأشكالِهِ وصورِهِ.

[1] البوصيري، محمد بن سعيد. البردة. ص٩– ١٨. شرح: إبراهيم الباجوري. ضبط: عبد الرحمن حسن محمود. ط١. ١٩٩١م. مكتبة الآداب ٤٢. ميدان الأوبرا. القاهرة. مصر.

[2] شوقي، أحمد، الشوقيات. ص٢٢٩.

المَبحثُ الثَّالثُ

التَّناصُ فِي الأدبِ الغربي

شهدَ الأدبُ الغَربيُّ نقلةً نوعيَّةَ بسببِ الثَّورةِ الحَديثةِ فِي أوروبَّا فِي مناحِي الحَياةِ جميعِهَا، وقدْ تطوَّرَ الأدبُ وَالنقدُ الأدبي تطوُّرًا ملحوظًا، كانَ تكميليًّا مِنْ جهةٍ للأدبِ العَربي على مَراحلِ تطوُّرِهِ عبرَ العُصورِ، ومِنْ جهةٍ أُخرَى باكتشافاتٍ جديدةٍ إبداعيَّةٍ مبتكرةٍ، ولعلَّ المُصطلحاتِ النَّقديَّةَ فِي الأدبِ العربِي والغربِي لمْ تكنْ مُصطلحاتٍ غريبةَ عنْ أصولِ الأدبِ ونقدِهِ عندَ العربِ والمُسلمينَ، ولا يُمكنُ لأيّ أديبٍ أوْ ناقدٍ غربيٍّ أنْ يتطوَّرَ أدبيًّا ونقديًّا دونَ اطِّلاعِهِ عَلى الأدبِ العَربيّ ونقدِهِ عبرَ عصورِهِ المُتتابعةِ، لِذلكَ كانَتْ مُصطلحاتِ النَّقدِ العَربيّ القديمِ حاضرةً فِي ثنايَا الحَديثِ عَنِ الأدبِ الغَربي وتطوُّرِهِ، إلَّا أنَّ محاولاتِ العُلماءِ واللُّغويينَ الغَربيّينَ استبعادَ الإشارةِ إلى أُصولِ الأدبِ وَالنَّقدِ عُمومًا مِنْ خِلالِ الاقتصارِ عَلى تَطوُّرِ الأدبِ والنَّقدِ عندَ الغَربِ فِي مراحلِهِ المُتأخِّرةِ يُعدُّ شَيئًا مِنَ الانْحيازيَّةِ، والدَّليلُ أنَّ مُصطلحاتِ الأدبِ وَالنَّقدِ الغَربي جميعِهَا وُجِدَ لهَا أُصولٌ فِي الأدَبِ العَربِي ونقدِهِ، وقدْ تَمَّتِ الإشارةُ إلَى أُصولِ مُصطلحِ التَّناصِ كَمُصطلحٍ نَقديّ غَربيٍّ لهُ أُصولٌ واضِحةٌ فِي أَدَبِ العَربِ ونقدِهِ، فهوَ امتدادٌ للاقتِباسِ وَالتَّضمينِ وتَوارِدِ الخَواطرِ وغيرِهَا مِنَ المُصطَلحَاتِ الَّتِي أُشيرَ إليهَا فِي ثَنايا هَذهِ الدِّراسةِ[1].

ومِنْ خِلالِ تتبُّعِ نَشأةِ التَّناصِ كَمُصطلحٍ نَقديّ غَربيٍّ تبيَّنَ أَنَّ أَوَّلَ ظُهورٍ لهُ فِي سَنةِ ١٩٦٦م على يدِ النَّاقدةِ الأَدبيَّةِ اللُّغويَّةِ البُلغاريَّةِ جُوليا كريستيفا الَّتِي أشارَتْ إلى أُصولِهِ الغَربيَّةِ مِنْ خِلالِ ذِكرِهَا لِنَظريَّاتِ علمِ النَّصّ الَّتِي وُجدَتْ فِي دِراساتِ الفَيلسوفِ والرِّوائِي الرُّوسي فِيدور دوستويفسكي (ت:١٨٨١م)[2]، إلَّا أنَّ الأصولَ الأُولَى لِنظَريَّةِ التَّناصِ قدْ

[1] الزعبي، أحمد. التناص نظريا وتطبيقيا. ص١٢. مؤسسة عمون للطباعة والنشر. عمان. الأردن. ط٢. ٢٠٠٠م.

[2] فضل، صلاح، مناهج النقد المعاصر. ص١٥٣. مطبعة دار الآفاق العربية. القاهرة. مصر. ط١. ٢٠٠٢م.

ظهرَتْ عِندَ النَّاقدِ الرُّوسِي ميخائيل باختين الَّذِي أسَّسَ لهُ فِي كتابِهِ (شِعريَّةِ دوستويفسكي) ثُمَّ حوَّلَهُ إلَى نَظريَّةٍ حَقيقيَّةٍ تعتمدُ عَلى التَّداخلِ القَائمِ بينَ النُّصوصِ وسمَّاهُ الحِواريَّةَ[1].

ومعْ وضعِ نظريَّاتِ التَّناصِ والتَّعالقِ النَّصِّي الَّتِي تناولَتْهَا كريستيفا أصبحَ مفهومُ التَّناصِ أحدَ المَفاهيمِ الرَّئيسةِ فِي النَّقدِ الحَديثِ، وقدْ استمدَّ قيمتَهُ النَّظريَّةَ، وفاعليَّتَهُ الإجرائيَّةَ مِنْ كونِهِ يقفُ ماثلًا فِي مَجالِ الشِّعرِ الحَديثِ كَنقطةِ تقاطعٍ وتلاقٍ فِي التَّحليلِ البِنيويّ للنُّصوصِ والأعمالِ الأدبيَّةِ جميعِهَا وعلَى رأسِهَا الشِّعرُ، لذلكَ تبارَى كثيرٌ مِنَ النُّقَّادِ الغَربيِّينَ بحثًا فِي التَّناصِ كَمُصطلحٍ نقديٍّ بارزٍ فِي العَصرِ الحَديثِ[2]، إلَّا أنَّهُ عندَ بعضِهِمْ لمْ يكُنْ بمسمَّاهُ الَّذِي اعتمدَتْهُ كريستيفا، ومِنْ هَؤلاءِ النَّقَّادِ:(دوستويفيسكي، ميخائيل باختين، أريفي، تُودوروف، جُوليا كريستيفا، لُوران جِيني، مِيشال رِيفاتير، رُوبرت شُولز، رُولان بَارث، وجِيرار جِينيت، ولُيون سُومفيل، وبِيير دُوبيازي، ومِيشيل أرِيفيه، وغيرِهِمْ)[3].

يُعَدُّ دُوستويفيسكي أوَّلَ مَنِ استعملَ مُصطلحَ تحاورِ النُّصوصِ أوِ الحِواريَّةِ الَّذِي يَعتمدُ على تَداخلِ النُّصوصِ اللَّاحقةِ مَعْ نصوصٍ سابقةٍ مُشابهةٍ لهَا فِي اللَّفظِ أوِ المَعنَى أوْ كليهِمَا معًا، ورغمَ أنَّ دُوستويفيسكي روائيًّا مَعروفًا إلَّا أنَّهُ تناولَ التَّعالقَ النَّصِّي فِي دراساتِهِ، وقدْ أشارَتْ كريستيفا إلى دَورِ الرِّوايةِ فِي مُحاورةِ النُّصوصِ، ثُمَّ تعالُقِهَا مِنْ خِلالِ التَّنَاصِ الَّذِي سمَّتْهُ بِهذا المُسمَّى[4].

---

[1] الغذامي، عبد الله. الخطيئة والتكفير (من البنوية إلى التشريحية). ص٣١٨. النادي الأدبي الثقافي. جدة. المملكة العربية السعودية. ط١. ١٩٨٥م.

[2] السعدني، مصطفى. المدخل اللغوي في نقد الشعر (قراءة بنيوية). ص١٩. مطبعة دار المعارف. القاهرة. مصر.

[3] بوترعة، الطيب. التناص في الشعر الجزائري المعاصر. (قراءة في شعر مصطفى الغماري) (دراسة). ص١٢. ط١. ٢٠١٠-٢٠١١م. كلية الآداب واللغات والفنون. جامعة وهران. الجزائر.

[4] كريستيفا، جوليا. علم النص. ص٧٨.

ثمَّ جاءَ بعدَهُ ميخائيل باختين أحدُ الشَّكلانيّينَ الرُّوسِ[1] الَّذِي وضعَ أُسسًا للحِواريَّةِ، ويُشيرُ مُفهومُ الحِواريَّةِ إلى تَداخلِ النُّصوصِ الشِّعريَّةِ بِحيثِ يُحيلُ المَدلولَ الشِّعريَّ إلى مَدلولاتٍ خِطابيَّةٍ مُغايرةٍ، بشكلٍ يُمكنُ معهُ قِراءةُ خِطاباتٍ عَديدةٍ داخلَ القَولِ الشِّعريّ، وقدْ نشرَ باختين مقدِّمتَهُ حَولَ الحِواريَّةِ فِي كتابِهِ (دُوستويفيسكي)، إذْ إنَّهَا برهنَتْ عَلَى فَرضِيَّةِ تَداخلِ النُّصوصِ وانفتاحِهَا عَلى فَضاءِ الكِتابةِ، نظرًا للتَّفاعلِ المَعرفِي بينهُمَا[2].

وقدْ علَّلَ (باختين) استعمالَهُ لمُصطلحِ الحِواريَّةِ فِي تَداخلِ النُّصوصِ لِاعتبارِ أنَّ التَّوجيهَ الحِواري هوَ بِوضوحٍ ظاهرةٌ مُشخِّصةٌ لِكلِّ خِطابٍ، والغَايةُ الطَّبيعيَّةُ لكلِّ خِطابٍ حَيٍّ يَتداخلُ معْ خِطابٍ آخرَ بِكلِّ الطُرقِ الَّتِي تقودُهُ إلَى غَايتِهِ، ولَا يَستطيعُ إلَّا أنْ يَدخلَ معْهُ فِي تَفاعُلٍ حادٍّ وحيٍّ، ويؤكِّدُ باختين علَى وجودِ فَاعلينَ فِي الخِطابِ المُحتملِ، ويَقصدُ هُنا أيَّ خِطابٍ حاضرٍ يُقابلُهُ خِطابٌ سَابقٌ، ويكونُ هُنا الحِوارُ بينَ فَاعلينِ اثنينِ يَحدثُ بينهُمَا حِوارٌ بالشِّعرِ[3].

ويبينُ (باختين) أنَّهُ لا يوجدُ نصُ نفي، فكلُّ نصٍّ هوَ صَدًى لِنصٍّ آخرَ سَابقٍ لهُ، لذلكَ لَا بدَّ مِنْ قِراءةِ نُصوصِ الأدبِ فِي سِياقاتِهَا الفِكريَّةِ والثَّقافيَّةِ وَالتَّاريخيَّةِ، وذلكَ يُشيرُ إلى الحِواراتِ المُتعدِّدةِ فِكريًّا وثَقافيًّا وتَاريخيًّا، فَلا يُوجدُ نَصٌّ مُبتدعٌ مِنْ ذَاتِهِ، بَلْ إنَّ النُّصوصَ هِيَ امتدادٌ لِنُصوصٍ سَابقةٍ لهَا، وصدًى لهَا، قدْ يُحدِثُ تَغييرٌ طَفيفٌ عَليهَا، لكنَّهَا تَبقَى بِأصولِهَا نُسخةٌ عَنْ سَابقِهَا[4].

---

[1] الشكلانيون الروس: مجموعة من النقاد الروس الذين وضعوا المدرسة الشكلية في النقد الأدبي، تلك التي تقوم على استقلال الأدب وتميزه بخصوصيته، والشكلانيون الروس هم: فيكتور شيكلوفسكي، يوري تينيايوف، بوريس إيشينباوم، رومان جاكبسون، جريكوري فيكتور، مايكل باختين، ويوري لوتمان. والأخيران من المتأثيرين بشدة بالمدرسة الشكلية.

[2] باختين، ميخائيل. المبدأ الحواري (تزفتيان تودوروف). ص١٢٦. ترجمة: فخري صالح. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت. لبنان. ط٢. ١٩٩٦م.

[3] المصدر نفسه. ص١٢٤.

[4] عباس، محمد زبير. التناص (مفهومه وخطر تطبيقه على القرآن الكريم)، (دراسة). ص٣٩. قسم اللغة العربية. كلية الآداب. الجامعة الإسلامية العالمية. إسلام أباد. باكستان. ط١. ٢٠١٤م.

أمَّا النَّاقدُ الأدبي الفَرنسي مِيشال أريفي فقدْ عَدَّ التَّناصَ تداخلًا نصِّيًّا بقولِهِ: **(إنَّهُ مجموعُ النُّصوصِ الَّتِي تدخلُ فِي عَلاقةٍ مَعْ نَصٍّ مُعطًى سَابقًا، وهذهِ النُّصوصُ تَأخذُ أشكالًا مُختلفةً لفظًا ومعنًى، ومِنْ أبرزِهَا أنَّ النَّصَّ الثَّانِي أوِ اللَّاحقِ ممكنٌ أنْ يُكرّرَ النَّصَّ الأَوَّلَ أوِ السَّابقَ عَلى مُستوى التَّعبيرِ أوِ العِبارَةِ)**[1].

وأشارَ النَّاقدُ الرُّوسي تَزفيتان تُودوروف فِي كتابِهِ (نقدُ النَّقدِ) إلَى أنَّ التَّناصَ يعنِي كلَّ عَلاقةٍ تكونُ بينَ مَلفوظينِ، لِذلكَ فكلُّ مُلفوظينِ اثنينِ الواحدِ متجاورٍ معِ الآخرِ، يَدخلانِ فِي نوعٍ خاصٍّ مِنَ العَلاقةِ الدَّلاليَّةِ تُدعَى عَلاقةً حِواريَّةً، والعَلاقاتُ الحِواريَّةُ هِيَ كُلُّ عَلاقاتٍ دَلاليَّةٍ تقعُ بينَ المَلفوظاتِ جَميعِهَا الَّتِي تبدُو ضِمنَ دَائرةِ التَّواصلِ اللَّفظِي، والتَّناصُ ينتسبُ إلَى الخِطابِ ولَا يَنتسبُ إلَى اللُّغةِ، وهوَ يقعُ ضمنَ اختِصاصٍ عبرَ اللِّسانيَّاتِ، ولكنَّهُ لَا يَختصُّ باللِّسانيَّاتِ، ولَا تُعدُّ كلُّ علاقةٍ بينَ المَلفوظاتِ عَلاقةً تناصِّيَّةً، بلْ هُناكَ عَلاقاتٌ أُخرَى تَربطُ المَلفوظاتِ بعضَهَا بِبعضٍ، والعَلاقاتُ التَّناصِّيَّةُ لَا بُدَّ مِنْ وجودِ فَاعِلينَ وراءَهَا، ولكَي تُصبحَ العَلاقاتُ مَنطقيَّةً، وذاتِ أبعادٍ دَلاليَّةٍ مَحسوسةٍ لَا بُدَّ أنْ تكونَ حِواريَّةً، وتَكتسبُ وجودًا ماديًّا، كمَا أنَّ ردَّ الفِعلِ الحِوارِي يُضفِي سِمةً شَخصيَّةً عَلى المَلفوظِ الَّذِي يَتفاعلُ معْهُ[2].

وكشفَ تُودوروف عَنْ أنماطٍ أُخرَى للتَّناصِ كانَ قدْ وضعَ أُصولِهَا باختين صاحبَ نظريَّةِ الحِواريَّةِ، وحدَّدَ تلكَ الأنماطِ بنمطينِ رئيسينِ يتفرَّعُ عنهُمَا نَمطينِ آخرينِ عَلى النَّحوِ التَّالِي:

١. **الخِطابُ المُباشرُ:** وهوَ الخِطابُ المَعروفُ بأسلوبِهِ الواضحِ مِنْ قِبلِ الفَاعلينَ المَعلومينَ.

[1] بوخاتم، مولاي علي. مصطلحات النقد العربي السيماوي (الإشكالية والأصول والامتداد). ص١٨٨. منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق. سوريا. ط١. ٢٠٠٣م. ط٣. ٢٠٠٥م.

[2] تودوروف، تزفيتان، نظرية الأجناس الأدبية (دراسات في التناص والكتابة والنقد). ص٨٦-٨٧، ترجمة: عبد الرحمن بوعلي. ط١: ٢٠١٦م. دار نبنوى للطباعة والنشر. دمشق. سوريا.

٢. **الخِطابُ غيرُ المُباشرِ**: وهذا الخِطابُ يَتفرَّعُ عنهُ نَوعانِ مِنَ الخِطابِ غيرِ المُباشرِ، وهُمَا :(الخِطابُ المُقتَبسُ، والخِطابُ المُقتَبسُ منهُ)، وفيهِ يكونُ الفَاعلونَ مَجهولينَ، ولكنْ يُفهمُ مِنَ السِّياقِ وَالاقتباسِ أنَّ الكَلامَ صَادرٌ عَنْ فاعلٍ غيرِ مُحدَّدٍ[١].

٣. **الرَّسمُ الخَطِّي**: وهوَ الخِطابُ المَكتوبُ وَالمعلومُ فاعلُهُ بخطِّهِ أوْ بِخَطِّ غيرِهِ مَنقولًا عنهُ، وفيهِ خُطوطٌ واضحةٌ لِخطابِ الأَنَا وخِطابِ الآخر[٢].

٤. **الرَّسمُ التَّصويرِي**: وهوَ الخِطابُ التَّخيُّلِي الَّذِي غالبًا مَا يكونُ فِي التَّصويرِ الفَنيّ والجَمالِي، بحيثُ يكونُ الخِطابُ وهميًّا، ولكنَّهُ رغمَ ذلكَ يُعطِي تَصويرًا جَماليًّا لِلأشياءِ المَرسومةِ، ويناظرُهُ فِي الأدبِ العَربيّ (الرَّسمَ بِالكلمَاتِ)، وذلكَ المُسمَّى بِالتَّصويرِ الفَنيّ الجَمالِي[٣].

ويعرضُ تُودوروف للصَّوتِ المُتمثِّلِ فِي التَّناصِ، وهوَ أساسُ الخِطابِ المُباشرِ ذَاتِ الصَّوتِ الواحدِ أوِ المُتعدِّدِ الأصواتِ، والمُتعدِّدِ الأصواتِ قدْ يكونُ مبنيًّا للمَجهولِ يتفرَّعُ عنهُ خِطابٌ مُؤتلفٌ سَلبيٌّ أوْ مُختلفٌ فيهِ سُخريةٌ، أوْ يكونُ الصَّوتُ مبنيًّا للمَعلومِ، والمَبنيُّ للمَعلومِ يَندرجُ تحتَهُ جَداليَّتانِ: إحدَاهُمَا مَخفيَّةٌ، وَالأخرَى مَفتوحةٌ، ويبقَى الخِطابُ الوحيدُ الصَّوتِ عُرضَةً للمُشكلاتِ حسبَ رَأي باختين، إلَّا إذَا تَمَّ تَحديدُ هَدفٍ واضحٍ للصَّوتِ الوحيدِ، عندئذٍ يكونُ الحَلُّ للمُعضلةِ[٤].

ينقلُ تُودوروف مَا قالَهُ باختين عَنِ التَّناصِ بِلغةِ الحِواريَّةِ مِنْ خِلالِ تَأكيدِهِ عَلى أهمِّيَّةِ الحِوارِ أوِ الخِطابِ كمَا سمَّاهُ فِي أكثرِ مِنْ مَوضعٍ، فهوَ يُعدُّ ضَروريًّا وجَوهريًّا فِي المُحادثةِ اليَوميَّةِ: القانونُ، الدِّينُ، وَالعلومُ الإنسانيَّةُ، وهذا يتطلَّبُ إقامةَ عَلاقةٍ حِواريَّةٍ بينَ النُّصوصِ لربطِهَا ببعضِهَا بعضًا، ولَا نغفلُ الخِطابَ السِّياسِي الَّذِي يتطلَّبُ لُغةً حِواريَّةً تَناصِّيَّةً مهمَّةً وضروريَّةً، وتقلُّ اللُّغةُ الحِواريَّةُ، وتَعالُقُ النُّصوصِ فِي العُلومِ الطَّبيعيَّةِ، والتِّكنولوجيَا،

---

[١] الزعبي، أحمد. التناص نظريا وتطبيقيا. ص١٤.

[٢] غروس، ناتالي بييفي. مدخل إلى التناص. ص١٠. ترجمة: عبد الحميد بورايو. دار نينوى. دمشق. ط١. ٢٠١٢.

[٣] تودوروف، تزفيتان. نظرية الأجناس الأدبية (دراسات في التناص والكتابة والنقد). ص١٠٠.

[٤] المصدر نفسه، ص١٠٣.

والاكتشافاتِ العِلميَّةِ، ويُشيرُ باختين إلَى ضَرورةِ التَّأكيدِ عَلى أنَّ الحِوارَ بينَ النُّصوصِ يتطلَّبُ الإحالةَ، أيْ إحالةُ النَّصِّ إلَى صاحبِهِ الَّذِي نطقَ بِهِ، ويؤكِّدً علَى ضَرورةِ استخدامِ إشارةِ الاقتباسِ، ممَّا يَدلُّ عَلى عَلاقةِ الاقتباسِ بِالحِواريَّةِ الَّتِي هِيَ أصلٌ مِنْ أُصولِ التَّناصِ[1].

وهكذا يَعرضُ تُودوروف لِنَظريَّةِ الحِواريَّةِ الَّتِي أصَّلَتْ للتَّناصِ، وبيَّنَتْ أنَّهُ يَربطُ بينَ التَّناصِ والحِواريَّةِ مِنْ خِلالِ رَبطِ مَا توصَّلَتْ إليهِ كريستيفا بعدَ دِراستِهَا المُتعمِّقةِ للنَّظريَّاتِ السَّابقةِ ذاتِ العَلاقةِ بتفاعلِ النِّصِّ داخلَ قوالبِ السِّياقِ بِأشكالِهِ وتَصوُّراتِهِ المُتعدِّدَةِ، وصولًا للتَّناصِ.

ويُشيرُ تُودوروف إلَى التَّناصِ الغَائبِ مِنْ خِلالِ التَّفريقِ بينَ المَلفوظِ التَّناصِّي، والمَلفوظِ غيرِ التَّناصِّي، ويبيِّنُ أنَّ التَّناصَ الغَائبَ يمكنُ استحضارُهُ فِي الحِواريَّةِ الَّتِي وضعَهَا باختين مِنْ خلالِ الكشفِ عنهَا فِي أبعادٍ مُتعلِّقةٍ بِالنُّصوصِ المُتعالِقةِ، الَّتِي صنَّفَهَا عَلى النَّحوِ التَّالِي:

١. **البعدُ الحِوارِي وَالمُونولُوجِي:** وفِي الحَالتينِ يكونُ التَّناصُ ذاتِ بعدٍ واضحٍ خاصَّةً فِي البُعدِ المُونولوجِي المُتّعلِقِ بِالصِّراعِ الدَّاخلِي، واستحضارِ نُصوصٍ كثيرةٍ ذاتِ عَلاقةٍ، وقدْ يتمُّ ترجمتُهُ بأسلوبٍ حِواريٍّ نفسِيٍّ، يتمُّ بينَ الذَّاتِ، ولكنْ بصوتٍ مُرتفعٍ.
٢. **البُعدانِ النَّثرِي وَالشِّعرِي:** وفِي البُعدِ الأَوَّلِ يكونُ الحِوارُ اقتباسِيًّا ولَا بدَّ مِنْ وضعِ الإشارةِ للتَّأكيدِ عَلى الاقتباسِ حتَّى لَا يكونَ النَّصُّ مَسروقًا، فِي حينِ أنَّ البُعدَ الشِّعريَّ هوَ البُعدُ الَّذِي تتجلَّى فيهِ الحِواريَّةُ بكلِّ صِورِهَا، والتَّناصُ فِي الشِّعرِ أقوى منهُ فِي النَّثرِ، فالشَّاعرُ يبثُّ خطابَهُ دونَ تَوقُّفٍ فيعرضُ لنصِّهِ ونصِّ غيرِهِ ضِمنَ قوالبَ خِطابيَّةٍ مُوسيقيَّةٍ مُؤثِّرةٍ، ويأتِي دورُ القَارِئ والنَّاقدِ فِي وضعِ النُّقاطِ عَلى الحُروفِ، وتَحليلِ اللُّغةِ والتَّناصِ وَالأشكالِ البَلاغيَّةِ وَالنَّقديَّةِ كافَّة، بِخِلافِ النَّاثرِ المُلزمِ بوضعِ النَّصِّ الَّذِي ينقلُهُ عَنْ غيرِهِ ضِمنَ إشارةِ الاقتباسِ[2].

---

[1] تودوروف، تزفيتان، نظرية الأجناس الأدبية (دراسات في التناص والكتابة والنقد). ص٨٨.

[2] المصدر نفسه. ص٩٢.

٣. **الرّوايةُ والأجناسُ الأخرى:** فالرّوايةُ مِنَ النُّصوصِ النَّثريَةِ التَّأثيريَّةِ الَّتِي تحتاجُ إلَى اقتباساتٍ كثيرةٍ لدعمِ الحِوارِ أوِ الخطابِ بأشكالِهِ المُتعدِّدةِ، سواءٌ كانَ مُباشرًا أوْ مُونولوجًا، ويبرزَ التَّناصُ فِي الرّوايةِ ضمنَ أنواعٍ كثيرةٍ حتَّى الأُسطوريّ منهَا، فالرّوايةُ قصَّةُ أوْ مَجموعةُ قِصصٍ طَويلةٍ ذاتِ أحداثٍ وعُقَدٍ وَحُلولٍ كَثيرةٍ، ولذلكَ فالتَّناصُ فيهَا لهُ تَجلّياتٌ كَثيرةٌ مُفعمةٌ بِالحَيويَّةِ، وسواءٌ عدَّهُ الكاتبُ اقتباسًا أوْ تناصًّا فإنَّهُ إنْ وضعَهُ ضمنَ إشارةِ الاقتباسِ كانَ لهُ ذلكَ، وإنْ لمْ يَضعهُ لَا يُعدُّ سَرقةً لِأنَّ النَّصَّ المَأخوذَ قدْ يكونُ نصًّا عامًّا، وقدْ أصبحَ مُتداولًا عَلَى ألسنةِ العَامَّةِ، ويُستخدمُ كَبرهانٍ ساطعٍ عَلى قضيَّةٍ أوْ مَسألةٍ تَحتاجُ دليلًا عَلى ذَلكَ، وقِسْ عَلى ذَلكَ الأجناسَ النَّثريَّةَ الأخرَى كَالْقِصَّةِ، والخَاطرةِ، والمَقالةِ الأدبيَّةِ أوِ الاجتماعيَّةِ، وَالسِّيرةِ الذَّاتيَّةِ والسِّيرةِ الغَيريَّةِ[١]... وغيرِهَا.

وهكذَا ربطَ تُودوروف بينَ حِواريَّةِ باختين وتناصِّ كريستيفا، خاتمًا بِنظريَّةٍ، ومُستفتحًا بِأخرَى مِنْ جِنسِهَا.

وجاءَتْ جُوليا كريستيفا بِنظريَّةِ التَّناصِ المُنبثقةِ عَنْ نظريَّاتٍ كَثيرةٍ سَبقتهَا، كانَتْ آخرُهَا نظريَّةُ الحِواريَّةِ الَّتِي نادَى بهَا مَايكل باختين، وقدْ بدأَتْ إعلانُهَا عَنْ تلكَ النَّظريَّةِ مِنْ خلالِ تناولِهَا لعلمِ النَّصّ وتطوُّرِهِ ضِمنَ سِياقاتٍ عَديدةٍ، وذلكَ عَامَ ١٩٦٦م.

وتُشيرُ كريستيفا فَي كتابِهَا (علمُ النَّصّ) إلى اعتبارِ النَّصّ مَجالٌ واسعٌ يُلعبُ فيهِ ويُمارسُ ويتمثَّلُ التَّحويلِ النَّفسِي والاجتماعِي وَالسِّياسِي، فالنَّصُّ الأدبيُّ خِطابٌ يخترقُ وجهَ العِلمِ والإيديلوجيَا والّسياسةِ؛ لمُواجهتِهَا وإعادةِ صهرِهَا، وذلكَ لأنَّهُ خِطابُ مُتعدِّدُ الألسنِ، ومُتعدِّدُ الأصواتِ كَذلكَ[٢].

[١] تودوروف، تزفيتان، نظرية الأجناس الأدبية (دراسات في التناص والكتابة والنقد). ص٩٤-٩٦.

[٢] كريستيفا، جوليا. علم النص. ص١٣.

رُبطَ علمُ النَّصّ بِالسّيميائيَّاتِ[1] مِنْ خِلالِ البحثِ المُعمَّقِ فِي السّيميائيَّاتِ الَّتِي رَكَّزَ عَليهَا دِي سُوسير كَثيرًا عَلى النَّحوِ التَّالِي:

١. بناءُ السّيميائيَّاتِ كَعلمِ الخِطاباتِ غيرِ المُباشرةِ، مِنْ خِلالِ تَضمينِ النَّصّ الخِطابِي المُباشرِ مَجموعةٌ مِنَ السّيميائيَّاتِ.
٢. يعودُ أمرُ تحديدِ السّيميائيَّةِ إلى الجِدّيَّةِ والاهتمامِ والاطِّلاعِ عَلى مُرادفَاتٍ أُخرَى، ولغةِ خِطابٍ مُشابِهَةٍ.
٣. السّيميائيَّاتُ تَحليلٌ دَلائِليٌّ لِلألفاظِ وَالمَعانِي عَنْ قُربٍ، وتَحليلٍ خَياليٍّ للتَّصوُّراتِ الفَنيَّةِ، ويمكنُ جعلُ السّيميائيَّةِ مَرجعًا شَاملًا للّغةِ حتَّى الآنَ[2] .
٤. يجبُ تطويرُ السّيميائيَّاتِ حتَّى تُصبحَ عِلمًا قائمًا بحدّ ذاتِهِ.

إذنْ فالسّيميائيَّاتُ لهَا تَعالقٌ فِي النَّصّ يَرتبطُ بالعُلومِ الرّياضيَّةِ والمَنطقيَّةِ واللّسانيَّةِ، أمَّا العُلومُ الاجتماعيَّةُ والفَلسفيَّةُ فإنَّهَا تُسهمُ فِي تَحديدِ مَوضوعِ السّيميائيَّاتِ، وتحددِ المَكانِ الَّذِي تتموقعُ فيهِ أبحاثِهَا، والتَّناصُ يتعلَّقُ بالعِلومِ الاجتماعيَّةِ والفَلسفيَّةِ بِشكلٍ واضحٍ، خاصَّةً أنَّ الشَّاعرَ يَحتاجُ لاسترجاعِ مَا حَفظَهُ مِنْ شِعرٍ عندَ إنتاجِهِ لشِعرٍ جديدٍ، فيتأثَّرُ بمَا حَفظَهُ، ومِنْ هُنَا تَتعالقُ النُّصوصُ القَديمةُ بِالحديثةِ[3].

وَالخِطابُ الشّعريُّ عندَ كريستيفا يُحيلُ الباحثَ إلَى البحثِ فِي مَدلولاتِ هَذا الخِطابِ مِنْ خلالِ سَبرِ غَورِ تِلكَ المَدلولاتِ جميعِهَا، وقراءةِ الخِطاباتِ الشّعريَّةِ المُتعدّدةَ، وهيَ مِيزةُ تَقومُ عليهَا الحَالةُ الشّعريَّةُ الَّتِي تَستعينُ بِدلالاتٍ وأبنيةٍ تَصويريَّةٍ مِنَ النُّصوصِ الأُخرَى، وتَعتمدُ فِي ذلكَ عَلى مَبدأَي الاستدعاءِ وَالانزياحِ، إذْ يتمُّ استدعاءُ المَاضِي واسترجاعُ النُّصوصِ

[1] **السيميائيات:** مصطلح نقدي يتعلق بالعلامات والرموز الكلامية والإيمائية التي توحي إلى النص دون الكلام المباشر، وأول من وضع مصطلح السيمائيات العالم والفيلسوف الأمريكي تشارلز ساندرس (ت: ١٩١٤م)، ثم تبعه العالم اللغوي السويسري فرديناند دي سوسير (ت: ١٩١٣م)، وقد تابع الحديث عن السيميائيات مجموعة من العلماء والنقاد الغرب من الذين بحثوا ظاهرة التناص.

[2] كريستيفا. جوليا، علم النص. ص١٤-١٦.

[3] المصدر نفسه. ص١٨.

القديمةِ فِي ثنايَا النَّصّ الجَديدِ، ومِنْ هُنَا بَرزَتْ ظَاهرةُ التَّناصِ كامتدادٍ لعمليَّةِ الاسترجاعِ والإحياءِ للنُّصوصِ الخَالدةِ الَّتِي لهَا جُذورٌ عَميقةٌ وممتدَّةٌ عَبرَ التَّارِيخِ[1].

وتؤكدُ كريستيفا عَلى وضوحِ أسلوبِ الحوارِ بينَ النُّصوصِ، إذْ يندمجُ اندماجًا مباشرًا داخلَ النَّصّ الشِّعري فيخلقُ بسببِ هذا الاندماجِ معنًى آخرَ للنَّصّ، والنُّصوصُ الشِّعريَّةُ الحَداثيَّةُ يتمُّ التَّداخلُ والتَّعالقُ فيمَا بينهَا عبرَ الامتصاصِ مِنْ جهةٍ، وعبرَ هدمِ النُّصوصِ القَديمةِ وإحلالِها محلّهَا، ويكونُ التَّعبيرُ عنهَا منْ خِلالِ التَّرابطاتِ المُتناظرةِ ذاتِ الطَّابعِ الخَّطَابِي، علمًا بأنَّ النَّصَّ الخَطَابي الشِّعري يَنتجُ داخلَ الحَركةِ المُعقَّدةِ لإثباتٍ ونفي مُتزامنينِ لِنصّ آخرَ[2].

وفيمَا يتعلَّقُ بِمعالجةِ تِقْنيَّةِ التَّناصِ، فقدْ تَعمَّقْتْ كريستيفا فِي دراسةِ هذا المَفهومِ منْ خِلالِ التَّأكيدِ على صُعوبةِ قراءةِ أيّ نصٍّ بِمعزلٍ عنْ نصّ آخرَ، فقدْ يُحيلُ المَدلولُ الشِّعري إلى مَدلولاتٍ شِعريَّةٍ مُغايرةٍ وفقَ قانونِ التَّبادليَّةِ، وقدْ يتكرَّرُ النَّصُّ الشِّعري كمَا هوَ فِي القَصيدةِ ذاتِها وفقَ قانونِ التِّكراريَّةِ، فالفضاءُ الشِّعري يَتعدَّدُ فِي قراءاتِهِ حسبَ القَوانينِ النَّصَّيَّةِ المُتعلِّقةِ بِالخِطابِ الشِّعري، وهُناكَ قَانونُ التَّوزيعيَّةِ، إذْ يتمُّ توزيعُ النَّصّ القَديمِ مِنْ خِلالِ معانيهِ المُتباينةِ داخلَ النَّصّ الشِّعري الحَديثِ، وتتضحُ الإحالةُ لدَى المُتعمّقِ فِي الرُّؤيةِ الشِّعريَّةِ كناقدٍ أوْ باحثٍ، أمَّا قانونُ التَّشاركيَّةِ فهوَ قانونُ تشاركِ النُّصوصِ أحيانًا في قوالبَ متقاربةٍ منْ خلالِ ما يُسمَّى في الشِّعرِ العَربيّ بفنّ المعارضاتِ، وأخيرًا قانونُ الامتصاصِ الَّذِي أشارَتْ إليهِ كريستيفا في كثيرٍ منْ تَحليلاتِهَا للخِطابِ الشِّعريّ وظاهرةِ التَّناصِ، وهذا القانونُ الَّذِي يأتي بالنَّصّ الشِّعري القديمِ كَإشاراتٍ دالَّةٍ عليهِ دونَ الالتزامِ بِالنَّصّ الحَرفيّ أوِ الملفوظِ نفسِهِ، وقانونُ الامتصاصِ يجمعُ بينَ قانونَي التَّبادليَّةِ والتَّوزيعيَّةِ في توزيعِ النَّصّ الشِّعري، وقانونُ الامتصاصِ هوَ الوجهُ الآخرُ لقانونِ التَّشاركيَّةِ كَذلكَ، وهذهِ القَوانينُ الَّتِي تتحكَّمُ في النَّصّ الشِّعريّ أوِ الخِطابِ الشِّعريّ التَّكاملِي تبيّنُ أنَّ تقاطعَ النُّصوصِ في

[1] كريستيفا، جوليا. علم النص. ص٧٨.

[2] المصدر نفسه. ص٨٠.

الخِطابِ الشِّعريِّ أمرٌ لا مناصَ منهُ[1]، وربَّما قولُ الشَّاعرِ الجاهليَّ عنترةَ بنِ شدَّادٍ (ت:٦٠٨) في مطلعِ معلَّقتِهِ:

هَلْ غَادَرَ الشُّعَرَاءُ مِنْ مُتَرَدَّمٍ أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارِ بَعْدَ تَوَهُّمٍ[2]

لدليلٌ على أنَّ الشُّعراءَ لمْ يُبقُوا شيئًا إلَّا قالُوهُ في الجَاهليَّةِ، فكيفَ وقدْ بلغنَا عصرًا جديدًا حديثًا، فمَا الَّذِي سيُقالُ في الشِّعرِ إلَّا إذَا تعلَّقَ الأمرُ بالعلومِ الطَّبيعيَّةِ الَّتِي قلَّمَا يُقالُ الشِّعرُ فيهَا، فالصِّورُ الفَنيَّةُ، والحِكمُ والمَواعظُ الَّتِي تناولَهَا شعراءُ العُصورِ القديمةِ كثيرًا مَا تكرَّرَتْ في الشِّعرِ الحديثِ، وما هيَ إلَّا علاقةٌ متبادلةٌ في الخِطابِ الشِّعري معْ مرورِ الزَّمنِ.

أمَّا النَّاقدُ الفرنسيُّ لوران جيني فقدْ اقترحَ إعادةَ تعريفٍ لمفهومِ التَّناصِ باعتبارِهِ تحويلًا للنُّصوصِ الشِّعريَّةِ وتمثيلًا لهَا في قوالبَ جديدةٍ منْ أصلِ النَّصِّ المركزيِّ، معْ الاحتفاظِ بالمعنَى المُلازمِ لهُ، على أنْ يأتِي بزيادةٍ للمعنَى في النَّصِّ الجَديدِ أوِ الخِطابِ الشِّعريِّ الجديدِ[3]، ويكمنُ حديثُ (جيني) عنِ التَّناصِ في فكرتينِ، **أولاهُمَا:** تحقيقُ مضمونٍ معيَّنٍ كانَ يشكلُ عنصرًا مهمًّا في الخِطابِ الشِّعريِّ لفظًا. **وثانيهُمَا:** تحويلُ معنًى قائمٍ أوْ شكلٍ متوافِرٍ، والذَّهابِ بهمَا إلى أبعادٍ جديدةٍ للمعنَى حسبَ السِّياقِ الجَديدِ[4].

ويرَى (جيني) أنَّهُ يجبُ توسيعُ مجالِ التَّناصِ كَمفهومٍ ليشملَ النُّصوصِ الأدبيَّةِ الأُخرَى، والتَّعبيراتِ الشَّفهيَّةِ، إضافةً إلى الأنساقِ الرَّمزيَّةِ غيرِ اللَّفظيَّةِ (كالمُوسيقَى، والرَّسمِ، والسِّينمَا)، ويدعُو إلى البحثِ العَميقِ فيمَا بينَ النَّصِّ والمُتناصِّ الَّذِي يتشرَّبُ تعدُّديَّةً منَ النُّصوصِ اللَّاحقةِ معْ بقائِهِ مركزيًّا بمعناهُ الأصيلِ، لذلكَ تُصنَّفُ حَالاتُ عملِ التَّناصِ على النَّحوِ التَّالِي:

---

[1] المصدر السابق. ص٨٣-٨٤.

[2] عنترة ابن شداد. ديوان عنترة بن شداد. ص١٨٢. تح: محمد سعيد مولوي. (رسالة ماجستير). كلية الآداب. جامعة القاهرة. مطبعة المكتب الإسلامي. الطبعة الأخيرة. ٢٠٠٩م. القاهرة. مصر. ط١. ١٩٦٤م.

[3] بوترعة، الطيب. التناص في الشعر الجزائري المعاصر. (قراءة في شعر مصطفى الغماري) (دراسة). ص١٥- ١٦.

[4] جهاد، كاظم. أندونيس منتحلا (دراسة في الاستحواذ الأدبي وارتجالية الترجمة، يسبقها: ما هو التناص؟). ص٣٨. ط٢. ١٩٩٣م. مكتبة مدبولي. القاهرة. مصر.

١. **التَّحريرُ:** يكونُ كتابيًّا لِنصوصٍ لمْ تكنْ كتابيَّةً أصلًا، فيتمُّ كتابتُهَا وتحريرُهَا، وهذا التَّناصُ يشملُ النُّصوصَ الأدبيَّةَ والتَّشكيليَّةَ كذلكَ[١].

٢. **الخَطيَّةُ:** تتعلَّقُ بالخُطوطِ المُعتمدةِ واتِّجاهاتُهَا عموديَّةٌ كمَا في الشِّعرِ العربيِّ القديمِ أوْ أفقيَّةٌ كمَا في الشِّعرِ الغَربي والشَّرقي الحرِّ، فالنُّصوصُ الخَطِّيَّةُ تلتزمُ بمَا أُخذَتْ عنهُ أصلًا، حتَّى لا يكونَ هناكَ اختلافٌ بعيدٌ بينَهَا[٢].

٣. **التَّرصيعُ:** هوَ أنْ يعمدَ الشَّاعرُ أوِ الكاتبُ إلى ترصيعِ النُّصوصِ القديمةِ فِي نصِّهِ الجديدِ[٣]، بحيثُ يجعلُهَا فاقدةً للمعنَى القَديمِ، وفاقدةً لاستقلاليَّتِهَا منْ خلالِ دخولِهَا في سِياقاتٍ جديدةٍ، وهذا يتطلَّبُ وجودَ تنافذٍ متعدِّدِ الأنواعِ: كالكِنائِي (الكِنايةِ)، والتَّناظري (التَّشبيهُ التَّمثيلي)، والاستعَارِي (الاستعاراتُ بأنواعِهَا (المُونتاجِ)، وفي هذهِ الحالةِ يعجزُ القارئُ في العثورِ على ترابطاتٍ بائنةٍ بينَ العَناصرِ المُتنافرةِ للتَّناصِ، فيتشرَّبُ النُّصوصَ ويمتصُّهَا امتصاصًا بقوالبَ جديدةٍ.

ورأى (جيني) أنَّ تفاعلَ النُّصوصِ يحتاجُ إلى ترسيخِ الأمورِ التَّاليةِ:

١. **التَّشويشُ:** المقصودُ بهِ: إدخالُ نصٍّ قديمٍ على النَّصِّ الجديدِ مُدخلًا فيهِ شيئًا منَ الدَّعابةِ أوِ الفسادِ لإبعادِهِ عنْ المعنَى الأصيلِ، محاولةً للاستفادةِ منهُ لإثارةِ السُّخريةِ أوِ الدَّعابةِ[٤]، كقولِ الشَّاعرِ المملوكِي المِصري أبي الحُسينِ الجزَّارِ (ت:١٢٨١م) يصفُ درًا نزلَ بهَا:

وَدَارٌ خَــرَابٌ بِهَــا قَدْ نَـزَلْتُ ... وَلَكِنْ نَزَلْتُ إِلَى السَّــابِعَهْ
فَلَا فَرْقَ بَيْنَ أَنْ أَكُــونَ بِهَا ... أَوْ أَنْ أَكُونَ عَلَى الْقَارِعَهْ
وَأَخْشَى بِهَا أَنْ أُقِيمَ الصَّلَاةَ ... فَتَسْــجُدُ حِيطَانُهَا الرَّاكِعَهْ

---

[١] المصدر السابق. ص٤٢.

[٢] جيني، لورون. إستراتيجية الشكل (نظرية التناص في الثقافة العالمية). ص٧٥. ترجمة: نور الدين محقق. مؤسسة دال للنشر والتوزيع. سورية. دمشق. ط١. ٢٠١٥م.

[٣] جهاد، كاظم، أندونيس منتحلا (دراسة في الاستحواذ الأدبي وارتجالية الترجمة_يسبقها: ما هو التناص؟)، ص٤٣.

[٤] المصدر نفسه. ص٥١– ٥٥.

إِذَا مَـــا قَـــرَأْتُ "إِذَا زُلْـــزِتْ" خَشِـيْتُ بِـأَنْ تُقْرَأَ الْوَاقِعَهْ[1]

فالقصيدةُ جاءَتْ على سبيلِ الدَّعابةِ، ولكنْ هناكَ اقتباسٌ دينيٌّ منَ القرآنِ الكريمِ يُشيرُ فيهِ الشَّاعرُ إلى آيةٍ منْ سورةِ الزَّلزلةِ:"**إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضِ زِلْزَالَهَا**"[2]، والتَّناصُ كذلكَ في ذكرِ أسماءِ السِّورِ القُرآنيَّةِ :**(القارعةِ، الواقعةِ، الزَّلزلةِ)**، وإنْ كانَ قدْ قصدَ بالقارعةِ **(جانبِ الطَّريقِ)**.

٢. **الإضمارُ أوِ القطعُ:** وهوَ المعنَى الآخرُ للاقتباسِ المَبتورِ المَقصودِ منهُ تغييرُ المَعنَى الحَرفي[3]، كقولِ شاعرِ الرَّسولِ ﷺ حسَّانِ بنِ ثابتٍ _ رَضِيَ اللهُ عنهُ _:

وَإِمَّا تُعْرِضُوا عَنَّا اعْتَمَرنَا وَكَانَ الفَتْحُ وَانْكَشَفَ الغِطَاءُ

وَإِلَّا فَاصْـــبِرُوا لِجِلَادِ يَومٍ يُعِـــزُّ اللهُ فِيـــهِ مَـــنْ يَشَاءُ[4]

فالاقتباسُ الدِّينيُّ منَ القُرآنِ الكريمِ وردَ في عَجُزِ البيتِ الثَّاني **(يُعِزُّ اللهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ)**، وهذا مبتورٌ منْ آيةٍ قرآنيَّةٍ في سورةِ آلِ عمرانَ في قولِهِ تعالَى :"**قُلْ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكَ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ**"[5]، فقدْ بترَهُ وأضافَ لفظَ الجلالةِ وحرفَ الجرِّ معِ الضَّميرِ المتَّصلِ (فيهِ) لكَي يغيّرُ في تركيبِ النَّصِّ الأصيلِ لأنَّ الخِطابَ الشِّعريَّ هنَا جاءَ على سبيلِ التَّحدِّي للكافرينَ، والوعيدِ بالهزيمةِ، وهوَ سياقٌ مشابهٌ، لكنَّهُ وعيدُ الآخرةِ تجلَّى في النَّصِّ القُرآني.

---

[1] ضيف، شوقي. الفن ومذاهبه في الشعر العربي. ج١. ص٥٠٦. مطبعة دار المعارف. القاهرة. مصر. ط١٢. ١٩٩٦م.

[2] سورة الزلزلة. آية رقم: ١.

[3] جهاد، كاظم. أندونيس منتحلا (دراسة في الاستحواذ الأدبي وارتجالية الترجمة. يسبقها: ما هو التناص؟). ص٥٦.

[4] حسان بن ثابت الأنصاري. ديوان حسان بن ثابت. ص١٩.

[5] سورة آل عمران. آية رقم: ٢٦.

٣. **التَّضخيمُ أوِ التَّوسُّعُ:** يعني إضافةَ معانٍ جديدةٍ للنَّصّ لإنزالِهِ في سِياقٍ جديدٍ مُغايرٍ للسِّياقِ المَأخوذِ عنهُ، أوْ مُشابهٍ لهُ شبهًا بعيدًا[١]، كمَا في المُعارضاتِ، كقولِ البُوصيري في مدحِ الرَّسولِ ﷺ في قصيدةِ **(البُردةِ)**، إذْ قالَ:

لَولَا الْهَوى لَمْ تَرِقْ دَمْعًا عَلَى طَلَلٍ وَلَا أَرِقْتَ لِذِكْرِ الْبَانِ وَالْعَلَمِ[٢]

وقدْ عارضَهُ أحمد شوقِي في قصيدتِهِ **(نَهجُ البُردةِ)** وتوسَّعَ في معانيهِ وخيالِهِ، فقالَ:

رِيْمٌ عَلَى الْقَاعِ بَيْنَ الْبَانِ وَالْعَلَمِ أَحَلَّ سَفْكَ دَمِي فِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ[٣]

إذْ ذكرَ شوقي في معارضتِهِ اللَّاحقةِ لقصيدةِ البُوصيري (البانِ والعلمِ)، وأشارَ إلى الهَوى مِنْ خلالِ سفكِ الدَّمِ، ولكنَّهُ توسَّعَ في الإشارةِ إلى الأشهرِ الحُرُمِ دونَ ذكرِهَا، وهيَ:**(ذُو القِعدةِ، ذُو الحِجَّةِ، مُحرَّم، رَجَبِ (الفَرد)**، وهذا التَّوسُّعُ منْ أجلِ الإتيانِ بجديدٍ، وزيادةِ المعنَى، ودعمِهِ).

٤. **المُبالغةُ:** تكونُ المبالغةُ في المعنَى منْ خلالِ ربطِهِ بمعانٍ أخرَى جديدةٍ، فيهَا مُغالاةٌ وزيادةٌ[٤]، كقولِ الشَّاعرِ العباسِي ابنِ الرُّومِي (ت:٨٩٦م) في النَّسيبِ والعِشقِ:

بَأَبِي شَـــادٍ تَنَسَّمْتُ مِنْ عَيْنَيْهِ يَومَ الْخَمِيسَ رِيحَ الصُّدُودِ

صَارَ ذَنْبِي كَذَنْبِ آدَمَ يَا عَمْرُو فَأُخْرِجْتُ مِنْ جِنَانِ الْخُلُودِ[٥]

فقدْ بالغَ الشَّاعرُ ابنُ الرُّومِي في وصفِ محبوبتِهِ واعتبارِهِ مفارقتُهَا كمفارقةِ آدمَ لجنانِ الخُلودِ، والتَّناصِ هُنا في الاقتباسِ منَ القرآنِ الكريمِ منْ سُورةِ البقرةِ، في قولِهِ تعالَى:"**وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهُمَا حَيْثُمَا شِئْتُمَا رَغَدًا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُوْنَا مِنَ الظَّالِمِيْنَ(٣٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيْهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى**

---

[١] جهاد، كاظم. أندونيس منتحلا (دراسة في الاستحواذ الأدبي وارتجالية الترجمة. يسبقها: ما هو التناص؟). ص٥٦.

[٢] البوصيري، محمد بن سعيد. البردة. ص١٥.

[٣] شوقي، أحمد، الشوقيات. ج١. ص٢٢٩.

[٤] جهاد، كاظم. أندونيس منتحلا (دراسة في الاستحواذ الأدبي وارتجالية الترجمة، يسبقها: ما هو التناص؟). ص٥٦.

[٥] أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي. ديوان الحماسة برواية: أبو منصور موهوب الجواليقي. ص٢٧٨. تح: أحمد حسن بسج. منشورات محمد علي بيضون. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط١. ١٩٩٨م.

حِيْنَ"[1]، والمُبالغةُ في التَّناصِ تأتِي عندَما يُوضعُ المعنَى مقابلَ معنًى مُوازٍ لهُ معْ أنَّهُ أقلُّ منهُ شأنًا، وهُنا تكونُ المُبالغةُ في ذلكَ، وغالبًا مَا تقعُ ضمنَ التَّناصِ الدِّينِي[2].

٥. **القلبُ أوِ العكسُ:** هيَ الصِّيغةُ الأكثرَ في التَّناصِ، إذْ يتمُّ قلبُ المعنَى أوْ مُحاكاتِهِ محاكاةً ساخرةً، أوْ قلبُ القيمةِ اللُّغويَّةً والمَعنويَّةُ فيهِ، أوْ قلبِ الوضعِ الدْرامي أوِ القيمةِ الرَّموزيَّةِ[3]، كقولِ أَروشفوكُو:**(إنَّهُ لَدليلٌ عَلى وَهَنِ الصَّداقةِ عدمُ الانتباهِ لانْطِفاءِ صَداقةِ أصدِقائِنَا)**، ويصبحُ المقطعُ نفسُهُ عندَ لوتريامون الَّذِي جاءَ بعدَهُ، إذْ قالَ:**(إنَّهُ لَدليلٌ عَلى الصَّداقةِ عدمُ الانتباهِ لِتنامِي صَداقةِ أَصدقائِنَا)**، فهناكَ مُخالفةٌ بينَ النَّصينِ **(وهنُ الصَّداقةِ، والصَّداقة، انطفاءُ صداقة، تَنامِي صَداقة)**[4].

٦. **تغييرُ مستوَى المعنَى:** قلبُ المعنَى كلِّيًّا كمَا في النَّقائضِ، أوْ تحويلُ المَجازِ إلى حقيقةٍ أوِ العكسِ[5]، كقولِ جريرٍ يهجُو الفَرزدقَ:

لَمَّا وَضَعْتُ عَلَى الْفَرَزْدَقِ مَيْسَمِي وَضَغَا الْبَغِيثُ، جَدَعْتُ أَنْفَ الْأَخْطَلِ

أَخْزَى الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ مُجَاشِعًا وَبَنَى بِنَـاءَكَ فِي الْحَضِيضِ الْأَسْفَلِ[6]

فردَّ عليهِ الفَرزدقُ بالوزنِ نفسِهِ، والمَوضوعِ نفسِهِ، واختلفَ الرَّويُّ بينَ الكسرِ والضَّمِّ، إذْ قالَ:

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتًا دَعَـائِمُهُ أَعَــزُّ وَأَطْوَلُ[7]

إِنَّ اسْتِرَاقَكَ يَا جَرِيرُ قَصَـائِدِي مِثْلُ ادِّعَاءِ سِوَى أَبِيْكَ تَنَقَّلُ[8]

---

[1] سورة البقرة. آية رقم: ٣٦.

[2] عيسى، عبد الخالق. التناص مع القصة القرآنية في شعر أبي تمام. ص٤٤٤. (مقالة). كلية الآداب. جامعة النجاح الوطنية. مجلة جامعة الأزهر في غزة. سلسلة العلوم الإنسانية. مج١٤. ع٢. ص٤٣١-٤٤٦. ٢٠١٢م.

[3] جهاد، كاظم، أندونيس منتحلا (دراسة في الاستحواذ الأدبي وارتجالية الترجمة، يسبقها: ما هو التناص؟). ص٥٦.

[4] كريستيفا، جوليا. علم النص. ص٧٨-٧٩.

[5] جهاد، كاظم. أندونيس منتحلا (دراسة في الاستحواذ الأدبي وارتجالية الترجمة، يسبقها: ما هو التناص؟). ص٥٧.

[6] جرير بن عطية الخطفي. ديوان جرير. ص٣٥٧.

[7] الفرزدق، همام بن غالب الدرامي. ديوان الفرزدق. ص٤٨٩.

[8] المصدر نفسه. ص٤٩٤.

فالمعنَى تغيَّرَ بضدِهِ، إذْ افتخرَ جريرٌ بنفسِهِ وقومِهِ، وهجَا الفَرزدقَ، وفي المقابلِ افتخرَ الفرزدقُ بنفسِهِ وقومِهِ، وهجَا جريرًا، وهذا التَّناقضُ منْ أشكالِ التَّناصِ، إذْ تقاربَتِ الألفاظُ والمَعانِي معِ التَّغييرِ فِي مستوَى المَعنَى بالتَّضادِ والتَّعاكسِ.

فالتَّناصُ حسبَ (جيني) يأخذُ أشكالًا متعددةً، وليسَ شكلًا واحدًا ممَّا يدلُّ علَى اتِّساعِ هذهِ الظَّاهرةِ، لأنَّها في علمِ النَّصّ تدخلٌ في نُصوصٍ أدبيَّةٍ عديدةٍ، ولا تُقتصرُ على الخِطابِ الشِّعريّ فحسب، إذْ تدخلُ في مجالِ الخِطابِ النَّثرِي، والمُوسيقَى، والفُنونِ، والسِّينمَا، ممَّا يدلُّ على تشعُّبِ هذهِ الظَّاهرةِ منْ خلالِ نظريَّةِ التَّأثُّرِ والتَّأثيرِ في عَالمِ الأدبِ والفَنّ، وكلاهُمَا مرتبطٌ بالآخرِ، فالَّذِي يُعالجُ النُّصوصَ الأدبيَّةَ لا بدَّ أنَّهُ اطَّلعَ علَى نُصوصٍ سابقةٍ وتأثَّرَ بهَا، فظهرَتْ فِي نصِّهِ الجَديدِ، وكذلكَ الَّذِي يُعالجُ النُّصوصَ الفنيَّةَ والرُّسومَاتِ يكونُ قدِ اطَّلعَ عَلى نُصوصٍ سَابقةٍ وتأثَّرَ بهَا فنرَى تأثُّرِهِ بهذِهِ النُّصوصِ منْ خِلالِ تداخُلِهَا وتقاطُعِهَا معْ نصِّهِ الجَديدِ[1].

أمَّا ميشال رِيفاتير فقدْ رأى أنَّ التَّناصَ مجموعةٌ منَ النُّصوصِ المُتداخلةِ معِ النَّصّ الَّذِي نحنُ بصددِ قراءتِهِ أوْ معالجتِهِ، وهذهِ النُّصوصُ نَستحضرُهَا في ذاكرتِنَا كنُصوصٍ قديمةٍ مخزَّنةٍ في الذَّاكرةِ، وقدْ دفعَهَا السِّياقُ المُشابهُ إلى الخُروجِ والمُشاركةِ في النَّصّ المُرادِ قراءتِهِ أوْ إنشائِهِ، وتداخلُ النُّصوصِ ظاهرةٌ ذاتُ علاقةٍ بِالنَّصّ وبلورتِهِ فِي قوالبَ لفظيَّةٍ ومعنويَّةٍ قدْ تكونُ عموديَّةً في قراءتِهَا وتأويلِهَا، وبذلكَ تكونُ متناقضةً معِ القراءةِ الخَطِّيَّةِ للنُّصوصِ[2].

وقسَّمَ (ريفاتير) التَّناصَ إلى قسمينِ رَئيسينِ، همَا:

١. **التَّناصُ المُباشرُ:** هوَ المسمَّى بتناصِ التَّجلِّي، وهوَ تناصٌ تجلٍ في توالدِ النَّصّ وتناسلِهِ، ويتمُّ فيهِ مناقشةُ المَلفوظاتِ والمَحاورِ والجُملِ، لذلكَ يُعدُّ إعادةَ إنتاجٍ[3]

[1] جيني، لورون. إستراتيجية الشكل (نظرية التناص في الثقافة العالمية). ص١٠٠-١٠٢.

[2] مراشدة، عبد الباسط، التناص في الشعر العربي الحديث (دراسة نظرية تطبيقية)، ص١٦، (رسالة دكتوراه)، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٠م، عمان_الأردن.

[3] الزعبي، أحمد. التناص نظريا وتطبيقيا. ص١٥.

للنَّصّ السَّابقِ في حدودٍ منَ الحُرِّيَّةِ، فهوَ تناصٌّ متطابقٌ إلى حدٍّ كبيرٍ، كمَا جاءَ في معلَّقتَي امرئِ القَيسِ والأعشَى.

٢. **التَّناصُ غيرُ المُباشرِ**: هوَ التَّناصُ الخَفيُّ الَّذِي يتطلَّبُ مِن القَارئِ أوِ الباحثِ ثقافةً واسعةً لاكتشافِهِ، ويندرجُ تحتَ الرَّمزيَّاتِ، والإيماءَاتِ، والإيحاءَاتِ، والإشارَاتِ، لذلكَ يحتاجُ إلى دراسةٍ دقيقةٍ وسَعةِ اطِّلاعٍ لمعرفتِهِ واستخراجِهِ مِنْ ثنايَا النُّصوصِ الحديثةِ، وهوَ يمثِّلُ غالبيَّةَ التَّناصّ فِي الشِّعرِ[١].

و(ريفاتير) تبنَّى أفكارَ (باختين) بجملتِهَا فيمَا يتعلَّقُ بمبدأِ الحِواريَّةِ بينَ النُّصوصِ، باعتبارِ أنَّ التَّناصَ ظاهرةٌ أُسلوبيَّةٌ، وهيَ مرتَّبةٌ مِنْ مراتبِ التَّأويلِ للنُّصوصِ السَّابقةِ واللَّاحقةِ، وهذا التَّبنِّي الَّذِي أقرَّهُ (ريفاتير) مرتبطٌ بأفكارِهِ عنَ الوقائعِ البلاغيَّةِ والمقروئيَّةِ الأدبيَّة، وهذا الارتباطُ متعلِّقٌ بمستوَى افتراضِ تطابقٍ مُتبادَلٍ بينَ الشَّكلِ والمضمونِ؛ لأنَّ مَرجعيَّاتِ النُّصوصِ اللَّاحقةِ هيَ النُّصوصُ الأخرَى السَّابقةُ، والنَّصِّيَّةُ المَقصودةُ مرتكزُهَا التَّناصُ كَنظريَّةٍ أسلوبيَّةٍ شُموليَّةٍ تتعلَّقُ بتحاوُرِ النُّصوصِ[٢].

أمَّا النَّاقدُ الألمانِي (روبرت شولز) (ت:١٩٧٤م) فيتحدَّثُ عنَ التَّناصِ بقولِهِ :(**إنَّ النُّصوصَ المُتداخلةَ اصطلاحٌ أخذَ بهِ السِّيميولوجيونَ، أيْ دُعاةُ السِّيمائيَّةِ أمثالُ (كريستيفا، وبارَت، وغيرهُمَا)**، والمبدأُ العامُّ حولَهُ يشيرُ إلى أنَّ النُّصوصَ اللَّاحقةَ تشيرُ إلى نُصوصٍ سَابقةٍ لهَا إشاراتٌ متفاوتةٌ في التَّصريحِ أوِ التَّلميحِ، وليسَ إلى الأشياءِ المعنيَّةِ مُباشرةً، فالنَّصُّ المُتداخلُ هوَ نصٌّ يتسرَّبُ إلى نصٍّ آخرَ ليجسِّدَ المَدلولاتِ المُتعلِّقةِ بالسِّياقِ سَواءٌ أدركَ القَارئُ تلكَ المَدلولاتِ أمْ لمْ يُدركْهَا[٣].

---

[١] الدباغ، حنان. التناص أنماطه وأنواعه في شعر المتنبي. (دراسة: رسالة ماجستير). ص٥١، كلية الآداب. جامعة الإسراء. الأردن. ٢٠٢١م.

[٢] المناصرة، عز الدين. علم التناص والتلاص (نحو منهج عنكبوتي تفاعلي). ص٥٧. الهيئة العامة لقصور الثقافة. القاهرة. مصر. ط١. ٢٠١١م.

[٣] الغذامي، عبد الله. الخطيئة والتكفير من البنوية إلى التشريحية (قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر). ص٣٢٠_٢٢٢.

و(شولز) اتَّفقَ مع (ريفاتير) تمامًا في اعتبارِ أنَّ إحدَى السِّماتِ النَّمطيَّةِ في الخِطابِ الشِّعريِّ وجودُ نصوصٍ مُنبثقةٍ منْ نُصوصٍ أخرَى مُتداخلةٍ معهَا، أوْ مِنْ قوالبَ يقدِّمُهَا المَوروثُ المُتواترُ، ويشيرُ (شولز) إلى نظريَّةِ التَّوليدِ السِّيميائِي وهيَ نظريَّةٌ استعملَهَا (ريفاتير) كذلكَ، وتقومُ على أساسِ المُحاكاةِ مِنْ خلالِ التَّوفيقِ بينَ العَرضِ المَجازِي والعَرضِ الحَقيقِي للنَّصِّ في لفظِهِ ومعناهُ، إذْ تركِّزُ كثيرًا علَى المعنَى المَجازِي، وهذا يندرجُ تحتَ التَّناصِ غيرِ المُباشرِ حسبَ (ريفاتير)، ويتضمَّنُ عودةً إلى البِنيةِ التَّبادليَّةِ الَّتِي تُحيطُ بالكلماتِ المُفردةِ (المُلفوظاتُ) وبِنيةِ التَّناصِ الَّتِي تحيطُ بالنَّصِّ الشِّعريِّ المُعيَّنِ[1].

وفي تعريفِ (شولز) للمصطلحاتِ نجدُهُ اعتبرَ التَّناصَّ إشاراتٌ لِنصوصٍ سَابقةٍ داخلَ نصوصٍ أُخرَى لاحقةٍ، والشَّاعرُ الَّذِي أخذَ نصًّا مِنْ شاعرٍ أخرَ يُدعَى المُتناصُّ، وإذا كانَ التَّناصُ مُباشرًا فإنَّ المُتناصُّ يدخلُ ضمنَ بابَ التَّعريةِ للتَّناصِ الَّذِي يُعدُّ مُحاكاةً ساخرةً للعمليَّةِ التَّناصيَّةِ، بينمَا تكونُ عادةً أقلَّ وضوحًا وأكثرَ تعقيدًا في التَّناصِ غيرِ المُباشرِ وهوَ المقبولُ أكثرُ، وعلى نحوٍ موازٍ لعمليَّةِ التَّوليدِ الَّتِي أشرنَا إليهَا فإنَّ توليدَ الإشارةِ اللَّامحدودةِ بالنِّسبةِ لنَا يكونُ ارتدادُهَا لَا نهائيًّا للنِّصوصِ أيضًا، إذْ إنَّهَا تتكرَّرُ في الفَنِّ الواحدِ أوِ الغَرضِ الشِّعري أكثرَ مِنْ مرَّةٍ، ومثالًا علَى ذلكَ، فإنَّ المَراثِي جميعَهَا هيَ مُتناصَّاتٌ لمرثيَّةٍ مكرَّرةٍ كثيرًا[2].

أمَّا النَّاقدُ الفرنسي رُولان بارت أو (بارث) (ت:١٩٨٠م) الَّذِي تحدَّثَ عنِ التَّناصِ لأوَلِ مرَّةٍ عامَ ١٩٧٣م منْ خلالِ مقالاتٍ عدَّة جمعَهَا في كُتبهِ المُتعدِّدةِ، فقدَ أوضحَ أنَّ النَّصَّ في تكوينِهِ منسوخًا عنْ عددٍ منَ الاقتباساتِ والمراجعِ والأصداءِ، وهيَ مزيجٌ منْ لغاتٍ ثقافيَّةٍ سابقةٍ أوْ معاصرةٍ تتجاوزُ النَّصَّ في حدودِهِ منْ خلالِ تكوينِ جُسيميَّةٍ واسعةٍ، فالتَّناصُ الَّذِي يوجدُ في كلِّ نصٍّ ما هوَ إلَّا تناصًّا لِنَصٍّ آخرَ سابقٍ لهُ[3]، فالتَّناصُ في رأيهِ عبارةٌ عنِ

---

[1] شولز، روبرت. السيمياء والتأويل. ص٧٩. ترجمة: سعيد الغانمي. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت. لبنان. ط١. ١٩٩٤م.

[2] المصدر نفسه. ص٢٤٤.

[3] المناصرة، عز الدين. علم التناص والتلاص (نحو منهج عنكبوتي تفاعلي). ص٥٢.

اقتباساتٍ بدونِ قوسينِ، فبارت يشرحُ ما قالتْهُ كريستيفا ويفصّلُ شُروحاتِهِ لمنجزاتِهَا على صعيدِ التَّناصِ معتبرًا أنَّ النَّصَّ يعيدُ توزيعَ اللُّغةِ منْ خلالِ التَّناصِ، والتَّناصيَّةُ قدرُ كلِّ نصٍّ مهمَا كانَ جنسُهُ، فالنُّصوصُ المُوزَّعةُ على شكلِ أشلاءَ ما هيَ إلَا نصوصٌ منبثقةٌ عنِ النَّصِّ المركزِي الَّذِي شكَّلهُ عالِمٌ أوْ شاعرٌ أوْ لُغويٌّ قديمٌ، فكلُّ نصٍّ حديثٍ ليسَ إلَّا نَسيجًا منِ استشهاداتٍ سابقةٍ، فالتَّناصُ مجالٌ عامٌّ لصيغٍ مجهولةٍ أحيانًا يندرُ معرفةُ أصلِهَا، والتَّناصُ مهمَا يكنُ فهوَ إنتاجٌ جديدٌ لنصٍّ آخرَ بأسلوبٍ جديدٍ، إلَّا ما كانَ نسخًا فهوَ اقتباسٌ وجبَ وضعُهُ بينَ قوسينِ، والنَّصُّ في التَّناصِ هوَ إحياءٌ لنصوصٍ قديمةٍ تشكِّلُ ثقافةَ المجتمعِ وتفكيرِهِ، وكلمةُ نصٍّ تعنِي النَّسيجَ، ونظريَةُ النَّصِّ بمثابةِ علمِ نسيجِ العَنكبوتِ[1].

تناولَ بارت النَّصَّ في أكثرِ مِنْ كتابٍ منْ كُتُبِهِ ككتابِ (سِيمولوجَيا) الَّذِي ألَّفَهُ عامَ ١٩٦٣م، وكتابِهِ (عَناصرِ السِّيمولوجَيَا) الَّذِي ألَّفَهُ عامَ ١٩٦٤م، أمَّا ظهورُ مصطلحِ التَّناصِ فقدْ كانَ في كتابِهِ (لذَّةِ النَّصِّ) الَّذِي ألَّفَهُ عامَ ١٩٧٣م، وأشارَ في حديثِهِ عنِ النَّصِّ :(**أنَّهُ غيرُ مقترنِ الوجودِ بالمعنَى، ولكنْ بمرورِهِ وعبورِهِ، ولا تتعلَّقُ تعدُّديَّةُ النَّصِّ بغموضِ مَضمونِهِ، ولكنْ فيمَا نستطيعُ تسميتُهُ بالتَّعدُّديَّةِ المُضخَّمةِ الَّتِي تنسجُهُ**)[2].

ويعرضُ بارت في كتابِهِ (لذَّةِ النَّصِّ) لنوعينِ مِن قراءةِ النَّصِّ، **الأولى:** قراءةٌ تغلقُ النَّصَّ وتقفُ على زمنٍ مُعيَّنٍ، و**الثَّانيةُ:** قراءةٌ تفتحُ النَّصَّ وتجعلُهُ محدَّثًا على الدَّوامِ، فأدونيسُ فِي القِراءةِ المُغلقةِ يُعدُّ قديمًا، وامرؤُ القَيسِ في القِراءةِ المَفتوحةِ يُعدُّ حديثًا، والَّذِي يجبُ فهمُهُ أنْ لا نجعلَ القِراءةَ مغلقةٌ فهيَ ليسَتْ موقوفةً على زمنٍ معيَّنٍ بلْ يجبُ العَملُ على جعلِ النُّصوصِ حيَّةً ومفعمةً بالحَيويَّةِ ...، فالنَّصُّ كائنٌ لُغويٌّ يشهدُ على حُضورِ التُّراثِ فيهِ، وهذهِ القِراءةُ بنوعيهَا تشكِّلُ في الواقعِ نسيجَ النَّصِّ، سواءٌ كانَ قديمًا أوْ حديثًا، وهيَ آلةُ العملِ المُفيدةُ في أيِّ دِراسةٍ مِنْ دراساتِ التَّناصِ[3].

---

[1] المناصرة، عز الدين. علم التناص والتلاص (نحو منهج عنكبوتي تفاعلي). ص٥٣-٥٤.

[2] جمعة، حسين. المسيار في النقد الأدبي. ص٢٠. منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق. سوريا. ط١. ١٩٨٦م.

[3] بارت، لوران. لذة النص. ص١٤- ١٥. ترجمة: منذر عياشي. منشوارات دار لوسوي. باريس. فرنسا. ط١. ١٩٩٢م.

وأكَّدَ بارت على ضرورةِ التَّمييزِ بينَ العملِ الأدبيّ والنَّصّ، فالعملُ الأدبيُّ يبقَى نصًّا عاديًّا غيرَ مؤثِّرٍ لا لذَّةَ فيهِ، والعملُ الأدبيُّ الَّذِي يمتلكُ لذَّةَ النَّصّ يكونُ مؤثِّرًا، وهذا مُرتبطٌ بلذَّةِ القِراءةِ، وهُنا يوجِّهُ بارت رِسالةً للأدباءِ قائلًا:(يجبُ على النَّصّ الَّذِي تكتبونَهُ لِي أنْ يُعطينِي الدَّليلَ بأنَّهُ يَرغبُنِي، إنّهُ الكتابةُ، وإنَّ الكِتابةَ لَتكمُنُ في هذا، إنَّهُ علمُ متعةِ الكَلامِ، فالنَّصُّ المَسموعُ ليسَ كَالنَّصّ المَقروءِ، والعَملُ الأدبيُّ المُؤثِّرُ يجعلُ النَّصَّ يحاورُ قارئَهُ، لا ينفِّرَهُ ويملِّهُ منهُ، فليسَ كلُّ نصٍّ في لذَّةٍ ومُتعةٍ، كمَا ليسَ كلُّ عملٍ أدبيٍّ يحقِّقُ لذَّةَ النَّصّ، ومِنْ هنَا فإنَّ الأصلَ أنْ يكونَ في النُّصوصِ إنتاجيَّةٌ مهمَا تكرَّرَتْ، ولَا تكونُ إعادةَ إنتاجٍ مُقتبسٍ[1].

أمَّا النَّاقدُ الأدبيُّ الفَرنسي جِيرار جِينيت (ت:٢٠١٨م) فقدْ بيَّنَ أنَّ التَّناصَ هوَ كلُّ ما يضعُ النَّصَّ في علاقةٍ ظاهرةٍ أوْ خَفيَّةٍ معِ نُصوصٍ أخرَى، فموضوعُ الشأَّعريةِ عندَهُ يعنِي التَّعديةَ النَّصِّيَّةَ أوِ الاستعلاءِ النَّصِّي، ويضعُ جينيت خمسةَ أنماطٍ للتِّعديةِ النَّصِّيَّةِ يختصرُهَا في العَلاقاتِ الآتيةِ:

١. **علاقةُ حضورٍ مشتركٍ:** هيَ علاقةٌ تشاركيَّةٌ، إذْ يتداخلُ النَّصُّ القديمُ معِ النَّصّ الحديثِ ضمنَ قالبٍ منفصلٍ في حضورٍ داخلِ النَّصّ الواحدِ، وهوَ ما يُطلقُ عليهِ التَّضمينُ أوِ الاقتباسُ[2]، كقولِ (أميرِ البيانِ) شكيب أرسلان:

لَقَدْ مَنَّ بِالشُّورَى عَلَيْكُمْ بِمُقْتَضَى "وَشَاوِرْهُمْ بِالْأَمْرِ" إِنْ تَحْمِلِ الْأَمْرَا[3]

فالتَّناصُ المشتركُ في قولِهِ "**وَشَاوِرْهُمْ بِالْأَمْرِ**" هوَ جزءٌ منَ آيةٍ قرآنيَّةٍ في سورةِ آلِ عمرانَ، في قولِهِ تعالَى:"**فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِيْنَ**"[4]، وقدْ وضعَهَا بينَ قوسينِ في

[1] المصدر السابق. ص٢٧- ٢٨.

[2] المناصرة، عز الدين. علم التناص والتلاص (نحو منهج عنكبوتي تفاعلي). ص٥٨.

[3] أرسلان، شكيب. ديوان الأمير شكيب أرسلان. ص١٠٣. تصحيح: محمد رشيد رضا. منشئ المنار. القاهرة. مصر. ط١. ١٩٣٥م.

[4] سورة آل عمران. آية رقم: ٥٩.

إشارةٍ إلى الاقتباسِ، وتفاديًا لاعتبارِهَا سرقةً، وهذا النَّوعُ مِن التَّناصِ مختَلفٌ فيهِ بينَ مانعٍ ومُجيزٍ لهُ لأسبابٍ ذكرناهَا سابقًا.

٢. **علاقةُ الملحقِ النَّصّي:** هيَ العلاقةُ الَّتِي تقومُ على العامّ بينَ النَّصّ الحاضرِ والنَّصّ الغائبِ، وهوَ ما يُشيرُ إلى:(العنوانِ أوِ التَّنبيهِ أوِ الهَوامشِ أوِ الخُطوطِ أوِ الرُّسومِ، وكذلكَ التَّمهيدِ)، وهذا يشبهُ المعارضاتِ كمَا في قصيدةِ (البُردةِ) للبوصيري، ومعارضتِهَا بقصيدةِ (نهجُ البُردةِ) لأحمد شوقي، وقدْ ذكرناهَا سابقًا.

٣. **علاقةُ التَّعالِي النَّصّي:** يُطلقُ عليهَا المَاورائيَّةُ النَّصِّيَّةُ، أيْ شرحُ النَّصّ بنصٍّ آخرَ يشبهُهُ، دونَ أنْ يُصرّحَ بِهِ واضحًا، وهوَ التَّلميحُ في التَّناصِ[١]، كقولِ شكيب أرسلان:

وَلَوْ أُنَاجِي ضَمِيرِي كُنْتُ مُسْمِعَهُمْ قَولِي كَأَنَّهُمْ فِي الْغَيْبِ أَشْهَادِي[٢]

فقولُهُ **(كَأَنَّهُمْ فِي الْغَيْبِ أَشْهَادِي)** تناصٌّ تلميحيٌّ معِ الآيةِ القرآنيَّةِ في سورةِ غافرٍ، في قولِهِ تعالَى:"**إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِيْنَ آمَنُوْا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُوْمُ الْأَشْهَادُ**"[٣]، فالإشارةُ هُنا تلميحيَّةٌ منْ خلالِ لفظةِ **(الأشهادِ)** الدَّالةِ علَى التَّناصِ، والبيتُ جاءَ يشرحُ دورَ الأشهادِ يومَ القيامةِ عندمَا يشهدونَ على الشَّخصِ، وهُنا يشرحُ أنَّ الشَّهادةَ ستكونُ لصالِحِهِ، كمَا ستكونُ لصالحِ الرُّسلِ يومَ القيامةِ.

٤. **علاقةُ الجامعيَّةِ النَّصِّيَّةِ:** هيَ علاقةُ التَّناصِ الخرساءُ المعبّرةُ عنْ قصَّةٍ أوْ روايةٍ أوْ حكايةٍ شعبيَّةٍ، إذْ يُشيرُ إليهَا الشَّاعرُ بالعُنوانِ، فيتذكَّرُهَا القَارئُ ويربطُهَا بهَا دونَ تفسيرٍ وشرحٍ[٤]، كقولِ الشَّاعرِ العبَّاسِي أبي الطَّيِّبِ المُتنبِي (ت:٩٦٥م):

أَنَا فِي أُمَّةٍ تَدَارَكَهَا اللهُ غَرِيبٌ كَصَالِحٍ فِي ثَمُودٍ[٥]

---

[١] المناصرة، عز الدين. علم التناص والتلاص (نحو منهج عنكبوتي تفاعلي). ص٥٩.

[٢] أرسلان، شكيب. ديوان الأمير شكيب أرسلان. ص٧.

[٣] سورة غافر. آية رقم: ٥١.

[٤] المناصرة، عز الدين. علم التناص والتلاص (نحو منهج عنكبوتي تفاعلي). ص٥٩.

[٥] المتنبي، أبو الطيب. ديوان المتنبي. ص٢٢. دار بيروت للطباعة والنشر. بيروت. لبنان. ط١. ١٩٨٣م.

إذْ يُشيرُ إلى قصَّةِ النَّبي صالحٍ _ عليهِ السَّلامُ _ معْ قومِهِ (ثمودَ) في قولِهِ في عَجُزِ البيتِ :(**غَرِيبٌ كَصَالِحٍ فِي ثَمُودٍ**)، وقدْ وردَتِ القصَّةُ في القرآنِ الكريمِ في أكثرِ منْ موضعٍ، كمَا قالَ تعالَى في سورةِ هُودٍ:"**وَأَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُوْدَ أَخَاهُمْ صَالِحًا**"[1]، وقدْ أشارَ في البيتِ إلى عُنوانِ القصَّةِ دونَ ذكرِ التَّفاصيلِ، سِوى وضعِ نفسِهِ في صورةِ الصَّالحِ بينَ قومٍ فاسدينَ.

٥. **علاقةُ الاتِّساعيَّةِ النَّصِّيَّةِ:** إذْ يتضمَّنُ النَّصُّ الحاضرُ ملفوظاتٍ عدَّة منَ النَّصِّ الغائبِ، فكأنَّمَا ينشبُ أظفارَهُ فيهِ فيستحوذُ عليهِ، ولكنْ دونَ اقتباسٍ ولا تضمينٍ، وإنَّمَا تداخلٌ في المَلفوظاتِ والمَعانِي في أكثرِ منْ موضعٍ[2]، كقولِ أحمد شوقي:

تَسْتَرِيحُ المَطَايَا يَومًا، وَهَذَا تَنَقّلُ العَالَمِينَ مِنْ عَهْدِ عَادٍ[3]

وقدْ جاءَ على غرارِ النَّصِّ الغائبِ للشَّاعرِ أبي العَلاءِ المَعرّي (ت:١٠٥٧م):

صَاحِ، هَذِي قُبُورُنَا تَمَلَأُ الرَّحْبَ فَأَيْنَ الْقُبُورُ مِنْ عَهْدِ عَادٍ[4]

فقدْ حدَّدَ المعرّي قبورَ الموتَى منَ النَّاسِ منذُ عهدِ عادٍ، بينمَا توسَّعَ شوقي في الحديثِ عنِ العالمينَ منْ عهدِ عادٍ، حتَّى أشارَ إلى المَطايا، وتشملُ البهائمَ الَّتِي تُركبُ كذلكَ، فقدْ تناصَّ شوقي معِ المعرّي ولكنَّهُ توسَّعَ في حديثِهِ عنِ النَّاسِ والعالمينَ والبهائمِ المَركوبةِ.

ويُعدُّ جينيت منْ أكثرِ النُّقَّادِ عِلاجًا لموضوعِ التَّناصِ بعدَ كريستيفا، إذْ تناولَهُ في أكثرِ مِنْ كتابٍ منْ كتبِهِ الَّتِي تخصَّصَ بعضُهَا في التَّناصِ مثلَ كِتابِ (النَّظريَّاتُ: مِن التَّناصِ إلى الأطراسِ)، وكتابِ (مدخلٌ لجامعِ النَّصِّ) أُطلقَ عليهِ اسمُ (التَّعالِي النَّصِّي فِي النَّصِّ)

[1] سورة هود. آية رقم: ٦١.

[2] المناصرة، عز الدين. علم التناص والتلاص (نحو منهج عنكبوتي تفاعلي). ص٥٩.

[3] شوقي، أحمد. الشوقيات. ص٦٠٠.

[4] المعري، أبو العلاء. سقط الزند. ص٧. دار بيروت للطباعة والنشر بالاشتراك مع دار صادر للطباعة والنشر. بيروت. لبنان. ط١. ١٩٥٧م.

وغيرِهَا منَ الكتبِ[1]، فالتَّناصُ عندَهُ كلُّ ما يجعلُ النَّصَّ في علاقةٍ ظاهرةٍ أو خفيَّةٍ منْ نصوصٍ أخرَى، لذلكَ فهوَ يقدِّمُ استراتيجيَّةً شاملةً لدراسةِ النَّصِّيَّةِ باعتبارِهَا عمليَّةِ تنصيصٍ، وليسَتْ فقدْ تداخلَ نصّ معْ نصوصٍ أُخرَى فحسب.

ومنْ خلالِ الحديثِ عنْ جينيت وتناولِهِ للتَّناصِ يُلاحظُ أنَّهُ وضعَ قواعدَ للتَّناصِ ذكرناهَا سابقًا، كمَا جعلَ لهُ أنماطَ محدَّدةً، بعضُهَا سمَّاهَا بمسمَّياتٍ أخرَى كالاقتباسِ، والسَّرقةِ الشِّعريَّةِ، والتَّلميحِ، والمُحاكاةِ السَّاخرةِ، وبعضُهَا سمَّاهَا التَّناصُ بناءً على تعريفٍ للتَّناصِ الَّذِي يَعدَّهُ غيرَ مباشرٍ[2].

وأمَّا النَّاقدُ الفرنسي ليون سومفيل فقدْ تناولَ التَّناصَ في كتابٍ متخصِّصٍ سمَّاهُ (التَّناصيَّةُ والنَّقدُ الجَديدُ)، بعدَ أنْ تحدَّثَ عنِ المنظِّرينَ للتَّناصِ ممَّنْ سبقوهُ مثلَ كريستيفا وجماعةِ مجلَّةِ (كيل _ تيل)[3]، وقدْ وضعَتْ هذهِ الجماعةُ (نظريَّةَ الجَمعِ) الَّتِي تتجاوزُ الحرفَ إلى الشَّكلِ والبِنيةِ للنَّصّ، لذلكَ تميَّزَتْ بكلمةِ (الكتابةِ)، ورأَتْ أنْ يتمَّ وضعُ نظريَّةٍ جديدةٍ تختلفُ عنْ نظريَّةِ الشَّكلانيينَ الرُّوسِ فيمَا يتعلَّقُ بالنَّصّ ومتعلَّقاتِهِ[4]، وقدْ تأثَّرَ سومفيل بهذهِ الجماعةِ ودافعَ عنْ آرائِهَا، كمَا ناقشَ كريستيفا فيمَا يتعلَّقُ بالنَّصّ وتعالقاتِهِ المسمَّاةِ بالتَّناصِ، كمَا ناقشَ النَّاقدَ الفرنسي ميشيل أريفيه الَّذِي اعتبرَ أنَّ (المادَّةَ المُعطاةَ هيَ الَّتِي تُمثِّلُ النَّصَّ، والمادَّةَ البِنائيَّةَ هِيَ التَّناصُ)، وبالعودةِ إلى سومفيل فقدْ عدَّ التَّناصيَّةَ تعملُ منْ خلالِ وجهينِ همَّا: التَّعبيرُ والمضمونُ، فيمكنُ لنصّ ما أنْ يحملَ في مضمونِهِ نصًّا آخرَ، ولا يتوقَّفُ عندَ هؤلاءِ النُّقَّادِ فقط، بلْ يناقشُ غيرَهُمْ ممَّنْ تحدَّثُوا في التَّناصِ، أمثالِ: باختين الَّذِي قارنَهُ بغيرِهِ منَ النُّقَّادِ، ثُمَّ يناقشُ تودوروف الَّذِي تحدَّثَ عنِ الرَّمزيَّةِ اللِّسانيَّةِ في المَعانِي غيرِ المُباشرةِ، ورمزيَّةِ اللُّغةِ منْ خلالِ المَعانِي المُباشرةِ، ثُمَّ يناقشُ ميشيل ريفاتير الَّذِي يَعدُّ النَّصَّ المقروءَ

---

[1] جينيت، جيرار. من التناص إلى الأطراس. ص١٧٩. ترجمة: مختار حسني. مجلة علامات. مج٥.ع٥. ١٩٩٧م.

[2] المصدر السابق. ص١٨٠-١٨١.

[3] **جماعة كيل_تيل:** جماعة من النقاد الذين تناولوا العديد من الدراسات النظرية، ومنها التناص، وقد أسسوا مجلة (كيل_تيل) عام ١٩٦٨م وكانت دراساتهم عبارة عن مقالات في المجلة، وهم:(ميشيل فوكو، ولوران بارت، وجاك ديريدا).

[4] سومفيل، ميشيل. التناصية والنقد الجديد. ص٢٣٤-٢٣٥. ترجمة: وائل بركات. مجلة علامات. مج٦. ع٢١. ١٩٩٦م.

يخبّيءُ في ثناياهُ نصٌّ آخرُ، ويناقشُ النَّاقدَ المتوسّعَ في التَّناصِ جيرار جينيت فيمَا يتعلَّقُ باتّساعِ النَّصّ كنمطٍ منْ أنماطِ التَّناصِ عندَهُ، فيقولُ:(**إنَّ الدّراساتِ التَّناصيَّةَ ستكونُ مكرَّسةً لربطِ العَلاقاتِ بينَ الأعمالِ الكتابيَّةِ الشّعريَّةِ، وبينَ أنواعِ التَّناصِ وأنواعِ العَملِ الأدبِي بشكلٍ عامّ، وذلكَ حسبَ مِعيارَي (التَّحويلِ، والمُحاكاةِ)**)[1].

ويختمُ سومفيل كلامَهُ بقولِهِ:(**إنَّ للدّراساتِ التَّناصيَّةِ مُستقبلٌ مُختلفٌ فِي العَلاقاتِ بينَ الأعمالِ الأدبيَّةِ**)[2].

وأمَّا النَّاقدُ الفرنسي بيير دوبيازي فقدْ صارَ علَى خُطى سومفيل في مناقشةِ سابقيهِ منْ منظِّرِي النَّصَّ والتَّناصَ وعلى رأسِهِمْ كريستيفا، فقدْ تناولَ في كتابِهِ (النَّظريةُ الجامعةُ أو الجَامعيَّةُ) الَّذِي ألَّفَهُ عامَ ١٩٦٨م أهمَّ الآراءِ المتَّفقِ عليهَا فيمَا يخصُّ نظريَّةَ التَّناصِ، فرأى أنَّ كريستيفا الَّتِي تعمَّقَتْ في بحثِ التَّناصيَّةِ على اعتبارِ أنَّهَا تفاعلٌ نصِّيٌّ يحدثُ داخلَ نصٍّ آخرَ، فانطلقَتْ منْ فكرةِ التَّحليلِ التَّفاعلِي للنُّصوصِ، إذْ إنَّ كريستيفا وجدَتْ نفسَهَا مضطرَّةً للبحثِ العميقِ في النَّصِّ والتَّناصِّيَّةِ منْ أجلِ الوصولِ إلى تحليلِ الواقعِ الاجتماعيِّ والتَّاريخِي، وذلكَ بتعريفِ النَّظريَّةِ الثُّنائيَّةِ للدَّالِ والمدلولِ، تلكَ الَّتِي تقومُ على تحوُّلِ الدَّالِ وثباتِ المدلولِ، وانتهَتْ كريستيفا بخُلاصةِ التَّرابطِ النَّصِّي الَّذِي يجعلُ منَ النُّصوصِ نسيجًا ازدواجيًّا يعبّرُ عنِ الحِدَّةِ الخِطابيَّةِ المُلائمةِ لعصرِ النَّهضةِ في أُوروبَّا، وعطفًا علَى ذلكَ التَّرابطِ فقدْ أسمَتِ المُصطلحَ (إيديولوجيم)، وهذا المصطلحُ يجعلُ الخِطابَ الإزدواجيَ يربطُ بينَ القولِ والفعلِ كتطبيقِ الرّوايةِ في السّينمَا، وربطِهَا ببِنيةٍ أخرَى كخِطابِ العلمِ مثلًا[3]، وفي الجُزءِ المختصِّ بنظريَّةِ التَّناصّيَّةِ في كتابِهِ (النَّظريَّةِ الجامعةِ) أكَّدَ على ارتباطِ نظريَّةِ الحِواريَّةِ الَّتِي تناولَهَا ميخائيل باختين ومنهَا انطلقَتْ كريستيفا للوصولِ إلى التَّناصّيَّةِ[4].

---

[1] المناصرة، عز الدين. علم التناص والتلاص (نحو منهج عنكبوتي تفاعلي). ص٦٠.

[2] سومفيل، ميشيل، التناصية والنقد الجديد. ص٢٥٥.

[3] المناصرة، عز الدين. علم التناص والتلاص (نحو منهج عنكبوتي تفاعلي). ص٦١.

[4] دوبيازي، بيير مارك، النظرية الجامعة (نظرية التناصية). ص٣١١-٣١٢. ترجمة: عبد الرحيم الرحوتي. مجلة علامات. مج٦، ع٢١. ١٩٩٦م.

وبعدَ تلكَ المداولاتِ أصبحَ التَّعريفُ الأنسبُ للتَّناصِ سنةَ ١٩٧٦م حسبَ رؤيةِ كريستيفا هوَ:(**النَّصُّ الَّذِي يمتَصُّ عددًا مِنَ النُّصوصِ مَعْ بَقائِهِ متمركِزًا حولَ المَعنَى**)، ورأى ميشيل أريفيه أنَّ التَّعريفَ يجبُ أنْ يكونَ علائقيًّا وأكثرَ اتِّساعًا بحيثُ يشملُ النُّصوصَ الَّتِي تربطُ بينهَا علاقةُ تناصِّيَّةٌ، وأمَّا ريفاتير فقالَ:(**إنَّ التَّناصَ عبارةٌ عنِ النَّصِّ المُحالِ عليهِ**)، ثمَّ تَمَّ التَّوصُّلِ عامَ ١٩٧٩م إلى نظريَّةِ الإنتاجيَّةِ في التَّناصِ، وليسَتْ إعادةُ الإنتاجِ كمَا كانَ يُسمَّى سابقًا، وقدْ تمَّ تفصيلُ ذلكَ مِنْ خلالِ مقالتينِ نُشرتَا في المَجلَّةِ الشِّعريَّةِ عامَ ١٩٧٩م وهُما:(التَّرابطُ التَّناصِّي، وأثرُ التَّناصِ) وكلاهُمَا موجودتانِ في كتابِ ريفاتير (إنتاجُ النَّصِّ)، وقدْ خلصَ ريفاتير في تعريفِهِ للتَّناصِ بقولِهِ:(**إنَّ التَّناصَ هوَ إدراكُ القَارِئِ للعَلاقاتِ المَوجودةِ بينَ عملٍ وأعمالٍ أُخرَى سَبقتْهُ، أوْ جاءَتْ سَابقةً لهُ**)، وهذا ترابطٌ واضحٌ بينَ التَّناصِيَّةِ والأدبيَّةِ، باعتبارِ أنَّ التَّناصِيَّةَ هيَ الآليَّةُ الخاصَّةُ بقراءةِ الأدبيَّةِ، وأنَّ النُّصوصَ الخَطِّيَّةَ المُشتركةَ بينَ النُّصوصِ الأدبيَّةِ وغيرِ الأدبيَّةِ لا تُنتجُ إلَّا المعنَى[١].

وأشارَ دوبيازي إلى ترتيبٍ تاريخيٍّ لمفهومِ التَّناصِ منْ خلالِ عرضِ الآراءِ جميعِهَا في حديثِهِ عنْ نظريَّاتِ النَّصِّ، وعلاقتِهِ بالتَّناصِ.

وأشارَ منْ خلالِ التَّرتيبِ التَّاريخيِّ والتَّعريفيِّ للتَّناصِ إلى آراءَ أخرَى للنُّقَّادِ الغَربيِّينَ، ومنهُمْ: تورودرف الَّذِي أكَّدَ على نظريَّةِ باختين، وتناولَ شُروحاتِ جينيت المفصَّلةِ حولَ التَّناصِيَّةِ، وكذلكَ جيني صاحبُ الاستراتيجيَّةِ التَّناصِّيَّةِ، كمَا يعرضُ دوبيازي لأحدِ النَّقَّادِ الفَرنسيِّينَ ويُدعَى أنيك بوياغيه الَّذِي ذكرَ في أُطروحتِهِ الَّتِي كتبهَا عامَ ١٩٨٨م، وتحدَّثَ فيهَا عنْ (الاقتباسِ التَّناصِّي) وهوَ مصطلحٌ يربطُ بينَ التَّناصِ والاقتباسِ منْ خلالِ تقاطعِ مفهومَي (الحَرفِي والواضحِ)، فالاستشهادُ عبارةٌ عنِ اقتباسٍ حرفِيٍّ وواضحٍ[٢]، والانتحالُ عبارةٌ عنِ

[١] المناصرة، عز الدين. علم التناص والتلاص (نحو منهج عنكبوتي تفاعلي). ص٦١.

[٢] دوبيازي، بيير مارك. النظرية الجامعة (نظرية التناصية). ص٣١٣.

اقتباسٍ حرفيٍّ ولكنْ غيرَ واضحٍ (وهوَ الاسمُ الآخرُ للسَّرقةِ)، وأخيرًا الإيماءُ الَّذِي يُعدُّ اقتباسًا غيرَ حرفيٍّ وغيرَ واضحٍ[1].

ويختتمُ دوبيازي بحثَهُ منْ خلالِ الدَّمجِ بينَ الآراءِ جميعِهَا، فإنجابُ النَّصِّ يتطلَّبُ الإحاطةُ بجوانبِهِ جميعِهَا، سواءٌ كانَ استشهادٌ أوْ انتحالٌ أوْ إحالةٌ أوْ إيحاءٌ، وإدماجُهَا في فضاءِ النَّصِّ الَّذِي يخرجُ إلى الضُّوءِ، ودراستُهُ منْ خلالِ وحدةٍ تكامليَّةٍ، وهذا ما أشارَ إليهِ الرِّوائِي الفَرنسي جوستاف كفلوبير (ت:١٨٨٠م)، الَّذِي تناولَ الدِّراساتِ التَّناصُّولوجيَّةَ والبحثَ في المَجالِ التَّوليدِي للنِّصوصِ، وبناءً على ذلكَ فربَّمَا يحتاجُ التَّناصُ إلى تعريفٍ أكثرَ شُموليَّةً وتكاملًا[2].

أما النَّاقدُ الفرنسي ميشيل أريفيه فقدْ عدَّ النَّصَّ فضاءً مفتوحًا غيرَ منغلقٍ على نفسِهِ، فهوَ منفتحٌ بإنتاجيتِهِ الخاصَّةِ وبِنيتِهِ الخاصَّةِ على النُّصوصِ الأخرَى، والتَّناصُ يأخذُ أشكالًا متنوِّعةً يمكنُ أنْ نفكِّرَ في تصنيفِهَا ونمذجتِهَا سواءٌ كانَتْ نصوصًا شفويَّةً أوْ كتابيَّةً (أدبيَّةً أوْ غيرَ أدبيَّةٍ)، ويمكنُ أنْ نصنِّفَهَا إلى مقاييسَ شكليَّةٍ، وهناكَ ظواهرُ نقديَّةٌ متعدِّدةٌ لهَا علاقةٌ بالتَّناصِ أوْ تشابهٌ كبيرٌ بهِ، كالشَّاهدِ، والشَّاهدِ الذَّاتِي، والتَّمثّلِ، والسَّرقةِ، والإيحاءِ الَّذِي منهُ الإيجابيُّ الَّذِي يأتِي بمعانٍ جديدةٍ وإنْ تشابهَتِ الألفاظُ، والإيحاءِ السَّلبِيّ الَّذِي يُعدُّ شكلًا منْ أشكالِ السَّرقةِ، لأنَّهُ يأتِي باللَّفظِ والمعنَى بصورةٍ منسوخةٍ، ويتحدَّثُ أريفيه عنْ مفاهيمَ تتعلَّقُ بالكاتبِ والخَلقِ الأدبي، فالخَلقُ الأدبي مغايرٌ للتَّناصِ تمامًا، وهوَ المُتعلِّقُ بالإنتاجيَّةِ الجديدةِ، ومُخالفٌ لمفهومَي المَحاكاةِ والتَّأثيرِ، لذَا فالتَّناصُ ليسَ عيبًا ولَا سرقةً بلْ هوَ مرتبطٌ بظاهرةِ التَّوليدِ والتَّحويلِ للنُّصوصِ والتَّحويلُ صِنفانِ:(تحويلُ الإزالةِ، والتَّحويلُ السَّلبِيُّ)، **فالأوَّلُ:** فيهِ إبداعٌ، إذْ يُزيلُ اللَّفظَ ويُبقي المعنَى أوْ يُزيلُ المعنَى ويُبقي اللَّفظَ، أمَّا

[1] المناصرة، عز الدين. علم التناص والتلاص (نحو منهج عنكبوتي تفاعلي). ص٦٢.

[2] دوبيازي، بيير مارك. النظرية الجامعة (نظرية التناصية). ص٣١٨-٣١٩.

الثَّاني: فهوَ تكرارٌ للَّفظِ والمعنَى[1]؛ لذلكَ كانَ تحويلًا سلبيًّا، وبناءً على ذلكَ فالتَّناصُ كنصٍّ لا يتعلَّقُ بالمَصادرِ، والأُصولِ، والتَّأثيرِ.

ويخلصُ أريفيه إلى ضرورةِ التَّمييزِ بينَ النُّصوصِ المتعالقةِ الَّتِي لا تهتمُّ بالأثرِ التَّحويلِي الَّذِي تمارسُهُ نصوصٌ على نصوصٍ أخرَى، فالنَّصُّ في السِّيميائيَّةِ البِنيويَّةِ يؤلِّفُهُ الخِطابُ والحكايةُ والأصولُ المتعلِّقةُ بهذينِ المَفهومينِ، أمَّا النَّصُّ في السِّيميائيَّة التَّحليليَّةِ فهوَ عمليَّةٌ لسانيَّةٌ لُغويَّةٌ تكونُ قابلةً للاختزالِ والتَّأثيرِ والتَّبليغِ، وهذهِ خاصَّةٌ باللِّسانيَّاتِ، لذلكَ يرتبطُ التَّناصُ بهَا ويندرجُ تحتَهَا[2].

إذنْ، يمكنُ القولُ أنَّ هناكَ مدرستانِ تناولتَا التَّناصَ منْ وجهةِ نظرٍ غربيَّةٍ، **الأولَى:** مدرسةُ الشَّكلانيِّينَ الرُّوسِ الَّتِي أسَّستْ للتَّناصِ، وقدْ بدأَتْ هذهِ المدرسةُ بالنَّاقدِ دَوستويفسكي الَّذِي وضعَ أُسسًا لتداخلِ النُّصوصِ بينَ الشِّعرِ والنَّثرِ، ثمَّ أكملَ مسيرتَهُ باختين الَّذِي وضعَ نظريَّةَ الحِواريَّةِ أيْ تحاورُ النَّصِّ بينَ الشِّعرِ والنَّثرِ، ثُمَّ تودوروف الَّذِي ربطَ نظريَّةَ الحِواريَّةِ بالتَّناصِ عندَ ظهورِهِ على يدِ كريستيفا، وجاءَ بعدَهُمْ عددٌ منَ النُّقَّادِ الَّذِينَ تأثَّرُوا بهِمْ وعلَى رأسِهِمْ جينيت الَّذِي تحدَّثَ عنِ التَّناصِ وأطالَ الحديثَ، **والثَّانيةُ:** مدرسةُ (تيل – كيل) الفرنسيَّةُ، الَّتِي ربطَتْ بينَ الحِواريَّةِ والتَّناصِ منْ خلالِ مناقشةِ آراءِ الشَّكلانيِّينَ الرُّوسِ منْ جهةٍ، والنُّقَّادِ الفَرنسيِّينَ منْ جهةٍ أخرَى، وهذهِ المدرسةُ هيَ امتدادٌ للآراءِ الفَرنسيَّةِ الَّتِي وضعَتْ نظريَّةَ التَّناصِ، وكانَتْ كريستيفا هيَ الَّتِي أسَّسَتْ لهذهِ النَّظريَّةِ، وجاءَ بعدَهَا عددٌ منَ النُّقَّادِ الفَرنسيِّينَ الَّذِينَ أضافُوا أفكارًا جديدةً لنظريَّةِ التَّناصِ:(كالتَّناصِّيَّةِ، والتَّلاصِ، والتَّناصِ الاقتباسِي، وغيرِهَا)، ومنْ هؤلاءِ المُناقشينَ لنظريَّةِ التَّناصِ:(سومفيل، وإريفيه، ودوبيازي، وغيرهم)[3].

---

[1] أريفية، ميشال. البحث عن فرديناند دو سوسير. ص٣٨– ٤٠. ترجمة: محمد خير البقاعي. بيروت. دار الكتاب الجديد المتحدة. ط١. ٢٠٠٩.

[2] المناصرة، عز الدين. علم التناص والتلاص (نحو منهج عنكبوتي تفاعلي). ص٦٢.

[3] تودوروف، توزفيتان. نظرية الأجناس الأدبية (دراسات في التناص والكتابة والنقد). ص٩٠–٩١.

ولا شكَّ أنَّ حديثَ النُّقَّادِ الرُّوسِ والفَرنسيّينَ عنِ الحِواريَّةِ والتَّناصِ تداخلَهُ بعضُ الحديثِ عنْ أصولِ التَّناصِ والحِواريَّةِ الَّتِي سبقتْهُ، وذلكَ منْ خلالِ الإشارةِ إلى الاقتباسِ، والتَّضمينِ، والاستشهادِ، وهذهِ المُصطلحاتُ النَّقديَّةُ تناولَهَا اللُّغويّونَ العَربُ والمُسلمونَ بإسهابٍ طويلٍ في السَّنواتِ الطَّويلةِ الَّتِي سبقَتْ نظريَّةَ الحِواريَّةِ، والتَّناصُ وما تفرَعَ عنهُمَا، وهذا يدلُّ علَى أنَّ النَّظريَّاتِ البَلاغيَّةَ واللُّغويَّةَ كذلكَ شأنُهَا شأنُ أيِّ اكتشافٍ، واختراعٍ، وتطويرٍ لأيِّ ظاهرةٍ لُغويَّةٍ أوْ فلسفيَّةٍ أوْ مادِّيَّةٍ، بلْ إنَّ عالِمًا يُوصلُ الفكرةَ السَّابقةَ بفكرةٍ لاحقَةٍ معْ إجراءِ تعديلاتٍ بسيطةٍ عليهَا ربَّمَا تكونُ تَطويريَّةً أوْ توسُّيعيَّةً، وهذا مَا جَرَى ويَجرِي فِي اللُّغَاتِ والعُلومِ والاكتِشافاتِ المَادِّيَّةِ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ[1].

[1] المناصرة، عز الدين. علم التناص والتلاص (نحو منهج عنكبوتي تفاعلي). ص٦٥.

المبحثُ الرَّابعُ

التَّناصُ فِي الأدَبِ العَرَبِي الحَديثِ

أكملَ النُّقَّادُ العربُ مسيرةَ سابقيهِمْ منَ النُّقَّادِ الشَّرقيّينَ والغربيّينَ في دراسةِ التَّناصِ، بعدَ أنْ راجعُوا الكُتبَ والأبحاثَ والمقالاتِ الَّتِي نشرَهَا نقَّادُ الغربِ في القَرنِ الفائتِ، فمنهُمْ مَنْ واكبَ هؤلاءِ النُّقَّادَ والباحثينَ وناقشَ آراءَهُمْ وربطَهَا بآراءِ النُّقَّادِ المُسلمينَ الأوائلِ في عصورِ الحُكمِ الإسلامِي المُتتابعةِ، ومنهُمْ مَنْ رأَى أنَّهَا مُجرَّدُ مُصطلحَاتٍ مُتعدّدةٍ لمِصطلحٍ أساسيٍّ وضعَهُ العُلماءُ المسلمونَ، فبرزَ مِنَ النُّقَّادِ والباحثينَ العَربِ المُحدثينَ في القَرنِ العِشرينَ والقرنِ الحادِي والعِشرينَ العَشراتُ، ولكنْ كانَ مِنْ أبرزِهِمْ النَّاقدُ والشَّاعرُ المغربيُّ مُحمَّد بنيس الَّذِي يُعدُّ أوَّلَ مَنِ استفادَ مِنَ البُحوثِ الغربيَّةِ المتعلّقةِ بالتَّناصِ، وقدْ جمعَ ما ناقشَهُ ودرسَهُ في مقالٍ مفصَّلٍ بعنوانِ (النَّصّ الغَائبِ)[1].

وقدْ قامَ بنيس ومَنْ مشَى علَى طريقِهِ في دراسةِ النَّصّ والتَّناصِ وغيرِهِمَا مِنَ المُصطلحاتِ النَّقديَّةِ، قامُوا جميعُهُمْ بدراسةِ التَّناصِ بعدَ تأثُّرِهِمْ بالثَّقافةِ الغربيَّةِ، وقدْ انطلقُوا في دراستِهِمْ لِلمُصطلحاتِ النَّقديَّةِ في دراسةِ النَّصّ مِنْ خلالِ كريستيفا والنُّقَّادِ الغربيّينَ الَّذِينَ جاءوا قبلَهَا أوْ بعدَهَا كالشَّكلانيّينَ الرُّوسِ، والنُّقَّادِ الفَرنسيّينَ، وقدْ كانَتْ الحقبةُ الَّتِي تناولَتْ تلكَ الدِّراساتِ بالحقبةِ البِنيويَّةِ لأنَّ النَّصَّ منْ أهمُّ ركائزِ البِنيةِ اللُّغويَّةِ، وفي ظلِّ هذا التَّأثيرِ البِنيويِّ الَّذِي عالجَ النَّصَّ ومتعالقاتِهِ، كانَ للحَداثيّينَ العَربِ دورٌ في مناقشةِ تلكَ الآراءِ ملتزمينَ بالسِّماتِ الآتيةِ أثناءَ مناقشتِهِمْ وترجمتِهِمْ للآراءِ[2].

١. كانَتِ التَّرجمةُ للنَّصّ والتَّناصِ تتسمُ بتعدَّديَّةِ التَّعريفاتِ، ممَّا يجعلُ القَارئَ يحتارُ أيُّهَا يختارُ[3].

[1] المناصرة، عز الدين. علم التناص والتلاص (نحو منهج عنكبوتي تفاعلي). ص٦٥- ٦٦.

[2] بينس، محمد. ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب. ص٢٥٣.

[3] المناصرة، عز الدين. علم التناص والتلاص (نحو منهج عنكبوتي تفاعلي). ص٦٦.

٢. كانَتِ الشُّروحُ الَّتِي يقدِّمُهَا المترجمُ غيرُ منسجمةٍ معِ النَّصّ الأصليّ، وكانَتِ التَّرجمةُ الحَرفيَّةُ للنَّصّ الأصليّ غيرَ دقيقةٍ ممَّا أوجدَ خلطًا في وضوحِ الفكرةِ الأساسيَّةِ.

٣. التَّرجمةُ الحَرفيَّةُ والتَّطبيقاتُ الحَرفيَّةُ كانَتْ لا تأتِي بجديدٍ، فيكونُ المُترجمُ ناقلًا للنَّصّ كمَا هوَ لكنَّهُ مكرّرًا لهً تكرارًا مملًّا دونَ توضيحاتٍ مفهمةٍ.

٤. انتشرَتِ التَّخطيطاتُ الشَّكلانيَّةُ، ممَّا حوَّلَ النُّصوصَ الإبداعيَّةَ في النَّثرِ والشِّعرِ إلى هياكلَ عظيمةٍ لا رُوحَ فيهَا، وذلكَ بسببِ التَّركيزِ على المفهومِ دونَ البحثِ الواضحِ في النَّصّ.

٥. لمْ يحرصْ بعضُ المترجمينَ العربِ على التَّعليقاتِ الَّتِي توضِّحُ بعضَ المُصطلحاتِ الغامضةِ، فكانَ يُتركُ للقارِئِ البحثُ والاستِنتاجُ، ما يجعلُ التَّرجمةَ غيرَ واضحةٍ، ويتداخَلُهَا الغُموضُ[١].

تناولَ مُحمَّد بنيس النَّصَّ الغائبَ والتَّناصَ في كتابِهِ (ظَاهِرةُ الشِّعرِ المُعاصرِ في المَغربِ _ مقاربةٌ بِنيويَّةٌ تكوِينيَّةٌ) الّذي ألَّفَهُ عامَ ١٩٧٩م، وأدرجَ فيهِ مقالَهُ تحتَ عُنوانِ (النَّصُّ الغَائبُ) الَّذِي ناقشَ فيهِ النَّصَّ الغائبَ والتَّناصَ وعلاقاتِهِمَا، ويتحدَّثُ بينس بدايةً عنِ البِنيويَّةِ التَّكوينيَّةِ كفرعٍ مِنْ فُروعِ البِنيويَّةِ ويعتمدُهُ مبدأً لدراستِهِ للنَّصّ الغائبِ والتَّناصِ، والبِنويَّةُ الَّتِي تتعلَّقُ ببِنيةِ الكلمةِ وأصلِهَا وعلاقتِهَا باللُّغةِ، إذْ يفرّقُ (دو سوسير) بينَ اللُّغةِ والكلامِ معدّاً اللُّغةَ حقيقةً اجتماعيَّةً موضوعيَّةً، والكلامُ ما ينطقُ بهِ اللِّسانُ عشوائيًّا دونَ تنظيرٍ أوْ تقعيدٍ، إذْ يكونُ الفردُ حرًّا فِي نُطقِهِ، ومِنْ هُنا جاءَ البحثُ في البِنويَّةِ بأنواعِهَا التَّكوينيَّةِ والشَّكلانيَّةِ الَّتِي نادَى بهَا الشَّكلانيونَ الرُّوسُ، وأحاطوهَا بالبحثِ والتَّفسيرِ، أمَّا بينس فقدْ اعتمدَ البِنويَّةَ التَّكوينيَّةَ استكمالًا للمُنظِّرينَ الغَربِ وتحديديًّا الفَرنسيِّينَ منهُمْ[٢]، ويرَى بينس أنَّ المنهجَ البِنويَّ

[١] المناصرة، عز الدين. علم التناص والتلاص (نحو منهج عنكبوتي تفاعلي). ص٦٦-٦٧.

[٢] بينس، محمد. ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب. ص٢٥٤.

يختلفُ عن المنهجِ النَّفسي والاجتماعِي والتَّاريخِي، ومِنْ فروعِهِ المَنهجُ البِنويّ التَّكوينيّ الَّذِي جعلَهُ مبدأً لدراستِهِ للنَّصّ الغَائبِ والتَّناصِ ومَا يتعلَّقُ بِهِمَا[1].

وضمنَ بناءِ المنهجِ البِنيويّ التَّكوينيّ انطلقَ بينس في دراسة النَّصّ الغائبِ الأصيلِ الَّذِي تتفرَّعُ عنهُ النُّصوصُ الأخرَى فيمَا يُسمَّى بالتَّناصِ، فبينس يركِّزُ علَى النَّصّ الغائبِ الأصيلِ منْ خلالِ البحثِ فِي أبعادِهِ الَّتِي يحدِّدُهَا بأربعةِ أبعادٍ:

١. **البعدُ الدَّلالِي:** يُشيرُ فيهِ إلى الدَّلالةِ المعنويَّةِ وغيرِهَا مِنَ الدَّلالاتِ الَّتِي تتَّفقُ حينًا وتتنافرُ حينًا، فيلجأُ صاحبُ النَّصّ الجديدِ إلى التَّلاعبِ في النَّصّ الغَائبِ بالتَّشتيتِ والإتيانِ بدلالاتٍ جديدةٍ، وألفاظٍ جديدةٍ متقاربةٍ معهُ، ولكنَّهُ يبقَى ضمنَ التَّقاربِ اللَّفظِي والمَعنوي بعيدًا عنِ التَّقاربِ الدَّلالِي[2].
٢. **البعدُ النَّحْوي:** يتمُّ ذلكَ مِنْ خلالِ تَحطيمِ البِنيةِ النَّحويَّةِ للنَّصّ الغَائبِ، وإعادةِ التَّركيبِ: كتغييرِ الضَّميرِ، وتسكينِ حرفِ الرَّوي أوْ تغييرِ حركتِهِ، أوْ استخدامِ خاصيَّةِ التَّقديمِ والتَّأخيرِ.
٣. **البعدُ الصَّرفِي:** إذْ يقومُ الكاتبُ للنَّصّ الجديدِ بإضافةِ مَلفوظاتٍ جديدةٍ تُسهمُ فِي تغييرِ دَلالةِ النَّصّ، وقدْ يُستخدمُ الإعلالُ والإبدالُ، وأحيانًا الحذفُ لإعادةِ تشكيلِ النَّصّ بمَا يخدمُ السِّياقَ الجَديدَ، ويبقَي علَى إحياءِ النَّصّ الغَائبِ.
٤. **البعدُ البَيانِي (الجَمالِي):** هوَ البُعدُ الأهمُّ، إذْ يُبرزُ الكاتبُ مِنْ خلالِهِ إبداعاتِهِ مِنْ خلالِ قولبَتِ النَّصّ بصورةٍ فنيَّةٍ مغايرةٍ أوْ متفوِّقةٍ على الصُّورةِ الفَنيَّةِ للنَّصّ الغائبِ، ممَّا يكشفُ عنْ قُدرةِ الكاتبِ على التَّأثيرِ في النَّصّ الغائبِ، وليسَ التَّأثُّرُ بهِ فحَسب[3].

---

[1] المصدر السابق. ص٢٥٥.

[2] فضل، صلاح. في النقد الأدبي. ص٤٧–٤٨. مطبعة اتحاد كتّاب العرب. دمشق. سوريا. ط١. ٢٠٠٧م.

[3] بينس، محمد. ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب (مقارنة بنيوية_تكوينية). ص١٨١– ١٨٦.

ويخلصُ بينس إلى اعتبارِ أنَّ النَّصَّ الغائبَ عبارةٌ عنْ شبكةٍ تلتقِي فيهَا نصوصٌ عدَّة، وهذهِ النُّصوصُ متعدِّدةُ الأشكالِ والدَّلالاتِ والإيحاءَاتِ، وإنْ انطلَقَتْ مِنْ النَّصّ الغائبِ إلَّا أنَّهَا تأخذُ صورًا جديدةً تحتاجُ لِتفسيراتٍ معقَّدةٍ، يختلطُ فيهَا القديمُ بالحديثِ، والعلميُّ بالأدبيِّ، والخاصُّ بالعامِّ، والذَّاتِيُّ بالموضوعيِّ، ممَّا يجعلُهَا تظهرُ في إنتاجٍ جديدٍ رغمَ الإيحاءِ بقدمِهَا في ظلِّ النَّصّ الغَائبِ[1].

وفي حديثِهِ عنِ التَّناصِ، اعتمدَ بينس مَا قالَتْهُ كريستيفا بأنَّهُ:(**كُلُّ نَصٍّ هُوَ وفرةٌ أوِ امتصاصٌ لِنُصوصٍ أُخرَى**)، ويوضِّحُ التَّعريفَ بقولِهِ:(**فَالنَّصُّ عِبارةٌ عَنْ إعادةِ كِتابَةِ النُّصوصِ الأُخرَى اللَّامحدُودةِ ثُمَّ قِراءَتِهَا معْ إمكانيَّةِ تحويلِهَا أوِ اجترارِهَا أوْ تَغييرِ صَدَاهَا**)، وقدْ ركَّزَ في دراستِهِ للتَّناصِ على مَا تناولَتْهُ كريستيفا ومَا ناقشَهُ تُودوروف تعقيبًا على كريستيفا، وأشارَ إلى جماعةِ (تيل _ كيل) الفرنسيَّةِ، وقدْ أشارَ إلى أكثرِ مِنْ مفهومٍ متعلِّقٍ بالتَّناصِ، كالتَّناصيَّةِ، والتَّداخلِ النَّصِّيِّ، معِ التَّركيزِ في كتابِهِ علَى النَّصّ الغَائبِ الَّذِي جعلَهُ محورَ حديثِهِ وفقًا للمبدأِ البِنيويِّ التَّكوينيِّ[2]، وهذا مَا دفعَهُ لوضعِ قوانينَ للتَّداخلِ النَّصِّيِّ، حدَّدَهَا في ثلاثةِ قوانينَ:

١. **الاجترارُ**: ويعني التَّعاملُ معِ النَّصّ الغائبِ بوعِي سكونِيٍّ غيرِ فعَّالٍ، أيْ جمودٌ حولَ النَّصّ.
٢. **الامتصاصُ**: وهوَ القانونُ الأفضلُ في تحويلِ النَّصّ وتحريكِهِ ليأتِي بقالبٍ جديدٍ خاصَّةً فيمَا يتعلَّقُ بالصُّورةِ الفَنِّيَّةِ ذاتِ الأبعادِ الأخرى.
٣. **الحوارُ**: وهوَ القانونُ الأعلى المُتعلِّقُ بمحاورةِ النَّصّ الَّذِي يُنتجُ نصًّا جديدًا بحيويَّةٍ جديدةٍ، إذْ يكونُ النَّصُّ قدْ تغيَّرَ فيهِ شكلًا ومضمونًا معْ بقاءِ بعضِ الملفوظاتِ الدَّالةِ على النَّصّ الغَائبِ[3].

---

[1] بينس، محمد. ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب (مقارنة بينيوية_تكوينية). ص٢٥١.

[2] الدباغ، حنان. التناص أنماطه وأنواعه في شعر المتنبي. ص٥٧. دراسة. ٢٠٢١م.

[3] المناصرة، عز الدين. علم التناص والتلاص (نحو منهج عنكبوتي تفاعلي). ص٦٨-٦٩.

وعندَ تطبيقِهِ النَّصَّ الغائبَ على الشَّعرِ المعاصرِ في المَغربِ، وضعَ التَّشكيلاتِ الَّتِي تُسهمُ في تشكيلِ الشِّعرِ المُعاصرِ في المَغربِ، وهيَ:(الذَّاكرةُ الشِّعريَّةُ القديمةُ، الحَضارةُ العَربيَّةُ المُمتدَّةُ، الحَضارةُ المَغربيَّةُ الأصيلةُ، الثَّقافةُ الأوروبيَّةُ الدَّخيلةُ، وَالكلامُ اليوميُّ العَامُّ)، فهذهِ جميعُهَا تشكِّلُ النَّصَّ الغائبَ للشِّعرِ المُعاصرِ في المغربِ، وهيَ تتضاربُ في مصادرِهَا وتاريخِ وجودِهَا، والخِلافاتِ حولَ مَدى صدقِهَا وانتحالِهَا، لِذا فالنُّصوصُ الغَائبةُ تمرُّ بعمَليَّاتٍ معقَّدةٍ عندَ تَحليلِهَا وربطِهَا بالنُّصوصِ الشِّعريَّةِ المُعاصرةِ في المَغربِ[1].

أمَّا النَّاقدُ المغربيُّ مُحمَّد مِفتاح (ت: ٢٠٢٢م) فقدْ تناولَ التَّناصَ في كتابِهِ (استراتيجيَّةُ التَّناصِ) الَّذِي ألَّفَهُ عامَ ١٩٨٥م، ويركِّزُ مِفتاحُ علَى مفهومِ التَّنَاصِ مِنْ خِلالِ عَرضِ التَّعريفاتِ الَّتِي تناولَهَا الَّذِينَ سبقوهُ مِنَ النُّقَّادِ وَالباحثينَ، ويُشيرُ بدايةً إلى تعريفِ النَّصِّ الأصوبِ حسبَ رأيِهِ بأنَّهُ:(**مُدونةُ حدثِ كَلامِيٍّ ذِي وَظائفَ مُتعدِّدةٍ**) ، ويعرضُهُ بتفاصيلِهِ كمَا عرضتْهُ كريستيفا معِ الإشارةِ إلى آراءِ (أريفيه، لورانت، وريفاتير)، ثمَّ يضعُ تعريفًا للتَّناصِ مُتقاربًا معْ تعريفِ كريستيفا لهُ بقولِهِ:(**تعانقُ (أيْ الدُّخولُ فِي عَلاقةٍ) نُصوصٍ أُخرَى مُتعدِّدةٍ مَعْ نَصٍّ حَدَثٍ بِكيفِيَّاتٍ مُختلفةٍ**)[2]، ثمَّ يعرضُ لمصطلحاتٍ أخرَى تشبهُ التَّناصَ، وكانَتْ مُتناولةً في النَّقدِ العربيِّ القَديمِ، إذْ يذكرُ منهَا:

١. **المعارضةُ:** هيَ النُّصوصُ الَّتِي يأتِي الشَّاعرُ بهَا لِيُعارضَ نصوصًا سابقةً على سبيلِ الإعجابِ بهَا والتَّوافقِ معهَا في السِّياقِ والموضوعِ، مثلَ: معارضاتِ الشَّاعرِ أحمد شوقي، أوْ ربَّمَا للسُّخريةِ، مثلَ: معارضاتِ الأصمعيِّ (ت:٨٣١م) وقلبُ الحكايةِ وذكرُ الموتِ، مثلَ: أبي العَتاهيةِ (ت:٨٢٨م)، والنَّقائضُ في شعرِ جريرٍ والفَرزدقِ[3].
٢. **السَّرقةُ:** هيَ النَّسخُ لأبياتٍ شعريَّةٍ كاملةٍ وتضمينِهَا في قصيدةِ الشِّعرِ أوْ جزءٍ مِنَ البيتِ، أيْ التزامُ اللَّفظِ والمَعنَى، وقدْ عدَّ بعضُ النُّقَّادِ كطهَ حسينِ (ت:١٩٧٣م)

[1] المصدر السابق. ص٧٠.
[2] مفتاح، محمد. تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص). ص١٢٠-١٢١.
[3] المناصرة، عز الدين. علم التناص والتلاص (نحو منهج عنكبوتي تفاعلي). ص٧١-٧٢.

الشِّعرَ الجاهليَّ منحولًا، أيْ قيلَ على ألسنةِ شُعراءَ لمْ يكونُوا جاهليّينَ، وبعضَهُمْ فعلًا كتبَ القَصيدةَ وضمَّنَهَا أبياتًا لشعراءَ جاهليّينَ ونسبَهَا إليهِ، كمَا ناقشَ مِفتاحُ المُعارضاتِ والنَّقائضَ على اعتبارِ أنَّهُمَا سرقاتٌ شعريَّةٌ[1].

ويناقشُ مِفتاحُ فكرةَ إعادةِ الإنتاجِ للنُّصوصِ، وهذهِ الفكرةُ لهَا جانبٌ سلبيٌّ وهوَ الجانبُ الَّذِي يجعلُ الحديثَ عَنِ السَّرقةِ فِي إعادةِ الإنتاجِ واردًا، أمَّا إذَا كانَتِ الفِكرةُ إنتاجيَّةً جديدةً بصورةٍ فنيَّةٍ لهَا أصولُهَا فإنَّ ذلكَ جانبٌ إيجابيٌّ، فليسَ التَّناصُ مجرَّدُ امتِصاصٍ لِنُصوصٍ سَابقةٍ وفقَ عمليَّتَي المُحاورةِ والتَّجَاوزِ، بلْ هوَ إنتاجٌ جديدٌ في سياقِ جديدٍ وإنْ تشابَهَ الموضوعُ وبعضُ الألفاظِ والمَعانِي واختلفَتِ الصِّورُ الفَنيَّةُ، وهذا يؤكِّدُ علَى أنَّ التَّناصَ يكونُ في المَضمونِ لا فِي الشَّكلِ، إذْ إنَّ الشَّكلَ مَفروضًا عَلى الشُّعراءِ غالبًا[2].

ويعرضُ مِفتاح لنمطينِ مِنَ التَّناصِ (دَاخليٌّ وخَارجيٌّ)، إذْ يَعدُّ التَّناصَ الدَّاخلِي ما يُعيدُ الشَّاعرُ كتابةَ نصوصٍ كتبهَا مِنْ قبلُ في موضوعٍ مشابهٍ أوْ غرضٍ فنّيٍّ متَّصلٍ، وهذا التَّناصُ دَاخليٌّ لاعتبارِ أنَّ الشَّاعرَ لمْ يأخذْ مِنْ غيرِهِ بلْ أخذَ مِنْ نصٍّ سابقٍ لهُ، ولكنَّهُ لمْ يأتِ بجديدٍ إلَّا إذَا كانَ التَّاريخُ والمواقفُ تغيَّرَتْ، فكانَ هناكَ بعضُ الألفاظِ والمَعانِي الجديدةِ، أمَّا التَّناصُ الخَارجِيُّ فهوَ مَا يقلِّدَ فيهِ الشَّاعرُ غيرَهُ بالأخذِ مِنْ نُصوصِهِ وتضمينِهَا نصَّهُ الجديدَ، معْ ضَرورةِ الحَديثِ عَنْ ألفاظٍ جديدةٍ تواكبُ الزَّمانَ والمكانَ كمَا لكلِّ مقامٍ مقالٌ، أوْ معانٍ مُضافةٍ للمَعانِي القَديمةِ بقولبةٍ جديدةٍ.[3]

أما آليات التناص عند مفتاح فقد حددها بآليتين:

١. **التَّمطيطُ:** هوَ التَّحويلُ والمدُّ والقلبُ والتَّصحيفُ، ويكثرُ في الأجناسِ البَلاغيَّةِ، فالجناسُ يلعبُ دورًا كبيرًا في التَّمطيطِ كالجِناسِ بالقلبِ، مثلُ: حبرٌ وربحٌ، والجِناسُ بالتَّصحيفِ، مثلُ: عثرةٌ، وعترةٌ، ثمَّ التَّمطيطُ بالشَّرحِ، ويكثرُ ذلكَ فِي التَّشبيهاتِ

[1] حسين، طه. في الأدب الجاهلي. ص٩٧

[2] مفتاح، محمد، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، ص١٢١.

[3] المصدر نفسه. ص١٢٤.

الضِّمنيَّةِ، وفي الاستعاراتِ كَذلكَ، إذْ يأخذُ اللَّفظُ المُبهمُ ويشرحُهُ بتفصيلٍ في ثَنايَا البَيتِ مِنَ الشِّعرِ[1]، كقولِ ابنِ عبدونَ الأندلسيّ (ت:١١٣٥م):

الدَّهرُ يُفْجِعُ بَعْدَ الْعَينِ بِالْأَثَرِ فَمَا الْبُكَاءُ عَلَى الْأَشْبَاحِ وَالصِّوَرِ[2]

فالبيتُ جميعُهُ عُنوانٌ وما تلاهُ شرحٌ لِمَا جاءَ فِي البيتِ، والكلمةُ المحوريَّةُ هيَ (الدَّهرُ)، ثمَّ التَّمطيطُ بالاستعارةِ الَّتِي تحوّلُ الجَمادَ إلى كائنٍ حيٍّ مثلَ المنيَّةِ وتشبيهِهَا بالوحشِ، ثمَّ التِّكرارُ الَّذِي يُفيدُ التَّوكيدَ، ويكونُ الهدفُ مِنْ ورائِهِ إثارةَ الحَفيظةِ، فالكلماتُ والأصواتُ المُتكررةُ عادةً ما تأتِي بصيغةِ الماضِي أوِ الأمرِ، كتكرارِ كلمةِ: أخاكَ أخاكَ ...، ثمَّ الشَّكلُ الدَّرامِي مِنْ خلالِ إيجادِ عُنصرِ الصِّراعِ داخلَ القَصيدةِ، والتَّنويعُ في الحَركةِ والمواقفِ والآثارِ، ويتجلَّى التِّكرارُ كذلكَ في الشَّكلِ الدَّرامِي بوضوحٍ، ثمَّ تأتي أيقونةُ الكِتابةِ الَّتِي تكشفُ عنْ علاقةِ المُشابهَةِ معِ العَالمِ الخَارجِي، فالخطُّ المُستخدمُ والتَّشابهُ، والتَّشاكلُ، والتَّقاربُ، والتَّباينُ في الكَلمَاتِ كلِّهَا تلعبُ دورًا في تَمطيطِ النَّصِّ، وهذا يندرجُ تحتَ الشَّكلِ بعدَ أنْ كانَ الحديثُ عنِ المضمونِ طويلًا[3].

إذنْ، فالتَّمطيطُ يأخذُ أشكالًا متعدِّدةً، ويجعلُ القصيدةَ ليسَتْ مقتصرةً عَلى ألفاظٍ جديدةٍ، بلْ ألفاظٍ وردَتْ في نصوصٍ سابقةٍ، وتكرَّرَتْ، وتحدَّثَتْ عَنْ شَخصيَّاتٍ ومواقفَ مشهورةٍ، وأقوالٍ مأثورةٍ.

٢. **الإيجازُ**: المقصودُ بهِ اختصارُ القَصصِ التَّاريخيَّةِ أوِ الحَوادثِ أوِ الحديثِ عنِ الشَّخصيَّاتِ المشهورةِ بذكرِ العُنوانِ أوْ أشهرِ مَا فيهِ، وهذا مَا يُسمَّى بِالإحالةِ التَّاريخيَّةِ الَّتِي تدعمُ السِّياقَ الجديدَ، وتختصرُ القِصَّةَ كلَّهَا وتركِّزُ علَى المَشهورِ والمَأثورِ مِنَ الشَّخصيَّاتِ والقَصصِ ، ومِنَ الإيجازِ كَذلكَ المُحاكاةُ دونَ التَّفصيلِ أيْ المُحاكاةُ النَّاقصةُ، وهيَ بخلافِ المُحاكاةِ التَّامَّةِ الَّتِي تُشيرُ إلى التَّمطيطِ بمَعناهِ

[1] المصدر السابق. ص١٢٦.

[2] ابن عبدون، عبد المجيد اليابري الأندلسي. ديوان ابن عبدون. ص١٣٩، تح: سليم النتير. دار الكتاب العربي. دمشق. سوريا. ط. ١٤٠٨هـ.

[3] مفتاح، محمد. تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص). ص١٢٧.

المُشابهِ للإطْنابِ الَّذِي يقابلُ الإيجازَ، فالبيتُ الأَوَّلُ المذكورُ سابقًا مِنْ قصيدةِ ابنِ عبدونَ يمثِّلُ الإيجازَ، وما تلاهُ مِنْ شرحٍ تفصيليٍّ يمثِّلُ التَّمطيطَ أوِ الإطنابَ، وإنْ كانَ التَّناصُ في الحَالتينِ إلَّا أنَّهُ يكثرُ في التَّمطيطِ أوِ الإطنابِ[1].

ويرى مِفتاحُ أنَّ التَّناصَ محكومٌ بالتَّطوُّرِ التَّاريخِي، إذْ إنَّ التَّجديدَ في الألفاظِ والمَعانِي والصِّورِ الفنيَّةِ لهُ علاقةً بالتَّطوُّرِ التَّاريخِيِّ والحَضاريِّ والمَدنيِّ، ولذلكَ فالشَّاعرُ يربطُ بينَ المَاضِي والحَاضرِ مِنْ خِلالِ التَّناصِ، وهكَذَا[2].

أمَّا المفكرُ والنَّاقدُ الجَزائري عبدُ المَلكِ مُرتاض (ت: ٢٠٢٣م) فقدْ ألَّفَ كتابًا في النَّصِّ الأدبيِّ أسماهُ (نظريَّةُ النَّصِّ الأَدَبِي)، وقدَّمَ فيهِ دراسةً مستفيضةً حولَ التَّناصِ فتحدَّثَ في الفَصلِ الخَامسِ باستفاضةٍ عنْ مساراتِ مفهومِ التَّناصِ عندَ العَربِ، مُعتبرًا أنَّ العالِمَ والأديبَ أبو الحسنِ ابنُ طباطبا العَلويُّ (ت:٩٣٤م) هوَ أوَّلُ مَنْ تحدَّثَ في نظريَّةِ التَّناصِ مِنْ خلالِ مشروعٍ نَظريٍّ متكاملٍ لنظريَّةِ التَّناصِ، ويُعدُّ المؤسسَ الحقيقيَّ لنظريَّةِ التَّناصِ الَّتِي توصَّلَتْ إليهَا كريستيفا بعدَ قرونٍ عدَّة، فقدْ بيَّنَتْ كريستيفا أنَّ التَّناصَ تبادلُ التَّأثيرِ والعَلاقاتِ بينَ نصٍّ أدبيٍّ ونصوصٍ أدبيَّةٍ أخرَى سابقةً لهُ، وكانَ الفكرُ النَّقديُّ العربيُّ عرَّفَ لهذهِ الظَّاهرةِ تعريفًا معمَّقًا تحتَ مصطلحِ السَّرقاتِ الشِّعريَّةِ، ثمَّ تحدَّثَ عنْ تناولِ ابنِ طباطبا للسَّرقاتِ الشِّعريَّةِ، فكانَ حديثُهُ بإسهابٍ عنِ التَّناصِ ولكنْ بمُصطلحِ السَّرقاتِ الشِّعريَّةِ، وقَدْ عرضَ ابنُ طباطبَا لأمثلةٍ ثلاثةٍ تشيرُ إلى التَّناصِ، كالسَّرقاتِ الشِّعريَّةِ، والاقتباسِ، والتَّضمينِ، كمَا أشارَ إلى إسهاماتِ ابنِ رشيقٍ القَيروانِي في البحثِ المتعلِّقِ بنظريَّةِ التَّناصِ، وسلَّطَ الضُّوءَ علَى العِالِمِ والمُفكِّرِ التُّونِسي أبي الحَسنِ المعروفِ بحازمٍ القِرطاجنِّي (ت:١٢٤٨م)[3]، وابنِ خُلدونَ كنُقَّادٍ عربٍ قُدامَى أصَّلُوا لنظريَّةِ التَّناصِ، وبحثُوا فيهَا كَمضمونٍ دونَ المُصطلحِ الَّذِي وضعتْهُ كريستيفا حديثًا، وتحدَّثَ مرتاضُ عنْ إسهاماتِ النُّقَّادِ العربِ المُعاصرينَ في

[1] مفتاح، محمد. تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص). ص١٢٩.

[2] المصدر نفسه. ص١٣٢.

[3] مرتاض، عبد الملك. نظرية النص الأدبي. ص٣٤٥. دار هومة للطباعة والنشر. الجزائر. ط١. ٢٠٠٧م.

الحديثِ عنْ نظريَّةِ النَّصِّ وعلاقتِهِ بالتَّناصِ[1]، ويُعدُّ الكاتبُ والمُفكِّرُ السُّعوديُّ عبدُ اللهِ مُحمَّدٌ الغذامِي مِن أهمِ المتحدِّثينَ في نظريَّةِ النَّصِّ وعلاقتِهِ بالتَّناصِ في كتابِهِ (الخَطِيئةُ وَالتَّكفيرُ) الصَّادرِ عامَ ١٩٨٥م، رغمَ أنَّهُ لمْ يتَّخذِ المُصطلحَ صراحةً، بلْ أشارَ إلى مُصطلحٍ لا عَلاقةَ لهُ بهِ وهوَ (تَدَاخُلُ النَّصُوصِ)[2].

ويعرضُ لنقَّادٍ آخرينَ تناوُلوا التَّناصَ بوعِي معرفِيٍّ مثلَ الدُّكتور صبري حافِظ، وقدْ سمَّاهُ بمسمَّاهُ الحالِي، ومنهُمْ كذلكَ: مُحمَّد مِفتاح الَّذِي أشرنَا إليهِ آنفًا، وبشيرُ القمري، وسامي سويدان، وغيرُهُمْ، ويعتبرُ في ثنايَا حديثِهَ عنِ التَّناصِ أنَّ الَّذِينَ جاءَوا بعدَ كريستيفا تحدَّثُوا عنِ التَّناصِ ضمنَ ما أشارَتْ إليهِ سواءٌ كانَوا غربًا أمْ عربًا، ويشيرُ مرتاضُ إلى أنَّ هذا المصطلحَ ظهرَ في الغربِ لأوَّلِ مرَّةٍ عامَ ١٩٥٨م علَى يدِ كريستيفا، في حينِ ذكرَتْ بعدَ الرِّواياتِ أنَّهُ ظهرَ عامَ ١٩٦٦م على يدِ كريستيفا أيضًا، ويرَى بعضُ علماءِ الغَربِ أمثالُ: العِالِمِ واللُّغويِّ الرُّوسيِّ ألخيرداس غِريماس (ت: ١٩٩٢م) ، والمُفكِّرُ والصَّحفيُّ الأمريكيُّ جوزيف كورتيس (ت: ١٨٧٨م) أنَّ انعدامَ الوضوحِ والدِّقةِ في هذا المَفهومِ يفتحُ المجالَ لآراءَ واجتهاداتٍ جديدةٍ، ويمكنُ مِنْ خلالِهِ استخلاصُ نتائجَ كليَّةٍ مِنْ مقدِّماتٍ جُزئيَّةٍ، كمَا أقرَّ بغموضِهِ كبارُ النُّقَّادِ العربِ أمثالُ: ابنُ رَشيقٍ القِيروانِي مِنْ خلالِ تداخلِهِ وارتباطِهِ بالسَّرقاتِ الشِّعريَّةِ، والاقتباسِ، والتَّضمينِ، وغيرِهَا مِنْ تعالُقَاتِ وتداخُلاتِ النُّصوصِ الأدبيَّةِ، لذلكَ فالمُصطلحُ مفتوحٌ لاجتهاداتٍ واسعةٍ، واستقطاباتٍ جديدةٍ، ومنطلقاتٍ مُختلفةٍ ترتبطُ بفهمِ ديناميَّةِ المُجتمعِ والثَّقافةِ والأدبِ، وسائرِ العَلاقاتِ المُرتبطةِ بتطوُّرِ المَفهومِ، ومدَى اعتبارِهِ إنتاجٌ جديدٌ، وليسَ نقلًا عَن~ إنتاجاتٍ قديمةٍ[3].

إذنْ، فالتَّناصُ أوِ التَّناصيَّةُ عندَ مرتاضٍ هيَ علاقةٌ تفاعليَّةٌ بينَ نصٍّ سابقٍ ونصٍّ حاضرٍ لإنتاجِ نصٍّ لاحقٍ، وهوَ تضمينٌ أوِ اقتباسٌ لا واعٍ أوْ تلقائيَّةٌ تقعُ في النَّصِّ دونَ اصطناعِ

[1] المصدر السابق. ص٣٤٥- ٣٤٦.

[2] الغذامي، عبد الله. الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية (قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر). ص٣٢٠.

[3] مرتاض، عبد الملك. نظرية النص الأدبي. ص٣٥٣.

علاماتِ تنصيصٍ تُشيرُ إلى أنَّ النَّصَّ غيرَ مَسروقٍ بلْ مُحالٌ إلى الَّذِي قالَهُ سابقًا[1].

أمَّا الأديبُ والنَّاقدُ السُّوريُ مُحمَّد عزَّام فقدْ تناولَ الحديثَ عنِ النَّصِّ وعلاقتِهِ بالتَّناصِ في كتابِهِ (النَّصُّ الغَائبُ _ تَجَلِّياتُ التَّناصِ فِي الشِّعرِ العَربِي) الَّذِي ألَّفَهُ عامَ ٢٠٠١م، ويعرضُ عزَّامٌ حكايةً عَنِ الخَطيبِ الأصفهَانِي خالدِ بنِ عبدِ اللهِ البِشري (ت: ٤٣٠هـ)، قالَ:(**حفَّظَنِي أبي ألفَ خُطبةً، ثُمَّ قالَ لِي: تَناسَهَا، فَتناسَيْتُهَا، فلَمْ أُرِدْ بعدَ ذلكَ شَيئًا مِنَ الكَلامِ إلَّا سَهُلَ عَليَّ**)، وهذا دليلٌ آخرُ على ارتباطِ النُّصوصِ المَحفوظةِ بالنُّصوصِ المنتجةِ، وقدْ اصطنعَ ابنُ خُلدونَ مُصطلحَ (نِسيانِ المَحفوظِ) وسمَّاهُ رولان بارت (تَضمِيناتٌ مِنْ غَيرِ تَنصِيصٍ)، وبناءً عليهِ فإنَّ أيَّ نصٍّ ماثلٍ حاضرٍ مَا هوَ إلَّا مجموعةٌ مِنَ النُّصوصِ الغائبةِ، وبمجرَّدِ أنْ يُطلِقَ الكاتبُ نصَّهُ الجديدَ، فيضمِّنَهُ نصوصٌ سابقةٌ ومعاصرةٌ فإنَّهُ يدخلُ في عمليَّةِ تناصٍّ جديدةٍ[2].

وعندَ تفاعلِ النَّصَّينِ (المَاثلِ وَالغَائبِ) ينتجُ عنهُمَا نصٌّ جديدٌ يشكِّلُ التَّناصَ المَطلوبَ، وللتَّناصِ _ عندَ عزَّامٍ _ ثلاثةُ أنواعٍ رئيسةٍ، هيَ:(التَّناصُ العَامُ، التَّناصُ المُقيَّدُ، وَالتَّناصُ البَلاغِي).

١. **التَّناصُ العامُ:** هوَ النَّصُّ الَّذِي يتعالّقُ فيهِ نصُّ الكاتبِ معْ نُصوصٍ سَابقةٍ لكُتَّابٍ آخرينَ، كمَا في المُعارضَاتِ، والنَّقائضِ، والاقتباسِ، والتَّضمينِ، وتورادِ الخَواطرِ.
٢. **النَّصُّ المقيَّدُ:** هوَ النَّصُّ الَّذِي تتعالقُ فيهِ نصوصُ الكَاتبِ معْ بعضِهَا بعضًا، وهذا يحدثُ في تكرارِ الفِكرةِ، واللَّفظِ والمعنَى في أكثرِ مِنْ نصٍّ للشَّاعرِ نفسِهِ.
٣. **النَّصُّ البَلاغِي:** هوَ الإرادفُ وعرضُ الصِّورِ الفنيَّةِ، كأنْ يذكرُ الكاتبُ شيئًا ثمَّ يتجاوزُهُ إلى ذكرِ مَا يتبعُهُ ويريدُهُ، وينوبُ عنهُ في الدَّلالةِ خدمةً للنَّصِّ الجديدِ[3]، كمَا في قولِ الشَّاعرِ العَبَّاسِي الحَكَمِ الحَضرمِي (ت: ١٤٩هـ):

---

[1] المصدر السابق. ص٥٧.

[2] عزام، محمد. النص الغائب (تجليات التناص في الشعر العربي). ص١١. اتحاد الكتاب العرب. دمشق. سوريا. ط١. ٢٠٠١م.

[3] المصدر نفسه. ص١٢.

قَدْ كَانَ يُعْجِبُ بَعْضُهُنَّ بَرَاعَتِي حَتَّى سَمِعْنَ تَنَحْنُحِي وَسُعَالِي[1]

فقدْ أرادَ أنْ يصفَ كبرَهُ وشيخوختَهُ، فلمْ يصرّحْ بهمَا، بلْ جاءَ بمَا يُشيرُ إليهِمَا مِنِ استعارةٍ في لفظتَي (تَنَحْنُحِي وَسُعَالِي)، وهذا يَرِدُ غالبًا في الاستشهادِ والاحتجاجِ، وإذَا عدنَا إلى النُّقَّادِ العَربِ القُدامَي نجدُ أنَّهُمْ أشارُوا إلى التَّناصِ أوِ التَّداخلِ النَّصّيّ مِنْ خلالِ مصطلحَاتٍ عدَّة، نذكرُ منهَا:(الْمُوازنةُ، المُفاضلةُ، التَّضمينُ، الاقْتِباسُ، الوَساطةُ، الاستِشهَادُ، السَّرِقاتُ الشِّعريَّةُ، التَّوليدُ، المُعارضَاتُ، وَالنَّقائضُ، وغيرُهَا)، وقدْ وردَتْ تراكيبُ أخرَى لهَا علاقةٌ بالتَّناصِ، مثلَ:(محاكاةُ اللَّاحقِ للسَّابقِ، حُضورُ النَّصّ الغَائبِ فِي النَّصّ الحَاضرِ، والتَّجاوزِ بِتفضيلِ النَّصّ اللَّاحقِ عَلى النَّصّ السَّابقِ)، وهذا جميعُهُ أفردَ لهُ النُّقَّادُ والباحثونَ أبوابًا عدَّة، تناولَتِ: (النَّصُّ الغَائبُ، وَالتَّناصُ، وَالتّناصّيَّةُ، وَالمنهجُ التَّناصّي، وغَيرُهَا)[2].

أمَا النَّاقدُ والباحثُ السُّعوديُّ عبدُ اللهِ مُحمَّدٍ الغذامِي فقدْ تحدَّثَ في كتابِهِ (الخَطيئةُ والتَّكفيرُ_مِنَ البِنيويَّةِ إلى التَّشريحِيَّةِ) الَّذِي ألَّفَهُ عامَ ١٩٨٥م عنِ النُّصوصِ المُتداخلةِ وعدَّ هذا المُصطلحَ (**سِيميولوجِي _ شَرِيحِي**) نقلًا عنْ روبرت شولز الَّذِي عرَّفهُ علَى أنَّهُ مجموعةٌ مِنَ النُّصوصِ تُشيرُ إلى نصوصٍ أخرَى متداخلةٍ، وهذا هوَ المبدأُ العامُّ للنُّصوصِ المُتداخلةِ، وهذا المُصطلحُ تناولَهُ السِّيميولوجيّونَ، أمثالِ: بارت، كريستيفا، جينيت، ورفاتير، وهذهِ النُّصوصُ تشبهُ الإشاراتِ الَّتِي تُشيرُ إلى إشاراتٍ أخرَى، فالنَّصُّ المتداخلُ: نصٌّ يتسرَّبُ داخلَ نصٍّ آخرَ، ليجسّدَ مَدلولاتِ عدَّة، وقدْ يعِي الكاتبُ ذلكَ التَّسرُّبَ وقدْ لَا يَعيهُ، ثمَّ يُشيرُ شولز إلى تشابهِ سينيَّةِ شَوقي بسينيَّةِ البُحتري فيمَا يُسمَّى بالمُعارضاتِ الشِّعريَّةِ[3].

ويستعرضُ الغذامِي النُّقَّادَ الرُّوسَ والأوروبيّينَ وعَلى رأسِهِمْ الفرنسيونَ الَّذِينَ تناولُوا هذا المُصطلحَ منْ تشوفيسكي حتَّى أريفيه، إذْ يُشيرُ إلى أنَّ تشوفيسكي هوَ أوَّلُ مَنْ فتقَ فكرةِ النُّصوصِ المُتداخلَةِ، ثمَّ أخذَهَا عنهُ باختين الَّذِي حوَّلهَا إلى نظريةٍ حقيقيَّةٍ تعتمدُ علَى

---

[1] الحكم الحضرمي. شعر الحكم الحضرمي. ص١٣٢. تح: محمد القرني. مجلة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية. السنة السابعة. ع٢٠. ١٤٤١هـ. جامعة الملك عبد العزيز. جدة. المملكة العربية السعودية.

[2] عزام، محمد. النص الغائب (تجليات التناص في الشعر العربي). ص١٢.

[3] الغذامي، عبد الله محمد. الخطيئة والتكفير من التبنيوية إلى التشريحية (قراءة نقدية لنموذج معاصر). ص٣٢٤- ٣٢٥.

الظَّاهرةِ القَّائمةِ عَلى تداخلِ النُّصوصِ وعَدَّ أنَّ كلَّ ظاهرةٍ أسلوبيَّةٍ تنبثقُ عنْ نصٍّ هيَ قضيَّةُ وجودٍ وحضورٍ في أسلوبٍ جديدٍ تنشأُ داخليًّا كَجدليَّةٍ تقويضيَّةٍ لنصٍّ آخرَ[1]، ثمَّ جاءَتْ كريستيفا الَّتِي تعمَّقَتْ فِي دراسةِ النَّصِّ مِنْ خِلالِ دراسةِ نظريَّاتِ باختين بعمقٍ، إلى أنْ توصَّلَتْ إلى نظريَّةِ التّناصِ عامَ ١٩٦٦م، ونظرَتْ كريستيفا إلى النُّصوصِ على أنَّهَا لوحةٌ فُسيفسائيَّةٌ مِنَ الاقتباساتِ، فكلُّ نصٍّ تحوَّلَ وتشرَّبَ مِنْ نصوصٍ أخرَى حتَّى وصلَ إلى مَا هوَ عليهِ[2].

ويُشيُر الغذامي إلى بارت صاحبِ القولِ بالنَّصِّ الجماعِي الَّذِي يؤكِّدُ علَى جماعيَّةِ اللُّغةِ بينَ الكُتَّابِ والشُّعراءِ، وهذا الَّذِي يشكِّلُ جماعيَّةَ النُّصوصِ وتداخُلَهَا ضمنَ ما يُسمَّى بِالموروثِ الثَّقافِي، وهذا الَّذِي يؤدِّي إلى نُشوءِ الأدبِ بشكلٍ عامٍّ، ويؤكِّدُ ذلكَ قولُ النَّاقدِ الأدبيِّ الأمريكي جُوناثانَ كولر: **(إنَّهُ منَ التَّضليلِ أنْ نتحدَّثَ عَنِ القَصيدةِ على أنَّهَا كلٌّ متجانسٌ أوْ وحدةٌ عُضويَّةٌ مُستقلَّةٌ تَامَّةٌ، وتحملُ مَعانيَ ثريَّةً فَائضةً، وإنَّ التَناوُلَ السِّيمولوجِي يَقترِحُ نقيضَ ذَلكَ بِالتَّفكيرِ أنَّ القَصيدةَ قولٌ لَا دلالةَ لهُ إلَّا ضِمنَ الأنظمةِ العُرفيَّةِ الَّتِي اكتَسبَهَا القَارِئُ، ولوْ أطلقْنَا أَنظمةً أُخرَى فَإنَّ إمكاناتِ الدَّلالةِ عِندئذٍ سَتَتَغيَّرُ)**[3]، ويَعتبِرُ كولرُ أنَّ فكرةَ الأثرِ والجِنسِ الأدبيِّ تسبقُ عمليَّةَ القراءةِ، وبناءً عليهَا تتمَّ عمليَّةَ القِراءةِ، فقراءةُ النَّثرِ تختلفُ عَنْ قِراءةِ الشِّعرِ حتَّى وإنْ كانَ النَّصُّ نفسُهُ، ولكنْ للنَّثرِ شكلٌ يختلفُ عنْ شكلِ الشِّعرِ، وهذا الاختلافُ يُؤدِّي إلى تأثُّرِ القِراءةِ[4].

ويعرضُ الغذامي لِقصيدتَينِ مُتناصَّتَينِ، **الأولَى:** الَّتِي تُشكِّلُ النَّصَّ الغَائبَ، وهيَ قصيدةٌ للشَّاعرِ العبَّاسِي الشَّريفِ الرَّضِي (ت:١٠١٥م) بِعنوانِ **(يَا ظَبيةَ البَانِ)، والثَّانيةُ:** قصيدةٌ

---

[1] المصدر السابق. ص٢٢٥.

[2] كريستيفا، جوليا. علم النص. ص٧٨_٧٩.

[3] كولر، جوناثان. مدخل إلى النظرية الأدبية. ص١٠٩. ترجمة: مصطفى بيومي عبد السلام. المجلس الأعلى للثقافة. القاهرة. مصر. ط١. ٢٠٠٣م

[4] الغذامي، عبد الله محمد. التكفير والخطيئة من البنيوية إلى التشريحية. ص٣٢٦.

للنَّصِّ الحَاضرِ وهيَ للشَّاعرِ السَّعوديِّ حمزة شحاته (١٩٧٢م) بعنوانِ (غادةِ بولاقَ) الَّتِي يقولُ في مَطلعِهَا[١]:

أَلْهَمْتُ وَالْحُبُّ وَحْيٌ يَومَ لُقْيَاكِ رَسَالَةَ الحُسْنِ فَاضَتْ مِنْ مُحَيَّاكِ[٢]

أمَّا قصيدةُ الشَّريفُ الرَّضِيُّ الأولى الَّتِي تُمثِّلُ النَّصَّ الغَائِبَ، فمطلَعُهَا:

يَا ظَبْيَةَ البَانِ تَرعَى فِي خَمَائِلِهِ لِيَهنَكِ الْيَومَ أَنَّ الْقَلَبَ مَرْعَاكِ[٣]

فالقصيدتانِ تتَّفقانِ في الموضعِ وهوَ النَّسيبُ، وتتَّفقانِ في البحرِ وهوَ البسيطُ، وتتَّفقانِ في الرَّوي وهوَ الكافُ المكسورةُ، وهذا النَّوعُ مِنَ الشِّعرِ يُسمَّى شعرُ المُعارضاتِ، وقدْ عدَّهَا كثيرٌ منَ النَّقَّادِ والبَاحثينَ منَ التَّناصِ، إذْ إنَّ الألفاظَ كذلكَ قدْ تتشابَهُ في ثنايَا القَصيدةِ، وتتشابَهُ كذلكَ بعضُ المعانِي لأنَّ المَوضوعَ واحدٌ.

وهكذا يرَى الغذامي أنَّ التَّناصَ لا يُقتصرُ على أبياتٍ محدَّدةٍ لنصوصٍ سابقةٍ ونصوصٍ لاحقةٍ، بلْ إنَّ هناكَ قصائدَ تتعارضُ، وقصائدَ تتناقضُ، وهيَ تتشابَهُ في المَوضوعِ، والبحرِ، والرَّوي، وبمَا أنَّهَا تتشابَهُ في المَوضوعِ؛ فَلا شكَّ أنَّ هناكَ ألفاظًا ومعانِيَ في القَصديتينِ تتشابهانِ ممَّا يجعلهُمَا قصيدتينِ متناصَّتينِ ومُتعالقتينِ سواءٌ قصدَ الشَّاعرُ أمْ لمْ يَقصدْ.

أمَّا النَّاقدُ والكاتبُ العراقي كاظم جهاد فقدْ تناولَ التَّناصَ في كتابِهِ المَوسومِ بـ(أدونيسُ مُنتحلًا _ دراسةٌ فِي الاستحواذِ وارتِجاليَّةِ التَّرجمةِ، يَسبقُهَا: مَا هُوَ التَّناصُ؟)، الصادرِ عامَ ١٩٩١م، وقدْ ذكرَ التَّناصَ في الفَصلِ الأوَّلِ مِنْ الكتابِ، وأكَّدَ أنَّ التَّناصَ ليسَ مُصطلحًا جديدًا، بلْ هوَ مرادفٌ لمُصطلحاتٍ تناولَهَا الباحثونَ والنُّقَّادُ العَربُ القُدامَى، ومِنَ هذهِ

[١] المصدر نفسه. ص٣٤٧-٣٤٨.

[٢] المصدر نفسه، ص٣٤٣.

[٣] الشريف الرضي، أبو الحسن السيد محمد القرشي. ديوان الشريف الرضي. ج٢. ص١٠٧. شرح: يوسف شكري فرحات. دار الجيل. بيروت. لبنان. ط١. ١٩٩٥م.

المُصطلحاتِ:(السَّـــرقةُ، الإغـــارةُ، السَّـــطوُ، السَّـــلخُ، تَلفيـــقُ المَعنَـــى، وَالتَّضـــمينُ، ...)، وذلكَ موجودٌ في كُتُبِ التُّراثِ البَلاغيَّةِ.[1]

ويبيّنُ جهاد أنَّ هُناكَ فرقٌ بينَ التَّناصِ والانتحالِ، فالتَّناصُ مقبولٌ، والانتحالُ مرفوضٌ، ثمَّ يَعِدُّ الشَّاعرَ السُّوريَّ علي أحمد سعيد المَشهور بـ **(أدونيس)** منتحلًا في كثيرٍ منْ أشعارِهِ، وليسَ التَّشابُهُ بينَ شعرِهِ وشعرِ الَّذِينَ سبقوهُ تناصًّا، وفي إشارتِهِ إلى الانتحالِ يكشفُ عنْ بعضِ انتحالاتِ أدونيسَ لنصوصٍ مَنْ كَانَ قبلَهُ، فقدْ عرضَ لِنُصوصِ العَالِمِ الصُّوفِي العَبَّاسِي مُحمَّد بنِ عبدِ الجَبَّارِ النَّفري (ت: ٩٦٥م)، المتعلِّقةِ بعالَمِ اللَّاهوتِ فنجدُ أنَّهُ ذكرَهَا بألفاظِهَا ومعانِيهَا _ سِوى تَغييراتٍ طَفيفةٍ _ وهذا ليسَ تناصًّا، إذْ إنَّ التَّناصَ حسبَ رأي جهاد :**(إشعارُ القارئِ أوِ المستمعِ بأنَّنَا نناصِصُ كاتبًا آخرَ، أوْ تنويبَ نصٍّ لآخرَ ومحوهِ وإعادةِ خلقِهِ بالكامِلِ، بحيثُ لا يكونُ أكثرَ مِنْ ذكرى بعيدةٍ أوْ مصدرِ إلهامٍ للنَّصِّ بينَ مَصادرَ أُخرَى تكثرُ أوْ تَقِلُّ)**[2].

ويعرضُ جهادٌ لآراءِ النُّقَّادِ الغَربيّينَ والمُناقشاتِ الَّتِي صاغَهَا الكاتبُ والنَّاقدُ الفَرنسي موريس بلانشو (ت:٢٠٠٣م)، إذْ تحدَّثَ عنْ مُناقشاتِ كلٍّ مِنْ (بوياغيه، وكريستيفا، وبارت، وباختين، وجينيت، وريفاتير) حولَ التَّناصِ، كمَا يستطردُ في حديثِهِ عنْ إشكاليَّةِ التَّناصِ الَّتِي تحدَّثَ عنهَا (لوران جينيه) معتبرًا أنَّهَا إشكاليَّةٌ تفتحُ المجالَ أمامَ اجتهاداتٍ كثيرةٍ حولَ التَّناصِ حتَّى الوصولِ لاتِّفاقٍ جامعٍ حولَهُ[3].

كمَا يعرضُ في القسمِ الثَّانِي لكتابِهِ تقابلاتٍ لنصوصٍ كتبَهَا أدونيسُ، وتشابهَتْ كثيرًا معْ نُصوصٍ لكتَّابٍ سابقينَ لهُ، أمثالَ:(الشَّاعرُ الفَرنسِي: سان جون بيرس (ت: ١٩٧٥م)، والشَّاعرُ العَبَّاسِي الأصَمعِي، والكاتبُ العَبَّاسِي أبو الفَتحِ نصرُ اللهِ بنُ محمَّدٍ المشهورُ بـ(ابنِ الأثيرِ الكَاتبِ) (ت:٦٣٧هـ))، وقدْ تحدَّثَ عنْ هذهِ التَّقابُلاتِ، الشَّاعرُ والرِّوائِي التُّونسِي

[1] المناصرة، عز الدين. علم التناص والتلاص (نحو منهج عنكبوتي تفاعلي)، ص٧٤.

[2] جهاد، كاظم. أدونيس منتحلا (دراسة في الاستحواذ وارتجالية الترجمة. يسبقها: ما هو التناص؟). ص٧٩. مكتبة الفكر الجديد ومكتبة مدبولي. القاهرة. مصر. ط٢. ١٩٩٣م.

[3] المناصرة، عز الدين. علم التناص والتلاص (نحو منهج عنكبوتي تفاعلي). ص٧٥.

المُنصفُ الوهّايبِي عامَ ١٩٨٧م، كمَا تحدَّثَ عنْ ذلكَ الشَّاعرُ والمُترجمُ العِراقيُّ صلاحُ نيازِي في مقالةٍ لهُ نُشرَتْ عامَ ١٩٨٧م في مجلَّةِ النَّاقدِ في عددِهَا الصَّادرِ في شَهرِ تمُوزَ عامَ ١٩٨٨م، إذْ يكشفُ نيازِي عنْ عِباراتِ أدونيسِ الارتجاليَّةِ والإشكاليَّةِ المُرتبطةِ بعبَاراتِ التُّراثِ، وتصوُّراتِهَ الَّتِي يُعاكِسُ فيهَا الواقعَ، وهيَ عِباراتٌ أقلُّ مَا يُقالُ فيهَا إنَّهَا تفتقرُ للتَّمَعُّنِ والنَّفَاذِ والصِّدقيَّةِ[١].

وفي القِسمِ الثَّالثِ مِنْ كتابِهِ، يتحدَّثُ عنْ أدونيسَ كَمُترجمٍ ارتجاليٍّ حرفيٍّ، يقعُ في بعضِ الإشكاليَّاتِ كحالِهِ في أشعارِهِ، وهذا ما أشارَ إليهِ في القسمِ الرَّابعِ مِن الكِتابِ، إذْ تحدَثَ عنِ التَّفَكُكِ الذَّاتِي للأثرِ الشِّعريِّ عندَ أدونيسَ، ويقدِّمُ بذلكَ أدلَّةً علَى التَّفكُّكِ الذَّاتِي للأثرِ الشِّعريِّ لديهِ[٢].

أمَّا الشَّاعرُ والنَّاقدُ اللّبنانِي شربل داغر فقدْ تناولَ التَّناصَ في دراسةٍ أعدَّهَا عامَ ١٩٩٧م بعنوانِ:(التَّناصُ سَبيلًا إلَى دِراسةِ النَّصِّ الشِّعريِّ وغيرِهِ)، وقدْ بدأَ دراستَهُ بتوضيحِ المَساعِي التَّعريفيَّةِ للتَّناصِ، إذْ بدأَ بذكرِ كريستيفا كأَوَّلِ مَنْ تناولَ التَّناصَ كَمفهومٍ، وعرَّفتْهُ بقولِهَا:(إنَّهُ التَّفاعلُ النَّصِّي فِي نَصٍّ بِعينِهِ)[٣]، وتحدَّثَ عنْ تفاعُلِهَا في توضيحِ المَفهومِ مِنْ خِلالِ عرضِهَا لشعرِ (لوتريامون) مِنْ خلالِ عمليَّاتِ التَّحريرِ الَّتِي أقامَهَا الشَّاعرُ معْ نُصوصٍ عديدةٍ معروفةٍ سبقَتْ نصَّهُ، كمَا تحدَّثَ عنْ جيرار جينيت الَّذِي حدَّدَ للتَّناصِ أشكالًا عدِّة:(كالسَّرقةِ، والاستشهادِ، وعلاقةِ النَّصِّ بِعتَبةِ النَّصِّ الَّتِي تتمثَّلُ بِالعُنوانِ الرَّئيسِ، وَالعَناوينِ الفَرعيَّةِ، والمُقدِّمةِ، وَالتَّمهيدِ، وَالتَّنبيهِ، وغيرِهَا)، ثمَّ علاقةُ النَّصِّ بالنَّصِّ السَّابقِ لهُ، ثمَّ علاقةُ الاشتقاقِ بينَ النُّصوصِ السَّابقةِ واللَّاحقةِ، ثمَّ العَلاقةُ بالأجناسِ الأدبيَّةِ الّتِي يكشفُ عنهَا النَّصُّ، كمَا يذكرُ أريفيَّهِ الَّذِي عَدَّ أنَّ الوقائعَ النَّصِّيَّةَ تكمنُ في مكانِ التَّناصِ بينَ النُّصوصِ، فلَا يُوجدُ قصائدُ كاملةً تتضمَّنُ تناصَّ، وإنّمَا في ثناياهَا يتمُّ تحديدُ التَّناصِ، وبهذا يَستثنِي (المُعارضاتُ، والنَّقائضُ) مِنَ التَّناصِ، ويُعلّقُ شربل على قولِ أريفيه بقولِهِ

[١] جهاد، كاظم. أدونيس منتحلا (دراسة في الاستحواذ وارتجالية الترجمة. يسبقها: ما هو التناص؟). ص٩٤– ٩٥.

[٢] المناصرة، عز الدين. علم التناص والتلاص (نحو منهج عنكبوتي تفاعلي). ص٧٦.

[٣] شربل، داغر. التناص سبيلا إلى دراسة النص الشعري وغيره. مجلة فصول. ص١٣٥.

:(**إِنَّنَا لا نكتفِي بدراسةِ مكانِ النَّصّ، بلْ ندرسُ العَلاقاتِ الَّتِي تَربِطُ النَّصَّ بغيرِهِ مِنَ النُّصوصِ، والمكانُ هوَ واحدٌ مِنْ تلكَ العَلاقاتِ، (فَالوقَائعُ التَّناصّيَّةُ) كَثيرةٌ مِنْ خلالِ عَلاقاتِهَا، وهيَ جزءٌ كبيرٌ مِنَ (الوَقائعِ النَّصّيَّةِ)**)، ويعودُ شربل إلى تِكرارِ أقوالِ غيرِهِ مِنَ النُّقَّادِ العَربِ باعتبارِ أنَّ التِّناصَ هوَ مُصطلحُ جديدٌ فعلًا، ولكنَّهُ يُشبهُ مُصطلحاتٍ ذكرَهَا قُدامَى الباحثينَ والنُّقَّادِ العَربِ، مثلَ:(السَّرقاتُ الشِّعريَّةُ، وَالاقتباسُ، وَالتَّضمينُ، وغيرُهَا)[1].

ويعرضُ شربل كذلكَ للنُّقَّادِ العربِ القُدامَى كالآمَدِي وموزانِتِهِ، والنُّقَّادِ العَرَبِ المُعاصرينَ كمُحمَّدِ بنيس في اعتبارِهِ التَّناصّ تَداخلٌ نَصّيٍّ، ومُحمَّد مِفتاح الَّذِي تناولَ التَّناصَ بكلِّ تفاصيلِهِ وبمفهومِهِ المُعتبرِ، ويؤيّدُ شربل النُّقَّادَ العَربَ في اعتبارِ الاتِّساعِ التَّناصّي بحيثُ يشملُ قصائدَ كاملةً كمَا في المُعارضاتِ، والنَّقائضِ، ويَعدُّهَا مِنَ الأمثلةِ علَى التَّناصِ الخَارجِي الكاملِ، ويتحدَّثُ عنْ شُموليَّةِ التَّناصِ وحواريَّةِ النُّصوصِ كمَا ذكرَهَا باختين، ويشيرُ إلى نوعي التَّناصِ الأساسِيينِ (الدَّاخليُّ، والخَارجيُّ)، مُؤكّدًا علَى أنَّ التَّناصَ الدَّاخلِي أسهلُ في الكشفِ عنهُ مِنَ التَّناصِ الخَارجِي خاصَّةً إذا كانَ الشَّاعرُ مشهورًا للقَارِئِ والمستمعِ، ومعْ ذلكَ فإنَّ التَّناصَ الدَّاخلِي وسيلةٌ للكشفِ عنِ التَّناصِ الخَارجِي بسهولةٍ كذلكَ[2].

ويُردفُ شربل قائلًا عنِ التَّناصِ بأنَّهُ:(**عمليَّةُ مقارنةٍ بينَ النُّصوصِ سواءٌ كانَتْ داخليَّةً أوْ خارجيَّةً، ويبيّنُ أهمّيَّةَ العَلاقاتِ الَّتِي تتحقَّقُ في النَّصّ كالتَراكيبِ النَّحويَّةِ والدَّلاليَّةِ**)، ثمَّ يحدّدُ المَصادرَ التَّناصّيَّةَ بِثلاثةِ مَصادرَ، هيَ:

١. **المصادرُ الضَّروريَّةُ:** ومنهَا المَوروثُ العامُ المتعلّقُ بصيغةِ الذَّاكِرةِ، مثلَ: الوقفةِ الطَّلليَّةِ في الشِّعرِ القَديمِ.
٢. **المصادرُ اللَّازِمةُ:** كالتَّناصِ الدَّاخلِي الواقعِ في شعرِ الشَّاعرِ نفسِهِ، إذْ عدَّ بعضُ النُّقَّادِ أنَّ قَصيدتَي الشَّاعرِ العِراقِي بدر شاكِر السَّيَّاب (ت:١٩٦٤م)، **الأولَى:**

[1] المناصرة، عز الدين. علم التناص والتلاص (نحو منهج عنكبوتي تفاعلي) ص٧٧-٧٨.
[2] شربل، داغر. التناص سبيلا إلى دراسة النص الشعري وغيره. مجلة فصول. ص١٣٦.

المُعنونةِ بِـ (غريبٌ عَلى الخَليجِ)، **والثَّانيةِ:** المُعنونةِ بِـ (أُنشودةِ المَطرِ) تؤلِّفانِ مَقطعينِ مِنْ قصيدةٍ واحدةٍ تُكمِّلُ بعضَهَا بعضًا.

٣. **المصادرُ الطَّوعيَّةُ:** هيَ مَا يختارُهُ الشَّاعرُ لنفسِهِ، مِنْ خِلالِ التَّأثُّرِ بشاعرٍ معيَّنٍ سبقَهُ أوْ عاصَرَهُ، فقرأَ لهُ كثيرًا، وحاكَى أشعارَهُ، وهذهِ المُحاكاةُ شكَّلَتِ التَّناصَ في قصائدَ كاملةٍ أوْ بعضًا منهَا، كتأثُّرِ الشَّاعرِ الفِلسطيني محمُود دَرويش (ت:٢٠٠٨م) بِالشَّاعرينِ العِراقي: عبدِ الوهَّابِ البيَّاتِي (ت:١٩٩٩م)) واللِّبنانِي: نزار قبَّانِي (ت:١٩٩٨م)، وقدْ تكونُ المصادرُ أجنبيَّةً كالتَّأثُّرِ بشعراءَ غربيِّينَ، وغيرِ ذلكَ[١].

أمَّا ميادينُ التَّناصِ الَّتِي يُشيرُ إليهَا شربل، فيحدِّدُهَا بأربعةِ ميادينَ، هيَ:

١. **ميدانُ المُستوى الإيقاعِي:** مثلَ: القَصيدةُ اللَّحظةُ، القَصيدةُ المفارقةُ، القَصيدةُ القَصَصيَّةُ، الدَّعابةُ السَّوداءُ، والقَصيدةُ اليوميّةُ[٢].

٢. **المُستوَى النَّحْوي (النَّمطُ):** يتعلَّقُ بالتَّراكيبِ النَّحويَّةِ كالتَّقديمِ والتَّأخيرِ للصِّفَةِ عَلى المَوصُوفِ، والإسنادِ، والجُملِ الاسميَّةِ والحَاليَّةِ، والصِّيغِ اللُّغويَّةِ (الأَساليبُ):(النِّداءُ، الأمرُ، والاستفهامُ)[٣].

٣. **المُستوَى الدَّلالِي (القَضايَا):** تتعلَّقُ بالألفاظِ والدَّلالاتِ، والصِّيغِ البَلاغيَّةِ، كالتَّشبيهَاتِ، والأجناسِ الأدبيَّةِ، وعلَى رأسِهَا: القَصيدةُ التَّمثيليَّةُ، والقَصيدةُ الأُسطوريَّةُ، والقَصيدةُ المَسرحيَّةُ[٤].

٤. **المَوضوعاتُ والمَناخَاتُ:** مثلُ: الحَربُ البَادرةُ، الغُربةُ فِي المَقهَى، الصَّعلَكَةُ والتَّمزُّقُ[٥].

---

[١] المناصرة، عز الدين. علم التناص والتلاص (نحو منهج عنكبوتي تفاعلي). ص٨١.

[٢] شربل، داغر. التناص سبيلا إلى دراسة النص الشعري وغيره. مجلة فصول. ص١٣٧.

[٣] المناصرة، عز الدين. علم التناص والتلاص (نحو منهج عنكبوتي تفاعلي). ص٨١.

[٤] شربل، داغر. التناص سبيلا إلى دراسة النص الشعري وغيره. مجلة فصول. ص١٣٧.

[٥] المناصرة، عز الدين. علم التناص والتلاص (نحو منهج عنكبوتي تفاعلي). ص٨١.

أمَّا أشكالُ التَّناصِ، فيبيّنُ شربل أنَّهَا مُتعلّقةٌ بالوقائعِ، وتتطلَّبُ البحثَ عَنِ الصّيغِ والأحوالِ والعَمليَّاتِ، أيْ عنِ الأشكالِ الَّتِي تُصيبُ التَّناصَ. ذلكَ أنَّهَا عديدةٌ، لَا تَختصرُهَا الأقوالُ البَلاغيَّةُ القديمةُ، مثلُ: التَّضمينُ، أوِ الإحالاتُ، كمَا في لغةِ النَّقدِ السَّاريةِ، ويتحدَّثُ عنْ مفاهيمَ أُخرَى ذاتِ علاقةٍ بأشكالِ التَّنَاصِ، وقدْ تنبَّهَ إليهَا بعضُ النُّقَّادِ الغَربيّينَ أمثالُ: كريستيفا، وبارَت، وعلَى رأسِهَا مفهومُ التَّملُّكِ الَّذِي استحوذَ علَى لغةِ النُّقَّادِ فِي حديثِهِمْ عنْ أشكالِ التَّناصِ، ويُقصدُ بهِ القَصائدُ الأسطوريَّةُ الَّتِي تُعبّرُ عنْ أمَّةٍ مِنَ الأممِ أوْ شَخصيَّةٍ أُسطوريَّةٍ مِنَ الشَّخصيَّاتِ القَديمةِ، مثلُ: السّندبادِ، وشهرزادَ، وأخيلَ (بطلِ حربِ طِروادةَ) [1].

ويتحدَّثُ شربل في ختامِ مقالتِهِ عنِ اقتباسَاتِ أدونيسَ وتضميناتِهِ مِنْ نُصوصِ النَّفرِي، ويتناولُ منهَا النَّسقَ الدّينِي المَسيحِي في نُصوصِ الشَّاعرِ اللّبنَانِي أُنسِي الحَاجِ (ت:٢٠١٤م)، وجميعِهَا تتضمَّنُ شكلًا منْ أشكالِ التَّنَاصِ، ولكنَّهَا تقتربُ كثيرًا مِنَ السَّرقاتِ الشّعريَّةِ؛ بسببِ عدمِ وُضوحِ التَّنَاصِ فيهَا، ويبقَى الأمرُ غامضًا فِي أشعارِ أَدونيسَ الّذِي يتراوحُ بينَ السَّرِقةِ الشّعريَّةِ والتَّنَاصِ[2].

أمَّا النَّاقدُ المِصري المُعاصرُ صَبري حافِظْ فقدْ كتَبَ مقالًا مُفصَّلًا في مَجلَّةِ ألفِ المِصريَّةِ عامَ ١٩٨٤م، بعنوانِ: التَّناصُ وتَفاعُليَّةُ النُّصُوصِ، إذْ يَقولُ حافظُ :(**إنَّ النَّقدَ العربيَّ جعلَ النَّصَّ مَدارَ اهتمامِهِ، قبلَ أنْ يكشفَ لَنَا النَّقدُ العَربيُّ المُعاصرُ عَنِ بِنيةِ النَّصّ والخَصائصِ الشَّكليَّةِ الَّتِي تُعطيهِ طبيعتَهُ الأدبيَّةُ، وتفاعليّةُ النُّصوصِ بينَ بعضِهَا بعضًا، تلكَ الَّتِي تُعرَفُ باسمِ (التَّناصِ))**[3].

ويروِي حافظٌ واقعةً تناصّيَّةً تتعلَّقُ بقراءةِ كتابِ الفَيلسوفِ اليُونانِي أرسطُو طالِيس (ت:٣٢٢ ق.م)، إذْ قرأهُ أوَّلَ مرَّةٍ، وقالَ:(**لقدْ كانَ كتابُ أرسطو بِمثابةِ النَّصّ الغَائبِ، بِالنِّسبةِ لكثيرٍ مِنَ الأعمالِ النَّقديَّةِ الَّتِي قَرأَتْهَا وتفاعَلَتْ معهَا، وحاورَتْهَا، وَتأثَّرَتْ بِهَا**)، فقدْ يقعُ النَّصُّ في

[1] شربل، داغر. التناص سبيلا إلى دراسة النص الشعري وغيره. مجلة فصول. ص١٣٨.

[2] المناصرة، عز الدين. علم التناص والتلاص (نحو منهج عنكبوتي تفاعلي) ص٨٢.

[3] حافظ، صبري. التناص وتفاعلية النصوص. مجلة عيون المقالات. ص٨٠. منشورات جامعة القاهرة. القاهرة. مصر. العدد الثاني. ربيع عام: ١٩٨٦م.

ظِلِّ نصّ أوْ نُصوصٍ أُخرَى، إذْ تتركُ جَدليَّاتِ الإحلالِ والإزاحةِ بَصماتُهَا علَى النَّصّ، وفكرةُ التَّرسيبِ واحدةٌ مِنَ الأفكارِ الأساسيَّةِ الَّتِي يطرحُهَا النُّقَّادُ فِي تعامِلِهِمْ معِ النُّصُوصِ، وهيَ فكرةٌ تجاوَزَتْ ترسُّبَاتِ المَعنَى إلى آفاقٍ فَلسفيَّةٍ جَديدةٍ[1].

ويعرضُ حافظُ آراءَ نقديَّةً لرولان بارَت في نَظريَّةِ النَّصّ، إذْ يستعرضُ أهمَّ المُرتكزاتِ عندَهُ مِنَ العملِ إلى النَّصّ، خصوصًا حولَ العَملِ الأدبيّ، وكذلكَ بالنِّسبةِ للجَانبِ الإشارِي، فالنَّصُّ إشارةٌ مفتوحةٌ علَى عددٍ لا نهائِيٍّ مِنَ المُشيراتِ والمَضامينِ، أمَّا العَملُ الأدبيُّ فإشارةٌ مغلقةٌ، وهيَ عُرضةٌ لتَفسيراتٍ محدودةٍ تتَّسمُ بالثَّباتِ كلَّ مرَّةٍ، وبالإنغلاقِ أحيانًا، ويرى بارَت أنَّ الأَنَا الَّتِي كتَبَتِ النَّصَّ ليسَتْ أنَا حقيقيَّةً، وذلكَ يعنِي أنَّ الكَاتبَ يعودُ إلى النَّصّ ضيفًا كالآخرينَ، ويرَى بارَت أنَّ النَّصَّ تعدُّدِيٌّ أيْ قابلٌ لتَحقيقِ تعدُّديَّةِ المَعنَى، ولا يَسعَى النَّصُّ إلى تَحقيقِ نوعٍ منَ التَّعايشِ بينَ المَعانِي؛ لأنَّ كلَّ نصٍّ يَتناصُ أيْ يتفاعلُ معْ نُصوصٍ أُخرَى، وينتمِي إلى مَجالٍ لا تناصِّي لَا يجبُ الخَلطُ بينَهُ وبينَ الأُصولِ أوِ المَصادرِ الَّتِي ينحدرُ منهَا النَّصُّ[2].

ثمَّ يعرضُ حافظُ لآراءِ كريستيفا وغيرِهَا مِنَ النُّقَّادِ الفَرنسيِّينَ، وخُلاصَتُهَا أنَّ دِراسةَ التَّنَاصِ بأيْ حالٍ مِنَ الأحوالِ دراسةُ للمُؤثِّراتِ أوِ المَصادرِ أوْ حتَّى عَلاقاتِ التَّأثيرِ والتَّأثُّرِ بينَ نصوصٍ حاضرةٍ وأعمالٍ أدبيَّةٍ سابقةٍ تمثِّلُ النُّصوصَ الغَائبةَ، وهذا كلُّهُ ضمنَ مَجالِ الأَدَبِ المُقارنِ، وتبقَى دِراسةٌ تُطرحُ شبكتُهَا الفَاتنةُ عَلى مُحيطٍ أوسعَ؛ لتَشملَ المُمارساتِ المُتراكِمةَ كلَّهَا، إضافةً إلى المُمارسَاتِ غيرِ المَعروفةِ، والأنظمةِ الإشاريَّةِ، والشَّفْراتِ الأدَبيَّةِ، والمَواضعَاتِ الَّتِي فقدَتْ أُصُولِهَا[3].

ويرَى حافظُ أنَّ المَجالَ التَّناصِّي مَجالٌ حِواريٌّ، وكلُّ حِوارٍ يَنطوي عَلى قَدَرٍ مِنَ الصِّراعِ، وذلكَ لأنَّ:(**النَّصُّ يَنجحُ أوْ يتحقَّقُ باسْتيعابِهِ للنُّصوصِ الأُخرَى الواقعةِ فِي مَجالِهِ التَّناصِّي، وتدميرِهَا فِي الوقتِ نفسِهِ، فالنَّصُّ الشَّعريُّ يَنتجُ فِي حركةٍ مُعقَّدةٍ مِنْ تأكيدِ**

[1] المناصرة، عز الدين. علم التناص والتلاص (نحو منهج عنكبوتي تفاعلي). ص٩٠.

[2] حافظ، صبري. التناص وتفاعلية النصوص. مجلة عيون المقالات. ص٨٢-٨٤.

[3] المناصرة، عز الدين. علم التناص والتلاص (نحو منهج عنكبوتي تفاعلي). ص٩٢.

النُّصوصِ الأُخرَى، ونفيهَا فِي آنٍ واحدٍ، وبينَ جَدليَّةِ التَّأكيدِ وَالنَّفِي تتحدَّدُ طَبيعةُ المَجالِ التَّناصِّي وتتَّضحُ حُدودُهُ مِنْ ناحيةٍ أُخرَى، وَتَتبلْورُ معهُ حَركيَّةُ الافتراضَاتِ الَّتِي يَتخلَّقُ عنهَا معنَى النَّصّ وتتعدَّدُ افتراضَاتُهُ)[1].

ويَعرضُ حافظُ في آخرِ مقالتِهِ لمُصطلحَاتٍ يَعدُّهَا ذاتِ عَلاقةٍ بالتَّنَاصِ، إمَّا كمُرادفاتٍ أوْ نظائرَ أوْ فروعٍ مُتفرّعةٍ منهُ، منهَا:(الاقتباسُ، التَّضمينُ، التَّوليدُ، الإدماجُ، المُواربةُ، المُعارضةُ، التَّلميحُ، ائتلافُ المَعنَى مَعِ المَعنَى، التَّمثيلُ، النَّوادرُ، وَالتَّتبُّعُ)، وهيَ في نظرِهِ مُصطلحاتٌ بديعيَّةٌ تنطَوي عَلى أفكارٍ تَناصِّيَّةٍ هَامَّةٍ[2].

[1] حافظ، صبري. التناص وتفاعلية النصوص. مجلة عيون المقالات. ص٩٤-٩٥.

[2] المصدر نفسه. ص٩٧- ١٠٠.

المبحثُ الخامسُ

أنماطُ التَّناصِ وَخصائصُهُ

أوَّلًا: أنماطُ التَّناصِ

للتَّناصِ أنماطٌ عدَّة، انبثقَتْ عنهُ نتيجةً للدِّراساتِ الحديثةِ الَّتِي توصَّلَ إليهَا الباحثونَ في شأنِهِ، ولعلَّ هذهِ الأنماطَ لهَا ارتباطاتٌ بمفاهيمَ أخرَى متعلِّقةٌ بالتَّناصِ، أوْ كانَتْ صِورًا أخرَى للتَّناصِ قديمًا قبلَ التُّوصُّلِ إلى ظاهرةِ التَّناصِ كمصطلَحٍ أدبيٍّ غربي، وقدْ جاءَتْ هذهِ الأنماطُ كنتيجةٍ طبيعيَّةٍ لتطوُّرِ نظريَّةِ التَّناصِ عبرَ الدِّراساتِ الَّتِي تناولَتْهَا منذُ عامِ ١٩٦٦م، أيْ يومَ أنْ بدأَتْ كريستيفا بالإشارةِ إليهِ في كتابِهَا (علمُ النَّصّ) الَّذِي تناولَتْ فيهِ هذا المُصطلحُ الأدبيُّ بشيءٍ منَ الإسهابِ، ومِنْ خلالِ مُراجعةِ الدِّراساتِ الَّتِي تناولَتِ التَّناصَ وأنماطَهُ، تمَّ التَّوصُّلُ إلَى الأنماطِ التَّاليةِ عَلاوةً علَى التَّناصِ نفسِهِ:

١. **المَناصُ:** هوَ أحدُ المتعاليَاتِ النَّصِّيَّةِ، ومبحثٌ مِنْ مباحثِهَا، ويتمثَّلُ في العَناوينِ، والمقدِّماتِ، والذِّيولِ، والتَّنبيهَاتِ، والصِّورِ، وهذهِ جميعُهَا تُعدُّ مَناصَّاتٍ داخليَّةً للنَّصّ، وهناكَ مناصَّاتٌ خارجيَّةٌ تتمثَّلُ في بِنيةِ النَّصِّ الَّتِي تشتركُ معْ بِنيةٍ أصليَّةٍ للنَّصّ الَّتِي يُطلقُ عليهَا النَّصُّ الغائبُ، وقدْ تكونُ هذهِ البِنيةُ شعرًا أوْ نثرًا[١].

٢. **المُتناصِّيَّةُ:** وهذا النَّمطُ ينشأُ بينَ النُّصوصِ كَمُتعالقاتٍ نَصِّيَّةٍ تأخذُ البعدَ النَّقدِي، لا بُعدَ المُحاكاةِ أوِ التَّناظُرِ، بلْ هيَ تناقضٌ واضحٌ يتعلَّقُ بنصوصٍ تعريضيَّةٍ متخالفةٍ، وهيَ علاقةٌ تنشأُ منْ وجودِ نصَّينِ مُتناقضينِ، يشوبُهُمَا نوعٌ مِنَ السُّخريةِ أوِ الهجاءِ المُضحكِ، أوِ النَّقدِ اللَّاذعِ والسَّاخرِ، وأقربُ ما يكونُ مثالًا عليهَا:(نَقائضُ جريرٍ والفَرزدقِ، والتَّناصِ السَّاخرِ، والهِجاءِ المُثيرِ للسُّخريةِ)[٢].

---

[١] يقطين، سعيد. انفتاح النص الروائي. ص٩٩. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء. المغرب. ط١. ١٩٨٤م.

[٢] صدَّار، نور الدين. التناص في التراث النقدي العربي (قراءة في نظرية المتعاليات النصية). ص١٩٩. مجلة العلوم الإنسانية. صيف ٢٠١٦م. جامعة معسكر. الجزائر. من ص١٩٢– ٢٢٠.

٣. **التَّعلّقُ النَّصّيُّ:** هذا النَّمطُ أشارَ إليهِ جيرار جينيت في حديثِهِ عنِ التَّوليدِ في النُّصوصِ، أيْ توليدُ نصٍّ مِنْ نصٍّ آخرَ أوْ تحويلِهِ أوْ محاكاتِهِ، ويمثِّلُ ذلكَ:(المُعارضاتُ، والتَّحريفاتُ)، وبمعنَى آخرَ التَّعلُّقُ النَّصّي: أيْ كلُّ علاقةٍ تنشأُ منْ توحُّدِ النُّصوصِ ويُسمَّى بِالتَّشابِهِ النَّصّي، أيْ تشابُهُ النَّصَّينِ فِي المَوضوعِ، والوزنِ، والرَّوي، وتقاربُ الألفاظِ والمَعانِي، والنَّصِّ اللَّاحقِ الَّذِي قدْ يكونُ أقوَى مِنَ النَّصِّ السَّابقِ، وربَّمَا العَكسُ صَحيحٌ[١].

٤. **مِعماريَّةُ النَّصِّ:** أوْ جامعُ النَّصِّ أوْ النَّصِّيَّةُ الجَامعةُ، وتعنِي علاقةَ الانتسابِ الَّتِي تَنسبُ نصًّا مَا إلى مُختلفِ أنماطِ الخِطابِ النَّاتجِ عنهَا، ويندرجُ تحتَهَا:(الأجناسُ الأدبيَّةُ وتحديداتُهَا الصِّيغيَّةُ، والمَضمونيَّةُ، والشَّكليَّةُ)، ومِعماريَّةُ النَّصِّ:(**مَجموعُ المَقولاتِ العامَّةِ، أوِ التَّعَاليَاتِ المتمثِّلَةِ بأنواعِ الخِطابِ، وأنماطِ التَّلفُّظِ الَّتِي يقومُ بهَا كلُّ نصٍّ**)[٢].

٥. **النَّصِّيَّةُ الواصفةُ:** وتعنِي أنَّ يكونَ النَّصُّ المُتناصُّ مرتبطًا بوصفٍ أوْ بدراسةِ نصٍّ آخرَ[٣].

٦. **المُصاحبةُ النَّصِّيَّةُ:** هيَ العَلاقةُ بينَ النَّصِّ والفَضاءِ المُحيطِ بهِ:(كَالعُنوانِ الرَّئيسِ، والعَناوينِ الفَرعيَّةِ، والتَّنبيهِ، والمقدِّمةِ، والخَاتمةِ)، إضافةً إلى الإشاراتِ الَّتِي يتضمَّنُهَا النَّصُّ[٤].

٧. **التَّلاصُ:** مصطلحٌ نقديٌّ يُعدُّ نمطًا مِنْ أنماطِ التَّناصِ الَّذِي يكونُ أعلى دَرجاتِ التَّناصِ في التَّقليدِ والنَّقلِ والإخفاءِ، ومِنْ حيثُ التَّفاعليَّةِ: هوَ أدنَى الأنماطِ، إذْ تُعدُّ

---

[١] جينيت، جيرار. مدخل لجامع النص. ص٩٦. ترجمة: عبد الرحمن أيوب. دار توبقال للنشر. الدار البضاء. المغرب. ط٢. ١٩٨٦م.

[٢] جينيت، جيرار. الأدب في الدرجة الثانية. ص١٣٠. قراءة وتقديم: المختار حسين. مجلة فكر ونقد. السنة ٢. العدد: ١٦. برلين. ألمانيا. شباط: ١٩٩٩م.

[٣] المصدر نفسه، ص٢٣.

[٤] المصدر نفسه، ص١٣٠.

التَّناصِّيَّةُ التَّفاعليَّةُ أعلَى أنماطِ التَّناصِ مِنْ حيثُ التَّفاعلِ، وفي المُقابلِ فإنَّ أدنَى الأنماطِ تفاعلًا هوَ التَّلاصُ لأنَّهُ يتَّسِمُ بالخَفاءِ، وصعوبةِ الكشفِ عنهُ[1].

ثانيًا: خَصائِصُ التَّناصِ

تتجلَّى خصائصُ التَّناصِ مِنْ خِلالِ قدرتِهِ علَى الاندماجِ في النَّصِّ، وربطِ النُّصوصِ السَّابقةِ بالنُّصوصِ اللَّاحقةِ، وقدرةِ الشَّاعرِ أوِ النَّاثرِ علَى استحضارِ النُّصوصِ الغَائبةِ بناءً علَى ثقافةٍ عميقةٍ تتبلورُ فِي النُّصوصِ الحَاضرةِ المُتعالقةِ مَعِ النُّصوصِ السَّابقةِ، ومدَى التَّأثيرِ والتَّأثُّرِ المَتعلِّقينِ بتلكَ النُّصوصِ داخلَ النَّصِّ المتكاملِ، لذلكَ تأتِي خَصائصُ التَّناصِ لتُعطيهِ أهميَّةً على مُستوياتٍ عدَّة، أهمُّهَا:

١. **مستوَى الظَّاهرةِ الاجتماعيَّةِ:** إذْ يرتبطُ التَّناصُ بالعَلاقاتِ النَّصِّيَّةِ المُتفاعلةِ معِ الوسطِ الاجتماعي، فيتجسَّدُ أوَّلًا مِنْ خِلالِ الحِواريَّةِ بينَ النُّصوصِ كمَا بيَّنَهَا باختين، فالتَّناصُ عبارةٌ عنْ نُصوصٍ مفتوحةٍ تجعلُ العَملَ الأدبيَّ غيرَ مكتملٍ دائمًا، ويحتاجُ إلى المَزيدِ، مِنْ خِلالِ استمرارِ الحِوارِ بينَ النُّصوصِ، والتَّفاعلِ المُتعلِّقِ بأنماطِ التَّناصِ وأنواعِهِ المُختلفةِ[2].

٢. **مستوَى العَلاقاتِ التَّناصِّيَّةِ:** إنَّ فكرةَ السِّياقِ تنسجمُ معْ تَعدُّدِ النُّصوصِ الأدبيَّةِ، كمَا تجعلُ ظاهرةَ التَّناصِ بؤرةً مزدوجةً تحقِّقُ اجتماعيَّتَهُ، وتعملُ على إنماجِ الثَّقافةِ السَّائدةِ معِ الثَّقافةِ البائدةِ، فكينونةُ النَّصِّ تجعلُ البِنيَةَ المُكوِّنةَ لهُ غيرَ مُقتصرةٍ علَى صُورةٍ واحدةٍ، بلْ تحتاجُ إلى نُصوصٍ داعمةٍ قدْ تكونُ غائبةً أوْ حاضرةً، وفي الأغلبِ الأعمِّ تكونُ هذهِ النُّصوصُ غائبةً، ويتمُّ استحضارُهَا للمساهمَةِ في تكوينِ النَّصِّ، واستمراريةِ نموُّهِ حتَّى ينسجمَ معِ السِّياقِ مِنْ جهةٍ، ومَعِ المَوضوعِ المَطروحِ

[1] المناصرة، عز الدين. علم التناص والتلاص (نحو منهج عنكبوتي تفاعلي). ص٤٧.

[2] باختين، ميخائيل، وتودوروف تزفتيان، المبدأ الحواري، ص٧٣.

مِنْ جهةٍ أُخرَى، ويبقَى التَّناصُ مفتوحًا أمامَ النُّصوصِ جميعِهَا، وغيرِ مكتملٍ ما دامَ الحديثُ عنَ السِّياقِ مفتوحًا كذلكَ[1].

٣. **مستوَى البِنيةِ المُزدوجةِ للتَّناصِ:** تتَّضحُ البِنيةُ المزدوجةُ للتَّناصِ مِنْ خلالِ تكوينِهِ المُرتبطِ بشقَّينِ مهمَّينِ، همَا: التَّناصُ الدَّاخلِي للمُتناصِ نفسِهِ، والتَّناصُ الخَارجِي للمُتناصِ مِنْ سابقهِ قديمًا أوْ حديثًا، إذنْ فالتَّناصُ يُعرضُ مِنْ خلالِ تلكَ الثُّنائيَّةِ البِنويَّةِ المُزدوجةِ داخليًّا وخارجيًّا[2]، وكذلكَ في الرِّوايةِ يتمُّ استحضارُ الوظيفةِ المُزدوجةِ الَّتِي يؤدِّيهَا كلامُ المَحفلِ السَّردِي، فيأتَي المَلفوظُ ليعبِّرَ مِنْ جهةٍ عنْ مَكنونِ النَّفسِ الإنسانيَّةِ المُتفاعلةِ، ورؤيتِهَا الخَاصَّةِ للعَالمِ، ومِنْ جهةٍ أخرَى تعبِّرُ عنِ الحِواراتِ معِ الفِئاتِ الاجتماعيَّةِ المُختلفةِ، فيكونُ بذلكَ نقلٌ للصِّراعِ الدّاخلِي في الشَّخصيَّةِ، والصِّراعِ الخَارجي معِ الشَّخصيَّاتِ النَّاشطةِ في الرِّوايةِ[3].

وفيمَا يلِي السِّمَاتُ والخَصائصُ المُتعلِّقةُ بالتَّناصِ:

١. تفاعلُ النَّصِّ الجديدِ معْ نُصوصٍ أخرَى قديمةٍ لتشكيلِ علاقةِ تناصٍّ تندمجُ فكرًا ورُوحًا لتشكيلِ نصًّا جديدًا متكاملًا، وقابلًا للنُّموِ والاستمراريَّةِ.

٢. دعمُ فكرِ الكاتبِ وإثراءُ لغتِهِ وأسلوبِهِ وثقافتِهِ في النَّصِّ.

٣. تعزيزُ قدرةِ القارئِ علَى فهمِ فكِّ تداخلِ النُّصوصِ، ودفعِهِ بشغفٍ إلى لبحثِ بينَ سطورِ النَّصِّ.

٤. العملُ على إحياءِ النُّصوصِ الأدبيَّةِ المُؤثِّرةِ في النَّفسِ مِنْ خلالِ مُحاكاةِ تلكَ النُّصوصِ، منْ خلالِ معارضتِهَا أوْ دمجِهَا في النُّصوصِ الحَاضرةِ.

٥. الكشفُ عنْ ثقافةِ الأديبِ وميولِهِ الفِكريَّةِ مِنْ خلالِ ما يَكتبُهُ مِنْ ألفاظٍ ومعانٍ إيحائيَّةٍ متناصَّةٍ[4].

---

[1] حافظ، صبري. التناص وتفاعلية النصوص. مجلة عيون المقالات. ص٩٣.

[2] المصدر نفسه. ص٨٧.

[3] كريستيفا، جوليا. علم النص. ص٢٧– ٢٨.

[4] غروس، ناتالي بييقي، مدخل إلى التناص. ص٧.

٦. تغييبُ التَّناصِ لصاحبِ النَّصِّ السَّابقِ، وإشعارِ القارئِ أنَّ هذا النَّصَّ أصبحَ للكاتبِ اللَّاحقِ الَّذِي استخدمَهُ في نُصوصِهِ، ممَّا يُوحِي هُنا بالسَّرقةِ الأدبيَّةِ المَرفوضةِ حسبَ ما ذكرَهُ النُّقَّادُ.

٧. بروزُ الوعي الإنسانِي مِنْ خلالِ تفاعلِ النُّصوصِ، وانتشارِ الظَّواهرِ الاجتماعيَّةِ في ثناياهَا.

٨. تحليقُ الأديبِ في الخَيالِ المُطلقِ مِنْ خِلالِ ذكرِهِ للأساطيرِ والقَصَصِ الخَياليَّةِ في نصَّهِ، إذْ يتمُّ تناصُّهَا للتَّعبيرِ عنْ ثقافةِ الكاتبِ، ونقلِ القارئِ إلى عالمٍ آخرَ مثيرٍ للاهتمامِ.

٩. قيامُ التَّناصِ بتشكيلِ فكرِ الأديبِ حولَ الكِتابةِ وتشكيلاتِهَا، وتشكيلِ فكرِ القَارئِ حولَ القِراءةِ وعاداتِهَا.

١٠. إحياءُ مظاهرِ التُّراثِ الأصيلِ مِنْ خلالِ الإشارةِ إلى المَوضوعاتِ التَّراثيَّةِ عنْ طريقِ الاقتباسِ، الاستشهادِ، والتَّضمينِ؛ لأنَّ النَّصَّ موروثٌ وليسَ وليدَ اللَّحظةِ.

١١. إدراجُ التَّناصِ تحتَ أنواعِ البَيانِ كأحدِ فروعِ البَلاغةِ العربيَّةِ، لأنَّ التَّناصَ يُظهرُ غالبًا مفاتنَ السَّردِ، ومباهجَ الحِكمةِ، وتصويراتِ الفَنِّ والخَيالِ[١].

وهكذَا يمكنُ الخروجُ باستنتاجَاتٍ هامَّةٍ حولَ التَّناصِ تتلخَّصُ فيمَا يلَي:

١. التَّناصُ ظاهرةٌ بلاغيَّةٌ عامَّةٌ جاءَتْ كصورةٍ متكاملةٍ للعَلاقاتِ المُتداخلةِ بينَ النُّصوصِ المُتتابعةِ قديمًا وحديثًا، كالَّتِي تناولَهَا اللُّغويونَ العربُ قديمًا، وتتمثَّلُ بالاقتباسِ، التَّضمينِ، الاستشهادِ، وتواردِ الخَواطرِ، وهوَ مصطلحٌ نقديٌّ معاصرٌ جاءَ تتويجًا لمُصطلحاتٍ نقديَّةٍ تتعلَّقُ بتداخلِ النُّصوصِ كالسَّرقاتِ الشِّعريَّةِ، التَّوليدِ، المُعارضاتِ والنَّقائضِ، وغيرِهَا منَ النُّصوصِ المُتعالقةِ والمُتداخلةِ.

٢. الظَّواهرُ الأدبيَّةُ والبَلاغيَّةُ والنَّقديَّةُ جميعُهَا ليسَتْ وليدةَ عصرٍ واحدٍ، ولا مُكتشِفِ واحدٍ، بلْ هيَ سلسلةٌ مِنَ التَّتابعاتِ المُتطوِّرةِ عبرَ التَّاريخِ، فمِنْ خِلالِ دراسةِ الظَّاهرةِ

[١] غروس، ناتالي بييقي. مدخل إلى التناص. ص٧-٨.

المَطلوبةِ، والعملِ علَى تطويرِهَا، وجعلِهَا تشتملُ علَى علاقاتٍ وتصوُّراتٍ شاملةٍ متكاملةٍ دونَ الوصولِ إلى نهايةٍ محدَّدةٍ، يبقَى البابُ مفتوحًا للاستمرارِ في تطويرِ تلكَ الظَّواهرِ والعَلاقاتِ بمَا يخدمُ الأدبَ والبلاغةَ والنَّقدَ، واللُّغةَ بصورةٍ عامَّةٍ.[1]

٣. لا بدَّ مِنَ التَّأكيدِ علَى أنَّ المَوروثَ اللُّغوي والأدبي والنَّقدي لا يقفُ عندَ أمَّةٍ مِنَ الأُممِ، فقدْ بدأتْهُ أمَّةٌ مِنَ الأُممِ كَاليونانِ،[2] ثمَّ جاءَتْ أمَّةٌ أخرَى كَالرُّومانِ أضافَتْ إليهِ، وصولًا إلَى الأمَّةِ العربيَّةِ فالإسلاميَّةِ، فالأُممُ الغَربيَّةُ الحديثةُ مِنَ الَّذينَ وضعُوا أسسَ التَّناصِ، وغيرِهِ مِنْ مُصطلحاتٍ نقديَّةٍ:(كالحِواريَّةِ النَّصِّيَّةِ لباختين. والتَّناصِ نفسِهِ لكريستيفا، والسِّيمياءِ والتَّأويلِ لشولز، وغيرِها).

٤. للتَّناصِ أنماطٌ عدَّة، كالمَناصِ، والتَّعلُّقِ النَّصِّي، والتَّناصِّيَّةِ، والتَّناصِّيَّةِ الواصفةِ، ومِعماريَّةِ النَّصِّ، ومُصاحبةُ النَّصِّ، والتَّلاصِ، وجميعِهَا تَصبُّ في بوتقةِ التَّناصِ، إلَّا أنَّهَا تأخذُ أنماطًا تتعلَّقُ بمدَى تأثيرِ النَّصِّ اللَّاحقِ في النَّصِّ السَّابقِ، ومدَى توافقِ الألفاظِ والمَعانِي بينَهُمَا.

٥. **هناكَ قسمانِ للتَّناصِ:** مُباشرٌ وغيرُ مُباشرٍ، وقدْ عالجَ التَّناصُ المُباشرُ: الاقتباسَ، السَّرقاتِ الشِّعريَّةَ، والاستشهادَ. في حين عالجَ التَّناصُ غيرُ المُباشرِ: التَّضمينَ، والنَّقائضَ، والمُعارضاتِ، والتَّوليدَ، والتَّلاصَ.

٦. **هناكَ فرعانِ للتَّناصِ: داخليٌّ:** إذْ يقتبسُ الكاتبُ نصوصًا سابقةً لهُ ويضمِّنُهَا ضمنَ النُّصوصِ اللَّاحقةِ، و**خارجيٌّ:** إذْ يتناولُ نصوصًا سابقةً لشاعرٍ تأثَّرَ بشعرِهِ، أوْ توارَدَ أفكارًا معهُ فتشابهَتِ الألفاظُ والمَعانِي كمَا حدثَ بينَ صاحبِي المُعلَّقتينِ:(امرئِ القَيسِ، وطرفةَ بنِ العبدِ) في البيتِ الشِّعريّ:

وُقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيُّهُمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسًى وَتَجَمَّلِ (وَتَجَلَّدِ)

إذْ تشابَهَ البيتُ في ألفاظِهِ ومعانِيهِ مَا عدَا اللَّفظةَ المَرادفةَ الأخيرةَ **(تَجَمَّلِ، وتَجَلَّدِ)**.

---

[1] المناصرة، عز الدين. علم التناص والتلاص (نحو منهج عنكبوتي تفاعلي). ص٥٢.

[2] المصدر نفسه. ص٥٥.

٧. يأتي التَّناصُ كذلكَ علَى صورٍ شتَّى: **كالتَّطابقِ** كمَا في تَوارِدِ الخَواطرِ. **والتَّفاعلِ:** كمَا في التَّوليدِ. **والتَّداخلِ:** كمَا في المُعارضاتِ الشِّعريَّةِ. **والتَّشاركِ:** كمَا في الاقتباسِ، والتَّضمينِ، والاستشهادِ. **والتَّحاذِي:** كمَا في الاجترارِ والامتصاصِ[١]، **والتباعدِ:** كمَا في النَقائضِ، والمُساجلاتِ الشِّعريَّةِ، **والتَّقاصِي:** كمَا في التَّلميحِ والإحالةِ[٢].

٨. وللتَّناصِ خَصائصُ تتعلَّقُ بالمستوى الاجتماعِي، التَّاريخِي، والثَّقافِي، إذْ تنطقُ القَصائدُ بالمُوروثِ الاجتماعي، والثَّقافِي، وتربطُ ذلكَ بالمُستوى التَّاريخِي الَّذِي يجعلُ للنَّصّ الغَائبِ أهمِّيَّةً كبرَى تتطلَّبُ إعادةَ إحيائِهِ وبلورتِهِ بصورةٍ جديدةٍ، وولادةٍ جديدةٍ، قدْ تتفوَّقُ علَى واقعهِ القديمِ في سِياقٍ قديمٍ.

٩. استقلاليَّةُ التَّناصِ تتطلَّبُ حصرَهُ في قوالبَ نصِّيَّةٍ ذاتِ عَلاقةٍ بالتَّداخلِ النَّصِّي دونَ النَّسخِ واللَّصقِ اللَّذانِ يجعلانِ منَ التَّشابِهِ الكُليّ إشارةً واضحةً للسَّرقةِ الشِّعريَّةِ، ولَا يمكنُ اعتبارُهُ تواردَ خواطرٍ في حالِ وُجدَ أنَّ النَّصَّينِ (الغائبَ والحَاضرَ) متطابقانِ تمامًا، فالصُّورةُ الفنيَّةُ الشِّعريَّةُ المُتشابهةُ تُعدُّ تناصًّا، والألفاظُ الغريبةُ والفَريدةُ المُتكررةُ لا بدَّ مِنْ وجودِ نصوصٍ غائبةٍ لهَا، فإنْ وُجدَتْ تُعَدُّ تناصًّا في اللَّفظِ والمَعنَى، وهوَ أوضحُ صورِ التَّناصِ[٣].

[١] حافظ، صبري. التناص وتفاعلية النصوص. مجلة عيون المقالات. ص٩٧-٩٩.

[٢] المصدر نفسه، ص٩٩.

[٣] المناصرة، عز الدين. علم التناص والتلاص (نحو منهج عنكبوتي تفاعلي). ص٥٦-٥٧.

الفصلُ الثَّانِي: أنواعُ التَّناصِ

المبحثُ الأوَّلُ: التَّناصُ الدِّينِي

المبحثُ الثَّانِي: التَّناصُ الأدبِي

المبحثُ الثَّالثُ: التَّناصُ التَّاريخِي

المبحثُ الرَّابعُ: التَّناصُ التُّراثِي

المبحثُ الخَامسُ: التَّناصُ الأُسطُوري

الفصلُ الثَّانِي
أنواعُ التَّناصِ

تطوَّرَتْ ظاهرةُ التَّناصِ حديثًا، وأصبحَتْ تشتملُ على أنواعٍ عديدةٍ منْ خلالِ سبرِ غورِ النُّصوصِ الشِّعريَّةِ والنَّثريَّةِ وتحليلِهَا، والكشفِ عنَ النُّصوصِ الغَائبةِ الَّتِي تداخلَتْ معِ النُّصوصِ الحاضرةِ، ومِنْ خلالِ البحثِ قديمًا في أُصولِ النَّقدِ العربيّ ومصطلحاتِهِ، كشفَتِ الدِّراساتُ عنْ الاقتباسِ الَّذِي اختصَّ بآياتِ القرآنِ الكريمِ، والحَديثِ الشَّريفِ، والأقوالِ المأثورةِ، ثمَّ أضافُوا نصوصًا منَ الكتابِ المُقدَّسِ عندَ غيرِ المُسلمينَ، ثمَّ التَّضمينِ الَّذي تناولَ _ علاوةً على النُّصوصِ الدِّينيَّةِ _ النُّصوصَ الأدبيَّةِ الغائبةِ السَّابقةِ لمشاهيرِ الكُتَّابِ والشُّعراءِ، وذلكَ منْ خلالِ النَّوعِ الثَّانِي منْ أنواعِ التَّناصِ وهوَ التَّناصُ الأدبي، ثمَّ وصلَ الباحثونَ عبرَ تطوُّرِ البحثِ في التَّناصِ، والكشفِ عنْ أنواعِهِ وأشكالِهِ وبلورَتْ خصائصَهُ، إلى ظهورِ أنواعٍ جديدةٍ للتَّناصِ: كالتَّناصِ التَّاريخِي، والتَّناصِ التَّراثِي، والتَّناصِ الأُسطورِي، وبسببِ بروزِ عددٍ منَ الشُّعراءِ الصُّوفيِّينَ، ظهرَ مَا يُسمَّى بالتَّناصِ الصُّوفِي المُختصّ بتناولِ القَصائدِ في حبِّ اللهِ تعالَى، ومدحِ رسولِهِ ﷺ بقصائدَ غزيرةٍ منَ المَدائحِ النَّبويَّةِ، وقدْ تمَّ الحديثُ عنْ خَصائصِ التَّناصِ الَّتِي أبرزَتْ مميّزاتِ الشِّعرِ الحَداثِي، وتميَّزَتْ بالبنيةِ التَّركيبيَّةِ والدَّلاليَّةِ، وعملَتْ علَى استحضارِ النُّصوصِ المُتوازيةِ الغَائبةِ في أزمنةٍ سابقةٍ، والتَّناصُ بصورِهِ المُتعدِّدةِ، وأنواعِهِ المُتطوِّرةِ يعملُ علَى إعادةِ تفعيلِ الشِّعرِ القديمِ ضمنَ الشِّعرِ الحديثِ المُتأثِّرِ بالطَّبيعةِ والتَّطوُّرِ الحَضارِي، ومِنْ خِلالِ تداخلِ النُّصوصِ وتأثيرِهَا وتأثُّرِهَا نجدُ أنَّ التَّناصَ يؤدِّي وظيفةً معنويَّةً وفنيَّةً وأسلوبيَّةً، ولكنَّهُ في المُقابلِ يتعرَّضُ لبعضِ المُشكلاتِ منْ حيثُ صعوبةِ الإحاطةِ والشُّموليَّةِ والمُطابقةِ التَّامَّةِ للنُّصوصِ ومعانيهَا[1].

وتظهرُ أنواعُ التَّناصِ مُنبثقةً عنْ قسميهِ الأساسيينِ:(التَّناصِ المُباشرِ، والتَّناصِ غيرِ المُباشرِ)، وقدْ جاءَتْ أنواعُ التَّناصِ المُباشرِ متعدِّدةً:(كالتَّناصِ الدِّينِي، والتَّناصِ الأدبِي، والتَّناصِ التَّاريخِي، والتَّناصِ التَّراثِي (الشَّعبِي)، والتَّناصِ الأُسطورِي، وغيرها)[2]، أمَّا القسمُ الثَّانِي فهوَ التَّناصُ غيرُ المُباشرِ فيشتملُ علَى الألفاظِ والمَعانِي، واللُّغةِ والأُسلوبِ، فقدْ يَعمدُ

[1] الزعبي، أحمد. التناص نظريا وتطبيقيا. ص١١.

[2] المصدر نفسه. ص٧٥.

شاعرٌ إلى اختيارِ ألفاظٍ مُعيَّنةٍ تناولَهَا شاعرٌ آخرُ، وجعلَهَا مُتداولةً في شعرِهِ، وكذلكَ المَعانِي الَّتِي اختارَهَا الشَّاعرُ السَّابقُ، تناولَهَا الشَّاعرُ اللَّاحقُ في ثنايَا قصائدِهِ بشكلٍ منفردٍ، علاوةً على الأُسلوبِ الَّذِي يتَّبعُهُ الشَّاعرُ السَّابقُ فيتأثَّرَ الشَّاعرُ اللَّاحقُ بأُسلوبِهِ فينتهجُهُ، ويسيرُ على غرارِهِ، وربَّما يتناولُ بعضَ العِباراتِ اللُّغويَّةِ أوِ الإشاراتِ الدَّالةِ على مُصطلحاتٍ نقديَّةٍ وبلاغيَّةٍ في رَسائلَ واضحةٍ للتَّأثيرِ في الشَّاعرِ الَّذِي يقرؤهَا أوْ يحفظُهَا ثمَّ تصبحُ جزءًا مِنْ إنتاجِهِ الأدبِي: شعرًا كانَ أوْ نثرًا، ولعلَّ قصَّةَ تعليمِ أبي تمَّامَ للبُحتري كيفيَّةَ كتابةِ الشِّعرِ منْ خلالِ حِفظِهِ أوَّلًا ثمَّ نِسيانِهِ ثانيًا ثمَّ كتابتِهِ ثالثًا، وتطويرِهِ مِنْ خلالِ التَّأثّرِ بتطوُّرِ الشِّعرِ خلالِ العهودِ السَّابقةِ[1].

ويُعدُّ التَّناصُ المباشرُ الجزءَ الأكبرَ والأوضحَ، إذْ يبحثُ في الاقتباساتِ والتَّضمينَاتِ والاستشهاداتِ الَّتِي تناولَهَا الشُّعراءُ والأدباءُ عبرَ العُصورِ، ويُسمَّى التَّناصُ المُباشرُ بتناصّ التَّجلِّي، لأنَّهُ يكونُ واضحًا في النُّصوصِ، ولا يَحتاجُ إلى كثيرِ عناءٍ في الكشفِ عنهُ سوى ثقافةٍ جيّدةٍ عندَ القارئِ أوِ الباحثِ، ويكشفُ منْ خلالِهِ عنْ أنواعِ التَّناصِ المُباشرِ الَّتِي يظهرُ فيهَا التَّناصُ جليًّا واضحًا يشبهُ الاقتباسَ والتَّضمينَ والاستشهادَ، أمَّا التَّناصُ غيرُ المُباشرِ فهوَ تناصُّ الخَفاءِ الَّذِي يحتاجُ إلى سَعةٍ ثقافيَّةٍ واسعةٍ للقارئِ أوِ الباحثِ حتَّى يتمكَّنَ مِنَ الكشفِ عنهُ، إذْ يظهرُ في الألفاظِ والمعانِي منْ خلالِ التَّلميحاتِ والإيماءَاتِ والإشاراتِ[2].

أوَّلًا: أنواعُ التَّناصِ المُباشرِ: بناءَ علَى ما سبقَ فإنَّ أنواعَ التَّناصِ المُباشرِ المُتعلِّقةِ بالاقتباسَاتِ والتَّضمينَاتِ والاستشهاداتِ تأتِي حسبَ السِّياقِ الَّذِي تناولتْهُ سواءٌ كانَ دينيًّا أوْ تاريخيًّا أوْ أدبيًّا أوْ تُراثيًّا أوْ أُسطوريًّا؛ فقدْ تشعَّبَ البَاحثونَ والدَّارسونَ فِي التَّناصِ باكتشافِ أنواعِ التَّناصِ[3]، فكانَ مَا يتعلَّقُ بالاقتباسِ والاستشهادِ تناصًّا دينيًّا مقتبسًا مِنْ آيِ القرآنِ الكريمِ، أوِ الأحاديثِ الشَّريفةِ عنْ رَسولِ اللهِ ﷺ، أوِ الأقوالِ المَأثورةِ عنَ الصَّحابةِ والتَّابعينَ، أوْ ممَّا جاءَ في الكِتابِ المُقدَّسِ: التَّوراةُ (العَهدُ القَديمُ)، والإنجيلُ (العَهدُ الجَديدُ)، وأمَّا الَّذِي

---

[1] المصدر السابق. ص٧٦– ٧٧.

[2] الدباغ، حنان، التناص أنماطه وأنواعه في شعر المتنبي، ص٥١، دراسة، رسالة ماجستير، تشرين الأول: ٢٠٢١م، جامعة الإسراء، عمان _الأردن.

[3] جعافرة، ماجد، التناص والتلقي (دراسات في الشعر العباسي)، ص١٥، ط١: ٢٠٠٣م، منشورات دار الكندي، عملن_الأردن.

يتعلَّقُ بالتَّضميناتِ فهوَ التَّناصُ الأدبِي، والتَّناصُ التَّراثِي، والتَّناصُ الأُسطورِي[1]، ويُفترضُ في النَّصّ المُقتبسِ منهُ أوِ المُستشهدِ بِهِ أوِ المُتضمّنِ لهُ في العَملِ الأدبِي _ شعرًا كانَ أوْ نثرًا _ أنْ يؤدِّي وظيفةً جَماليَّةً أوْ فكريَّةً مَوضوعيَّةً تخدمُ السِّياقَ الأدَبي وتنسجمُ معهُ، ولَا يتمُّ استحضارُ هذا النَّصّ أوْ ذاكَ لأهدافِ الدِّيكورِ أوِ استعراضِ القُدُراتِ الثَّقافيَّةِ للكاتبِ، وإنَّمَا يتمُّ استحضارُهُ لغرضِ دعمِ الفكرةِ المَطروحةِ، أوِ مِنْ أجلِ العَملِ على إقناعِ القَارئِ بهَا، وربَّما منْ أجلِ إشباعِ العملِ الأدبِي بمَا يُظهرُ قوتَهُ، ولَا بدَّ أنْ يكونَ هذا النَّصُّ المُستحضرُ منسجمًا معِ المُوضوعِ والأسلوبِ والفكرةِ، وتداخلُ النَّصوصِ وانسجامِهَا يجعلُ مِنَ العَملِ الأدبِي التَّوافقُ التَّامُ، والتَّكاملُ فِي وحدتِهِ المَوضوعيَّةِ، ومحاولةِ إظهارِ انسجامِهِ بالوحدةِ العُضويَّةِ كذلكَ[2].

وللحديثِ عنِ الأنواعِ الجَديدةِ للتَّناصِ الَّتِي انبثقَتْ عنِ الأنواعِ القَديمةِ الَّتِي كانَتْ منفردةً تحملُ كلَّ واحدةٍ منهَا كينونةً خاصَّةً، فَلا بدَّ منْ تناولِهِ هذهِ الأنواعَ بتفاصيلَ واضحةٍ معِ التَّطبيقاتِ الَّتِي تُشيرُ إليهَا في أكثرِ مِنْ عملٍ أدبيّ، قديمًا وحديثًا، ولذلكَ لا بُدَّ مِنْ تناولِ كلِّ نوعٍ منْ هذهِ الأنواعِ منفردًا ضمنَ مَبحثٍ كاملٍ يتضمَّنُ التَّعريفُ بالنَّوعِ والتَّطبيقِ عليهِ مِنَ الشِّعرِ العَربي القَديمِ والحديثِ، وفيمَا يلِي أنواعُ التَّناصِ المُباشرِ والتَّطبيقاتُ عليهَا مِنْ الشِّعرِ العَربي.

[1] المصدر السابق. ص١٦-١٧.

[2] الزعبي، أحمد. التناص نظريا وتطبيقي. ص٢٩.

المبحثُ الأَوَّلُ
التَّناصُ الدِّينِي

المقصودُ بالتَّناصِ الدِّينِي: تداخلُ نصوصٍ دينيَّةٍ معْ نصوصِ العَملِ الأدَبي سواءٌ كانَ شعرًا أم نثرًا عنْ طريقِ الاقتباسِ أوِ الاستشهادِ أوِ التَّضمينِ أحيانًا، وهذهِ النُّصوصُ الغائبةُ الَّتِي يتمُّ استحضارُهَا ضمنَ النَّصِّ الحاضرِ، إمَّا أنْ تكونَ نصوصًا مِنَ القُرآنِ الكريمِ، أوْ مِنَ الحَديثِ النَّبوي الشَّريفِ، أوْ نصوصًا مِنَ الكِتابِ المُقدَّسِ[1].

ويتناصُ الكاتبُ أوِ الشَّاعرُ معِ القُرآنِ الكريمِ منْ خلالِ ذكرِ جزءٍ منْ آيةٍ قرآنيَّةٍ أوْ بعضِ الألفاظِ الواردةِ فيهَا خدمةً للنَّصِّ الحَاضرِ، واستشهادًا بهذِهِ الآيةِ القرآنيَّةِ لتدعيمِ فكرتِهِ، وكذلكَ الأمرُ بالتَّناصِ معِ الحديثِ الشَّريفِ بألفاظِهِ ومعانِيهِ، وربَّمَا الأدعيةُ المَأثورةُ والخُطَبُ المِنبريَّةُ بألفاظِهَا ومعانِيهَا تندرجُ تحتَ النُّصوصِ الغائبةِ المُستحضرةِ، وقدْ يدخلُ الكِتابُ المقدَّسُ بعهديهِ القديمِ والجديدِ ضمنَ التَّناصِ الدِّينِي، وفي ابتكارٍ جديدٍ هوَ المُتعلِّقُ بالنَّاحيةِ الدِّينيَّةِ[2]، ظهرَ التَّناصُ الصُّوفِي، وربَّمَا هذا النَّوعُ منَ التَّناصِ يحتاجُ مبحثًا خاصًّا؛ لأنَّ الشَّاعرَ يوسفُ النَّبهانِي تناولَ هذا النَّوعَ منَ التَّناصِ، لِذلكَ سَيتمُّ عرضُ التَّناصِ الدِّينِي بفروعِهِ الَّتِي ذكرناهَا معْ تطبيقاتٍ عليهَا في هذا المَبحثِ علَى النَّحوِ التَّالِي:

أوَّلًا: التَّناصُ معِ القرآنِ الكريمِ أوِ (التَّناصُ القرآنِي): القرآنُ الكريمُ كتابُ اللهِ المُقدَّسُ الَّذِي أنزلَهُ اللهُ علَى نبيِّهِ مُحمَّدٍ ﷺ، وهوَ محفوظٌ بحفظِ اللهِ _ عزَّ وجلَّ _ لهُ منَ التَّبديلِ والتَّغييرِ والتَّحريفِ[3]، قالَ تعالَى:"**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُوْنَ**"[4]، لذلكَ فإنَّ الكُتَّابَ والشُّعراءَ يحرصونَ علَى الاقتباسِ منهُ أوِ تضمينِ نصوصِهِمْ الحَاضرةِ بآياتٍ منَ القُرآنِ الكَريمِ، كاستشهادٍ بهَا، ودليلٍ علَى صدقِ الفِكرةِ، وأهمِّيَّةِ المَوضوعِ، وقدْ وُجدَتْ نصوصٌ مِنَ الشِّعرِ الجَاهلِي تتَّفقُ معْ مَا جاءَ في كتابِ اللهِ رغمَ أنَّهَا سبقَتْ نُزولَ القُرآنِ الكَريمِ، ممَّا جعلَ بعضُ

---

[1] المصدر السابق. ص٣٧.

[2] الزواهرة، ظاهر محمد. التناص في الشعر العربي المعاصر (التناص الديني أنموذجا). ص١٦. دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع. عمان. الأردن. ط١. ٢٠١٣م.

[3] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل الدمشقي. تفسير القرآن العظيم. ج٤. ص٥٢٧. تح: سامي بن محمد السلامة. طبعة دار طيبة للنشر والتوزيع. الرياض. المملكة العربية السعودية. ط١. ١٩٩٧م. وط٢. ١٩٩٩م.

[4] سورة الحجر. آية رقم: ٩.

النُّقَّادِ كطهَ حسين يَعدُّ الشِّعرَ الجَاهلِي منحولًا بسببِ هذهِ النُّصوصِ المُتعالقةِ معهُ قبلَ نزولِهِ[1]، وقدْ ظهرَ ذلكَ في قصائدِ الشَّاعرِ الجَاهلِي زهيرِ بنِ أَبي سُلْمى (ت:٦٠٩م)، إذْ وردَتْ في معلَّقتِهِ الشَّهيرةِ أبياتٌ تتناصُ معِ القُرآنِ الكَريمِ، نذكرُ منهَا قولَهُ:

فَلَا تَكْتُمَنَّ اللهَ مَا فِي صُدِورِكُمْ لِيَخْفَى، وَمَهْمَا يُكْتَمِ اللهُ يَعْلَمِ

يُؤَخَّرْ فَيُوضَعْ فِي كِتَابٍ فَيُدَّخَرْ لِيَومِ الحِسَابِ أَوْ يُعْجَلْ فَيَنْقَمِ[2]

ففي البيتِ الأَوَّلِ تناصَّ الشَّاعرُ معْ آيةٍ منَ القرآنِ الكريمِ في سُورةِ المائدةِ في قولِهِ تعالَى:"**وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُوْنَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُوْنَ**"[3]، فقدْ ذكرَ الشَّاعرُ لفظَ الجَلالةِ في البيتِ مُؤكِّدًا على علمِهِ الواسعِ، وأنَّهُ يعلمُ ما يكتمُهُ البشرُ، وهذا ما جاءَ في الآيةِ القُرآنيَّةِ الكريمةِ منْ علمِ اللهِ بكلِّ شيءٍ يقولُهُ الإنسانُ علنًا أوْ يكتمُهُ في صدرِهِ، وهذهِ الآياتُ نزلَتْ بعدَ الجاهليَّةِ، ومعْ هذا نجدُ أنَّ شاعرًا مثلَ زهيرِ بنِ أَبي سُلمَى يتناصُ معهَا في هذينِ البيتينِ، علاوةً على أبياتٍ أُخرَى تشيرُ إلى قَصَصٍ قرآنيَّةٍ، وقد عدَّ بعضُ النَّقادِ زهيرَ بنَ أَبي سُلمَى منَ الأحنافِ الَّذينَ كانُوا علَى دينِ إبراهيمَ _ عليهِ السَّلامُ _ الَّذِي جاءَ بدينِ الإسلامِ منذُ آلافِ السِّنينَ وما ذكرَهُ الشَّاعرُ ممَّا يعلمُهُ مِنَ الكُتُبِ السَّماويَّةِ السَّابقةِ للقرآنِ الكريمِ، فربَّمَا لحكمةِ هذا الشَّاعرِ وسَعةِ ثقافتِهِ يكونُ قدْ اطَّلعِ علَى الكتابِ المُقدَّسِ بعهديهِ.

أمَّا البيتُ الثَّاني فقدْ تناصَ بِهِ الشَّاعرُ معِ الآيةِ القُرآنيَّةِ الواردةِ في سُورةِ الكهفِ في قولِهِ تعالَى:"**وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِيْنَ مُشْفِقِيْنَ مِمَّا فِيْهِ**"[4]، فهُنا نجدُ أنَّ الآيةَ تتحدَّثُ عنْ وضعِ الكتابِ الَّذِي يحفظُ أعمالَ النَّاسِ ثمَّ تُعرضُ عليهِمْ يومَ القيامةِ، فلمَّا يراهُ المُجرمونَ يخافونُ ممَّا فيهِ لأنّهُمْ يعلمونَ ما أحدثُوا في دنياهِم ممَّا يؤكّدُ ورودَهُمْ جهنمَ وبئسَ المصيرُ[5]، والشَّاعرُ يشيرُ إلى ذلكَ محذِّرًا الَّذِينَ يُجرمونَ في الأرضِ مِنْ أنَّ إجرامَهُمْ سيتمُّ تسجيلُهُ في هذا الكتابِ، وسوفَ يتمُّ الحسابُ الدَّقيقُ وفقَهُ، وقدْ أشارَ كذلكَ إلى يومِ الحسابِ المذكورِ في

---

[1] بوترعه، الطيب. التناص في الشعر الجزائري المعاصر (قراءة في شعر مصطفى الغماري). ص٥٥.

[2] زهير بن أبي سلمى. ديوان زهير بن أبي سلمى. ص١٠٧. شرح وتقديم: علي حسن فاعور. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط١. ١٩٨٨م.

[3] سورة المائدة. آية رقم: ٩٩.

[4] سورة الكهف. آية رقم: ٤٩.

[5] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل الدمشقي. تفسير القرآن العظيم. ج٥. ص١٦٥.

كتابِ اللهِ في سُورةِ (ص)، إذْ قالَ تعالَى:"**رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابْ**"[١]، وهوَ قولٌ على لسانِ المُشركينَ الَّذِينَ يَطلبونَ الدُّنيَا، ولا يأبهونَ بالآخرةِ، فيقولونَ للهِ استعجلْ لنَا نصيبنَا مِنَ الدُّنيَا قبلَ يومِ الحسابِ، وهذهِ الإشارةُ إلى يومِ الحِسابِ تعنِي محاسبةَ النَّاسِ على أعمالِهِمْ فِي الدُّنيَا، تلكَ الَّتِي وضعَتْهَا المَلائكةُ في الكتابِ المَوضوعِ المَحفوظِ[٢].

وفي العصرِ الإسلامي الأَوَّلِ، أيْ عندَمَا كانَ الرَّسولُ ﷺ بينَ صحابتِهِ ظهرَ تأثُّرُ شعراءَ وخطباءِ هذا العصرِ بالقرآنِ الكريمِ، فكانَ الاقتباسُ، وكانَ التَّضمينُ، وكانَ التَّناصُ الجامعُ لهُمَا، فقدْ ظهرَ ذلكَ في شعرِ حسَّانِ بنِ ثابتٍ _ رَضِيَ اللهُ عنهُ _، إذْ قالَ في قصيدتِهِ الَّتِي مدحَ فيهَا الرَّسولُ ﷺ:

نَبِيٌّ يَرَى مَا لَا يَرى النَّاسُ حَوْلَهُ وَيَتْلُو كِتَابَ اللهِ فِي كُلِّ مَسْجِدٍ[٣]

فقدْ تناصَ الشَّاعرُ معْ آيةٍ في سُورةِ فاطرٍ في قولِهِ تعالَى:"**إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ**"[٤]، فتلاوةُ كتابِ اللهِ اقتداءً بالرَّسولِ ﷺ واجبةٌ، إذْ أشارَ الشَّاعرُ إلى دوامِهِ على تِلاوةِ كتابِ اللهِ تعالَى، وفي الآيةِ ذكرُ اللهِ المؤمنينَ الَّذِينَ يتلُونَ كتابَ اللهِ، ويُقيمونَ الصَّلاةَ، ويُنفقونَ ممَّا رزقَهُمُ اللهُ بتأديةِ الزَّكاةِ، وتلكَ التِّجارةُ معِ اللهِ الَّتِي لنْ تذهبَ دونَ فائدةٍ وثوابٍ عظيمٍ[٥].

وفي العصرِ الحديثِ نجدُ الشَّاعرَ شكيب أرسلان رغمَ أنَّهُ ليسَ شاعرًا مسلمًا إلَّا أنَّهُ قرأَ القُرآنَ الكريمَ وتأثَّرَ بِهِ، فنجدُ في قَصائدِهِ كثيرًا منَ التَّناصِ معْ آياتِ القُرآنِ الكريمِ، إذْ قالَ:

أَوَ لَوْ دَرَتْ نَارُ إِبْرَاهِيمَ مَصْرَعَهُ لَأَصْبَحَتْ مِنْ جَوَى لَفَّاحَةَ الشَّرَرِ[٦]

فقدْ تناصَ الشَّاعرُ هُنا معْ آيةٍ مِنْ سُورةِ الأنبياءِ، فِي قولِهِ تَعالَى:"**قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ**"[٧]، إذْ يُشيرُ هُنا إلى مُعجزةِ إبراهيمَ _ عليهِ السَّلامُ _، عندَمَا أمرَ اللهُ

---

[١] سورة ص. آية رقم: ١٦.

[٢] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل الدمشقي. تفسير القرآن العظيم. ج٧. ص٥٦.

[٣] حسان بن ثابت. ديوان حسان بن ثابت. ص٥٩.

[٤] سورة فاطر. آية رقم: ٢٩.

[٥] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل الدمشقي. تفسير القرآن العظيم، ج٦. ص٥٤٥.

[٦] أرسلان، شكيب. ديوان شكيب أرسلان. ص٥٩.

[٧] سورة الأنبياء. آية رقم: ٦٩.

النَّارَ بأنْ لَا تحرقَ إبراهيمَ _ عليهِ السَّلامُ _ بعدَ أنْ قامَ الكافرونَ مِنْ قومِهِ بإلقائِهِ فيهَا انتصارًا لأصنامِهِم الَّتِي حطَّمَهَا لهُمْ[1].

ثانيًا: التَّناصُ الدِّينِي معِ الحَديثِ الشَّريفِ: فقدْ ثبتَ كذلكَ أنَّ النُّصوصَ الشِّعريَّةَ والنَّثريَّةَ تناصَّتْ معْ أحاديثِ رسولِ اللهِ ﷺ، في أشعارِ العَربِ منذُ العصرِ الجَاهلِي، ولا غَرابةَ في تناصِّهَا معْ أشعارِ العربِ في العصرِ الإسلامِي والعصورِ الَّتِي تلتهُ كالأمَوي والعَباسي والحديثِ، ولكنْ أنْ تجدَ تناصًّا معْ نصوصٍ في الشِّعرِ الجَاهلي إنَّمَا يدلُّ على انتحالٍ، كمَا ذكرَ ذلكَ طهَ حسين، أوْ ربَّما هذهِ النُّصوصُ وردَتْ في الكتابِ المُقدَّسِ، وتناقلَهَا شعراءُ فذُكِرَتْ في أشعارِهِم، ثمَّ أشارَ إليهَا الرَّسولُ ﷺ في أحاديثِهِ بسببِ تكرارِ الحَديثِ عنهُ على ألسنةِ العَربِ في الجَاهليَّةِ والإسلامِ، ومِنْ ذلكَ قولُ الشَّاعرِ الجَاهلي زُهيرِ بنِ أَبي سُلمَى في معلَّقَتِهِ:

فَتَغْلِلْ لَكُمْ مَا لَا تَغِلَّ لِأَهْلِهَا قِرًى فِي الْعِرَاقِ مِنْ قَفِيْزٍ وَدِرْهَمٍ[2]

فهُنا أشارَ الشَّاعرُ إلى العِراقِ ومَا تشتهرُ بهِ مِنْ قفيزٍ ودرهمٍ، وقدْ تناصَّ الحديثُ الشَّريفُ في قولٍ مشابهٍ، إذْ رَوى مسلمٌ عنْ جابرِ بنِ حيَّانٍ _ رَضِيَ اللهُ عنهُ _ عنْ رسولِ اللهِ ﷺ، قالَ:**(يُوشِكُ أهلُ العِراقِ أنْ لَا يُجبَى لَهُمْ قَفِيزٌ وَلَا دِرهَمٌ، قُلنَا: مِنْ أينَ ذَاكَ؟ قَالَ: مِنْ قِبَلِ العَجَمِ، يَمْنَعُونَ ذَاكَ، ثُمَّ قَالَ: يُوشِكُ أَهلُ الشَّامِ أَنْ لَا يُجْبَى إِلَيْهِمْ دِينَارٌ وَلَا مُدِي، قُلْنَا: مِنْ أَينَ ذَاكَ؟ قَالَ: مِنْ قِبَلِ الرُّومِ، ثُمَّ سَكَتَ هُنَيهَةً، ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، يَكُونُ آخِرُ أُمَّتِي خَلِيْفَةٌ يَحْثُو الْمَالَ حَثيًا، لَا يَعُدُّهُ عَدًّا)**[3]، فالتَّناصُ هُنا معِ الجزءِ الأَوَّلِ منَ الحديثِ **(يُوشِكُ أَهْلُ العِرَاقِ أَنْ لَا يُجْبَى لَهُمْ قَفِيزٌ وَلَا دِرْهَمٌ)**، إذْ بيَّنَ الحديثُ أنَّ هناكَ حِصارٌ سيكونُ على أهلِ العِراقِ آخرَ الزَّمانِ، إذْ يُحاصرُهُمُ العَجمُ، فلا يصلُ إليهِم القُفيزُ والدِّرهمُ، وهمَا ما تشتهرُ بهمَا العِراقُ، ممَّا يدلُ على أنَّ الحِصارَ شديدٌ، بحيثُ يعجزُ أهلُ العِراقِ عنْ إنتاجِ القُفيزِ، والدِّرهمِ الدَّالِ على المَالِ، وإشارةُ الشَّاعرِ زهيرِ بنِ أبي سُلمى إلى العِراقِ وما فيهَا منْ قَفيزِ ودرهمٍ، يؤكِّدُ وجودَ تناصٍّ بينَ نصِّ الحديثِ اللَّاحقِ، ونصِّ الشِّعرِ السَابقِ.

---

[1] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل الدمشقي. تفسير القرآن العظيم. ج٥. ص٣٥١.

[2] زهير بن أبي سلمى. ديوان زهير بن أبي سلمى. ص١٠٨.

[3] الإمام مسلم النيسابوري. صحيح مسلم. مج٢. رقم الحديث: ٢٨٩٦. ص١٣٢٤. كتاب الفتن وأشرط الساعة. تح: نظر بن محمد الفاريابي أبو قتيبة. منشورات دار طيبة. المدينة المنورة. المملكة السعودية. ط١. ٢٠٠٦م.

وفي العصرِ الإسلامي الأَوَّلِ ومَا تبعَهُ، كانَ التَّناصُ معِ الحَديثِ الشَّريفِ واضحًا في أشعارِ الإسلاميينَ مِنَ الشُّعراءِ، وعلَى رأسِهِم حسَّانُ بنُ ثابتٍ _ رَضِيَ اللهُ عنهُ _ الَّذِي قالَ:

يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَبْدُوا ذَاتِ أَنْفُسِكِمْ لَا يَسْتَوِي الصِّدْقُ عِنْدَ اللهِ وَالْكَذِبِ[1]

فقدْ تناصَّ معْ حديثِ الرَّسولِ ﷺ الَّذِي رواهُ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ _ رَضِيَ اللهُ عنهُ _ (ت:٦٥٠م):(**عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبُ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا**)[2]، ففِي النَّصِّ الشِّعري خِطابٌ للنَّاسِ ودعوةٌ لهُمْ إلى التِزامِ الصِّدقِ، وتجنُّبِ الكَذبِ، وذلكَ مِنْ خلالِ الفَهمِ الضِّمنِي للسِّياقِ، والحَديثِ الشَّريفِ كانَ صريحًا في دعوةِ النَّاسِ إلى الصِّدقِ، وتتبُّعِ نهايتِهِ، وتجنُّبِ الكَذِبِ مِنْ خِلالِ تتبُّعِ نهايتِهِ كذلكَ.

وفي العصرِ الحديثِ وردَ التَّناصُ معِ الحديثِ الشَّريفِ في نُصوصٍ شعريَّةٍ لشُعراءَ كُثُرٍ، فهذا الشَّاعرُ شكيب أرسلان يتناصُ معْ حديثٍ شريفٍ عنْ أشراطِ السَّاعةِ بقولِهِ:

وَكَمْ شَاهَدُوهَا فِي الْحِجَازِ وَنُورُهَا يُضِيءُ بِأَعْنَاقِ الْأَنَايِقِ مِنْ بُصْرَى[3]

والتَناصُ معِ الحديثِ جاءَ بالإشارةِ إلى قولِ الرَّسولِ ﷺ :(**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى تَخرُجُ نَارٌ مِنْ أرضِ الحِجَازِ تُضِيءُ لَهَا أَعنَّاقُ الإِبِلِ فِي بُصْرَى**)[4]، فالشَّاعرُ يتحدَّثُ عنْ نارٍ تتَّقدُ في صدرِهِ شوقًا وحنينًا إلى صديقِهِ البعيدِ عنهُ، ويشبّهُ تلكَ النَّارِ في توقُّدِهَا وضيائِهَا وضخامتِهَا، بالنَّارِ الَّتِي تخرجُ منَ الحِجازِ فَتُضيءُ أعناقَ الأبلِ في بُصرَى القريبةِ مِنَ العراقِ، ممَّا يُشيرُ إلى ضخامةِ هذهِ النَّارِ، وقوَّةِ اشتعالِهَا، وتأثيرِهَا.

ثالثًا: التَّناصُ معِ الأقوالِ المَأثورةِ: القولُ المَأثورُ: مقولةٌ مقتضبةٌ شائعةٌ تحملُ حكمةً مَا، أوْ حقيقةً، كثيرًا ما تُنسبُ إلى شَخصٍ يُحظَى باحترامِ قِطاعٍ منَ النَّاسِ، وتنجمُ عنْ خبرةٍ

---

[1] حسان بن ثابت. ديوان حسان بن ثابت. ص٢٧.

[2] البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري. مج٢. كتاب الأدب (٧٨). رقم الحديث: ٦٠٩٤. ص١٥٢٥. تح: محمد زهير بن ناصر الناصر. منشورات دار ابن كثير. دمشق. سوريا. ط. ٢٠٠٢م

[3] شكيب أرسلان. ديوان شكيب أرسلان. ص٢٥.

[4] البخاري، أبو عبد الله، صحيح البخاري. ج٧. ص٣١١.

اكتشفَهَا في حياتِهِ[1]، وقدْ كثُرَتِ الأقولُ المأثورةُ المرويَّةُ عنْ صحابةِ رسولِ اللهِ ﷺ، وقدْ تأثَّرَ شعراءُ كُثُرٍ بهذهِ الأقوالِ وتناصَّوهَا في أشعارِهِم، في حين أنَّ هذهِ الأقوالَ كذلكَ جاءَتْ متناصَّةً معْ بعضِ أشعارِ العربِ الحُكماءِ الفرسانِ في الجَاهليَّةِ، وعلى رأسِهِمْ الشاعرُ الجاهلي عنترةُ بنُ شدَّادَ العَبسي (ت:٦٠٨م) الَّذِي قالَ في إحدَى حكمِهِ الشَّهيرةِ:

لَا تَسْقِنِي مَاءَ الْحَيَاةِ بِذِلَّةٍ بَلْ فَاسْقِنِي بِالْعِزِّ كَأْسَ الْحَنْظَلِ[2]

وهذهِ الحكمةُ الشِّعريَّةُ في النَّصِّ الشِّعرِي تناصَّتْ معِ القولِ المَأثورِ الَّذِي وردَ علَى لسانِ عليِّ بنِ أَبي طالبٍ _ كرَّمَ اللهُ وجهَهُ _، إذْ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ:**(مَنْ كَرُمَتْ عَلَيهِ نَفْسُهُ، هَانَ عَلَيهِ مَالُهُ)**[3]، فقدْ يملكُ الإنسانُ المالَ الكثيرَ، ويعيشُ في رغدِ العَيشِ، لكنَّهُ يعيشُ ذليلًا كالعبدِ، لا أمنَ لهُ ولا أمَانَ، فكرامةُ النَّفسِ وعزَّتُهَا أعلَى وأسمَى مِنَ المَالِ والمُتعةِ، وهذا المعنَى متَّفقٌ معِ النَّصِّ الشِّعري الَّذِي كشفَ عنْ عُلوِ شأنِ عِزَّةِ النَّفسِ وكرامتِهَا، وإنْ شربَتِ الحَنظلَ، مقابلَ شربِهَا ماءَ الحياةِ والمتعةِ الجَسديَّةِ في ظلِّ الذِّلَّةِ والمَهانةِ، وتلكَ المُعادلةُ لا يفهمُهَا إلَّا الشُّجعانُ وأصحابُ الهِممِ العَّاليةِ.

أمَّا في العَصرِ الإسلاميِّ فقدْ كَثُرَتِ الحِكَمُ والأقوالُ المأثورةُ والمواعظُ، وتناقلتْهَا ألسِنةُ الصَّحابةِ والتَّابعينَ، وكانَ للشِّعرِ الدَّورُ الأكبرُ في نشرِهَا وتناقُلِهَا بينَ النَّاسِ بغضِّ النَّظرِ عنْ مشاربِهِمْ وأديانِهِمْ وأجناسِهِمْ، ومِنْ ذلكَ قولُ الشَّاعرِ المخضرمِ بينَ الجَاهليَّةِ والإسلامِ لبيدِ بنِ ربيعةَ العَامري (ت:٦٦١م):

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللهُ بَاطِلٌ وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلُ[4]

فقد تناصَّ هذا النَّصُ الشِّعري معِ القَولِ المأثورِ لأميرِ المؤمنينَ الخليفةِ الثَّاني عمرَ بنِ الخطَّابِ (ت:٦٤٤م)، الَّذِي قالَ فيهِ :**(وَإِذَا عُرِضَ لَكَ أَمْرَانِ: أَحَدُهُمَا للهِ وَالآخَرُ لِلدُّنْيَا، فَآثِرْ نَصِيبَكَ مِنَ الآخِرَةِ عَلَى نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنيَا، فَإِنَّ الدُّنيَا تَنْفَدُ وَالآخِرَةُ تَبْقَى)**[5]، وتوافقَ

---

[1] وهبة، مجدي والمهندس، كامل. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب. ص١٥٣. مكتبة لبنان (ناشرون). بيروت. لبنان. ط٢. ١٩٨٤م.

[2] عنترة بن شداد. شرح ديوان عنترة بن شدّاد. ص١٣٥. تح: الخطيب التبريزي. تق: مجيد طراد. دار الكتاب العربي. بيروت. لبنان. ط١. ١٩٩٢م.

[3] البعلبكي، روحي. معجم الحكمة والأقوال المأثورة. ص٩. منشورات دار العلم للاملايين. بيروت. لبنان. ط٣. ٢٠٠٢م.

[4] لبيد بن ربيعة العامري. ديوان لبيد بن ربيعة العامري. ص١٣٢. مطبوعات دار صادر. بيروت. لبنان.

[5] البعلبكي، روحي. معجم الحكمة والأقوال المأثورة. ص١٠٠.

النَّصانِ مِنْ حيثُ المعنَى والدَّلالةِ، وتوافقا لفْظيًّا في بعضِ الألفاظِ كلفظِ الجَلالةِ، وزائلٍ وينفذُ، والنَّعيمِ والآخرةِ، والتَّوافقِ في المعنَى بيَّنَ أهمِّيَّةَ اتِّباعِ اللهِ _ عزَّ وجلَّ _ الَّذِي هوَ الحَقُّ، والابتعادُ عنِ الباطلِ والدُّنيَا؛ لأنَّ الدُّنيَا زائلةٌ والآخرةُ باقيةٌ.

أمَّا في العَصرِ الحديثِ فجاءَتْ الحِكمُ والأقوالُ المأثورةُ أقلَّ زخمًا عندَ المُسلمينَ، بعدَ غيابِ حكمِ اللهِ في الأرضِ، ومعْ ذلكَ فقدْ توجدُ نصوصٌ شعريَّةٌ تتناصُّ معْ أقوالٍ مأثورةٍ قديمةٍ وحديثةٍ، ومِنْ ذلكَ ما قالَهُ الشَّاعرُ أحمد شَوقي في إحدَى حكمِهِ:

دَقَّـاتُ قَلْبِ الْمَـرْءِ قَـائِلَـةٌ لَهُ إِنَّ الْحَيَـاةَ دَقَـائِقٌ وَثَوَانٍ

فَارْفَعْ لِنَفْسِكَ بَعْدَ مَوْتِكَ ذِكْرَهَا فَالذِّكْرُ لِلْإِنْسَانِ عُمْرٌ ثَانٍ[1]

فقدْ تناصَّ الشَّاعرُ في هذا النَّصِّ الشِّعري الَّذِي يتحدَّثُ عنِ الموتِ والعملِ للموتِ حتَّى يبقَى ذكرُ الإنسانِ في الدُّنيَا بعملِهِ الصَّالحِ، إذْ اتَّفقَ هذا النَّصُّ الشَّعري معِ القولِ المَأثورِ المروي عنِ الإمامِ عليِّ بنِ أبِي طالبٍ _ رَضِيَ اللهُ عنهُ _ حينَ قالَ:(**اعمَلْ لِدُنْيَاكَ كَأَنَّكَ تَعِيشُ أَبَدًا، واعمَلْ لِآخِرَتِكَ كَأَنَّكَ تَمُوتُ غَدًا**)[2]، فالعملُ للدُّنيَا يُشعرُكَ بأنَّكَ ستعيشُ طويلًا ولا تفكّرُ في الموتِ حينئذٍ، فإذَا مَا أصابَكَ المَوتُ فجأةً، وأنتَ لاهٍ في الدُّنيَا؛ فقدْ خسرْتَ الدُّنيَا والآخرةَ، وذلكَ هوَ الخُسرانُ المُبينُ، ولكنَّ عملَكَ للآخرةِ يجعلُكَ تفكّرُ في المَوتِ كلَّ لحظةٍ، وتكونُ جاهزًا متجهّزًا لهُ، فإذَا مِتُّ فجأةً كنْتَ مستعدًّا للآخرةِ، فتربحِ الجَنَّةَ، وإنْ خَسرتَ الدُّنيَا الَّتِي لا قِيمةَ للرِّبحِ فيهَا، وهذا المعنَى يتَّفقُ معْ قولِ شَوقي:(**إِنَّ الحَيَاةَ دَقَائِقٌ وَثَوَانٍ**) فليسَتْ طويلةً، وإنَّمَا الآخرةُ هيَ دارُ البقاءِ والخُلودِ، وهُنا يحثُّ الإنسانُ على العَملِ الصَّالحِ الّذِي يتركُ لهُ ذكرٌ في دُنياهُ، وكسبٌ في آخرتِهِ، ولذلكَ فقدْ كانَ اتِّفاقًا شبهَ تامٍّ بينَ النَّصَّينِ السَّابقِ وهوَ القولُ المأثورُ، واللَّاحقُ وهوَ النَّصُّ الشِّعري لِشوقِي.

رابعًا: التَّناصُ معِ الكِتابِ المُقدَّسِ: ويُسمَّى (بكتابِ العهدينِ) لأنَّهُ يضمُّ العهدينِ (القديمَ والجديدَ)، ويُقصدُ بالقديمِ (التَّوراةِ)، ويُطلقُ عليهَا الأسفارُ، نسبةً إلى أسفارِ موسَى الخَمسةِ الَّتِي تُشكّلُ العهدَ القديمَ، وهي:(سِفرُ الأَعمالِ، سِفرُ التَّكوينِ، سِفرُ اللَّاويّينِ، سِفرُ المَزاميرِ، وسِفرُ الرُّؤيَا (رُؤيَا يُوحنَّا المَعمدَانِ))، ويُقصدُ بالعهدِ الجديدِ (الإنجيلِ أوِ مَجموعِ الأَناجِيلِ أوِ إنجيلِ أَعمالِ الرُّسلِ)، أمَّا الأناجيلُ القَانونيَّةُ فهيَ أربعةُ أناجيلَ:(إنجيلُ مَتَّى، إنجيلُ مُرقُسَ،

[1] شوقي، أحمد، الشوقيات. ج٣. ص٧١٠. طبعة مطبعة مؤسسة هنداوي: ٢٠١٢م. القاهرة. مصر. ط١. ١٩٢٦م.

[2] البعلبكي، روحي. معجم الحكمة والأقوال المأثورة. ص١٠٤.

إنجيلُ لُوقَا، وإنجيلُ يُوحَنَّا)، ثمَّ الرَّسائلُ الَّتِي تضمَّنَهَا الكِتابُ المُقدَّسُ، وهيَ:(رِسالةُ يَعقوبَ، رِسالةُ يَهوذَا، رِسالةُ بُطرسَ، رِسالةُ يُوحنَّا، رِسالةُ يَسوعَ، رِسَالةُ بُولسَ، وَرِسالةُ دَانيالَ)[1]، وهذهِ التَّفريعاتِ الكثيرةِ تدلُّ على أنَّ الكتابَ المقدَّسَ قدْ داخلَهُ كثيرٌ مِنَ الرَّسائلِ والأقوالِ المَأثورةِ، والعِباراتِ الَّتِي لمْ تكنْ مِنْ عندِ اللهِ، ممَّا يَدلُّ على أنَّهُ غيرُ مقدَّسٍ، وليسَ مِنْ عندِ اللهِ إلَّا في أصلِهِ زَمنَ الرُّسلِ والأنبياءِ الَّذِينَ أُرسِلُوا إلى بَنِي إسرائيلَ.

لقدْ ظهرَ التَّأثُّرُ بالكتابِ المُقدَّسِ عندَ شُعراءِ الجَاهليَّةِ منْ اليهودِ والنَّصارَى أكثرَ مِنَ العَربِ، فهذا الشَّاعرُ اليَهوديُّ الجاهليُّ السَّموألُ بنُ غَريضِ بنُ عَادياءِ الأزْدِي (ت:٥٦٠م) يقولُ متأثِّرًا بِالكتابِ المُقدَّسِ:

وَأَتَتْنِي الْأَنْبَاءُ عَنْ مُلْكِ دَاوُ دَ فَقَرَّتْ عَيْنَيَّ بِهِ وَرَضِيْتُ

وَسُـلَيْمَانَ، وَالْحَـوَارِيُ يَحْيَا وَمَتَّى يُوسُـفَ كَأَنِّيَ وُلِّيْتُ[2]

فهذانِ البيتانِ يُشيرانِ إلى مُلكِ داودَ _ عليهِ السَّلامُ _ أهمُّ ملوكِ بَنِي إسرائيلَ، وقدْ ورثَهُ في المُلكِ ابنُهُ سليمانَ النَّبِي _ عليهِ السَّلامُ _، وقدْ وردَ ذلكَ في الكِتابِ المُقدَّسِ كنصٍّ سابقٍ لهذا النَّصِّ، وقدْ تناصَ النَّصُّ الشِّعرِي بالنَّصِّ المذكورِ فِي الكِتابِ المُقدَّسِ، إذْ يقولُ :**(فأجابَ الملكُ داودُ وقالَ:"ادْعُ لِي بِشَشْبَعَ، فدخَلْتُ إلَى أَمامِ المَلِكِ، وَوَقفْتُ بينَ يَدَي الْمَلِكِ، فَحَلفَ المَلِكُ وَقَالَ:"حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ الَّذِي فَدَى نَفْسِي مِنْ كُلِّ ضَيِّقَةٍ"، إنَّهُ كمَا حَلفْتُ لَكَ بِالرَّبِّ إلَهِ إسرَائيلَ قَائِلًا: "إنَّ سُلَيمَانَ ابنَكَ يَمْلِكُ بَعدِي، وَهُوَ يَجلسُ عَلَى كُرسَيِّ عِوضًا عَنِّي، كَذَلِكَ أَفعَلُ هَذَا اليَومَ")**[3]، ففِي الإصحاحِ الَّذِي يتحدَّثُ عنِ الملوكِ الأوائلِ، نجدُ أنَّ داودَ أعطَى المُلكَ لسُليمانَ بأمرٍ منِ اللهِ _ عزَّ وجلَّ _، وأشارَ الشَّاعرُ اليَهودي السَّموألُ إلى ذلكَ المُلكَ مرتاحًا لهُ ومتناصًّا معِ النَّصِّ الواردِ في العهدِ القديمِ في إصحاحِ المُلوكِ، وإعطاءِ داودَ المُلكَ لسُليمانَ _ عليهمَا السَّلامُ _.

أما في العصرِ الإسلاميِّ فقدْ كانَ شعراءُ اليهودِ يهاجمونَ دعوةَ الإسلامِ، ويهجُونَ رسولَهُ ﷺ، ويحرِّفونَ الكتابَ المقدَّسَ مدَّعينَ أنَّ الرَّسولَ مُحمَّدًا ﷺ قدْ أخذَ النُّبوَّةَ مِنَ اليَهودِ الَّذِينَ

---

[1] باسيم، بولس (النائب البابوي) وآخرون. موسوعة المعرفة المسيحية (أسفار الشريعة أو التوراه). ص٥. دار المشرق. بيروت. لبنان. ط١. ١٩٩٠م.

[2] السموأل بن عادياء الأزدي. ديوان السموأل بن عادياء الأزدي. ص٨٦-٨٧. تح: واضح الصمد. منشورات دار الجيل. بيروت. لبنان. ط١. ١٩٩٦م.

[3] الكتاب المقدس. العهد القديم. سفر التثنية. إصحاح الملوك الأول. رقم:١. داود يُعطي الملك لسليمان.

هُمْ سلالةُ الأنبياءِ والمُلوكِ، وأنَّ مُحمَّداً ﷺ استغلَّ قوَّةَ قَبيلتِهِ قريشٍ وأعلنَ نفسَهُ نبيًّا، وليسَ مِنَ اللهِ _ عزَّ وجلَّ _، فهذا زعيمُ يهودِ المدينةِ كعبُ بنُ الأشرفِ (ت:٦٢٤م) يقولُ في هجاءِ الرَّسولِ ﷺ:

أَلَا فَازْجُـرَا سَـفِيْهًا لِتَسَــلَمُوا عَنِ الْقَولِ يَأْتِي مِنْـهُ غَيْرَ مُقَارِبِ

أَتَشْتِمُنِي أَنْ كُنْتُ أَبْكِي بِعَبْرَةٍ لِقَـوْمٍ أَتَــانِيَ وُدُّهُمْ غَيْــرَ كَاذِبِ[1]

ففِي البيتينِ دعوةٌ صريحةٌ لمهاجمةِ رسولِ اللهِ ﷺ، واتهامِهِ بالسَّفاهةِ، وأنَّ أقوالَهُ غيرُ مقاربةٍ للحقيقةِ، ويكشفُ مدَى إخلاصِهِ لقومِهِ الَّذِينَ يخشَى عليهِمْ مِنَ الإسلامِ، ومِنْ رسولِ الإسلامِ ﷺ، وهذا القولُ تناصَّ بهِ معِ الكِتابِ المُقدَّسِ في العَهدِ القديمِ، إذْ يقولُ:"**عَلَى هَذِهِ أَنَا بَاكِيةٌ، عَيْنَي ... عَيْنَي تَسْكُبُ مِياهًا لِأَنَّهُ قَد ابتعَدَ عنِّي المُعزِّي، رَادٌّ نَفسِي، صَارَ بَنِيَّ هالكينَ لِأَنَّهُ قدْ تَجَيَّرَ العَدوُّ**"[2]، فالتَّناصُّ هُنا تناصُّ تلميحٍ منْ خلالِ ذكرِ البُكاءِ فِي الحَالتينِ، إذْ تشابَهَ المَشهدينِ في نظرِ كعبِ بنِ الأشرفِ، فالبكاءُ ناتجٌ عنِ الغدرِ الَّذِي هوَ شيمةُ اليهودِ، وهوَ يتحدَّثُ هُنا عنْ شتمِ المُسلمينَ لهُ بعدَ شتمِهِ لرسولِ اللهِ ﷺ، وكِذبِ اليهودِ عليهِ فيمَا يتعلَّقُ بحمايتِهِ، فقدْ قُتلَ بعدَ ذلكَ، ولمْ يستطعِ اليهودُ حمايتَهُ، وفي المُقابلِ وردَ في الكِتابِ المُقدَّسِ بكاءُ النَّبِي أرميَا الَّذِي غدرَ بهِ قومُهُ، وإشارتُهُ إلى تجبُّرِ العَدوِّ وتمكُّنهِ مِنْ إهلاكِهِ بتآمرٍ منْ قومِهِ، لأنَّهُ على دعوةِ التَّوحيدِ وهمْ ضدَّهُ، فإنْ اختلفَ المشهدانَ مَنْ نَبيٍّ صالحٍ يمثِّلُهُ إرميا، إلى يَهوديٍّ كافرٍ معتدٍ يحاولُ إظهارَ نفسِهِ بأنَّهُ على حقٍّ ضدَّ أصحابِ الحَقِّ وهمْ الرَّسولُ ﷺ وصحابتُهُ مِنَ المُهاجرينَ والأنصارِ.

أمَا في العصرِ الحديثِ فنجدُ تأثُّرَ شكيب أرسلان بِالكتابِ المُقدَّسِ، إذْ تناصَّ معهُ في قولِهِ:

مَا كَانَ أَحْوَجَنَا بِذَاكَ لِآيَةٍ تَأْتِي إِلَيْنَا عَلَى عَكْسِ آيَةِ يُوشَعُ[3][4]

فقدْ تناصَّ الشَّاعرُ معْ نصٍّ في الكتابِ المقدَّسِ يتحدَّثُ عنْ معركةِ بَنِي إسرائيلَ ضدَّ العَمالقةِ الجَبعونيينَ، وطلبِ يُوشعُ مِنَ الرَّبِّ أنْ يُوقفَ الشَّمسَ حتَّى انتهاءِ المَعركةِ،

---

[1] ابن هشام، عبد الملك. السيرة النبوية. مج١. ص٥٤. تح: مصطفى السقا وآخرون. شركة مطبعة مصطفى البابي الحلبي. القاهرة. مصر. ط٢. ١٩٥٥م.

[2] الكتاب المقدس. العهد القديم. سفر إرميا. إصحاح مراثي إرميا. رقم الإصحاح:١(نواح أورشليم).

[3] يوشع بن نون بن أفراهيم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم السلام. وأهل الكتاب يقولون يوشع ابن عم هود. وهو تلميذ موسى عليه السلام، (ابن كثير. البداية والنهاية. (٣١٩/١). مكتبة المعارف. بيروت. ١٩٩٠م).

[4] شكيب أرسلان، ديوان شكيب أرسلان، ص١٣.

فيقولُ:(**حِينَئِذٍ كَلَّمَ يَشوعُ الرَّبَّ، يَومَ أَسلمَ الرَّبُّ الأمُورِيّينَ أمَامَ بَنِي إِسرائِيلَ، وَقَالَ أَمَامَ عُيونِ إِسرائِيلَ: يَا شَمسُ دُومِي عَلَى جَبْعُونَ، وَيَا قَمَرُ عَلى وَادَي إِيَلُونَ، فَدَامَتِ الشّمْسُ، وَوَقَفَ الْقَمَرُ حَتَّى انْتَقَمَ الشَّعْبُ مِنْ أَعدَائِهِ، أَلَيسَ هَذَا مَكْتُوبًا فِي سِفرِ يَاشَرَ؟! فَوَقَفَتِ الشّمسُ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ وَلَمْ تَعجَّلْ لِلغُرُوبِ نَحوَ يَومٍ كَامِلٍ، وَلَمْ يَكُنْ مَثْلُ ذَلِكَ الْيَومِ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ، سَمِعَ فِيهِ الرَّبُّ صُوتَ إِنْسَانٍ، لِأَنَّ الرَّبَّ حَارَبَ عَنْ إِسْرَائِيلَ**)[1]، فالتَّناصُ في موضوعِ القِصَّةِ الَّتِي تتعلَّقُ بحربِ بَني إسرائيلَ معِ العَمالقةِ الجَبعونيينَ، إذْ طلبَ يُشوعُ مِنَ الرَّبِّ أنْ يُديمَ الشَّمسَ واقفةً فِي كبدِ السَّماءِ حتَّى تنتهِي المَعركةُ، وكذلكَ إيقافُ القمرِ فِي مسارِهِ، والشَّاعرُ يريدُ أنْ يُغادرَ الهِندَ عائدًا إلى لِبنانَ بلدَهُ، فَلا يصلهُا ليلًا، بلْ يريدُ أنْ يصلَهَا نهارًا، وهذا يتطلَّبُ بقاءَ الشَّمسِ لا تغربُ حتَّى يصلَ، وهذا مَا احتاجَهُ كمَا احتاجَ يُشوعُ وبنِي إسرائيلَ في معركَتِهِم ضدَّ العَمالقةِ الجبعونيين.

وهكذا التَّناصُ الدِّينِي الَّذِي كشفَ عَنْ تأثُّرِ الشُّعراءِ بالنُّصوصِ الدِّينيَّةِ المُقدَّسةِ أوِ الَّتِي يَعتبرونَهَا مقدَّسةً بناءً على ديانةِ الشَّاعرِ وفكرِهِ، فكانَ التَّناصُ لِنصوصِ الكُتُبِ المُقدَّسةِ للشُّعراءِ الَّذِينَ جاءُوا بعدَ نزولِ هذهِ النُّصوصِ، وبعدَهَا نزلَتِ النُّصوصُ الدِّينيَّةِ وقدْ تبيَّنَ وجودُ نصوصٍ سابقةٍ منْ شُعراءَ مُتأثِّرِينَ بكُتبٍ سَماويَّةٍ سابقةٍ تناولَتْ قضايَا وعقائدَ وشَرائعَ نفسَهَا صادرةً عَنْ إلهٍ واحدٍ لا غيرُهُ.

[1] الكتاب المقدس. العهد القديم. سفر يشوع. إصحاح يشوع بن سيراخ. رقم الإصحاح:١٠. ص٦- ١٦.

المبحثُ الثَّانِي

التَّنَاصُ الأَدَبِي

التَّناصُ الأدبِي: هوَ التَّداخلُ النَّصِّي الَّذِي يتناولُ فيهِ الشُّعراءُ المُتقدِّمونَ نصوصًا سابقةً لهُمْ أوْ لغيرِهِمْ مِنَ الشُّعراءِ السَّابقينَ لهُمْ، منْ خلالِ اقتباسِ نصوصٍ سابقةٍ أوْ تضمينِهَا معِ النُّصوصِ الَّتِي ينسجونَهَا بهدفِ تدعيمِ نصوصِهِم الشِّعريَّةِ وصبغِهَا بصبغَةٍ قديمةٍ إحياءً للسَّابقِ، ودعمًا للَّاحقِ معْ بيانِ التَّأثيرِ والتَّأثُّرِ[1].

وقدْ يتناولُ التَّناصُ الأدبيُّ أقوالَ الحُكماءِ، ومواعظَ الفُقهاءِ، وقصائدِ الشُّعراءِ، كمَا يتناولُ شَخصيَّاتٍ أدبيَّةً، أوْ رموزًا تراثيَّةً، إلَّا أنَّ الأخيرةَ قدْ تمَّ إفرازُ نوعٍ خاصٍّ بهَا أسموهُ التَّناصَ التُّراثِي، وسيتمُ الحديثُ عنهُ في ثنايَا هذهِ الدِّراسةِ منفردًا.

وقدْ ظهرَ التَّناصُ الأدبِي في قصائدِ شعراءِ العَصرِ الجاهلي، كمَا ظهرَ في قصائدِ شعراءِ العصورِ الإسلاميَّةِ المُتتابعةِ، وفي قصائدِ شُعراءِ العَصرِ الحَديثِ.

أمَّا شعراءُ الجاهليَّةِ فقدْ يكونُ التَّناصُ علَى شكلِ تَوارِدِ الخَواطرِ، ويتمثَّلُ ذلكَ في قولِ الشَّاعرِ الجَاهلِي عنترةَ بنِ شدَّادٍ في معلَّقتِهِ الشَّهيرةِ:

يَا دَارَ عَبْلَةَ بِالْجَوَاءِ تَكَلَّمِي وَعِمِي صَبَاحًا دَارَ عَبْلَةَ وَاسْلَمِي[2]

وقدْ بدأَ كذلكَ الشَّاعرُ الجاهلي النَّابغةُ الذِّبيانِي (ت:٦٠٤م)، مطلعَ معلَّقتِهِ بالنِّداءِ نفسِهِ لمَنْ خاطَبَهَا متوجِّعًا، إذْ قالَ:

يَا دَارَ مَيَّةَ فِي الْعَلْيَاءِ فَالسَّنَدِ أَقْوَتْ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَمَدِ[3]

---

[1] مفتاح، محمد. تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص). ص٢٦٣.

[2] عنترة بن شدلد. ديوان عنترة بن شداد، ص٨٩.

[3] النابغة الذبياني. ديوان النابغة الذبياني. ص١٤. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف. القاهرة. مصر. ط٢. ٢٠٠٩م.

فالتَّناصُ هُنا جاءَ في صدرِ البيتِ، وتحديدًا أوَّلُهُ، إذْ افتتحَ الشَّاعرانِ النَّصَّ الشِّعري بأُسلوبِ النِّداءِ الإنشائِي **(يَا دَارَ عَبْلَةَ) (وَيَا دَارَ مَيَّةَ)**، وإنْ اختلفَ الحديثُ بعدَ أُسلوبِ النِّداءِ المُشتركِ، إلَّا أنَّ الأسلوبَ جاءَ واحدًا فكانَ دلالةً على تَوارِدِ الخَواطرِ، أوْ ربَّمَا تأثُّرٌ وتأثيرٌ بينَ الشَّاعرينَ، خاصَّةً أنَّهُمَا عاشَا الفَترةَ نفسَهَا وماتَا فِي سَنواتٍ متقاربةٍ فقدْ ماتَ النَابغةُ الذِّبيانِي في سَنةِ (٦٠٤م)، في حين ماتَ عنترةُ بنُ شدَّادٍ في سَنةِ (٦٠٨م)، وهذا يدلُّ علَى أنَّهُمَا قدْ سمِعَا مِنْ بعضِهِمَا مِنَ خلالِ تناقلِ المُنشدينَ أشعارَهُمَا بينَ العربِ.

أمَّا في العصرِ الإسلامي، وتحديدًا العَصرِ الأُموي، فنجدُ تأثُّرَ شعراءِ النَّقائضِ ببعضِهِمْ ببعضٍ، وهمْ: (جريرٌ، الفرزدق، والأخطل)، ويمكنُ ملاحظةُ هذا التَّأثرِ والتَّناصِ مِنْ خلالِ نصوصٍ شعريَّةٍ برزَتْ مِنْ خلالِ النَّقائضِ والمُساجلاتِ الشِّعريَّةِ الَّتِي كانُوا يتبارونَ فيهَا ردًّا على بعضِهِمْ بعضًا، ومِنْ ذلكَ قولُ جريرٍ:

قَوْلِي لَهُمْ يَا عَبْلُ قَدْ خَابَ قَيْنُكُمُ وَغَيَّرَ وَجْهَ الْقَيْنِ ذَرْوُ السَّنَابِكِ[1]

وردَّ عليهِ الفَرزدقُ بقولِهِ:

أَبَا حَاضَرٍ إِنْ يَحْضِرِ الْبَأْسَ تَلْقَنِي عَلَى سَابِحٍ إِبْزِيمُهُ بِالسَّنَابِكِ[2]

وردَّ الأخطلُ يهاجمُ جريرًا، ويقفُ إلى صفِّ الفَرزدقِ:

مِنَ الْعِزِّ، لَا يَسْطِيعُهُ أَنْ يَنَالَهُ قُصَارُ الْهَوَارِي، جَاذِيَاتُ السَّنَابِكِ[3]

نلاحظُ تقاربَ النُّصوصِ الثَّلاثِ، إذْ انتهَتْ بالرَّوي نفسِهِ، واللَّفظةِ نفسِهَا، والمَوضوعِ نفسِهِ الَّذِي يتراوحُ بينَ مدحِ الذَّاتِ، وهجاءِ الآخرِ، وهذهِ لُغةُ النَّقائضِ الَّتِي اشتُهرَ بهَا هَؤلاءِ الشُّعراءُ الثَّلاثُ، إلَّا أنَّ جريرَ واجهَ في هذهِ المرَّةِ الفرزدقَ والأخطلَ معًا، فكانَ هوَ الحَلقةَ الأضعفَ، رغمَ قوَّةِ نصِّهِ وجزالةِ ألفاظِهِ، وعمقِ معانيهِ، فهوَ يخاطبُ حبيبتَهُ، ويطلبُ منهَا

[1] جرير بن عطية الخطفي. ديوان جرير. ص٣٢٤.

[2] الفرزدق بن غالب التميمي. ديوان الفرزدق. ص٤١٤.

[3] الأخطل. أبو مالك غياث بن غوث. ديوان الأخطل. ص٢٢٠. شرح: مهدي محمد ناصر الدين. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط٢. ١٩٩٤م.

أنْ تكشفَ عنْ خيبةِ هؤلاءِ الأعداءِ، وتركِ الهجومِ على لسانِ امرأةٍ في حدِّ ذاتِهِ إهانةً للمهجو، وهذا ما قصدَهُ جريرٌ، فكانَ بقوَّةِ طرحِهِ قويًّا رغمَ أنَّ الشاعرينِ الفَرزدقَ والأخطلَ هاجماهُ بقوَّةٍ، وخاصَّةً الأخطلَ الَّذِي هجاهُ ومدحَ الفرزدقَ خصمَهُ اللُّدودَ، فكانَ بأسلوبِهِ هذا قويَّ الرَّدِّ، قادرًا على اختيارِ المعنَى المُناسبِ، أمَّا الفَرزدقُ فاكتَفَى بمدحِ نفسِهِ، وهجاءِ جريرٍ ضمنيًّا، وذلكَ لأنَّ الفَرزدقَ قدْ هجَا جَريرًا مرارًا.

وفي العصرِ الحَديثِ يظهرُ التَّناصُ في النُّصوصِ الشِّعريَّةِ الحَديثةِ بكثرةٍ، فقدْ تداخَلَتِ النُّصوصُ بفعلِ تأثُّرِ الشُّعراءِ المُعاصرينَ ببعضِهِمِ بعضًا أوْ بشعراءَ سَابقينَ لهُمْ مِنْ عصورٍ مضَتْ، فهذا أميرُ البيانِ شكيب أرسلان يتناصُ معِ الشَّاعرِ العباسِي المُتنبي المَعروف، فقدْ قالَ الشَّاعرُ شكيب أرسلان في قائدِ الجيشِ العُثمانِي الفاتحِ لمدينةِ أَدَرنةَ في تُركيَّا:

تَعَجَّلْتُمْ مِنَّا ثُغُورًا شَوَاغِرًا فَهَلَّا وَقَدْ جَاءَ الْخَمِيسُ عَرَمْرَمَا[1]

وهذا النَّصُّ الشِّعري تناصَ بهِ شكيب أرسلان معِ الشَّاعرِ المُتنبي في مدحِهِ للأميرِ سيفِ الدَّولةِ الحَمدانِي (ت:٩٦٧) (مُؤَسِّسُ الدَّوْلَةِ الْحَمْدَانِيَّةِ)، والمتنبي كانَ مقرَّبًا لسيفِ الدَّولةِ، ويصفُ بطولاتِهِ ومعاركِهِ ورسائلِهِ للأعداءِ، وقدْ وصفَ تلكَ الرَّسائلِ والبُطولاتِ قائلًا:

وَلَا كُتُبٌ إِلَّا الْمَشْرَفِيَّةُ عِنْدَهُ وَلَا رُسُلٌ إِلَّا الْخَمِيسُ الْعَرَمْرَمُ[2]

فقدْ تناصَ النَّصَّانِ اللَّاحقُ للشَّاعرِ شكيب أرسلان معِ السَّابقِ للشَّاعرِ المُتنبي في المَوضوعِ نفسِهِ، والرَّوي والوزنِ والبحرِ، وظهرَتْ بعضُ الألفاظِ المُتشابهةِ كقولِهِمَا (الْخَمِيسُ الْعَرَمْرَمُ) في إشارةٍ إلى الجيشِ المُدجَّجِ والضَّخمِ، وإنْ اختلفَتْ بعضُ المعانِي بينَ النَّصَّينِ، فقدْ ذكرَ أرسلان الثُّغورَ الَّتِي تمَّتِ السَّيطرةُ عليهَا، في حين ذكرَ المُتنبي الرَّسائلَ التَّهديديَّةَ للأعداءِ، وهمَا معنيانِ مُختلفانِ إلى حدِّ مَا.

[1] أرسلان، شكيب. ديوان شكيب أرسلان. ص١٠٠.

[2] المتنبي، أبو الطيب. ديوان المتنبي. ص٣٠٢.

وأكثرَ الشُّعراءُ منَ التَّناصِ الأدبي متأثرينَ بالمواعظِ والحِكمِ والفَلسفةِ، وقدْ برعَ في هذا المَجالِ شعراءُ العصرِ الجاهلِي، مثلُ: زهيرُ بنُ أبي سُلمى الَّذِي قالَ في معلَّقَتِهِ حولَ اعتبارِ ضرورةِ الصَّمتِ أفضلَ منَ الكلامِ:

وَكَائِنْ تَرَى مِنْ صَامِتٍ لَكَ مُعْجِبٌ زِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِي التَّكَلُّمِ[1]

ففِي هذا النَّصّ تناصَّ الشَّاعرُ زهيرُ بنُ أَبي سُلمَى معْ حكمةٍ عربيَّةٍ قالَهَا الإمامُ عليٌّ بنُ أبي طَالبٍ _ رَضِيَ اللهُ عنهُ _، ونصُّهَا:**(بِكَثْرةِ الصَّمْتِ تَكونُ الهَيبَةُ)**[2]، وهذا النَّصُّ تناصَّ بهِ كذلكَ الإمامُ مُحمَّدٌ بنُ إدريسٍ الشَّافعِي (ت:٨٢٠م) وهوَ صاحبُ المذهبُ المعروفُ في الفقهِ، ولهُ ديوانُ شعرٍ مطبوعٍ، وقدْ قالَ في نصِّهِ الشِّعرِي المُتناصُ معْ حكمةِ الإمامِ عليٍّ بنِ أبي طَالبٍ _ رَضِيَ اللهُ عنهُ _:

أَمَّا تَرَى الْأُسْدَ تُخْشَى وَهِيَ صَامِتَةٌ وَالْكَلْبُ يَخْسَى لَعَمْرِي وَهُوَ نَبَّاحُ[3]

فالتَّناصُ هُنا في النَّصّ الشِّعري اتَّفقَ معِ الحكمةِ الَّتِي بيَّنَتْ أنَّ الصَّمتَ هيبةٌ ووقارٌ في أغلبِ الأحيانِ، فعندَ زهيرٍ الصَّامتُ يُعجبُ النَّاسَ ويبقَى صاحبُهُ مُهابًا محترمًا بصمتِهِ سواءٌ كانَ يتكلَّمُ كثيرًا بطبيعتِهِ ومعْ هذا يلتزمُ الصَّمتَ، أمْ كانَ ممَّنْ يُؤثرونَ الصَّمتَ على الكَلامِ، وفي نَصّ الشَّافعِي المُتَّفقِ مَعِ الحِكمةِ إعطاءُ دليلٍ منْ واقعِ الحَياةِ البَريَّةِ، إذْ إنَّ الأَسدَ يخشاهُ النَّاسُ معْ أنَّهُ صامِتٌ ولكنَّ هيبتَهُ تفرضُ علَى النَّاسِ خشيتَهُ، وفي المُقابلِ ينبحُ الكلبُ كثيرًا، ولكنَّ النَّاسَ لا تأبَهُ بِهِ، فالحِكمةُ أسَّستْ للنَّصَّينِ الشِّعريّينِ، فكانَتْ نصًّا غائبًا تمَّ اتخاذُهُ بدلالاتٍ وشواهدَ كثيرةٍ في النُّصوصِ الشِّعريَّةِ، سواءٌ النَّصَّانِ الحاضرانِ أمِ النُّصوصُ الغائبةُ الكثيرةُ.

---

[1] زهير بن أبي سلمى. ديوان زهير بن أبي سلمى. ص١١١.

[2] البعلبكي، روحي. معجم الحكمة والأقوال المأثورة. ص١٢٢.

[3] الشافعي، محمد بن إدريس. ديوان الإمام الشافعي (الجوهر النفيس في شعر الإمام محمد بن إدريس). ص٤٣، إعداد وتقديم: محمد إبراهيم سليم. مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع. القاهرة. مصر. ط١: ١٩٨٨م.

وفي حكمةٍ أخرَى للإمامِ عليٍّ بنِ أبِي طالبٍ _ رَضِيَ اللهُ عنهُ _ قالَ فيهَا عنِ الفَرقِ بينَ ظنِّ العَاقلِ وظنِّ الجَاهلِ:**(ظَنُّ الْعَاقِلِ أَصَحُّ مِنْ ظَنِّ الْجَاهِلِ)**[1]، وقدْ تناصَّ معْ هذهِ الحِكمةِ نصوصٌ شعريَّةٌ كثيرةٌ، منهَا ما قالَهُ الإمامُ الشَّافعِي في حُسنِ الظَّنِّ:

مَا رَقَى الْإِنْسَانُ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ حُسْنِ الظَّنِّ وَالْقَولِ الْحَسَنْ[2]

كمَا تناصَ الشَّاعرُ أحمد شوقي في نصِّهِ الشِّعري معِ الحِكمةِ بقولِهِ عنْ سُوءِ الظَّنِّ:

وَالظَّنُّ يَأْخُذُ مِنْ ضَمِيْرِكَ مَأْخَذًا حَتَّى يُرِيْكَ المُسْتَقِيمَ مُحَالًا[3]

فقدْ تناصَ النَّصَّانِ الشِّعريانِ للشَّافعِي المُؤكِّدِ علَى حُسنِ الظَّنِّ والقولِ الحَسنِ في رفعِ شأنِ الإنسانِ، ونصُّ شوقي الَّذِي في المُقابلِ يحذِّرُ مِنْ سوءِ الظَّنِّ، وخطرُهُ علَى غيابِ الضَّميرِ أوِ الوازعِ الدِّيني، فسوءُ الظَّنِّ يؤدِّي بالإنسانِ إلى الهَلاكِ فيرَى الأمورَ المُستقيمةَ مستحيلةَ التَّحقُّقِ، وبينَ هذينِ النَّصَّيينِ الحَاضرينِ تلكَ الحِكمةِ الغائبةِ الَّتِي تُؤكِّدُ علَى التَّفريقِ بينَ ظنَّ العاقلِ الحَسنِ في النَّاسِ مقابلَ ظنِّ الجاهلِ السَّيئِ في النَّاسِ، وهذا التَّداخلُ النَّصِّي في اللَّفظِ والمعنَى والمَوضوعِ يؤكِّدُ التَّأثُّرَ الواضحَ بينَ الحِكمةِ والنَّصَّينِ اللَّاحقينِ لهُ.

ومنِ الحِكمِ الشِّعريَّةِ مَا قالَهُ الشَّاعرُ زهيرُ بنُ أبَي سُلمَى، في الصِّدقِ وخاصَّةً فِي الشِّعرِ:

وَإِنَّ أَصْدَقَ شِعْرٍ أَنْتَ قَائِلُهُ بَيْتٌ يُقَالُ إِذَا أَنْشَدْتَهُ صَدَقَا[4]

وهذا النَّصُّ الشِّعري في العَصرِ الجاهلي يتناصُّ معِ القولِ المَأثورِ المُروي عنْ أميرِ المُؤمنينَ عمرَ بنِ الخَطَّابِ _ رَضِيَ اللهُ عنهُ _ (ت:٦٤٤م) في العصرِ الإسلامِي الأوَّلِ، إذْ قالَ :**(عَلَيكَ بِالصِّدْقِ وَإِنْ قَتَلَكْ)**[5]، وهذا القولُ المَأثورُ يتناصُ معْ قولِ الشَّاعرِ أحمد شوقي في العَصرِ الحديثِ، إذْ قالَ:

---

[1] البعلبكي، روحي. معجم الحكمة والأقوال المأثورة. ص١٣٢.

[2] الشافعي، محمد بن إدريس. ديوان الشافعي. ص١٤٥.

[3] شوقي، أحمد. الشوقيات. ج١. ص٢٢٢.

[4] زهير بن أبي سلمى. ديوان زهير بن أبي سلمى. ص٧٧.

[5] البعلبكي، روحي. معجم الحكمة والأقوال المأثورة. ص١٤٢.

بِسِوَى الْأَمَانَةِ فِي الصِّبَا وَالصِّدْقِ لَمْ يَعْرِفْهُ أَهْلُ الصِّدْقِ وَالْأُمَنَاءِ[1]

والحديثُ هُنا يدورُ عنْ صفاتِ الرَّسولِ ﷺ الَّذِي ذكرَهَا شوقِي في قصيدتِهِ مادحًا، ومشيرًا إلى أهمِّ صِفتينِ كانَ يتَّصفُ بهِمَا الرَّسولُ ﷺ في صِباهُ، وقدْ عرفتْهُ قريشٌ بهاتينِ الصِّفتينِ، وهُمَا:(الصِّدقُ، وَالأَمَانَةُ)، وقدْ تناصَ هذا الوصفُ معِ القولِ المَأثورِ لأميرِ المُؤمنينَ عمرِ بنِ الخَطَّابِ في الحَثِّ على قولِ الصِّدقِ ولوْ أدَّى إلى مقتلِ قائلِهِ، كمَا تناصَ معْ قولِ زُهيرِ بنِ أَبي سُلمى في اعتبارِ أنَّ أحسنَ الشِّعرِ وأفضلَهُ ما كانَ صادقًا، وهذهِ التَّعالُقاتُ النَّصِّيَّةُ منَ الجاهليَّةِ إلى الإسلامِ إلى العصرِ الحديثِ تدلُّ على تأثيرِ الشُّعراءِ وتأثُّرِهِمْ ببعضِهِمْ بعضًا، ممَّا جعلَ التَّناصَ ظاهرةً بلاغيَّةً معتبرةً ومهمَّةً.

ويُعدُّ ما تمَّ ذكرُهُ آنفًا منَ التَّناصِ الأدبِي الخَارجِي، إذْ يتناصُ الشَّاعرُ اللَّاحقُ معْ شاعرٍ آخرَ سابقٍ لهُ، ولكنْ هناكَ تناصٌّ داخليٌّ يقومُ فيهِ الشَّاعرُ بتكرارِ النَّصِّ الشِّعري في مواقفَ مشابهةٍ، فنجدُهُ يكرِّرُ هذا التَّناصَ في أشعارِهِ أكثرَ مِنْ مرَّةٍ.

ومنِ التَّناصِ الدَّاخلي في العَصرِ الجاهلي ما قالَهُ الشَّاعرُ عَنترةُ بنُ شدَّادٍ في وصفِ جيشِهِ:

كَتَائِبُ شُهْبًا، فَوْقَ كُلِّ كَتِيبَةٍ لِوَاءٌ كَظِلِّ الطَّائِرِ المُتَصَرِّفِ[2]

وقالَ في قصيدةٍ أخرَى ضمَّنَهَا بيتًا مشابهًا تمامًا لهذا البيتِ، ويحملُ المعنَى نفسَهُ، باستثناءِ الرَّوي ولفظةٍ واحدةٍ أخرَى وهيَ **(تُزجَى)**، إذْ قالَ في الموضوعِ نفسِهِ، والوصفِ نفسِهِ:

كَتَائِبُ تُزْجَى، فَوْقَ كُلِّ كَتِيبَةٍ لِوَاءٌ كَظِلِّ الطَّائِرِ الْمُتَقَلِّبِ[3]

فقدْ جاءَ التَّناصُ الدَّاخلي متشابهًا تمامًا، وكأنَّ الشَّاعرَ يكرِّرُ البيتَ تمامًا بوزنِهِ وبحرِهِ وموضوعِهِ وألفاظِهِ ومعانيهِ، يَستثنِي لفظةَ **(شُهْبًا)** بدلَ لفظةِ **(يُزجَى)**، وحرفَ الرَّوي

[1] شوقي، أحمد. الشوقيات. ج١. ص٤٤.

[2] عنترة بن شداد. ديوان عنترة بن شداد. ص١٤٥.

[3] المصدر نفسه. ص١٠.

(المُتصرّفُ) بدلَ **(المُتقلّبُ)**، وهذا يؤكّدُ على أنَّ التَّناصَ تعبيرٌ عنْ مخزونِ الشَّاعرِ في حافظتِهِ القديمةِ منْ أشعارٍ حفظَهَا أوْ كتبَهَا سابقًا.

وأمَّا في العصرِ الإسلامي فهناكَ شعراءُ كثُرٌ تعالَقَتْ نصوصُهُمْ في أكثرِ مِنْ قصيدةٍ لهُمْ، ضمنَ التَّناصِ الدَّاخلِي، ومنهُمْ الشَّاعرُ حسَّانُ بنُ ثابتٍ _ رَضِيَ اللهُ عنهُ _، إذْ قالَ في مدحِ الرَّسولِ ﷺ:

بِهَا حُجُرَاتٍ كَانَ يَنْزِلُ وَسْطَهَا مِنَ اللهِ نُورٌ يُسْتَضَاءُ وَيُوْقِدُ[1]

فقدْ تناصَ في موضعٍ آخرَ وتعالقَ هذا النَّصُّ بنصٍّ سابقٍ لهُ في المَوضوعِ نفسِهِ، والرَّوي نفسِهِ، ومشاركةِ بعضِ الألفاظِ والمَعاني، فقالَ في مدحِ الرَّسولِ ﷺ:

وَافٍ وَمَاضٍ شِهَابٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ بَدْرٌ أَنَارَ عَلَى كُلِّ الْأَمَاجِيْدِ[2]

فالتَّناصُ بينَ البيتينِ تناصٌّ داخليٌّ للشَاعرِ حسَّانَ بنِ ثابتٍ نفسِهِ، فالتَّناصُ في المَوضوعِ نفسِهِ، وبعضِ الألفاظِ، مثلَ: لفظةِ **(يُسْتَضَاءُ)** وبعضِ المَعاني، مثلَ: **(نُوْرٌ يُوْقَدُ)** و**(بَدْرٌ أَنَارَ)**، وكذلكَ جاءَ الرَّوي **(حَرفُ الرَّاءِ)**، ولا بدَّ مِنَ التَّأكيدِ على أنَّ الأفكارَ الَّتِي تَصدرُ عَنِ الشَّاعرِ واحدةٌ، فليسَ غريبًا أنْ تتكرَّرَ الألفاظُ والمَعانِي نفسُهَا.

وفي العصرِ الحَديثِ تكرَّرَ التَّناصُ الدَّاخلِي عندَ كثيرٍ مِنَ الشُّعراءِ كذلكَ، وعلَى رأسِهِمْ أحمد شوقي، إذ قالَ في مدحِ الرَّسولِ ﷺ:

وُلِدَ الْهُدَى فَالْكَائِنَاتُ ضِيَاءٌ وَفَمُ الزَّمَانِ تَبَسُّمٌ وَثَنَاءُ[3]

وقالَ شوقي في قصيدةٍ أخرَى يمدحُ الرَّسولَ عيسَى _ عليهِ السَّلامُ _ متناصًّا تناصًّا داخليًّا معْ هذا النَّصّ الشِّعرِي:

وُلِدَ الرِّفْقُ يومَ مَوْلِدِ عِيْسَى وَالْمُرُوءَاتِ وَالْهُدَى وَالْحَيَاءُ[4]

---

[1] حسان بن ثابت. ديوان حسان بن ثابت. ص٦٠،

[2] المصدر نفسه. ص٥٥.

[3] شوقي، أحمد. الشوقيات. ج١. ص٤٣.

فقدْ ظهرَ التَّناصُ الدَّاخلِي في النَّصَّينِ **الأَوَّلِ:** في مدحِ الرَّسولِ مُحمَّدٍ ﷺ، **والثَّانِي:** في مدحِ الرَّسولِ عيسَى _ عليهِ السَّلامُ _، وظهرَتْ بعضُ الألفاظِ المُتشابهةِ في النَّصّ، مثلَ **(وُلِدَ)** و **(الهُدَى)**، وتشابَهَتِ المَعانِي المُتعلّقةُ بالفرحِ والشَّجاعةِ، وصِفاتِ المُروءةِ والحَياءِ، وكانَ الاختلافُ فيمَا يتعلَّقُ بالنُّورِ والضِّياءِ، واختلفَتْ كذلكَ صِفاتُ الرَّسولَينِ، معْ أَنَّهَا في الواقعِ متشابهةٌ كثيرًا. فميلادُ مُحمَّدٍ ﷺ يعنِي ميلادَ الهِدايةِ والنُّورِ والسَّعادةِ، وهيَ صِفاتٌ حميدةٌ ومطلوبةٌ، وميلادُ عيسَى _ عليهِ السَّلامُ _ ميلادُ صِفاتٍ حميدةٍ أخرَى كالرِّفقِ، والمُروءةِ، والحَياءِ.

[٤] المصدر السابق. ج١. ص٣٧.

المَبحثُ الثَّالثُ

التَّناصُ التَّاريخِي

التَّناصُ التَّاريخِي: يُقصدُ بهِ انتقاءُ نُصوصٍ تاريخيَّةٍ تتعلَّقُ بشخصيَّاتٍ أوْ أحداثٍ أوْ مواقفَ مؤثِّرةٍ ومرتبطةٍ بتغيُّراتٍ جذريَّةٍ هامَّةٍ تحدثُ في المُجتمعاتِ، فيكونُ لهَا أثرٌ مستمرٌّ علَى أجيالٍ مُتتابعةٍ فيمَا بعدُ، وهذهِ الأحداثُ والشَّخصيَّاتُ والمَواقفُ ترتبطُ تاريخيًّا بحُقبٍ محدَّدةٍ، لهَا أثرُهَا ووقعُهَا على حياةِ النَّاسِ، ممَّا يجعلُ الشُّعراءُ وهمْ جزءٌ مهمٌّ منَ النَّاسِ أنْ يرسِّخُوا هذهِ الأحداثَ والشَّخصياتِ والمَواقفَ في أذهانِ الأجيالِ اللَّاحقةِ مِنْ أجلِ استلهامِ تلكَ التَّجربةِ وصياغتِهَا مِنْ جديدٍ في نصوصٍ حديثةٍ هدفُهَا الدَّعوةُ إلى تكرارِ تلكَ التَّجربةِ مَا دامَتِ الظُّروفُ السَّائدةُ تتقاربُ معِ الظُّروفِ الَّتِي أدَّتْ لتلكَ الأحداثِ ومواقفِ شَخصيَّاتِهَا، ولمَّا كانَتْ تلكَ الشَّخصيَّاتُ تُحظَى باهتمامِ الأُممِ والشُّعوبِ، وكانَتِ الظُّروفُ والأحداثُ تستدعِي استنهاضَ مثلَ هذهِ الشَّخصيَّاتِ، فإنَّ الشِّعرَ بنصوصِهِ المؤثِّرةِ يكونُ مجالًا واسعًا لاستنهاضِ الشَّخصيَّاتِ، مِنْ خلالِ ذكرِهَا معْ مواقفِهَا، والأحداثِ الَّتِي واكبتْهَا فكانَتْ مؤثِّرةً فيهَا، ومغيِّرةً الواقعَ إلى أفضلِ ممَّا كانَ عليهِ[1]، ومِنَ الأمثلةِ علَى التَّناصِ التَّاريخِي مَا قالَهُ الشَّاعرُ زهيرُ بنُ أبي سُلمَى بالإشارةِ التَّاريخيَّةِ إلى قَبيلةِ قريشٍ الَّتِي انبثقَتْ عنْ قبيلةِ جَرْهَمْ قديمةِ العهدِ مِنْ زمنِ النَّبِي إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ _ عليهِمَا السَّلامُ _ وهذا عهدٌ تاريخيٌّ لقبيلتينِ تركتَا بصماتٍ في تاريخِ العربِ والمُسلمينَ على مرِّ التَّاريخِ، ودليلُ ذلكَ أنَّ قبيلةَ جَرْهَمَ احتضنَتْ نبيَّ العربِ إسماعيلَ _عليهِ السَّلامُ _، ثمَّ انبثقَتْ عنهَا قبيلةُ قريشٍ الَّتِي فيهَا وُلِدَ سيِّدُ المُرسلينَ مُحمَّدٍ ﷺ، وإليهَا انتمَي، وهذا لم يكُنِ الشَّاعرُ الحكيمُ زهيرُ بنُ أَبي سُلمَى ليفتخرَ ويعتزَّ بهاتينِ القَبيلتينِ إلَّا لأنَّهُ يعلمُ أنَّهُمَا قبيلتَا العَربِ المُؤثِّرتينِ في الواقعِ والأحداثِ، فقالَ فيهِمَا في معلَّقَتِهِ الشَّهيرةِ:

فَأَقْسَمْتُ بِالْبَيْتِ الَّذِي طَافَ حَوْلَهُ رِجَالٌ بَنُوهُ مِنْ قُرَيْشٍ وَجَرْهَمِ[2]

---

[1] مجاهد، أحمد. أشكال التناص. ص١٩١. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. مصر. ط١. ١٩٩٨م.

[2] زهير بن أبي سلمى. ديوان زهير بن أبي سلمى. ص١٠٥.

فقدْ تناصَّ هذا الشَّاعرُ معْ واقعٍ تاريخيٍّ قديمٍ يربطُ بينَ قبيلتَي قريشٍ الجديدةِ، وقبيلةِ جرهمِ القديمةِ، وكلاهُمَا بنيتَا وجدَّدَتَا البيتَ الحَرامَ، الَّذِي أسَّسَ بُنيانَهُ إبراهيمُ وابنُهُ إسماعيلُ _ عليهِمَا السَّلامُ _،[1] وهذا الرَّابطُ التَّاريخِي لهُ علاقةٌ بمجريَاتِ الأحداثِ حتَّى يومِنَا هذا، مِنْ خلالِ ارتباطِ العَربِ والعَجمِ مِنَ المُسلمينَ بالبيتِ الحَرامِ، فذكرُهُ كبيتٍ مقدَّسٍ معْ ذكرِ قَبلتينِ لهُمَا ارتباطٌ بهِ يجعلُ العربَ والعَجمَ مِنَ المُسلمينَ ينظرونَ إلى القَبيلتينِ بعينِ الفَخرِ والاعتزازِ، كمَا ينظرونَ إلى البيتِ الحَرامِ بنظرةِ التَّقديسِ والعِبادةِ والاهتمامِ.

وأمَّا الشَّاعرُ المُخضرمُ لبيدِ بنِ رَبيعةٍ العَامري، فقدْ تناولَ أحداثًا تاريخيَّةً وشخصيَّاتٍ ومواقفَ ترتبطُ بالجاهليَّةِ والإسلامِ، بالإشارةِ إلى عهودِ المُلوكِ القديمةِ في اليَمنِ والحَبشةِ وجزيرةِ العربِ، ثمَّ بلادِ الشَّامِ والعِراقِ، وما ظهرَ فيهَا مِنْ أنبياءَ أصبحُوا ملوكًا ملكُوا الأرضَ أوْ جزءًا منْهَا كالتُّبعِ اليَمانِي، والحَارثِينِ الأكبرِ والأصغرِ: وهُمَا مَلكانِ مِنْ مُلوكِ الحِيرةِ، ومُلوكِ الجَبشةِ، وعلَى رأسِهِمَا أبو يكسومٍ الَّذِي عاشَ طويلًا مِنَ الدَّهرِ، وذُو القَرنينِ الَّذِي مَلكَ الأرضَ، وقدْ وردَ ذكرُهُ في القُرآنِ الكريمِ، وداودُ _ عليهِ السَّلامُ _ الَّذِي ملكَ جزءًا عزيزًا مِنْ بلادِ الشَّامِ وهوَ بيتُ المقدسِ[2]، فقدْ قالَ لبيدُ بنُ أبي رَبيعةَ فيهِمْ:

أَوَلَـمْ تَـرَيْ أَنَّ الْحَـوَادِثَ أَهْلَكَتْ ... إِرَمًا وَرَامَـتْ حِمْيَـرًا بِعَظِيمٍ

لَوْ كَـانَ حَـيٌّ فِي الْحَيَـاةِ مُخَلَّدًا ... فِي الدَّهْـرِ أَلْفَـاهُ أَبُو يَكْسُومٍ

وَالْحَـارِثَـانِ كِـلَاهُمَـا وَمُحـرِّقٌ ... وَالتُّبَّعَـانِ وَفَـارِسُ الْيَحْمُومِ

وَالصَّعْبُ ذُو الْقَرْنِينِ أَصْبحَ ثَاوِيًا ... بِالْحَنْوِ فِي جَدَثٍ أُمِيمَ، مُقِيمٍ

وَنَزَعْنَ مِنْ دَاودَ أَحْسَـنَ صُنْعِهِ ... وَلَقَدْ يَكُـونُ بِقُـوَّةٍ وَنَعِيمٍ[3]

---

[1] ابن كثير، أبو الفداء الحافظ. البداية والنهاية. ج١. ص١٩١. مكتبة المعارف. بيروت. ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

[2] المصدر نفسه, ج٢. ص٩.

[3] لبيد بن أبي ربيعة العامري، ديوان لبيد بن ربيعة العامري. ص١٨٨- ١٨٩.

فالشاعرُ هُنا يذكّرُ بحوادثَ مؤلمةٍ مِنْ جهةٍ، وشَخصيَّاتٍ تركَتْ بصمَاتٍ في التَّاريخِ، ولكنَّهَا غادرَتِ الدُّنيَا ولمْ تبقَ خالدةً، رغمَ أنَّهَا شخصيَّاتٌ ملكَتِ الأرضَ، وبنتَ حَضاراتٍ عظيمةً، فمِنْ إرمَ ذاتِ العِمادِ أجملَ مدنِ الأرضِ أنذاكَ، وقدْ وردَ ذكرُهَا في القُرآنِ الكريمِ، وحِميرَ مملكةٍ في اليَمنِ كانَتْ عظيمةً، وقدْ حكمَهَا التُّبَّعَانِ المَشهورانِ، ومملكةِ الحِيرةِ في العِراقِ وملكَهَا الحَارثانِ، وذو القَرنينِ الَّذِي ملكَ الأرضَ كلَّهَا، وأعطاهُ اللهُ أسبابَ القُوَّةِ حتَّى طافَهَا في فترةٍ وجيزةٍ، وقدْ وردَ ذكرُهُ في القرآنِ الكريمِ، ومحرّقٌ أحدُ ملوكِ الحَبشةِ الَّذِي عمَّرَ طويلًا، ولكنّهُ ماتَ وكانَ يُدعَى أبو يكسومٍ، ثمَّ داودُ _ عليهِ السَّلامُ _ الَّذِي ملكَ بلادَ الشَّامِ وبيتِ المَقدسِ، وورِثَ مِنْ بعدِهِ النُّبوَّةَ والحُكمَ ابنُهُ سُليمانُ الَّذِي ملكَ الأرضَ كلَّهَا كذلكَ، فكانَتِ الجِنُّ والرِّيحُ والكائِناتُ كلُّهَا طوعَ أمرِهِ بإذنِ اللهِ تعالَى[1].

فهذا التَّناصُ التَّاريخِي جمعَ أحداثًا صعبةً حدثَتْ لِشَخصيَّاتٍ دينيَّةٍ وتاريخيَّةٍ عظيمةٍ، لهَا أثرٌ في الحَياةِ، وقدْ ملكَتِ الأرضَ أوْ جزءًا منهَا، وقدْ ذكرَهَا المُؤرِّخونَ، كمَا ذكرتْهَا الكُتُبُ السَّماويَّةُ، في نُصوصٍ مِنْ آياتِهَا وأسفارِهَا، وهذا التَّناصُ _ علاوةً على أنَّهُ تاريخيٌّ _، فقَدْ يتداخلُ ويتعالقُ معْ نُصوصٍ دينيَّةٍ كذلكَ، ليكونَ بعضٌ منهُ تناصًّا دينيًّا كذلكَ، إلَّا أنَّ ارتباطَ تلكَ الشَّخصيَّاتِ بأحداثٍ تاريخيَّةٍ، ومواقعَ أثريَّةٍ، ومواقفَ بطوليَّةٍ كمَا حدثَ معْ داودَ_ عليهِ السَّلامُ _ وجيشِ جالوتٍ منَ العَمالقةِ، ومَا حدثَ لذِي القَرنينِ معْ قَومِ يَأجوجَ ومأجوجَ[2]، وحروبِ التُّبَّعِ اليَمانِي معْ ملوكِ العَربِ، وحروبِ الحَارثينِ معْ مُلوكِ العَربِ في جزيرةِ العَربِ، كلُّ ذلكَ يجعلُ الارتباطُ التَّاريخِيُّ ليسَ بمعزلٍ عنِ الارتباطِ الدِّينِي، ومَا الأشخاصُ إلَّا محرّكينَ لِتلكَ الوقائعِ والأحداثِ، وصانعينَ لِتلكَ المَواقفِ والآثارِ.

أمَّا في العصرِ العَباسِي فقدْ برزَ المُتنبي الشَّاعرُ الشَّهيرُ؛ ليقولَ في حقِّ رجالِ الدَّولةِ وأمرائِهَا الكثيرَ، ممَّا يدلُّ علَى حوادثَ ومواقفَ، وكانَ مِنْ أشدِّ المُعجبينَ بِبطولاتِ الأميرِ سيفِ الدَّولةِ الحَمدانِي (ت:٩٦٧م) في بلادِ الشَّامِ، فقدْ قالَ فيهِ:

[1] ابن كثير، أبو الفداء الحافظ. البداية والنهاية. ج٢. ص١٨

[2] المصدر نفسه. ص١٠٧- ١٠٩.

كُلٌّ يُرِيْدُ رِجَالَهُ لِحَيَاتِهِ يَا مَنْ يُرِيدُ حَيَاتَهُ لِرِجَالِهِ[1]

فهذا التَّناصُ الَّذِي ذكرَهُ المُتنبي يبيّنُ موقفًا لسيفِ الدَّولةِ الحَمدانِي، إذْ إنَّهُ يخالفُ حكَّامِ المُسلمينَ الَّذينَ يَصنعونَ الرِّجالَ مِنْ أجلِ أنْ يُوفِّرَوا الأمنَ لهُمْ ولِبطَانتِهِمْ، بينمَا نجدُ الأميرَ سيفَ الدَّولةِ الحَمداني يصنعُ الرِّجالَ، ويحرصُ عليهِمْ حرصَهُ على حياتِهِ، فلَا يكرّسُهُمْ لخدمتِهِ، بلْ يعملُ على أنْ يكونَ الحِرصُ والخِدمةُ متبادلانِ بينهُمَا، فإنْ رأَى رجالَهُ مُستعدّينَ للتَّضحيةِ مِنْ أجلِهِ، يكونُ هوَ كذلكَ مُستعدًّا للتَّضحيةِ مِنْ أجلِهِمْ، وتلكَ مواقفُ الرِّجالِ العُدولِ المُتواضعِينَ.

أمَّا في العصرِ الحديثِ فقدْ كانَ للتَّناصِ التَّاريخِي بروزٌ واضحٌ في نصوصِ الشُّعراءِ علَى مدارِ هذا العَصرِ، ومِنْ هؤلاءِ الشُّعراءِ شكيب أرسلان الَّذِي أشادَ بالسُّلطانِ العُثمانِي عبدِ الحميدِ الثَّانِي (ت:١٩١٨م) الَّذِي كانَتْ لهُ مواقفُ بطوليَّةٌ ضدَّ اليهودِ الَّذِينَ حاولُوا احتلالَ فلسطينِ فِي عهدِهِ فمنعَهُمْ، كمَا كانَ يقفُ للنَّصَارَى وحكَّامِهِمْ فِي أوروبَا بالمِرصادِ بِسببِ التَّطوُّراتِ الحَضاريَّةِ والثَّقافيَّةِ المُخالفةِ لِلإسلامِ، فكانَ بهذِهِ المَواقفِ التَّاريخيَّةِ المُرتبطةِ بأحداثٍ عظيمةٍ يستحقُ المَدحَ والثَّناءَ، إذْ قالَ شكيب أرسلان فيهِ رابطًا مواقفَهُ بمواقفِ أميرِ المُؤمنينَ الفَاروقِ عمرَ بنِ الخَطَّابِ _ رَضِيَ اللهُ عنهُ _، ثانِي الخُلفاءِ الرَّاشدينَ (ت:٦٤٤م):

تَذَكَّرُوا مَثَلَ الْخَطَّابِ حِيْنَ جَرَى ذَاكَ الْخِطَابُ عَسَاهَا تَنْفَعُ الذِّكَرُ

إِذْ ارْتَقَى مِنْبَرًا يَدْعُو رَعِيَّتَهُ إِذَا تَرَوْنَ اعْوِجَاجًا بِيْ فَلَا تَذَرُوا

فَقِيْلَ: وَاللهِ لَوْ أَنَّا نَرَى عِوَجًا إِذَاً أَقَمْنَاهُ بِالْأَسْيَافِ يَا عمرُ[2]

فهُنَا يتناصُ معْ أحداثٍ تاريخيَّةٍ وشخصيَّاتٍ ذاتِ علاقةٍ بهذِهِ الأحداثِ، ومواقفَ بطوليَّةٍ لخليفةٍ مسلمٍ مشهودٍ لهُ بالعَدلِ والقوَّةِ والصَّلاحِ، فقدْ ربطَ مواقفَهُ بمَواقفِ السُّلطانِ العُثمانِي

[1] المتنبي، أبو الطيب. ديوان المتنبي. مج٣. ص٦٣.

[2] أرسلان، شكيب. ديوان الأمير شكيب أرسلان. ص١٠.

عبدِ الحميدِ الثَّانِي الَّذِي أثبتَ بجدارةٍ أنَّهُ حارسًا أمينًا لدولةِ الإسلامِ، ولمقدَّسَاتِ الإسلامِ، ولبلادِ المسلمينَ، بمنعِهِ بيعِ فلسطينَ لليهودِ، ومنعِهِ مظاهرِ الفُحشِ والفَسادِ مِنَ الدُّخولِ إلى بلادِ المُسلمينَ، وتهديدِ أُوروبَا وعلى رأسِهَا فرنسَا بمنعِ عَرضِ المَسرحيَّاتِ والعُروضِ الَّتِي فيهَا تَعدٍّ علَى حُرُماتِ اللهِ حتَّى وإنْ كانَتْ هذهِ العُروضُ في بلادِهِمْ المُنفتحَةِ[1]، وأمَّا موقفُ أميرِ المؤمنينَ عمرَ بنِ الخَطَّابِ _ رَضِيَ اللهُ عنهُ _ فقدْ كانَتْ تتمثَّلُ في عدْلِهِ مِنْ أوَّلِ يومٍ تقلَّدَ فيهِ الخِلافَةَ، فخطبَ في النَّاسِ قائلًا :**(إِذَا رَأَيتُمْ فِيَّ اعوِاجَاجًا فَقَوّمُوهُ بِحَدِّ سِيُوفِكُمْ)**[2]، وهذهِ المواقفُ لا تَصدرُ إلَّا عنْ رجالٍ عُدولٍ، أكفَّاءَ، أمناءَ علَى المُسلمينَ وبلادِهِمْ.

أمَّا الشَّاعرُ أحمد شوقي فقدْ امتلأَ ديوانُهُ بكثيرٍ منَ التَّناصِ التَّاريخِي، وذلكَ لأنَّ شعرَهُ غزيرٌ وثقافتَهُ واسعةٌ، وهوَ كثيرُ الاطِّلاعِ، فقدْ ذكرَ لأحداثٍ وشخصيَّاتٍ ومواقفَ عدَّة، نذكرُ منهَا مدحَهُ النَّبوِي لرَسولِ الإسلامِ مُحمَّدٍ ﷺ في قَصيدتِهِ (نَهجُ البُردةِ) الَّتِي عارضَ فيهَا البُوصيري في قَصيدتِهِ الشَهيرةِ (البُردةِ)، إذْ قالَ مادحًا ومتواضعًا في مدحِهِ بالإشارةِ إلى كبارِ شُعراءِ العَصرِ الجاهِلي الَّذِينَ قالُوا شعرًا مؤثِّرًا، فهوَ لمْ يبلغْ بشعرِهِ مبلغَهُمْ، وهمَا زُهيرِ بنَ أَبي سُلمى، والشَّاعرِ الجَاهلي القَديمِ هرمِ بنِ سِنانٍ الذِّبيانِي (ت:٦٠٤م)، وقد قال أحمد شوقي في المديحِ النَّبوي:

يُزْرِي قَرِيْضِي زُهَيْرًا حِيْنَ أَمْدَحُهُ وَلَا يُقَاسُ إِلَى جُوْدِي لَدَى هَرِمِ[3]

فقد وردَ التَّناصُ مِنْ خلالِ الإشارةِ في مدحٍ للرَّسولِ ﷺ وعدمِ بلوغِهِ المَطلوبَ في ذلكَ ما يجعلُ كبارَ الشُّعراءِ في العَصرِ الجَاهلِي، وهُمَا:(زهيرُ بنُ أَبِي سَلْمَى، وَهَرِمُ بنُ سِنانَ الذِّبْيانِي) يقلِّلانِ مِنْ شأنِ مديحِهِ رغمَ بلوغِهِ الآفاقِ، وذلكَ مِنْ قبيلِ التَّواضعِ في المَدحِ

[1] عبد الحميد الثاني، مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني. ص١٤٢– ١٤٥. ترجمة: أحمد حرب. منشورات دار القلم. دمشق. ط٣. ١٤٤٢–١٩٩٠م.

[2] المناوي، محمد عبد الرؤوق. فيض القدير في شرح الجامع الصغير. ج٢. ص٤١٦. رقم الرواية (٢١٨١). ضبطه وصححه: أحمد عبد السلام. بيروت. لبنان. طبعة دار الكتب العلمية: ٢٠٠١م.

[3] شوقي، أحمد. الشوقيات. ج٢. ص٢٣٤.

النَّبويّ، والشُّعورِ بالتَّقصيرِ في جنبِ رسولِ اللهِ ﷺ مقابلَ ما قدَّمَهُ الرَّسولُ ﷺ للأمَّةِ مِنْ تضحياتٍ جسامٍ.

ويُطلقُ على هذا الجَانبِ مِنَ التَّناصِ التَّاريخِي استدعاءُ الشَّخصيَّاتِ التَّاريخيَّةِ، وما يرتبطُ بهَا مِنْ أحداثٍ ومواقفَ مهمَّةٍ، لهَا بصماتٌ في تاريخِ الأمَّةِ الإسلاميَّةِ، مِنْ خلالِ الشُّعراءِ المُسلمينَ الَّذِينَ حَرصُوا علَى تذكيرِ الأمَّةِ بشخصيَّاتٍ مؤثِّرةٍ، ومواقفَ وأحداثٍ مثيرةٍ تركَتْ أثرًا مهمًّا وفاعلًا في تاريخِ الأمَّةِ.

ومِنَ الأحداثِ المرتبطةِ بشخصيَّاتٍ تاريخيَّةٍ فاعلةٍ، تركَتْ أثرًا في نفوسِ الأمَّةِ، وأحدثَتْ تقسيماتٍ مذهبيَّةً، إذْ كانَتْ تلكَ الأحداثُ خطيرةً رغمَ أنَّ الشَّخصيَّاتِ الَّتِي اتربطَتْ بهَا لَا علاقةَ لهَا بتلكَ الخُطورةِ، وإنَّمَا الَّذِينَ قامُوا بالأحداثِ استَغلُّوا تلكَ الشَّخصيَّاتِ بعدَ موتِهَا لتحقيقِ مآربَ شخصيَّةٍ، أدَّتْ إلى تَشرذُمِ الأمَّةِ وتفرُّقِهَا، فقدْ أشارَ الشَّاعرُ الجَزائريُّ مُصطفَى الغَمارِي إلى تلكَ الأحداثِ والشَّخصيَّاتِ المُرتبطةِ بهَا مِنْ بابِ التَّلميحِ لأحداثٍ مشابهةٍ تحدثُ في هذا العَصرِ، وذلكَ مِنْ بابِ الإسقاطِ، فقدْ ثارَ على واقعِ الانتهازيينَ الَّذِينَ يستغلُّونَ الثَّورةَ، وتضحياتِ الفُقراءِ والشُّهداءِ والأَسرَى والمَفقودينَ ليتسلَّقُوا علَى ظُهورَهِمْ، وذلكَ ما فعلَهُ الَّذِينَ تشيَّعُوا للخَليفةِ الشَّهيدِ الإمامِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ _ رَضِيَ اللهُ عنهُ _، ومِنْ بعدِهِ ابنُهُ الحُسينُ بنُ عليٍّ _ رَضِيَ اللهُ عنهُ _ الَّذِي قُتلَ في الفِتنةِ بعدَمَا تخلُّوا عنهُ أتباعُهُ الشِّيعةُ، ثمَّ يبكونَ عليهِ فيمَا بعدُ ليحصلُوا على مُكتسباتٍ خاصَّةٍ بهِمْ في الكُوفةِ وغيرِهَا مِنْ بلادِ المسلمينَ، فقدْ ذكرَ الغَمارِي ذلكَ وأسقَطَهُ على الَّذِينَ يتسلَّقونَ لبلوغِ الحُكمِ على دِماءِ الشُّهداءِ، وعَذاباتِ الجَرحَى والأَسرَى، وآلامِ أهاليهِمْ، فقدْ قالَ:

قَتَلُوا الْحُسَينَ وَأَرْدَفُوا أَبْنَاءَهُ قُرْبَى لِرَبٍّ فِي النُّفُوسِ مُصَوَّرِ[1]

فقدْ تناصَ الشَّاعرُ تاريخيًّا معْ أحداثِ الفِتنةِ الَّتِي قضَتْ علَى كبارِ الصَّحابةِ، ومنهُمْ آلِ البيتِ، وكانَ آخرُهُمْ الحُسينُ بنُ عليٍّ _ رَضِيَ اللهُ عنهُمَا _[2]، وإسقاطُ هذهِ الأحداثِ والوقائعِ

[1] الغماري، مصطفى، قصائد منتفضة (أسرار من كتاب النار)، ص٢٩، ط١: ٢٠٠١م، اتحاد الكتّاب الجزائريين، الجزائر.
[2] ابن كثير، الحافظ أبو الفداء. البداية والنهاية. ج٧. ص٢٣٠-٢٣٤.

على ما حدثَ تاريخيًّا في بِلاد المسلمينَ الَّتِي خضعَتْ للاستعمارِ الغَربي، فضحَّى أبناءُ الأمَّةِ في سَبيلِ تَحريرِ البُلدانِ، ولكنَّ الَّذِينَ قطفُوا ثِمارَ تلكَ التَّضحياتِ كانُوا خدمًا للاستعمارِ، ولمْ يكونُوا مِنْ أهلِ الثَّورةِ، ولا أهلِ التَّضحياتِ، فتلكَ الثَّورةُ الَّتِي كانَتِ امتدادًا لفتنةِ المُسلمينَ الكبرَى بينَ الإمامِ عليِّ بنِ أَبِي طالبٍ _ رَضِيَ اللهُ عنهُ _ والخَليفةِ الأمويِّ الأوَّلِ مُعاويَّةَ بنِ أَبي سُفيانَ (ت:٦٨٠م)[١]، فهوَ يكشفُ عنِ الَّذِينَ قَتلُوا الحُسينَ وضحُّوا بأبنائِهِ مِنْ بعدِهِ، وتخلَّوا عنهُ في معركتِهِ المُفتعلةِ، فكانَتِ النَّتيجةُ أنَّهُمْ حصلُوا علَى مآربِهِمْ الخَاصَّةِ بالخِلافةِ، وهذا ما ألمحَ إليهِ بقولِهِ :**(لِرَبٍّ فِي النُّفُوسِ مُصَوَّرِ)**، وهذا ما أشارَ إليهِ بالمُيولِ الشَّخصيَّةِ الَّتِي سمَّاهَا ربَّ النَّفسِ الَّذِي يجعلُ النَّفسَ الخَبيثةَ الأمَّارةَ بالسُّوءِ تجعلُ النُّفوسَ المَريضةَ تُضحِّي بكلِّ غالٍ ونفيسٍ في سبيلِ مصالِحِهَا الشَّخصيَّةِ، فقدْ ضُربَتْ قِصَّةُ مقتلِ الحُسينِ بنِ عليٍّ _ رَضِيَ اللهُ عنهُ _ وتخاذلِ أصحابِهِ وتضحيتِهِمْ بِه مثلًا لذلكَ[٢].

فقدْ قُتلَ الحُسينُ بنُ عليٍّ _ رَضِيَ اللهُ عنهُ _ في كَربلاءَ[٣] في عهدِ الخَليفةِ الأُموي يزيدَ بنِ معاويةَ (ت:٦٨٣م) بعدَ معاركَ عديدةٍ بينَ شِيعةِ الحُسينِ والجَيشِ الَّذِي أرسلَهُ يزيدُ بنُ معاويةَ بقيادةِ عمرَ بنِ سعدٍ بنِ أَبي وقَّاصٍ (ت:٦٨٦م)، وقدْ انتهَتْ معركةُ كَربلاءِ الشَّهيرةِ بمقتلِ الحُسينِ بنِ عليٍّ _ رَضِيَ اللهُ عنهُمَا _ وقطعِ رأسِهِ وفصلِهِ عَنْ جسدِهِ وإرسالِهِ إلى الخليفةِ يزيدَ بنِ معاويةَ في دمشقَ، وقدْ تمَّ دفنُ الجسدِ في كَربلاءَ وظلَّ الرَّأسُ في خَزانةِ يزيدَ بنِ معاويةَ حتَّى ماتَ الخليفةُ سنةَ (٦٨٣م)، واختلفَ المُؤرِّخونَ فِي مكانِ دفنِ رأسِ الحُسينِ، فروايةُ الشِّيعةِ تؤكِّدُ علَى دفنِهِ معِ الجَسدِ فِي كربلاءَ بعدَ أربعينَ يومًا مِنْ مقتلِهِ، وهناكَ روايةٌ أخرَى تُشيرَ إلى دفنِهِ في دمشقَ بعدَ موتِ الخَليفةِ يزيدَ بنِ معاويةَ، وأخرَى تُشيرُ إلى دفنِهِ

[١] المصدر السابق. ص٢٣٥.

[٢] المصدر نفسه. ج٨. ص١٢.

[٣] **كربلاء**: مدينة عراقية مقدسة عند الشيعة، إذ دفنوا فيها جسد الحسين بن علي وأقاموا على قبره مقاما اتخذوه مزارا لهم في سنة مقتله.

في البقيعِ في المدينةِ المنوَّرةِ في قبرِ أخيهِ الحَسنِ، وروايةً أخرَى تُشيرُ إلى دفنِهِ فِي القاهرةِ في مصرَ[1].

ويبقى المجالُ واسعًا لاستدعاءِ الشَّخصيَّاتِ التَّاريخيَّةِ وما يتعلَّقُ بهَا مِنْ أحداثٍ ومواقفَ أثارَتْ كثيرًا مِنَ التَّساؤلاتِ، وغيَّرَتْ كثيرًا مِنَ وُجهاتِ النَّظرِ الفِكريَّةِ والسِّياسيَّةِ، وربَّمَا هذهِ النِّقاشاتُ ما زالَتْ حتَّى يومِنَا هذا تتبلورُ حولَ مَنْ كانَ عَلى حقٍّ، ومَنْ كانَ عَلى باطلٍ؟! وكيفَ جرَتْ هذهِ الأحداثُ في ظلِّ هذهِ الظُّروفِ؟! ومَنْ وراؤهَا ما دامَ الطَّرفانِ مسلمينِ موحِّدينِ، وقسْ عليهَا تلكَ الدَّلالاتِ والإشاراتِ المُرتبطةِ بتلكَ الأحداثِ الَّتِي يتمُّ إسقاطُهَا على أحداثٍ مُشابهةٍ تكرَّرَتْ عبرَ تَاريخِ الأمَّةِ علَى مَدارِ ثَلاثةَ عشرَ قرنًا ويزيدُ عنْ ذلكَ، فيكونُ للشُّعراءِ والأدباءِ الباعُ الأطولُ في بعثِ تلكَ الأحداثِ بإشاراتِهَا ودلالاتِهَا مِنْ خلالِ ظاهرةِ التَّناصِ الَّتِي أحيَتْ ما كانَ ميتًا، وأعادَتْ ذكرَ مَا تمَّ نسيانُهُ بمَا ورائِهِ مِنْ خِلافاتٍ واختلافاتٍ، واستدعَتْ تلكَ الشَّخصيَّاتِ الَّتِي قيلَ عنهَا ما قيلَ افتراءً أوْ صدقًا، ولكلِّ شخصيَّةٍ وضعُهَا حسبَ مَا قيلَ فيهَا في كتابٍ مقدَّسٍ أوْ رِوايةٍ صادقةٍ، بعيدًا عنْ أكاذيبِ الَّذِينَ قالُوا فكذَبُوا جلبًا للمَصالحِ الشَّخصيَّةِ مِنْ وراءِ هذهِ الأكاذيبِ[2].

[1] الشيباني، محمد بن عبد الهادي والخضر، محمد سالم. القول السديد في سيرة الحسين الشهيد. مبرة الآل والأصحاب. مكتبة الكويت الوطنية. الكويت. ط١. ٢٠٠٥م.

[2] إسماعيل، عز الدين. الشعر العربي المعاصر (قضاياه وظواهره الفنية والاجتماعية). ص٣٠٥-٣٠٧. دار الكتاب العربي. القاهرة. مصر. ط١. ١٩٦٧م.

المَبحَثُ الرّابعُ

التَّناصُ التُّراثِي (الأَدَبُ الشَّعبِي)

يُقصدُ **بالتَّناصِ التُراثِي أوِ الأدبِ الشَّعبِي:** إعادةُ إحياءِ عباراتٍ تُراثيَّةٍ أوْ مشاهدَ أوْ استدعاءِ شخصيَّاتٍ تراثيَّةٍ، أوْ ربَّمَا الإشارةُ إلى أهازيجَ وأناشيدَ ومواسمَ، وربَّمَا أدواتٌ تراثيَّةٌ استخدمَهَا أجدادُنَا الأوائلُ، ويتمثَّلُ التَّناصُ التُّراثِي أوِ الأدبِ الشَّعبِي بِالأمثالِ، والقَصَصِ الشَّعبيَّةِ، والحِكاياتِ، والشَّخصيَّاتِ الفُكاهيَّةِ، والهَدفُ مِن استدعاءِ التُّراثِ هوَ إحياءٌ لهُ، وتذكيرٌ بقَصَصٍ حاضرةٍ في ذاكرةِ الأمَّةِ، وربَّمَا تركَتْ آثارًا في حياتِهَا علَى مرِّ العُصورِ[1].

ويتجلَّى التَّناصُ التُّراثي في أكثرِ مِنْ صورةٍ تراثيَّةٍ على مستَوى الشَّخصيَّاتِ التُّراثيَّةِ، والأمثالِ الشَّعبيَّةِ، والأهازيجِ في مواسمِ الأعيادِ والحصادِ وغيرِهَا، والشَّخصيَّاتُ التَّراثيَّةُ ترمزُ إلى حوادثَ أوْ قَصَصٍ أوْ مواقفَ هزليَّةٍ، وأشهرُ هذهِ الشَّخصيَّاتُ:(عُرقوبَ، زَرقاءُ اليَمامةِ، عَنترةَ بنِ شدادٍ، أَبُو زَيدٍ الهِلَالِي، الزِّيرِ سَالمٍ، التُّبَّعِ اليَمانِي)، وقدْ نجدُ استدعاءَ الشَّخصيَّاتِ التُّراثيَّةِ في الشِّعرِ العربي في العُصورِ كلِّهَا[2].

١. **استدعاءُ الشَّخصيَّاتِ التُّراثيَّةِ:** ظهرَ التَّناصُ منْ خلالِ استدعاءِ الشَّخصيَّاتِ التُّراثيَّةِ في شعرِ العصرِ الجَاهلي بصورةٍ واضحةٍ، رغمَ أنَّهُ كانَ قليلًا نسبيًّا، فقدْ استدعَى الشَّاعرُ عنترةُ بنُ شدَّادٍ في معلَّقَتِهِ شخصيَّتَهُ الَّتِي أصبحَتْ تُراثيَّةً، إذْ صنعَ منْ نفسِهِ تلكَ الشَّخصيَّة الَّتِي أصبحَتْ رمزًا للقُوّةِ والثَّورةِ على الظُّلمِ المتعلّقِ باللَّونِ والعُبوديَّة والعنصريَّةِ، ذلكَ الَّذِي تخلَّى والده عنهُ وعنْ أمِّهِ عندَما أنجبتْهُ أسودَ، إذْ طعنَ في شرفِهَا، وطردَهَا مِنَ القَبيلةِ، وحينمَا اشتدَّ عودُهُ، وأصبحَ فارسًا في قبيلةٍ أخرَى تحاربُ قبيلةَ أهلِهِ، اكتشفَ أمرَهُ وعادَ إلى أهلِهِ ليتصدَّى للأعداءِ، ويدافعُ عنْ أهلِهِ، وذلكَ عندَمَا أعلنَ والدُهُ حرّيتَهُ وانتماءَهُ إليهِ، فقالَ:**(كُرْ يَا عنترةُ وأنتَ حرٌّ)**، ومِن تلكَ

[1] واصل، عصام حفظ الله. التناص التراثي في الشعر العربي المعاصر (أحمد العوضي أنموذجا). ص٢٧. دار غيداء. للنشر والتوزيع. عمان، الأردن. ط١. ٢٠١١م.

[2] الدهلكي، رحاب لفتى حمود. التناص مع الشخصيات التراثية في شعر أمل دنقل. ص٩٨. كلية التربية الأساسية. الجامعة المستنصرية. مجلة الأستاذ. بغداد. العراق. ع٢١١. مج١. سنة ٢٠١٤م.

اللَّحظةِ أصبحَ حرًّا وفارسًا مِن فرسانِ قبيلتِهِ عبسٍ، بلْ كبيرَ فرسانِهَا[1]، فقالَ بالإشارة إلى عبارةِ أبيهِ الَّتِي نالَ بعدَهَا حرّيتَهُ:

يَدْعُونَ عَنْتَرَ وَالرِّمَاحُ كَأَنَّهَا أَشْطَانُ بِئْرٍ فِي لِبَانِ الْأَدْهَمِ[2]

فقدْ تناصَ في شعرِهِ مِنْ خلالِ استدعاءِ شخصيَّتِهِ لإبرازِ نفسِهِ، والاعتزازِ بفروسيَّتِهِ، وتلكَ رسالةٌ قويَّةٌ إلى أبيهِ وقبيلتِهِ الَّتِي لفظتْهُ صغيرًا، وأعادتْهُ كبيرًا بعدَمَا أصبحَ فارسًا لا يُناظرُهُ أحدٌ منَ الفرسانِ، فهوَ لمْ يأتِ لهُمْ مستنجدًّا، وطالبًا النَّسبَ منهُمْ، بلْ إنَّ شجاعتَهُ وفروسيَّتَهُ جعلتْهُمْ يدعونَهُ كفارسٍ شُجاعٍ، ويطلبونَهُ كمدافعٍ عنِ القَبيلةِ، وحامٍ ذمارِهَا، ومنكِّلٍ بعدوّهَا.

ومنَ استدعاءِ الشَّخصيَّاتِ كذلكَ قولُ كعبِ بنِ زُهيرٍ في العَصرِ الإسلاميّ الأَوَّلِ، عندَمَا جاءَ معتذرًا لرسولِ اللهِ ﷺ، وطالبًا العفوَ ومعلنًا إسلامَهُ، وذلكَ في قصيدتِهِ (بَانَتْ سُعَادُ) الَّتي ذكرَ فيهَا شخصيَّةً تُراثيَّةً يُضربُ بِهَا المَثلُ في إخلافِ الوعودِ والعهودِ، والمقصودةُ شخصيَّةُ (عُرقوبٍ) الَّذِي كانَ معروفًا في الجاهليَّةِ بإخلافِهِ المواعيدَ، وعدمِ التزامِهِ بهَا، فراحَ مثلًا يُضربُ بإخلافِ المَوعدِ:

كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرْقُوبٍ لَهَا مَثَلًا وَمَا مَوَاعِيدُهُ إِلَّا الْأَبَاطِيلُ[3]

فقدْ تناصَ الشَّاعرُ باستدعاءِ شخصيَّةً تراثيَّةً ذهبَتْ مثلًا في إخلافِ المواعيدِ وعدمِ الالتزامِ بهَا، وقدْ كانَتْ هذهِ الشَّخصيَّةُ المَدعوَّةِ بِـ **(عُرقوبٍ)** يُشارُ إليهَا في الشِّعرِ الجَاهلِي والإسلامِي بعدمِ التزامِهَا بالمواعيدِ، وإخلافِهَا لتلكَ المَواعيدِ، فهوَ يُشيرُ إلى **(سُعادٍ)** رمزَ القبيلةِ العربيَّةِ الملتزمةِ بعاداتٍ وتقاليدَ موروثةٍ ومخالفةٍ لمَا جاءَ بِهِ الإسلامُ الحنيفُ، ورمزَ النَّاقةِ الَّتِي لا تلتزمُ بأماكنِ المَرعَى الخاصَّ بهَا، فمواعيدُ عُرقوبٍ كلُّها أباطيلُ، وحالُ سعادٍ والنَّاقةِ والقبيلةِ العربيَّةِ تلكَ الحالُ، فقدْ خالفَتْ قيمَ الحقِّ والعَدلِ والصَّلاحِ، وجمعَتْ كلَّ مَا هوَ باطلٌ ومخالفٌ للحقِّ والعدلِ والصَّلاحِ.

---

[1] عنترة بن شداد، ديوان عنترة بن شداد. ص٣٨.

[2] المصدر نفسه. ص١٨.

[3] كعب بن زهير. ديوان كعب بن زهير. ص٦٢. شرحه وقدم له: الأستاذ علي فاعور. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ١٩٩٧م.

وفي العصرِ الحديثِ كانَ استدعاءُ الشَّخصيَّاتِ التُّراثيَّةِ كثيرًا، لأنَّ الشَّخصيَّاتِ التَّراثيَّةَ أصبحَتْ متعدِّدةً عبرَ تاريخِ الأمَّةِ، فهذا الشَّاعرُ الجَزائري مُصطفَى الغُماري يتناصُ باستدعائِهِ شخصيَّاتٍ تُراثيَّةٍ دينيَّةٍ كالقائدِ المُسلمِ خالدِ بنِ الوليدِ (ت:٦٤٢م)، والقائدِ المغربي طارقِ بنِ زيادٍ (ت:٧٢٠م)، ويقولُ الغُماري في ذلكَ:

إِنِّي لَأَلْمَحُ فِي جَبِينَكَ طَارِقًا ... وَابْنَ الْوَلِيدِ[١]

فقدْ ألمحَ هُنا إلى شَخصيَّةِ ممدوحِهِ الَّذِي رأى في بطولاتِهِ وشجاعتِهِ بطولاتِ خالدِ بنِ الوليدِ القائدِ الإسلامِي المُظفَّرِ (سيفِ اللهِ المسلولِ)، وطارقِ بنِ زيادٍ القائدِ المسلمِ (فاتحِ الأندلسِ)، وهذا التَّناصُ باستدعاءِ الشَّخصيَّاتِ التُّراثيَّةِ الإسلاميَّةِ يؤكِّدُ على أهمَّيَّةِ إحياءِ المَوروثِ الإسلاميّ العظيمِ بقادتِهِ وأحداثِهِ ومواقفِهِ، ولا شكَّ أنَّ الشَّاعرَ الغُماري واحدٌ مِنْ هؤلاءِ الشُّعراءِ الَّذِينَ يَحرصونَ على إحياءِ أمجادِ الأمَّةِ الإسلاميَّةِ بشخصيَّاتِهَا والتَّذكيرِ بِبطولاتِهِمْ الَّتِي بقيَتْ محلَّ فخرٍ واعتزازٍ.

٢. **استدعاءُ الأمثالِ الشَّعبيَّةِ:** الأمثالُ الشَّعبيَّةُ عبارةٌ عنْ جُمَلٍ قصيرةٍ، وكلماتٍ بليغةٍ، لهَا هدفٌ ومعنًى، تعبِّرُ عنْ مناسباتِ المجتمعِ، وتكونُ ناتجةً عنْ تجاربَ وخِبْراتٍ متكرِّرةٍ لأنَاسٍ خاضُوا تلكَ التَّجاربَ، وخرجُوا بتلكَ الأمثالِ، فأصبحَتْ تتكرَّرُ إذا صادفَتْ مناسباتٍ مماثلةٍ، ولإبقاءِ هذهِ الأمثالِ متردَّدةً في المُجتمعِ، وحيَّةً دائمًا، عَمدَ الشُّعراءُ إلى تضمينِهَا في أشعارِهِمْ مِنْ خِلالِ التَّناصِ وتعالقاتِهِ[٢]، ومِنْ ذلكَ قولُ الشَّاعرِ زهيرِ بنِ أَبي سُلمَى في معلَّقَتِهِ:

وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ يَكُنْ حَمْدُهُ ذَمًّا عَلَيهِ وَيَنْدَمِ[٣]

فالتَّناصُ هوَ معِ المَثلِ القائلِ :**(جَزَائِي جَزَاءُ سِنِمَّارٍ)**[٤]، إذْ يرَى الشَّاعرُ أنَّ الَّذِي يعملُ المعروفَ معْ غيرِ أهلِهِ يندمُ علَى فعلِ المَعروفِ معْهُ، لأنَّ الحَمدَ عندَهُ

---

[١] الغماري، مصطفى. أسرار الغربة. ص١٥٥. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر. ط٢. ١٩٨٢م.

[٢] الزعبي، أحمد إبراهيم. الأمثال الشعبية ومناسباتها. ص٧. دار الكتاب الثقافي. عمان.الأردن. ط١. ٢٠١٥م.

[٣] زهير بن أبي سلمى. ديوان زهير بن أبي سلمى، ص١١١.

[٤] عبد الله، أحمد جاسر. مجمع الأمثال للميداني (دراسة لغوية دلالية). ص١٢٨. مكتبة طريق العلم. ودار زهدي للنشر والتوزيع. عمان. الأردن. ط١. ٢٠١٦م.

سيكونُ ذمًّا، وهذا يُشبهُ بفعلِهِ جزاءَ سِنمَّارَ المُهندسِ الَّذِي بنَى القَصرَ للمَلكِ، ووضعَ حجرَ الأساسِ ليكونَ سببَ الهَدمِ كمَا كانَ سببَ البِناءِ، ولمْ يُخفِ السِّرَّ، بلْ قالَهُ للمَلكِ الَّذِي بدورِهِ بدلَ أنْ يجازيَهُ بالمَالِ والجزاءِ الحَسنِ، أمرَ بإلقائِهِ مِنْ سطحِ القَصرِ بدعوَى أنَّهُ سقطَ مِنْ فوقِهِ أثناءَ المُعاينةِ والفَحصِ، فذهَبَ ذلكَ الجزاءُ على المَعروفِ مثلًا لكلِّ مَنْ يعملِ المَعروفَ معْ مَنْ لَا يَستحقُّونَ.

وكذلكَ قالَ جريرٌ في الفَألِ الشَّرِّ عَنِ الغُرابِ الَّذِي يرمزُ إلَى ذلكَ:

إنَّ الغُـرابَ لِمَا كَرِهْتَ لَمُوْلَعٍ يَنْوِي الْأَحِبَّةَ دَائِمَ التِشْحَاجِ

لَيْتَ الْغُرَابُ غَدَاةَ يَنْعَبُ دَائِبًا كَانَ الْغُـرَابُ مُقَطَّعَ الْأَوْدَاجِ[1]

فقدْ تناصَ في هذينِ البيتينِ مِنَ الشِّعرِ معِ المثلِ القديمِ القائلِ:**(أَشْأَمُ مِنْ غُرَابِ الْبَيْنِ)**[2]، فالشَّاعرُ هُنا يذمُّ الغُرابَ، ويعدُّ مصدرَ شُؤمٍ، كمَا يدعُو عليهِ بأنْ يتحطَّمَ فمُهُ، فلا يقوَى على النَّعيبِ؛ لأنَّ نعيبَهُ يكونُ في الخَرابِ والدَّمارِ، وهذا النَّصُّ الشِّعري يتعالقُ معْ نصِّ المَثلِ الشَّعبِي القديمِ:**(أَشْأَمُ مِنْ غُرَابٍ)**، فقدْ كانَ الغُرابُ إذَا حلَّ بقبيلةٍ ونعبَ قربَهَا، أصابَهَا ذلكَ اليومَ مكروهٌ.

٣. **التَّناصُ معِ الحِكاياتِ الشَّعبيَّةِ:** الحِكايةُ الشَّعبيَّةُ أوِ القِصَّةُ الشَّعبيَّةُ سلسلةُ أحداثٍ واقعيَّةٍ أوْ خياليَّةٍ تتعرَّضُ لحوادثَ قصيرةٍ مؤثِّرةٍ في النَّفسِ، غرضُهَا التَّسليةُ أوِ اتِّخاذُ العِبرةِ، وهيَ تَختلفُ عنِ الأُسطورةِ بأنَّ الأسطورةَ فيهَا مِنَ الأمورِ الخَارقةِ للعَادةِ الَّتِي لا يتصوَّرُهَا العقلُ، في حين أنَّ الحِكايةَ الشَّعبيَّةَ تتأثَّرُ بالواقعِ وإنْ كانَتْ قريبةً مِنَ الخَيالِ، وهيَ بسيطةٌ في أحداثِهَا، وإنْ تعقَّدَتْ بعضُ شَخصيَّاتِهَا، وجاءَتْ بصورةٍ قريبةٍ منَ الخَيالِ، والأسطورةُ أقدمُ مِنَ القِصَّةِ الشَّعبيَّةِ، وقدْ لَا يعلمُ بهَا كثيرٌ منَ النَّاسِ، أمَّا الحِكايةُ الشَّعبيَّةُ فهيَ متناقلةٌ مِنْ جيلٍ إلى جِيلٍ، بلْ يستخدِمُهَا الآباءُ والأجدادُ في القَّصِّ على الأبناءِ والأحفادِ بغرضِ التَّسليةِ أوِ اتِّخاذِ العِبرةِ والمُوعظةِ،

[1] جرير. ديوان جرير. ص٧٣.

[2] الميداني، أحمد بن محمد النيسابوري. مجمع الأمثال. رقم المثل (٢٠٤٢). ج١. ص٣٨٣. تح: محمد محي الدين عبد الحميد. مطبعة السنة المحمدية. القاهرة. مصر. ط١. ١٩٥٥م.

وبسببِ تداخلِ الفَهمِ بينَ الحِكايةِ الشَّعبيَّةِ والأسطورةِ رأَى الشَّاعرُ المِصري أحمد كمال زكي (ت:٢٠٠٨م) أنْ يتمَّ الدَّمجُ بينَ التَّاريخِ القَصَصي والأُسطورةِ بمسمَّى أُطلقَ عليهِ اسمُ (التَّارِيخُسْطُورَة) الَّتِي تربطُ بينَ التَّاريخِ والخُرافةِ معًا، إذْ تتضمَّنُ أحداثًا تاريخيَّةً، ومجموعةَ خوارقَ للعادةِ ضمنَ هذهِ الأحداثِ تَشدُّ ذهنَ القَارِئ، وتجعلُهُ ينتقلُ مِنْ مكانٍ إلى آخرَ، كمَا تنتقلُ الحِكاياتُ الشَّعبيَّةُ مِنْ جيلٍ إلى جِيلٍ بالتَّواترِ، ومِنْ تلكَ الحِكاياتِ:(داحسٌ وَالغَبراءُ، حِكَايةُ سَدَّ مَأرِبَ، تَغريبةُ بَنِي هِلَالٍ، وَحَرْبُ البَسُوسِ، وَحُرُوبِ الشَّاعِرِ الجَاهِلِي عَنْتَرَةَ بنِ شَدَّادٍ مَعْ قَبيلَةَ ذُبيانَ وغيرِهَا مِنَ القَبائلِ العَربيَّةِ فِي جَزِيْرَةِ الْعَرَبِ)[١].

وفي ذلكَ نَرى الشَّاعرَ الجاهلي النَّابغةَ الذِّبيانِي يذكرُ أيَّامَ عَبسٍ وذُبيانَ، مشيدًا بذُبيانَ، ومقلِّلًا مِنْ شأنِ عَبسٍ، ومَنْ تظافرَ معهَا مِنَ القَبائلِ، إذْ يقولُ:

لِيَهْنَئَ بَنِيْ ذُبْيَـانَ أَنَّ بِـلَادَهُمْ خَلَـتْ لَهُـمْ مِنْ كُلِّ مَـوْلًى وَتَابِعِ
يَهُزُّونَّ أَرْمَـاحًا طِـوَالًا مُتـُوْنُهَا بِــأَيْدٍ طِـوَالٍ عَارِيَـاتِ الْأَشَـاجِعِ
فَدَعْ عَنَّكَ قَوْمًا لَا عِتَـابَ عَلَيْهُمُ هُمُ أَلْحَقُوا عَبْسَـًا بِأَرْضِ الْقَعَاقِعِ
وَقَدْ عَسُـرَتْ مِنْ دُوْنِهِمْ بِأَكُفِّهِمْ بَنُو عَامِرٍ عُسْرَ الْمَخَاضِ الْمَوَانِعِ
فَمَا أَنَا فِي سِهَمٍ وَلَا نَصْرِ مَالِكٍ وَمَـوْلَاهُـمُ عَبْـدُ بنُ سَـعْدٍ بِطَـامِعِ
إِذَا نَـزَلُـوا فِي ضَـرْغَدٍ فَعَتَـائِدًا يُغَنِّيَـهُـمْ فِيـهَا نَقِيْـقُ الضَّفَادِعِ[٢]

فالتَّناصُ هُنا يتجلَّى في ذكرِ أيَّامِ عَبسٍ وذُبيانَ، تلكمَا القَبيلتانِ العربيَّتانِ اللَّتانِ كانَتَا تتنازعانِ علَى المَراعي والماءِ، فسفكُوا دماءَ بعضِهِمْ بعضًا، وأصبحَتْ حكاياتِهِمْ تتناقلُهَا رواياتُ الرُّواةِ، والأجيالِ المُتعاقبةِ، حتَّى تحدَّثَ المُؤرِخونَ عنْ بُطولاتِ عنترةَ بنِ شدَّادٍ العَبسي الخَارقةِ، وبعضِ الحِكاياتِ الشَّعبيَّةِ القَديمةِ الَّتِي تميَّزَتْ بطولِهَا وأحداثِهَا المُتغيِّرةِ ومَا

[١] البادي، حصة. التناص في الشعر العربي الحديث (البرغوثي أنموذجا). دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع. عمان. المملكة العربية السعودية. ط١. ٢٠٠٩م.

[٢] النابغة الذبياني. ديوان النابغة الذبياني. ص٨٦-٨٧. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم. طبعة دار المعارف. القاهرة. مصر. ط٢. ٢٠٠٩م.

تضمَّنَهَا مِنْ حُروبٍ وسفكِ دماءٍ تمثَّلُ الملاحمَ العربيَّةَ، مثلَ:(تغريبةِ بَنِي هلالٍ، وحربِ البَسوسِ، وحربِ داحسٍ والغَبراءِ، وأخيرًا حربِ بَنِي عَبسٍ وبَنِي ذُبيانَ).

وفي ملحمةِ حربِ البَسوسِ الَّتِي دامَتْ أربعينَ سنةً بسببِ مقتلِ ملكِ تغلبَ كليبٍ بنِ ربيعةَ التَّغلبِي (ت:٤٩٤م)، إذْ افتعلَ الحَربَ الجَسَّاسُ بنُ مُرَّةٍ البَكري (ت:٥٣٤م) بقتلِهِ ابنِ عمِّهِ كُليبٍ، ممَّا أغضبَ ذلكَ الزِّيرُ سالمٌ الشَّاعرُ المُهُلهِلُ بنُ رَبِيعةَ التَّغلِبِي (ت:٥٣١م) شقيقُ كُليبٍ (المَلكِ القَتيلِ)، وقدْ وصفَ الزِّيرُ أحداثَ المَلحمةِ علَى مدارِ أربعينَ سَنةٍ، وختمَهَا ببيتينِ كشَفَا عَنْ قاتِلَيهِ، إذْ نقلَ العَبدانِ البيتينِ مِنَ الشِّعرِ إلى أهلِ الزِّيرِ سالمٍ، فكشَفَا عنْ نفسيهِمَا بقتلِهِمَا الزَّيرِ، فقدْ شعرَ الزِّيرُ سالمٌ بتدبيرِهِمَا لقتلِهِ، فساعدَهُمْ في ذلكَ، وجعلَ شرطَ ذلكَ أنْ ينقلَا إلى أهلِهِ الشَّطرينِ مِنَ الشِّعرِ المَنقوصينِ، لِيتِمَّ إكمالُهُمَا في أهلِهِ، إذْ قالَ للعبدينِ:

مَنْ مُبْلِغُ الْحَيَّينِ أَنَّ مُهَلْهِلًا لله دَرُّكُمَا وَدَرُّ أَبِيْكُمَا

وقدْ أكملَتْ ابنتُه (ليلى)، وقيلَ: ابنةُ أخيهِ كُليبٍ الصُّغرَى (اليَمَامةُ) البيتينِ لتكشفَ عنِ القَاتلينِ، وهمَا العبدانِ اللَّذانِ تُركَا عندَهُ لحراستِهِ في مرضِهِ الأخيرِ الَّذِي قُتلَ فيهِ، فأصبحَ البيتانِ مكتملينِ علَى لسانِ ابنةِ كُليبٍ القتيلِ[١]، الَّتِي قالَتْ:

مَنْ مُبْلِغُ الْحَيَّينِ أَنَّ مُهَلْهِلًا أَضْحَى قَتِيْلًا فِي الْفَلَاةِ مُجَنْدَلًا

لله دَرُّكُـــمَـــا وَدَرُّ أَبِيْـــكُمَـــا لَا يَبْـــرَحُ الْعَبْـــدَانِ حَتَّى يُقْتَلَا[٢]

والتَّناصُ هُنا في نقلِ الحَدَثِ ونهايةِ الحِكايةِ بمقتلِ الزِّيرِ سالمٍ صاحبِ حَربِ البَسوسِ، إذْ قتلَهُ العَبدانِ اللَّذانِ كانَا يحرسانِهِ، والحيَّانِ هُمَا:(بنُو تَغلبٍ، وَبَنُو بَكْرٍ(أبناءُ العُمومةِ))، للهِ درُّكُمَا يقصدُ ابنَي كُليبٍ (هَجْرسَ، واليَمامةِ)، إذْ يطلبُ منهُم قتلَ العَبدينِ اللَّذينِ قَتَلاهُ[٣] .

---

[١] عبد الحليم، شوقي. الزير سالم (أبو ليلى المهلهل). ص١٤٤-١٤٥. مؤسسة هنداوي. ط١. ٢٠١٧م.

[٢] الزير سالم، المهلهل بن ربيعة التغلبي. ديوان الزير سالم (المهلهل بن ربيعة التغلبي). ص١٨. تح: طلال حرب. ط١. ٢٠١٨م. الدار العالمية. بيروت. لبنان.

[٣] عبد الحليم، شوقي. الزير سالم (أبو ليلى المهلهل). ص١٤٥.

وهذا التَّناصُ معِ الحِكاياتِ الشَّعبيَّةِ والمَلاحمِ يرسِّخُ مفهومَ التُّراثِ العربي الإسلامِي، ويكشفُ عنْ حوادثَ هامَّةٍ في تاريخِ العَربِ، مبيّنًا خُطورةِ إهمالِ التُّراثِ والتَّاريخِ الإسلامِي المجيدِ، ويبقَى تناصَّ شعرٍ معْ شعرٍ، وقلَّمَا يكونُ التَّناصُ بينَ شعرٍ ومَثَلٍ شَعبيٍّ أوْ حِكايةٍ شَعبيَّةٍ، وخاصَّةً إذَا كانَتْ مَلحمَةً.

المبحثُ الخَامِسُ

التَّنَاصُ الأُسْطُورِي

يعرّفُ الدُّكتورُ أنس داودَ **الأسطورةَ** بأنَّهَا:**(مَجموعةٌ مِن الحِكَايَاتِ الطَّريفةِ المُتَوارَثَةِ مِنْ أَقدمِ الْعُهودِ الحَافِلةِ بِضروبِ الخَوَارقِ وَالمُعجِزاتِ الَّتِي يَختلطُ فِيهَا الْوَاقعُ بِالخَيالِ، وَيمتَزجُ عَالمُ الظَّواهرِ مِن إِنسانٍ وَحَيوانٍ وَنَباتٍ ومَظاهرَ طَبيعيَّةٍ؛ بِعَالمِ مَا وَراءَ الطَّبيعةِ مِنْ قِوَى غَيْبيَّةٍ اعتَقَدَ الإنسانُ بِأُلُوهِيَّتِهَا، فَتَعَدَّدَتْ فِي نَظرِهِ الآلِهَةُ، وَأصبَحَتْ تُعَبِّرُ عَنْ وَاقِعٍ، وَتَرتَبطُ بِأمورٍ طَبِيعيَّةٍ وَغَيرِ طَبيعيَّةٍ)**[1].

ويتجلَّى التَناصُ الأُسطوريُّ من خلالِ استدعاءِ الشَّخصيَّاتِ الأسطوريَّة، واستدعاءِ مظاهرِ الطَّبيعةِ الخَياليَّةِ كالحيواناتِ والطُّيور والنَباتاتِ الأُسطوريَّةِ، وما يتعلَّقُ بهَا مِنْ أحداثٍ خياليَّةٍ خارقةٍ للعادَةِ.

أوَّلًا: استدعاءُ الشَّخصيَّاتِ الأُسطوريَّةِ: تُعدُّ الشَّخصيَّاتُ الأُسطوريَّةُ جزءًا مِنَ تُراثِ الأممِ، فقدْ تناقلتْهَا ألسنةُ النَّاسِ جيلًا بعدَ جيلٍ، وارتبطَتْ بهذهِ الشَّخصيَّاتِ أحداثٌ خياليَّةٌ تهدفُ إلى مُحاولةِ بَثِّ رُوحِ الخَوفِ أحيانًا أوِ الشَّجاعةِ أوِ المُغامرةِ، وهذهِ الشَّخصيَّاتُ الأُسطوريَّةُ الرَّمزيَّةُ ظهرَتْ في التَّاريخِ منذُ فترةٍ بعيدةٍ، عندَ العَربِ وغيرِهِمَ، فتناولَهَا الشُّعراءُ والأدباءُ في أشعارِهِمْ وقَصَصهِمْ لإضفاءِ رُوحِ الخَيالِ البعيدِ مِنْ جهةٍ، أوْ بثِّ رُوحِ المُغامرةِ عندَ النَّاسِ، وإنْ كانَتْ بعضُ هذهِ الشَّخصيَّاتِ لا تُخالفُ نظرةَ الدِّينِ، إلَّا أنَّ غالبيَّتَهَا خَالَفَتْ نظرةَ الدِّينِ مِنْ خلالِ اعتبارِ هذهِ الشَّخصيَّاتِ خارقةً للعَادةِ، وتقومُ بأمورٍ تُعدُّ مِنَ المُعجزاتِ، ولمْ تكُنْ هذهِ الشَّخصيَّاتُ مِنَ الرُّسلِ أوِ الأنبياءِ أوْ ممَّنْ ذكرَهُمُ اللهُ في كتابِهِ العَزيزِ أنَّهُمْ قامُوا بأمورٍ خارقةٍ بأمرٍ مِنَ اللهِ[2]، إلَّا أنَّ بعضَ الشُّعراءِ خَاصَّةً مِنْ غيرِ العربِ استدعُوا هذهِ

[1] داود، أنس. الأسطورة في الشعر المعاصر. ص١٩. مكتبة عين شمس. القاهرة. مصر. ١٩٧٥م.

[2] زايد، علي عشري. استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر. ص٢٣٠. دار الفكر العربي. ط١. ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

الشَّخصيَّاتِ في أشعارِهِمْ، فأصبحَتْ مُنتشرةً في الشِّعرِ، إلى أنْ أصبحَ بعضُ شُعراءِ العَربِ يَستدعونَ شَخصيَّاتٍ أُسطوريَّةً مِنَ التَّراثِ العَربي في شعرِهِمْ أُسوةً بالشُّعراءِ العَجمِ[1].

تناولَ الشِعرُ العربيُّ الشَّخصيَّاتِ الأُسطوريَّةَ للدَّلالةِ على براعةِ هذهِ الشَّخصيَّاتِ بالخوارقِ والمُغامراتِ الَّتِي اشتُهِرَتْ بهَا في عالمِ الخَيالِ والرَّمزيَّةِ العربيَّةِ، ومِنَ الأمثلةِ علَى الشَّخصيَّاتِ الأُسطوريَّةِ:(السِّندبادِ، شَهريارَ، وشَهرزادَ)، وكلُّ شخصيَّةٍ لهَا رَمزيَّةٌ خاصَّةٌ بهَا تدلُّ على تَصوُّراتٍ خياليَّةٍ أوْ قريبةٍ مِنْ الوَاقعيَّةِ، وقدْ لجأَ الشَّاعرُ إلى تَناولِ الشَّخصيَّاتِ الأُسطوريَّةِ لخلقِ لُغةٍ تتعدَّى اللُّغةَ الواضحَةَ التَّعابيرِ، فهوَ يُريدُ أنْ يجعلَ القَارِئَ يَعيشُ عالمًا آخرَ غيرَ العالمِ الَّذِي يعيشُهُ، سواءٌ على مستوَى الخَيالِ أوِ الحُلمِ أوِ اللُّغةِ[2]، فقولُ الشَّاعرِ الجَزائري عُثمانُ لوصيف في مقطوعةٍ تتناولُ سندبادًا بحريًّا يعيشُ في واقعٍ متصلِّبٍ مُتعَبٍ يشدُّ قبضَتَهُ على حرِّيَّتِهِ الفَرديَّةِ في أجواءَ مليئةٍ بالمُغامراتِ والمَتاعبِ للدَّلالةِ على الفُقدانِ والتَّوهانِ والضَّياعِ[3]:

عَاشِقًا كَانَ يُنَادِي

فِي أَعَاصِيرِ الرَّمَادِي

وَيُعَانِي مِنْ تَبَارِيحِ الْحَنَانِ

خَلّهِ يَلْبِسُ مَوجَ الْبَحْرِ وَالرِّيْحِ قِنَاعُ

وَيَمْضِي فِي مَدَاهَا

يَعْشَقُ الْبَحْرَ وَيَغْوِيهِ الضَّيَاعُ[4]

---

[1] المصدر السابق. ص٢٣١.

[2] طاهري نيا، علي باقر وتركاش وند، مريم رحمتي و طرقبه، روح الله مهديان. استدعاء الشخصيات التاريخية والأسطورية في مقصورة حازم القرطاجني. مجلة العلوم الإنسانية الدولية. مج١.ع ١٩. ص٥٧-٧٧. ٢٠١٢م.

[3] راوي، أسماء. التناص الأسطوري في الشعر الجزائري. جامعة أحمد بن بلة١ (وهران). مجلة المعيار. مج١٠. ع٣. ص١٤- ٣٠. ٢٠١٩م.

[4] لوصيف، عثمان. أعراس الملح. ص٢٧. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر. ط١. ١٩٨٨م.

فالشَّاعرُ يتحدَّثُ عنْ عاشقٍ متيَّمٍ، ثمَّ يُسقطُ عليهِ حالةٌ مِنَ الضَّياعِ والمُغامرةِ في تلكَ العِشقِ الَّذِي قدْ لا ينتهِي بالحُصولِ على معشوقتِهِ، وتلكَ الحَالُ الواقعيَّةُ قدْ تكونُ أحيانًا خياليَّةً تشبهُ مغامراتِ السِّندبادِ الَّتِي كانَتْ غالبًا تقومُ على التَّوهانِ والضَّياعِ وقلَّمَا يحصلُ السِّندبادُ علَى مَا يُريدُ بمغامراتِهِ تلكَ الَّتِي قدْ تؤدِّي أحيانًا إلى فُقدانِ المُغامرِ نفسِهِ، وضياعِهِ أوْ موتِهِ، وهُنا يكمنُ التَّناصُ مِنْ خلالِ استدعاءِ شخصيَّةٍ مُغامِرةٍ لجعلِهَا تتناصُ معْ شخصيَّةٍ واقعيَّةٍ لكنَّهَا مِنْ خلالِ أفكارِهَا وأفعالِهَا تقومُ بأمورٍ قدْ تتشابَهُ كثيرًا معْ مغامراتٍ شخصيَّةٍ مشهورةٍ بالمُغامراتِ. وهذا التَّناصُ الأُسطورِي معْ شَخصيَّةِ السِّندبادِ يَستدعِي الشَّخصيَّةَ ومَا تَشتهرُ بهِ لإسقاطِهَا على شَخصيَّةٍ تقومُ بالفِعلِ نفسِهِ، فيكونُ استدعاءُ الشَّخصيَّةِ لتشابُهِ صورَتِهَا المَرسومةِ في الذَّاكرةِ معِ الشَّخصيَّةِ المقصودةِ بالتَّشبيهِ، تلكَ الَّتِي يدورُ الحَديثُ عنهَا؛ لتكونَ محورَ التَّناصِ[1].

أمَّا الشَّخصيَّةُ الأُسطوريَّةُ الثَّانيةُ فهيَ مِنَ النِّساءِ، إذْ اشتُهرَ ذكرُهَا في الجَاهليَّةِ بلقبِ (زَرْقَاءِ اليَمَامَةِ) أوْ زرقاءِ العَينينِ، وهيَ شخصيَّةٌ أُسطوريَّةٌ صنعَتْهَا أذهانُ العربِ في الجَاهليَّةِ للدَّلالةِ علَى الرُّؤيةِ الدَّقيقةِ مِنْ بعيدٍ، وهوَ أمرٌ خارقٌ للعَادةِ، إذْ قيلَ عنهَا أنَّهَا تَرى مِنْ مَسافةٍ بعيدةٍ وكأنَّهَا أمامَهَا، وزرقاءُ اليَمامةِ أصبحَتْ رمزًا لكلِّ مَنْ يرَى الأمورَ بطريقةٍ لا يراهَا غيرُه، أوْ يحسبُ نفسَهُ أنَّهُ يتميَّزُ عنْ غيرِهِ بذكاءٍ خارقٍ، أوْ درايَةٍ حاذقةٍ، والنَّاسُ تعلمُ أنَّهُ ليسَ كذلكَ، بلْ شأنُهُ شأنُ غيرِهِ، قدْ يزيدُ قليلًا أوْ ينقصُ قليلًا[2].

وتكمنُ قصَّةُ زرقاءِ اليَمامةِ الَّتِي رأَتِ القومَ الغُزاةَ مِنْ بعيدٍ فلمْ يصدِّقْهَا قومُهَا، وادَّعُوا أنَّهَا تهذِي، إذْ كيفَ ترى قومًا مِنْ مسافةٍ بعيدةٍ جدًّا، فربَّمَا كانَتْ تُشيرُ تلكَ المَجموعةُ مِنَ النَّاسِ إلى مَجموعةِ أشجارٍ في واحةٍ صحراويَّةٍ، فكانَتِ النَّتيجةُ أنَّهَا صدقَتْ، واقتربَ القومُ الغُزاةُ يكتسونَ بِأوراقِ الشَّجرِ، فلَمْ يكُنْ أهلُ القَبيلةِ قدْ تجهَّزُوا لمواجهَتِهِمْ، فخَسِرُوا أرواحًا كثيرةً، وتمَّ

[1] راوي، أسماء. التناص الأسطوري في الشعر الجزائري. جامعة أحمد بن بلة١ (وهران). مجلة المعيار. م١٠. ع٣. ص١٤- ٣٠. ٢٠١٩م.

[2] طاهري نيا، علي باقر وتركاش وند، مريم رحمتي وطرقبه، روح الله مهديان. استدعاء الشخصيات التاريخية والأسطورية في مقصورة حازم القرطاجني. مجلة العلوم الإنسانية الدولية. مج١. ع ١٩. ص ٥٧-٧٧. ٢٠١٢م.

سلبُ قبيلتِهِمْ، وذلكَ الوجهُ الآخرُ لزرقاءِ اليَمامةِ، فهيَ إمَّا ترمزُ إلى ضَرورةِ اتِّخاذِ الأمورِ على مَحملِ الجَدِّ حتَّى يثبتُ عكسَ ذلكَ، معْ بقاءِ التَّفكيرِ في الوجهِ الآخرِ المُتعلِّقِ باستحالةِ الرُّؤيةِ الخَارقةِ مِنْ بعيدٍ[1]، وفي ذلكَ يقولُ الشَّاعرُ حازمٌ القَرطاجنِّي في مَقصورَتِهِ:

قَدْ كَـذَّبَ الـزَّرْقَاءَ قَـوْمٌ حَسِبُوا ... مَقَالَـهَـا الصَّـادِقَ زُوْرًا مُفْتَرَى

سَمَّتْ بِعَيْنَيْهَا إِلَى الْجَيْشِ الَّذِي ... تَـدَرَّعَ الْأَشْـجَارَ كَيْـدًا وَاكْتَسَى

قَالَتْ _ وَلَمْ تَكْذِبْ _ أَرَى مُقْبِلَةً ... إِلَيْـكُـمُ يَـا قَـوْمُ أَشْـجَارَ الْفَلَا

وَأَبْصَـرَتْ مَـا لَمْ تُحَقِّـقْ عَيْنَهَا ... صُوْرَتَهُ فِي كَفِّ شَخْصٍ قَدْ نَأَى

قَـالَتْ أَرَاهُ خَـاصِـفًا أَوْ آكِـلًا ... لِكَتِـفٍ، لَهْفِـي عَلَى مَـا قَدْ أَتَى

فَصُـبِّحَـتْ دِيَـارُ مَـنْ كَـذَّبَتْهَا ... بِجَحْـفَلٍ قَدْ عَـاثَ فِيـْهَا وَعَثَا[2]

فقدْ تناصَ القَرطاجنِّي بهذهِ المقطوعةِ بالرَّمزِ الواضحِ لكلِّ مَنْ يفتري على النَّاسِ الكذبَ، ولا يصدِّقِ الآخرينَ حتَّى لوْ كانَ كلامُهُمْ غيرَ قابلٍ للتَّصديقِ، فلَا بدَّ مِنَ التَّحقُّقِ مِنَ القَولِ سواءٌ كانَ صدقًا أوْ كذبًا، لأنَّ التَّحقُّقَ يؤكِّدُ صدقَ القولِ مِنَ كذبِهِ، ويُبنَى عليهِ اتِّخاذُ إجراءَاتٍ مهمَّةٍ، قدْ تكونُ في حياةِ شخصٍ أوْ موتِهِ وربَّمَا حياةُ أمَّةٍ أوْ موتِهَا، فالتَّناصُ باستدعاءِ شَخصيَّةِ (زرقاءِ اليمامةِ) الأُسطوريَّةِ الدَّالةِ عنْ أمرٍ خارقٍ يتعلَّقُ بالرُّؤيةِ الثَّاقبةِ الخارقةِ مِنْ مسافاتٍ بعيدةٍ، تجعلُ الشَّخصَ لا يَستوعبُ ذلكَ، إلَّا أنَّ المَطلوبَ في أيِّ حالةٍ مِنَ الحَالاتِ التَّحقُّقُ والتَّبيُّنُ، وهذا القولُ الَّذِي ماثلَهُ وتناصَّ بِهِ القَرطاجنِّي باستدعاءِ شخصيَّةِ (زرقاءِ اليمامةِ) لإفهامِ هؤلاءِ الَّذِينَ يُكذِّبونَ كلَّ شَيءٍ، ولا يأبهُونَ بالتَّحقُّقِ والتَّبيُّنَ، وإذَا جئْنَا بدليلٍ شرعِيٍّ على مَا ذكرَهُ القَرطاجنِّي[3]، فلَا بدَّ مِنَ الإشارةِ إلى قولِهِ تعالَى في

---

[1] المسعودي، علي بن الحسين. ١٩٧٣. مروج الذهب ومعادن الجوهر. تح: محمد محي الدين عبد الحميد. ج١. ص٤٢. ط٥. دار صادر. بيروت.

[2] القرطاجني، حازم. المقصورة. ص٧٨٨– ٧٩٣. تح: محمد الحبيب بن الخوجة. مطبعة الدار التونسية. تونس. ط١. ١٩٧٢م.

[3] المصدر نفسه. ص٧٩٧.

سورةِ الحُجراتِ :"**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**"[1]، فقدْ اتَّفقَ استدعاءُ الشَّخصيَّةِ مَعِ الفكرةِ المَطروحةِ الَّتِي أرادَهَا الشَّاعرُ، ثمَّ دلَّتْ عليهَا الآيةُ القُرآنيَّةُ مِنْ سُورةِ الشُّعراءِ، ليتَّفقَ التَّناصُ الأُسطورِي مَعِ التَّناصِ الدِّينِي، وتلكَ حالةٌ واردَةٌ.

وأمَّا الشَّخصيَّةُ الأُسطوريَّةُ الثَّالثةُ فهوَ بطلُ حِكاياتِ ألفِ ليلةٍ وليلةَ المَلكُ الأُسطورِي (شَهريارُ) الَّذِي خانتْهُ زوجتُهُ معْ عبيدِ قصرِهِ، فأردَ أنْ ينتقمَ مِنَ النِّساءِ كلَّهُنْ بسببِ تلكَ الخِيانةِ، فأخذَ يتزوَّجُ الواحدةَ تلوَ الأُخرَى ويقتلُهَا، حتَّى تمكَّنَتْ ابنةُ وزيرِهِ (شَهرزادُ) بإقناعِهِ بالزَّواجِ منهَا، فتزوَّجَهَا رغمَ مُعارضَةِ وزيرِهِ، خَشيةَ قتلِهَا كبقيَّةِ النِّساءِ، لكنَّهَا بحيلَتِهَا الرَّائعةِ لمْ تُقتلْ، إذْ قرَّرَتْ أنْ تحكِي للمَلكِ كلَّ ليلةٍ حِكايةً، وتتركُ نهايتِهَا المُشوّقةِ لِليلَةِ التَّاليةِ، حتَّى بلغَ مَجموعُ الحِكاياتِ ألفَ حِكايةٍ وحكايةَ، وباكتشافِ أمرِ الخِدعةِ قرَّرَ المَلكُ إبقاءَهَا زوجةً لهُ لذكائِهَا وحيلتِهَا الرَّائعةِ، فأَصبَحَتْ مَلكةَ القَصرِ[2]. وقدْ اتَّخذَ الشُّعراءُ مِنْ تلكَ الحِكايةِ مرجعًا لأشعارِهِمْ، فتناصُّوا بالحِكايةِ والمَلكِ والمَلكةِ في القَصائدِ الَّتِي تُشيرُ إلى الحِيلةِ النَّاجحةِ في الحُبِّ الَّذِي يمكثُ لياليَ طويلةٍ، عَلاوةً عَلى رَمزيَّةِ الإنقاذِ مِنَ المَوتِ المُحقَّقِ؛ لتمثِّلَ (شَهرزادُ) تلكَ الرَّمزيَّةَ الدَّالةَ على إنقاذِ النِّساءِ مِنَ الموتِ، فهذا الشَّاعرُ المِصريُّ أسامةُ فؤاد سراجِ الدِّينِ يتناصُ معْ تلكَ الحِكاياتِ الأُسطوريَّةِ، بذكرِ شَخصيَّةِ المَلكِ (شَهريارَ) والحِكاياتُ الَّتِي سمعَهَا، ونَسِيَ بسماعِهَا أنْ يقتلَ تلكَ الحَكواتيَّةَ الرَائعةَ (شَهرزادَ)، إذْ يقولُ معبِّرًا عنْ حبِّهِ لحَبيبتِهِ:

كَعَادَتِي في الْحُبِّ يَا أَمِيرَتِي

قَضَيْتُ أَلْفَ لَيْلَةٍ، وَلَيْلَةٍ

[1] سورة الحجرات، الآية رقم: ٦.

[2] ويكيبيديا، الموسوعة الحرة. على الرابط:https://ar.wikipedia.org/wiki .

(كَشَهْرَيَارَ)[1]

مُذْمِنًا.. صَوْتَكِ في صَحْوِي

وَفِي وَقْتِ النَّعَسْ[2]

فالشَّاعرُ هُنا يتناصُ باستدعائِهِ شخصيَّةِ المَلكِ (شَهريارَ) الأُسطوريَّةِ معْ زوجتِهِ (شَهرزادَ) مِنْ خلالِ قصَّةِ ألفِ ليلةٍ وليلةَ مِنَ الحِكاياتِ المُشوِّقَةِ حتَّى يَنسَى المَلكُ مَا قرَّرَهُ فِي قَتْلِ كُلِّ امرأةٍ يتزوَّجُهَا ردًّا علَى خِيانةِ زوجتِهِ الأولَى، فقدْ أبهرَتِ الأميرةُ (شَهرزادُ) مليكَهَا (شَهريارَ) بالقَصَصِ فجعلتْهُ يحبُّهَا، ويتوقَّفُ عِنْ قتلِهَا، ويقبلُ أنْ تكونَ ملكةً متوَّجةً، ويعفو عَنْ نساءِ البِلادِ، وهذا الشَّاعرُ في حبِّهِ لأميرتِهِ المَعشوقةِ ولكلامِهَا يشبهُ (شَهريارَ) في حبِّهِ (لشهرزادَ)، فقدْ أدمنَ صوتَهَا فِي صحوِهِ ونُعاسِهِ، فلَا ينامُ حتَّى يسمعَهَا، وفورَ أنْ يصحوَ مِنْ نومِهِ يسمعُهَا، فكيفَ لهُ أنْ يفكّرَ في قتلِهَا بدلَ تتويجِهَا مليكةً لعرشِهِ، ومالكةً لقلبِهِ.

ثانيًا: استدعاءُ الكائناتِ الخُرافيَّةِ الأُسطوريَّةِ: لقدْ شاعَ عندَ العربِ قديمًا ذكرُ كائناتٍ خُرافيَّةٍ مِنَ الحيواناتِ والطُّيورِ:(كَالغُولِ، وَطَائِرِ الرُّخِّ، وَالعَنقَاءِ، وَغَيرِهَا)، وكانَ كلٌّ منهَا يرمزُ إلى الرُّعبِ، والضَّخامةِ، وطولِ العُنقِ المُفرِطِ، وبالتَّالِي أصبحَ الشُّعراءُ يتبارونَ فِي ذكرِ هذهِ الكَائناتِ لإسقاطِهَا على شَخصيَّاتٍ مُعيَّنةٍ، أوْ علَى أنفسِهِمْ مِنْ بابِ التَّرهيبِ، والتَّضخيمِ، والنُّدرةِ في الوجودِ أوِ الظُّهورِ، فهذَا الشَّاعرُ الجَاهليُّ الصُّعلوكُ (تَأبطَ شَرًّا) الشَّهيرُ بسرعَةِ العَدوِ، قدْ رأَى غولًا فراودَهَا عنْ نفسِهَا فأبَتْ فقتلَهَا، وهذا الشَّاعرُ الجَاهليُّ (عبيدُ بنُ أيوبٍ العَنبَري) أحدُ لُصوصِ العَربِ يدَّعِي أنَّهُ رأَى الغُولَ، وقدْ أوقدَتْ حولَهُ نارًا، وأصدَرَتْ صوتًا مرعبًا، ففرَّ منهَا يعدُو بعيدًا، ولمْ تستطِعِ اللَّاحقَ بهِ، وهوَ بهذا يكشفُ عنْ سرعتِهِ في العَدوِ، وتمكُّنِهِ مِنْ إنقاذِ نفسِهِ مِنَ غَضبِ الغُولِ[3]، إذْ يقولُ:

---

[1] سراج الدين، أسامة فؤاد. ٢٠١٨. قصيدة ألف ليلة وليلة. على الرابط: https://osamapoems.com..

[2] المصدر نفسه.

[3] داود، أنس. الأسطورة في الشعر المعاصر. ص١٩.

فَلِلّهِ دَرُّ الْغُـــولِ أَيُّ رَفِيْقَةٍ لِصَاحِبٍ فَفَرَّ فِي الْمَهَامِهِ يُذْعَرُ[1]

أَرَنَّتْ بِلَحْنٍ بَعْدَ لَحْنٍ وَأَوْقَدَتْ حَـوْالِيَ نِيـْرَانـًا تَلُــوحُ وَتـُــزْهِرُ[2]

فالشَّاعرُ هُنا استدعَى في تناصّهِ كائنًا أُسطوريًّا هوَ **(الغُولُ)** للإشارةِ إلى تلكَ الكَائنِ المُرعبِ، ورغمَ ذلكَ تمكَّنَ منَ الفِرارِ مِنْ غضبِهِ بسرعةٍ عدوِهِ، وشجاعتِهِ، وقدْ أثبَتَ قوَّةَ هذا الكَائنِ المُرعبِ مِنْ خلالِ قيامِهِ بأمورٍ خَارقةٍ، فالصَّوتُ مرعبٌ يأتِي بلحنٍ عالٍ مزعجٍ متكرّرٍ، ويُشعلُ نيرانًا كالتِّنينِ، ذلكَ الكَائنُ الأُسطوريُّ فِي تُراثِ الشَّعبِ الصِّينِي.

أمَّا الكائنُ الثَّانِي فهوَ (طَائرُ الرُّخِّ الأُسطورِي) العِملاقِ، الَّذِي يُعَدُّ رمزًا للقُوَّةِ المُفرِطَةِ، والهُجومِ المُدمَّرِ على الكَائناتِ الحَيَّةِ وعلَى رأسِهَا الإنسانُ، فهوَ يُشيرُ إليهِ بالطَّائرِ الإلهِي الغَاضبِ[3]، إذْ يقولُ الشَّاعرُ السُّودانِي مُحمَّدٌ الفَيتورِي في ذلكَ الطَّائرِ الأُسطوريّ:

وَيُدمِّرُها وَيَقُولُ

بَعدَ قَلِيلٍ ...

يَهبطُ الرُّخُّ الْإِلَهِي عَلَى الشَّوَارِعِ الْحَزِينَةِ

وَيَعْدِمُ الرِّجَالَ فِي أَرْوِقَةِ الْمَدِينَةِ

يُدْخِلُ كُلَّ رَجُلٍ حِذَاءَهُ الْعَتِيقَ

أَوْ صُنْدُوقَهُ الْأَجْوَفَ

أَوْ فَرْوَتَهُ الْمُبَقَّعَةَ

أَوْ يَسْتَحِيْلُ ضِفْدَعَةً

---

[1] شعراء أمويون. ص٢٢٢. تح: نوري حمودي القيسي. ساعدت جامعة بغداد في طبعه. ط١. ١٩٧٦م.

[2] المسعودي، علي بن الحسين. مروج الذهب ومعادن الجوهر. ج١. ص٢٥٣.

[3] ياحي، خيرة ودني، علي. التناص الأسطوري في شعر محمد الفيتوري (آلية الاستدعاء أنموذجا). جامعة الأغواط. الجزائر. مجلة اللغة العربية.. ص٢٧٣-٢٩١. مج٢٥، ع٣. السنة الثالثة. ٢٠٢٣م.

تَجْلِبُ الْعُيونَ إِلَى انْبِهَارِ

عَبْرَ فَرَاغِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ[1]

يتناصُ الشَّاعرُ هُنا مِنْ خلالِ استدعاءِ كائنٍ أسطوريٍّ مرعبٍ، إنَّهُ طائرُ الرُّخِّ الإلهِي العِملاقِ، ذلكَ الطَّائرُ المُدمِّرُ، يأتِي إلى المَدينةِ المَغضوبِ عليهَا، لأنَّهَا ظالمةٌ، فيعدمُ الرِّجالَ، ولا يُبقِى في المَدينةَ كائنًا إلَّا وأحالَهُ أثرًا بعدَ عينٍ، ممَّا يجعلِ العيونَ تنبهرُ مِنْ شدَّةِ الفَزعِ، ويصبحُ اللَّيلُ والنَّهارُ فارغينِ مِنْ كُلِّ شَيءٍ.

أمَّا الكَائنُ الأُسطوري الثَّالثُ فهوَ (العَنقاءُ)، ذلكَ الكائنُ الَّذِي نصفُهُ نَسرٌ ونصفُهُ الآخرُ أسدٌ، إذْ يتَّخذُ رمزَ المَلكينِ، الأسدُ ملكُ الحَيواناتِ، والنَّسرُ مَلكُ الطُّيورِ، فيجمعُ قوَّةَ الاثنين معًا، وضخامتهِمَا، وشراسَتِهِمَا، وقدْ كانَتِ العَنقاءُ في ذكراةِ العربيِّ إحدَى المُستحيلاتِ الثَّلاثةِ، وهيَ:(الغُولُ، وَالْعَنقَاءُ، وَالْخِلُّ الْوَفِيُّ)، وكلُّهَا تدلُّ على الإهلاكِ والهَلاكِ والنُّدرةِ، وقدْ تناولَ عددٌ منَ الشُّعراءِ رمزَ العَنقاءِ للدَّلالةِ على القُوَّةِ المُفرِطةِ، والشَّراسةِ القَاتلةِ، والحُضورِ المُرعبِ، ومِنَ الشُّعراءِ:(شفيق معلوف، ومحمود درويش، وغيرِهِمَا)، فقدْ ذكَروا العَنقاءَ وفرخَهَا الصَّغيرَ الفَينيقِ[2]، إذْ يقولُ الشَّاعرُ اللّبنانِي المَهجَري شَفيق معلوف ذاكرًا كائناتٍ أُسطوريَّةٍ عدَّة، مِنْ بينِهَا العَنقاءُ وفرخُهَا الفِينيقُ:

مَـا عَجَبِي لِفَيْنَقٍ مُـوْقِدٍ لِنَفْسِـهِ النَّـارَ عَلَى الْمِحْرَقَهْ

وَلَا لِرُخٍّ رَأْسُـهُ فِي الْعُلَى وَرِجْلُـهُ عَلَى الثَّـرَى مُوَثَّقَهْ

وَلَا لِعَنْقَـاءَ وَقَـدْ أَمْعَنَتْ فِي نَوْمِهَا الدَّهْرِيِّ مُسْتَغْرِقَهْ

بَلْ لِطِيُوْرٍ مِثْلِهَا ضَخْمَةٍ أَوْكَـارُهَـا الْجَمَـاجِمُ الضَّيِّقَهْ[3]

---

[1] الفيتوري، محمد. ١٩٧٩. ديوان محمد الفيتوري. م٢. ص١٢١.

[2] الجبر، خالد عبد الرؤوف.. رمز العنقاء في شعر محمود درويش. جامعة البتراء، عمان. الأردن. مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، م٩. ع٢. ٢٠١٢. ص١١٣٧– ١١٨٤.

[3] معلوف، شفيق. ديوان عبقر (شعر ١٩٣٦). ص٢٦٩–٢٧٠. دار الطباعة والنشر العربية. منشورات العصبة الأندلسية. سان باولو. البرازيل. ط٣. ١٩٤٩م.

فهُنا ذكرَ فرخَ العَنقاءِ الصَّغيرَ الفِينيقَ الَّذِي يُوقدُ النَّارَ ليحرقَ نفسَهُ، والعَنقاءَ الَّتِي تبدُو نائمةً، ومعْ ذلكَ فهيَ تُرعبُ مَنْ يراهَا، وطائرُ الرُّخِّ الضَّخمُ، فرأسُهُ في السَّماءِ، ورجلُهُ مُقيدةٌ في تُرابِ الأرضِ، فقدْ أرادَ بتناصِّهِ معْ هذهِ الكَائناتِ الأُسطوريَّةِ إرسالَ رِسالةٍ مفادُهَا أنَّ تلكَ الكَائناتِ الضَّخمةَ المُرعبةَ قدْ تراهَا أحيانًا عاجزةً مُستكينةً، لأنَّ هناكَ مَنْ هوَ أقوى مِنهَا يتحكَّمُ فيهَا، فيجعلُهَا قادرةً حينًا، وعاجزةً حينًا آخرَ، وهيَ رسالةٌ إلى الإنسانِ المُتكبِّرِ المُتجبِّرِ أنْ يتواضعَ، فقدْ يأتِي عليهِ يومًا يكونُ فيهِ مثلَ هذهِ الطُّيورِ الضَّخمةِ القَادرةِ، ولكنَّهَا بدَتْ عاجزةً في لحظةَ مَا؛ لأنَّ اللهَ الأقوى منهَا أرادَهَا كذلكَ، فكذلكَ العِبرةُ والمَوعظةُ.

ثالثًا: مظاهرُ الكَونِ والطَّبيعةِ الأُسطوريَّةِ: يتحدَّثُ الشُّعراءُ عنْ مظاهرِ الكَونِ والطَّبيعةِ، متخيّلينَ أماكنَ في الأرضِ والسَّماءِ، كجزُرٍ بعيدةٍ في أرضٍ لمْ تطأْهَا قدمُ إنسانٍ، قيلَ عنهَا إنَّهَا جزرُ (الواق واق)؛ لأنَّ أشجارَهَا لهَا ثمارٌ كرؤوسِ النِّساءِ، ولهَا أصواتٌ كأصواتِ النِّساءِ إذَا داعبَتْهَا الرِّيحُ، وذكرُوا الأبراجَ في السَّماءِ وأسقطوهَا عَلى تواريخِ المِيلادِ لكلِّ إنسانٍ، وربطُوا حياتَهُ بهَا، فكانَ ذلكَ كلُّهُ مِنْ وحي الخَيالِ والأسطورةِ، هدفُهُ نقلُ الإنسانِ إلى عالمٍ ما بعدَ الحَياةِ، وفي شيءٍ مِنْ إنكارِ البَعثِ والجَنَّةِ والنَّارِ، أوِ الإتيانِ ببديلٍ أرضيٍّ أوْ سماءَ أُخرَى[1]، وهذا كثيرٌ مَا يتردَّدُ في الكِتابِ المُقدَّسِ، إذْ وردَتْ عِباراتٌ تدلُّ علَى تلكَ الخَوارقِ والخَيالاتِ، ففِي الإصحاحِ الثَّالثَ عشرَ مِنْ رُؤيَا يُوحنَا اللَّاهُوتِي تقولُ العِبارةُ:**(ثُمَّ وَقَفْتُ عَلى رَملِ البَحرِ، فَرَأيْتُ وَحشًا طَالِعًا مِن البحرِ لَهُ سَبعةُ رُؤوسٍ وَعَشرةُ قرونٍ، وعِلِى قُرونِهِ عَشرةُ تِيجَانٍ، وَعَلى رُؤُوسِهِ اسمُ تَجدِيفٍ)**[2] فهُنا يتحدَّثُ عنْ وحشٍ خرجَ مِنَ البحرِ لهُ سبعةُ رؤوسٍ وعشرةُ قرونٍ، وعلى كلِّ قرنٍ عشرةُ تيجانٍ، فهوَ حَيوانٌ لمْ نعهدْهُ مِنْ قبلُ، ولمْ تذكرْهُ إلَّا كُتُبُ الأساطيرِ والخَيالاتِ، وهذا يدلُّ علَى أنَّ الكِتابَ المُقدَّسَ يتحدَّثُ عنْ عالمٍ مِنَ الخَيالِ غيرِ موجودٍ، ولا يتحدَّثُ عنْ يومِ القِيامةِ ومَا بعدَهَا مِنْ جَنَّةٍ ونارٍ. ويبقَى الأمرُ موقوفًا في عالمِ الغَيبِ على مَا جاءَ في كِتابِ اللهِ _ عزَّ وجلَّ _ الَّذِي تعهَّدَ اللهُ بحفظِهِ مِنْ كُلِّ تَحريفٍ وتبديلٍ، ويظلُّ عالمُ الشُّعراءِ الأُسطورِي يقفُ بينَ مَا هوَ ضِمنُ حدودِ

[1] داود، أنس. الأسطورة في الشعر العربي الحديث. ص٢٢١-٢٢٢.

[2] الكتاب المقدس. العهد الجديد. سفر الرؤيا. الإصحاح الثالث عشر. رؤيا يوحنا اللاهوتي. ١٣: ١.

المَعقولِ الَّذِي لا تجاوزَ فيهَ على حقّ اللهِ في الخَلقِ والتَّكوينِ، ومَا يمكنُ أنْ يكونَ متقاربًا معْ خلقِ اللهِ تعالَى، فهوَ خلقُ اللهِ، ولكنْ خلقَهُ بهيئةٍ تكادُ تكونُ مذهلةً، فخلقُ الإنسانِ نفسِهِ فيهِ مِنَ التَّعقيدِ مَا فيهِ مِنْ تَجاوزٍ للخَيالِ، وكذلكَ فِي بلادِ اللهِ الواسعةِ، هناكَ أماكنُ لا يكادُ يتصوَّرُهَا العقلُ لدقَّةِ صنعِهَا ومشهدِهَا، وهذا كلُّهُ جزءًا مِنْ خلقِ اللهِ وفضلِهِ على النَّاسِ، وليسَ مِنْ خلقِ الطَّبيعةِ، ولَا الآلهةِ الَّتِي ذكرَهَا بعضُ الشُّعراءُ الَّذِينَ لمْ يعترفُوا بوجودِ اللهِ تعالَى، ولذلكَ نُشيرُ إلى ما وردَ مِنْ صُنعِ اللهِ[1]، ولكنَّ الشُّعراءَ ضخَّمُوهُ وصوَّروهُ بصورةٍ أكبرَ وأعظمَ، كقولِ الشَّاعرةِ شيماءَ باسيدٍ في قصيدتِهَا الحُرَّة **(بلادُ الواقْ واقْ)**:

فِي بِلَادِ (الْوَاقْ وَاقْ)

خَفَافِيْشُ الظَّلَامِ تَحُومُ فِي الْأَرْجَاءِ

تُرْغِمُنَا أَنَّ نُنْكِرَ الْأَوْضَاعَ

أَنْ نَكْتِمَ الْحُزْنَ فِي عُيُونِنَا

أَنْ نَكْتِمَ الْأَوْجَاعَ

لَكِنْ إِلَى مَتَى؟![2]

فبلادُ (الواقْ واقْ) اختلفَ المُؤرِّخونَ في موقِعِهَا، فقيلَ: إنَّهَا جزرٌ فِي الأرخبيلِ الأُندونيسِي، وقيلَ: إنَّهَا مِنْ وحي الخَيالِ، ولا وجودَ لهَا، بلْ صنعتْهَا مُخيَّلةُ الشَّاعرةِ[3]. وهُنا تناصَّتِ الشَّاعرةُ معْ حالةِ التِّيهِ والضَّياعِ والألمِ الَّتِي تعيشُهَا في وطنِهَا المُسلوبِ، وكأنَّهَا تَعيشُ فَي وطنٍ مِنَ وحَي الخَيالِ، أوْ أرضًا لا تعرفُهَا، وتشعرُ أنَّهَا في نومِهَا تَعيشُ كابوسًا مؤلمًا، وتسألُ نفسَهَا إلى مَتى سَيبقَى الحَالُ هكذَا؟! ودائمًا ما يهربُ الشَّاعرُ إلى الخَيالِ عندَمَا

[1] داود، أنس. الأسطورة في الشعر العربي الحديث. ص٤٩٩.

[2] باسيد، شيماء صالح. ٢٠١١م. بلاد الواق واق (شعر). موقع عدن الغد. على الرابط: https://www.adengad.net/news/5045.

[3] بلاد الواق واق. جزر خيالية أم أندونيسية. على الرابط: https://ar.wikipedia.org/wiki.

يشعرُ بالألمِ الشَّديدِ في موطنِهِ حتَّى لا يُصدِّقُ الوقائعَ الصَّعبةَ، ويحسبُهَا مِنَ الخَيالِ، أوْ إنَّهَا لا تَحدثُ إلَّا في كوابيسِ النَّومِ العَميقِ.

أمَّا الظَّاهرةُ الثَّانيةُ منْ ظواهرِ الكَونِ الواقعةِ بينَ الوجودِ واللَّاوجودِ فهيَ الأبراجُ، وتُعرَّفُ بأنَّهَا دراساتٌ علميَّةٌ للأَجرامِ السَّماويَّةِ وعلاقتِهَا بالنُّجومِ، وعلاقتِهَا بميلادِ النَّاسِ، وما يربطُهُ المُنجّمونَ بحياةِ النَّاسِ مِنْ خِلالِ رَبطِ تواريخِ المِيلادِ بالفَترةِ الزَّمنيَّةِ الَّتِي وقعَ فيهَا البُرجُ فِي حدودِ النَّجمِ أوِ الجُرمِ السَّماوَي، لذلكَ سُمِّى هذا العِلمُ بعلمِ التَّنجيمِ، وقدْ تمَّ تقسيمُ الأبراجِ إلى اثني عشرَ برجًا بعددِ شُهورِ السَّنةِ، بحيثُ يقعُ البرجُ في حدودِ منتصفِ الشَّهرِ الأوَّلِ حتَّى مُنتصفِ الشَّهرِ الثَّانِي على وجهِ التَّقريبِ، ويستخدمُهَا العَرَّافونَ والمُنجّمونَ في دِراسةِ تأثيرِ تلكَ الأبراجِ في حَياةِ النَّاسِ، وينقسمُ النَّاسُ إلى مُؤمنٍ بِها، أوْ مُتشكّكٍ، أوْ مُنكرٍ، ولكونِهَا مِنْ عالمِ الغَيبِ، فيبقَى الإيمانُ بهَا مَنوطًا بمَا جاءَ في كِتابِ اللهِ تَعالى، فإنْ ذُكرَت في كتابِ اللهِ أخذْنَا بهَا، وإنْ لمْ تُذكرْ لَا نُؤمنُ بهَا[1]. وإنْ وجدَتْ هذهِ الأبراجُ أوِ البُروجُ في السَّماءِ فإنَّهَا حتمًا لا تُؤثّرُ في حياةِ النَّاسِ وهذا ما نَقفُ عليهِ، ففِي سورةِ البُروجِ إشارةٌ إلى وجودِهَا، ولكنْ لمْ تُشرِ الآيةُ إلى تأثيرِ تلكَ البُروجِ فِي حياةِ النَّاسِ، إذْ يقولُ تعالَى:"**وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (٣)**"[2] فاللَّهُ تعالَى يُقسِمُ بالسَّماءِ الَّتِي تتصفُ بوجودِ البُروجِ فيهَا، والبُروجِ حسبَ تفسيرِ ابنِ كَثيرٍ هيَ النُّجومُ، وهيَ مشاهدةٌ بالْعينِ حقيقةً في السَّماءِ أثناءَ اللَّيلِ[3]، كمَا اختلفَتْ بعضُ التَّفاسيرِ فِي ذكرِ البُروجِ، ولكنَّ الرَّاجحَ أنَّهَا النُّجومُ كونُهَا مُشاهدةٌ بالعَينِ المُبصرةِ.

وأشارَ الشُّعراءُ إلى الأبراجِ بمَا يضعُهَا في مَصبِّ الأُسطورةِ، وربطِهَا بحَياةِ الإنسانِ، إذْ يقولُ الشَّاعرُ اللّبنانِي أدونيسُ:

حَائِرٌ وَلِيْ لُغَةٌ تَهْدُرُ مَخْنُوْقَةً وَلِيْ أَبْرَاجٌ

[1] موقع مسبار. ٢٠٢١. على الرابط: https://misbar.com/qna/2021/08/14.

[2] سورة البروج. الآيات من: ١-٣.

[3] ابن كثير، إسماعيل بن عمر. تفسير القرآن العظيم المعروف بتفسير ابن كثير. ج ٨. ص٣٦٣.

حَائِرٌ أَصْلُبُ النَّهَارَ وَيُغْوِينِي رُعْبٌ فِي صُلْبِهِ وَهِيَاجٌ

سَأَبْدَأُ، لَكِنْ أَيْنَ؟

مِنْ أَيْنَ؟ كَيْفَ أُوَضِّحُ نَفْسِي؟ وَبِأَيِّ اللُّغَاتِ؟[1]

فهُنا يتناصُ الشَّاعرُ معْ عالمِ الأُسطورةِ الخَفِيّ، عالمِ الأبراجِ الَّذِي يُؤثِّرُ في حَياةِ النَّاسِ، والشَّاعرُ هُنا ممَّنْ تأثَّرُوا بهِ، فقدْ آمنَ بِهِ، ولكنَّهُ معْ ذلكَ يسيرُ علَى غيرِ هُدًى، فأينَ يَذهبُ؟ وبأيِّ اللُّغاتِ يوضِّحُ نفسَهُ، وكأنَّهُ يطلبُ منَ الأبراجِ والنُّجومِ أنْ تُساعدُهُ وتدلُّهُ حتَّى يَخرجَ مِنْ تيهِ حياتِهِ، وتفسيرِ ذاتِهِ[2]، ثمَّ يُردفُ قائلًا:

أَمْشِي إِلَى ذَاتِي

إِلَى الْغَدِ الْآتِي

أَمْشِي وَتَمْشِي خَلْفِي الْأَنْجُمُ

يَا تَقَادِيْرَنَا عَلَى الْأَرْضِ، عَيْنُ الْأَرْضِ تَاهَتْ

فَغَيِّرِي الْأَشْيَاءَ[3]

فهنَا يتناصُ معِ النُّجومِ فِي عالمِ الأُسطورةِ المُتعلِّقةِ بتأثيرِ النُّجومِ فِي السَّماءِ عَلى السَّاكنينَ في الأرضِ، فالنُّجومُ تَسيرُ خلفَهُ وتراقبَهُ، وتؤثِّرُ في تحرُّكَاتِهِ، ثمَّ يخاطبُ الأقدارَ الأرضيَّةَ، مدَّعيًا توهانَهَا في التَّأثيرِ الإيجابِي في حَياتِهِ، ويطلبُ منهَا أنْ تُغيِّرَ الأشياءَ لصالِحِهِ، فهوَ

[1] أدونيس، علي أحمد سعيد. الأعمال الشعرية الكاملة (المسرح والمرايا). دار العودة. بيروت. مج٢. ص٣٩٥. ط٢. ١٩٨٨م.

[2] التومي، منجية. التناص الأسطوري في شعر أدونيس. ص٩٠. المعهد العالي لعلوم التربية بقفصة. تونس. مجلة بدايات. مج٤. ع١. ص٨٦- ٩٦. ٢٠٢٢م.

[3] أدونيس، علي أحمد سعيد. الأعمال الكاملة. قصائد أولى (أبجدية ثانية). دار طوبقال للنشر. الدار البيضاء. المغرب. مج١. ص٤٤-٤٧. ١٩٩٤م.

يعيشُ معركةً في نفسَهَ بينَ تأثيرَ النُّجومِ فِي السَّماءِ، وتأثيرِ الأقدارِ فِي الأرضِ[1]، وهَذا العَالمُ الأُسطورِيُّ يتنافَي معْ قَدرِ اللهِ المُتحكّمِ في الذَّاتِ البَشريَّةِ والأرضِ والسَّماءِ.

[1] التومي، منجية. التناص الأسطوري في شعر أدونيس. ص٩١..

الفَصلُ الثَّالِثُ

مَشَاهِدٌ مِنَ التَّناصِ بِأَنْواعِهِ فِي شِعرِ يُوسُفِ النَّبهَانِي

تَوطِئَة

أغراضُ الشِّعرِ عندَ يُوسُفِ النَّبهَانِي

أوَّلًا: المَحامدُ الإلهيَّةُ

ثانيًا: المَدائحُ النَّبويَّةُ

ثالثًا: الشِّعرُ الصُّوفِي

رابعًا: الشِّعرُ القَصَصي

خامسًا: المَدحُ للصَّحابةِ وأولياءِ اللهِ الصَّالحينَ.

سادسًا: الهِجاءُ لليهودِ والنَّصارَى ودُعاةِ الإصلاحِ الدِّينِي مِنَ المُسلمينَ.

المبحثُ الأَوَّلُ: التَّناصُ الدِّينِي فِي شِعرِ يُوسُفِ النَّبهَانِي.

المبحثُ الثَّانِي: التَّنَاصُ الأَدَبي فِي شِعرِ يُوسُفِ النَّبهَانِي.

المبحثُ الثَّالثُ: التَّناصُ التَّاريخِي فِي شِعرِ يُوسُفِ النَّبهَانِي.

المبحثُ الرَّابعُ: التَّناصُ التُّراثِي (الشَّعبِي) فِي شِعرِ يُوسُفِ النَّبهَانِي.

المبحثُ الخَامسُ: التَّناصُ الإيقَاعِي فِي شِعرِ يُوسُفِ النَّبهَانِي.

الفَصلُ الثَّالثُ

مَشَاهدُ مِنَ التَّنَاصِ بِأَنْواعِهِ فِي شِعرِ يُوسُفِ النَّبهَانِي

تَوطِئَة

تناولَ يوسفُ النَّبهانِي العديدَ مِنْ أغراضِ الشِّعرِ الَّتِي تركّزُ علَى الجَانبِ الدِّينِي، بناءً على دعوتِهِ الصُّوفيَّةِ، إذْ أكثرَ مِنَ المحَامدِ الإلهيَّةِ، والمَدائحِ النَّبويَّةِ، والشِّعرِ الصُّوفِي، والشِّعرِ القَصَصِي، والمَديحِ للصَّحابةِ والتَّابعينَ وأولياءِ اللهِ الصَّالحينَ، ومشايخةِ عصرِهِ ممَّنْ تتلمذَ علَى أيديهِمْ، علاوةً علَى الأغراضِ غيرِ الدِّينيَّةِ كالهِجاءِ لليهودِ والنَّصارَى وحركاتِهِم التَّبشيريَّةِ ومدارسِهِم، وممَّنْ عارضَهُم مِنْ دُعاةِ الإصلَاحِ الدِّينِي، أمثالِ: مُحمَّد رَشيد رِضَا، ومُحمَّد عبدُه، وجَمالِ الدِّينِ الأفغانِي، وأغراضٍ شعريَّةٍ أخرَى: كالحَنينِ إلى الوطنِ، والشَّكوَى والألمِ لحالِ المُسلمينَ في آخرِ عهدِ الخِلافةِ العثمانيَّةِ، إذْ تكالبَتْ عليهِم أُممُ الغَربِ والشَّرقِ، واقتسمُوا بلادَهُم ونهبُوا خيراتِهَا، وخاصَّةً فلسطينَ، ومصرَ، وسوريَّا، كمَا كانَتْ لهُ بعضُ قصائدِ المَدحِ للقادةِ بغرضِ التَّكسُّبِ المَالِي أوِ الإشادةِ بمَواقفِهِم البُطوليَّةِ، وأخيرًا كانَتْ لهُ مساهمَاتٌ في المُساجلاتِ الشِّعريَّةِ الَّتِي كانَتْ تُعقدُ في مَجالسِ الشِّعرِ والدَّعوةِ والذِّكرِ[1].

أغراضُ الشِّعرِ عندَ يُوسُفِ النَّبهَانِي

أَوَّلًا: الْمَحَامِدُ الإِلَهيَّةُ: ويُقصدُ بهَا القَصائدُ الَّتِي تَذكرُ صفاتِ اللهِ وأسمائِهِ ونعمِهِ، مثلُ: قصيدةِ المزدوجةِ الغَرَّا في الاستعانةِ بأسماءِ اللهِ الحُسنَى[2]، وقدْ افتتحَهَا بقولِهِ:

بِـاسْمِ الْإِلَـهِ وَبِـهِ بَدَيْنَا وَلَمَّـا عَبَدْنَا غَيْرَهُ شَقِيْنَا

يَا حَبَّذَا عَبْدًا وَحَبَّ دِيْنَا وَحَبَّـذَا مُحَمَّدًا هَـادِيْنَا

لَـوْلَاهُ مَـا كُنَّـا وَلَا بَـقِيْنَا[3]

---

[1] ماضي، عيسى. يوسف النبهاني الشاعر الفلسطيني الرائد. ج٢. ص٥١٠.

[2] المصدر نفسه. ص٥١١.

[3] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. ديوان يوسف النبهاني. ص١٣٨-١٤١.

ثَانيًا: الْمَدَائِحُ النَّبَويَّةُ: وهيَ قصائدُ طويلةٌ في مدحِ الرَّسولِ ﷺ وتعدادِ مناقبِهِ وبطولاتِهِ وغزواتِهِ وعباداتِهِ وكلِّ ما يتعلَّقُ بِهِ، إذْ نسجَ الشِّعرَ في مدحِهِ وحتَّى مدحَ نعلَهُ، وجمعَ أشعارَ السَّابقينَ لهُ مِنَ الشُّعراءِ الَّذِينَ مدحوهُ في سِلسلةِ مجلَّداتٍ بلغَتْ أربعةَ مجلَّدَاتٍ، سمَّاهَا المَجموعةَ النَّبهانيَّةَ فِي المَدائحِ النَّبويَّةِ[1]، وممَّا قالَهُ في مدحِهِ ﷺ:

سَيِّدِي يَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الْمَلَاذُ يَا حَبِيْبَ اللهِ يَا خَيْرَ رَسُوْلٍ[2]

وقْد تزاحمَتِ الأقلامُ والصُّحفُ، نثرًا وشعرًا، في تناولِ سيرةِ المُصطفَى ﷺ منذُ بعثتِهِ حتَّى يومِنَا هَذا، وتصدحُ بالحَقِّ الَّذِي جاءَ بِهِ، وترفدُ بلغتِهَا العُليَا ما يَجبُ أنْ يُقالَ في خيرِ الرِّجالِ، وقدوةِ الأبطالِ، فكانَتِ المَدائحُ الَّتِي بدأَتْ معِ انطلاقِ الدَّعوةِ في مكَّةَ المكرمةَ، وبلغَتِ الآفاقَ مِنْ لحظةِ إقامةِ الدَّولةِ الأولَى فِي المَدينةِ المُنورةِ حتَّى يومِنَا هذا، ومَا زالَ الكبارُ والصِّغارُ مِنَ المُسلمينَ يمدحونَهُ ﷺ شعرًا ونشيدًا ونثرًا، ومَا قولُ الشَّاعرِ حسَّانَ بنِ ثابتٍ _ رَضِيَ اللهُ عنهُ _ إلَّا واحدًا مِنْ خيرِ مَا قيلَ فِي وصفِهِ ومدحِهِ:

وَمَا فَقَدَ المَاضُونَ مِثْلَ مُحَمَّدٍ وَمَا مِثْلُهُ حَتَّى القِيَامَةِ يُفْقَدُ[3]

وتتطوَّرُ المَدائحُ النَّبويَّةُ والبُكائياتُ الَّتِي لا تتوقَّفُ علَى خيرِ خلقِ اللهِ ﷺ، علَى مدارِ سَنواتِ ازدهارِ الأدبِ العَربي قديمًا وحديثًا ومعاصرًا، ويتبارَى الشُّعراءُ والمُدَّاحونَ والمُنشدونَ في مدحِهِ ﷺ، ويتناصَّون الأشعارَ والأقوالَ الَّتِي نالَتْ إعجابَ المُحبِّينَ فيكرِّرونَهَا فِي أشعارِهِم منذُ عهدِ حسَّانَ بنِ ثابتٍ، وكعبِ بنِ زهيرٍ _ رَضِيَ اللهُ عنهُمَا _، وقدْ وصفَ كعبٌ الرَّسولَ ﷺ ومدحَهُ واعتذرَ منهُ وأعلنَ إسلامَهُ فِي قصيدتِهِ الشَّهيرةِ (بَانَتْ سُعَادُ)، الَّتِي قالَ فيهَا:

إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ مَسلُولٌ[4]

---

[1] ماضي، عيسى. يوسف النبهاني الشاعر الفلسطيني الرائد. ج٢. ص٥١٣.

[2] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. ديوان يوسف النبهاني. ص٢٨٠.

[3] حسان بن ثابت الأنصاري. ديوان حسان بن ثابت الأنصاري. ص٦٣.

[4] كعب بن زهير. ديوان كعب بن زهير. ص٦٧.

ثَالِثًا: الشِّعرُ الصُّوفِي: عرَّفَ الأميرُ عبدُ القَادرِ الجَزائري (ت:١٨٨٣م) الصُّوفيَّةَ أوِ التَّصوُّفَ بأنَّهُ:**(جِهادُ النَّفسِ فِي سَبيلِ اللهِ، أيْ لِأجلِ مَعرفةِ اللهِ، وإدخَالِ النَّفسِ تَحتَ الأَوَامرِ الإلهيَّةِ وَالإذعَانِ لِأَحكامِ الرُّبُوبيَّةِ لَا شَيءَ آخرَ فِي سَبيلِ مَعرفةِ اللهِ تَعَالَى)**[١]، وجاءَتْ علاقةُ الشِّعرِ بالتَّصُّوفِ مِنْ بابِ التَّأثُّرِ العَاطفِي والرُّوحِي، فالنَّصُّ الصُّوفِي في روحانيَّتِهِ كالنَّصّ الشِّعري فِي عاطفتِهِ وخيالِهِ، ومِنْ هُنا جاءَ التَّأثُّرُ والتَّأثيرُ بينَ الشِّعرِ وظاهرةِ التَّصوُّفِ الَّتِي انطلقَتِ بالشِّعرِ الصُّوفِي مِنْ زمنِ الإمامِ الحَسنِ البَصْري المُعتكفِ فِي مسجدِهِ في البَصرةِ حتَّى وفاتِهِ، فالحياةُ الصُّوفيَّةُ تعنِي هُجرانَ الدُّنيَا ومَا فيهَا والإقبالَ على اللهِ تعالَى، بتدارسِ قرآنِهِ وعلومِهِ وأحاديثِ رسولِهِ ﷺ[٢]، لذلكَ عُرِّفَ الشِّعرُ الصُّوفِي بأنَّهُ:**(الشَّعرُ الوجْدَانِي الرَّوحَانِي المُستَفِيضُ فِي التَّعبيرِ عنِ الحُبِّ الإلهَي الكَبيرِ، ومُناجاتِهِ فِي أغلبِ الأَوقاتِ، وَالاسترسالِ فِي الخَيالِ وَالتَّفكيرِ فِي مَلكوتِ اللهِ تَعالَى)**[٣]، وقدْ اشتُهرَ مِنَ الشُّعراءِ الصُّوفيينَ الشَّاعرةُ المِصريَّةُ رابعةُ العَدويَّةُ، والشَّاعرُ العِراقِي الحُسينُ بنُ منصورٍ الحَلَّاجِ، والشَّاعرُ المِصري أبو حفصٍ شرفُ الدِّينِ بنِ الفَارضِ (سُلطانُ العَاشِقينَ فِي الحُبِّ الْإِلَهِي)[٤]، وجاءَ الشَّاعرُ الصُّوفِي الشَّيخُ يوسُفُ النَّبهانِي متأخِّرًا في العَصرِ الحديثِ، إذْ صارَ علَى خُطى القَدامَى فِي شعرِهِ الصُّوفِي الَّذِي عبَّرَ فيهِ عنْ حُبِّ الذَّاتِ الإلهيَّةِ، ومِنْ ذلكَ قولُهُ:

اللهُ يَـــا وَرِاثُ أَنْـــتَ الأَبَـــدُ اللهُ يَا بَـاعِثُ أَنْتَ الأَحَدُ
يَا مَالِكَ المُلكِ الإِلَهِ الصَّمْدِ لَا كَفُـــؤٌ لَا وَالِـــدٌ لَا وَلَدُ

كُـفَّ العِـــدَا عَنَّـــا فقَـدْ أُوْذِينَا[٥]

---

[١] السيد، فؤاد صالح. الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا. ص١١٥. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر. ١٩٨٥م.

[٢] الخطيب، علي. اتجاهات الشعر الصوفي بين الحلاج وابن عربي. ص٢١. دار المعارف. القاهرة. ١٤٠٤هـ.

[٣] منصور، إبراهيم محمد. الشعر والتصوف (الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر). ص٢٧. دار الأمين. القاهرة. ط١. ١٩٩٥م.

[٤] جودت، نصر عاطف. ٢٠٠٢م. الرمز الشعري في الصوفية. ص٣٣٩. دار الأندلس ودار الكندي. بيروت. ط١. ١٩٧٨م.

[٥] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. ديوان يوسف النبهاني. ص١٤٠-١٤١.

إذْ نُلاحظُ في شعرِهِ تأثُّرَهُ بالقُرآنِ الكريمِ تأثُّرًا مُباشرًا مِنْ خلالِ الإشارةِ إلى آيَاتِ اللهِ تعالَى الَّتِي تتحدَّثُ عنْ كمالِ اللهِ تعالَى وذاتِهِ ووحدانيَّتِهِ، ومُلكِهِ الَّذِي لا يَحدُّهُ مُلكٌ.

رَابِعًا: الشِّعرُ القَصَصَي: يمثِّلُ الشِّعرُ القَصَصي نوعًا مِنْ أنواعِ الشِّعرِ الَّذِي يتناولُهُ الشَّاعرُ علَى شكلِ سردِ وقائعَ قصيرةٍ دونَ أنْ يلتزمَ فيهَا بِعناصرِ القِصَّةِ كاملةً، إذْ يَسردُ حدثًا مَا أوْ واقعةً حدثَتْ في قديمِ الزَّمانِ ليخدمَ بهَا النَّصَّ الشِّعرِي الكَاملِ، فالشِّعرُ القَصَصي سردٌ مقتصرٌ على جزئيةٍ مِنَ القَصيدةِ بِخلافِ القِصَّةِ الشِّعريَّةِ الَّتِي تبدأُ مِنْ أوَّلِ بيتٍ إلى آخرِ بيتٍ، تسردُ الأحداثَ ملتزمةً بتفاصيلِ عناصرِ القِصَّةِ تلميحًا أوْ تصريحًا. والشِّعرُ القَصَصي قديمُ قدمَ الشِّعرِ حتَّى قيلَ أنَّ أوَّلَ ظُهورٍ للشِّعرِ كانَ قِصَصًا تُسردُ شعرًا أوْ قصَّةً يتخلَّلُهَا الشِّعرُ فيندمجُ فيهَا اندماجًا[1]، وقدْ ظهرَ الشِّعرُ عندَ الإغريقِ قديمًا بقصيدتَي الأليَاذةِ والأوديسَّةِ[2] للشَّاعرِ الإغريقِي الأُسطورِي هوميروس (ت:٩ .ق.م)، إذْ سردَ مِنْ خِلالِهِمَا ملاحمَ وبطولاتِ الإغريقِ في حُروبِهِم بينَ اليُونانيينَ والطِّرواديِّينَ وكلاهُمَا إغريقٌ ولكنَّهُمَا قبيلتانِ مُتنازعتانِ على المُلكِ[3]. وفي قصَص العربِ في الجَاهليَّةِ كذلكَ برزَ الشِّعرُ القَصَصِي، فتناولَ بطولاتِ التَّغلبيَّينَ والبَكريّينَ في حروبِهِمْ الثَّأريَّةِ علَى لسانِ شاعرِهِمْ الشَّهيرِ عمرُو بنُ كُلثومٍ صاحبُ المعلَّقةِ، والعَبسيينَ والذُّبيانيّينَ في حُروبِهِمْ مِنْ أجلِ الخَيلِ والمَاءِ والمَرعَى علَى لسانِ فارسِ العَبسيينَ عنترةَ بنِ شدَّادٍ، وقصَّةِ تغريبةِ بَنِي هلالٍ مِنْ نجدٍ

[1] عطية، وهيبة. جماليات البنية السردية والدلالية في الشعر القصصي (مقاربة سيميائية _ تأويلية لديوان الأعشى نموذجا). ص١٥٣– ١٥٥ أطروحة دكتوراة. جامعة العربي التبسي. تبسة. كلية الآداب واللغات. ط٢. ٢٠١٩م.

[2] منظومتان شعريتان طويلتان نظمهما الشاعر الإغريقي هوميروس، إذ تتكون الأليَاذة من ١٥ ألف بيتا من الشعر مقسمة إلى ٢٤ نشيدا، أما الأوديسة فتتكون من ١٢ ألف بيتا ومقسمة كذلك إلى ٢٤ نشيدا، وتسرد المنظومتان أحداث ووقائع الحروب بين اليونانيين والطرواديين.

[3] عمار، سامية. محاضرات الملاحم في الآدب القديمة. ص٩–١١. جامعة منتوري الأخوة. قسنطينة. كلية الآداب واللغات. الجزائر. ط١. ٢٠١٩م–٢٠٢٠م.

إلى بلادِ المَغربِ العَربي الَّتِي تخلَّلهُا قولُ الشِّعرِ القَصَصي علَى لِسانِ فارسِهِم (أبو زيدٍ الهِلالي)، وغيرِهَا مِنَ القَصَصِ[1].

وبرعَ _ حديثًا _ كثيرٌ مِنَ الشُّعراءِ في الشِّعرِ القَصَصيِّ كَأميرِ الشُّعراءِ أحمد شوقي في شعرِهِ القَصَصي على لسانِ البَشرِ والحَيوانِ والطَّيرِ، وأحمد مَحرم (ت:١٩٤٥م) في الأليذةِ الإسلاميَّةِ الَّتِي تناولَتِ الفُتوحاتِ الإسلاميَّةِ منذُ عهدِ رَسولِ اللهِ ﷺ حتَّى إلغاءِ الخِلافةِ العثمانيَّةِ عامَ ١٩٢٤م. والشَّاعرُ يوسفُ النَّبهَانِي الَّذِي سردَ القَصَصَ القرآنِي شعرًا، كمَا سردَ السِّيرةَ النَّبويَّةَ شعرًا كذلكَ، وتناولَ قِصَصًا أُخرَى علَى لسانِ الدُّعاةِ والمُصلحينَ، وتحدَّثَ عَنْ قِصَصِ الصُّوفيِّينَ وأولياءِ اللهِ الصَّالحينَ وكراماتِهِمْ،[2] إذْ يقولُ فِي قصيدةٍ مِنَ الشِّعر~ القَصَصي السَّردِي مِنْ سِيرةِ المُصطفَى ﷺ:

أَتَى دَاعِيـــًا فِي الْأَرْضِ للهِ وَحْدِهِ ... وَقَدْ مُلِئَتْ كُفْـرًا وَقَدْ طَفَـحَتْ شَرًّا

فَـأَيَّــدَهُ بِالنَّصْــرِ مِنْ كَثْــرَةِ الْعِدَا ... وَقَدْ سَجَرُوا نِيْرَانَ بَغْضَائِهِمْ سَجْرًا

وَعَارَضَــهُ فِي الْحَـقِّ كُفَّـارُ قَـوْمِهِ ... وَحَثُّوا إِلَى تَدْمِيـرِ دَعَـوَتِهِ السَّيْرَا

وَصَاحُوا بِهِ وَهْوَ الْهِزَبْرُ فَمَا انْثَنَى ... وَهُمْ بَقَـرٌ مِنْ خَـوْفِهِمْ جَأَرُوا جَأْرَا

وَقَدْ عَــرَفُـوْهُ صَــادِقًا غَيْـرَ أَنَّهُمْ ... أَصَــرُّوا عَلَى أَدْيَــانِ آبَائِهِمْ كِبْرًا

وَلَمْ يَبْرَحُـوا فِي ظُـلْمِهِمْ وَظَلَامِهِمْ ... إِلَى أَنْ رَأُوا مِنْهُ بِآفَـاقِ الوَغَا بَدْرًا[3]

فهذهِ الأبياتُ السَّرديَّةُ تمثِّلُ جانبًا مِنَ السَّيرةِ النَّبويَّةِ فِي مكَّةَ المُكرمةَ، إذْ لمْ يظهرِ المكانُ صراحةً في الأبياتِ سِوى إشارةٍ إلى الأرضِ، وأمَّا الزِّمانُ فلمْ يظهرْ كذلكَ ولكنَّهُ معلومٌ ضمنيًّا، بأنَّهُ في العَهدِ المَكِّي مِنَ الدَّعوةِ الإسلاميَّةِ، ولمْ يذكرِ الشَّخصيَّاتِ صراحةً، ولكنَّهَا

[1] بن قومار مليكة وبو عامر، بو علام. فن الملاحم في الآداب الأجنبية والأدب العربي (تشكيلات وتشاكلات). دراسة. كلية الآداب واللغات. جامعة غرداية. الجزائر. مجلة دراسات إنسانية واجتماعية. جامعة وهران٢. مج٩.ع٢(خاص). ص٤٥٧-٤٦٤. سنة: ٢٠٢٠م.

[2] ماضي، عيسى محمد علي. يوسف النبهاني الشاعر الفلسطيني الرائد، ج٢. ص٥١٩.

[3] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. ديوان يوسف النبهاني. ص٢٩٦-٣٠٢.

معروفةٌ، فاكتفَى بالأحداثِ والوقائعِ، وهذا هوَ الشِّعرُ القَصَصي الَّذِي يختلفُ عنِ القِصَّةِ الشِّعريَّةِ الَّتِي تظهرُ فيهَا عناصرُ القِصَّةِ بشكلٍ واضحٍ.

خَامِسًا: المَدحُ لِلصَّحَابَةِ وَأَولِياءِ اللهِ الصَّالِحينَ: يُعدُّ المدحُ فنًّا مِنْ فُنونِ الشِّعرِ الَّتِي يقومُ على أساسِ وصفِ الشَّاعرِ لممدوحِهِ وصفًا جميلًا، وتِعدَادِ مناقبِهِ، وسيرتِهِ مركِّزًا على الجَوانبِ الصَّالحةِ فيهَا، والثَّناءِ عليهِ مِنْ خِلالِ التَّذكيرِ بمواقفِهِ وأفعالِهِ المُؤثِّرةِ في المُجتمعِ، وعادةً ما يكونُ الممدوحُ يستحقُّ المدحَ، إلَّا إذَا كانَ المَدحُ بهدفِ التَّكَسُّبِ فعندَهَا يكونُ المَمدوحُ لا يستحقُّ المَدحَ، لأنَّهُ استخدمَ الشَّاعرُ ليمدحَهُ فيمَا ليسَ فيهِ خداعًا للنَّاسِ مِنْ أجلِ الوصولِ إلى منصبٍ لا يستحقُّهُ كذلكَ[1]، وقدْ قيلَ أنَّ أمدحَ بيتٍ قالتْهُ العربُ هوَ بيتُ الشِّعرِ الَّذِي قالَهُ الشَّاعرُ الأُموي جريرٌ في مدحِهِ للخَليفةِ الأموي عبدِ المَلكِ بنِ مَروانَ وبَنِي أميَّةَ:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بُطُونَ رَاحٍ؟![2]

وتناولَ الشَّاعرُ يوسُفُ النَّبهَانِي المدحَ بعدَ أنْ أطالَ كثيرًا فِي المَدائحِ النَّبويَّةِ مفردًا لهَا أربعةَ مجلَّداتٍ، علاوةً علَى الدِّيوانِ إذْ لمْ يكتفِ فيهِ بمَا قالَهُ بلْ جمعَ مَا قالَهُ المَادحونَ لرسولِ اللهِ ﷺ مِنْ قبْلِهِ في كتابِهِ المَوسومِ بِـ **(المَجموعةُ النَّبهَانيَّةُ فِي المَدائحِ النَّبَويَّةِ)**[3]، ثمَّ أضافَ مقطوعاتٍ أخرَى يمدحُ فيهَا صحابةُ رسولِ اللهِ ﷺ وأمَّهَاتِ المُؤمنينَ والصَّحابيَّاتِ الفَضلياتِ، إذْ يقولُ فِي مدحِهِمْ:

وَآمَنَ مِنْهُمْ سَادَةٌ سَبَقُوا الوَرَى بِصُحْبَتِهِ أَكْرِمْ بِهِمْ سَادَةٌ غُرَّا

أَجَلُّ بَنِي الإِسْلَامِ كَانُوا وَإِنَّمَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقِ كَانَ ابْنُهُ البِكْرَا

فَفِي حَلَبَةِ الإِيْمَانِ جَاءَ مَجَلِّيًا وَعُثْمَانُ صَلَّى خَلَفَهُ مِنْ ذَوِي البُشْرَى

بِنُورَيهِ ذُو النُّورَينِ ضَاءَ شُؤُونَهُ وَحَازَ عَلَى كُلِّ الْوَرَى بِهَا الْفَخْرَا

---

[1] شرفبياني، محمد. المدح في الشعر العربي القديم (نشأته، وتطوره، وشروطه، وبناء قصيدته). ص٣٤. أطروحة دكتوراة. جامعة آزاد الإسلامية. طهران. ٢٠١٠م.

[2] جرير بن عطية. ديوان جرير. ص٧٧.

[3] ماضي، عيسى محمد علي. يوسف النبهاني الشاعر الفلسطيني الرائد. ج٢. ص٥١١.

وَلَمَّـــا دَعَـــا الهَادِي لِإِعْـــزَازِ دِيْنِهِ أَتَى عُمَـــرٌ يَسْعـَى لِحَضْرَتِهِ حَضْرَا
وَأَمَّـــا عَلِيٌّ فَهُـــوَ عِنْدَ ابْـــنِ عَمِّهِ تَـــرَبَّى صَـغِيرَ السّـنِّ لَمْ يَعرِفِ الكُفْرَا
وَقَدْ سَـــبَقَتْ كُـــلَّ الجِيَـــادِ خَدِيْجَةٌ وَأَلْحِـقَ بِهَـــا أَوْلَادَهَـا السَّـــادَةَ الغُرَّا
وَمَهْمَا عَلَتْ كُلُّ النِّسَاءِ بِفَضْلِهَا فَقَد فَضَّـــلَتْهَـــا فِي العُـــلَا بِنْتُهَـــا الزَّهَرَا[1]

فهُنَا يمدحُ الخلفاءَ الرَّاشدينَ جميعَهُمْ، مذكِّرًا بخصالِهِمْ ومُشيرًا إلى أشهرِ قِصَصٍ حدثَتْ معْهُمْ، وأجملِ وصفٍ لهُمْ، ثمَّ ذكرَ أمَّ المُؤمنينَ خَديجةَ بنتَ خويلِدٍ زوجِ رسولِ اللهِ ﷺ الأولَى، والدَّاعمةِ والمُساندةِ لهُ في أصعبِ أوقاتِ دعوتِهِ، ثمَّ ابنتَهُا المُدلَّلةِ فاطمةُ الزَّهراءِ زوجِ عليِّ بنِ أَبي طَالبٍ _ رِضَيَ اللهُ عنهُ _، وأمُّ الحسنِ والحُسينِ سيِّدًا أهلِ الجَنَّةِ.

أمَّا مدحُهُ لأولياءِ اللهِ الصَّالحينِ الَّذِينَ اقتدَى بهِمْ، فقدْ مدحَ أحدُ الصُّوفيِّينَ القُدامَى ممَّنْ كانُوا مرجعًا لهُ، وكانَ يعدُّهُ مِنْ أولياءِ اللهِ الصَّالحينَ، وهوَ صُوفِيٌّ أندلسيٌّ توفِي فِي دمشقَ ودُفِنَ في مقبرةِ جبلِ قاسيونَ الشَّيخُ مُحي الدِّينِ بنِ العَربي (ت:١٢٤٠م)، إذْ قالَ فِي رثائِهِ[2]:

يَا نَسِـــيمًا سَرَى إِلَى قَـــاسَيُونَا حَيِّ حَبْـــرًا بِسَـــفْحِهِ مَدفُونَا
ذَلِكَ الحَـــاتِمِي مَـــوْلَايَ مُحْـــي الدِّينِ أَكْـرِمْ بِـهِ إِمَـــامًا أَمِينَا
أَحْمَـــدُ اللهَ أَنْ حَبَـــانِيَ حُبًّـــا وَاعْتِقَـــادًا بِسَـــادَتِي العَارِفِينَا
رَضِـــيَ اللهُ وَالنَّبِيُّ وَأَهْـلُ الحَقِّ عَنْهُـمْ، وَمَنْ بِهِـمْ يَقْتَـدُونَا
فَاقْصُـــدُوهُمْ وَلُوْ بِشَـــدِّ رِحَـــالٍ وَارْتِحَـــالٍ، يَـــا أَيُّهَا الزَّائِرُونَا
وَاسْـتَغِيثُوا بِهِمْ إِلى اللهِ وَادْعُوا وَدَعُـوا الفَاسِـقِينَ وَالمَارِقِينَا
فَهُمْ خَيـرُ مَعْشَـــرٍ عَرَفَ اللهَ فَكَـــانُـــوا لِخَلْقِـــهِ مُرشِـــدِينَا[3]

[1] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. ديوان يوسف النبهاني. ص٢٩٦-٣٠٢.
[2] ماضي، عيسى محمد علي. يوسف النبهاني الشاعر الفلسطيني الرائد. ج٢. ص٥٦١-٥٦٢.
[3] المصدر نفسه، ص٤٥٠.

فقدْ بدأَ قصيدتَهُ بالبكاءِ علَى قبرِ الشَّيخِ ابنِ العربي، وإرسالِ التَّحياتِ إليهِ وهوَ مقبورٌ في جبلِ قاسيونَ في دمشقَ، وذكرَ بعضَ مناقبِهِ، ثمَّ أخذَ يمدحُ ويفخرُ بمشايخةِ الصُّوفيَّةِ، معدَّهُمْ مِنْ أولياءِ الصَّالحينَ، بلْ عّدَّ مَا يقولونَهُ لا خطأً فيهِ، مِنْ خِلالِ تقديسِهِمْ واعتبارِ الوليِّ الصَّالحِ ممَّنْ يُستغاثُ بهِ عندَ الكُروبِ والمَصائبِ، وأخيرًا يَعِدُّ الصُّوفيّينَ خيرَ معشرٍ عرفَ اللهُ تعالَى، وهمْ سببُ مِنْ أسبابِ إرشادِ النَّاسِ إلى اللهِ تعالَى وحبِّهِ.

سَادِسًا: الْهِجَاءُ لِليهُودِ وَالنَّصَارَى وَدُعَاةِ الإِصْلَاحِ الدِّينِي مِنَ المُسلمينَ: يُعَدُّ الهجاءُ فنًّا منْ فنونِ الشِّعرِ العَربي قديمًا وحديثًا، ويُقصدُ بهِ ذلكَ اللَّونُ مِنَ الشِّعرِ الَّذِي يتعرَّضُ فيهِ الشَّاعرُ لخصمِهِ بالسَّبِّ والشَّتمِ والوقيعةِ، وذكرِ صفاتِهِ السَّلبيَّةِ، والتَّعريضِ بنسبِهِ وقومِهِ، وهوَ ضدَّ المَدحِ، وقدْ اشتُهرَ شعراءُ في الجَاهليَّةِ بِالهَجاءِ مثلَ:(الْحَطَيئَةِ)، وفي العصرِ الأموي، مثلُ (جَريرِ، وَالفَرزدَقِ)، وهُما مِنْ شعراءِ النَّقائِضِ، وقيلَ أنَّ أهجَا بيتِ قالتْهُ العربُ وردَ على لسانِ جريرٍ، إذْ يقولُ فيهِ ذامًّا خصمِهِ الشَّاعرُ النُّميري[1]:

فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيرٍ فَلَا كَعْبًا بَلَغْتَ وَلَا كِلَابَا[2]

وهذا الهجاءُ المُقذعُ يُعدُّ مِنْ هِجاءِ الخِصمِ وقومِهِ في آنٍ واحدٍ، وهوَ مِنْ شأنِهِ أنْ يَزيدُ الأحقادَ على مُستوَى القَبائلِ، لأنَّهُ فيهِ عَصبيَّةٌ نَهَى عنهَا رسولُ اللهِ ﷺ، ودعَا إلى تركِهَا لأنَّهَا مثيرةٌ للضَّغائنِ والأحقادِ الَّتِي تفرّقُ الأمَّةَ بعدَ وحدتِهَا المَفروضةِ.

وأمَّا الشَّيخُ يوسُفُ النَّبهَانِي فقدْ هجَا اليهودُ والنّصارَى لأنَّهُم تآمَرُوا علَى وطنِهِ فلسطينَ واحتلُّوهَا، ثمَّ هجَا القَائمينَ على التَّبشيرِ بالدِّينِ المَسيحِي وإنشاءِ المَدارسِ التَّبشيريَّةَ فِي بلادِ المُسلمينَ، ثمَّ هجَا دعاةُ الإصلاحِ الدِّينِي الَّذِينَ ساعدُوا اليَّهودَ والنَّصارَى على غزوِ بلادِ المُسلمينَ، فأظهرُوا عكسَ ما أبطنُوا فكانُوا وبالًا على الإسلامِ والمُسلمينَ حسبَ رأيِهِ، ومِنْ

[1] **النُّميري:** الشاعر الأموي عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل من قبيلة نمير، وهو من فحول شعراء جزيرة العرب والبادية، هجا جرير ذات مرة، فرد عليه جرير بهجاء مقذع منه هذا البيت الذي ذكرناه.

[2] الخويطر، عبد العزيز بن محمد. الهجاء من الجاهلية حتى نهاية العصر الأموي (نظرة في طبيعة الفن وتراوحه بين القبلية والإسلام والسياسة). ص١٣٤. (دراسة). كلية اللغة العربية. جامعة عبد العزيز آل سعود. الرياض. ١٤٣١هـ.

هؤلاءِ المُصلحينَ: (مُحمَّد رَشيد رِضَا، ومُحمَّد عبدُه، وجمالِ الدِّينِ الأفغانِي)[1]، إذْ يقولُ في هجاءِ جَمالِ الدِّينِ الأفغانِي وصاحبيهِ:

لَقَدِ اخْتَصَرُوا بِالْجَهْلِ دِيْنَ مُحَمَّدٍ وَمَا تَرَكُوا مِنْ عُشْرِ أَحْكَامِهِ الْعُشْرَا

لَقَدْ زَعَمُوا إِصْــلَاحَهُ بِفَــسَادِهِمْ وَكَمْ حَمَّلُــوهُ مِنْ ضَــلَالَاتِهِمْ إِصْرَا

وَقَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ ذِكْرُ فَسَادِهِمْ وَزَعْمِهِمْ الإِصْلَاحَ فِي السُّوْرَةِ الزَّهْرَا[2]

فهنَا يهجو النَّبهَانِي دعاةَ الإصلاحِ الدِّيني في عصرِهِ، هؤلاءِ الَّذِينَ انطلقُوا مِن أوروبَّا إلى مصرَ، ثمَّ زارُوا سوريَّا والهندَ وبلادَ المَغربِ العَربي، وكانُوا حسبَ رأيهِ مَوجَّهينَ مِنْ قُوى الاستعمارِ لغرضِ نسفِ الدِّينِ الإسلامِي، وتشكيكِ النَّاسِ فيهِ، فقدْ صَارُوا جنبًا إلى جَنبٍ معِ الغَزوِ الاستعمارِي بشقَّيهِ الفِكري والتَّبشيرِي، ذلكَ الغَزو الَّذِي كانَ مقدِّمةً للغَزوِ العَسكرِي واستعمارِ بِلادِ المُسلمينَ بعدَ سُقوطِ الخِلافةِ العُثمانيَّةِ[3].

وقدْ تناولَ النَّبهَانِي في شعرِهِ الَّذِي اشتملَ علَى المَوضوعاتِ والفُنونِ الَّتِي ذكرناهَا، الكثيرَ مِنَ التَّأثيرِ والتَّأثرِ بِالقرآنِ الكَريمِ والأحاديثِ النَّبويَّةِ الشَّريفةِ والأقوالِ المَأثورةِ، والشِّعرِ الصُّوفِي، والشِّعرِ القَصَصي ضِمنَ التَّناصِ الدِّينِي الَّذِي سيتمُّ الحَديثُ عنهُ بإسهابٍ في ثنايَا هذهِ الدِّراسةِ، إذْ سيكونُ أوَّلَ ثمارِ هذهِ النَّماذجِ التَّناصِّيَّةِ فِي شعرِهِ، ثمَّ يتمُّ تناولُ التَّناصِ الأدبِي النَّاتجُ عنْ تأثُّرِ النَّبهَانِي بشعراءَ سابقينَ لهُ مِنَ الشُّعراءِ الصُّوفيِّينَ والإسلاميينَ في عصورِ الإسلامِ المُتعاقبةِ، ثمَّ يتمَّ تناولُ التَّناصِ التَّاريخِي المُتعلِّقِ بالتَّاريخِ الإسلامِي منذُ بعثةِ نبيِّ الإسلامِ مُحمَّد رَسولِ اللهِ ﷺ، ولا بدَّ مِنَ الحَديثِ عَنِ التَّناصِ التَّراثِي الشَّعبِي الَّذِي لمْ يُحظِ سَوى بِالقليلِ مِنَ الشَّعرِ المُتأثِّرِ بِالواقعِ الشَّعبِي كَالأمثالِ والأسماءِ التَّراثيَّةِ، والعَاداتِ والتَّقاليدِ المَوروثةِ، وسُوفَ يتمُّ تناولُ التَّناصِ الأُسطوري الَّذِي حاولَ النَّبهَانِي الابتعادَ عنهُ

[1] ماضي، عيسى محمد علي. يوسف النبهاني الشاعر الفلسطيني الرائد. ج٢. ص٥٢٦.

[2] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. الرائية الصغرى في ذم البدعة ومدح الشريعة الغرا. ص٢٠١-٢٠٢. شركة ومطبعة محمد البابي الحلبي في مصر. ط١. (د. ت).

[3] ماضي، عيسى محمد علي. يوسف النبهاني الشاعر الفلسطيني الرائد. ج٢. ص٥٤٥.

بسببِ نظرتِهِ إلى فكرةِ الأساطيرِ، ومَا قيلَ فيهَا مِنْ مُخالفاتٍ لمبدأِ الخَلْقِ والتَّكوينِ، والواقعِ والخَيالِ، وضمنَ مَا هوَ جديدٌ في هذهِ الدِّراسةِ سيتمُّ الحَديثُ عنِ التَّناصِ الإيقاعِي كآخرِ نوعٍ مِنْ أنواعِ التَّناصِ فِي شعرِ يوسُفِ النَّبهَانِي، للإشارةِ إلى تناصٍّ حديثِ العَهدِ لمْ يتطرَّقْ إليهِ كثيرًا مِنَ البَاحثينَ والدَّراسينَ.

تلكَ هيَ أنواعُ التَّناصِ الَّتِي سيتمُّ تناولُهَا في هذا الفَصْلِ مِنْ خِلالِ التَّطبيقِ عليهَا بأمثلةٍ تناصَّيَّةٍ مِنْ شِعرِ الشَّيخِ يوسُفِ النَّبهَانِي.

المبحثُ الأَوَّلُ

التَّنَاصُ الدِّينِي فِي شِعرِ النَّبهَانِي

يمكنُ القولُ أنَّ فكرَ الشَّيخِ يوسُفُ النَّبهَانِي، وميولَهُ الدِّينيَة كشاعرٍ صُوفيٍّ، وشيخٍ أزهريٍّ متدينٍ، صبغَ شعرَهُ كاملًا بصبغةٍ دينيَّةٍ متأثِّرةٍ أوَّلًا بكتابِ اللهِ _ عزَّ وجلَّ _، ثمَّ بأحاديثِ رسولِ اللهِ ﷺ، ثمَّ أقوالِ الصَّحابةِ والأقوالِ المَأثورةِ، وتناثرَتْ في ثنايَا قصائدِهِ الطَّويلةِ محطَّاتٌ مِنَ الشِّعرِ الصُّوفِي خاصَّةً في حبِّهِ للهِ تعالَى ومناجاتِهِ لهُ، ومدحِهِ لرسولِ اللهِ ﷺ في مدائحِهِ النَّبويَّةِ الَّتِي أفردَ لهَا كتابًا في أربعةِ مجلَّداتٍ، علاوةً على القصائدِ الطَّويلةِ كالرَّائيَّةِ الصُّغرَى والرَّائيةِ الكُبرَى، ومَا حوَى ديوانُهُ الضَّخمُ مِنْ قَصائدَ في مدحِ الرَّسولِ ﷺ والتَّغنِّي بمكةَ والمدينةِ، ووصفِ الحَجِّ والأماكنِ المُقدَّسةِ، ومشاعرِ الحَجِّ، والمَزاراتِ المقدَّسةِ في مكةَ المكرمةِ والمَدينةِ المُنوَّرةِ، فكانَ للمديحِ النَّبوي النَّصيبِ الأكبرِ في شعرِهِ[1]، ثمَّ الشِّعرُ القَصَصي الَّذِي تناولَ أحداثًا ووقائعَ منذُ بدءِ الخَلقِ حتَّى عصرِهِ وزمانِهِ، فتناولَ السَّردَ القَّصَصي لقصَّةِ آدمَ وحوَّاءَ وإبليسَ في الجَنَّةِ، حتَّى هبوطِهِمْ إلى الأرضِ، وتناولَ قِصَصَ بعضِ الرُّسلِ منذُ آدمَ _ عليهِ السَّلامُ _ حتَّى مُحمَّدٍ ﷺ، ثمَّ تناولَ في السَّردِ القَصَصي سيرةَ رسولِ اللهِ ﷺ، بشيءٍ مِنَ الإسهابِ، وقِصَصِ بعضِ الصَّحابةِ _ رِضوانِ اللهِ عليهِمْ _، علاوةً على قِصَصٍ قصيرةٍ لأولياءِ اللهِ الصَّالحينَ ومشايخةِ عصرِهِ مِنَ الصُّوفيِّينَ، ثمَّ تناولَ أخيرًا في تناصِّهِ الدِّينِي قِصّصًا مُقتضبةً حولَ أعداءِ الأمَّةِ الإسلاميَّةِ (اليهودِ والنَّصارى)، وخطورةِ فكرِهِم الدَّخيلِ ومدارسِهِم التَّبشيريَّةِ على أبناءِ المُسلمينَ، فقدْ أفردَ كتابًا خاصًّا يحذِّرُ فيهِ مِنْ خُطورةِ المَدارسِ التَّبشيريَّةِ على النَّشءِ المُسلمِ، ثُمَّ تناولَ قِصَصًا أُخرَى حولَ خُصومِهِ المُفكِّرينَ مِنْ دُعاةِ الإصلاحِ الدِّيني، مِنْ خِلالِ التَّشهيرِ بهِم، وإعلانِ فِسقِهِم بأسلوبٍ قَصَصيٍّ ساخرٍ، وردَ في بعضِ القَصائدِ، وقدْ ذكرْنَا بعضَهَا آنفًا[2].

[1] ماضي، عيسى محمد علي. يوسف النبهاني الشاعر الفلسطيني الرائد، ج٢. ص٤٧٦-٤٧٨.

[2] المصدر نفسه. ص٤٨٠-٤٨١.

أوَّلًا: التَّناصُ الدِّينِي معِ القُرآنِ الكَريمِ: بدأَ تأثُّرُ شعرِ النَّبهَانِي بالقرآنِ الكريمِ مِنْ خلالِ نزعتِهِ الدِّينيَّةِ القَويَّةِ، وكونِهِ داعيةً وشيخًا صُوفيًّا أزهريًّا، لذلكَ تكادُ قصائدُهُ معظمُهَا تكونُ نقلًا شعريًّا لآياتِ اللهِ الدَّعويَّةِ والقَصَصيَّةِ والوَعظيَّةِ، علاوةً على تأثُّرِهِ بحديثِ رَسولِ اللهِ ﷺ وسيرتِهِ العَطرةِ، وقدْ تجلَّى التَّناصُ الدِّينِي معْ آياتِ اللهِ مِنْ خلالِ المَشاهدِ التَّناصِّيَّةِ الآتيةِ:

١. **المَشهدُ الأَوَّلُ:** وفيهِ تناولَ مدحَ رسولِ اللهِ ﷺ ومدحَ أصحابِهِ في الهَمزيَّةِ الأَلفيَّةِ الطَّويلةِ الَّتِي سمَّاهَا (طيبةُ الغَرَّاءُ في مَدحِ سَيِّدِ الأنبياءِ) وقدْ بلغَتْ ألفَ بيتٍ عارضَ فيهَا الإمامَ البُوصيرِي في قَصيدتِهِ (البُردةُ)[١]، إذْ يقولُ النَّبهَانِي في أحدِ أبياتِهَا:

هِيَ كَانَتْ أَروَاحُهُمْ وَبِهَا كَا نَ لَهُمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ إِحْيَاءُ[٢]

فقدْ تناصَ في البيتِ هذا الَّذِي تحدَّثَ فيهِ عنْ صَحابةِ رَسولِ اللهِ ﷺ الَّذِينَ جاهدُوا في سبيلِ اللهِ مُنطلقينَ بدعوتِهِمْ وجهادِهِمْ منَ المَدينةِ المُنوَّرةِ (طَيبةِ الغَرَّاءِ)؛ ليقاتلُوا المُشركينَ مِنْ أهلِ مكَّةَ المكرمةِ، فاستشهدُوا وأصبحُوا أحياءً في جنَّةِ الفِردوسِ، وهذا البيتُ تناصَّ بهِ معْ آيةٍ في كتابِ اللهِ _ عزَّ وجلَّ _ في سورةِ آلِ عمرانَ، إذْ يقولُ اللهُ تعالَى:"**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**"[٣]، فقدْ توافقَتِ الآيةُ معِ البيتِ الشِّعري في تناصٍّ دينيٍّ معِ القُرآنِ الكريمِ للكشفِ عنْ مصيرِ الشُّهداءِ في سبيلِ اللهِ تَعالَى تكريمًا لهُمْ، فهُمْ أحياءٌ عندَ ربِّهِمْ يُرزقونَ، وإنْ كانُوا في الحَياةِ الدُّنيَا أمواتًا مدفونينَ في القُبورِ.

٢. **المشهدُ الثَّانِي:** إذْ يقولُ النَّبهَانِي في القَصيدةِ نفسِهَا مادحًا رسولِ اللهِ ﷺ وصحبِهِ، قائلًا:

مِنْهُ بَرْقٌ لَهُمْ أَضَاءَ وَمِنْهُمْ كُلُّ عَيْنٍ سَحَابَةٌ سَحَّاءُ[٤]

---

[١] المصدر السابق. ج٢. ص٤٨٣.

[٢] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. طيبة الغراء في مدح سيد الأنبياء. ص٤. المطبعة الأدبية. بيروت. (د. ط). ١٣١٤هـ.

[٣] سورة آل عمران. آية رقم: ١٦٩.

[٤] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. طيبة الغراء في مدح سيد الأنبياء. ص٥.

وهُنا يتناصُ بحديثِهِ عنَ البرقِ الَّذِي كانَ يضيءُ الطَّريقَ لرسولِ اللهِ ﷺ وصحبِهِ، وهمْ خارجونَ مُجاهدونَ، إذْ يتناصُ في هذا المَشهدِ البُطولي معْ آيةٍ في سُورةِ البَقرةِ، فيهَا يقولُ اللهُ تعالَى:"**يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**"[1]، فالبرقُ يضيءُ هُنا للنَّاسِ جميعِهِم، وفي اللَّيلِ المُظلمِ يَعتمدونَ عليهِ في السَّيرِ لإضاءةِ الطَّريقِ لهُم، ولكنْ قدْ يُصيبُهُم البرقُ في أعينِهِم فيصبحونَ غيرَ مُبصرينَ، إلَّا أنَّ التَّوافقَ هُنا جاءَ في اللَّفظِ لا المَعنى، فالتَّناصُ لفظيٌّ في استغلالِ البرقِ لكشفِ الطَّريقِ ليلًا والسَّيرِ على هُدًى، أمَّا الآيةُ فتحدَّثَتْ عنِ البَرقِ والإضاءَةِ للنَّاسِ جميعِهِم، وقدْ يخطفُ البرقُ أبصارَهُم، وربَّمَا أسماعَهُم إذَا صاحَبَهُ رعدٌ، ولكنْ في البيتِ جاءَ البرقُ بخيرِهِ لا بشرِّهِ، إذْ أضاءَ الطَّريقَ لرسولِ اللهِ ﷺ وصحبِهِ ليَسيرُوا مهتدينَ ليلًا فلا يَضلّونَ الطَّريقَ، ولأنَّ الجوَّ حَارٌّ فقدْ أرسلَ إليهِمْ المطرَ يسحُّ مِنَ السَّماءِ ليخفِّفَ عنهُمْ حرَّ اللَّيلِ رغمَ غيابِ الشَّمسِ والقمرِ.

٣. **المشهدُ الثَّالثُ:** وقدْ وردَ في مَطلعِ القَصيدةِ المُسمَّاةِ (الرَّائيَّةِ الكُبرى في الكَماليَّاتِ الإلهيَّةِ والسِّيرةِ النَّبويَّةِ ووصفِ المِلَّةِ الإسلاميَّةِ والمِللِ الأُخرَى)، إذْ بدأَ النَّبهَاني قولَهُ في البيتِ بالتَّناصِ الدِّينِي قائلًا:

بِرَبِّكَ ذَكِّرْهُمْ عَسَى تَنْفَعُ الذِّكْرَى فَكَمْ نِعَمٍ أَجْدَى وَكَمْ مِنَنٍ أَجْرَى[2]

ففي هذا المشهدِ يتناصُ الشَّاعرُ في حديثِهِ عنِ التَّذكيرِ بنعمِ اللهِ ومننِهِ على البَشريَّةِ معْ آيةٍ في سُورةِ الأعلى في قولِهِ تعالَى:"**فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى**"[3]، فالشّاعرُ يُقسمُ بأهميَّةِ تذكيرِ النَّاسِ بنعمِ اللهِ العظيمةِ عليهِم، ومنَنِهِ الَّتِي لا تُعدُّ ولا تُحصى، وهذا المِفتاحُ هدفُهُ التَّوجيهُ الصَّريحُ والواضحُ بوجوبِ شكرِ اللهِ على نعمِهِ بالإيمانِ بهِ

[1] سورة البقرة. آية رقم: ٢٠.

[2] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. (د.ت). مجموع كتب (الرائية الكبرى، والرائية الصغرى، وسعادة الأنام، ومختصر إرشاد الحيارى). ص٢-٣. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر. (د. ت).

[3] سورة الأعلى. آية رقم: ٩.

وعبادتِهِ حقَّ عبادةٍ، فكانَ المُطَلَعُ ليسَ توجيهًا فحسبْ، بلْ تذكيرًا بصورةٍ مِنَ النِّعمِ، واسمُهَا سورةُ الأعلَى، والأعلى صفةٌ مِن صِفاتِ اللهِ تعالَى، إضافةً إلى ذلكَ ما فيهَا مِنْ إشاراتٍ إلى نعمِ اللهِ العَديدةِ، والخِطابِ المُباشرِ المُوجَّهِ إلى رَسولِ اللهِ ﷺ، والموجَّهِ كذلكَ إلى أمَّتِهِ والنَّاسِ أجمعينَ.

٤. **المشهدُ الرَّابعُ:** يتحدَّثُ النَّبهَانِي في هذا المَشهدِ عنْ حالِ المُؤمنينَ في الجَنَّةِ يومَ القيامةِ، إذْ تكونُ وجوهُهُم نضرةً مستبشرةً فرحةً، وخاصَّةً بعدَ رؤيتِهِم للهِ _ عزَّ وجلَّ _ رأيَ العَينِ، فيقولُ في ذلكَ:

وَرُؤْيَتُهُمْ للهِ خَيْرُ نَعِيْمِهِمْ وَجُوهُهُمْ مِنْ حُسْنِهَا نَضَرَتْ نَضْرَا[1]

ففي هذا المشهدُ يتناصُ الشَّاعرُ في حديثِهِ عنْ حالِ المُؤمنينَ الَّذِينَ فازُوا بالجَنَّةِ يومَ القِيامةِ، إذْ تكونُ وجوهُهُم نَضِرةً مُشرقةً لأنَّهَا تلكَ اللَّحظةُ تكونُ في حالةِ رضًا تامٍّ بعدَ رُؤيةِ اللهِ _ عزَّ وجلَّ _ رأيَ العَينِ، فرؤيةُ اللهِ منتهَى النِّعمِ، وأسمَى ما ينالُهُ الإنسانُ بعدَ جَنَّةِ الفِردوسِ العُليَا، فالوجوهُ بجمالِهَا وحسنِهَا زادَتْ نَضارةً وجمالًا وإشراقًا برؤيتِهَا للهِ _ عزَّ وجلَّ _ خالقِهَا وخالقِ كلِّ شيءٍ، وهذا البيتُ يتناصُ معْ قولِهِ تعالَى في سُورةِ القِيامةِ:"**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**"[2]، فالوجوهُ النَّاظرةُ إلى ربِّهَا، ناضرةٌ في حُسنِهَا وإشراقِهَا وجمالِهَا، لأنَّهَا حصلَتْ على أعلَى نعمةٍ ورضًا مِنَ اللهِ تعالَى، بالنَّظرِ إلى وجهِهِ الكَريمِ، وهذا ما أرادَهُ الشَّاعرُ في البيتِ بنقلِ الصُّورةِ شعرًا مِنْ خلالِ الآيتينِ المَذكورتينِ.

٥. **المشهدُ الخامسُ:** يتحدَّثُ النَّبهَاني عنِ الحالةِ الوحيدةِ الَّتِي لا يغفرُ اللهُ فيهِ ذنبًا لإنسانٍ، وهوَ الشِّركُ باللهِ تعالَى، فمَنْ يُشركْ باللهِ لا توبةَ لهُ ولا غُفرانَ، وقدْ جاءَتِ الآياتُ العديدةُ الَّتِي تؤكِّدُ على هذا الأمرِ لأهمِّيتِهِ، فيقولُ النَّبهَاني:

---

[1] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. مجموع كتب:(الرائيتان الكبرى والصغرى، وسعادة الأنام، ومختصر إرشاد الحيارى). ص٥.

[2] سورة القيامة. الآيتان: (٢٢+٢٣).

وَيَغْفِرُ مَا دُوْنَ الشِّرْكِ مَا شَاءَ مِنَّةً وَلَا يَجِدُ الكُفَّارُ مِنْ فَضْلِهِ غُفْرَا[1]

ففِي هذا المشهدِ يتناصُ الشَّاعرُ معْ آياتِ عديدةٍ أشارَتْ إلى خُطورةِ الشِّركِ باللهِ تعالَى، وأنَّهُ الذَّنبُ الأعظمُ الَّذِي لا يغفرُهُ اللهُ لإنسانٍ كائنٍ مَنْ كانَ، إذْ يقولُ _ عزَّ وجلَّ _ في سورةِ النِّساءِ:"**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا**"[2]. فالآيةُ تتوافقُ تناصًّا معِ البيتِ المذكورِ بأنَّ اللهَ لا يغفرُ للمشركِ باللَّهِ، وما دونَ ذلكَ فكلُّ الذُّنوبِ يغفرُهَا اللهُ لمَنْ طلبَ الغُفرانَ، وحدَّدَ في البيتِ أنَّ الكُفَّارَ والمشركينَ لنْ ينالُوا مغفرةَ اللهِ لأنَّهُمْ كفَروا باللَّهِ وأشركُوا بِهِ، وليسَتِ المغفرةُ منَ اللهِ حقًّا لطالِبِهَا؛ بلْ هيَ منحةٌ منَ اللهِ تعالَى، فلَا حقَّ لإنسانٍ عندَ اللهِ مهمَا كانَ، إلَّا ما جعلَهُ اللهُ حقًّا عليهِ في نَصٍّ صريحٍ، كقولِهِ تعالَى في سُورةِ الرُّومِ وغيرِهَا مِنَ السِّورِ:"**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ**"[3]، فاللَّهُ _ عز وجل _ يبيِّنُ لرسولِهِ ﷺ أنَّ البَلاغَ المُبينَ مِنَ الرُّسلِ هوَ أساسُ الرِّسالةِ، فمَا دامَ الرَّسولُ ﷺ قدْ جاءَ بالإدلَّةِ والبَراهينِ السَّاطعةِ على وجودِ اللهِ تعالَى، فإنَّ مُخالفةَ الرَّسولِ ﷺ مِنَ القومِ بعدَ ذلكَ والإصرارِ علَى ذلكَ يجعلُ الرَّسولَ ﷺ ومَنْ معهُ يستحقُّونَ مِنَ اللهِ تعالَى النَّصرَ حتمًا، وهذا الحَقُّ الَّذِي صرَّحَ بهِ اللهُ بنصرِ المُؤمنينَ، وهوَ الحَقُّ الَّذِي جعلَهُ للمُؤمنينَ فحسب، وألزمَ نفسَهُ بِهِ، للتَّأكيدِ علَى أنَّ النَّصرَ حليفُ المُؤمنينَ عندَما يُظلمونَ في الأرضِ، ويتوجَّهُونَ إلى اللهِ تعالَى بطلبِ النَّصرِ والتَّمكينِ بعدَ رفعِ الظُّلمِ، وسحقِ الأعداءِ مِنَ الكافرينَ والمُنافقينَ.

٦. **المشهدُ السَّادسُ:** هوَ مشهدٌ يتجلَّى في رحلةِ الإسراءِ والمِعراجِ الَّتِي ذُكرَتْ في سُورةِ الإسراءِ، فقدْ ذكرَ النَّبهَانِي ذلكَ في قولِهِ:

---

[1] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. مجموع كتب (الرائيتان الكبرى والصغرى، وسعادة الأنام، ومختصر إرشاد الحيارى). ص٦.

[2] سورة النساء. آية رقم: ٤٨

[3] سورة الروم. آية رقم: ٤٧.

وَتَأَمَّلْ سَبْحَانَ مَنْ مِنْهُ فَضْلًا كَانَ لَيْلًا بِعَبْدِهِ الإِسْرَاءُ[1]

فالتَّناصُ هُنا في هذا المشهدِ واضحٌ مِنْ خلالِ ذكرِ الإسراءِ برسولِ اللهِ ﷺ مِنَ المسجدِ الحرامِ في مكةَ المُكرَّمةِ إلى المسجدِ الأقصَى في القُدسِ، وكانَ هذا الإسراءُ ومِنْ بعدِهِ المِعراجُ إلى السَماواتِ العُلا معجزةً ومنحةً وهدايةً عظيمةً مِنَ اللهِ العظيمِ لرسولِهِ ﷺ الصَّادقِ في دعوتِهِ، الصَّابرِ على أذَى قومِهِ، فقالَ تعالَى في أوَّلِ سُورةِ الإسراءِ:"**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**"[2]، فالإشارةُ الإلهيَّةُ بهذهِ الرِّحلةِ العظيمةِ بعدَ إيذاءِ الرَّسولِ ﷺ مِنْ قومِهِ، وفقدانِهِ زوجهِ خديجةَ بنتِ خُويلدٍ، وعمِّهِ أبي طالبِ بنِ عبدِ المُطلبِ، ومِنْ قبلُ فقدانُ أبنائِهِ الذُّكورِ، فكانَتْ هذهِ الرِّحلةُ سُلوانًا وترويحًا عنْ رَسولِ اللهِ ﷺ، والأهمُّ مِنْ ذلكَ رحلتُهُ في مَلكوتِ اللهِ للاطمئنانِ والسَّكينةِ، والكَشفِ عَنِ المُعجزاتِ العِظامِ، وقدرةِ اللهِ تعالَى الَّتِي لا تَحدُّهَا قدرةٌ، ومِنْ هُنا جاءَتِ الإشاراتُ التَّناصّيَّةُ بالشِّعرِ والنَّثرِ لآياتِ اللهِ العَظيمةِ، تدعُو إلى دوامِ الاتِّصالِ والتَّواصلِ بآياتِ اللهِ في فِنونِ الأدَبِ كافَّةً دونَ استثناءٍ.

٧. **المشهدُ السَّابعُ:** يؤكِّدُ النَّبهَانِي على قُدرةِ اللهِ تعالَى في مشهدٍ آخرَ مِنْ شعرِهِ، فاللَّهُ القَادرُ على كلِّ شيءٍ، هوَ اللَّطيفُ الَّذِي حكمُهُ العدلُ، ومِنْ صفاتِهِ العُليا الرَّحمةُ، ومِنَ الدَّلائلِ العُليَا على عظمتِهِ القُدرةُ الكَاملةُ على فعلِ كلِّ شيءٍ، وفي ذلكَ يقولُ النَّبهانِي:

إِنَّ رَبِّي لِمَا يَشَاءُ لَطِيْفٌ وَعَلَى مَا يَشَاءُ قَدِيْرُ[3]

وفي هذا المشهدِ يتناصُ معِ الآيةِ القرآنيَّةِ في سُورةِ يوسفَ في صدرِ البيتِ:**(إِنَّ رَبِّي لِمَا يَشَاءُ لَطِيفٌ)**، في قولِ اللهِ تعالَى:"**وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ**

[1] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. (د.ت). المجموعة النبهانية في المدائح النبوية. مج١. ص٢١٣. دار الفكر. دمشق.

[2] سورة الإسراء. آية رقم: ١ .

[3] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. المجموعة النبهانية في المدائح النبوية. مج٢. ص٢٤٨.

السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ"[1]، وفيهَا إشارةٌ على قُدرةِ اللهِ بتحقيقِ رُؤيَا يوسَفَ _ عليهِ السَّلامُ _ الَّذِي جعلَهُ وزيرًا فِي أرضِ مصرَ بعدَ مُحاولةِ إخوتِهِ قتلَهُ حسدًا بإلقائِهِ في البِئرِ، إذْ كانَ والدُهُمْ يَعقوبُ _ عليهِ السَّلامُ _ يحبُّ يوسفَ _ عليهِ السَّلامُ _ أكثرَ مِنْ أبنائِهِ الآخرينَ، ومِنْ بعدُ أنْ سُجِنَ بسببِ إغواءِ زوجةِ عزيزِ مصرَ لهُ، فقدْ مَنَّ اللهُ عليهِ بالفرجِ، وجعلَهُ وزيرًا على خَزائنِ مِصرَ، وجعلَ إخوتَهُ يَصلونَ إليهِ، ثمَّ يأتِي أبواهُ مِنْ أرضِ كنعانَ، ويخرّونَ لهُ سجَّدًا احترامًا وتقديرًا لمكانتِهِ في مصرَ، فاللَّهُ كانَ لطيفًا بِيوسُفَ _ عليهِ السَّلامُ _، وهوَ كذلكَ لطيفٌ معْ الرَّسولِ مُحمَّدٍ ﷺ، وفي عَجُزِ البيتِ القائلِ فيهِ :**(وَعَلَى مَا يَشَاءُ قَدِيرُ)**، جاءَ التَّناصُ هُنا معِ الآيةِ في سُورةِ الشُّورَى، إذْ قالَ تَعالَى:**"وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ"**[2]، فهُنا التَّناصُ بينَ الآيةِ وعجزِ البيتِ يأتِي للدَّلالةِ علَى قُدرةِ اللهِ _ عزَّ وجلَّ _ على كلِّ شيءٍ، ففصَّلَتِ الآيةُ القُدرةَ علَى خلقِ السَّماواتِ والأرضِ وما فيهِمَا، والقُدرةُ على جمعِ السَّماواتِ والأرضِ كلِّهَا، وفي عجزِ البيتِ جاءَتِ القدرةُ مُطلقةً، وهوَ توافقٌ تامٌّ بينَ الآيةِ وعجزِ البيتِ لفظًا ومعنًى.

٨. **المشهدُ الثَّامنُ:** يتحدَّثُ النَّبهَانِي في هذا المَشهدِ عنْ كِتابِ اللهِ تعالَى القُرآنِ الكريمِ الَّذِي لا شكَّ في أنَّهُ كِتابُ اللهِ، ونزلَ بِهِ الرُّوحُ الأمينُ جبريلُ _ عليهِ السَّلامُ _، فهوَ كتابٌ ينطقُ بالحقِّ، ونزَّلَهُ اللهُ تنزيلًا، إذْ قالَ النَّبهَانِي:

لَا يَنْزِلُ الرَّيْبُ يَوْمًا حَوْلَ سَاحَتِهِ لِأَنَّهُ مِنْ لَدُنْ مَوْلَاهُ تَنْزِيلُ[3]

فقدْ تناصَ في هذا المشهدِ معِ الآيةِ الثَّانيةِ في سُورةِ البقرةِ، إذْ يقولُ تعالَى:**"ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ"**[4]، وهذا يَتوافقُ معْ صدرِ البيتِ :**(لَا يَنزِلُ الرَّيبُ**

[1] سورة يوسف. آية رقم: ١٠٠.

[2] سورة الشورى. آية رقم: ٢٩.

[3] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. المجموعة النبهانية في المدائح النبوية. مج٣. ص١٧١.

يَومًا حَولَ سَاحتِهِ)، فهوَ قرآنُ اللهِ تعالَى الَّذِي نزلَ بهِ جبريلُ _ عليهِ السَّلامُ _ علَى الرَّسولِ مُحمَّدٍ ﷺ، وهوَ المُتعبَّدُ بتلاوتِهِ، والمَقضِيُ بأحكامِهِ، والمُوصِلُ إلى جَنَّةِ اللهِ تعالَى، وصدرِ البيتِ أكَّدَ على بُعدِ الشَّكِّ عَنِ القُرآنِ وعدمِ نُزولِهِ في ساحتِهِ، ثمَّ تناصَ في عَجزِ البيتِ :**(لِأَنَّهُ مِنْ لَدُنْ مَولَاهُ تَنزِيلُ)** معِ الآيةِ القُرآنيَّةِ الأولَى في سُورةِ هُودٍ في قَولِهِ تَعالَى:"**الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**"[1]، فالإشارةُ التَّناصّيَّةُ واضحةٌ في تَنزيلِ القُرآنِ مِنْ عندِ اللهِ تَعالى، وهذا يتَّفقُ تمامًا معِ الآيةِ الَّتِي أكَّدَتْ علَى دِقَّةِ أحكامِ الآياتِ المُعجزةِ عَنِ الإتيانِ بمثلِهَا، وتفصيلِهَا للعقيدةِ والشَّريعةِ، فَلا شكَّ أنَّهَا وُضعَتْ مِنْ حكيمٍ خَبيرٍ هوَ اللهُ _ عزَّ وجلَّ _.

٩. **المشهدُ التَّاسعُ:** يتحدَّثُ النَّبَهانِي هُنا عَنْ نَصيبِهِ في الدَّارينِ (الدُّنيَا والآخرةِ)، ويدعُو اللهُ أنْ يكونَ لهُ نُصيبٌ فِي الدَّارينِ، إذْ يقولُ:

أَنَا فِي الدَّارَيْنِ أَبْغِي رَشَدِي مِنْكَ فِي الدُّنْيَا وَفِي دَارِ الْقَرَارِ[2]

فهُنا يتناصُ معْ آيةٍ في القرآنِ الكريمِ تتناولُ نصيبَ الإنسانِ في الدُّنيا والآخرةِ، وهيَ بمثابةِ إجابةٍ عَنْ سؤالٍ يطرحُهُ الإنسانُ، كمَا هوَ حالُ النَّبهَانِي في طلبِهِ، وقَدْ وردَتِ الإجابةُ في سُورةِ الشُّورَى في قولِهِ تعالَى:"**مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ**"[3]، وهذا التَّناصُ الواردُ هُنا في المَعنَى واضحًا أكثرَ مِنَ اللَّفظِ، فِي حين أنَّهُ تناصَّ في آيةٍ أخرَى معِ اللَّفظِ أكثرَ مِنَ المَعنَى، إذْ وردَ ذلكَ في سُورةِ غافرٍ، فِي قولِهِ تعالَى:"**يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ**"[4]، فقدْ وردَتْ عِبارةُ **(هِيَ دارُ القَرَارِ)** للدَّلالةِ علَى اللَّفظِ التَّناصّي بينَ الآيةِ وبيتِ الشِّعرِ المَذكورِ، وفِي السِّياقِ تُشيرُ الآيةُ إلى تفضيلِ الحَياةِ الآخرةِ علَى الحَياةِ الدُّنيَا، بينمَا يُريدُ النَّبهَانِي أنْ يكونَ لهُ نَصيبٌ

---

[1] سورة هود. آية رقم: ١.

[2] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. المجموعة النبهانية في المدائح النبوية. مج٤. ص٤٦٤.

[3] سورة الشورى. آية رقم: ٢٠.

[4] سورة غافر. آية رقم: ٣٩.

في الدَّراينِ، وهذا المعنَى يختلفُ قليلًا عنِ المَعنَى الواردِ في الآيةِ السَّابقةِ الَتِي تتوافقُ معْ طلبِ النَّبهَانِي في بيتِهِ الشِّعرِي، وبالتَّالِي يكونُ التَّناصُ هُنا في المَعنَى معِ الآيةِ الأولَى، وفِي اللَّفظِ مَعِ الآيةِ الثَّانيةِ.

ثانيا: التَّناصُ الدِّيني معِ الحَديثِ الشَّريفِ: يُعَدُّ الحديثُ الشَّريفُ المصدرَ الثَّانِي مِنْ مصادرِ التَّشريعِ، وهوَ ما نُقلَ عَنْ رسولِ اللهِ ﷺ مِنْ قولٍ أوْ فعلٍ أوْ تقريرٍ أوْ صِفةٍ خَلْقيَّةٍ وخُلُقيَّةٍ، وقدْ فسَّرَ الرَّسولُ ﷺ ما جاءَ مِنْ آياتٍ في العَقيدةِ والشَّريعةِ، تبيانًا لأمورِ العِباداتِ والأحكامِ والمُعاملاتِ والحُدودِ، ولذلكَ يأتِي الحَديثُ عَنْ أهمِّيَّتِهِ بعدَ الحِديثِ عَنْ أهمَّيَّةِ كتابِ اللهِ _ عزَّ وجلَّ _[1]، وكمَا يتأثَّرُ الشُّعراءُ المُسلمونَ بالقرآنِ الكريمِ فيقتبسُوا مِنْ آياتِهِ على سَبيلِ التَّناصِ، فإنَّهُمْ كذلكَ يتأثَّرُوا بالحَديثِ الشَّريفِ ويقتبسُوا مِنْ نُصوصِهِ أوْ معانيهَا على سَبيلِ التَّناصِ، وهذا شأنُ الشَّاعرِ الشَّيخِ يُوسُفِ النَّبهَانِي الَّذِي يُعَدُّ شعرُهُ بمثابةِ نقلٍ بالشِّعرِ للآياتِ والأحاديثِ الكثيرةِ الَّتِي تناولَتْ صِفاتِ اللهِ تَعالَى ورسولِهِ الكريمِ ﷺ، وقِصَصِ السِّيرةِ النَّبويَّةِ، والقَصَصِ القُرآنِي، وقِصَصِ الصَّحابةِ _ رِضوانِ اللهِ عليهِمْ _[2]، وفي المَشاهدِ التَّناصِّيَّةِ التَّاليةِ، تستعرضُ الدِّراسةُ أهمَّ ما جاءَ في هذهِ المَشاهدِ مِنْ تناصٍّ بينَ شعرِ النَّبهانِي وأحاديثِ رَسولِ اللهِ ﷺ، على النَّحوِ التَّالِي:

١. **المشهدُ الأَوَّلُ:** يتحدَّثُ النَّبهَانِي عنِ النَّفعِ والضَّررِ الَّذِي يلحقُ بالإنسانِ في دُنيَاهُ، مؤكِّدًا على أنَّهُمَا مِنَ اللهِ تعالَى، ومتَّفقًا معْ أحاديثَ كثيرةٍ ذكرَهَا الرَّسولُ ﷺ، إذْ يقولُ في إحدَى قصائدِهِ:

تَقَدَّسَ عَنْ أَنْ يَقْدِرَ الْخَلْقُ قَدْرَهُ وَأَنْ يَبْلُغُوا فِي حَقِّهِ النَّفْعَ وَالضَّرَّا[3]

---

[1] أبو شهبة، محمد بن محمد. الوسيط في علوم ومصطلح الحديث. ص١٥. علم المعرفة. ط١. ٢٠٠٨م.

[2] معلّم، صفاء. التناص الديني في رواية (جلالته الأب الأعظم) لحبيب مونسي. (دراسة). جامعة تبسة. الجزائر. مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية. مج٤. ع٤. ص٧١٠-٧٢٣. ٢٠٢١م.

[3] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. مجموع كتب (الرائيتان الكبرى والصغرى، وسعادة الأنام، ومختصر إرشاد الحيارى). ص١٠.

فقدْ تناصَ في هذا البيتِ معِ الحَديثِ النَّبويِّ الَّذِي يؤكِّدُ على أنَّ النَّفعَ والضَّررَ بيدِ اللهِ تعالَى، وأنَّ البشرَ لا يستطيعونَ إلحاقَ الضَّررِ بإنسانٍ، أوْ منحِهِ النَّفعَ إلَّا بإذنِ اللهِ تعالَى، فقدْ رَوى عبدُ اللهِ بنِ عبَّاسٍ _ رَضِيَ اللهُ عنهُ _ عَنْ رسولِ اللهِ ﷺ، أنَّهُ قالَ مخاطبًا غلامًا مِنْ أبناءِ الصَّحابةِ جاءَهُ يطلبُ النُّصحَ والتَّوجيهَ :**(يَا غُلَامُ! إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلمَاتٍ، احفَظِ اللهَ يَحفظْكَ، احفَظِ اللهَ تجدْهُ تِجاهَكَ، إِذَا سَألَتْ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا استعَنْتَ فَاستَعِنْ باللهِ، وَاعلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَو اجتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيءٍ، لَمْ يَنفعُوكَ إِلَّا بِشَيءٍ قَد كَتَبَهُ اللهُ لكَ، وَلَو اجْتَمعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيءٍ لَنْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيءٍ قَد كَتَبَهُ اللهُ عَلَيكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ)**[1]، فالجزئيَّةُ الَّتِي توافقَتْ معِ البَيتِ السَّابقِ في قولِهِ:**(واعلَمْ أنَّ الأمَّةَ لوِ اجتمعَتْ علَى أنْ يَنفعُوكَ بشيءٍ، لمْ ينفعُوكَ إلَّا بِشَيءٍ قدْ كتبَهُ اللهُ لكَ، ولوِ اجتمعُوا علَى أنْ يَضرُّوكَ بِشيءٍ لنْ يَضرُّوكَ إلَّا بِشيءٍ قدْ كتبَهُ اللهُ عَليكَ)**، أيْ لا نفعَ ولا ضررَ يَملكُهُ الإنسانُ ضدَّ أخيهِ الإنسانُ إلَّا بإذنِ اللهِ تعالَى، وفي البيتِ ما يؤكِّدُ قدرةَ اللهِ تعالَى علَى التَّحكُّمِ في أقدارِ النَّاسِ، فلا يتحكَّمُ النَّاسُ بإقدارِ بعضِهِمْ بعضًا، فقدْ اتَّفقَ التَّناصُ بينَ الحَديثِ والنَّصِّ الشِّعرِي اتِّفاقَ لفظٍ ومعنًى.

٢. **المشهدُ الثَّانِي:** يتحدَّثُ فيهِ النَّبهَانِي عنْ وجوبِ الصِّدقِ في القَولِ والفِعلِ، وخاصَّةً في حُبِّ رسولِ اللهِ ﷺ، لا مُجاملةً ولا تَكلُّفًا، لأنَّ حُبِّ رسولِ اللهِ ﷺ يُمنحُكَ الشَّفاعةَ يومَ القِيامةِ، إذْ يقولُ:

عَلَيْكَ بِالصِّدْقِ فِي حُبِّ الْحَبِيْبِ فَمَا بِغَيْرِهِ لَكَ تَحْصِيْلٌ وَتَوْصِيْلُ[2]

وهُنا يتناصُ في أمرِهِ بالصِّدقِ في حُبِّ الحَبيبِ المُصطفَى ﷺ خاصَّةً، معْ حَديثِ رَسولِ اللهِ ﷺ العامِ المُتعلِّقِ بصدقِ الحَديثِ، لأنَّ الصِّدقَ سبيلُ الإحسانِ، والإحسانُ سبيلُ الجَنَّةِ، وفي المُقابلِ ينهَى عَنِ الكَذبِ؛ لأنَّ الكذبَ سبيلُ الفُجورِ، والفُجورُ سَبيلُ

[1] أحمد بن حنبل. مسند الإمام أحمد بن حنبل. ج١(العقيدة والعلم). رقم الحديث (١٩١). ص١٠٣-١٠٤. تح: صالح أحمد الشامي. دار القلم. دمشق. ط١. (١٤٣٤هـ-٢٠١٣م).

[2] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. المجموعة النبهانية في المدائح النبوية. مج٣. ص١٦٩.

النَّارِ، ومتحرّي الصِّدقَ يُصبحُ صِدّيقًا، كمَا أنَّ مُتحرّي الكذبِ يُصبحُ كَذَّابًا، كمَا يَروِي عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ _ رَضِيَ اللهُ عنهُ _، عنْ رَسولِ اللهِ ﷺ، قالَ:(**عَلَيكُمْ بِالصِّدقِ، فَإِنَّ الصِّدقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهدِي إِلَى الجَنّةِ، وَمَا يَزالُ الرَّجُلُ يَصدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِندَ اللهِ صِدّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالكَذِبُ فَإِنَّ الكَذِبَ يَهدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الكَذِبَ حَتَّى يُكتَبَ عِندَ اللهِ كَذَّابًا**)[1]، فقدْ تناصَ النَّصُّ الشِّعري مَعِ الحَديثِ بالدَّعوةِ إلى وُجوبِ الصَّدقِ في الأقوالِ والأفعالِ، وعلى رأسِ ذلكَ الصِّدقُ في حبِّ رَسولِ اللهِ ﷺ، فقدِ اتَّفقَ النَّصَّانِ في اللَّفظِ، واختلفَا جُزئيًّا في المعنَى، إذْ اختصَّ النَّصُّ الشِّعرِي بالصِّدقِ فِي حَبِّ رَسولِ اللهِ ﷺ، في حين جاءَ نَصُّ الحَديثِ عامًّا، بأنْ يَصدقَ المُسلمُ في أقوالِهِ وأفعالِهِ كلِّهَا حتَّى يُكتبَ عندَ اللهِ صِدّيقًا، لأنَّهُ بالتزامِهِ الكَذبَ في أقوالِهِ وأفعالِهِ سيكتبُ عندَ اللهِ كذَّابًا.

٣. **المشهدُ الثَّالثُ:** يتحدَّثُ النَّبهَانِي في هذا المَشهدِ عنْ يومٍ عظيمٍ، وحدثٍ عظيمٍ، إنَّهُ يومَ القِيامةِ، ونيلِ الشَّفاعةِ لأمَّةِ مُحمَّدٍ ﷺ مِنْ رسولِهَا وحبيبِهَا مُحمَّدٍ ﷺ، إذْ يقولُ مُستطرِدًا:

أَقْبِلْ، وَاشْفَعْ بِمَنْ تَخْتَارُهُ أَقْبِلِ وَاسْأَلْ، أُعْطِيْكَ مَهْمَا شِئْتَ مِنْ مَأْمَلِ[2]

فَهُنا يتناصُ النَّبهَانِي في نصِّهِ الشِّعري هذا حولَ شفاعةِ رَسولِ اللهِ ﷺ لأمَّتِهِ يومَ القِيامةِ، وتكريمِ اللهِ لهُ بإعطائِهِ ما يُريدُ في ذلكَ اليومِ الَّذِي يحتاجُ كلُّ إنسانٍ مثلَ هذا التَّكريمِ أوْ أدنَى منهُ شيئًا، معْ حديثِ رَسولِ اللهِ الطَّويلِ، فقدْ رَوى أنسٌ بنُ مالكٍ _ رَضِيَ اللهُ عنهُ _، عنْ رسولِ اللهِ ﷺ، أنَّهُ قالَ:(**إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ**

---

[1] البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل.. صحيح البخاري. رقم الحديث: ٦٠٩٤. ص١٥٢٥. دار ابن كثير. دمشق. بيروت. ط١. (١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م).

[2] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. المجموعة النبهانية في المدائح النبوية. مج٤. ص٤٦٦.

بِمُوسَى فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللَّهِ، فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى فَإِنَّهُ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ ـ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فَيَأْتُونِي، فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا لَا تَحْضُرُنِي الْآنَ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ، فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَنْطَلِقُ، فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ، فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ أَوْ خَرْدَلَةٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَخْرِجْهُ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ)[1]. فَلَمَّا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ أَنَسٍ قُلْتُ لِبَعْضِ أَصْحَابِنَا: لَوْ مَرَرْنَا بِالْحَسَنِ وَهُوَ مُتَوَارٍ فِي مَنْزِلِ أَبِي خَلِيفَةَ فَحَدَّثْنَاهُ بِمَا حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ فَأَتَيْنَاهُ فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ فَأَذِنَ لَنَا فَقُلْنَا لَهُ : يَا أَبَا سَعِيدٍ جِئْنَاكَ مِنْ عِنْدِ أَخِيكَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فَلَمْ نَرَ مِثْلَ مَا حَدَّثَنَا فِي الشَّفَاعَةِ ، فَقَالَ: هِيهْ ، فَحَدَّثْنَاهُ بِالْحَدِيثِ فَانْتَهَى إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ فَقَالَ : هِيهْ فَقُلْنَا لَمْ يَزِدْ لَنَا عَلَى هَذَا فَقَالَ لَقَدْ حَدَّثَنِي وَهُوَ جَمِيعٌ مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً فَلَا أَدْرِي أَنَسِيَ أَمْ كَرِهَ أَنْ تَتَّكِلُوا ، قُلْنَا : يَا أَبَا سَعِيدٍ فَحَدِّثْنَا ، فَضَحِكَ وَقَالَ: خُلِقَ الإِنْسَانُ عَجُولا مَا ذَكَرْتُهُ إِلا وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُحَدِّثَكُمْ حَدَّثَنِي كَمَا حَدَّثَكُمْ بِهِ قَالَ[2]:**(... ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، فَيَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلالِي وَكِبْرِيَائِي**

[1] البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري. رقم الحديث: ٤٧١١. ص١١٦٩.

[2] المصدر نفسه. رقم الحديث:٤٧١٢. ص١١٧٠.

وَعَظَمَتِي، لأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ)[1]، فالحديثُ يُشيرُ في آخرِهِ إلى إرساءِ مِنحةِ الشَّفاعةِ على رَسولِ اللهِ ﷺ، بعدَ ذهابِ الأُمَمِ إلى الأنبياءِ مِنْ آدمَ _ عليهِ السَّلامُ _ حتَّى عِيسَى _ عليهِ السَّلامُ _، فَلا يُعطُوا الشَّفاعةَ إلى أنْ يقولَ: رَسولُ اللهِ ﷺ:**(أَنَا لَهَا)**، بعدَ أنْ يأذَنَ اللهُ لهُ بهَا، وهذا التَّوافقُ اللَّفظِيُّ والمَعنويُّ بينَ النَّصِّ الشِّعريِّ والحَديثِ النَّبوي فِي آخرِهِ يدلُّ على التَّناصِ التَّامِ بينَ النَّصَّينِ؛ لاتِّفاقِ الدَّلالةِ والمَدلولِ علَى ذلكَ.

٤. **المشهدُ الرَّابعُ:** يتحدَّثُ النَّبهانِي في هذا المَشهدِ عَنِ اهتزازِ عَرشِ الرَّحمنِ لموتِ أحدِ الصَّحابةِ مِنَ الإنصارِ الَّذِينَ ناصَروا رَسولَ اللهِ ﷺ، إنَّهُ سعدٌ بنُ مُعاذٍ _ رَضِيَ اللهُ عنهُ _، فقدْ أشارَ إلى هذا الصَّحَابي الجَليلِ دونَ ذكرِ اسمِهِ، قائلًا:

مِنْهُمْ سَيِّدٌ لَهُ اهْتَزَّ عَرْشُ اللهِ شَوْقًا، وَمِنْهُمِ النُّقَبَاءُ[2]

وفي هذا النَّصِّ الشِّعري يتناصُ النَّبهَانِي معْ حديثٍ نبويٍّ يصرِّحُ بالشَّخصيَّةِ الَّتِي اهتزَّ لهَا عرشُ الرَّحمنِ، فقدْ رَوى أبو سُفيانَ عَنْ جابرٍ_ رَضِيَ اللهُ عنهُمَا _، أنَّهُ سمعَ النَّبيَّ يقولُ:**(اهْتَزَّ الْعَرْشُ لِمَوْتِ سَعْدِ بنِ مُعَاذٍ)**[3]، فهذا النَّوعُ مِنَ التَّناصِ الدِّيني فيهِ استدعاءٌ للشَّخصيَّاتِ الدِّينيَّةِ، وهُنَا يُشيرُ النَّبهَانِي إلى الصَّحابِي الجَليلِ سَعدِ بنِ مُعاذٍ _ رَضِيَ اللهُ عنهُ _ الَّذِي أسلمَ وعمرُهُ ٣٠ عامًا، وماتَ وعمرُهُ ٣٦ عامًا، فلمْ يعشْ في ظلِّ الإسلامِ سِوى ستَّةِ أعوامٍ، ومعْ هذا اهتزَّ عرشُ الرَّحمنِ لموتِهِ تكريمًا لهُ لمَا قدَّمَهُ للإسلامِ ودعوتِهِ فاستحقَّ هذا التَّكريمُ العظيمُ، وفي روايةِ البَراءِ بنِ عَازبٍ _ رَضِيَ اللهُ عنهُ _ قالَ، قالَ رسولُ اللهِ ﷺ:**(اهتزَّ عرشُ الرَّحمنِ لِموتِ سَعدِ بنِ مُعاذٍ)**[4]، وفي الرِّوايتينِ تأكيدٌ على تكريمِ هذا الصَّحابِي الجَليلِ، والتَّناصُ هُنا هوَ

---

[1] المصدر السابق. رقم الحديث:٤٧١٣. ص١١٧١.

[2] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. المجموعة النبهانية في المدائح النبوية. مج١. ص٢٤١.

[3] البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري. رقم الحديث: ٣٨٠٣. ص٩٣١.

[4] ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. فتح الباري بشرح صحيح البخاري. رقم الحديث: ٣٦٦٦. ص١٤٠-١٤١. ت: عبد القادر سيبة الحمد. مكتبة الملك فهد الوطنية. الرياض. السعودية. ط٣. (١٤٣٢هـ- ٢٠١١م).

إحياءٌ لذكرِ هذا الصَّحابِي، وذكرِ النُّقباءِ مِنَ الأنصارِ الَّذِينَ اختارَهُمْ رَسولُ اللهِ ﷺ على رُؤوسِ قَومِهِم يَدعونَهُمْ إلى الإسلامِ في بيعةِ العَقبةِ الثَّانيةِ، وكلُّ ذلكَ استدعاءٌ لشخصيَّاتٍ مُهمَّةٍ في تاريخِ الإسلامِ مِنْ خِلالِ التَّناصِ الدِّينِي.

٥. **المشهدُ الخامسُ:** يتحدَّثُ النَّبهانِي عنْ رسولِ اللهِ ﷺ بأنَّهُ خاتمُ النَّبيّينَ، وأنَّ أمَّتَهُ أمَّةُ الإسلامِ هيَ الأمَّةُ الوُسطَى، بقولِهِ:

بِهِ خَتَمَ اللهُ النَّبِيّينَ مَبْعَثًا فَأُمَّتُهُ الغَرَّا هِيَ الْأُمَّةُ الوُسْطَى[١]

فهُنا يتناصُ النَّبهانِي في حديثِهِ عنْ رسولِ اللهِ ﷺ وأمَّتِهِ بأنْ جعلَهُ اللهُ خاتمَ الأنبياءِ والمُرسلينَ وأمَّتَهُ أمَّةً وَسطَى، وتوسُّطُهَا الأُممِ يعنِي شَهادتُهَا عليهِمْ، كَمَا يشهدُ الرَّسولُ مُحمَّدٍ ﷺ على الرُّسلِ والأَنبياءِ شَهادةَ الخَيرِ، وهذا يَتوافَقُ تناصِّيًّا مَعْ أحاديثِ رسولِ اللهِ ﷺ الَّتِي يَروِي فيهَا عَنْ كونِهِ خاتمَ الأنبياءِ والمُرسلينَ، فقدْ روَى أَبو أُمامةَ البَاهليُّ قائلًا: **سَمِعتُ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ فِي حِجَّةِ الوَدَاعِ، فَقَالَ:"إِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي وَلَا أُمَّةَ بَعْدَكُمْ**[٢]"، فالتَّناصُ هُنا مَعنويًّا مِنْ خِلالِ فهمِ السِّياقِ، فالرَّسولُ ﷺ لا نبيَّ بعدُهُ فهوَ خاتمُ الأنبياءِ والمُرسلينَ، وشاهدٌ عليهِمْ، والأمَّةُ الإسلاميَّةُ آخرُ الأممِ، فلا أمَّةٌ بعدَهَا وهيَ شاهدةٌ على الأُمَمِ، وقدْ جاءَ ذلكَ فِي قولِهِ تعالَى:"**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ**"[٣]، فقدْ جاءَ التَّناصُ هُنا معِ الآيةِ والحَديثِ لفظًا ومعنًى للتَّأكيدِ علَى خاتميَّةِ رَسولِ اللهِ ﷺ للأَنبياءِ والمُرسلينَ، وخاتميَّةِ أمَّةِ الإسلامِ للأُمَمِ، ووسَطيَّتِهَا بِالحُكمِ بالعَدلِ بينَ الأُممِ كَشاهدةٍ وشَهيدةٍ.

---

[١] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. المجموعة النبهانية في المدائح النبوية. مج٢، ص٣٠٤.

[٢] الألباني، ناصر الدين. ظلال الجنة في تخريج السنة ومعه كتاب السنة للحافظ أبي عمرو الضحاك الشيباني. رقم الحديث:١٠٦١. ص٥٠٥. المكتب الإسلامي. بيروت. دمشق. ط١. (١٤٠٠هـ-١٩٨٠م).

[٣] سورة البقرة. آية رقم: ١٤٣.

٦. **المشهدُ السَّادسُ:** يتحدَّثُ النَّبهَانِي في هذا المَشهدِ عَنِ الشَّفاعةِ الَّتِي خصَّهَا اللهُ بالرَّسولِ ﷺ لأمَّتِهِ مِنْ بينَ الأُممِ، فهوَ الشَّفيعُ لهَا يومَ القِيامةِ، إذْ يقولُ:

حَيْثُ الشَّفَاعَةُ لَا تَرْضَى سِوَاهُ وَلَا يَقْوَى لِخِطْبَتِهَا الْغُرُّ الْبَهَالِيْلُ[١]

فهنَا يتناصُ في ذكرِهِ للشَّفاعةِ الَّتِي خصَّهَا اللهُ برسولِهِ مُحمَّدٍ ﷺ، معْ حديثِ رَسولِ اللهِ ﷺ الَّذِي رواهُ جابرٌ بنُ عبدِ اللهِ _ رَضِيَ اللهُ عنهُ _ عنْ رسولِ اللهِ ﷺ، قالَ:(**أُعْطِيْتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنْ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيْرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُوْرًا، فأيَّمَا رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيْتُ الشَّفَاعَةُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّة**)[٢]، ففِي هذا الحديثِ الطَّويلِ يذكرُ ما خصَّ اللهُ رسولَهُ ﷺ بِهِ منْ بينِ الرَّسلِ، ويبيِّنُ أنَّ الشَّفاعةَ ممَّا خصَّهُ بهَا، وهذا يتَّفقُ معِ النَّصِّ الشِّعرِي في جعلِ الشَّفاعةِ خاصَّةً بالرَّسولِ مُحمَّدٍ ﷺ لأمَّتِهِ فحسب.

٧. **المشهدُ السَّابعُ:** يتحدَّثُ النَّبهَانِي في هذا المَشهدِ عنْ مكانةِ رَسولِ اللهِ ﷺ عندَ اللهِ يومَ القِيامةِ، مستأنِسًا بحديثِ رَسولِ اللهِ ﷺ ومتناصًّا معْهُ، إذْ يقولُ مُعدِّدًا فضائِلَهُ، ومُشيرًا إلى مَقامِهِ يومَ القِيامَةِ:

مَقَامُهُ ثَمَّ مَحْمُودٌ وَفِي يَدِهِ فَوْقَ الْجَمِيْعِ لِوَاءُ الْحَمْدِ مَحْمُوْلٌ[٣]

فهوَ يتناصُ هُنا معْ حديثِ رَسولِ اللهِ ﷺ الَّذِي رَواهُ أبو سَعيدٍ الخُدَري عنْ رسولِ اللهِ ﷺ: إذْ قالَ يَصفُ مكانتَهُ يومَ القِيامةِ:(**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرُ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرُ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ وَلَا فَخْرُ، وَلِوَاءُ الْحَمْدِ بِيَدِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرُ**)[٤]، فقدْ ذكرَ النَّبهَانِي مقامَ رسولِ اللهِ ﷺ المَحمودِ

---

[١] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. المجموعة النبهانية في المدائح النبوية. مج٣. ص١٧٢.

[٢] البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري. رقم الحديث: ٣٣٥. ص٩٢-٩٣.

[٣] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. المجموعة النبهانية في المدائح النبوية. مج٣. ص١٧٢.

[٤] ابن ماجة، الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القوريني. سنن ابن ماجة. مج٣. رقم الحديث: ٣٤٩٦. ص٤٠٢. تأليف: محمد ناصر الدين الألباني. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. الرياض. ط١. (١٤١٧هـ-١٩٩٧م)

في الجَنَّةِ، وذكرَ لواءَ الحَمدِ الَّذِي سيكونُ في يدِهِ ﷺ يومَ القِيامةِ، وقدْ وردَ ذلكَ في الحديثِ عنْ مكانةِ رَسولِ اللهِ ﷺ فهوَ سيّدُ ولدِ آدمَ، وأَوَّلُ الخَارجينَ مِنَ الأرضِ يومَ البَعثِ، وأَوَّلُ مَنْ يشفعُ لأمَّتِهِ، وبيدِهِ لواءِ الحَمدِ، وقدْ كرَّرَ **(وَلَا فَخْرُ)** أكثرَ مِنْ مرَّةٍ ليعلّمَنَا أنَّ الفخرَ بالنَّفسِ مذمومٌ، وأنَّ هذهِ العَطايَا والمِنَحَ مِنْ عندِ اللهِ تعالَى، وذكرَ المَقامَ المَحمودَ في النَّصّ الشِّعريّ فيهِ تناصٌّ كَذلكَ معْ قولِهِ تعالَى فِي سُورةِ الإسراءِ:"**وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا**"[1]، فالنَّصُّ الشِّعريُّ المَذكورُ في صَدرِ البَيتِ **(مَقَامُهُ ثَمَّ مَحْمُودٍ وفِي يَدِهِ)** تناصٌّ معِ الآيةِ الَّتِي تضمَنَتِ الحَديثَ عَنْ مَكانةِ رَسولِ اللهِ ﷺ فِي الجَنَّةِ، إذْ يرفعُهُ اللهُ مقامًا محمودًا؛ لأنَّهُ متهجدٌ قائمُ الليلَ نافلةً للهِ تعالَى، وكثيرٌ ما يكونُ التَّناصُ في النَّصّ الشِّعرِي عندَ النَّبهَانِي معْ آيةٍ وحديثٍ معًا، لأنَّ شعرَهُ يُعدُّ نقلًا لمَا جاءَ في كِتابِ اللهِ _ عزَّ وجلَّ _، وسُنَّةِ نبيّهِ ﷺ، وسيرتِهِ العَطِرَةِ.

٨. **المشهدُ الثَّامنُ:** يتحدَّثُ النَّبهَانِي في هذا المَشهدِ عَنْ طيبةَ (المَدينةَ المنوَّرةَ) الَّتِي طالمَا ذكرَهَا رَسولُ اللهِ ﷺ في أحاديثِهِ، وباركَ فيهَا، وهُنا نجدُ النَّبهَانِي يُفردُ قصائدَ ومقطوعَاتٍ في التَّغزُّلِ والتَّغَنّي بهَا، إذْ يقولُ في مَطلعِ إحدَى قصائدِهِ يصفُ طيبةَ ويتغنَّى بهَا:

مُنْيَتِي طَيْبَةُ لَا أَبْغِي سِوَاهَا فِيْهَا الْحُسْنُ لَعَمْرِي قَدْ تَنَاهَى[2]

فقدْ تناصَّ هُنا في شوقِهِ إلى طَيبةَ _ مدينةَ رسولِ اللهِ ﷺ ووصفِهِ الرَّائعِ لهَا بِالجَمالِ المُتناهِي _ معِ حديثِ رَسولِ اللهِ ﷺ الَّذِي رواهُ زيدُ بنُ ثابتٍ _ رَضِيَ اللهُ عنهُ _ قائلًا:(لمَّا خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أُحِد، رَجَعَ نَاسٌ مِمَّنْ خَرَجَ مَعهُ، وَكَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ فِرقَتَينِ: فِرقَةٌ تَقُولُ: نُقَاتِلُهُمْ، وَفِرقَةٌ تَقُولُ: لَا نُقَاتِلُهُمْ، فَنَزَلَ قَولُهُ تَعَالَى:"**فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ**

[1] سورة الإسراء. آية رقم: ٧٩.

[2] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. المجموعة النبهانية في المدائح النبوية. مج٤. ص٣٠٠.

اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا"[1]، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:**(إِنَّهَا طَيْبَةُ، تَنْفِي الذُّنُوْبَ كَمَا تَنْفِي النَّارُ خَبَثَ الْفِضَّةِ)**[2]. فمدحُ النَّبهَانِي لطيبةَ يتَّفقُ معْ مدحِ الرَّسولِ ﷺ لهَا، وبيانِ مكانتِهَا عندَ اللهِ تعالَى، فهيَ ليسَتْ جميلةً فحسب، بلْ لا تقبلُ الخَبائثَ، وتَنفيهَا كمَا نفَتِ اليهودَ والمُنافقينَ منهَا بعدَمَا بانَ خبثُهُم وعدوانُهُم علَى الرَّسولِ ﷺ وأصحابةِ مِنْ المُهاجرينَ والأنصارِ، وهذا التَّناصُ جاءَ مزدوجًا ففِي النَّصّ الشَّعرِي تناصٌّ معِ الحَديثِ المذكورِ، والآيةِ الَّتِي وردَتْ في ثناياهُ كذلكَ.

٩. **المشهدُ التَّاسعُ:** يتحدَّثُ النَّبهانِي في هذا المَشهدِ عَنْ حتميَّةِ اتِّباعِ الرَّسلِ والأنبياءِ السَّابقينَ للرَّسولِ مُحمَّدٍ ﷺ، لوْ بقُوا حتَّى عصرِهِ لأنَّ دعوتَهُمْ واحدةً وهيَ توحيدُ اللهَ _ عزَّ وجلَّ _ وعبادتُهُ حقَّ عبادةٍ، لذَلكَ قالَ النَّبهَانِي في تَأكيدِ هذا الاتِّباعِ:

وَلَوْ جَاءَ فِي أَعْصَارِهِمْ آمَنُوا بِهِ وَكَانُوا لَهُ مِنْ خَيْرِ أَجْنَادِهِ نُصَّرَا[3]

فقدْ تناصَ في هذا النَّصّ الشِّعري المُؤكِّدِ على حتميَّةِ إيمانِ الرُّسلِ والأنبياءِ برسالةِ مُحمَّدٍ ﷺ، واتِّباعِهِم لهُ ونُصرتِهِ علَى عدوِّهِ، إذْ تناصَّ معْ حديثٍ نبويّ شريفٍ رواهُ جابرٌ بنُ عبدِ اللهِ _ رَضِيَ اللهُ عنهُ _ عنْ رسولِ اللهِ ﷺ، أنَّهُ قالَ: حينمَا جاءَهُ عمرُ بنُ الخطَّابِ _ رَضِيَ اللهُ عنهُ _، فقالَ لهُ: إنَّا نسمعُ أحاديثَ مِنْ يهودَ تُعجبُنَا، أَفَتَرَى أنْ نكتبَ بعضَهَا؟! فقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ:**(لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، وَلَوْ كَانَ مُوْسَى حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا اتِّبَاعِي)**[4]. فالإشارةُ هُنا ضِمنيَّةٌ في المعنَى معْ إشارةٍ تقريبيَّةٍ في اللَّفظِ، إذْ تناصَّ النَّصُّ الشِّعرِي معِ الحَديثِ في الجُزئيةِ الأخيرةِ الَّتِي تُشيرُ إلى اتِّباعِ مُوسَى _ عليهِ السَّلامُ _ وهوَ رسولُ بَنِي إسرائيلَ لنبيِّنَا مُحمَّدٍ ﷺ لوْ عاشَ الاثنانِ في العصرِ نفسِهِ، وإنْ كانَ النَّبهَانِي قدْ ذكرَ الرُّسلَ والأنبياءَ جميعَهُم، والرَّسولُ ﷺ ذكرَ

---

[1] سورة النساء. آية رقم: ٨٨.

[2] البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري. رقم الحديث: ٣٣٥. ص٩٢-٩٣.

[3] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. مجموع كتب (الرائيتان الكبرى والصغرى، وسعادة الأنام، ومختصر إرشاد الحيارى). ص١٠.

[4] القاري، نور الدين بن سلطان بن محمد. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح. كتاب الإيمان. ج١. رقم الحديث: ١٧٧. ص٣٨٤. تح: الشيخ جمال عيتاني. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط١. ٢٠٠١م.

مُوسَى _ عليهِ السَّلامُ _ فقط؛ لأنَّهُ نَبي بَنِي إسرائيلَ، وفي ذلكَ ارتباطٌ بمَا قالَهُ عمرُ بنُ الخطَّابِ _ رَضِيَ اللهُ عنهُ _ عنِ الأحاديثِ الَّتِي يسمعونَهَا مِنَ اليهودِ فَتُعجبُهُم، لذلكَ ذكرَ رَسولُنَا ﷺ مُوسَى _ عليهِ السَّلامُ _ واكتَفَى بهِ كواحدٍ مِنْ بينِ الرُّسلِ والأنبياءِ الَّذِينَ يتَّبعونَهُ ويُؤمنونَ بهِ لوْ عاشُوا في عصرِهِ.

ثالثًا: التَّناصُ الدِّيني معِ القَصَصِ القُرآني (التَّناصُ القَصَصي): القصَّةُ سواءٌ أكانَتْ قرآنيَّةٌ أمْ تاريخيَّةٌ أمْ أدبيَّةٌ هيَ فنٌّ أدبيٌّ تتكونُ منْ مجموعةِ أحداثٍ يرويهَا الكاتبُ في زَمانٍ ومكانٍ محدَّدينِ، ويقومُ بهذهِ الأحداثِ والمَواقفِ شخصيَّاتٍ تمثِّلُ أدوارًا أوْ ربَّمَا تعيشُ الحدثَ واقعًا، وقدْ تتبايَّنُ أساليبُهَا ومواقفُهَا فِي القِصَّةِ حسبَ السِّياقِ والدَّورِ المَنوطِ بهَا، وعادةً ما تنقلُ هذهِ القَصَصُ واقعَ حياةِ النَّاسِ الحَقيقيَّةِ أوِ الخَياليَّةِ لأهدافٍ تتسمُ بالنَّقدِ أوِ اتِّخاذِ العِبَرِ والمَواعظِ أوِ التَّذكيرِ بالتَّاريخِ أوِ تثبيتِ الفُؤادِ والصَّبرِ، وربَّمَا تُثيرُ التَّسليةَ والسُّخريةّ، حسبَ ما يريدُهُ كاتبُ القِصَّةِ أوْ راويهَا إنْ كانَتْ حَقيقيَّةً[1].

والقَصَصُ القُرآنِي قَصَصٌ حَقيقيَّةٌ لحقيقةِ القُرآنِ وصدقِ مَا جاءَ فيهِ، فهوَ يَروي القِصَّةَ كمَا جاءَتْ دونَ أيِّ تَغييرٍ أوْ تبديلٍ، وتُعدُّ مُجرياتُ أحداثِ القِصَّةِ واقعةً في زمانِهَا ومكانِهَا معْ شُخوصِهَا جميعِهِمْ بأسمائِهِمْ وألقابِهِمْ، وهذهِ القَصَصُ ليسَ لهَا علاقةٌ بالقَصَصِ الأدبيَّةِ أوِ التَّاريخيَّةِ، لأنَّهَا قَصَصٌ وردَتْ في كتابِ اللهِ الَّذِي لَا يأتيهُ الباطلُ مِنْ بينِ يديهِ ولَا مِنْ خلفِهِ، لذلكَ فالقِصَّةُ القُرآنيَّةُ جاءَتْ لِتثبيتِ فؤادِ النَّبِي ﷺ مِنْ جِهةٍ، ولاتِّخاذِ العِبَرِ والمَواعظِ مِنْ جهةٍ أخرَى، وكذلكَ لإثباتِ أنَّ القُرآنَ مِنْ عندِ اللهِ تَعالى عالمِ الغَيبِ والشَّهادةِ، فقدْ قالَ تعالَى:"**وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**"[2]، وغالبًا ما كانَتِ القَصَصُ القرآنيَّةُ مَا يُروَى منْ قَصَصِ الأنبياءِ والرُّسلِ السَّابقينَ معْ أقوامِهِمْ، وهذا أسلوبُ القُرآنِ الكريمِ الرَّاقِي الَّذِي يأتِي بأمثلةٍ مِنَ الواقعِ القَديمِ لِيطمئِنَ قلبُ رَسولِهِ مُحمَّدٍ ﷺ، ومِنْ هُنا جاءَتِ القَصَصُ تَتْرَى في كتابِ اللهِ تعالَى،

[1] نجم، محمد يوسف. (د.ت). فن القصة. ص٩. دار الثقافة. بيروت. لبنان. (د.ط).

[2] سورة هود. الآية رقم: ١٢٠.

وكذلكَ أرادَ الشَّاعرُ يوسُفُ النَّبهانِي أنْ ينقلَ هذهِ القَصَصَ شعرًا متناصًّا بهَا ضمنَ نُصوصِهِ الشِّعريَّةِ، تزيينًا لنصوصِهِ الشِّعريَّةِ، ولكي تكونَ أكثرَ إقناعًا للقَارِئ والمُستمعِ[1].

وفي هذهِ الدِّراسةِ سيتمُّ تناولُ عددٍ مِنَ المَشاهدِ القَصَصيَّةِ القُرآنيَّةِ الَّتِي تناصَّ معهَا الشَّاعرُ يوسُفُ النَّبهانِي في نُصوصِهِ الشِّعريَّةِ، على النَّحوِ التَّالِي:

١. **المشهدُ الأَوَّلُ:** يتحدَّثُ النَّبهَانِي في المَشهدِ الأَوَّلِ عَنْ قِصَّةِ مِيلادِ سَيِّدِ الأنبياءِ مُحمَّدٍ ﷺ، ومَا صاحبَ ميلادَهُ في تلكَ اللَّيلةِ المُميزةِ، إذْ يقولُ:

جَاءَ وَالدَّهْـرُ مُظْـلِمٌ فَتَجَـلَّتْ مِنْـهُ فِيهِ شَمْسُ الْهُدَى فَأَضَاءَ
صَارَ كُلُّ الزَّمَـانِ مِنْــهُ نَـهَارًا وَلَقَـدْ كَــانَ لَيْــلَــةً لَيْـــــلَاءَ
جَاءَ وَالْعِلْمُ وَالفَضَـائِلُ وَالتَّوْ حِيدُ مَوْتَى فَأَصْـــــبَحَتْ أَحْيَاءُ
هُوَ فَرْدُ الوُجُودِ مَـا خَلَقَ اللهُ لَـــهُ فِي كَمَـــــالِــهِ نُظَـــرَاءَ[2]

فهوَ يتناصُ في هذهِ الأبياتِ السَّرديَّةِ الَّتِي تَسردُ قصَّةَ مِيلادِ رَسولِ اللهِ مُحمَّدٍ ﷺ في (السِّيرةِ النَّبويَّةِ العَطرةِ)، مُشيرًا إلى حَالةِ النَّاسِ في تلكَ اللَّحظةِ الَّتِي ولدَ فيهَا، إذْ كانَ قومُهُ في مكَّةَ المُكرمةِ غَارقينَ في الجَهلِ وسوءِ الأخلاقِ، وعبادةِ الأوثانِ مْنْ دونِ اللهِ تعالَى، وقدْ أشارَ ابنُ هشامٍ في (السِّيرةِ النَّبويَّةِ) إلى ذلكَ فقالَ:**(ولدَ رَسولُ اللهِ ﷺ يومَ الاثنينِ لِاثنتِي عَشرةَ خَلَتْ مِن رَبيعٍ الأوَّلِ، عَامَ الفيلِ، ويَروي حَسَّانُ بنُ ثابتٍ ـ رَضِيَ اللهُ عنهُ ـ شَاعِرُ الرَّسولِ ـ وَقَد كانَ غُلامًا صَغيرَ السِّنِّ ـ أنَّهُ سَمعَ تلكَ اللَّيلةِ يَهوديًّا فِي المَدينةِ كانَ يَصرُخُ فِي أعلَى أَطَمَةٍ فِي يَثربَ، فَيقولُ: يَا مَعشرَ يَهودَ، حَتَّى اجتَمَعُوا إليهِ، وَقالُوا: وَيلكَ، مَا لكَ؟! قالَ: طَلَعَ اللَّيلةُ نَجْمُ أحمدَ الَّذِي**

[1] عيسى، عبد الخالق. التناص مع القصة القرآنية في شعر أبي تمام. جامعة النجاح الوطنية. كلية الآداب. قسم اللغة العربية. مجلة جامعة الأزهر بغزة. سلسلة العلوم الإنسانية. مج١٤. ع٢. ص٤٣١-٤٤٦. ٢٠١٢م.

[2] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. المجموعة النبهانية في المدائح النبوية. مج١. ص٢٠٣.

وُلِدَ بِهِ)[1]، والإشاراتُ الدَّالةُ على مولدِهِ المُميَّزِ، كلُّهَا إشاراتٌ تدلُّ علَى مولدِ إنسانٍ مهمٍّ، فقدْ استطردَ النَّبهَانِي في حديثِهِ عنْ لحظَةِ مولدِهِ ﷺ، قائلًا:

وَبِمِيْـــلَادِهِ لَـقَـدْ فَـاضَ نُـوْرٌ ضَاقَ عَنْ وُسْعِهِ المَلَا وَالْخَلَاءُ

فَـاضَ طُـوْفَـانُهُ فَغَـاضَـتْ ميَاهُ الْقُـرْسِ وَالنَّـارُ عَمَّهَا الإِطْفَاءُ

شُرُفَاتُ الإِيْوَانِ إِيْوَانَ كِسْرَى مِنْهُ خَـرَّتْ وَانْشَـقَّ هَـذَا الْبِنَاءُ

وَرَأَى المُـوْبِذَانُ رُؤْيَا حَكَاهَا هِيَ حَـقٌّ وَلَيْـسَ فِيْـهَـا امْتِـرَاءُ

وَبِمِيْـلَادِهِ تَنَكَّسَـتِ الْأَصْـنَامُ جَنَّـتْ أَمْ مَسَّـهَا إِغْمَاءُ[2]

فقدْ تناصَّ في نصِّهِ الشِّعري القَصَصي هذا معْ قصَّةِ ميلادِ رسولِ اللهِ ﷺ الَّتِي سردَهَا ابنُ هشامٍ مفصِّلًا وموضِّحًا، وذاكرًا مَا صاحبَ مِيلادِهِ في تلكَ اللَّيلةِ :**(... وَرَأَتْ أُمُّهُ آمِنَةَ حِيْنَ حَمَلَتْ بِهِ أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نَورٌ رَأَتْ بِهِ قُصُورَ كِسْرَى مِنْ أَرْضِ الشَّامِ)**[3]. فقدْ توافقَ الحَديثُ عنْ لحظةِ ميلادِ رَسولِ اللهِ ﷺ ومَا سبقَهَا أثناءَ حملِ أمِّهِ آمنةَ بنتِ وهبٍ بِهِ، بينَ النَّصِّ الشِّعري والسَّردِ القَصَصي لِقِصَّةِ مِيلادِ الرَّسولِ مُحمَّدٍ ﷺ.

٢. **المشهدُ الثَّانِي:** يتحدَّثُ النَّبهَانِي في هذا المَشهدِ في أكثرِ مِنْ قِصَّةٍ، إذْ يتناولُ قصَّةَ نزولِ آدمَ وحوَّاءَ _ عليهِمَا السَّلامُ _ منَ الجنَّةِ إلى الأرضِ، وقصَّةِ الهِجرةِ النَّبويَّةِ، ويتناولُ قصَّةَ خُروجِ موسَى _ عليهِ السَّلام _ منْ مصرَ إلى مَدينَ، وقصَّةِ انتقالِ يوسُفَ _ عليهِ السَّلامِ _ مِنْ أرضِ كنعانَ إلى مصرَ، وذلكَ ليؤكِّدَ أنَّ الرَّحيلَ عنِ الوطنِ أوِ الهِجرةِ أوِ الاغترابِ ليسَ عيبًا في الإنسانِ وخيانةً لوطنِهِ، فقدْ حدثَتْ معْ خيرةِ البشرِ منْ خلقِهِ، وذلكَ ردًّا على مَنْ كانَ ينتقدُهُ بسببِ اغترابِهِ عنْ فلسطينَ وتنقُّلِهِ بينَ مصرَ وتركيَّا ولِبنانَ، إذْ يقولُ في هذهِ المَشاهدِ الاغترابيَّةِ:

---

[1] ابن هشام الأنصاري. السيرة النبوية. ج١. ص١٨٣– ١٨٤. تح: عمر عبد السلام تدمري. دار الكتاب العربي. بيروت. ط٣. (١٤١٠هـ– ١٩٩٠م).

[2] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. المجموعة النبهانية في المدائح النبوية. مج١. ص٢١٤.

[3] ابن هشام الأنصاري. السيرة النبوية. ج١. ص١٨٠–١٨١.

فَلَـوْلَا فِـرَاقُ الخُـلْـدِ حَـوَّا وَآدَمٌ لَمَا جَـاءَتِ الـرُّسْـلُ الْأَكَـارِمُ مِنْهُمَا
وَأَحْمَدُ خَيْـرُ الْخَلْقِ لَـوْلَا فِـرَاقُـهُ لِمَكَّـةَ لَمْ يَظْفَـرْ بِمَـا كَـانَ صَمَّمَا
وَمُوْسَـى كَلِيْـمُ اللهِ لَـوْلَا رَحِيْـلُـهُ لِمَدْيَـنَ لَـمْ يَـرْجِـعْ رَسُـوْلًا مُكَرَّمَا
وَفِي غُرْبَةِ الصِّدِّيقِ يُوسُفَ عِبْرَةٌ أَمَا صَارَ فِي مِصْرَ العَزِيزَ المُعَظَّمَا[1]

فقدْ تناصَ في البيتِ الأَوَّلِ منَ النَّصِّ الشَّعري الَّذِي يَروي قصَّةَ فِراقِ آدمَ وحوَّاءَ الجَنَّةَ بسببِ معصيتِهِمَا للهِ تعالَى بأكلِهِمَا منَ الشَّجرةِ الَّتِي نهاهُمَا اللهُ تعالَى عنِ الأكلِ منْهَا، وإغواءِ إبليسَ لهُمَا بالأكلِ منهَا، ثمَّ طردِهِمْ جميعًا مِنَ الجَنَّةِ بعدَ توبةِ آدمَ واستغفارِهِ للهِ تعالَى، وقدْ وردَتِ القصَّةُ في كتابِ (البِدايةِ والنِّهايةِ)، فرَوى ابنُ كَثيرٍ عنْ أبِي هُريرةَ _ رَضِيَ اللهُ عنهُ _ عنْ رَسولِ اللهِ ﷺ، قالَ:(... **ثُمَّ لَمَّا أَسكنَ اللهُ آدمَ وزوجتَهُ حَواءَ الجَنَّةَ، أقَامَا فيهَا يَأكلانِ مِنهَا رغَدًا كمَا أرادَا، فلمَّا أَكلَا مِن الشَّجرةِ الَّتِي نُهيَا عَن الأكلِ مِنهَا، إذْ أغواهُمَا الشَّيطانُ، سُلِبَا مَا كَانَا عَليهِمَا مِن اللِّباسِ، وَقالَ اللهُ لهُمَا: اهْبِطَا إلى الأَرضِ**)[2]. فالمشهدُ التَّناصِّي الأوَّلُ يدورُ حولَ قصَّةِ هبوطِ آدمَ وحوَّاءَ مِنَ الجَنَّةِ، بسببِ الأكلِ مِنَ الشَّجرةِ الَّتِي نُهِيَا عنِ الأكلِ منهَا، ولكنْ بإغواءِ إبليسَ أكلَا منهَا، فسقطَ اللِّباسُ عنهُمَا وتعرَّيَا، وأمرَهُمَا اللهُ بمغادرةِ الجَنَّةِ معْ إبليسَ إلى الأرضِ، بعدَ أنْ طلبَ منهُمَا التَّوبةَ والاستغفارَ.

أمَّا المشهدُ التَّناصِّي الثَّانِي فيتحدَّثُ النَّبهَانِي عنْ هِجرةِ رَسولِ اللهِ ﷺ مِنْ مكَّةَ قَسْرًا، إذْ خرجَ منهَا معْ صاحبِهِ أبي بكرٍ الصِّديقِ _ رَضِيَ اللهُ عنهُ_ خوفًا مِنْ بطشِ الكافرينَ مِنْ قريشٍ، وبعدَ أنْ وجدَ دارَ نصرتِهِ في يثربَ، إذْ قالَ:

وَأَحْمَدُ خَيرُ الْخَلْقِ لَوْلَا فِرَاقُهُ لِمَكَّةَ لَمْ يَظْفَرْ بِمَا كَانَ صَمَّمَا

وهذا المشهدُ تناصَّ بهِ النَّبهانِي معْ قصَّةِ الهِجرةِ منْ مكَّةَ المكرمةِ إلى المَدينةِ المُنوَّرةِ الَّتِي ذكرَهَا ابنُ هشامٍ في (السَّيرةِ النَّبويَّةِ)، إذْ رَوى عنِ ابنِ إسحاقَ قائلًا:(...

[1] قصيدة مخطوطة للشيخ النبهاني كتبها الشيخ عبد الهادي راوية شعر النبهاني.

[2] ابن كثير، الحافظ أبو الفداء. البداية والنهاية. ج١. ص٩١. مكتبة المعارف. بيروت. (د.ط). (١٤١٠هـ-١٩٩٠م).

فَلمَّا أَجْمَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الخُروجَ مِن مَكَّةَ إلى يَثربَ، أَتى أَبَا بَكرٍ بنِ أَبي قُحَافةَ، فخَرجَا مِن خَوخَةٍ لِأبي بَكرٍ فِي ظهرِ بيتِهِ، وعَمِدَا إلى غَارٍ بِثورٍ(أسفلَ مَكَّةَ)، فدخَلاهُ، فأقامَا فِيهِ ثَلاثًا حَتَّى مَرَّ عَنهُمَا رَكبُ قُريشٍ الَّذِي يُطاردهُمَا، وقَد استعَانَا بِمُشركٍ يهدِيهُمَا إلى الطَّرِيقِ نَحوَ يَثربَ هُوَ عُبدُ اللهِ بنُ أُريقطَ، كمَا استعَانَا بِخادمِ أَبِي بكرٍ وَهُوَ عَامرُ بنُ فُهيرةَ، إِذْ كانَ يَرعَى الأَغنامَ فَيستخدِمُهَا فِي إِخفاءِ أَثَرَ البَعيرينِ اللَّذينِ كَانَا يَركَبهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبو بَكرٍ الصِّديقُ...)[1]، وهذا النَّصُّ الجُزئي مِنْ رحلةِ الهِجرةِ، يُشيرُ إلى ما جاءَ في النَّصّ الشِّعرِي الدَّالّ على هِجرةِ رَسولِ اللهِ ﷺ، مِنْ مكَّةَ المكرمةِ إلى يثربَ، واستخدَمَهُ النَّبهَانِي ليُقنعَ النَّاقدينَ غربتَهُ عنْ وطنِهِ.

أمَّا المشهدُ الثَّالثُ فمشهدُ خُروجِ موسَى _ عليهِ السَّلامُ _ مِنْ مصرَ فرارًا مِنْ فرعونَ وجندِهِ، وبلوغِهِ مدينَ في بلادِ الشَّامِ، ولجوئِهِ إلى نَبِي اللهِ شعيبٍ _ عليهِ السَّلامُ _ والعملِ عندَهُ في رَعي الأغنامِ، وزواجِهِ منْ إحدَى ابنتيهِ، وفي ذلكَ يقولُ النَّبهَانِي:

وَمُوسَى كَلِيمُ اللهِ لَوْلَا رَحِيلُهُ لِمَدَيَنَ لَمْ يَرْجِعْ رَسُوْلًا مُكَرَّمَا

فقد تناصَ هنَا معْ قصَّةِ موسَى _ عليهِ السَّلامُ _ المذكورةِ في القُرآنِ الكريمِ، والمفسَّرةِ في كُتُبٍ كثيرةٍ منهَا: كتابُ (قَصَصِ الأنبياءِ)، إذْ يَروي ابنُ كَثيرٍ في تَفسيرِ الآيةِ في سُورةِ القَصَصِ في قولِهِ تعالَى:"**وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ (٢٢) وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ)**[2]. فهذهِ الآياتُ فسَّرهَا ابنُ كثيرٍ بخروجِ موسَى _ عليهِ السَّلامُ _ منْ مصرَ بسببِ قتلِهِ لرجلٍ منْ آلِ فِرعونَ، فيقولُ:**(فَقَدْ خَرجَ مُوسَى خَائِفًا يَترقَّبُ بَعدَ**

[1] ابن هشام الأنصاري. السيرة النبوية. ج٢. ص١٢٦-١٢٧.

[2] سورة القصص. الآيات رقم: ٢١-٢٤.

فَعلتَهَ بقتلَ واحدٍ مَن أعدائَه، فَأصبَحَ تَائِهًا لَا يَعرفُ أينَ يَذهبُ حَتَّى هَدَاهُ اللهُ إِلى السَّيرِ تِلقاءَ مَدينَ، فَلَمْ يكُنْ قدْ خَرَجَ مِنْ مِصرَ قَبلَ ذَلِكَ، فَوَصَلَ بِئْرًا يَسْتَقُونَ مِنْهُ أَهْلُ مَدينَ وَيَسقونَ دَوابَّهُم، فوجدَ عِندَهُ رِعاءَ يَستقونَ لِأغنَامِهِم، ويَمنعونَ امْرأتينِ مِن الشُّربِ وسَقَي أَغنَامِهِم، فَلَمَّا فَرِغَ الرِّعاءُ وَأغلقُوا بَابَ البِئرِ بِصَخْرةٍ كَبيرةٍ، اقْتَربَ مُوسَى وَأزَاحَ الصَّخرَةَ، وَجَعلَ المَرأتينِ يَستقيانِ وَيَسقيانِ أَغنامَهُمَا، فَكَانَتْ هذهِ الحَادثةُ سَببًا فِي وُصولِ مُوسَى لِنَبيِّ اللهِ شُعيبٍ _ عَليهِ السَّلامُ _، إِذْ جَاءَتْ إِحدَى ابنتِي شُعيبٍ إِلى مُوسَى وَطَلَبتْ مِنهُ أَنْ يَأتِي إِلى بَيتِ أَبيهَا بِناءً عَلَى طَلَبِهِ...)[1]. إلى آخرِ القصَّةِ. وفي المَشهدِ الرَّابعِ يتناولُ النَّبهانِي قصَّةَ يوسُفَ _ عليهِ السَّلامُ _، وهيَ قصَّةٌ طويلةٌ، وخُصِّصَتْ لهَا سوُرةٌ كاملةٌ باسمِهِ، وهذا التَّناصُ القَصَصي فيهِ إشارةٌ إلى انتقالٍ قسريٍّ ليوسُفَ _ عليهِ السَّلامُ _ مِنْ أهلِهِ في البدوِ مِنْ أرضِ كنعانَ إلى مصرَ، ليصبحَ وزيرًا على خَزائنِ الأرضِ، فلمْ يختَرْ رحيلَهُ بلْ جاءَ بسببِ قيامِ إخوتِهِ بإلقائِهِ في البئرِ حسدًا، ونقلِهِ إلى مصرَ بواسطةِ ركبٍ منَ النَّاسِ متوجِّهًا إلى مصرَ، إذْ عثرُوا عليهِ في البئرِ وما يزالُ على قيدِ الحياةِ، فيقولُ النَّبهانِي مُشيرًا إلى تلكَ القصَّةِ:

وَفِي غُرْبَةِ الصِّدِّيقِ يُوْسُفَ عِبْرَةٌ أَمَا صَارَ فِي مِصْرَ الْعَزِيزَ المُعَظَّمَا

فقدْ تناصَ في هذا النَّصِّ الشِّعري معْ قصَّةِ يوسُفَ _ عليهِ السَّلامُ _ منْ لحظةِ إلقائِهِ في البئرِ حتَّى أصبحَ عزيزًا ووزيرًا على خزائنِ الأرضِ في مصرَ أنذاكَ، وقدْ ذكرَ القِصَّةَ ابنُ كَثيرٍ في كتابِهِ (قَصَصِ الأنبياءِ) بتفسيرِهِ لسورةِ يوسُفَ، إذْ يقولُ تعالَى:"**وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**"[2]. ويفسِّرُ ابنُ كَثيرٍ هذا النَّصِّ القُرآنِي قائلًا:(... **يوسفُ أَصبحَ بعدَ الشَّقَاءِ الَّذِي عَانَى مِنهُ مِن إلقَائِهِ فِي البِئرِ وبيعِهِ بثمَنٍ بَخسٍ دَراهِمَ مَعدُودَةٍ، ثُمَّ شِراءُ عَزِيزِ**

[1] ابن كثير، الحافظ أبو الفداء إسماعيل.. قصص الأنبياء. ص٣٥٦-٣٥٧. ت: الدكتور مصطفى عبد الواحد. مكتبة الطالب الجامعي. الرياض. العزيزية. ط٣. (١٤٠٨-١٩٨٨).

[2] سورة يوسف. آية رقم: ٥٦.

مِصرَ لَهُ، وَسَجْنُهُ بِسببِ افتِراءِ امْرأةِ العَزيزِ عَليهِ، أَصْبحَ عَزيزًا بعدَ إطْلاقِ سَرَاحِهِ بِسببِ تَفسيرِهِ لِرؤيَا المَلك، واعْتِرَافِ امْرأةِ العَزيزِ بِخطئِهَا، فكَانَ مِن المقرَّبينَ لِمَلكِ مِصر، فبعدَ السَّجنِ والضِّيقِ وَالشِّدةِ، أصبحَ مُطلقَ الرِّكابِ فِي دِيارِ مِصرَ، أيْ أَنَّهُ أينَ شاءَ حَلَّ عَزيزًا مُكرَّمًا مُعظَّمًا وَوزيرًا عَلَى خَزائنِ الأَرضِ)[1]. وهذا التناصُ الدِّينِي معْ قصَّةٍ قرآنيَّةٍ يؤكِّدُ على توافقِ النَّصَّينِ في حَديثِهِمَا حولَ تلكَ القصَّةِ الشَّهيرةِ.

٣. **المشهدُ الثَّالثُ:** يتحدَّثُ النَّبهانِي في هذا المشهدِ عنْ وصفِ طيبةَ (المدينةِ المُنوَّرةِ)، ويشبِّهُ بيوتَهَا وصروحَهَا بصرحِ بلقيسَ وعرشِهَا الَّذِي أَتَى بِهِ عِفريتٌ مِنَ الجِنِّ بأمرٍ مِنْ سُليمانَ _ عليهِ السَّلامُ _ وهوَ وصفٌ رائعٌ ذُكرَ في كِتابِ اللهِ تعالَى، إذْ يقولُ النَّبهَانِي:

هَذِهِ طَيْبَةُ بِمَدْحِكَ قَـدْ طَا ... لَتْ وَطَـــابَ الْإِنْشَـــادُ وَالْإِنْشَاءُ

كُلُّهَا وَهِيَ أَلْفُ بَيْتٍ قُصُورٌ ... عَنْـــكَ ضَـــاقَـتْ وَإِنَّهَـــا فَيْحَاءُ

سَكَنَتْهَا أَبْكَارُ غُرِّ المَعَانِي ... مِنْـــكَ فَهِـــيَ الْمَـدِينَـــةُ الْعَذْرَاءُ

كُلُّ مَعْنَـى بَلْقِيْـــسُ وَالْبَيتُ ... صَرْحٌ، وَمِنَ الدُّرِّ لَا الزُّجَاجِ الْبِنَاءُ[2]

يَتَناصُ فِي هَذَا المَشهدِ الوَصفِي القَصَصَي مَعْ قِصَّةِ المَلِكَةِ بَلْقِيسَ (مَلِكَةُ سَبَأ) فِي اليَمَنِ الَّتِي رَوَاهَا ابنُ كَثِير، قائلًا:**(... إذ أرسلَ إليهَا سُلَيمانُ بنُ دَاودَ _ عَلَيهِمَا السَّلَامُ _ بِرِسَالَةٍ مَعِ الهُدهُدِ يَدعُوهَا وَقَومُهَا إِلَى الإِسْلَامِ، فَجَمعَتْ قَومَهَا وَاسْتَشَارَتْهُم، فَتَركُوا الأَمرَ لهَا، فبعَثَتْ لَهُ بِهَديَّةٍ فَردَّهَا، وَطَلَبَ مِنهَا أَنْ تَأْتِي إِلْيهِ مُسلِمَةً مَعْ كِبارِ قَومِهَا أَو يُرسِلُ إِليهَا جَيْشًا عَرمرمَ يَفتحُ بِلَادَهَا، وَيُخضِعُهَا وَقَومُهَا لِمُلكِهِ، فَوَافَقَتْ وَأَتَتْ إِلَى مَملَكَةِ سُلَيمَانَ _ عَلَيهِ السَّلَامُ _ وَكَانَ قَد أَرسَلَ عِفْريتًا مِن الجِنِّ يَأتِي بِعَرشِهَا الَّذِي فِيهِ صَرحٌ مُمَرَّدٌ، وَهُوَ مِنْ أَجمَلِ العُرُوشِ يَومَئِذٍ، فَقَالَ**

[1] ابن كثير، الحافظ أبو الفداء إسماعيل. قصص الأنبياء. ص٢٩٢.

[2] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. المجموعة النبهانية في المدائح النبوية. مج١، ص٢٨٢-٢٨٣.

لهَا سُلَيمَانُ _ عَلَيهِ السَّلَامُ _ أَهَذا عَرشُكِ؟! قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ، وَلَمَّا تَيقَّنَتْ أَنَّهُ هُوَ، مَشَتْ عَلَيهِ وَرَفَعَتْ عَنْ سَاقِهَا؛ لِتَتَأكَّدَ فَلمَّا تَيقَّنَتْ مِنْ ذَلِكَ أَسْلَمَتْ)[1]، وقدْ وردَتْ هذهِ القصَّةُ في القُرآنِ الكَريمِ في سُورةِ القَصَصِ، فِي قولِهِ تعالَى:"**وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠) لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٢١) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (٢٢) إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (٢٤) أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٢٦) قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٧) اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (٢٨) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣١) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ (٣٢) قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (٣٣) قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (٣٥) فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (٣٦) ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ (٣٧) قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣٨) قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٣٩)**[2] **قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ**

[1] ابن كثير، الحافظ أبو الفداء إسماعيل. (١٤٠٨-١٩٨٨). قصص الأنبياء. ص٥٨١-٥٨٥.

[2] سورة النمل. الآيات رقم: ٢٠-٣٩

أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (٤٠) قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ (٤١) فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (٤٢) وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ (٤٣) قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ"[1]، فهذا السَّردُ للقِصَّةِ في القرآنِ الكريمِ وما فَسَّرَهُ ابنُ كَثيرٍ في قَصَصِ الأنبياءِ يُبيّنُ مدَى التَّناصِ بينَ ما ذكرَهُ النَّبهَانِي في النَّصِّ الشِّعرِي وأشارَ إليهِ، ومَا وردَ ذكرُهُ في كتابِ اللهِ تعالَى، وفسَّرَهُ ابنُ كَثيرٍ في كتابِهِ (قَصَصِ الأنبياءِ).

٤. **المشهدُ الرابعُ:** يتحدَّثُ النَّبهَانِي في هذا المشهدِ القَصَصي عنْ مراسلاتِ الرَّسولِ مُحمَّدٍ ﷺ لملوكِ الأرضِ، يدعوهُمْ إلى الإسلامِ، إذْ أرسلَ رسالةً إلى كِسرَى عَظيمِ الفُرسِ، وأُخرى إلى هرقلَ عظيمِ الرُّومِ، وثالثةً إلى المقوقسِ عظيمِ القِبطِ، وغيرِهِمْ مِنَ المُلوكِ والأُمراءِ في الأرضِ، فمِنْهُمْ مَنِ استجابَ، ومِنْهُمْ مِنْ تَردَّدَ في الإجابةِ، ومِنْهُمْ مِنْ ردَّ الجَوابَ بعنفٍ فقَتَلَ حاملَ الرِّسالةِ[2]، وقدْ أشارَ النَّبهَانِي إلى هذهِ القِصَّةِ في قولِهِ:

أُرْسِلَ الرِّسْـلُ لِلْمُلُوكِ فَفَاهُوا بِـلُغَــاتٍ مَـا هُمُ بِهَـا عُلَمَاءُ
صَانَعُوهُ مِنْ خَوْفِهِمْ بِالْهَدَايَا لَيْسَ يُغْنِي عَنِ الهُدَى الْإِهْدَاءُ[3]

فقدْ تناصَ النَّبهَانِي في هذا النَّصِّ الشَّعرِي مع قِصَّةِ إرسَالِ الرَّسُولِ ﷺ الرَّسَائلَ مَع مَجمُوعَةٍ مِن الرُّسلِ مِنْ أَصحَابِهِ إِلَى مَلُوكِ الأَرضِ وَأُمرَائِهَا، وَقَد كَانُوا يَتَكلَّمُونَ بِلَغَاتٍ عَديَدةٍ، وَمَعْ ذَلِكَ فَهِمُوا فَحْوى رَسَالِتِه الَّتِي كَانَ نَصّهَا:(**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ. سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ**

[1] سورة النمل. الآيات رقم: ٤٠- ٤٤.

[2] ابن هشام الأنصاري. السيرة النبوية. ج٤. ص٢٥٣-٢٥٥.

[3] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. المجموعة النبهانية في المدائح النبوية. مج١. ص٢١١.

الْهُدَى. أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلامِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ (أَيْ أَتبَاعَهُ ورَعَايَاهُ الَّذِينَ يُتابعونَهُ عَلَى الكُفْرِ). وَ(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)[1]، وقدْ ردَّ عليهِ بعضُهُمْ بَالهَدايَا إمَّا تَصديقًا بِهِ أوْ خَوفًا منهُ، فمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلَ الهَدايَا خَوفًا منْهُ كَالمُقَوقَسِ عَظيمِ القِبطِ، ومِنْهُمْ مَنْ أرسلَ الهَدايَا تَصدِيقًا بِهِ كَالنَّجاشِي عَظيمِ الحَبشَةِ[2]، وتلكَ إشارةُ النَّبهَانِي في البَيتِ الثَّانِي، فِي قولِهِ:

صَانَعُوهُ مِنْ خَوْفِهِمْ بِالْهَدَايَا لَيْسَ يُغْنِي عَنِ الهُدَى الْإِهْدَاءُ

وهذا التَّناصُ القَصَصِي، أشارَ كَذلِكَ إلى شخصيَّاتٍ تمَّ استدعاؤهُمُ لإثراءِ القِصَّةِ، ومِنَ المَعلومِ أنَّ القِصَّةَ تشتملُ في أحدِ عناصرِهَا علَى الشَّخْصِيَّاتِ.

٥. **المشهدُ الخَامسُ:** يتحدَّثُ النَّبَهانِي في هذا المَشهدِ عَنْ قِصَّةِ غَزوةِ بدرٍ الكُبرَى، أَوَّلَ موقعةٍ كبرَى بينَ الإسلامِ والكُفرِ في عَهدِ رَسولِ اللهِ ﷺ، إذْ كانَتْ مَشاهدُهَا تَحبسُ الأنفاسَ، فالنَّصرُ فيهَا يَعنِي ظهورَ الإسلامِ علَى الشِّركِ كلِّهِ، والهَزيمةُ تَعنِي القَضاءَ علَى الدَّعوةِ بعدَ أنْ ثبَّتَتْ أقدامَهَا في المَدينةِ المُنورةِ، فيقولُ النَّبهَانِي:

طَلَعُوا فِي سَمَاءِ بَدْرٍ نُجُومًا بَيْنَهُمْ سَيِّدُ الْأَنَامِ ذُكَاءُ
أَحْرَقَتْ شُهُبَهُمْ عُتَاةَ قُرَيْشٍ وَلَهِيبُ الْحَرِيقِ تِلْكَ الدِّمَاءُ
كُلُّ قَرْنٍ مِنْهُمْ بِغَيْرِ قَرِيْنٍ وَلَنِعْمَ الثَّلَاثَةُ الْقُرَنَاءُ
حَمْزَةُ مَعْ عُبَيْدَةَ مَعْ عَلِيٍّ طَحَنُوا الشِّرْكَ وَالرَّحَا الْهَيْجَاءُ[3]

يتناصُ النَّبهانِي في هذا المشهدِ القَّصصي الخَاصِّ بغزوةِ بدرٍ الكُبرَى، ومشهدِ المُبارزةِ الثُّلاثيَّةِ بينَ ثَلاثةٍ مِنْ قَادةِ المُسلمينَ، وهمْ:(حَمزةُ بنُ عبدِ المُطلبِ، وعَليٌّ بنُ

[1] البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري. رقم الحديث: ٧. ص٩-١٠.

[2] ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. فتح الباري بشرح صحيح البخاري. رقم الحديث: ٧، ص٩٨-١٠٢. ط٣. (١٤٣٢هـ- ٢٠١١م).

[3] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. المجموعة النبهانية في المدائح النبوية. مج٢. ص٢٤٤.

أَبِي طالبٍ، وعُبيدةُ بنُ الحَارثِ _ رَضِيَ اللهُ عَنهُمْ _)، وثلاثةٍ مُقابلُهُم مِنْ قادةِ قُريشٍ، وهُمْ:(عُتبةُ بنُ رَبيعةَ، وابنُهُ الوليدُ، وأخُوهُ شَيبةُ)، إذْ تنتهِي المُبارزةُ بمقتلِ قادةِ الكفرِ الثَّلاثَةِ، وإصابةِ عبيدةَ مِنْ جانبِ المُسلمينَ، وهذهِ القِصَّةُ ذكرَهَا ابنُ هِشامٍ في (السِّيرةِ النَّبويَّةِ) نقلًا عنْ ابنِ إسحاقَ[1]، إذْ رَوَى ابنُ إسحاقَ، قائلًا:**(ثمَّ خَرَجَ عُتْبَةُ بنُ الوَليدِ بينَ أَخيهِ شَيبةَ، وابنِهِ الوَليدِ بنِ عُتبةَ، حتَّى إذا نَصَلَ مِن الصَّفِّ، فدَعَا إلى المُبَارَزةِ نُظراءَهُم مِن المُسلمينَ، فَخَرجَ إليهِم فِتيةٌ مِن الأَنْصارِ، هُم (عَوفٌ، وَمعوَّذٌ ابنَا الحَارثِ وأمُّهُما عَفرَاء، وَعبدُ اللهِ بنِ رَواحَةَ_ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ _)، فَقَالَ لَهُمْ عُتْبةُ: مَنْ أَنتُم؟ قَالُوا: رَهْطٌ مِن الأَنْصَارِ، قَالَ: مَا لَنَا بِكُمْ حَاجَةٌ، ثُمَّ نَادَي مُنادِيهُم: يَا مُحمَّد، أَخرِجْ لَنَا أَكِفَّاءَنَا مِنْ قَومِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :(قُمْ يَا عُبيدُ بنُ الحَارثِ، وَقُمْ يَا حَمْزَةُ، وَقُمْ يَا عَلِيُّ)، فَلَمَّا قَامُوا وَتَقَدَّمُوا لِلْقِتَالِ، قَالَ لَهُم عُتْبَةُ: مَنْ أَنْتُم؟ قَالَ عُبيدةُ: أَنَا عُبيدةُ، وَقَالَ حَمزةُ: أَنَا حَمْزَةُ، وَقَالَ عَلِيٌّ: أَنَا عَلِيٌّ، قَالَ عُتبةُ: نَعَم، أَكِفَّاءُ كُرام، فَبارزَ عُبيدةُ _ وَكَانَ أَحدثَ المُبارزينَ مِن المُسلمينَ سِنًّا_ بَارزَ عُتبةَ ابنَ رَبيعةَ فَقتلَهُ، وَبَارزَ حَمزَةُ شَيبةَ بنَ رَبيعةَ فَقتلَهُ، وَبارَزَ عَلِيٌّ الوَليدَ بنَ عُتبةَ فَقتلَهُ، إلَّا أنَّ عُبيدةَ أُصِيبَ بِضربَةٍ مِنْ عُتبةَ قَبلَ مَصْرَعِه، فَحَملَهُ حُمزَةُ وَعَلِيٌّ وَعَادَا بِهِ إلى جَيشِ المُسلمينَ مُصَابًا)، ثُمَّ كَرَّ الجَيشَانِ وَتَقَابَلا بِسُيوفِهِمَا...)**[2]، فقدْ بيَّنَ سردُ القِصَّةِ المُتعلِّقةِ بمشهدِ المُبارزةِ بينَ القَادةِ قبلَ التحامِ الجَيشينِ، العَلاقةَ التَّناصِّيَّةِ بينَ النَّصِّ الشِّعرِي للنَّبهَانِي _ وخاصَّةً في البيتِ الأخيرِ الَّذِي كشفَ عَنْ أسماءِ قادةِ المُسلمينَ الثَّلاثةِ الَّذِينَ بارزُوا نُظراءَهُمْ مِنْ قُريشٍ، وتَغلَّبُوا عليهِمْ، فكانُوا صَرعَى أَوَّلَ المَعركةِ، وكانَ ذلكَ إيذانًا بانتصارِ المُسلمينَ منذُ اللَّحظاتِ الأولَى مِنَ النِّزالِ الأَوَّلِ الفِعلي في تاريخِ الإسلامِ _ وتمَّ سَردُ القِصَّةِ كمَا وردَتْ علَى لِسانِ ابنِ إسحاقَ بوضوحٍ.

[1] ابن هشام الأنصاري. السيرة النبوية. ج١. ص٢٦٥.

[2] المصدر نفسه. ص٢٦٦-٢٦٨.

٦. **المشهدُ السَّادِسُ:** يَتحدَّثُ هُنا في مَشهدٍ آخرَ عنْ غَزوةِ أحدِ الَّتِي كانَتْ ردًّا مِنْ كُفَّارِ قُريشٍ على هَزيمةِ بدرٍ الكُبرَى، فتُجمعُ جَيشٌ قوامُهُ ثَلاثةُ آلافِ مُقاتلٍ مِنْ قَريشٍ، مُقابلَ سَبعمئِةِ مُقاتلٍ مِنَ المُسلمينَ، والتقَى الجَيشانِ عندَ جبلِ أُحدٍ، فهزمَهُمْ المُسلمونَ شرَّ هزيمةٍ في أَوَّلِ المَعركةِ، إلَّا أنَّ الرُّماةَ الَّذِينَ كَانُوا علَى تَلَّةٍ قُربَ جَبلِ أُحدٍ نزلُوا عَنِ التَّلَّةِ مُخالفينَ أَمرِ رَسولِ اللهِ ﷺ، فَلاحظَ ذلكَ خَالدٌ بنُ الوليدِ وكانَ قَائدًا في جَيشِ قريشٍ، فالتفَّ على جيشِ المُسلمينَ مِنْ خلفِ التَّلَّةِ وغدرَهُمْ مِنْ خَلفِهِمْ، فتحوَّلَتِ المَعركةُ لِصالحِ كُفَّارِ قُريشٍ بفعلِ خُطَّةِ خَالدٍ بنِ الوليدِ، ولأنَّ رُماةَ الجَيشِ مِنَ المُسلمينَ خَالفُوا أمرَ رَسولِ اللهِ ﷺ[1]، وهذا ما ذكرَهُ النَّبهَانِي في نَصِّهِ الشِّعرِي، قائلًا:

ثُمَّ جَـاءُوا لَـهُ مُحَـارِبِيْنَ فِي ... أُحُـدٍ، حَيْثُ هَـاجَتِ الْهَيْجَاءُ

صَـدَّهُمْ أَيُّ صَـدْمَةٍ آلَمَتْـهُمْ ... سَـالَ مِنْهَا دُمُـوعُهُـمْ وَالدِّمَاءُ

أَلْحَـقَ اللهُ بِـالْقُلَيْـبِ وَأَهْلِيْـهِ ... عُتَـاةً مِنْـهُـمُ عَنَـاهَا اللِّـوَاءُ

فَعَـرَاهُمْ كَسْـرٌ بِهِ حَصَلَ الْجَبْرُ ... وَخَفْـضٌ بِـهِ لَنَـا اسْـتِعْلَاءُ

ثُـمَّ لَمَّـا أَرَادَ رَبُّـكَ أَنْ يَـأْ ... تِيْـهِ مِـنْ جُنُـوْدِهِ الشُّـهَدَاءُ

خَالَفُوا الْمُصْـطَفَى بِتَـرْكِ مَكَانٍ ... مِنْهُ جَاءَتْ خَيْلُ العِدَا مِنْ وَرَاءُ

فَقَضَـى مَنْ قَضَـى شَـهِيْدًا وَلَا ... حِيْلَةٌ تُنْجِي مِمَّا يَسُوْقُ الْقَضَاءُ[2]

وفي هذا النَّصِّ يتناصُ النَّبهَانِي معْ قصَّةِ غَزوةِ أُحدٍ الَّتِي جاءَتْ ثأرًا لبدرٍ مِنْ كُفَّارِ قُريشٍ، إذْ رَوَى ابنُ هِشامٍ فِي السِّيرةِ عَنِ ابنِ إسحاقَ، قائلًا:**(وَمَضَى رَسُوْلُ اللهِ ﷺ حَتَّى نَزَلَ الشِّعبَ، فِي عَدْوةِ الوَادِي مِنْ جَبلِ أُحُد، إِذْ جَعَلَ ظَهْرَهُ لِلَجَبلِ وَعَسْكَرَهُ إِلى أُحِد، وَقالَ: لَا يُقاتلُ أَحدٌ حتَّى نَأمرُهُ بِالقِتالِ، وَتَعبَّأَ رَسولُ اللهِ ﷺ لِلقِتالِ، وَهُو فِي سَبعمئةِ رَجُل، وَوَضَعَ عَلَى تَلَّةٍ مُقَابِلةٍ لِلْجَبلِ خَمسينَ رَجُلًا مِنْ أَمْهَرِ الرُّمَاةِ، وَأَمَّرَ**

[1] المصدر السابق، ج٣. ص٢٨-٣٢.

[2] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. المجموعة النبهانية في المدائح النبوية. مج١. ص٢٤٧.

عَلَيهِم عَبدَ اللهِ بنِ جُبيرٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ، وَقَالَ لَهُم: انْضَحُوا الْخَيلَ بِالنُّبْل، لَا يَأْتُونَنَا مِنْ خَلْفِنَا، إِنْ كَانَتْ لَنَا أَوْ لَهُم الْكَرَّةُ، فَأَثْبِتُوا مَكَانَكُم فِي الْحَالَتِينِ، فَلا نُؤْتَينَّ مِنْ قِبَلِكُم، وَظَاهرَ رَسولُ اللهِ ﷺ بَينَ دِرْعَينِ[1]، ودَفَعَ اللِّواءَ إِلى مُصْعَبَ بنِ عُميرٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ، ... وَتَعَبَّأَتْ قُرَيشٌ فِي المُقَابلِ، وَهُمْ ثَلَاثَةُ آلَافِ رَجُل، وَمَعْهُم مِئَتَا فَرَسٍ قَد جَنَّبُوهَا بِبَطْنِ الْجَبَل، وَوَضَعُوا عَلَى مَيْمَنَتِهَا خَالدًا بنَ الوَليدِ، وَعَلَى مَيْسَرتِهَا عِكْرَمةَ بنَ أَبِي جَهْل)[2]، ثمَّ يُردفُ ابنُ هشامٍ يَروي عَنِ ابنِ إسحاقَ، إذْ يَروي الأخيرُ عنِ الزُّبيرِ بنِ العَوَّامِ، قائلًا:(... **وَاللهِ لَقَد رَأَيتَنِي أَنْظُرُ إِلى خَدَمِ هِنْدٍ بِنْتِ عُتْبةَ وَصَوَاحِبِهَا مُشَمِّرَاتٍ هَواربَ، مَا دُونَ أَخْذِهِنَّ كَثِيرٍ أَوْ قَلَيلٍ، وَحِينَهَا مَالَتِ الرُّمَاةُ إِلَى العَسْكَرِ، حِينَ كَشَفْنَا الْقَومَ عَنْهُ، وَخَلُّوا ظُهُرونَا لِلْخَيلِ، فَأُوتِيْنَا مِنْ خَلْفِنَا، بِمِئَتَي فَارِسٍ يَتَقدَّمُهُمْ خَالِدٌ وَعِكْرِمَةُ، فَسَمِعْتُ صَارِخٌ يَصْرُخُ: أَلَا إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِل، فَانْكَفَأْنَا وَانْكَفَأَ عَلَيْنَا الْقَوْمُ بَعْدَ أَنْ أَصَبْنَا أَصْحَابَ اللِّوَاءِ حَتَّى مَا يَدنُو مِنْهُ أَحَدٌ مِنَ الْقَوْمِ ...)**[3]، فالتَّناصُ القَصَصي السَّردِي بينَ النَّصّ الشِّعرِي للنَّبهَانِي والقِصَّةِ المَلحميَّةِ في معركةِ أُحدٍ كشفَتْ عَنْ تَوافقِ الإشارةِ التَّناصّيَّةِ بالسّردِ القَائمِ في جُزئيَّةٍ مِنْ جُزئيَّاتِ أحداثِ غَزوةِ أُحدٍ المُتعلّقةِ بانْتِصَارِ المُسلمينَ أَوَّلَ المَعركَةِ، وهَزيمتِهِمْ في آخرِهَا بسببِ مُخالَفةِ أَمْرِ الرَّسولِ ﷺ بِنزولِ الرُّماةِ عَنِ التَّلَّةِ، وإشاعةِ خَبرِ استشهادِ رَسولِ اللهِ ﷺ، وسلسلةِ الأحداثِ والشَّخصيَّاتِ المَذكورةِ وَالمَكانِ، وغيابِ الزَّمانِ فعليًّا وحُضورِهِ ضِمنيًّا، وتلكَ عَناصرُ القِصَّةِ كَامِلةٌ.

٧. **المشهدُ السَّابعُ:** يتحدَّثُ النَّبهَانِي في هذا المَشهدِ القَصَصي التَّصويرِي عَنْ فتحِ مكَّةَ، إذْ كانَ أعظمَ فتحٍ في تَاريخِ الدَّعوةِ الإسلاميَّةِ، وأعزَّ فتحٍ علَى قلبِ رَسولِ اللهِ ﷺ، فيقولُ في ذلكَ:

مَا شَفَى النَّفْسُ بَعْدَ هَذَا وَهَذَا غَيْرَ فَتْـحٍ بِـهِ اسْـتَمَرَّ الشِّفَاءُ

[1] ابن هشام الأنصاري. السيرة النبوية. ج٣. ص٣٠.

[2] المصدر نفسه. ص٢٨-٣١.

[3] المصدر نفسه. ص٤٠-٤٢.

فَتْـــحُ أُمِّ الْقُـــرَى وَسَيِّدَةِ الْكُلِّ سِـــــوَى طَيْبَـــةَ فَكُـــلٌّ إِمَاءُ
أَيُّ فَتْـحٍ لِلْمُصْـطَفَى كَانَ فِيْهِ فَوْقَ عَرْشِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ اسْتِوَاءُ
أَشْـرَقَتْ شَـمْسُـهُ بِبَـرْدٍ كَـدَاءً فَـاسْـتَنَـارَتْ عَلَى الْبِـطَـاحِ كَدَاءُ[1]
ثَـارَ فِيْهَا أَوْبَـاشُـهُمْ كَوُحُوْشٍ بَـانَ مِنْهَـا لِلْقَـانِصِ الْأَخْفِيَاءُ
فَلَهُمْ بِالْحَـرْابِ كَـانَ اصْـطِيَادٌ وَبِنَـــارٍ مِنَ الْحُـــرُوْبِ اشْتِوَاءُ
وَلَغَـتْ فِي نَجِيْعِهِـمْ ثُمَّ صَدَّتْ رِوَايَـــاتٍ كَـــأَنَّـهَـــا صَـــدَّاءُ
سَـأَلُـوْهُ عَطْـفَ الْحَمِيْمِ وَقَالُوا مِـنْ قُـــرَيْـشٍ أُبِيَـدَتِ الْخَضْرَاءُ
وَعَفَـــا عَنْهُـمْ فَبَـــاؤُوْا بِسِـلْمٍ وَاسْـتَحَـــالَـــتْ حَـــاءٌ وَرَاءٌ وَبَاءٌ[2]

فقدْ تناصَ في هذا المشهدِ الخَاصّ بفتحِ مكَّةَ المُكرَّمةِ، وما صاحبَهَا مِنْ مشاعرَ جيَّاشَةٍ لِرسولِ اللهِ ﷺ وصحْبِهِ الكِرامِ مِنَ المُهاجرينَ العَائدينَ إلى بلدِهِمْ فَاتحينَ محرِّرينَ، فكانَ أعظمَ فتحٍ في حَياةِ رَسولِ اللهِ ﷺ وصحبِهِ، وهذا مَا سردَهُ لنَا ابنُ هشامٍ في السِّيرةِ بِروايةِ ابنِ إسحاقَ، إذْ قالَ:(... **فَلَمَّا كَانَتْ الهُدنةُ (يَعنِي صُلحُ الحُديبيةِ)، إذْ دخَلَتْ خُزاعَةُ فِي حِلفِ رَسولِ اللهِ ﷺ، ودَخَلت بَنو بَكْرٍ فِي حِلفِ قُريشٍ، فَاسْتَغَلَّ جَمَاعةٌ مِنْ بَنِي بَكْرٍ هَذا الْحِلْفَ، وَقَرَّرُوا الثَّأرَ لِجَمَاعَتِهِم مِنْ خُزَاعةَ بِمُعاونَةِ فُرسَانٍ مِن قُرَيْشٍ، فَغَارُوا عَلَى خُزَاعَةَ لَيلًا مُستَخْفِيينَ، وَقَتَلُوا مِن خُزاعةَ جَمعًا، وَعَادُوا إِلى قَبيلَتِهِم، كَأَنَّ شَيئًا لَمْ يَكُنْ ...**)[3]، ثمَّ يَروي ابنُ إسحاقَ أحداثَ فتحِ مكَّةَ الَّتِي سببُهَا نقضُ قريشٍ لِصُلحِ الحُديبيةِ، ورفضُ رَسولِ اللهِ ﷺ البَقاءَ في العَهدِ مُقابلَ قَبولِ الدِّيَةِ للقَتلَى مِنْ خُزاعةَ، فيقولُ ابنُ إسحاقَ:(... **ثُمَّ جَاءَ أَبو سُفيانَ يَطلبُ الصُّلحَ وَتَمديدَ المُدَّةِ، مُقابلَ أَخْذِ مَا يَّريدونَ مُقابلَ القَتْلَى مِن دِيَاتٍ، فَرفَضَ الرَّسولُ ﷺ وَصَحبُهُ عَرضَ أَبِي سُفْيَانَ، فَقَفَلَ عَائِدًا إِلَى مَكَّةَ، وَقَد أَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَحبَهُ بِالتَّجَهُّزِ لِفَتحِ مَكَّةَ، وَجَمَعَ الْجُمُوعَ مِنْ جَيشِ المُسلِمينَ**

[1] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. المجموعة النبهانية في المدائح النبوية. مج١. ص٢٥٣.
[2] المصدر السابق. ص٢٥٣-٢٥٤.
[3] ابن هشام الأنصاري. السيرة النبوية. ج٤. ص٣٠.

وَأَحْلَافِهِم مِنَ الْقَبائِل، ثُمَّ مَضَى رَسولُ اللهِ ﷺ إِلى مَكَّةَ مُسْتَخْلِفًا فِي المَدينةِ أَبَا رَهْمٍ (كُلْثومُ بنُ حُصينِ الغَفَاري)، وَخَرجَ لِعَشرةٍ مَضينَ مِن رَمضَانَ، فَصَامَ وَصَامَ مَعْهُ المُسلمونَ حَتَّى إِذَا وَصَلَ (بِالكَديدِ) بَينَ (عَسَفانَ وَأَمَجْ) أَفْطَرَ، وَمَضَى حَتَّى وَصلَ (مَرُّ الظَّهرانِ) عَلَى مَشارِفِ مَكَّةَ فِي عَشرةِ آلافِ مُقَاتلٍ بَعدَ المَغِيبِ، وَهُنَاكَ عَسْكَرَ بِجَيشِهِ العَرمْرمَ، لِمُدَّةِ ثَلاثِ لَيَالٍ يُفَاوِضُ فِيْهَا أَبَا سُفْيَانَ _ كَبيرَ قُرَيْشٍ _ لِيُسَلِّمَهُ مَكَّةَ دُونَ قِتالٍ، ... وَلَمَّا كَانَتْ اللّيلةُ الثَّالِثةُ جَاءَ أَبُو سُفيانَ وَأَعلنَ إِسْلَامَهُ، وَوَافَقَ عَلَى تَسليمِ مَكَّةَ دُونَ قِتَالٍ، فَدَخَلَها رَسولُ اللهِ ﷺ فَاتِحًا مِنْ أَبوابِهَا الثَلَاثِ، وَأَسلمَ أَهلُهَا، إِلَّا قَليلاً مِنهُم، طَلَبُوا العَفْوَ قَائلينَ: مَاذَا سَتَفعلُ بِنَا؟ فَقَالَ لَهُمْ رَسولُ اللهِ ﷺ، أَخٌ كريمٌ وَابنُ أَخٍ كَريم، اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقاءِ، وَلَمْ يَلْبَثُوا أَنْ أَسْلَمُوا بَقِيَّتَهُمْ، إِلَّا بَعضُ نَفرٍ أَخَذَتْهُم العِزَّةُ بِالْإِثْم، فَخَرجُوا إِلَى شِعَابِ الْجِبَالِ أَو إِلى الطَّائَفِ فَارّينَ بِكُفْرِهِم مِن وَجْهِ رَسولِ اللهِ ﷺ، وَمِنْهُم الحَبَشِيُّ قَاتِلُ حَمْزَةَ عَمّ الرَّسُولِ ﷺ)[1]. وهكذَا سُرِدَتِ الأحداثُ والوقائعُ مِنْ لحظةِ نَقضِ صُلحِ الحُديبيَةِ حتَّى فتحِ مَكَّةَ المُكرَّمةِ، والعَفوِ عنْ أهلِ مكَّةَ مِنْ كُفَّارِ قُريشٍ ثمَّ عودتِهِمْ مُسلمينَ آمنينَ، فكانَ التَّناصُ في النَّصِّ الشِّعري سَردًا للأَحداثِ القَصَصيَّةِ بِعناصرِهَا الكَاملَةِ معْ مَا ذكرَهُ ابنُ هشامٍ في (السِّيرةِ النَّبويَّةِ) تناصًّا توافقيًّا قَصَصيًّا واضحًا.

رابعًا: التَّناصُ الدِّينِي باستدعاءِ شَخصيَّاتٍ دِينيَّةٍ: يكادُ شعرُ النَّبهَانِي يكونُ سِجلًا حافلًا بالشَّخصيَّاتِ الدِّينيَّةِ وغيرِهَا منذُ آدمَ وحوَّاءَ _ عَليهِمَا السَّلامُ _ حتَّى عَصرِنَا الحَديثِ، فهوَ يذكرُهَا وفقَ تَسلسلٍ قَصَصيٍّ وتاريخيٍّ مُتواصلٍ، ويُشيرُ إليهِمْ بإشَاراتٍ رَمزيَّةٍ تارةً، وقَصَصيَّةٍ تارةً أُخرَى، مِنْ أجلِ أنْ يذكِّرَنَا بهِمْ وبِمواقِفِهِم ومَا فعلُوهُ في سَبيلِ نَشرِ الإسلامِ، وإعلاءِ شَأنِ أمَّةِ الإسلامِ، ولا شكَّ أنَّ خيرَ شَخصيَّةٍ دِينيَّةٍ نالَتْ حَظًّا وافرًا مِنْ شعرِهِ، بلِ استحوذَتْ عليهِ، هيَ شَخصيَّةُ نَبِيُّ الإسلامِ رَسولُنَا الكرِيمِ مُحمَّدٌ ﷺ، فقدْ أرَّخَ لهَا، وتناولَ كلَّ مَحطَّاتِ حَياتِهَا منذُ الوِلَادةِ حتَّى الوَفَاةِ في أَراجيزِ ألفيَّةٍ طَويلةٍ، كانَتْ بِمثابَةِ سِيرةٍ نَبويَّةٍ شَريفةٍ مَنقولةٍ شِعرًا

[1] المصدر السابق، ص٣٨-٦٠.

بعدَمَا نُقِلَتْ نَثرًا، ومِنَ الشَّخصِيَّاتِ الأُخرَى الَّتِي نالَتْ بعضَ الحَظِّ مِنْ شعرِ النَّبهَانِي[1]، بعضُ الأنبياءِ والرُّسلِ _ عَليهِمِ السَّلامُ _، وبعضُ الصَّحابةِ _ رِضوانُ اللهِ عليهِمْ _[2]، وسنذكرُ لِمَنْ لمْ نذكرْهُ سابقًا في هذهِ الجُزئيَّةِ، كاشِفينَ عَنِ التَّناصِ الدِّينِي المَتعلِّقِ باستدعائِهَا، وهِيَ مَذكورةٌ إمَّا في كِتابِ اللهِ تعالَى، أوْ أحاديثِ رَسولِ اللهِ ﷺ أوْ قَصَصِ الأَنبياءِ _ عليهِمِ السَّلامُ _، مِنْ خلالِ مَشاهدَ متعدِّدةٍ علَى النَّحوِ التَّالِي:

١. **المشهدُ الأَوَّلُ:** يتحدَّثُ فيهِ النَّبهانِي عَنْ رسولِ ﷺ واصفًا ومادحًا، إذْ يقولُ:

مُحَمَّدٌ خَيْرُ خَلْقِ اللهِ أَفْضَلُهُمْ لَدَيْهِ سِيَّانٌ مِفْضَالٌ وَمَفْضُوْلٌ[3]

يتناصُ النَّبهانِي في هذا النَّصِّ الشِّعري باستدعاءِ شَخصيَّةِ أفضلِ الخَلْقِ، مُحمَّدٍ رسولِ اللهِ ﷺ، فهوَ مذكورٌ في القرآنِ والحَديثِ وعلى كُلِّ لِسانٍ، قالَ تعالَى فِي سُورةِ الفَتحِ:"**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**" [4]، فقدْ وردَ في الآيةِ باسمِهِ ثمَّ التَّعريفِ بهِ بأنَّهُ رَسولُ اللهِ ﷺ، وفِي المُقابلِ جاءَ الحديثُ في النَّصِّ الشِّعري بأنَّهُ خيرُ خلقِ اللهِ بلْ أفضلُهُمْ، وهذا يتَّفِقُ معْ ما أوردَهُ كثيرٌ ممَّنْ تَحدَّثُوا عَنْ شَمائلِ رَسولِ اللهِ ﷺ، وقدْ أفردَ ابنُ كَثيرٍ كِتابًا كاملًا تَحدَّثَ فيهِ عَنْ شَمائلِ الرَّسُولِ ﷺ، وممَّا قالَهُ فيهِ:(... **وَكَانَ ﷺ مِنْ أكملِ النَّاسِ تَربيةً وَنَشأةً، وَكَانَ مَعروفًا بِالصِّدْقِ وَالبِرِّ وَمَكَارمِ الْأَخْلاقِ وَالعَدْلِ، وَتَرَكِ الفَواحشِ وَالظُّلمِ وَكُلِّ وَصْفٍ مَذْمُومٍ، مَشْهودٍ لَهُ بِذَلكَ عِندَ كُلِّ مَنْ يَعرِفُهُ فِي الجَاهِليَّةِ قَبلَ الإِسْلَامِ، وَزَادَ ذَلكَ بَعدَ النُّبُوَّةِ وَبعدَ ظُهُورِهِ عَلى النَّاسِ، فَلَمْ يَذكُروا شَيئًا يُعِيبُهُ لَا فِي أَقْوالِهِ وَلا فِي أَفْعالِهِ وَلَا فِي أَخْلاقِهِ، وَمَا جُرِّبَ عَليهِ كَذِبٌ قَط، وَلَا ظُلْمٌ وَلَا فَاحِشَةٌ ...)**[5]. فالنَّصُّ الشِّعري

---

[1] ماضي، عيسى محمد علي. يوسف النبهاني الشاعر الفلسطيني الرائد. ج٢. ص504.

[2] المصدر نفسه. ص504-505.

[3] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. المجموعة النبهانية في المدائح النبوية. مج٣. ص١٦٩.

[4] سورة الفتح. آية رقم: ٢٩.

[5] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. (د.ت). شمائل الرسول ﷺ. ص١٢٥. ت: شركة الندى للتجهيزات الفنية. (د.ط).

للنَّبهَانِي تناصَّ معِ الآيةِ مِنْ سُورةِ الفَتحِ، والنَّصُّ النَّثْري فِي وصفِ رَسولِ اللهِ ﷺ وهوَ تناصٌّ باستدعاءِ شَخصيَّةِ رَسولِ اللهِ ﷺ.

٢. **المَشهدُ الثَّانِي:** يَتحدَّثُ النَّبهَانِي فيهِ عنْ نبيِّ اللهِ ورسولِهِ وكلمتِهِ عيسَى بنِ مريمَ _ عليهِمَا السَّلامُ _، إذْ يذكرُ عيسى وأمَّهُ مريمَ العذراءَ في شعرِهِ ردًّا علَى افتراءَاتِ النَّصَارَى بتأليهِ عيسَى وأمِّهِ _ عليهِمَا السَّلامُ _، واعتقادِهِم بالصَّلبِ لعِيسَى _ عليهِ السَّلامُ _، واعتقادِهِمْ بأنَّ عيسَى _ عليهِ السَّلامُ _ ابنَ اللهِ _ حسبَ زعْمِهِمْ _، إذْ يقولُ النَّبهَانِي:

فَإِنَّ النَّصَارَى لَمْ يُفِدْهُمْ مَدْحُهُمْ لِعِيْسَى رَسُوْلِ اللهِ أَوْ أُمِّهِ الْعَذْرَا[١]

فقدْ تناصَ في هذا النَّصِّ الشِّعرِي باستدعاءِ شَخصيَّتينِ دِينيتينِ، همَا:(عيسَى وأمُّهُ مريمُ _ عليهُمَا السَّلامُ _)، وجاءَ هذا التَّناصُ الاستدعائِي؛ ليشيرَ إلى أنَّ مَدحَ النَّصَارَى لِعِيسَى وَأُمِّهِ مَريَمَ _ عَلَيهُمَا السَّلَامُ _ لَمْ يَكُنْ لِيُفِيدَهُمَا، فقَدْ جَعَلُوا مِنهُمَا إِلَاهَينِ، وَفِي المُقَابِلِ ادَّعُوا صَلْبَ عِيسَى _ عَلَيهِ السَّلَامُ _ وَهُوَ غَيرُ مَقبُولٍ لِإِلَهٍ أَنْ يَصلُبَهُ البَشَرُ الَّذِينَ هُمْ تَحتَ إِمْرَتِهِ، فَفِي هَذَا الافْتِرَاءِ الَّذِي يُعدُّونَهُ مَدحًا قَدْ افْتَرُوا كَذِبًا عَلَى عِيسَى وَأُمِّهِ مَريمَ _ عَلَيهِمَا السَّلَامُ _[٢]، وقدْ بيَّنَ لهُمْ اللهُ كيفَ أنَّ عيسَى _ عليهِ السَّلامُ _ دافعَ عنْ نفسِهِ وأمَّهِ أمامَ اللهِ، وردَ هذهِ الفريَّةَ، إذْ قالَ تعالَى في سُورةِ المَائدةِ:"**وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ**

---

[١] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. (د.ت). مخطوطة مكتوبة بخط علي بن سلمان اليوسف التميمي موجودة في مكتبة المتحف العراقي في بغداد برقم: ٨٨٣٦. وفي أطروحة الباحث ماضي. عيسى محمد علي، بعنوان: يوسف النبهاني الشاعر الفلسطيني الرائد. ج٢. ص٤٠٠ .

[٢] انظر: ماضي، عيسى محمد علي. يوسف النبهاني الشاعر الفلسطيني الرائد. ج٢. ص٤٠١.

فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ"[1]، فهذا نصٌّ قرآنيٌّ صريحٌ في الرَّدِّ على النَّصَارى مِنْ خلالِ الحِوارِ الَّذِي حدثَ بينَ اللهَ _ عزَّ وجلَّ _ وعيسَى _ عليهِ السَّلامُ _ فكانَ ردُّ افتراءِ النَّصَارَى عليهِ، وتبرئةِ نفسِهِ أمامَ اللهِ؛ ليكونَ اللهُ شهيدًا عليهِ وعليهِمْ، فيكونُ الحسابُ يومَ القيامةِ عليهُمْ عَسيرًا، فاستدعاءُ شَخصيَّةِ عِيسَى _ عليهِ السَّلامُ _ هُنا للإشارةِ إلى أمرٍ عظيمٍ يتعلَّقُ باعتقادِ النَّصارَى الباطلِ، رغمَ أنَّهُمْ يُعدِّونَ ذلكَ مدحًا لعيسَى _ عليهِ السَّلامُ _، إلَّا أنّهُ يتبرَّأُ مِنْ هذا المدحِ لأنَّهُ مدحٌ باطلٌ زائفٌ يخالفُ مكانةَ عيسَى _ عليهِ السَّلامُ _ العُليَا عندَ اللهِ تعالَى.

٣. **المشهدُ الثَّالثُ:** يتحدَّثُ النَّبهَانِي في هذا المشهدِ عنْ رُسلِ اللهِ وأنبيائِهِ _ عليهِمُ السَّلامُ _ باستدعائِهِمْ في حَضرةِ الرَّسولِ مُحمَّدٍ ﷺ، فهُمْ معهُ في التَّوحيدِ، وإخوانِهِ في الدَّعوةِ إلى اللهِ _ عزَّ وجلَّ _، فهوَ يمدحُ ويستدعِي، وكأنَّهُ يقولُ: أتوافقونَنِي الرَّأيَ بأنَّ مُحمَّدًا رَسولَ اللهِ ﷺ سيِّدُكُمْ وقائدُكُمْ، مِنْ خلالِ مقطوعةِ التَّخميسِ في الشِّعرِ[2]، فيقولُ:

سَيِّدُ الرُّسُلِ قَدْرُهُ مَعْلُومُ أَيْنَ مِنْهُ الْمَسِيحُ أَيْنَ الْكَلِيمُ
أَيْـنَ نُـوْحٌ أَيْنَ إِبْرَاهِيمُ كُلُّهُـمْ مِنْ مَقَـامِـهِ مَفْطُوْمُ
عَلَيْـهِ الصَّـلَاةُ وَالتَّسْـلِيْمُ[3]

فهنَا يستدعِي شخصيَّاتٍ رسلٍ عدَّة، مرَّ ذكرُهُمْ في القرآنِ الكريمِ، وفي كُتُبِ المؤرِّخينَ، وهذا التَّناصُ الاستدعائِي غرضُهُ تَمييزُ وتفضيلُ الرَّسولِ مُحمَّدٍ ﷺ علَى الرُّسلِ السَّابقينَ لهُ، وكذلكَ إشهادُهُمْ وإقرارُهُمْ بهذَا التَّمييزِ والتَّفضِيلِ، إذْ يقولُ اللهُ تعالَى في سُورةِ الصَّفِّ:"**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي**

---

[1] سورة المائدة. الآيتان رقم: ١١٥– ١١٦.

[2] **التخميس في الشعر:** هو أن يأتي الشعر بعجز البيت الثاني أو القفلة لشاعر سابق له معروف، فينسج البيت الأول وصدر البيت الثاني من شعره، ثم يكون عجز البيت الثاني أو القفلة من شاعر سابق له، إحياء لشعره، وموضوعه.

[3] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. ديوان يوسف النبهاني. ص١٩٢.

رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٥) وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ"[1]. فقدْ ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى مُوسَى (كَلِيمُ اللهِ) _ عَلَيهِ السَّلَامُ _ وَقِصَّتَهُ مَعْ قَومِهِ الَّذِينَ آذَوهُ وَاضَّطَرُّوهُ إِلَى الفِرَارِ مِنْ بَطْشِهِم، فَانْتَقَلَ مِنْ مِصرَ إِلَى مَدينَ، وَذَكَرَ عِيسَى _ عَلَيهِ السَّلَامُ _ الَّذِي يُؤَكِّدُ عَلَى أَنَّهُ رَسُولٌ لِبَنِي إِسرَائِيلَ، وَقَدْ صَدَّقَ بِكِتَابِ التَّورَاةِ الَّذِي نَزَلَ عَلَى نَبِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُوسَى _ عَلَيهِ السَّلَامُ _، وَمُبَشَّرًا بِرَسُولِ اللهِ مُحمَّدٍ ﷺ الَّذِي ذَكَرَهُ بِاسْمِهِ الآخَرَ (أَحمَدَ)[2]، وَهَذَا التَّنَاصُّ الاسْتِدعَائِي يُشيرُ إِلَى العَلَاقةِ المُتَداخِلَةِ بَينَ الأَنبِيَاءِ وَالرُّسُلِ _ عَلَيهِم السَّلَامُ _، وَجَعلُ الرَّسُولِ مَحَمَّدٍ ﷺ آخِرَهُمْ وَسَيِّدَهُم وَأَفضَلَهُمْ، ثَمَّ تَذْكُرُ الآيَاتُ اسمَي نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَآلهُمَا، فَيقُولُ _ عَزَّ وَجَلَّ _ فِي سُورَةِ آلِ عِمرَانَ:"**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ**"[3]. وجاءَ التَّناصُ الاستدعائِي هُنا كذلكَ بالتَّوافِقِ في ذكرِ الأنبياءِ والرُّسلِ آدمَ ونوحٍ وإبراهيمَ _ عليهِمِ السَّلامِ _، وهذا الاستدعاءُ في النَّصِّ الشِّعري للنَّبهَانِي، والنَّصُّ القُرآني تَوافقِي، للدَّلالةِ على أهمِّيَّةِ استدعاءِ هذهِ الشَّخصيَّاتِ المَشهورةِ.

٤. **المشهدُ الرَّابعُ:** يتحدَّثُ النَّبهانِي عنِ استدعاءِ شَخصيَّاتِ الصَّحابةِ والصَّحابيَّاتِ _ رِضوانِ اللهِ عليهِم جميعًا _، إِذْ يُشيرُ إلى دورِهِمْ في نُصرةِ رَسولِ اللهِ ﷺ، ويُشيدُ بتضحياتِهِمْ، فيعرضُ أسماءَهُمْ ومواقفَهُمْ مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ ودعوتِهِ العَظيمةِ، فيقولُ:

واهْتَدَى سَادَةٌ فَصَارَ لَهُمْ بِالسَّبْقِ وَالصِّدْقِ رُتْبَةٌ عَلْيَاءُ
سَبَقَتْهُمْ خَدِيْجَةُ وَأَبُوْ بَكْرٍ عَلِيٌّ، زَيْدٌ، بِلَالٌ، وَلَاءُ
وَتَلَاهُمُ قَوْمٌ كِرَامٌ كَذِي النُّورَينِ عُثْمَانَ، سَادَةٌ نُجَبَاءُ

[1] سورة الصف، الآيتان رقم: ٥+٦.

[2] ابن كثير، الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل. تفسير القرآن العظيم. ج٣. ص٤٧-٤٨. تح: مصطفى السيد أحمد وآخرون. مؤسسة قرطبة ومكتبة أولاد الشيخ للتراث. الجيزة. القاهرة. ط١. (١٤٢١هـ-٢٠٠٠م).

[3] سورة آل عمران، الآية رقم: ٣٣.

عَـامِـرٌ طَلْحَـةُ الـزُّبَيْـرُ وَسَعْدٌ وَابْنَ عَوْفٍ مَعْ صَاحِبِ الْغَارِ جَاؤُوا
وَسَـعِيْدٌ عُبَيْـدَةٌ حَمْـزَةُ المُرغِمُ أَنْـفَ الضَّـــــلَالِ مِنْـــهُ اهْتِدَاءُ
أَسَـــدُ اللهِ وَالـرَّسُـــوْلِ الَّذِي دَانَتْ لَـــهُ بِـالسِّـــيَادَةِ الشُّـهَدَاءُ
وَالْإِمَامُ الْفَـارُوقُ بَعْدَ المُخْتَارِ فِي حَـقِّـــهِ اسْـــتُجِيْـــبَ الدُّعَاءُ[1]

فهنَا يتناصُ سرديًّا بتناصٍ قَصَصِي استدعائِي في آنٍ واحدٍ، فيذكرُ شَخصِّيَاتٍ دِينيَّةٍ هامَّةٍ مِنْ قريشٍ آمنَتْ وصدَّقَتْ برسولِ اللهِ ﷺ مِنْ أَوَّلِ النَّاسِ، فكانُوا نعمَ المُؤمنونَ، ونعمَ النَّاصرونَ، واستدعاؤهُم معْ مواقِفِهِمْ العَظيمةِ في نُصرةِ الدَّعوةِ يتناصُ ويتوافقُ معِ استدعائِهِمْ في كِتابِ اللهِ تلميحًا، وفي سِيرةِ رَسولِ اللهِ ﷺ تصريحًا، ففِي كتابِ اللهِ ذكرُوا في سُورةِ الأنفالِ، في قولِه تعالى:"**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ**"[2]. كمَا أشارَ ابنُ كَثيرٍ في تفسيرِ الآيةِ إلى أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ مِنِ المُهاجرينَ الّذِين آمنُوا معهُ أوَّلَ الدَّعوةِ في مكَّةَ المُكرَّمةِ، ثمَّ تحدَّثَتِ الآيةُ عنِ المُؤمنينَ الَّذِينَ نَصَرُوا رَسولَ اللهِ ﷺ وأسكنُوهُ في بلدِهِمِ المدينةِ المُنوَّرةِ الَّذِينَ سُمُّوا بالأنصارِ[3]. كمَا وَرَدَ ذِكْرُهُمْ فِي (السِّيرَةِ النَّبَويَّةِ)، إِذْ قَالَ ابْنُ هِشَامٍ فِي رِوَايَتِهِ عَنِ ابنِ إِسْحَاقَ :(**وَآمنَتْ بِهِ خَديجةُ بنتُ خويلدَ، وصَدَّقَت بمَا جَاءَ بهِ مِن عندِ اللهِ تَعالَى، وَوازَرتْهُ عَلى أمْرِهِ، وكَانَتْ أوَّلَ مَن آمَنَ مِن النِّساءِ، ... ثُمَّ آمَنَ بهِ ابنُ عمِّهِ عَلِيُّ بنُ أبِي طَالبَ، وَكَانَ حَدِثَ السِّنِّ، فكَانَ أَوَّلَ مَنْ آمنَ مِن الغِلمَانِ، ... ثُمَّ صَدَّقهُ أَبو بَكرٍ الصّدِّيقِ عندَمَا خَرجَ إلى الشِّعبِ وَأَعلَن عَن نَفسِهِ نبيًّا وَرَسولًا، فَكذَّبتُهُ قُريشٌ وَصدَّقَهُ أَبُو بَكرٍ الصِّدِّيقِ، فَكَانَ أَوَّلَ مَن آمَنَ مِن الرِّجَالِ، ... ثُمَّ آمَنَ زَيدُ بنُ حَارثةَ وَكَانَ ابنَ رَسولِ اللهِ ﷺ بِالتَّبنِّي، فَكَانَ أَوَّلَ دَعِيٍّ يُؤمِنُ مِن الشَّبابِ... وَهَكَذا أخذَ الإِسْلامُ يَدُبُّ فِي مَكَّةَ، فَآمَنَ عَلَى يَدِ أَبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ أَبُو عُبيدةَ وَطَلحةَ وَعُثْمانَ وَبِلالَ الَّذِي أَعتَقَهُ أَبو**

[1] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. المجموعة النبهانية في المدائح النبوية. مج١، ص٢٢٤-٢٢٥.
[2] سورة الأنفال. آية رقم: ٧٤.
[3] ابن كثير، الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل. تفسير القرآن العظيم. ج٧. ص١٣٢.

بَكرٍ مِن أُمَيَّةَ بنَ خَلَف، ثُمَّ أَسْلَمَ عُمَرُ الفَاروقُ بِدعُاءِ رَسولِ اللهِ ﷺ، الَّذِي قَالَ فَيْهِ:(اللَّهُمَّ انْصُرَ الْإِسْلَامَ بِإِحْدَى الْعُمَرَيْنِ) يَقْصدُ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ، وَعَمْرو بنَ هِشامٍ (أَبُو جَهْلٍ))[1]. وهكذَا كانَ التَّناصُ الاستدعائِي لشخصيَّاتٍ دِينيَّةٍ مهمًا في الشِّعرِ، وقدْ تناصَّ بهِ النَّبهَانِي كثيرًا فِي شِعرِهِ.

خامسًا: التَّناصُ الدِّينِي باستدعاءِ الأماكنِ المُقدَّسةِ: درجَ الحديثُ عنِ الأماكنِ المقدَّسةِ في الدِّياناتِ المُفترضَةِ، إلَّا أنَّ الدِّينَ عندَ اللهِ الإسلامُ، وبالتَّالِي فالأماكنُ المقدَّسةُ الَّتِي باركَهَا اللهُ وبارِكَ حولَهَا مذكورةٌ في كتابِهِ العزيزِ فحسب، وهذا ما وقفَ عليهِ النَّبهانِي في شعرِهِ، مخصِّصًا الحديثَ في ثَنايَا أراجيزِهِ عنَ الأماكنِ المُقدَّسةِ الَّتِي حدَّدَهَا القُرآنُ الكريمُ، وأشارَ إليهَا الرَّسولُ ﷺ في أحاديثِهِ العَديدةِ، وإنَّ أَوَّلَ مكانٍ وضعَ لعبادةِ اللهِ في الأرضِ هوَ مكَّةُ المكرَّمةُ، وتحديدًا البيتُ الحرامُ حيثُ الكعبةُ المشرَّفةُ، والحجرُ الأسودُ، ثمَّ المدينةُ المنوَّرةُ الَّتِي فيهَا قبرُ رَسولِ اللهِ ﷺ، وقدْ مدحَهَا رسولُ اللهِ ﷺ في أحاديثِهِ، وأخيرًا القدسُ (أرضُ المعراجِ) وفيهَا المسجدُ الأقصَى الَّذِي باركَ اللهُ حولَهُ، وقدْ زادَ النَّبهَانِي أماكنَ اعتبرَهَا مقدَّسةً لأنَّهَا حوَتْ دُروسَ العلمِ والعَقيدةِ والشَّريعةِ كالجَامعِ الأزهرِ الشَّريفِ، وقبورِ أولياءِ اللهِ الصَّالحينَ، إلَّا أنَّ هذهِ الأماكنَ مختلفٌ على اعتبارِهَا مقدَّسةٌ، فلا يجوزُ تقديسُهَا، وإنْ جازَ رثاءُ مَنْ فيهَا مِنْ عِبادٍ صَالِحينَ، وفي مشاهدِ التَّناصِ الاستدعائِي للأماكنِ المُقدَّسةِ نذكرُ مكَّةَ المكرَّمةَ، وكيفَ أَشارَ إليهَا النَّبهَانِي، وربطَ تشريفَهَا بكونِهَا مكانُ عِبادةٍ أوَّلًا، ثمَّ مكانُ ولادةِ رسولِ اللهِ ﷺ ونشأتِهِ[2]، وتتوالى مشاهدُ التَّناصِ الاستدعائَي للأماكنِ المُقدَّسةِ كمَا يلي:

١. **المشهدُ الأَوَّلُ:** يتحدَّثُ النَّبهَانِي عنِ الحِجازِ وفيهَا مكَّةُ المُكرَّمةُ الَّتِي حوتْ أشرفَ بيتٍ وضعَ للنَّاسِ لعبادةِ اللهِ في الأرضِ، البيتُ الحرامُ والكعبةُ المُشرَّفةُ، فيذكرُهَا في همزيَّتِهِ في مواضعَ عدَّة، مرَّةً باسمِ الحِجازِ، ومرَّةً باسمِ مكَّةَ، ومرَّةً باسمِ البيتِ الحَرامِ، وأخيرًا الكعبةُ الشَّريفةُ، وهذا الاستدعاءُ للأماكنِ المَذكورةِ هدفُهُ الإشارةُ إلى أهمِّ مكانٍ

[1] انظر: ابن هشام الأنصاري. السيرة النبوية. ج١. ص٢٧٤-٢٨٤.

[2] انظر: ماضي، عيسى محمد علي. يوسف النبهاني الشاعر الفلسطيني الرائد. ج٢. ص٤٨٩-٤٩٠.

في الأرضِ وضعَ لِعبادةِ اللهِ تعالَى، وولدَ فيهِ المُصطفَى ﷺ، ومعْ ذلكَ كانَ مكانًا غيرَ رحيمٍ على أهلِهِ المؤمنينَ وعلى رأسِهِمْ رسولُ اللهِ ﷺ، إذْ يقولُ النَّبهَانِي:

رَحمَةُ اللهِ صَاحَبَتْ كُلَّ صَحْبٍ حِيْنَ عَزَّتْ فِي مَكَّةِ الرُّحَمَاءُ[1]

فهوَ يتناصُ باستدعاءِ مكانٍ مهمٍّ، فيهِ انطلَقَتْ دعوةُ الإسلامِ، فكانَ مكانًا مقدَّسًا، وفيهِ الكعبةُ المُشرَّفةُ، ويُشيرُ إلى رحمةِ اللهِ تعالَى الَّتِي صاحبَتِ الرَّسولَ ﷺ وصحبِهِ الَّذِينَ آمنُوا معهُ رغمَ إيذاءِ كُفَّارِ قُريشٍ لهُمْ في مكَّةَ المكرَّمةِ الَّتِي قلَّ فيهَا الرُّحماءُ مِنَ النَّاسِ على الرَّسولِ ﷺ وصحبِهِ، وكيفَ يكونُ الظُّلمُ والإيذاءُ لأطهارِ النَّاسِ في أطهرِ مكانٍ يُعبدُ اللهُ فيهِ، ويُشركُ بهِ بعبادةِ الأصنامِ، وقدْ كانَ كفُّ الأذَى عنِ المُؤمنينَ بعدَ الفتحِ العَظيمِ لِمَكَّةَ المكرَّمةِ[2]، إذْ قالَ تعالَى فِي سُورةِ الفَتحِ :"**وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا**"[3]، فالآيةُ تُشيرُ إلى مَرحلةِ الإيذاءِ وصُعوبةِ الدَّعوةِ في أَوَّلِ الأمرِ، ثُمَّ الفَوزِ والانتصارِ على المُشركينَ في آخرِ الأمرِ، وذلكَ يومُ الفتحِ الأكبرِ (فتحُ مكَّةَ). وهذا تناصٌّ دينيٌّ معِ القُرآنِ الكريمِ الَّذِي فيهِ استدعاءُ مكانٍ مقدَّسٍ ومكانِ عبادةٍ للمُسلمينَ في أنحاءِ العالمِ أجمعَ.

٢. **المشهدُ الثَّانِي:** يتحدَّثُ النَّبهَانِي عنِ المَدينةِ المُنوَّرةِ الَّتِي يذكرُهَا في أشعارِهِ باسمِ طيبةَ، وقدْ نالَتْ حظًّا كبيرًا في قصائدِهِ، حتَّى أفردَ لهَا قصائدَ ومقطوعاتٍ خاصَّةً، والسَّببُ أنَّ فيهَا قبرُ خيرِ الخَلقِ مُحمَّدٍ ﷺ، ومكانُ نصرةِ دَعوتِهِ وظهورِهِ على العَالمينَ، وقدْ ذكرَهَا في أحاديثَ باسمِ طيبةَ كثيرًا، ونالَتْ مِنَ الحُبِّ الكثيرَ، إذْ يقولُ النَّبهَانِي في مَدحِ طَيبةَ:

[1] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. (د.ت). المجموعة النبهانية في المدائح النبوية. مج١، ص٢٢٦.

[2] ابن هشام الأنصاري. السيرة النبوية. ج١. ص٣٠١.

[3] سورة الفتح. آية رقم: ٢٤.

هَوَايَ طَيْبَةُ لَا بَيْضَاءَ عَطْبُولُ وَمُنْيَتِي عَيْنُهَا الزَّرْقَاءُ لَا النِّيْلُ[1]

فقدْ تناصَ في هذا البيتِ باستدعائِهِ طيبةَ (المدينةَ المنوَّرةَ)، وفيهَا قبرُ رسولِ اللهِ ﷺ، فهيَ أحبُّ البقاعِ إلى قلبِ النَّبهَانِي، فقدْ تَغنَّى بهَا كثيرًا، وذكرَهَا في موضعٍ آخرَ باسمِهَا (المَدينةَ)، إذْ قالَ:

وَلَهُ اشْتَاقَتِ الْمَدِينَةُ فَالْأَنْصَارُ فِيْهَا مِنْ شَوقِهِمْ أَنْضَاءُ[2]

إذْ يُشيرُ باستدعائِهِ لاسمِ المَدينةِ إلى هجرةِ رَسولِ اللهِ ﷺ إليهَا، وكيفَ استقبلَهُ الأنصارُ بشوقٍ كبيرٍ، وهذا التَّناصُ الاستدعائِي يتوافَقُ معْ ذكرِ المَدينةِ في القُرآنِ الكريمِ، إذْ قالَ تعالَى في سُورةِ (المنافقون):"**يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ**"[3]، ففِي الآيةِ إشارةٌ إلى مَا فعلَهُ المُنافقونَ يومَ أُحدٍ بقيادةِ كبيرِهِمْ عبدِ اللهِ بنِ أُبَي بنِ سُلولٍ، فقدْ سحبَ جُزءًا مِنَ الجَيشِ وقفلَ عائِدًا إلى المَدينةِ، يقولُ:(**عندَمَا نَرجعُ إلى المَدينةِ سوفَ يُخرِجُ الأعزُّ منْهَا الأذلَّ**)، يَقصدُ إخراجَ الرَّسولِ ﷺ ومَنْ معْهُ مِنَ المُهاجرينَ، فلمَّا عادَ الرَّسولُ ﷺ إلى المَدينةِ وكانَ يومَ الجمعةِ، وقدْ قامَ يخطبُ في النَّاسِ طردَ عبدَ اللهِ بنَ أُبِي بنَ سَلولٍ مِنَ المَسجدِ، وخرجَ غاضبًا، بعدَ أنْ عنَّفَهُ المسلمونَ داخلَ المسجدِ[4]. وباستدعاءِ طيبةَ (المَدينةَ المنوَّرةَ) في كَثيرٍ مِنْ قصائدِ النَّبهَانِي دليلٌ علَى أهمِّيَّةِ هذهِ المَدينةِ الطَّاهرةِ الَّتِي تضمُّ جثمانًا طاهرًا، جثمانَ خيرِ خلقِ اللهِ مُحمَّدٍ ﷺ.

٣. **المشهدُ الثَّالثُ:** يتحدَّثُ النَّبهَانِي عنِ القُدسِ، فيذكرُهَا باسمِهَا القديمِ (إيليَاءَ)، وذلكَ لأنَّهَا معراجُ رسولِ اللهِ ﷺ، وفيهَا المَسجدُ الأقصَى الَّذِي باركَ اللهُ حولَهُ، فكانَتْ أرضًا مباركةً هيَ ومَنْ حولَهَا فِي بلادِ الشَّامِ، فيقولُ النَّبهَانِي في مدحِ رَسولِ ﷺ متحدِّثًا عنْ ليلةِ الإسراءِ والمِعراجِ، وكيفَ تشرَّفَتِ القدسُ بقدومِ رَسولِ اللهِ ﷺ :

---

[1] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. المجموعة النبهانية في المدائح النبوية. مج٣. ص١٦٦.

[2] المصدر السابق. مج١. ص٢٤٠.

[3] سورة المنافقون. آية رقم: ٨.

[4] ابن كثير، الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل. تفسير القرآن العظيم. ج١٤. ص٨.

مَرَّ فِي طَيْبَةَ وَمُوْسَى وَعِيْسَى وَلَقَدْ شُرِّفَتْ بِهِ إِيلْيَاءُ[1]

فقدْ تناصَّ هُنا باستدعاءِ الاسمِ القَديمِ للمَدينةِ المُقدَّسةِ (القُدسَ)، وذكرَ (إيلياءَ)؛ لأنَّ الاسمَ الدَّارجَ عندَ اليهودِ والنَّصَارَى كانَ هذا، وحينَ استلَمَهَا الخَليفةُ عمرُ بنُ الخَطَّابِ ـ رَضِيَ اللهُ عنهُ ـ مِن صَفرونيوسَ (مَلكِ النَّصَارَى)، كانَ اسمُهَا إيلياءَ، وجاءَ الرَّبطُ بينَ مكَّةَ وإيلياءَ بسببِ رحلةِ الإسراءِ والمِعراجِ، فقدْ ذُكرَتْ إيلياءُ في كتابِ البِدايةِ والنِّهايةِ لابنِ كَثيرٍ وفِي كُتُبِ التَّاريخِ كثيرًا، إذْ يقولُ ابنُ كَثيرٍ:(... **وَلَمَّا فَرِغَ أَبو عُبيدةَ عَامرُ بنُ الجَرَّاحِ مِن تَحريرِ دِمشقَ، كَتبَ إلى أَهلِ إِيلْيَاءَ يَدعُوهُمْ إلى الإِسلَامِ أَو إلى الخُضُوعِ إلى حُكمِ الإِسْلامِ، فَيئِذلُونَ الجِزيَةَ أَوْ يُؤذَنونَ بِحَربٍ، فَأَبُوا إِلَّا الحَربَ، فَرَكِبَ إليهُم بِجُندِهِ وَحاصرَ بَيتَ المَقْدسِ وَضَيَّقَ عَلَيهِم حَتَّى أَجَابُوا إلى الصُّلحِ وَالاسْتِسلامِ بِشَرطٍ أَنْ يَأتِي الْخَليفةُ عَمرُ بنَ الخَطَّابِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنهُ ـ لِيَستَلِمَ مَفَاتيحَ القُدسِ،... وَاسْتَشَارَ عُمرُ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَادَةَ المُسلِمينَ، فَأَشَارُوا عَلَيهِ بَينَ البَقَاءِ وَإرسَالِ أحدِهِم أوِ الذَّهَابِ بِنفسِهِ، فَكَانَ الرَّأيُ الرَّاجِحُ أَنْ يَذهَبَ بِنَفسِهِ، فَجَهَّزَ نَفسَهُ وَرَكِبَ فَرسًا لِيُسرِعَ فِي السَّيرِ، حَتَّى بَلَغَهَا، ... وَاسْتَلَمَ مَفاتِيحَهَا مِنْ حَاكِمِهَا صَفْرُونُيوسَ فِي أَواخِرِ عَامَ ١٥ للهِجرةِ، وَقِيلَ فِي أَوَائِلِ عَامَ ١٦ لِلهِجْرةِ ...)**[2]. وهكذَا كانَتْ محطَّاتُ القُدسِ عندَمَا يتمُّ استدعاؤهَا محطَّاتِ فتحٍ وتحريرٍ مِنْ جهةٍ، واحتلالٍ واستعمارٍ مِنْ جِهةٍ أخرَى، لأنَّهَا محطُّ العُيونِ، ومهوَى الأفئدةِ، وبلادٍ تهفُو إليهَا النُّفوسُ والقُلوبُ، وإنْ قلَّ استدعاؤهَا فِي شعرِ النَّبهَانِي، فقدْ ذكرَهَا ابنُ كَثيرٍ في أكثرِ مِنْ موضعٍ، وسمَّاهَا بأسمائِهَا المُتعدِّدَةِ عبرَ التَّاريخِ.

وهكذَا نُلاحظُ أنَّ التَّناصَ الدِّينِي أخذَ حَيِّزًا كَبيرًا فِي شعرِ يُوسفِ النَّبهَانِي، وإنْ أردْنَا الاستطرادَ في النَّماذجِ التَّناصِّيَّةِ الدِّينيَّةِ لَمَا انتهينَا ولَا تَوقَّفْنَا؛ لأنَّ شِعرَهُ زاخرًا بِالأمثلةِ الكَثيرةِ علَى التَّناصِ الدِّينِي، ممَّا يتطلَّبُ عملَ أُطروحةٍ خاصَّةٍ في التَّناصِ الدِّينِي فِي شعرِهِ، دونَ بقيَّةِ الأَنواعِ.

---

[1] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. المجموعة النبهانية في المدائح النبوية. مج١. ص٢٣٥.

[2] انظر: ابن كثير، الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل. البداية والنهاية. ج٩. ص٢٥٥-٢٦٥.

المبحثُ الثَّانِي

التَّناصُ الأَدَبِي في شِعرِ يُوسِفِ النَّبهَانِي

تغلبُ على شِعرِ النَّبهَانِي النَّزعةُ الدِّينيَّةُ، ولهَذا كانَ للتَّناصِ الدِّينِي الحَظَّ الأوفرَ فِي شعرِهِ، خاصَّةً لأنَّهُ أكثرَ مِنَ المَدائحِ النَّبويَّةِ، ووصفَ حَياةَ الرَّسولِ ﷺ، ومراحلَ دعوتِهِ، أيْ نقلَ السِّيرةَ النَّبويَّةَ شِعرًا، علاوةً على قصائدَ خاصَّةٍ تناولَتْ مَدحَ الرَّسولِ ﷺ، باستثناءِ المُجلَّداتِ الَّتِي جمعَ فيهَا عددًا مِنَ المَّدائحِ النَّبويَّةِ لشعراءِ سَبقوهُ، فنسجَ قصائدَ علَى غِرارِهَا ضِمنَ مَا يُسمَّى بشعرِ المُعارضاتِ الَّذِي يحتاجُ إلى أُطروحَةٍ أُخرَى أوْ بحثٍ آخرَ فيهِ[1].

أمَّا التَّناصُ الأَدَبي فقدْ جاءَ في شِعرِ المَدائحِ النَّبويَّةِ، والشِّعرِ الصُّوفِي، والمدحِ العَامِ، والهِجاءِ، والوَصفِ، وهذهِ الأغراضُ الشِّعريَّةُ الَّتِي تناولَهَا النَّبهَانِي في شعرِهِ، إلَّا أنَّ تناصَّهُ الأَدَبِي كانَ معِ الشِّعرِ التَّقليدِي لشعراءَ سَابقينَ لهُ، وقدْ كانَ ذلكَ مِنْ خلالِ المُعارضاتِ في المَدائحِ النَّبويَّةِ والنَّقائضِ مِنْ خِلالِ الرَّدِّ عَلى خُصومِهِ الفِكريينَ، والشِّعرُ الصُّوفِي، وشعرُ المُوشَّحاتِ مُعارضًا إمامَ المُوشَّحاتِ لسانَ الدِّينِ بنِ الخَطيبِ(ت:١٣٧٤م)، والتَّخميسُ كلونٍ جديدٍ مِنْ الشِّعرِ لمْ يسبقْهُ إليهِ إلَّا القَليلُ مِنَ الشُّعراءِ، والاستدعاءُ للشَّخصِيَّاتِ الأدبيَّةِ المَعروفةِ، سواءٌ كانَ الاستدعاءُ للمدحِ أوِ الذَّمِّ أوِ الشَّهادةِ.

وفي هذا المبحثِ سَيتمُّ تفصيلُ التَّناصِ الأَدَبِي حسبَ التَّرتيبِ المَذكورِ، ومَا تناصَ بِهِ النَّبهَانِي معِ الشِّعرِ الَّذِي سبقَهُ، على النَّحوِ التَّالِي:

أوَّلًا: التَّناصُ الأَدَبِي معِ الشِّعرِ التَّقليدِي: يُعَدُّ التَّناصُ الأَدَبِي معِ الشِّعرِ السَّابقِ للشَّاعرِ طبيعيًّا، بسببِ تأثُّرِ الشَّاعرِ بمَنْ سبقَهُ مِنَ الشُّعراءِ، وحفْظِهِ لأشعارِهِمْ الَّتِي وجدَ تذوُّقًا لهَا فِي خاطرِهِ[2]، والنَّبهَانِي كسائرِ الشُّعراءِ تأثَّرَ بمَنْ سبقوهُ مِنْ شعراءِ المَديحِ النَّبوي، والمدحِ العامِ، والهَجاءِ والوصفِ، وقدْ تناولَتْ مشاهدُ التَّناصِ الأدبِي معِ الشِّعرِ التَّقليدِي المَدائحَ النَّبويَّةَ، والمدحَ العامَ، والهِجاءَ، والوَصفَ على النَّحوِ التَّالِي:

---

[1] انظر: ماضي، عيسى محمد علي. يوسف النبهاني الشاعر الفلسطيني الرائد، ج٢. ص٥١١-٥١٢.

[2] مفتاح، محمد. تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص). ص٢٦٥.

١. **المشهدُ الأَوَّلُ:** كتبَ النَّبهَانِي قصائدَ مُعارضةٍ في المَديحِ النَّبوي، فجاءَتْ مُتَّفقةً معْ غيرِهَا في المَوضوعِ والبحرِ والرَّوي، إذْ قالَ في قَصيدتِهِ المَعارضةِ لقصيدةِ كعبٍ بنِ زهيرٍ _ رَضِيَ اللهُ عنهُ _ (بانَت سُعادُ):

إِنْ كَانَ مَتْبُولُ قَلْبٍ يَوْمَ أَنْشَدَكُمْ بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولُ[١]

فقدْ تناصَ في هذا النَّصّ الشِّعري معْ قولِ كعبِ بنِ زُهيرٍ _ رَضِيَ اللهُ عنهُ _ في المَوضوعِ نفسِهِ، إذْ قالَ كعبٌ:

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولُ مُتَيَّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُجْزِ مَكْبُوْلُ[٢]

فقدْ تناصَ بشكلٍ واضحٍ معْ صدرِ بيتِ كعبٍ، بتوافُقٍ معْ عَجُزِ بيتِهِ نقلًا صريحًا، إلَّا أنَّهُ اعترفَ بهَذا النَّقلِ، فالبيتُ توافقَ في المَوضوعِ والبَحرِ والرَّوي، وهوَ مِنْ شعرِ المُعارضَاتِ، وقدْ تناصَ في صدرِ بيتِهِ معْ عَجُزِ بيتِ كعبٍ بِلفظةِ **(قلبِي)**، وكلمةِ **(متبولٌ)** في صدرِهِ، والمعنَى متَّفِقٌ تمامًا في التَّناصِ، فهوَ حزينٌ لفِراقِ مَحبوبتِهِ، ومكبَّلٌ أمامَ اختيارِ غيرِهَا رغمَ رَغبتِهِ في ذلكَ، وإنْ كانَ يرمزُ لِسعادَ بالجَاهليَّةِ، ولِلمحبوبَةِ الجَديدةِ بالإسلامِ، فهوَ يُشيرُ إلى صُعوبةِ تحوُّلِهِ مِنَ الجَاهليَّةِ إلى الإسلامِ، فليسَ الأمرُ سهلًا، ومعْ هذا هوَ يفعلُ المُستحيلُ ويتحدَّى قومَهُ في سَبيلِ الإسلامِ ، ورسولِ الإسلامِ ﷺ[٣]، وهذا التَّناصُ أدبيٌّ مَعِ المَديحِ النَّبويّ وشعرِ المُعارضاتِ.

٢. **المشهدُ الثَّانِي:** يتحدَّثُ النَّبهَانِي عنْ خَيريَّةِ رَسولِ اللهِ ﷺ وأفضليَّتِهِ علَى الأنبياءِ، مُعارضًا في ذلكَ قَصيدةَ البُردةِ للشَّاعرِ المِصريّ البُوصيري، الَّتِي نسجَهَا بعدَ أنْ رأَى الرَّسولَ ﷺ فِي منامِهِ، وقدْ ألقَى عليهِ بُردتَهُ، فسمَّى القَصيدةَ (البُردةَ)، إذْ يقولُ النَّبهَانِي متناصًّا بهذا النَّصّ الشِّعرِي مَعِ البُوصيرِي بنصٍّ مُشابهٍ في هَمزيّتَهِمَا الطَّويلةِ:

---

[١] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. (د.ت). المجموعة النبهانية في المدائح النبوية. مج٣، ص١٧٢.

[٢] كعب بن زهير. ديوان كعب بن زهير. ص٦٠.

[٣] المصدر نفسه، ص٦٠ (الشرح في الهامش).

خَيْرُ أَرْضِ اللهِ ثَوِيَتْ فِيْهَا سَمَاءٌ بِكَ طَالَتْ مَا طَاوَلَتْهَا سَمَاءُ[1]

فقدْ تناصَّ في هذا النَّصّ الشِّعري معْ نصٍّ شعريٍّ في قَصيدةِ (البُردةِ) الَّتِي جَاءَ مَطلعُهَا في مشهدٍ وصفيٍّ مُتقاربٍ فيمَا يَتعلَّقُ بِرسولِ اللهِ ﷺ، وإنْ أرادَ النَّبهَانِي في صَدرِ البَيتِ خيرَ المَبانِي (الكَعبةِ الشَّريفةِ) الَّتِي فاقَتْ بخيرِهَا وقدُّسيتِهَا كلَّ مبانِي الأرضِ، كمَا فاقَ رَسولُ اللهِ ﷺ بفضلِهِ وخيرِهِ كلَّ الرُّسلِ والأنبياءِ، إذْ قالَ البُوصيري في مطلعِ قصيدتِهِ المُتَّفقِ معْ نصّ النَّبهَانِي الشِّعرِي:

كَيْفَ تَرْقَى رُقِيَّكَ الْأَنْبِيَاءُ يَا سَمَاءٌ مَا طَاوَلَتْهَا سَمَاءُ[2]

فالبُوصيرِي يصفُ عُلوّ مكانةِ رسولِ اللهِ ﷺ، وتفوُّقِهِ على الأنبياءِ، ويذكُرُ الألفاظَ الَّتِي تتوافقُ والمعنَى نفسَهُ في صدرِ البيتِ وعَجُزِهِ، بمَا يتَّفِقُ معْ عَجُرِ البيتِ عندَ النَّبهَانِي، في وصفٍ عظيمٍ لرسولِ اللهِ ﷺ، بأخلاقِهِ الحَميدةِ، ومكانتِهِ العُليَا كمكانةِ الكَعبةِ الشَّريفةِ.

٣. **المشهدُ الثَّالثُ:** يتحدَّثُ النَّبهَانِي عنْ مدحِ الرَّسولِ ﷺ، ويعتذرُ عَنْ تَقصيرِهِ في المَدحِ، ويطلبُ منهُ أنْ يقبلَهُ معِ المَشفوعِ لهُمْ يومَ القِيامةِ، ويكونُ ثاويًا معهُمْ فِي جنانِ النَّعيمِ، إذْ يقولُ:

وَمِنَ الْفَوْزِ أَنْ أَكُوْنَ لَدَيْكُمُ ثَأْوِيًا لَا يَمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ[3]

ففِي هذا البيتِ الشِّعري المُتعلِّقِ بفوزِهِ بقربِ رسولِ اللهِ، ونوالِهِ الشَّفاعةِ، والثَّواءِ أيْ الإقامةِ في الجَنَّةِ معْ رسولِ اللهِ ﷺ وصحبِهِ، فقدْ تناصَ في هذا اللَّفظِ المُعاكسِ والمَعنَى المُخالفِ معْ مطلعِ مُعلَّقةِ الشَّاعرِ الجَاهلِي الحَارثِ بنِ حِلزَّةِ اليَشكرِي (ت:٥٨٠م)، الَّذِي كانَ يبكِي محبوبتَهُ الَّتِي فارقتْهُ بعدَمَا كانَتْ قربَهُ، إذْ يقولُ:

---

[1] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. المجموعة النبهانية في المدائح النبوية. مج١. ص٢٠٥.

[2] البوصيري، شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد. ديوان البوصيري. ص٩. ت: أحمد حسن بسج. منشورات محمد علي بيضون. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.

[3] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. (د. ت). الهمزية الألفية. ص١٠٠. المطبعة الأدبية. (د. ط).

آذَنَتْنَا بِبَيْنِهَا أَسْمَاءُ رُبَّ ثَاوٍ يَمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ[1]

فالتَّناصُ هُنا في عَجُزِ البيتينِ بينَ النَّبهَانِي واليَشكُرِي، وهوَ الثَّواءُ أيْ المقامُ الَّذِي يرغبُهُ النَّبهَانِي بصحبةِ رسولِ اللهِ ﷺ وصحبِهِ في الجِنانِ، والثَّواءُ الَّذِي يرغبُهُ اليَشكري بصحبةِ محبوبتِهِ أسماءَ، ولكنَّهَا في المُقابلِ لَا ترغبُهُ هيَ، إذْ إنَّهَا ترغبُ في البينِ أيِ الفُراقِ والبُعدِ، ولسْنَا نَدرِي هلْ يرغبُ رَسولُ اللهِ ﷺ وصحبِهِ بصُحبَةِ النَّبهانِي أمْ لا، لكنَّ المُؤكَّدَ أنَّ النَّبهانِي يرغبُ في ذلكَ كمَا يرغبُ اليَشكري في ذلكَ، والمُخالفةُ هُنا في عَجُزِ البَيتِ، ففِي قولِ النَّبهَانِي نجدُ المَقامَ لا يُمَلُّ منهُ أبدًا لأنَّهُ مقامُ رَسولِ اللهِ وصحبِهِ، أمَّا مقامُ اليَشكري فنرَى أنَّ محبوبَتَهُ أسماءَ ملَّتْ منهُ، ورغبَتْ بالبَينِ أيِ الفُراقِ، والبُعدِ عنهُ، وهذهِ هيَ المُخالفةُ الواقعةُ في اللَّفظِ والمَعنَى بينَ البيتينِ، رغمَ تشابِهِ اللَّفظينِ، وتقاربِ المَعنيينِ.

٤. **المشهدُ الرَّابعُ:** يتحدَّثُ النَّبهَانِي عنِ الشَّفاعةِ، طالبًا مِنْ رَسولِ اللهِ ﷺ أنْ يشفعَ لهُ أمامَ اللهِ يومَ القِيامةِ، وهوَ يطلبُ اَلرِّضَا مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ بقبولِ الشَّفاعةِ، فإذَا قبلَ ورَضِيَ فكلُّ صعبٍ يَهونُ عندَ النَّبهَانِي، ويُصبحُ مرتاحًا وهادئًا، إذْ يقولُ:

فَارْضَ عَنِّي وَكُنْ شَفِيْعًا إِلَيْهِ كُلُّ صَعْبٍ إِذَا رَضِيْتَ يَهُوْنُ[2]

وهنَا يتناصُ النَّبهَانِي في هذا النَّصِّ، معْ نصٍّ آخرَ في مشهدٍ مُشابهٍ للشَّاعرِ الأَندلُسِي لسانِ الدِّينِ بنِ الخَطيبِ، إذْ يطلبُ منْ رَسولِ اللهِ ﷺ الطَّلَبَ نفسَهُ بأنْ يشفعَ لهُ؛ لأنَّ ارتكابَ الذُّنوبِ والمَيلِ معِ هوَى النَّفسِ والشُّجونِ أمرٌ لا مفرَّ منهُ أحيانًا، إذْ يقولُ ابنُ الخَطيبِ:

كُنْ لِيْ شَفِيْعًا فَارْتِكَابُ الْهَوَى أَوْقَعَنِي بَيْنَ الشَّجَى وَالشُّجُوْنِ[3]

---

[1] الحارث بن حلزة اليشكري. ديوان الحارث بن حلزة اليشكري. ص٦٦. تح: مروان العطية. مطبعة دار الإمام النووي. دمشق. ومطبعة دار الهجرة. بيروت. ط١. (١٤١٥هـ-١٩٩٤م).

[2] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. المجموعة النبهانية في المدائح النبوية. مج٤، ص٢٦٠.

[3] المقري التلمساني، أحمد بن محمد. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. مج٧. ص٥١٧. تح: إحسان عباس. دار صادر. بيروت. (د.ط). (١٣٨٨هـ-١٩٦٨م).

فهوَ يتناصُ في هذا المَشهدِ بينَ النَّصَّينِ بطلبِ الشَّفاعةِ في لفظِهَا ومعناهَا، إلَّا أنَّ النَّبهَانِي يطلبُ الرِّضَا والقَبولَ، فيزيدُ فِي طلبِهِ عنِ ابنِ الخَطيبِ، الَّذِي يطلبُ الشَّفاعةَ مِنَ اللهِ تعالَى عَنْ طريقِ الرَّسولِ ﷺ، بسببِ الذُّنوبِ الَّتِي أوقعتْهُ فِي الحِيرةِ والخَوفِ والتَّفكيرِ المُستمرِّ في الخَلواتِ.

٥. **المشهدُ الخامسُ:** يتحدَّثُ النَّبهَانِي عنِ الصَّحابةِ مِنَ المُهاجرينَ والأنصارِ الَّذِينَ هاجرُوا معْ رَسولِ اللهِ ﷺ، ونصرُوهُ في المَدينةِ وفي مكَّةَ، إذْ يمدحُهُمِ النَّبهَانِي ويفتخرُ بهِم قائلًا:

فِي سَادَةٍ هَاجَرُوا للهِ شَارَكَهُمْ بِالنَّصْرِ أَنْصَارُهُ الشُّمُّ الرَّآبِيْلُ[١]

فقدْ تناصَ في هذا النَّصِّ الشِّعرِي معْ بيتٍ يَحكِي المشهدَ نفسَهُ في قَصيدةِ كَعبِ بنِ زُهيرٍ المُعارضةِ لهَا، في بعضِ اللَّفظِ، وبعضِ المَعنَى، إذْ يقولُ كعبٌ بنُ زهيرٍ:

فِي فِتْيَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ فِي بَطْنِ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا زُوْلُوا[٢]

فقدْ جاءَ الخِطابُ للسَّادةِ والفِتيةِ مِنْ قُريشٍ، وهمْ المُهاجرونَ الَّذِينَ أسلمُوا وأُمِرُوا بِالهجرةِ فهاجرُوا إلى المَدينةِ المُنوَّرةِ، ثمَّ لحقَ بهِم رَسولُ اللهِ ﷺ معْ صاحبِهِ أبي بكرٍ الصِّديقِ _ رَضِيَ اللهُ عنهُ _، فالمشهدُ التَّناصِّي جاءَ في التَّوافقِ بينَ الحَديثِ عنِ السَّادةِ والفِتيةِ مِنْ قُريشٍ، ثمَّ إشارةٌ إلى الأَنْصارِ الَّذِينَ أسلمُوا في بطنِ مَكَّةَ المكرَّمةِ في بيعةِ العَقبةِ الأولَى والثَّانيةِ، وهمْ مِنْ يثربَ (المدينةَ المُنوَّرةَ)، وهذا التَّوافقُ في اللَّفظِ والمعنَى جاءَ على سبيلِ التَّناصِ الأدَبي بينَ الشَّاعرينِ النَّبهانِي وكعبِ بنِ زهيرٍ _ رَضِيَ اللهُ عنهُ _.

ثانيًا: التَّناصُ الأدَبي معِ الشِّعرِ الصُّوفِي (التَّناصُ الصُّوفِي): يتناولُ الشِّعرُ الصُّوفِي الحديثَ عنْ حُبِّ الذَّاتِ الإلهيَّةِ، ومناجاتِهَا، والتَّعلُّقِ بهَا روحانيًّا، معْ إشاراتٍ ذاتِ عَلاقةٍ مِنْ خلالِ المَديحِ النَّبويِّ المُرتبطِ بالذَّاتِ الإلهيَّةِ، والإشاراتِ المُتعلِّقةِ بعبادةِ اللهِ وأوليائِهِ الصَّالحينَ، إذْ يحرصُ الشَّاعرُ الصُّوفِي على نقلِ الحُبِّ للهِ ورسولِهِ ولأولياءِ اللهِ الصَّالحِينَ،

[١] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. المجموعة النبهانية في المدائح النبوية. مج٣. ص١٧٣.

[٢] كعب بن زهير. ديوان كعب بن زهير. ص٦٧.

فيكونُ الشِّعرُ الصُّوفِي شعرًا روحانيًّا عميقًا ذاتِ دَلالاتٍ وإشاراتٍ ابتهاليَّةٍ وروحيَّةٍ ويشتملُ على ألفاظٍ خاصَّةٍ، ومعانٍ عميقةٍ تحلّقُ في عالمِ الرَّوحانيَّاتِ، وأحيانًا تكونُ الاستغاثةُ بالرَّسولِ ﷺ والصَّحابةِ _ رِضوانِ اللهِ عليهِمْ _ وأولياءِ اللهِ الصَّالحينَ، وهذا تجاوزٌ لحِدودِ القُدرةِ الإلهيَّةِ الخاصَّةِ باللَّهِ تعالَى، إلَّا أنَّ الصُّوفيَّةَ تُجيزُ ذلكَ رغمِ اتِّفاقِ العلماءِ على تحريمِ الاستغاثةِ وطلبِ الحاجةِ منَ اللهِ تعالَى بوساطةِ الرَّسلِ _ عليهِمِ السَّلامُ _ ولَا الصَّحابةِ _ رِضوانِ اللهِ عليهِمْ _، ولا أولياءِ اللهِ الصَّالحينَ، كمَا يجرِي في كثيرٍ مِنْ بلادِ المَسلمينَ[1]؛ لذلكَ تجلَّتِ المشاهدُ التَّناصِّيَّةُ فِي شعرِ النَّبهَانِي معِ الشُّعراءِ الصُّوفيينَ الَّذِينَ سبقوهُ على النَّحوِ التَّالِي:

١. **المشهدُ الأَوَّلُ:** يتحدَّثُ النَّبهَانِي في هذا المَشهدِ عنْ صفاتِ اللهِ العُليا، ويستغيثُ بِهِ ويدعوهُ مخلصًا، ومؤمنًا بقدرتِهِ على استجابةِ الدُّعاءِ، فهوَ يدعوهُ بأسمائِهِ الحُسنَى الَّتِي إذا دُعِيَ بهَا أجابَ، وإذَا استُغيثَ بهَا أغاثَ، فيقولُ النَّبهَانِي:

اللهُ يَــا مُعِـزُّ يَــا مُقَدِّمُ اللهُ يَــا مُـذِلُّ يَــا مُـنْـتَـقِمُ

الْبَادِئُ الْبَاقِي فَلَا يَنْعَدِمُ الْمُحْسِنُ الْوَالِي الْحَفِيْظُ الْأَكْرَمُ

لَيْسَ لَنَا سِوَاكَ مَنْ يَحْمِيْنَا[2]

ففِي هذا النَّصِّ الشِّعري يتناصُ معْ أسماءِ اللهِ الحُسنَى، داعيًا وطالبًا الحمايةَ فلا أحدٌ يحمينَا إلَّا اللهَ تعالَى، وهذا المَشهدُ التَّناصِّي يتَّفقُ معْ نصٍّ شِعريٍّ للشَّاعرِ الصُّوفِي ابنِ عَربي الَّذِي يذكرُ أسماءَ اللهِ الحُسنَى في الدُّعاءِ قائلًا:

غَزَالٌ مِنَ الْفِرْدَوسِ بَاتَ مُعَانِقِي فَـقَبَّــلَنِي وُدًّا فَتَــمَّ مُـرَادِي

لَـهُ زِيْنَةُ الْأَسْمَاءِ أَسْـمَاءُ خَالِقِي عَلَيْهُ مِنَ الْأَثْوَابِ ثَوْبُ حِدَادِ[3]

[1] ابن خلدون. مقدمة ابن خلدون. ص٣٢٨.

[2] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. (د.ت). المزدوجة الحسناء في الاستعانة بأسماء الله الحسنى. تح: محمد مهدي قشلان. (د.ط). ص٤.

ففِي هذا المشهدِ يتناصُ معِ المعنَى الدَّالِ على الاستغاثةِ بأسماءِ اللهِ الحُسنَى، فقدْ ذكرَ النَّبهِانِي بعضَهَا مُستغيثًا بهَا، في حين ذكرَهَا ابنُ عربِي جميعَهَا كزينةٍ لمَنْ أرادَ أنْ يتزيَّنَ بهَا في الفِردوسِ، فهوَ يُصوِّرُ مشهدًا فردوسيًّا لغزالٍ في الجَنَّةِ مُزينٍ بأسماءِ اللهِ تعالَى، ويتخيَّلُ ابنُ عربِي نفسَهُ في الفِردوسِ، وقدْ قبّلَهُ هذا الغَزالُ المُتَّشحُ بأسماءِ اللهِ الحُسنَى، ثمَّ يُشيرُ إلى أثوابِ الدُّنيَا الدَّالةِ على الحِدادِ علَى المَوتَى، وشتَّانَ بينَ أثوابِ الدُّنيَا وأثوابِ الآخرةِ.

٢. **المشهدُ الثَّانِي:** يتحدَّثُ النَّبهَانِي عَنِ استغاثتِهِ برسولِ اللهِ ﷺ كواسطةٍ توصلُهُ إلى اللهِ _ عزَّ وجلَّ _، وهذا أسلوبُ الصُّوفيينَ، بالاستغاثةِ بالرَّسولِ ﷺ، وأولياءِ اللهِ الصَّالحينَ، فيقولُ:

فَتَقَبَّلْ وَأَعْطِفْ وَكُنْ لِي شَفِيْعًا يَوْمَ تَحْتَاجُ فَضْلَكَ الشُّفَعَاءُ

وَأَجِرْنِي وَعِتْرَتِي مِنْ زَمَانٍ فَدَوَاهِيْهُ كُلُّهَا دُهْيَاءُ[١]

ففِي هذا المَشهدِ يتناصُّ مِنْ خلالِ طلبِهِ الشَّفاعةَ مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ معِ البُوصيرِي فِي قصيدتِهِ (البُردةِ) الَّتِي عارضَهَا النَّبهانِي في أبياتِهِ، فيقولُ البُوصيرِي بنصِّهِ الشِّعري التَّناصِّي معِ المَشهدِ نفسِهِ في طلبِ الشَّفاعةِ والاستغاثةِ:

قَدْ تَمَسَّكْتُ مِنْ وِدَادِكَ بِالْحَبْلِ الَّذِي اسْتَمْسَكَتْ بِهِ الشُّفَعَاءُ

وَانْطَوَتْ فِي الصَّدْرِ حَاجَاتُ نَفْسٍ مَا لَهَا مِنْ نَدَى يَدَيْكَ انْطِوَاءُ

فَأَغِثْنَا يَا مَنْ هُوَ الْغَوْثُ وَالْغَيْثُ إِذَا أَجْهَدَ الْوَرَى الـلَّأْوَاءُ[٢]

فيشيرُ البُوصيري هنَا إلى التَّمسُّكَ بحبلِ الرَّسولِ ﷺ منَ أجلِ نيلِ الشَّفاعةِ يومَ القِيامةِ، ثمَّ يشكو لهُ سوءَ حالِهِ، وحاجتِهِ إليهِ، ثمَّ يستغيثُ بِهِ، إذْ يُعِدُّهُ الغَوثُ والغَيثُ،

---

[٣] ابن عربي. محي الدين محمد بن علي.. ديوان ابن عربي. ص٢٢١. تح: أحمد حسن بسج. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط١. (١٤١٦هـ-١٩٩٦م).

[١] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. الهمزية الألفية. ص١٠٠-١٠٤.

[٢] البوصيري، شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد. ديوان البوصيري. ص٧٠.

وهذهِ مِنْ مُفرداتِ الصُّوفيَّةِ الخَاصَّةِ الاستغاثةُ بالرُّسلِ _ عليهِمِ السَّلامُ _، وأولياءِ اللهِ الصَّالحينَ، والتَّناصُ واضحٌ بينَ النَّصَّينِ في مشهدٍ واحدٍ يجمعُ بينَ اللَّفظِ والمَعنَى في طلبِ الشَّفاعةِ والاستغاثةِ، وطلبِ العَونِ مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ، حتَّى نيلِ الشَّفاعةِ.

٣. **المشهدُ الثَّالثُ:** يتحدَّثُ النَّبهَانِي هنَا عنِ الرَّسولِ ﷺ فِي مدحِهِ، ثمَّ يذكرُ الصَّحَابةَ وأولياءَ اللهِ الصَّالحينَ، فيصلِّي عليهِمْ، ويسلِّمْ كمَا صلَّى وسلَّم علَى رَسولِ اللهِ ﷺ، فيقولُ:

فَـعَلَيْـكَ مِنَ اللهِ الصَّـــــلَاةُ كَمَا شَـاءَ كَثْرَةً وَتَشَاءُ

وَعَلَى الْأَوْلِيَاءِ آلُكَ وَالصَّحْبُ وَمَنْ لِلْجَمِيـعِ فِيهِ وَلَاءُ[1]

فهوَ يتناصُ هنَا معِ البُوصيري في همزيَّتِهِ الَّتِي أكثرَ فيهَا مِنْ مدحِ الرَّسولِ ﷺ وذكرِ الصَّحابةِ كذلكَ، مؤكِّدًا على تعظيمِ شأنِهِمْ، وحبِّهِمْ كحبِ الرَّسولِ ﷺ، إذْ يقولُ:

آلُ بَيْتِ النَّبِيِّ طِبْتُمْ فَطَـابَ الْمَدْحُ لِيْ فِيْكُمُ وَطَابَ الرِّثَاءُ

أَنَـا حَسَّـانُ مَدْحِـكُمُ فَـإِذَا نُحْتُ عَلَيْـكُمُ فَإِنَّنِي الْخَنْسَاءُ

سُدْتُمُ النَّاسَ بِالتُّقَى وَسِوَاكُمُ سَـوَّدَتْهُ السَّـوْدَاءُ وَالصَّفْرَاءُ

وَبِأَصْـحَابِكَ الَّذِيْنَ هُمُ بَعْدُكَ فِيْنَـا الْهُـدَاةُ الْأَوْصِـيَاءُ

أَحْسَـنُوا بَعْدَكَ الْخِـلَافَةَ فِي الدِّيْـنِ وَكُـلٌّ لَمَّـا تَـوَلَّى إِزَاءُ[2]

فالبُوصيري في هذا المَشهدِ يتَّفقُ تناصّيًّا مِنَ النَّبهانِي في مدحِ الرَّسولِ ﷺ والصَّحابةِ وتعظيمِ شَأنِهِم، مِنْ خِلالِ ذِكرِ فَضائِلِهِمْ، فهُمْ آلُ البيتِ المَمدوحينَ في كتابِ اللهِ تعالَى، وهمُ العُدولُ، وأهلُ الأمنِ والأمانِ، والَّذِينَ يَهدونَ إلى الحَقِّ، وظلُّوا أوصياءَ وقدوةً للحُكَّامِ مِنْ بعدِهِمْ، وأحسنُوا تولِّي الخِلافةَ مِنْ بعدِ رسولِ اللهِ ﷺ، فكانُوا حَافظينَ للدِّينِ، رُعاةً أكفَّاءَ للرَّعيَّةِ.

---

[1] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. المجموعة النبهانية في المدائح النبوية. مج١. ص١٠٣-١٠٤.

[2] البوصيري، شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد. ديوان البوصيري. ص٧٢.

٤. **المشهدُ الرَّابعُ:** يتحدَّثُ النَّبهَانِي في ألفاظِ الصُّوفيَّةِ، فيضمّنُهَا نُصوصَهُ الشِّعريَّةِ، مُتناصًّا بهَا معْ مَنْ سبقوهُ مِنَ الشُّعراءِ الصُّوفِيينَ، وهذهِ الألفاظُ عُلْويَّةٌ خاصَّةٌ بالذَّاتِ الإلهيَّةِ، فهوَ بتلكَ الألفاظِ يُثبتُ سيرِهِ علَى خُطَا مَنْ قبلِهِ مِنَ الشُّعراءِ الصُّوفِيينَ الغَارقينَ في حُبِّ الذَّاتِ الإلهيَّةِ، وفي ذلكَ يقولُ:

هِيَ كَـانَتْ أَرْوَاحَهُمْ وَبِهَا كَـانَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِمْ أَحْيَاءُ

قُبِضَ الْقَبْضُ بِهِمْ بُسِطَ الْبَسْطُ لَهُـمْ حِيْـنَ بَـادَتِ الْبَيْدَاءُ[١]

وهنَا يتناصُ معِ البُوصيرِي كذلكَ في استخدامِ الألفاظِ الصُّوفيَّةِ، وذلكَ عندَمَا مدحَ البُوصيرِي السَّيدةَ نَفيسةَ[٢] مِنْ آلِ البيتِ، ويُشيدُ بآلِ البيتِ، ذاكرًا ألفاظَ الصُّوفيَّةِ المُعتادةَ، إذْ قالَ:

بِآبَائِكَ الْأَطْهَارُ زُيِّنَتِ الْعُلَا فَحَبَّاتُ عِقْدِ الْمَجْدِ مِنْهُمُ فَرَائِدُ

فَلَمْ يَنْبَسِطْ إِلَّا بِعِلْمِكَ عَالَمٌ وَلَمْ يَنْقَبِضْ إِلَّا بِزُهْـــدِكَ زَاهِدُ[٣]

فهنَا يتناصُ في هذا المشهدِ المُحمَّدِي معْ آلِ بيتِهِ بذكرِ الألفاظِ الصُّوفيَّةِ كقولِهِ **(يَنْبَسِطُ، وَيَنْقَبِضُ)** وقدْ توافقَ فيهَا معِ النَّبهَانِي فِي قولِهِ:**(بُسِطَ الْبَسْطُ، وَقُبِضَ الْقَبْضُ)**، وهذا التَّنَاغُمُ ليسَ خاصًّا بالتَّناصِ فَحَسبُ، بلْ هوَ وليدُ مُصطلحَاتٍ يُطلقُهَا الشُّعراءُ الصُّوفيونَ[٤]؛ للتَّعبيرِ عَنْ دَلَالَاتٍ إلهيَّةٍ عُليَا، تَتعلَّقُ بقدرةِ اللهِ _ عزَّ وجلَّ _، ومنحِ جزءٍ مِنْ هذهِ القُدرةِ لأحبَّاءِ اللهِ ورُسلِهِ وأنبيائِهِ، وأوليائِهِ الصَّالِحينَ، وقدْ وردَتْ ألفاظٌ أخرَى كثيرةً تناولَهَا شُعراءُ الصُّوفيَّةِ[٥].

---

[١] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. المجموعة النبهانية في المدائح النبوية. مج١. ص٢٠٦.

[٢] نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ت: ٢٠٨هـ). ولها مقام السيدة نفسية في القاهر بمصر.

[٣] البوصيري، شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد. ديوان البوصيري. ص١٠٧.

[٤] انظر: ماضي، عيسى محمد علي. يوسف النبهاني الشاعر الفلسطيني الرائد. ج٢. ص٤٨٥.

[٥] انظر: المصدر نفسه. ص٤٨٦.

ثالثًا: التَّناصُ الأدبِي باستدعاءِ شخصيَّاتٍ أدبيَّةٍ: استدعاءُ الشَّخصيَّاتِ الأدبيَّةِ، هدفُهُ إحياءُ ذكرِ هذهِ الشَّخصِيَّاتِ، وربطِهِا بمواقفَ أوْ أدبيَّاتٍ مهمَّةٍ في حَياةِ الشَّاعرِ أوِ الكَاتبِ، وقدْ حرصَ النَّبهَانِي علَى الإشارةِ إلى شَخصِيَّاتٍ أدبيَّةٍ كالشُّعراءِ والخُطباءِ والكُتّابِ الَّذِينَ سَبَقُوا عَصرَهُ أوْ عَاصرُوهُ، وهذهِ الشَّخصيَّاتُ تُردَّدَ ذِكرُهَا على ألسنةِ شُعراءَ سابقينَ كذلكَ للإشادةِ بدورِهِمْ في الإنتاجِ الأدَبي بفنونِهِ المُتعدِّدةِ سواءٌ أكانَ الإنتاجُ متَّفقًا معْ ميولِ النَّبهَانِي أوْ غيرِ متَّفقٍ، وقدْ وردَتْ بعضُ المَشاهدِ لشخصيَّاتٍ أدبيَّةٍ، ذكرَهَا الشَّاعرُ بمدحِهَا لِمَا قدَّمتْهُ مِنْ خِدمةٍ للإسلامِ والمُسلمينَ، أوْ بهجائِهَا لِمَا قامَتْ بِهِ مِنْ إدخالِ الفكرِ الغَربي على المُسلمينَ، وتخريبِ عُقولِهِم، وعقولِ أبنائِهِم، ومِنْ تلكَ الشَّخصيَّاتِ الَّتِي استدعاهَا في المَشاهدِ التَّاليةِ:

١. **المشهدُ الأوَّلُ:** استدعَى النَّبهانِي في هذا المشهدِ شخصيَّةً قديمةً، أسلمَتْ فِي عصرِ الإسلامِ الأوَّلِ، وكانَ لهَا مواقفُ ضدَّ الإسلامِ بهجائِهِ وهجاءِ رَسولِ الإسلامِ مُحمَّدٍ ﷺ، وبعدَهَا جاءَتْ هذهِ الشَّخصيَّةُ مُعتذرةً لِرَسولِ اللهِ ﷺ، ومادحةً لهُ فِي قصيدةٍ طويلةٍ، إنَّهَا شَخصيَّةُ الشَّاعرِ المُخضرمِ كَعبِ بنِ زُهيرٍ _ رَضِيَ اللهُ عنهُ _ في قصيدتِهِ (بانَتْ سُعادُ)[١]، فقدْ عارضَهَا النَّبهَانِي في قَصيدةٍ طويلةٍ لهُ، وذكرَ فيهَا اسمُ كعبِ بنِ زهيرٍ، فقالَ:

أَتَاكَ كَعْبٌ وَقَدْ جَلَّتْ جِنَايَتُهُ وَكَادَ يَغْتَالُهُ مِنْ ذَنْبِهِ الْغُوْلُ[٢]

فهُنَا تناصَّ النَّبهانِي باستدعاءِ شَخصيَّةٍ أدبيَّةٍ هيَ شَخصيَّةُ كعبِ بنِ زُهيرٍ _ رَضِيَ اللهُ عنهُ _ الَّذِي كانَ يهجُو رسولَ اللهِ ﷺ في جَاهليَّتِهِ، ولمَا توعَّدَهُ رَسولُ اللهِ ﷺ بِالعقابِ، جاءَ مُعتذرًا وأعلنَ إسلامَهُ، ومدحَ رسولَ اللهِ ﷺ بقصيدتِهِ الطَّويلةِ (بانَتْ سُعادُ)، وقدْ ذكرَ شُعراءُ آخرونَ كعبًا بنَ زُهيرٍ _ رَضِيَ اللهُ عنهُ _، وعارضُوهُ في قَصيدَتِهِ المَذكورةِ، ومِنْ هؤلاءِ الشُّعراءِ الإمامُ العِراقي البَغدادي يَحيَى بنُ جَمالِ الدِّينِ الصَّرصَرِي (ت:١٢٥٨م)، إذْ قالَ:

---

[١] انظر: المصدر السابق. ص٥٠١-٥٠٢.

[٢] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. المجموعة النبهانية في المدائح النبوية. مج٣، ص١٧٦.

لَقَدْ عَلَا كَعْبُ كَعْبٍ كُلَّ مُمْتَدِحٍ فَمَنْ يُفَاضِلُ يَوْمًا فَهُوَ مَفْضُولُ[1]

ففي هذا المشهدِ يتناصُ النَّبهانِي معِ الإمامِ الصَّرصَري في استدعاءِ الشَّخصيَّةِ الأدبيَّةِ نفسِهَا، ومعارضَتِهَا في قصيدتِهَا الأولَى الَّتِي جاءَتْ عَلى لسانِ كعبٍ، فالصَّرصري يرَى أنَّ مدحَهُ للرَّسولِ ﷺ حازَ الأفضليَّةَ بمَنْ سبقَهُ، ومَنْ جاءَ بعدَهُ، فكانَتْ قصيدتُهُ (بانَتْ سعادُ) منبعَ المدائحِ النَّبويَّةِ لمَنِ جاءَ مادحًا الرَّسولَ ﷺ بعدَ كعبٍ، فالتَّناصُ هُنا باستدعاءِ شخصيَّةٍ أدبيَّةٍ قديمةٍ، باتِّفاقٍ على خدمتِهَا لرسولِ اللهِ ﷺ والإسلامِ، فقدْ أسلمَ بعدَ كُفرِهِ وهجائِهِ لرسولِ اللهِ ﷺ، ثمَّ جاءَ بالمدحِ والتَّقديرِ فهوَ يستحقُ الشُّهرةَ، وتخليدَ ذكرَهُ وشعرَهُ.

٢. **المشهدُ الثَّانِي:** يستدعِي النَّبهانِي في هذا النَّصِّ الشِّعري شَخصيَّةً أدبيَّةً أخرَى، هيَ شخصيَّةُ الشَّاعرِ شكيب أرسَلان، الَّذِي كتبَ قصيدةً للنَّبهانِي يمدحُهُ بهَا ويعاتِبُهُ، فردَّ عليهِ بقصيدةٍ مثلِهَا، بدأَهَا باسمِهِ، قائلًا:

رِاقَنِي يَا شَكِيبُ مِنْكَ قَصِيدُ بِاتِّفَاقٍ هُوَ الْبَلِيغُ الْفَصِيْحُ
قِيْلَ دُرٌّ وَقِيـلَ زَهْرٌ وَبَعْضٌ قَالَ سِـحْرٌ وَالْكُلُّ صَـحِيْحُ[2]

فقدْ تناصَ باستدعائِهِ شخصيَّةَ الشَّاعرِ شكيبِ أرسَلان في هذا المشهدِ المَدحِي للشَّاعرِ وشعرِهِ، كمَا ذكرَهَا غيرُهُ مِنَ الشُّعراءِ في مُساجَلاتِ ومُمَادحَاتِ كثيرةٍ بينَ الشُّعراءِ، وليسَ غريبًا أنْ يمدحَ النَّبهانِي الشَّاعرَ شكيب أرسَلان، فهوَ أميرُ البيانِ ومِنْ أقطابِ المدرسةِ المُحافظةِ على الشِّعرِ القديمِ (عَمودِ الشِّعرِ) فقدْ ذكرُوا اسمَهُ واستدعُوهُ في أشعارِهِمَ شُعراءَ كُثُرٍ تناصُّوا مَعِ النَّبهانِي في نَصِّهِ الشِّعري، فهذا الشَّاعرُ المصريُّ مُصطفَى السِّباعِي (ت:١٩٦٤م) ينعاهُ قائلًا:

سَـلَامٌ عَلَيْـكَ أَبَـا غَالِبٍ أَمِيْـرُ الْبَيَـانِ أَمِيْرُ الْقَلَمْ

---

[1] الصرصري، يحيى بن يوسف بن جمال الدين. ديوان الصرصري. ص٣٠. تح: مخيمر صالح. منشورات جامعة اليرموك. عمادة البحث العلمي والدراسات العليا. ط١. (د. ت).

[2] ماضي، عيسى محمد علي. يوسف النبهاني الشاعر الفلسطيني الرائد. ج٢. ص٦٢٥.

هَتَكْتَ بِرَأْيِكَ حُجُبَ الظَّلَامِ وَثُرْتَ إِبَاءً إِذَا الْخَطْبُ عَمْ[1]

فالسِّباعِي هنَا يستدعِي الشَّاعرَ شكيب أرسَلان بكُنيتِهِ (أَبَا غَالبٍ)، ويُشيرُ إلى لَقَبِهِ الَّذِي اشتُهرَ بِهِ (أميرِ البيانِ)، وهذا الاستدعاءُ جاءَ رِثاءً، وليسَ مدحًا كمَا هوَ الحَالُ في نصِّ النَّبهانِي، إلَّا أنَّ الاستدعاءَ ورَدَ في الحَالتينِ، وهذا التَّناصُ الأدبِي الاستدعائِي لشخصيَّاتٍ ذاتِ قيمةٍ أدبيَّةٍ عاليةٍ كالشَّاعرِ شَكيب أرسَلان(أميرِ البيانِ).

٣. **المشهدُ الثَّالثُ:** وفي هذا المَشهدِ يتحدَّثُ النَّبهَانِي عنْ شَخصيَّةٍ طالمَا هجاهَا في شعرِهِ، وهيَ شَخصيَّةٌ مهمَّةٌ في نظرِ كثيرٍ منْ دُعاةِ الإصلاحِ الدِّينِي إلَّا أنَّ النَّبهَانِي عدَّهَا شخصيَّةً دَخيلةً على الإسلامِ، وهدفُهَا إدخالُ أمورٍ على الإسلامِ ليسَتْ منهُ، بدعَوى الإصلاحِ، وهذهِ الشَّخصيَّةُ هيَ شخصيَّةُ مُحمَّد رَشيد أحدُ دُعاةِ الإصلاحِ في مصرَ، إلى جانبِ صَاحبيهِ مُحمَّد عبدُه وجمالِ الدِّينِ الأفغانِي، اللَّذِينَ نالَهُمَا الهِجاءُ كذلكَ كصاحبِهُمَا، فقدْ هجاهُمِ النَّبهَانِي جميعًا، وهاجمَ دعوتَهَمُ الإصلاحيَّةِ المَشبوهةِ، فقالَ في هِجاءِ مُحمَّد رَشيد رِضَا:

وَأَمَّـا رَشِـيدُ ذُو الْمَنَـارِ فَإِنَّـهُ أَقَـلُّهُمْ عَقْـلًا وَأَكْثَـرُهُمْ شَـرًّا
أَتَانِي بِبَيْـرُوتٍ بِشَـرْخِ شَـبَابِهِ بِمُقْلَتِهِ السَّوْدَا وَوَجْنَتِهِ الحَمْرَا
لَهُ لِحْيَةٌ مَقْصُوصَةٌ مِنْ جُذُوْرِهَا تُتَرْجِمُ عَنْهُ أَنَّ فِي نَفْسِـهِ أَمْرًا[2]

وقدْ تناصَ النَّبهَانِي في هذهِ المشهدِ الاستدعائِي لشخصيَّةِ مُحمَّد رَشيد رِضَا معْ كَثيرٍ مِنْ شُعراءَ ذكرُوا هذا الدَّاعيةَ الإصلاحِي بالخيرِ ومدحُوهُ إلَّا النَّبهانِي الَّذِي هجاهُ طويلًا معْ صاحبيهِ جمالِ الدِّينِ الأفغانِي، ومُحمَّد عبدُه، أمَّا الَّذِينَ مدحُوهُ فمنْهُمْ الشَّاعرُ شكيب أرسَلان، صديقُهُ المُقرَّبُ الَّذِي رثاهُ كذلكَ مُستدعيًا اسمَهُ وخِصالَهُ:

عَـدَا عَلَى عَبْقَـرٍ مَنْ لَيْـسَ ذَا صِـلَةٍ مَعْهَا عَلَى الرَّغْمِ مِنْ نَعْتٍ وَتَلْقِيْبِ

[1] السباعي، مصطفى. عظماؤنا في التاريخ. دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة. مصر. ص١٢٧. ط٣. (١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م).

[2] النَّبهانِي، يوسفُ بنُ إسماعيلَ. مجموعةُ كُتُبٍ (الرَّائيةُ الصُّغرَى في ذمِّ البِدعةِ ومدحِ الشَّريعةِ الغَرَّا). شركةُ ومطبعةُ محمَّد البَابي الحَلبي في مصرَ. ط١. (د.ت).ص٢١٨.

فَالْعَبْقَـرِيَّـةُ وَصْـفٌ فِي رَشَـيْدٍ رِضَـا وَالْعَبْقَـرِيَّةُ لَيْسَـتْ بِـالْأَكَـاذِيْبِ

قِسْ عَلَى صَاحِبِ فَضْلٍ مَعْ رَشِيْدٍ رِضَا قَيْسَ الرِّهَامِ إِلَى الطَّيْـرِ المَنَاسِيْبِ[1]

فهنَا نجدُ الأميرَ شكيب أرسَلان قدْ رثاهُ ومدحَهُ وبكاهُ، مذكّرًا بخصالِهِ، ومعدّهُ عبقريًّا، ولشهرتِهِ وذيوعِ صيتِهِ كالطَّيرِ، وهذا الاستدعاءُ جاءَ على سَبيلِ الرّثاءِ والبكاءِ، أمَّا التَّناصُ الاستدعائِي عندَ النَّبهانِي فكانَ بقصدِ الهِجاءِ، وفضحِ مُحمَّد رَشيد رِضَا بدعوَى أنَّهُ مِنْ دُعاةِ المَاسونيَّةِ[2]، وليسَتْ لهُ علاقةٌ بالإسلامِ، ولَا إصلاحِهِ، فغرضُ الاستدعاءِ جاءَ هنَا معاكسًا معْ بقاءِ الهدفِ واحدٍ وهوَ استدعاءُ الشَّخصيَّةِ بسببِ أَثرِهَا وتأثيرِهَا في الواقعِ الفِكري والثَّقَافِي.

٤. **المشهدُ الرَّابعُ:** يتحدَّثُ النَّبهَانِي عنْ دُعاةِ الإصلاحِ، الَّذِينَ وصفَهُمْ بِالمَارقينَ علَى الدِّينِ الإسلامِي، فيذكرُ مَنْ تَصدُّوا لهُ، وحاولُوا تشويهَ صُورتَهُ لأنَّهُ نالَ مِنهُمْ في أشعارِهِ، فقدْ استدعَى شَخصيَّةً أخرَى منهُمْ، هيَ شَخصيَّةُ شُكرِي الأَلُوسِي الَّذِي كتبَ كتابًا خاصًّا ردَّ فيهِ على هُجومِ النَّبهَانِي سمَّاهُ:(غَايةُ الأمَانِي في الرَّدّ عَلى النَّبَهانِي)، وفيهِ مِنَ النَّثرِ والشِّعرِ الَّذِي يَرُدُّ فيهَا عَلى افتراءَاتِ النَّبهَانِي على حدِّ زَعمِهِ، وفِي ذلكَ يقولُ النَّبهَانِي مهاجمًا شُكري الأَلُوسِي:

وَلَمْ يَنْفَـرِدْ شُـذَّاذُ مَذْهَبِ أَحْمَدَ فَقَدْ ضَـلَّ قَوْمٌ مِنْ مَذَاهِبِنَا الْأُخَرَى

كَشُكْرِي الْأَلُوْسِي تَابِعًا أَثَرَ جَدِّهِ وَأَعْمَـامِـهِ لَكِنَّـهُمْ آثَـرُوا السِّـتْرَا

إِلَى أَنْ رَمَى مَجْنُـوْنُهُمْ بِرَجِيْعِهِ عَلِى النَّاسِ فِي تَأْلِيْفِهِ ذَلِكَ السِّفْرَا[3]

فالتَّناصُ الاستدعائِي هُنَا يُشيرُ إلى شُكري الأَلُوسِي ومَنْ على شاكلتِهِ مِنْ دعاةِ الإصلاحِ، وهذا المذكورُ هاجمَ النَّبهَانِي، وردَّ عليهِ في كتابِهِ (غايةِ الأمانِي في الرَّدِّ

---

[1] أرسلان، شكيب. ديوان الأمير شكيب أرسلان. منشورات مؤسسة هنداوي. ص١٧٨-٧٩. ط٢. ٢٠٢٠م.

[2] **الماسونية:** أخوّة البنائين الأحرار هي منظمة أخوية سرية عالمية ويتشارك أفرادها عقائد وأفكار واحدة فيما يخص الأخلاق، الماورائيات وتفسير الكون والحياة والإيمان بخالق ويُقبل انضمام جميع الناس بغض النظر عن دياناتهم ويُحظر مناقشة الدين والسياسة، تتصف هذه المنظمة بالسرية والغموض الشديدين خاصةً في شعائرها

[3] النَّبهانِي، يوسفُ بنُ إسماعيلَ. مجموعةُ كُتُبٍ (الرَّائيةُ الصُّغرَى في ذمِّ البِدعةِ ومدحِ الشَّريعةِ الغرَّا). ص٢٣٤.

على النَّبهَانِي) الَّذِي أشارَ إليهِ في البيتِ الثَّالثِ بقولِهِ:(**فِي تَأْلِيفِهِ ذَلِكَ السِّفْرَا**)، وشُكرِي الأَلُوسِي الكَاتبُ والدَّاعيةُ المِصري لهُ مُؤلَّفاتٌ وكُتُبٌ، ولهُ بَصَماتٌ في الإصلاحِ الدِّيني على نهجِ رَشيد رِضَا وصاحبيهِ مُحمَّد عبدُه وجَمالِ الدِّينِ الأفغانِي[1]، وقدْ استدعاهُ الشَّاعرُ العِراقي معروفُ الرَّصافِي عندَمَا رثاهُ في قصيدةٍ طويلةٍ، معدِّدًا فيهَا مناقبَهُ وخصالَهُ، إذْ يقولُ فيهَا:

لَأَشْكُرَنَّكَ يَا شُكْرِي مَدَى عُمُرِي وَأَبْـكِـيَنَّـكَ أَبْكَـارًا وَآصَـالَا

فَأَنْتَ أَنْتَ الَّذِي لَقَّنْتَنِـي حِـكَمًا بِهَا اكْتَسَيْتُ مِنَ الْآدَابِ سِرْبَالَا

أَوْجَرْتَنِي مِنْ فُنُوْنِ الْعِلْمِ أَدْوِيَةً شَفَتْ مِنَ الْجَهْلِ دَاءً كَانَ قَتَّالَا[2]

فالرُّصافِي هنَا يتناصُ مع النَّبهَانِي في استدعاءِ شخصيَّةِ شكري الأَلُوسِي، ولكنَّهُ لا يهجوهُ كمَا فعلَ النَّبهَانِي، بلْ يبكيهِ بكاءً شديدًا في رِثاءٍ طويلٍ، معدًّا إياهُ مُرشدًا وموجِّهًا لهُ، ولهُ فضلٌ عليهِ في الهِدايةِ إلى الصَّوابِ فيمَا يتعلَّقُ بِصلاحِ الدِّينِ، حسبَ زعمِهِ، فقدْ كانَ الرُّصافِي جاهلًا في هذا الأمرِ وعلَّمَهُ الأَلُوسِي مِنْ علمِهِ، ولقَّنَهُ مِنَ الآدابِ ثوبًا جميلًا مزركشًا بدلَ ثوبِ الفَوضَى الأخلاقيَّةِ الَّتِي كانَ يَعيشُهَا. فالاستدعاءُ هنَا للرِّثاءِ والبكاءِ والإشادةِ بِالخِصالِ، لا استدعاءً فاضحًا، أوْ هِجاءً مدقعًا كمَا فعلَ النَّبهَانِي باستدعاءِ هذهِ الشَّخصيَّةِ.

رابعًا: التَّناصُ الأدبِي معِ القَصَصِ الأدبيَّةِ (التناصُ القَصَصي): على غِرارِ التَّناصِ الدِّيني معِ القِصَّةِ الدِّينيَّةِ، يأتِي التَّناصُ الأدبِي معِ القِصَّةِ الأدبيَّةِ أوِ التَّناُصِ القَصَصي الأدَبِي، فقدْ تناولَ النَّبهَانِي فِي شعرِهِ بعضَ القَصَصِ الأدبيَّةِ الَّتِي ذكرتْهَا كُتُبُ الأدَبِ فِي حديثِهَا عَنْ شَخصيَّاتٍ أدبيَّةٍ، أوْ مواقفَ وأحداثٍ ذاتِ علاقةٍ بهذهِ الشَّخصيَّاتِ، فكانَتِ الإشارةُ إلى القِصَّةِ إمَّا مِنْ قبيلِ تسليطِ الضَّوءِ علَى الشَّخصيَّةِ لرفعِ شأنِهَا أوْ وضعِهَا في مكانِهَا إذَا

[1] ماضي، عيسى محمد علي. يوسف النبهاني الشاعر الفلسطيني الرائد. ج٢. ص ٣٦٢(الهامش).

[2] الرصافي، معروف. ديوان معروف الرصافي. مراجعة: مصطفى الغلاييني. مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. القاهرة. جمهورية مصر العربية. ط١. ص٤٦٢. ط١. ٢٠١٤م.

كانَتْ شَخصيَّةً غيرَ مُصلِحَةٍ للمُجتمعِ على رأَي النَّبهَانِي، فقدْ كانَ التَّناصُ الدِّيني معِ القَصَصِ القُرآنِي يُشيرُ إلى أحداثٍ وقعَتْ معِ الرُّسلِ والأنبِياءِ وأَولياءِ اللهِ الصَّالحينَ، في حين يُشيرُ التَّناصُ الأدبِي معِ القَصَصِ الأدبيَّةِ إلى أحداثٍ وقعَتْ معْ شَخصيَّاتٍ ذاتِ حُضورٍ أدبِي ونتاجٍ ثقافِي، فنقلَهَا النَّبهَانِي شعرًا لكشفِ دَورِ هذهِ الشَّخصيَّةِ في إصلاحِ المُسلمينَ أو إفسادِهِم[1]، ومِنْ هذهِ القَصَصِ الأدبيَّةِ الَّتِي أشارَ إليهَا النَّبهَانِي في شِعرِهِ نذكرُهَا في المَشاهدِ التَّاليةِ:

١. **المشهدُ الأَوَّلُ:** يتحدَّثُ النَّبهَانِي عنْ قِصَّةٍ مِنَ الأدبِ القَديمِ فِي العَصرِ الجَاهِلِي، والتَّشبيبِ[2]، إذْ كانَ شعراءُ العَصرِ الجَاهلِي يذكرونَ مَعشوقاتِهِمْ في فواتحِ قَصَصهِمْ، ثمَّ يسترسلونَ في ذكرِ قَصَصهِمْ معِ المَحبوبَاتِ، والوقوفِ علَى أطلالِهَا، وهوَ هنَا يُشيرُ إليهَا مِنْ قبيلِ تركِ ذلكَ التَّشبيبِ، والاتِّجاهُ نحوَ حُبِّ اللهِ ورسولِهِ وأولياءِ اللهِ الصَّالحينَ، فقَصَصُ الحُبِّ العُذرِي في العَصرِ الجَاهلِي كَثيرةً، فيذكر اسمَيْ مُحبوبتينِ ذكرهُمَا امرؤُ القَيسِ في مُعلَّقتِهِ الشَّهيرةِ[3]، إذْ يُشيرُ النَّبهانِي إلى قِصَّةِ المَحبوبتينِ رافضًا حبَّهُمَا، والتَّوجُّهُ بدلًا منهُمَا إلى حبِّ رسولِ اللهِ ﷺ، إذْ يقولُ:

شَافَنِي فِي رُبُوعِهَا خَيْرُ حَيٍّ حَلَّ لَا زَيْنَبٌ وَلَا أَسْمَاءُ[4]

فهوَ يتناصُ هنَا معْ قِصَّةِ زَينبَ وأسماءَ اللَّتينِ ذكرَهُمَا شُعراءُ في العَصرِ الجَاهلِي مُشيرينَ إلى حُبِّهِمْ لهُمَا، ووقوفِهِمْ على أطلالِهِمَا، في حين نَرى النَّبهَانِي يُشيرُ إلى بيتِ الرَّسولِ ﷺ الَّذِي كانَ في مكَّةَ المكرَّمةِ، وقدْ أُزيلَ وبَقِيَ الأثرُ (الأطلالُ)، فلا يهمُّهُ أطلالُ زينبَ وأسماءَ، بلْ ما يهمُّهُ أطلالُ بيتِ رسولِ اللهِ ﷺ والحَيُّ الَّذِي كانَ فيهِ في مكَّةَ المكرَّمةِ، وقصَّةُ زينبَ وأسماءَ ذكرَهُمَا شعراءُ في مُعلَّقاتِهِمْ واقفينَ علَى

---

[1] انظر: ماضي، عيسى محمد علي. يوسف النبهاني الشاعر الفلسطيني الرائد. ج٢. ص٣١٩-٣٢٠.

[2] **التشبيب:** التغني بالنساء شعرا رقيقا معبرا عن الحب والعشق، وواصفا جمال المرأة دون بلوغ الفحش من القول.

[3] انظر: ماضي، عيسى محمد علي. يوسف النبهاني الشاعر الفلسطيني الرائد. ج٢. ص٤٨٤-٤٨٥.

[4] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. (د.ت). المجموعة النبهانية في المدائح النبوية. مج١، ص٢٠٥.

أطلالِهِمَا، فهَذا الشَّاعرُ الجاهلِي الحارثُ بنُ حِلِزَّةِ اليَشكري يَفتتحُ مُعلَّقتَهُ بذكرِ أسماءَ حبيبتَهُ وقصَّتَهُ معهَا، فيقولُ:

آذَنَتْنَا بِبَيْنِهَا أَسْـمَاءُ رُبَّ ثَـاوٍ لَا يَمَـلُّ مِنْـهُ الثَّـوَاءُ

آذَنَتْنَا بِبَيْنِهَا ثُمَّ وَلَّتْ لَيْتَ شِعْرِي مَتَى يَكُونُ اللِّقَاءُ[1]

فالنَّبهَانِي في ذكرِهِ لأسماءَ وقصَّتِهَا يتناصُ معِ الشَّاعرِ الجَاهلِي الحَارثِ بنِ حِلِزَّةَ الَّذِي ذكرَ قصَّتَهُ معْ أسماءَ الَّتِي فارقَتْهُ فلمْ تبقَ في مقامِهَا، وتركَتِ الأطلالَ الَّتِي يبكيهَا الشَّاعرُ فقطْ، فهيَ غادرَتْ إلى مَكانٍ مَجهولٍ، ممَّا يجعلُ الشَّاعرُ العَاشقُ يتساءَلُ متَى يكونُ اللِّقاءُ؟ ولا جوابَ على سُؤالِهِ، فذكرُ المحبوبةِ، وذكرِ مكانِ إقامتِهَا المَهجورِ بعدَ رحيلِهَا، يَتوافَقُ في قصَّتِهِ معْ ذكرِ النَّبهَانِي لمكانِ إقامةِ رَسولِ اللهِ ﷺ في مكَّةَ المُكرَّمةِ، ذلكَ المَكانُ المَهجورُ المَختفي، وقدْ فارقَهُ الرَّسولُ ﷺ إلى المَدينةِ المنوَّرةِ ولَحِقَ بالرَّفيقِ الأعلَى هُناكَ[2]، ولمْ يَعدْ إلى مقامِهِ الأَوَّلِ. ومثلُهُ زينبُ وخولةُ وعبلةُ وهندٌ وليلَى، وهيَ قَصَصٌ أدبيَّةٌ في مَحبوباتِ الشُّعراءِ فِي الجَاهليَّةِ، والتَّناصُ القَصَصي يُورِدُ مثلَ هذهِ القَصَصِ.

٢. **المشهدُ الثَّانِي:** يتحدَّثُ النَّبهَانِي عنْ قِصَّةِ الاعترافِ والغُفرانِ عندَ النَّصارَى، إذْ ترتكبُ المرأةُ عندَهُمْ ذنبًا في حقِّ المُعتَقدِ النَّصرانِي، فتأتِي إلى القِسِّيسِ أوِ الرَّاهبِ الَّذِي في عُرفِهِمْ لا يجوزُ لهُ الزَّواجُ، فيزنِي بهَا في الكَنيسةِ ثمَّ يَمنحُهَا الغُفرانَ كَوسيطٍ بينَهَا وبينَ الرَّبِّ[3]، وهذهِ القَّصَصُ مُدوَّنةٌ عندَهُمْ في كُتُبِهِمْ، وقدْ أشارَ إليهَا النَّبهَانِي في شعرِهِ، قائلًا:

وَمِنْ أَقْبَحِ الْأَشْيَاءِ حَسْـنَاءُ غَادَةٌ كَـأَنَّ بِعَيْنَيْـهَا إِذَا نَظَـرَتْ سِـحْرَا

---

[1] الحارث بن حلزة اليشكري. (١٤١١هـ-١٩٩١م). ديوان الحارث بن حلزة. تحقيق: إميل بديع يعقوب. دار الكتاب العربي. بيروت. ط١. ص١٩.

[2] انظر: ماضي، عيسى محمد علي. يوسف النبهاني الشاعر الفلسطيني الرائد. ج٢. ص٤٩٠.

[3] الإسكندري، كيرلس الكبير. شرح إنجيل القديس يوحنا. مج ١، الإصحاح (١-١٠). ص١٥٥. تر: نصحي عبد الشهيد. مكتبة الكتب المسيحية، الإسكندرية.

سَبَى النَّاسُ مِنْهَا رِدْفَهَا وَقَوَامَهَا وَوَجْنَتَهَا الْحَمرَا أَوْ مُقْلَتَهَا الْحَورَا

تَجِئُ عَلَيْهَا الْحُلَى وَالْحُلَلُ انْجَلَتْ مُعَطَّـرَةً مَصْـقُولَةً صَـفَّتِ الشَّـعْرَا

بِهَا يَخْتَـلِي قِسْيسُـهَا وَهُوَ أَعْزَبٌ شَـقَاشَـقُهُ مِنْ تَوْقِـه هَدَرَتْ هَدْرَا

فَتَعْتَــرِفُ الْأُنْثَــى لَــهُ بِذُنُــوبِـهَا وَلَوْ بِـالـزُّنَا سِـرًّا لِيَمْنَحَـهَا الغُفْرَا

وَمَنْ لَمْ يَكُنْ يَجْـرِ اعْتِـرَافًا كَهَذِهِ فَذَلِكَ أَشْـقَى الْقَومِ أَعْظَمَهُمْ وِزْرَا

فَأُوفٍّ لِدِينٍ يَهْتِكُ الْعِرْضَ بِالرِّضَا وَيُـوهِمُ رَبَّ الْعِــرْضِ أَنَّ لَـهُ أَجْرَا[1]

فقدْ تناصَ في هذهِ القِصَّةِ معْ ما جاءَ في الكِتابِ المُقدَّسِ (العهدِ الجديدِ) في (إصحاحِ مَتَّى) فيمَا قيلَ علَى لِسانِ (يَسوعِ المَسيحِ) :**(قَالَ لَهُمْ يَسُوْعُ: الْحَقَّ أَقُولُ إِنَّ العَشَّارِينَ**[2] **وَالزَّوَانِي يَسْبِقُونَكُمْ إِلَى مَلَكُوتِ اللهِ)**[3]، ومِنْ خلالِ هذا القَولِ يتَّضحُ أنَّ القَساوِسَةَ والرَّهبانَ أَخذُوا على عاتِقِهِمْ عَمَلَ أيَّ شَيءٍ يرونَهُ مِنْ طَالبِ التَّوبةِ مِنْ أجلِ منحِهِ الغُفرانَ، وقدِ استغلُّوا خطايَا الزَّوانِي لِلزِّنَى فيهِنَّ مقابلَ الغُفرانِ. وقِصَّةُ المَرأةِ الزَّانيةِ في شَرحِ إنجيلِ القِدّيسِ يُوحنَا، كمَا أشرنَا إليهَا سابقًا، إذْ جاءَتِ الزَّانيةُ تتبرَّكُ بِالقدّيسِ الفِريسِي، وتتمسَّحُ بِهِ حتَّى أثارَتْ شَهوتَهُ، فغفرَ لهَا[4].

٣. **المشهدُ الثَّالثُ:** يتحدَّثُ النَّبهَانِي عنْ قِصَّةِ طَردِ جمالِ الدِّينِ الأفغانِي مِنَ المَجلسِ، وهيَ قِصَّةٌ موثَّقةٌ في كُتُبِ النَّبهَانِي علَى لِسانِهِ، ويُشيرُ إليهَا شعرًا في هِجاءِ جَمالِ الدِّينِ الأفغانِي الَّذِي يُعدُّ مِنْ رُوَّادِ الإصلاحِ الدِّينِي، فيقولُ النَّبهانِي:

وَأَوَّلَهُـمْ قَدْ كَـانَ شَـيْخًا مُشَــرَّدًا بِهِ مَلَكَ الْأَفْغَـانُ أَجْـرَى الَّذِي أَحْرَى

---

[1] النَّبهانِي، يوسفُ بنُ إسماعيلَ. مجموعةُ كُتُبٍ (الرَّائيةُ الصُّغرَى في ذمِّ البِدعةِ ومدحِ الشَّريعةِ الغَرَّا). ص٢٣٤.

[2] العشّارون: جماعة من اليهود كانوا أيام الحكم الروماني يجمعون الضرائب من التجار والفلاحين، ويأخذون العشر من هذه الضرائب، وكانت الكنيسة تحرّم ذلك عليهم، وتعتبره سرقة لأنهم كانوا يدفعون جزءا منها لإمبراطورية الرومان عدوتهم.

[3] الكتاب المقدس. إنجيل متى. الإصحاح رقم: ٥. ص٢١-٣١. جمعية الكتاب المقدس في لبنان. منشورات دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط. العهد القديم. الإصدار الثاني. ط٤. ١٩٩٥. العهد الجديد. الإصدار الرابع. ط٣٠. ٢٠٠٨م.

[4] المصدر نفسه. إنجيل متى. إصحاح رقم ٥: ص٢١-٣١.

تَسَمَّى جَمَالَ الدِّينِ مَعْ قُبْحِ فِعْلِهِ كَمَـا وَضَـعُوا لَفْظَ الْمَفَـازَةِ لِلصَّحْرَا

أَتَى مِصْـرَ مَطْرُودًا فَعَاثَ بِقُطْرِهَا فَيَـا قُبْحَهُ شَـيْخًا وَيَـا حُسْـنَهُ قُطْرَا

وَكُنْتُ بِذَاكَ الْحِيـنِ فِيْـهَا مُجَاوِرًا بِـأَزْهُـرِهَـا صَـاحَبْـتُ أَنْجُمَـهَ الزُّهْرَا

بِتَـارِيخِ سِـتٍّ وَالثَّمَـانِينَ قَدْ تَـلَتْ مَعِ الْمِائَتِينِ الْأَلْفِ فِي الهِجْرَةِ الغَرَّا

حَضَـرْتُ بِفِقْهِ الشَّـافِعِيِّ خَطِـيْبَهُ عَلَى شَـيْخِ شِـرْبِينَ فَـأَلْفَيْتُـهُ بَحْرَا

وَجَـاءَ جَمَـالُ الدِّيْنِ يَوْمًـا لِدَرسِـهِ فَـأَلْقَـى عَلَى الْأُسْـتَاذِ أَسْـئِلَةً تَتْرَى

فَفَاضَـتْ عَلَيْهِ مِنْ مَعَارِفِ شَيْخِنَا سُـيُولٌ أَرَتْـهُ عِلْمَـهُ عِنْـدَهُ قِطْرَا

وَإِذْ شَـمَّ مِنْهُ الشَّـيْخُ رِيْحَ ضَـلَالِهِ وَإِلْحَـادِهِ، أَوْلَاهُ مَـعْ طَـرْدِهِ زَجَرَا[1]

يتناصُ النَّبهَانِي في هذا المَشهدِ القَصَصي معْ قِصَّةٍ حدثَتْ أمامَهُ في إحدَى المَساجدِ في مصرَ، وكانَ المُدرّسُ في ذلكَ المَسجدِ يُدعَى (الشّربيني) وهوَ إمامُ الجامعِ وشيخُهُ، وقدْ حضرَ جمالُ الدّينِ الأفغانِي درسَ الشَّيخِ المَذكورِ، فطرحَ علَى الشَّيخِ أسئلةً عديدةً تُثيرُ الشَّكَّ في الدّينِ الإسلامِي، فأجابَهُ الشَّيخُ الشّربيني إجاباتٍ وافيةٍ، إلَّا أنَّهُ شعرَ مِنْ خلالِ أسئلتِهِ أنَّهُ يُريدُ التَّشكيكَ في نُصوصٍ قُرآنيَّةٍ وسنّيَّةٍ، فطردَهُ مِنَ المسجدِ، لأنَّهُ اشتمَّ رائحةَ ضَلالٍ في أسئلةِ الأفغانِي وحوارِهِ، وكانَ النَّبهَانِي حاضرًا في ذلكَ اليومِ الَّذِي ذكرَهُ بتاريخِهِ سَنةَ ١٢٨٦ للهِجرةِ[2]، ومِنْ خِلالِ ذلكَ جاءَ بمكانٍ وزمانٍ وشُخوصٍ وحدثٍ واضحٍ، فيهِ تسلسلٌ وعُقدةٌ وحلٌّ، وكلُّهَا عناصرُ كاملةٌ للقِصَّةِ النَّثريَّةِ الَّتِي ترجمَهَا النَّبهانِي شِعرًا مِنْ خِلالِ التَّناصِ القَصَصي الأدَبي، وقدْ وردَتِ القِصَّةُ علَى لسانِهِ مِنْ خِلالِ حَديثِهِ عَنِ الأفغانِي وصاحبيهِ الإصلاحيَّينِ رَشيد رِضا، وَمُحمَّد عبدُه.

[1] النَّبهانِي، يوسفُ بنُ إسماعيلَ. مجموعةُ كُتُبٍ (الرَّائيةُ الصُّغرَى في ذمِّ البِدعةِ ومدحِ الشَّريعةِ الغرَّا). ص٢٠١.

[2] انظر: ماضي، عيسى محمد علي. يوسف النبهاني الشاعر الفلسطيني الرائد. ج٢. ص٢٢٤-٢٣٠.

٤. **المشهدُ الرَّابعُ:** يتحدَّثُ النَّبهَانِي في هذا المَشهدِ التَّناصِّي عنْ قِصَّةٍ أُخرَى لدُعاةِ الإصلاحِ الدِّيني رواهَا أحدُ أصدقائِهِ ومشايخِهِ في مِصرَ ويُدعَى: سليم بك العَنحورِي(ت:١٩٣٣م)، وهوَ محلُّ ثقةٍ وصدقٍ بالنِّسبةِ للنَّبهانِي، إذْ نقلَ على لسانِهِ أنَّهُ رأى بعضَهُمْ لا يَستبرِئُ مِنَ البَولِ كأهلِ الغَربِ، وأنَّهُ بعدَ أنْ دخلَ بيتَ الخَلاءِ للتَّبوُّلِ خرجَ منهُ ولمْ يَتوضَّأْ، ولمَّا دخلَ المسجدَ صلَّى بدونِ وُضوءٍ، وأنَّ أحدَهُمْ مِنْ دُعاةِ الإصلاحِ الدِّينِي أخبرَ صديقَهُ أنَّهُ على جَنابةٍ، ولمْ يغتسِلْ، وقدْ دخلَ المَسجدَ وصلَّى دونَ أنْ يَغتسلَ[١]، ونقلَ النَّبهَانِي هذه القِصَّةَ على لسانِ صاحبِهِ شعرًا، فقالَ:

وَأَخْبَرَنِي مَنْ لَا أَشُكُّ بِصِدْقِهِ ... بِأَنْ قَدْ رَأَى مَنْ بَالَ مِنْهُمْ بِلَا اسْتِبَرَا

وَلَازَمَهُ حَتَّى أَتَى بَعْدُ مَسْجِدًا ... فَصَلَّى وَلَمْ يُحْدِثْ مِنَ الْحَدَثِ الطُّهْرَا

وَآخَرُ مِنْهُمْ قَدْ أَقَامَ صَلَاتَهُ ... بِدُوْنِ اغْتِسَالٍ مَعْ جَنَابَتِهِ الْكُبْرَى[٢]

ففِي هذا المشهدِ يتناصُ النَّبهانِي معْ مشهدٍ قَصَصيٍّ رُوِيَ مُشافهةً مِنْ أحدِ أصدقائِهِ، وقدْ رويتِ القِصَّةُ بشخوصِهَا وأماكِنِهَا وأزمنَتِهَا في تقاربٍ واضحٍ، وأشيرَ إليهَا في كِتابِ (سِحرِ هَاروتَ)، وهذا المَشهدُ التَّناصِّي القَصَصي المَروِي علَى لِسانِ صَديقِ النَبهانِي وشيخِهِ (العَنحورِي)، يكشفُ عن مدَى استهتارِ دُعاةِ الإصلاحِ _ حسبَ زعمِهِ _ في أصولِ الدِّينِ الإسلامي مِنْ عِباداتٍ وعلَى رأسِهَا الصَّلاةُ، فهذا التَّناصُ القَصَصي جاءَ لتأكيدِ أَحقِيَّةِ النَّبهانِي في هُجومِهِ وهِجائِهِ لهَؤلاءِ الدُّعاةِ المُصلحينَ الَّذينَ يُفسدونَ الدِّينَ بدعوَى الإصلاحِ البَاطلةِ.

٥. **المشهدُ الخَامسُ:** يتحدَّثُ النَّبهَانِي عَنِ المُصلحِ الدِّيني الثَّانِي (مُحمَّد عبدُه) الَّذِي كانَ أعظمَ وزرًا مِنْ شيخِهِ الأفغانِي، فيروِي قِصَّةً أخرَى علَى لسانِهِ عندَمَا صاحبَهُ في لِبنانَ ذاتَ مرَّةٍ، إذْ يُشيرُ النَّبهانِي إلى أنَّهُ دخلَ يُصلِّي الظُّهرَ في المَسجدِ، ولمْ يدخلْ للصَّلاةِ معْهُ بلْ ذهبَ يتجوَّلُ في السُّوقِ، وعندَمَا حلَّتْ صَلاةُ العَصرِ كَذلكَ،

[١] العنحوري، سليم بك. سحر هاروت. ص١٨٥. مكتبة الكتاب العربي. دمشق. ط١. ١٨٨٥م.

[٢] النَّبهانِي، يوسفُ بنُ إسماعيلَ. مجموعةُ كُتُبٍ (الرَّائيةُ الصُّغرَى في ذمِّ البِدعةِ ومدحِ الشَّريعةِ الغَرَّا). ص٢٠٧.

لمْ يدخلْ بلِ اعتذرَ بموعدٍ عندَ أحدِ الإصدقاءِ فتركَ النَّبهَانِي وغادرَ المَكانَ، وكانض النَّبهَانِي يعلمُ أنَّهُ شيخٌ ومُصلحٌ دينيٌّ، فكيفَ بِهِ لا يُصلِّي الظُّهرَ ولَا العصرَ في جماعةٍ، ولمْ يجدْ لهُ عذرًا شرعيًّا قاهرًا يمنعُهُ مِنَ الصَّلاةِ[1]، وهذا الحَدَثُ أثَّرَ فِي نفسِ النَّبهَانِي، فنسجَهُ شِعرًا، إذْ قالَ:

وَقَدْ كُنْتُ فِي لِبْنَانَ يَوْمًا صَحِبْتُهُ لِقُرْبِ غُرُوْبِ الشَّمْسِ مِنْ ضَحْوَةٍ كُبْرَى

فَصَلَّيْتُ فَرْضَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ بَعْدَهُ لَدَيْهِ، وَمَا صَلَّى هُوَ الظُّهْرَ وَالْعَصْرَا

وَكَانَ صَحِيْحَ الْجِسْمِ لَا عُذْرَ عِنْدَهُ بَلْ أَنَّ ضِعْفَ الدِّيْنِ كَانَ لَهُ عُذْرَا

وَمَعْ كُلِّ هَذَا فَهُوَ أُسْتَاذُ عَصْرِهِ فَأُفٍّ لَهُ شَيْخًا وَأُفٍّ لَهُ عَصْرَا[2]

ففِي هذا المشهدِ القَصَصي بزمانِهِ ومكانِهِ وشخوصِهِ يروِي حدثًا رأيَ العَينِ، قدْ حدثَ معْهُ وهوَ في صحبةِ ذلكَ الدَّاعيةِ (مُحمَّد عبدُه) الَّذِي لمْ يُصَلِ الظُّهرَ ولَا العَصرَ في المَسجدِ، وآثرَ التِّجوالَ في السُّوقِ أوِ الذَّهابِ في مَوعدٍ معْ صَديقٍ لهُ، معْ أنَّ هذا الشَّيخُ الدَّاعيةُ يُعدُّ في عَصرِهِ مِنْ رُموزِ الإصلاحِ الدِّينِي، فالنَّبهَانِي يُعبِّرُ عَنِ استيائِهِ مِنْ أفعالِ هذا الرَّجلِ الَّذِي _ حسبَ رأيِهِ _ يُعِدُّ نفسَهُ داعيةً دينيًّا ومُصلحًا، والنَّاسُ يتَّبعونَهُ، في حين أنَّ أفعالَهُ لا تَمُتُّ لِلإصلاحِ ولَا الدَّعوةِ بصلةٍ، ممَّا يُثيرَ الشَّكَّ نحوَهُ، والخَوفَ مِنْ دعوتِهِ وخِطاباتِهِ وأقوالِهِ.

٦. **المشهدُ السَّادسُ:** يتحدَّثُ النَّبهانِي عنْ رِوايةٍ أُخرَى حولَ الشَّيخِ مُحمَّد عبدُه، إذْ يرويهَا علَى لِسانِ صديقِهِ المُقرَّبِ الشَّيخِ الصُّوفِي حسن أفندي الأُسْطوانْي (ت:١٩٦٣م)، إذْ يقولُ الأُسطونِي: إنَّهُ رأى في المَنامِ أنَّ الشَّيخَ مُحمَّد عبدُه قدْ زارَهُ في بيتِهِ وقدْ كانَتْ عينُهُ عَوراءَ مَطموسةً فحسبَهُ الأعورَ الدَّجَّالَ، فذُعِرَ مِنهُ، وأغلقَ البابَ في وجهِهِ، ومنعَهُ مِنْ دُخولِ البيتِ، وقدْ فسَّرَ النَّبهَانِي الرُّؤيةَ قائلًا: إنَّ مُحمَّد

[1] انظر: ماضي، عيسى محمد علي. يوسف النبهاني الشاعر الفلسطيني الرائد. ج٢. ص٢٥٠-٢٥٢. (في الهامش).

[2] النَّبهانِي، يوسفُ بنُ إسماعيلَ. مجموعةُ كُتُبٍ (الرَّائيةُ الصُّغرَى في ذمِّ البِدعةِ ومدحِ الشَّريعةِ الغرَّا). ص٢١٧-٢١٨.

عبدُه دجَّالَ عَصرِهِ كمَا سَيكونُ الأعورُ الدَّجَّالُ آخرَ الزَّمانِ، وقدْ جاءَ في الرُّؤيةِ علَى هذهِ الصُّورةِ بعدَ موتِهِ للتَّأكيدِ علَى أنَّهُ كانَ دَجَّالًا يَسوقُ النَّاسَ إلى الهَلاكِ والفِتنةِ في الدِّينِ، ولمْ يكُنْ دَاعيةً ومُصلحًا كمَا يَدَّعِي[1]، وقدْ نَقلَ النَّبهَانِي هذهِ القِصَّةَ المَرويَّةَ كَرؤيةٍ مَناميَّةٍ شعرًا معْ تفسيرِهَا، إذْ قالَ:

حَكَى الْحَسَنُ بنُ الْأُسْطُوانِي وَهُوَ مِنْ بُدُورِ الْهُدَى فِي الشَّامِ، أَكْرِمْ بِهِ بَدْرَا

حَكَى أَنَّـهُ مِنْ بَعْدِ مَـا مَـاتَ (عَبْـدُهْ) رَأَى عَيْنَهُ فِي النَّـومِ مَطْمُوسَـةً عَورَا

فَـأَوَّلْـتُ أَنَّ الشَّـيْخَ دَجَّـالُ عَصْـرِهِ وَمَـا زَالَ دَجَّـالًا وَإِنْ سَـكَنَ الْقَبْرَا

فَقَدْ مَـاتَ وَلَكِنْ أَحْيَـتِ الدَّجَـلَ كُتْبُهُ وَوَرَّثَ كُـلًّا مِـنْ تَـلَامِيْـذِهِ قَدْرَا[2]

ففِي هذا المَشهدِ القَصَصي يتناصُ النَّبهَانِي معْ رِوايةِ صاحبِهِ الأُسطوانِي الَّتِي جاءَتْ كَرؤيَةٍ رآهَا في المَنامِ كشفَتْ عَنْ حقيقةِ الشَّيخِ (مُحمَّد عبدُه) الدَّاعيةِ المُصلحِ الدِّينِي الَّذِي تبيَّنَ حسبَ الرُّؤيةِ والتَّأويلِ أنَّهُ دَجَّالُ عَصرِهِ، وليسَ مُصلحًا ولَا داعيةً للدِّينِ الإسلامِي.

[1] انظر: ماضي، عيسى محمد علي. يوسف النبهاني الشاعر الفلسطيني الرائد. ج٢. ص٣٥٣.

[2] النَّبهانِي، يوسفُ بنُ إسماعيلَ. مجموعةُ كُتُبٍ (الرَّائيةُ الصُّغرَى في ذمِّ البِدعةِ ومدحِ الشَّريعةِ الغَرَّا). ص٢١٩.

المبحثُ الثَّالثُ

التَّناصُ التَّاريخِي فِي شِعرِ يُوسُفِ النَّبهانِي

يسردُ النَّبهَانِي الأحداثَ التَّاريخيَّةَ شعرًا، كمَا سردَهَا قَصَصًا ومواقفَ، فقدْ سردَ السِّيرةَ النَّبويَّةَ مُختصرةً في ألفيَّةٍ هَمزيَّةٍ، تحدَّثَ فيهَا عَنْ حَياةِ الرَّسولِ ﷺ مِنْ مولدِهِ حتَّى وفاتِهِ، وقدْ وقفَ عندَ أهمِّ الأحداثِ والمَواقفِ والغَزواتِ والفَتحِ المكِّي المُبينِ، كمَا أشارَ إلى أحداثٍ تاريخيَّةٍ أُخرَى في حياةِ بعضِ الأنبياءِ، وكذلكَ إشاراتٍ تاريخيَّةٍ لشخصيَّاتٍ تاريخيَّةٍ ممَّنْ عاصرَهَا أوْ سبقتْهُ في أَزمِنَةٍ بعيدةٍ أوْ قريبةٍ، ولذلكَ فقدْ كانَتْ هذهِ الأحداثُ والمَواقفُ التَّاريخيَّةُ بمَثابةِ نُصوصٍ تناصَّ بهَا شعرًا، مِنْ خِلالِ سَردِهَا والإشارةِ إليهَا كيْ تكونَ قِراءتُهَا أمتعَ، وحفظُهَا أسهلَ، وتناقلُهَا أبسطَ[1]، وذلكَ غرضُ التَّناصِ التَّاريخِي فِي شعرِهِ وشعرِ غيرِهِ مِنَ الشُّعراءِ؛ لذلكَ فقدْ تداخلَ التَّناصُ التَّاريخِي بينَ القَصَصِ التَّاريخيَّةِ والأحداثِ، والشَّخصيَّاتِ، فتناولَهَا جَميعَهَا سردًا، ووقوفًا عندَ أهمِّهَا لكَي يُدلِّلَ علَى ضَرورةِ الوقوفِ عليهَا، وبلورتِهَا شعرًا مميَّزًا، مُؤثِّرًا في النَّفسِ، وباعثًا على إحيائِهَا، وتذكيرِ النَّاسِ بهَا دائمًا، لذلكَ فقدْ وردَ التَّناصُ التَّاريخِي في ثلاثةِ محاورَ، على النَّحوِ التَّالِي:

أوَّلًا: التَّناصُ التَّاريخِي مَعِ الأحداثِ التَّاريخيَّةِ والمَواقفِ: بمَا أنَّ التَّاريخَ أحداثٌ ومواقفُ تصنَعُهَا شَخصيَّاتٌ، ويكونُ لهَا زمانٌ ومكانٌ، فَلا شكَّ أنَّهَا تتقاربُ معِ القِصَّةِ الَّتِي تَعِدُّ العناصرَ نفسَهَا هِيَ ذاتُهَا عناصرُ القِصَّةِ، إلَّا أنَّ الفَارقَ في ذلكَ أنَّ الأحداثَ التَّاريخيَّةَ والمَواقفَ لا تتضمنُ عُقدةً وحلًّا وأهدافًا محدَّدةً، بلْ هيَ سَردٌ تَاريخِيٌّ لا بدَّ مِنْ وُجودِ أحداثٍ ومَواقفَ وشَخصيَّاتٍ تتمحورُ حولَهُ، معْ حُضورٍ واضحٍ لعُنصري الزَّمانِ والمَكانِ، وقدْ برزَتْ فِي السِّيرةِ النَّبويَّةِ الشَّريفةِ[2]، أحداثٌ تاريخيَّةٌ ومواقفُ عديدةٌ تناصَّ بهَا النَّبَهانِي شعرًا مِنْ خِلالِ المَشاهدِ التَّاليةِ:

---

[1] سلطان، سامح فالح. التناص التاريخي في شعر محمد بن عثيمين (دراسة نقدية). جامعة الطائف. المملكة العربية السعودية، مجلة ابن خلدون. للدراسات والأبحاث. مج٣. ع٦. سنة ٢٠٢٣م. ص٢٠٠-٢١٤.

[2] ابن خليفة، عبد الفتاح وسرقمة، عاشور. التناص التاريخي والديني في شعر مفدي زكرياء ديوان (أمجادنا تتكلم وقصائد أخرى) أنموذجا. أطروحة دكتوراه في اللغة والأدب العربي. جامعة غرداية. الجزائر. ص١٣١. ٢٠٢١م.

١. **المشهدُ الأَوَّلُ:** يتحدَّثُ النَّبهَانِي في هذا المَشهدِ عَنْ حدثٍ تَاريخِيٍّ هامٍ، وهوَ مولدُ سيِّدُ الأنبياءِ والمُرسلينَ مُحمَّدٌ ﷺ، إذْ يتناولُ مولدَهُ بوصفِهِ وصفًا رائعًا، ذاكرًا أهمَّ الأحداثِ الَّتِي صاحَبَتْ ذلكَ المَولدَ العظيمَ، فيقولُ:

وَلَدَتْهُ كَالشَّمْسِ أَشْرَقَ مَسْرُو رًا وَتَمَّـــتْ بِخَتْنِـــهِ السَّـــرَّاءُ
أَبْصَرَتْ بِنُورِهِ أَنَارَ بِبُصْـرَى فَـــرَأَتْـهَا كَـــأَنَّهَـــا الْبَطْـحَاءُ
وَبِمِيـــلَادِهِ لَقَـدْ فَـــاضَ نُـورٌ ضَاقَ عَنْ وُسْعِهِ الْمَلَا وَالْخَلَاءُ
فَاضَ طُوفَانُـهُ فَغَاضَـتْ مِيَاهُ الْفُـرْسِ وَالنَّـارُ عَمَّـهَا الإِطْفَاءُ
شُرُفَـاتُ الإِيْوَانِ إِيْوَانَ كِسْرَى مِنْـهُ خَـرَّتْ وَانْشَـقَّ هَذَا الْبِنَاءُ[1]

فهوَ يتناصُ هُنا معِ الحَدثِ الهَامِ المتمثِّلِ بميلادِ خيرِ الأنامِ مُحمَّدٍ ﷺ، إذْ ولدتْهُ أمُّهُ آمنةُ بنتُ وهبٍ، فكانَ ميلادُهُ حدثًا عظيمًا، وتناقلَتِ الألسنةُ حوادثَ مُثيرةً ترافقَتْ معْ مِيلادِهِ، كَرؤيةِ نُورٍ ينيرُ جزيرةَ العَربِ حتَّى مَدينةِ بُصرَى في العِراقِ، وإطفاءِ نارِ الفُرسِ الَّتِي لمْ تكُنْ تنطفِئْ إلَّا لأمرٍ عظيمٍ، وسقوطِ شُرفاتِ قَصرِ كِسرَى ملكِ الفُرسِ لحظةَ مِيلادِهِ ﷺ[2]، عَلاوةً على أحداثٍ أُخرَى وردَتْ على شَكلِ قَصَصٍ سنذكرُهَا في موضعٍ آخرَ.

٢. **المشهدُ الثَّانِي:** يتحدَّثُ النَّبهَانِي في هذا النَّصِّ الشِّعرِي عَنْ حادثةِ شقِّ صدرِ الرَّسولِ ﷺ، إذْ تمَّ ذلكَ بأمرِ اللهِ تعالَى لجبريلَ _ عليهِ السَّلامُ _، وتمَّ شَقُّ صدرِ الرَّسولِ ﷺ وعُمرُهُ سَنتانِ وهوَ عندَ مُرضعتِهِ حَليمةُ بنتُ أَبِي ذُؤيبٍ السَّعديَّةِ، وفِي ذلكَ يقولُ النَّبهَانِي:

شَـقَّ مِنْـهُ جِبْـرِيْلُ أَفْدِيْهِ صَدْرًا قَدْ وَعَى الْعَالَمِينَ مِنْهُ وِعَاءُ
وَحَشَـــاهُ بِحِكْمَـــةٍ وَبِـإِيْمَـــانٍ وَتَـمَّ الْخِتَـامُ، وَتَـمَّ الْـوَكَـاءُ

[1] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. (د.ت). المجموعة النبهانية في المدائح النبوية. مج١. ص٢١٧-٢١٨.
[2] ابن هشام، أبو محمد عبد الملك. السيرة النبوية لابن هشام. مج.١ . ص٧٦-٧٧.

هُوَ بَحْرٌ وَلَسْتُ أَدْرِي وَقَدْ شُقَّ لِمَــاذَا لَـمْ تَغْـرَقِ الْأَرْجَــاءُ[1]

وفي هذا المشهدِ المُعجزِ يتناصُ النَّبهانِي مع حادثةِ مُعجزةٍ، وكرامةٍ دالةٍ على نبوَّتِهِ ﷺ، إذْ شَقَّ جِبريلُ _ عليهِ السَّلامُ _ ومعهُ مَلكٌ آخرُ_ صدرَ النَّبِيّ ﷺ وهوَ طفلٌ صغيرٌ، وتَروي حليمةُ السَّعديَّةُ القصَّةَ قائلةً:(**فَوَاللهِ إِنَّهُ _ بَعدَ مَقدمِنَا بِشهرٍ _ مَعْ أَخيهِ وَقَد كَانَا يَرتَعانِ عِندَ الْغَنَمِ، إِذْ جَاءَنا أَخُوهُ يَشْتَدُّ، فَقَالَ لِي وَلِأبيهِ: ذَاكَ أَخِي القُرَشِي قَد جَاءَهُ رَجُلانِ عَلَيهِمَا ثِيابٌ بِيضٌ فَأَضْجَعَاهُ فَشَقَّا بَطْنَهُ، فَهُمَا يَسُوطَانَهُ، قَالَتْ: فَخَرَجتُ أَنَا وَأَبُوهُ نَحوَهُ، فَوَجَدنَاهُ قَائِمًا مُنتَقِعًا وَجُهُه، قَالَتْ: فَالْتَزمْتُهُ وَالتَزَمهُ أَبُوهُ، فَقُلنَا لَهُ: مَا لَكَ يَا بُنَي؟ فَقَالَ: جَاءَنِي رَجُلانِ عَلَيهِمَا ثِيابٌ بِيْضٌ فَأَضْجَعَانِي وَشَقَّا بَطْنِي، فَالْتَمَسَا فِيهِ شَيئًا لَا أَدْرِي مَا هُوَ، قَالَتْ: فَرَجَعنَا إِلى خِبائِنَا، قَالَتْ: فَقَالَ لِي أَبُوهُ: يَا حَلِيمةُ، لَقَد خَشِيتُ أَنْ يَكونَ هَذَا الغُلَامُ قَدْ أُصِيبَ، فَأَلحِقِيهِ بِأَهْلِهِ قَبلَ أَنْ يَظْهَرَ ذَلِكَ بِهِ**)[2]. وهذهِ الحَادثةُ التَّاريخيَّةُ المُعجزةُ لمْ تكُنْ لِتحدَثَ إلَّا لِنبيٍّ، ولذلكَ أشارَ إليهَا النَّبهَانِي في شعرِهِ مُتناصًّا معهَا مِنْ خلالِ روايةِ حَليمةَ السَّعديَّةِ مرضعةَ الرَّسولِ ﷺ _ وقدْ بدأتْهَا بِالقسمِ _ رغمَ وجودِ رِواياتٍ أُخرَى لهَا.

٣. **المشهدُ الثَّالثُ:** يتحدَّثُ النَّبهَانِي عنْ حادثةٍ تاريخيَّةٍ انفردَ بهَا بعضُ المُؤرِّخينَ كابنِ شاهينَ (ت:٩٩٥م) والخطيبِ البَغدادِي (ت:١٠٧١م) والسِّيوطِي (ت:١٥٠٥م)، فقدْ تناولُوا حديثًا عنْ رسولِ اللهِ ﷺ روتْهُ عائشةُ _ رَضِيَ اللهُ عنهَا_ رغمَ أنَّهُ مُخالفٌ لأحاديثَ صَحيحةٍ وردَتْ تُشيرُ إلى أنَّ والدَي رَسولِ اللهِ ﷺ ماتَا كافريْنِ، في حين أنَّ روايةَ عائشةَ _ رَضِيَ اللهُ عنهَا _ المذكورةَ في كُتُبِ المُؤرِّخينَ المَذكورينَ تُشيرُ إلى أنَّ اللهَ تعالَى أحيَا والدَي رَسولِ اللهِ ﷺ فآمَنَا بهِ ثمَّ أماتَهُمَا، إذْ يقولُ النَّبهَانِي في تلكَ الرِّوايةِ التَّاريخيَّةِ شعرًا:

مَـاتَتْ أُمُّ النَّبِيِّ وَعُمْـرُهُ سِــتٌّ وَأَبُــوهُ وَبَيتُــهُ الْأَحْشَــاءُ
ثُمَّ أَحْيَــاهُمَـا الْقَدِيــرُ فَحَــازَا شَرَفَ الدِّينِ حَبَّذَا الْإِحْيَاءُ

[1] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. المجموعة النبهانية في المدائح النبوية. مج١. ص٢١٩.

[2] ابن هشام، أبو محمد عبد الملك. السيرة النبوية لابن هشام. مج١. ص٧٨.

وَهُمَـا نَاجِيَـانِ مِنْ غَـيرِ شَكٍّ فَتْـرَةٌ أَوْ حَيَـاةٌ أَوْ حُنَفَـاءُ
رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وَكِرَامُ النَّاسِ مِنَّــا، وَلْتَسْــخَطِ اللُّـؤَمَاءُ
لَيْـسَ يَرْتَـابُ فِي نَجَـاتِهِمَا إِلَّا رَقِيْـعٌ فِي الدِّيْـنِ أَوْ رُقَعَاءُ[1]

ففِي هذا المَشهدِ يتناصُ النَّبهَانِي معْ رِوايةِ إحياءِ والدَي رَسولِ اللهِ ﷺ حتَّى أسلمَا ثمَّ إماتتُهُمَا، وقدْ روَتِ الحديثَ عائشةُ بنتُ أَبِي بكرٍ _ رَضِيَ اللهُ عنهَا _، إذْ قالَتْ:**(حَجَّ بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، حِجَّةَ الوَدَاعِ، فَمَرَّ بِي عَلَى عَقَبَةِ الحَجُونِ وَهُوَ بَاكٍ حَزِيْنٍ مُغْتَمٍّ، فَبَكَيتُ لِبُكَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ إِنَّهُ نَزَلَ، فَقَالَ: يَا حُمَيرَاءُ اسْتَمْسِكِي، فَاسْتَنَدَ إِلَى الْبَعِيرِ فَمَكَثَ عَنِّي طَوِيلًا، ثُمَّ إِنَّهُ عَادَ إِلَيَّ وَهُوَ فَرِحٌ مُبْتَسِمٌ، فَقُلْتُ لَهُ: فَعَلَامَ ذَا يَا رَسُولَ اللهِ؟! فَقَالَ: ذَهَبْتُ لِقَبْرِ أُمِّي آمِنَةَ فَسَأَلْتُ اللهَ أَنْ يُحْيِيهَا فَأَحْيَاهَا، فَآمَنَتْ بِي وَرَدَّهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ)**[2]. واستنادًا إلى هذا الحَديثِ جاءَ التَّناصُ التَّاريخِي للحَادثةِ الَّتِي أشارَ إليهَا النَّبهانِي في شعرِهِ بإحياءِ والدَي الرَّسولِ ﷺ حتَّى يُسلِمَا ثمَّ يُميتُهُمَا اللهُ تعالَى، رغمَ أنَّ الحديثَ يَروي إحياءَ أُمِّهِ آمنةَ بنتُ وهبٍ، وليسَ معهَا أبوهُ عبدُ اللهِ بنُ عبدِ المُطلبِ، وقدْ وردَتْ أحاديثُ أُخرَى تُؤيِّدُ هذا الحَديثَ، وأحاديثُ صحيحةٌ تخالفُهَا، فكانَتْ رِوايةُ النَّبهَانِي مُتَّفقةً معِ رِوايةِ المُخالفينَ لِلأحَاديثِ الصَّحيحةِ.

٤. **المشهدُ الرَّابعُ:** يتحدَّثُ النَّبهَانِي في هذا المَشهدِ عَنْ تعذيبِ الكَافرينَ مِنْ قريشٍ لأصحابِ رَسولِ اللهِ ﷺ الَّذِينَ أسلمُوا معهُ، ومنهُمْ: بلالُ بنُ رباحٍ العبدُ الحَبشِي _ رَضِيَ اللهُ عنهُ _، وآلِ ياسرٍ (عمَّارُ وأبُوه وأمَّهُ)، وغيرُهُم مِنَ العبيدِ والضُّعفاءِ، فقدْ نالُوا مِنَ التَّعذيبِ أشكالًا وألوانًا، وخاصَّةً بلالُ بنُ رباحٍ (مُؤذِّنُ رسولِ اللهِ ﷺ)، إذْ يقولُ النَّيهَانِي في ذلكَ.

ثُمَّ لَمَّـا تَظَـاهَرُوا لِقُرَيْشٍ حِيْـنَ زَالَ الْخَفَـــاءُ زَادَ الْجَفَاءُ

[1] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. المجموعة النبهانية في المدائح النبوية. مج١. ص٢٢٠.

[2] السيوطي، جلال الدين. الحاوي للفتاوي. ج٢. ص٢١٨. ضبط وتصحيح: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن. منشورات محمد علي بيضون. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط٣. (١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م).

نَوَّعُوا فِيْهِمُ الْعَذابَ فَكَانَتْ مِنْ لَظَـاهُمْ بِـالْأَبْطُحِ الرَّمْضَاءُ
لَهْفَ نَفْسِي عَلَى بِلَالٍ قَدْ صُـبَّ عَلَيهِ وَفَاضَ عَنْهُ الْبَلَاءُ
لَهْـفَ نَفْسِـي عَلَى الْوَلِي أَبِي الْيَقْظَانِ إِذْ آلَ يَاسِرٍ أُسَرَاءُ
لَهْفَ نَفْسِي عَلَى الْجَمِيعِ وَمَا يَنْفَعُ لَهْفِي وَمَا يُفِيدُ الْبُكَاءُ[1]

ففِي هذا المَشهدِ يتناصُ النَّبهَانِي معْ أحداثٍ تاريخيَّةٍ، ومواقفَ لصحابةِ رَسولِ اللهِ ﷺ، الَّذِينَ أسلَموا في مكَّةَ، ولمْ تكُنْ لهُمْ دولةٌ يأمنونَ فيهَا على أَنفسِهم، فقامَ سَادةُ قريشٍ الكافرينَ بتعذيبِ الضِّعافِ منهُمْ والعَبيدِ، كآلِ ياسرٍ وبلالٍ بنِ رباحٍ وأبَي يَقظانَ مولَى ياسرٍ _ رَضِيَ اللهُ عنهُمْ _، فقدْ تولَّى آلُ مَخزومٍ مِنْ قُريشٍ تَعذيبِ آلِ ياسرٍ فقتلُوا ياسرٍ وزوجتِهِ سميَّةَ (أمُّ عمَّارٍ) تحتَ التَّعذيبِ، وكانُوا أوَّلَ الشُّهداءِ في تاريخِ الإسلامِ، وكادُوا يَقتلونَ عَمَّارَ لولَا أنَّهُ ذكرَ (هُبَل) فكفُّوا عنهُ، وأمَّا بِلالٌ بنُ رباحٍ _ رَضِيَ اللهُ عنهُ _ فعذَّبَهُ سيِّدَهُ أميَّةُ بنُ خلفٍ، إذْ كانَ يضعُهُ على الرَّمضاءِ في الصَّحراءِ عاريًا ويجلدُهُ بالسَّوطِ، ثمَّ يضعُ الصَّخرَ على صدرِهِ وبطنِهِ، وبلالٌ _ رَضِيَ اللهُ عنهُ _ يردِّدُ (أحدٌ، أحد)، وهوَ صابرٌ على التَّعذيبِ دونَ أنْ يستسلمَ، كمَا عذَّبُوا أَبا يقظانَ مولَى ياسرٍ، وكادَ يموتُ، وتظاهرَ بالموتِ فكفُّوا عنهُ التَّعذيبَ حتَّى جاءَ أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ، وأنقذُوهُم، ثمَّ أمرَهُمْ رسولُ اللهِ ﷺ بِالهِجرةِ إلى الحَبشةِ[2]، وهذهِ الأحداثُ يُوجزُهَا ويُشيرُ إليهَا النَّبهَانِي بنصٍّ شعريٍّ يتناصُ بِهِ معْ هذهِ الأحداثِ إحياءً لهَا، وتعظيمًا لشأنِهَا، وتذكيرًا بهَا.

٥. **المشهدُ الخامسُ:** يتحدَّثُ النَّبهَانِي في هذا المشهدِ عنْ حادثةِ انشقاقِ القَمرِ لِرسولِ اللهِ ﷺ، وهيَ مُعجزةٌ مِنْ مُعجزاتِهِ، إذْ أرادَ اللهُ أنْ يؤيِّدَهُ بمعجزةٍ لِتصبحَ حُجَّةً أخرَى على قُريشٍ الَّذِينَ لم يُسلِمُوا، فحادثةُ انشقاقِ القَمرِ بأمرِ اللهِ _ عزَّ وجلَّ _ على يدِ رَسولِهِ ﷺ ثابتةٌ في الصَّحيحينِ؛ لذَا أشارَ إليهَا النَّبهَانِي في شعرِهِ قائلًا:

كَـلَّفُـوهُ بِشَـقِّهِ الْقَمَـرَ الـزَّاهِرَ لَيْـلًا تَكْلِيْفَ مَـا لَا يَشَاءُ

[1] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. المجموعة النبهانية في المدائح النبوية. مج١. ص٢٢٦.

[2] ابن هشام، أبو محمد عبد الملك. السيرة النبوية لابن هشام. مج١. ص١٤٦-١٤٨.

فَدَعَا فَاسْتَبَانَ شِقَّيْنِ فِي الْحَالِ وَبَيْنَ الشِّـقَّيْنِ بَـانَ حِرَاءُ
فَـاسْـتَرَابُوا أَنَّـهُ السِّـحْرُ حَتَّى جَـاءَ مِنْ كُـلِّ وَارِدٍ أَنْبَاءُ
أَخْبَـرُوهُمْ بِصِـدْقِهِ فَـاسْـتَمَرُّوا وَالْعَمَى لَا تُفِيْدُهُ الْأَضْوَاءُ[1]

فهُنا يتناصُ النَّبهَانِي معْ حادثةِ انشقاقِ القمرِ، وبيانِ مَوقفِ المُشركينَ مِنْ قريشٍ، إذْ كذَّبوا رسولَ اللهِ ﷺ وادَّعُوا أنَّ مَا يحدثُ سِحرًا، وهذهِ الحَادثةُ وردَتْ في سُورةِ القَمرِ فِي قولِهِ تَعالَى:"**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (١) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (٢) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ**"[2]. فالآياتُ تتحدَّثُ عنِ انشقاقِ القَمرِ كمعجزةٍ دالةٍ على نُبوَّةِ مُحمَّدٍ ﷺ، وهيَ مِنْ علاماتِ اقترابِ السَّاعةِ، ومعْ ذلكَ أعرضَ المُشركونَ ولمْ يُصدِّقُوا، وَعَدُّوا ذلكَ سِحرًا، وظلُّوا علَى كذبهِمْ، واتِّباعِ أهوائِهِم، ولمْ يهتمُّوا بتلكَ المُعجزةِ، وذكرُ انشقاقِ القَمرِ على يدَي رَسولِ اللهِ ﷺ، وبإذنِ اللهِ تعالَى وردَتْ في الصَّحيحينِ، إذْ روَى عبدُ اللهِ بنِ مَسعودٍ _ رضي الله عنه _ تلكَ الحادثةِ قائلًا:(**انْشَقَّ الْقَمَرُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ شِقَّتَينِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: اشْهَدُوا...**)[3]، ويذكرُ سيِّد قُطب العَلَّامةُ المِصري حادثةَ انشقاقِ القمرِ في تفسيرِهِ لِسُورةِ القَمرِ فيقولُ:(... **وَالرِّوَاياتُ فِي حَادِثَةِ انْشِقَاقِ الْقَمَرِ كَثِيرةٌ وَمُتَواتِرَة، تَتَّفِقُ كُلُّهَا فِي إِثْبَاتِ وُقُوعِ الحَادِثَةِ، وَتَختَلِفُ فِي رِوَايَةِ هَيْئَتِهِ وَتَفْصِيلِهِ وَقْتَ الانْشِقَاقِ...**)[4]، إذنْ هيَ حادثةٌ ومُعجزةٌ ثابتةٌ، ويقابلُهَا موقفَ المُشركينَ مِنْ قُريشٍ بالتَّكذيبِ واعتبارِ ذلكَ سِحرٌ مُستمرٌّ، فهذا التَّناصُ التَّاريخِي لحَادثةٍ وموقفٍ، يمكنُ

---

[1] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. المجموعة النبهانية في المدائح النبوية. مج١. ص٢٢٧.

[2] سورة القمر. الآيات رقم: ١– ٣.

[3] مسلم بن الحجاج، أبو الحسين. صحيح مسلم. ج١. كتاب صفات المنافقين وأحكامهم. باب انشقاق القمر (٧–٨). رقم الحديث (٢٨٠٠). ص٢١٥٨. دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط٢. (١٤١٢هـ–١٩٩١م).

[4] قطب، سيد. ١٩٧٢. في ظلال القرآن الكريم. ج٢٧. ص٣٤٢٤–٣٤٢٥ . دار الشروق. القاهرة. ط١: ١٩٧٢. ط٣٢: ٢٠٠٣.

اعتبارِهِ تناصًّا دينيًّا معِ القُرآنِ الكريمِ مِنْ خِلالِ ذكرِ سُورةِ القَمرِ، وتناصًّا دينيًّا معِ الحَديثِ الشَّريفِ مِنْ خِلالِ ذكرِ حَديثِ انشقاقِ القَمرِ في الصَّحيحينِ.

٦. **المشهدُ السَّادسُ:** يتحدَّثُ النَّبهَاني في هذا المشهدِ عنْ حادثةٍ أخرَى، بلْ مُعجزةٍ أخرَى إنَّهَا مُعجزةُ الإسراءِ والمِعراجِ، الَّتِي حدثَتْ معْ رَسولِ اللهِ ﷺ في ليلةٍ واحدةٍ أوْ جزءٍ منهَا، فكانَتْ مُعجزةً صادقةً، هدفُهَا تَثبيتُ فؤادِ النَّبِي ﷺ، وطمأَنتُهُ فِي دعوتِهِ ورسالتِهِ، وقدْ بدأَتْ بهذِهِ الرِّحلةِ الصَّادقةِ سُورةُ الإسراءِ، تأكيدًا وتصديقًا بهذِهِ الرِّحلةِ والحَادثةِ، إذْ يقولُ النَّبهَانِي:

رُسُـــلُ اللهِ هُمْ هُـــدَاةُ الْبَـــرِايَا ... وَلِكُـلٍّ مَحَجَّـةٌ بَيْضَـاءُ
خَصَّ مِنْهُـمْ مُحمَّدًا بِـالْمَزَايَا الْغُرِّ ... مِنْهَا الْمِعْرَاجُ وَالْإِسْرَاءُ
أَرْسَــلَ الــرُّوْحَ بِــالْبُــرَاقِ كَمَـا ... تَفْعَلُهُ لِلْكَـرَامَـةِ الْكُرَمَاءُ
فَعَـلَاهُ الْبَـدْرُ التَّمَـامِ أَبُو الْقَاسِـمِ ... فَضَـــاءَ مِنْـهُ الْفَضَاءُ
رَاحَ يَهْوِي بِهِ وَحَدُّ انْتِهَاءِ الطَّرْفِ ... مِنْـهُ إِلَى خُطَـاهُ انْتِهَاءُ
مَـرَّ فِي طَيْبَـةَ وَمُوْسَـى وَعِيْسَى ... وَقَدْ شَـرَّفَتْ بِـهِ إِيلْيَاءُ[1]

ففِي هذا المَشهدِ يتناصُ النَّبهَانِي في نَصِّهِ الشِّعرِي هذا معْ حادثةٍ تاريخيَّةٍ وموقفٍ تاريخيٍّ في دعوةِ الإسلامِ، وهيَ حادثةُ الإسراءِ والمِعراجِ، الَّتِي جاءَ ذكرُهَا في سُورةِ الإسراءِ، فِي قولِهِ تعالَى:"**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**"[2]. فرحلةُ الإسراءِ والمَعراجِ منَ الأرضِ إلى السَّماءِ ثابتةٌ بنصِّ القُرآنِ الكَريمِ، كمَا أكَّدَتْهَا الأحاديثُ الشَّريفةُ، ومرَّ ذكرُهَا في (السِّيرةِ النَّبويَّةِ)، إذْ رَوى ابنُ هشامٍ عنْ عبدِ اللهِ ابنِ مَسعودٍ _ رَضِيَ اللهُ عنهُ_ قالَ:(**أُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْبُرَاقِ وَهِيَ دَابَّةٌ كَانَتْ تَحْمِلُ الْأَنْبِياءَ قَبْلَهُ، تَضَعُ حَافِرَهَا فَي مُنْتَهَى طَرْفِهَا، فَحُمِلَ عَلَيْهَا ثُمَّ خَرَجَ بِهِ صَاحِبُهُ، يَرَى الْآيَاتِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، حَتَّى انْتَهَى بِهِ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ،**

[1] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. المجموعة النبهانية في المدائح النبوية. مج١. ص٢٣٤.
[2] سورة الإسراء. آية رقم: ١.

فَوَجَدَ فِيْهَا إِبْرَاهِيمَ وَمُوْسَى وَعِيْسَى وَنَفَرًا مِن الرُّسلِ وَالأَنبِياءِ _ عَلَيهُمِ السَّلامُ _، فَصَلَّى بِهِم جميعًا، ثُمَّ أُتِيَ بِثَلاثَةٍ مِن الإِنَاءِ: إِنَاءٌ فِيهِ لَبَن، وَإِنَاءٌ فِيهِ خَمْر، وَإِنَاءٌ فِيهِ مَاءٌ، قَالَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:(فَسَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ حِينَ عُرِضَتْ عَلَيَّ: إِنْ أَخَذَ الْمَاءَ غَرِقَ وَغَرِقَتْ أُمَّتُهُ، وَإِنْ أَخَذَ الْخَمْرَ غَوَى وَغَوَتْ أُمَّتُهُ، وَإِنْ أَخَذَ اللَّبَنَ هُدِيَ وَهُدِيَتْ أُمَّتُهُ، قَالَ: فَأَخَذْتُ إِنَاءَ اللَّبَنِ فَشَرِبْتُ مِنْهُ، فَقَالَ لِي جِبْرِيلُ _ عَلَيهِ السَّلَامُ _ هُدِيْتَ وَهُدِيَتْ أُمَّتُكَ يَا مُحَمَّد))[1]. وهذا المشهدُ التَّناصّي الجامعُ بينَ التَّناصِ التَّاريخِي بذكرِ حادثةِ الإسراءِ والمِعراجِ رِوايةً على ألسنةِ الصَّحابةِ، وذكرُهَا سابقًا في القُرآنِ الكريمِ مِنْ خلالِ التَّناصِ الدِّينِي معِ القرآنِ الكريمِ، ثمَّ الإشارةُ إلى الحَديثِ الشَّريفِ الَّذِي ذكرَ الحَادثةَ، ومَا حصلَ مِنْ عرضِ الآنيةِ الثَّلاثةِ، واختيارِ إناءِ اللَّبنِ، وهذا التَّناصُ التَّاريخِي لحادثةٍ ثابتةٍ بالنَّصِّ الشَّرعِي ثبوتًا صحيحًا.

٧. **المشهدُ السَّابعُ:** يتحدَّثُ النَّبهَانِي في هذا المشهدِ عَنْ رحلةِ عُمرةِ القَضاءِ، وبيعةِ الرِّضوانِ تحتَ الشَّجرةِ، تلكَ البَيعةُ الَّتِي كانَتْ مُقدِّمةً لِفتحِ مَكَّةَ، وقدْ سبقَهَا صلحُ الحُديبيةِ معْ قُريشٍ، ذلكَ الصُّلحُ الَّذِي نقضتْهُ قُريشٌ فكانَ إيذانًا بالتَّحرُّكِ نحوَ مَكَّةَ المُكرَّمةِ لفتحِهَا بجيشٍ جرَّارٍ قوامُهُ عشرةُ آلافِ مُقاتلٍ، إذْ يقولُ النَّبهَانِي في ذلكَ:

وَأَتَى عُمْرَةَ الْقَضَاءِ بِجَيْشٍ ... أَيُّ جَيْشٍ لِلْفَتْحِ لَوْلَا الْوَفَاءُ
دَخَلُوا مَكَّةَ فَفَرَّتْ أُسُودٌ ... مِنْ قُرَيْشٍ كَأَنَّمَا هُمُ ظِبَاءُ
وَأَقَامُوا بِهَا ثَلَاثًا وَطَافُوا ... حَلَّقُوا قَصَّرُوا وَسِيْقَتْ دِمَاءُ
ثُمَّ عَادَ النَّبِيُّ يَتْبَعُهُ السَّعْدُ ... وَتَمْشِي أَمَامَهُ السَّرَّاءُ[2]

يتناصُ النَّبهَانِي هُنا معْ رِحلةِ عُمرةِ القَضاءِ التَّاريخيَّةِ، إذْ وردَ ذكرُهَا في القُرآنِ الكَريمِ فِي سُورةِ الفَتحِ، في قولِهِ تعالَى:"**لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا**"[3]. فقدْ بيَّنَتِ

[1] ابن هشام، أبو محمد عبد الملك. السيرة النبوية لابن هشام. مج١. ص١٨٣.
[2] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. المجموعة النبهانية في المدائح النبوية. مج١. ص٢٥٣.
[3] سورة الفتح. آية رقم: ١٨.

الآيةُ مبايعةَ الصَّحابةِ لِرسولِ اللهِ ﷺ تحتَ الشَّجرةِ، ورِضوانِ اللهِ عليهِم، ومباركةِ تلكَ البَيعةِ، الَّتِي أُطلِقَ عليهَا بيعةُ الرِّضوانِ، وقدْ ذُكرِتِ الحادثةُ في السِّيرةِ النَّبويَّةِ، إذْ رَوى ابنُ إسحاقَ عنْ عبدِ اللهِ بنِ أبِي بكرٍ _ رَضِيَ اللهُ عنهُمَا_ قالَ:**(إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ _ حِينَ بَلَغَهُ أَنَّ عُثمَانَ بنَ عَفَّانَ _ رَضِيَ اللهُ عَنهُ _ قَدْ قُتِلَ، :(لَا نَبْرَحُ حَتَّى نُنَاجِزَ الْقَومَ)، فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْبَيْعَةِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، فَكَانَ النَّاسُ يَقُولُونَ: بَايَعَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الْمَوتِ، وَلَكِنْ بَايَعَنَا عَلَى أَنْ لَا نَفِرَّ، فَبَايَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّاسَ ...)**[1]. وهذهِ الحادثةُ التَّاريخيَّةُ الَّتِي تناصَ بهَا النَّبهَانِي بالنَّصِّ الشِّعري في مَشهدٍ تناصِّيٍّ اندمجَ بمشهدِ التَّناصِ الدِّينِي مِنْ خلالِ الإشارةِ إلى الآيةِ مِنْ سورةِ الفتحِ، إذْ كشفَتْ كذلكَ في آخرِهَا عنْ البُشرَى بفتحِ مكَّةَ المكرَّمةِ الَّتِي وقعَ فعلًا بعدَهَا بعامينِ، أيْ بعدَ نقضِ قُريشٍ لصلحِ الحُديبيَةِ، وهذهِ الحادثةُ والموقفُ تدلَّانِ على إشاراتٍ تاريخيَّةٍ في سِلسلةٍ مِنَ الأحداثِ والوقائعِ المُحمديَّةِ.

٨. **المشهدُ الثَّامنُ:** يتحدَّثُ النَّبهَانِي في هذا المَشهدِ عنْ غَزوةِ حُنينٍ، الَّتِي جاءَتْ بعدَ فتحِ مكَّةَ المكرَّمةِ للقَضاءِ على المُشركينَ مِنْ قبيلتَي هَوازنَ وثقيفَ القَاطنتينِ في الطَّائفِ، وقدْ كانُوا يفكِّرونَ في غزوِ مكَّةَ المكرَّمةِ للقَضاءِ على رَسولِ اللهِ ﷺ وصحبِهِ، فكانَ لهُ السَّبقُ في غزوهِمْ في عُقرِ دارِهِمْ، إلَّا أنَّ إعجابَ المُسلمينَ بعددِهِمْ حالَ دونَ انتصارِهِمْ بادِيَ الأمرِ، ثمَّ ثبتَ رسولُ اللهِ ﷺ، معْ نفرٍ مِنَ الصَّحابةِ، فعادَ جيشُ المُسلمينَ بعدَ فِرارِهِ مِنَ المَعركةِ، واستبسلَ في الدِّفاعِ عَنْ رسولِ اللهِ ﷺ، فانقلبَتْ نتيجةُ المَعركةِ لِصالحِ المُسلمينَ[2]، وفي ذلكَ يقولُ النَّبهَانِي مُشيرًا إلى تِلكَ الوقعةِ:

ثُمَّ سَـارَ الرَّسُـولُ نَحْوَ حُنَينٍ بِخَمِيـسٍ مَـا ضَـرَّهُ أَرْبِعَاءُ
وَالْأَعَـادِي مِنْ عِـدَّةٍ وَعَـدِيْدٍ لَعِبَتْ فِي عُقُـولِـهِمْ صَهْبَاءُ
رَكِـبَ الْبَغْلَـةَ النَّبِـيُّ فَـزَالَـتْ مِنْ خُيُـولِ الْفَـوَارِسِ الْخُيَلَاءُ

[1] ابن هشام، أبو محمد عبد الملك. السيرة النبوية لابن هشام. مج٢. ص٥٠٣.
[2] المصدر نفسه. ص٥٠٥.

فَرَّ صَحْبٌ إِذْ أُعْجِبُوا ثُمَّ عَادُوا وَهُوَ نَحْـوَ الْعِـدَاءِ بِهَا عَدَّاءُ

وَرَمَــاهُمْ بِكَــفِّ تُــرَابٍ فَصَارَ الصَّدْرُ ظَهْرًا وَكُلُّ وَجْــهٍ قَفَاءُ[1]

هنَا يتناصُ النَّبهَانِي تاريخيًّا معْ حادثةٍ عظيمةٍ، هيَ وقعةُ حُنينٍ أوْ غزوةِ حُنينٍ الَّتِي انتصرَ المسلمونَ في آخرِهَا بعدَ أنْ كادُوا يُهزومونَ أوَّلَهَا، بخلافِ غَزوةِ أُحدٍ الَّتِي انتصرُوا في أوَّلِهَا وهُزمُوا في آخرِهَا، وللغَزوتينِ دَلالتَانِ تَتعلَّقانِ بعدمِ الاستهانةِ بالعدوِّ، وعدمِ مُخالفةِ أوامرِ رَسولِ اللهِ ﷺ، وقدْ ذكرَ اللهُ تعالَى ذلكَ فِي سُورةِ التَّوبةِ فِي قولِهِ تعالَى:"**لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ (٢٥) ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ**"[2]. فالنَّصرُ تمَّ للمسلمينَ في مواطنَ كثيرةٍ؛ لأنَّهُمْ أعدُّوا العُدَّةَ وتوكَّلُوا على اللهِ _ عزَّ وجلَّ _، والتزمُوا أوامرَ رَسولِ اللهِ ﷺ، ولمْ يغترُّوا بعدَّتِهِمْ وعديدِهِمْ، أمَّا في حُنينٍ كأُحدٍ كانَ هناكَ اعتزازٌ بالعُدةِ والعَددِ، وكانَتْ هُناكَ مُخالفاتٌ لأوامرِ الرَّسولِ ﷺ الَّذِي أمرَهُمْ بالثَّباتِ، لكنَّهُمْ فرُّوا مِنَ المَعركةِ، وقدْ أشارَ إلى ذلكَ ابنُ هشامٍ في (السِّيرةِ النَّبويَّةِ)، إذْ روَى عنِ ابنِ إسحاقَ عنِ الحارثِ بنِ مالكٍ _ رَضِيَ اللهُ عنهُ _ قولَهُ:(**خَرَجنَا مَعْ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى حُنينٍ بِجَيشٍ قَوَامُهُ اثْنَا عَشْرَةَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ، وَكُنَّا حَدِيثِي عَهْدٍ مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَقَد أَعْجَبَتْنَا كَثْرَتُنَا، إِذْ قَالَ أَحَدُنَا: لَنْ نُغْلَبَ الْيَومَ عَنْ قِلَّةٍ، وَكَانَتْ لِكُفَّارِ قُرَيشٍ وَمَنْ سِوَاهُمْ شَجَرَةٌ خَضْرَاءُ عَظِيمَةٌ، يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ، يَأْتُونَهَا كُلَّ عَامٍ فَيَعقِلُونَ أَسْلِحَتَهُم عَلَيهَا، وَيَذبحُونَ عِندَهَا القَرابِينَ، وَيَعكِفونَ عَلَيهَا، وَرَأَينَا فِي طَرِيقِنَا إِلَى حُنَينٍ سِدْرَةً خَضْرَاءَ عَظِيمَةً، فَتَنَادَيْنَا عَلَى جُنُبَاتِ الطَّرِيقِ، يَا رَسُولَ اللهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتِ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتِ أَنْوَاطٍ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :(اللهُ أكبَرُ، قُلْتُمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، كَمَا قَالَ قَومُ مُوسَى**

[1] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. المجموعة النبهانية في المدائح النبوية. مج١. ص٢٥٧-٢٥٨.

[2] سورة التوبة. الآيتان رقم: ٢٥+٢٦.

لِمُوسَى:" اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ"[1]، إِنَّهَا السُّنَنُ (لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ...))[2]، وهذهِ الحادثةُ التَّاريخيَّةُ، ومواقفُ الرَّسولِ ﷺ والصَّحابةِ منهَا تُعَدُّ مواقفَ مهمَّةٍ في تاريخِ الإسلامِ؛ لذلكَ جاءَ التَّناصُ التَّاريخِي معهَا تأكيدًا علَى تلكَ الأهمِّيَّةِ، ومِنْ أجلِ اتِّخاذِ العِبرِ والمَواعظِ. فالإشاراتِ التَّناصِّيَّةِ هدفُهَا التَّذكيرُ والإحياءُ.

٩. **المشهدُ التَّاسعُ:** يتحدَّثُ النَّبهَانِي عنْ حِجَّةِ الوداعِ الَّتِي كانَتْ آخرَ حِجَّةٍ لرسولِ اللهِ ﷺ، وقدْ أشارَ فيهَا إلى دُنوِ أجلِهِ ولحاقِهِ بالرَّفيقِ الأعلَى، وكانَتْ خُطبةً عظيمةً، فيهَا مِنَ المَواعظِ والحِكَمِ والوصَايَا والتَّوجيهَاتِ الكثيرَ، ويومُهَا نزلَتْ آخرُ آيةٍ فِي القُرآنِ الكريمِ الَّتِي أشارَتْ إلى اكتمالِ الدِّينِ، وفي ذلكَ يقولُ النَّبهَانِي:

حَجَّ حِجَّ الْوَدَاعِ إِذْ كَمُلَ الدِّيْنِ وَفِي الْـوَدَاعِ كَـانَ اللِّقَاءُ
صَـحِبَتْهُ صَـحْبٌ إِلَى كُلِّ خَيْرٍ هُمُ سِرَاعٌ عَنْ كُلِّ شَرٍّ بُطَاءُ
يَمَّمُوا فِي الْبِطَـاحِ للهِ جَلَّ اللهُ بَيْتـًا لَـهُ الْبُـرُوجُ فِدَاءُ
هُوَ مِنْهُ مَثَـابَةٌ يَـرْجِعُ النَّـاسُ إِلَيْـهِ، وَهُـمْ بِـهِ أُمَنـاء[3]

يتناصُ النَّبهَانِي في هذا المَشهدِ النَّبوي العَظيمِ، والتَّاريخِي المَشهودِ، بكلِّ ما فيهِ مِنْ وقفاتٍ ودَلالاتِ فِكريَّةٍ ودينيَّةٍ ومشاعريَّةٍ، تُؤكِّدُ على أهمِّيَّةِ هذا اليومِ العَظيمِ الَّذِي فيهِ اكتملَ الدِّينِ، وأُدِّيَتِ الرِّسالةُ علَى أحسنِ وجهٍ، وهذا ما أشارَتْ إليهِ الآيةُ الكريمةُ في سورةِ المَائدةِ، في قولِهِ تعالَى:"**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**"[4]. فالآيةُ تُشيرُ إلى اكتمالِ الدِّينِ، وقدْ نزلَتْ في ذلكَ اليومِ المَشهودِ يومَ خُطبةِ الوداعِ، إذْ يصفُ النَّبهَانِي ذلكَ اليومَ نقلًا عنِ السَّيرةِ النَّبويَّةِ الَّتِي رَوى فيهَا ابنُ هشامٍ عنْ ابنِ إسحاقَ قائلًا:**(فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ذُو الْقِعدَةِ، تَجَهَّزَ لِلْحَجِّ، وَأَمَرَ النَّاسَ**

---

[1] سورة الأعراف. آية رقم: ١٣٨.

[2] ابن هشام، أبو محمد عبد الملك. السيرة النبوية لابن هشام. مج٢. ص٥٦٤.

[3] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. المجموعة النبهانية في المدائح النبوية. مج١. ص٢٦١.

[4] سورة المائدة. آية رقم: ٣.

بِالْجِهَازِ لَهُ، وَخَرَجَ إِلى الْحَجِّ لِخَمْسِ لَيَالٍ بَقِينَ مِنْ ذِي الْقِعدَةِ، وَاسْتَعمَلَ عَلَى الْمَدِينةِ أَبَا دُجَانَةَ السَّاعِدِي، وَسَاقَ مَعْهُ الْهَدِي، وَأَمَرَ النَّاسَ بِالْمَسِيرِ، حَتَّى بَلَغَ مَكَّةَ، وَلَمَّا وَصَلَ التَّنْعِيمَ، أَمَرَ النِّسَاءَ وَمَعْهُنَّ عَائِشَةُ _ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا _ أَنْ يُحْلِلْنَ بِعُمْرةٍ مَعِ الْحَجِّ، وَلَمْ يُحْلِلْ هُوَ بِعُمْرَةٍ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ _ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا _، فَقُلْنَا: فَمَا يَمْنَعُكَ يَا رَسُولَ اللهِ أَنْ تُحِلَّ مَعْنَا، فَقَالَ: إِنِّي أَهْدَيْتُ وَلَبَّدتُ، فَلَا أَحِلُّ حَتَّى أَنْحَرَ هَدْيِي، ... ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ إلى حَجِّهِ، وَأَرَى النَّاسَ مَنَاسِكَهُمْ، وَأَعْلَمَهُمْ سُنَنَ حَجِّهِمْ، وَخَطَبَ النَّاسَ خُطْبَتَهُ الَّتِي بَيَّنَ فِيْها مَا بِيَّنَ ...).

فهنَا يتناصُ النَّبهَانِي تاريخيًّا معْ حادثةٍ فيهَا مواقفُ عظيمةٌ، وفِي أثنائِهَا نزَلَتْ آخرُ آياتِ الكِتابِ، وفيهَا خُطبةٌ عظيمةٌ، جعلَتِ النَّاسَ يبكونَ بُكاءً شديدًا، لِثقلِ المَواعظِ وعظمِهَا مِنْ جهةٍ، ولِشعورِهِمْ بأنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ سيرحلُ عنهُمْ إلى الرَّفيقِ الأعلَى، وذلكَ حينمَا قالَ:**(أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا وَاعُوا، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا، فِي هَذَا الْمَوْقِفِ أَبَدًا...)**[1]. فليسَ التَّناصُ هنَا تَاريخيًّا فحسب، بلْ جاءَ دينيًّا وقَصَصيًّا، مِنْ خِلالِ إشاراتِ مِنْ كتابِ اللهِ _ عزَّ وجلَّ _ ، وحديثِ رسولِ اللهِ ﷺ في خُطبتِهِ الوداعيَّةِ الأخيرةِ.

ثانيًا: التَّناصُ التَّاريخِي معِ القَصَصِ التَّاريخيَّةِ (التَّناصُ القَصَصِي): تناولنَا فِي مباحثَ سابقةٍ التَّناصَ معِ القِصَّةِ الدِّينيَّةِ، والتَّناصُ معِ القِصَّةِ الأدبيَّةِ، وفي هذا المَبحثِ سَنتناولُ التَّناصَ معِ القِصَّةِ التَّاريخيَّةِ الَّتِي تُحيطُ القَارِئَ بالأحدَاثِ وَالمَواقفِ والشَّخصيَّاتِ الَّتِي صَدَرَتْ عنهَا تلكَ المَواقفُ، والأحداثُ الَّتِي تَرافقَتْ معِ الشَّخصيَّاتِ، وتحدَّثَتْ عنْ سِيرِهِمْ وحياتِهِمْ وأمجادِهِمْ وأفعالِهِمْ[2]، وغالبًا مَا تَشتمِلُ على عناصرِ القِصَّةِ كاملةً (المكانِ، الزَّمانِ، الشَّخصيَّاتِ، الأحداثِ، والمَواقفِ)، وتتبلورُ كلُّهَا في بَوتقةِ القِصَّةِ قصيرةٍ كانَتْ أمْ طويلةٍ أوْ روايةٍ، تلكَ الَّتِي تجمعُ مزيجًا مِنَ القَصَصِ والأحداثِ المُترابطةِ والمُتشابكةِ، وفِي القَصَصِ التَّاريخيَّةِ رواياتٌ متعدِّدةٌ يُلجأُ عادةً إلى أقربِهَا منَ الواقعِ، ومناسبتِهَا للشَّخصيَّاتِ وعناصرِ

[1] ابن هشام، أبو محمد عبد الملك. السيرة النبوية لابن هشام. مج٢. ص٦٤١.

[2] الأسعد، عمر. أدب الأطفال. ص٩٨. الوراق للنشر والتوزيع. عمان . الأردن . (د. ط). ٢٠١٠م.

القِصَّةِ كلِّها، والنَّبهَانِي كغيرِهِ مِنَ الشُّعراءِ تناصَ مَعِ القِصَّةِ التَّاريخيَّةِ في أكثرِ مِنْ نَصٍّ مِنْ نُصوصِهِ الشِّعريَّةِ، وفقَ المَشاهدِ القَصَصيَّةِ التَّاليةِ:

١. **المشهدُ الأَوَّلُ:** يتحدَّثُ النَّبهَانِي عنْ قِصَّةِ إجلاءِ اليهودِ عَنِ المدينةِ تِباعًا بعدَ نقضِهِمِ العُهودِ والمَواثيقِ الَّتِي وضعَهَا منذُ قدومِهِ إلى المَدينةِ المُنوَّرةِ، فقدْ نكثُوا العُهودَ، ووقفُوا معِ المُشركينَ مِنْ قُريشٍ وقَبائلِ العَربِ الكَافرةِ ضدَّ المُسلمينَ في المدينةِ المُنوَّرةِ، كمَا نكثُوا العُهودَ معْ رَسولِ اللهِ ﷺ في عدمِ حِفاظِهِمْ علَى حالةِ السِّلمِ والأمنِ داخلَ أسوارِ المدينةِ[١]، وقدْ أشارَ النَّبهَانِي إلى القَصَصِ الَّتِي أدَّتْ إلى جَلائِهِمْ عنِ المَدينةِ، فقالَ:

وَكَمْ هَمَّ كُفَّارُ الْيَهُودِ بِغَدْرِهِ فَخَابُوا وَمَا نَالُوا مِنَ الظَّفَرِ الظِّفْرَا
فَعَامَلَهُمْ بِالرِّفْقِ وَالْحِلْمِ صَابِرًا فَمِنْ لُؤْمِهِمْ لَمْ يَتْرُكُوا الْخَتْلَ وَالْخَتْرَا
وَمَهْمَا رَأَوا مِنْهُ وَفَاءً بِذِمَّةٍ يَرَى كُلَّ يَوْمٍ مِنْ خِيَانَتِهِمْ خَفْرَا
فَلَمَّا رَآهُمْ هَكَذَا شَرَّ مَعْشَرٍ رَأَى الْحَزْمَ أَنْ يَسْتَعمِلَ الْحَرْبَ وَالْحَذْرَا
فَقَنَّعْ خِزْيًا قَيْنُقَاعَ بِنَفِيِهِمْ وَزَوَّدُهُمْ خِزْيًا وَأَسْلَمَهُمْ قَفْرَا
وَأَجْلَى نَضِيرًا بَعْدَ قَطْعِ نَخِيْلِهِمْ وَأَحْرَمَهُمْ مِنْ لِينِهِ التَّمْرَ وَالْبُسْرَا
وَلَمَّا اعْتَدَتْ قُرَيْظَةُ سَاقَهَا إِلَى حَتْفِهَا لِلْمَوْتِ قَدْ حُشِرَتْ حَشْرَا
وَفِي نَشْرِهَا بِالسَّيْفِ نَالَتْ جَزَاءَهَا فَمَا حَمَدَتْ مِنْ كُفْرِهَا الْحَشْرَ وَالنَّشْرَا
وَخَيْبَرُ قَدْ أَلْقَتْ إِلَيْهِ حُصُوْنَهَا ذَخَائِرَهَا وَالنَّخْلَ سَلَّمَهَا التَّمْرَا
وَشُجْعَانُهَا دَامُوا عَبِيْدًا لَهُ بِهَا مَسَاحَيْهِمْ أَنْسَتْهُمُ الْبِيْضَ وَالسُّمْرَا
وَكَانُوا ذَوِي كَرٍّ وَفَرٍّ لَدَى الْوَغَى فَعَوَّضَهُمْ فِي حَقْلِهِ الْكَرَّ وَالْفَرَّا
وَسَالَ عَلَى وَادِي الْقُرَى سَيْلُ جَيْشِهِ فَأَجْرَى بِهَا مَا كَانَ فِي خَيْبَرٍ أَجْرَى[٢]

---

[١] ابن هشام، أبو محمد عبد الملك. السيرة النبوية لابن هشام. مج٢. ص٦٤٥.

[٢] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. (د.ت). القصيدة الرائية الكبرى في الكمالات الإلهية والسيرة النبوية ووصف الملة الإسلامية والملل الأخرى. ص٤٢-٤٣. شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر. (د.ط).

يتناصُ النَّبهَانِي في هذهِ المَشاهدِ الشِّعريَّةِ معْ مجموعةٍ مِنَ القَصَصِ التَّاريخيَّةِ المُتعلِّقةِ بتعاملِ الرَّسولِ ﷺ معْ يهودِ المدينةِ المُنوَّرةِ الَّذِينَ خَانُوا العُهودَ والمواثيقَ الَّتِي أبرمَهَا معهُمْ عندَمَا وصلَ المَدينةَ المُنوَّرةَ، وأقامَ فيهَا دولَتَهُ الأولَى، فقدْ تعاملَ معهُمْ بشدّةٍ وحزمٍ حسبَ مَا ذكرَ النَّبهَانِي في تَسلسلِ قَصَصِ الأحداثِ والإجراءاتِ المُقابلةِ لتصرُفاتِهِم العُدوانيَّةِ بنقضِ العُهودِ مِنْ جهةٍ، والاعتداءِ علَى أعراضِ المُسلمينَ مِنْ جهةٍ أُخرَى، علاوةً علَى التَّآمرِ معْ كُفَّارِ قُريشٍ والقَبائلِ العربيَّةِ المعاديةِ للمُسلمينَ في غزوةِ الأحزابِ، والهُجومُ اللَّفظِي والشَّتمُ الَّذِي صدرَ عَنْ زُعماءِ قَبيلةِ خَيبرَ أكبرُ قبائلِ اليهودِ، وقبيلةِ بني النَّضيرِ مِنْ خلالِ زَعيمِهِمْ حُيَي بنُ أخطبَ، وقدْ وردَتْ بعضُ القَصَصِ الَّتِي كانَتْ سببَ الجَلاءِ والنَّفْي والهُجومِ عليهِمْ، واتّخاذِ إجراءَاتٍ حازمةٍ بحقّهِم، فرَوى ابنُ هشامٍ عنْ عبدِ اللهِ بنِ جَعفرٍ عنْ أبي عونٍ، قالَ:**(كَانَ مِنْ أَمرِ بَنِي قَينُقاعَ أَنَّ امْرَأَةً مِنَ العَربِ قَدِمَتْ بَجَلَبٍ لَهَا إِلى سُوقِ قَيْنُقاعٍ لِبَيعِهِ، وَمَرَّتْ بِصَائِغٍ مِن اليَهودِ فِي السُّوقِ، فَجَعَلَ الْيَهودُ يُرِيدُونَهَا أَنْ تَكشِفَ وَجْهَهَا، فَأَبَتْ فَعَمِدَ الصَّائِغُ إِلى طَرَفِ ثَوبِهَا فَرَبطَهُ فِي ظَهْرِهَا، فَلَمَّا قَامَتِ انْكَشَفَت سَوْءَتُهَا، فَضَحِكُوا بِهَا، فَصَاحَت، فَوَثَبَ رَجُلٌ مِن الْمُسْلِمِينَ عَلَى الصَّائِغِ فَقَتَلَهُ، فَشَدَّ الْيَهودُ عَلَى الْمُسلمِ فَقَتَلُوهُ، فَاسْتَصْرَخَ أَهْلُ المُسلِمِ المَقتولِ المُسلِمِينَ، فَهَاجَمُوا يَهودَ بَنِي قَينُقاعَ[1] فِي دِيَارِهِم، وَقَتَلُوا مِنْهُم خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ أَمَرَ الرَّسُولُ ﷺ مَنْ تَبَقَّى مِنْهُم مِنْ شُيوخٍ وَنِساءَ وَأَطْفَالٍ بِالْجَلَاءِ عَنِ المَدينةِ بَعدَ أَنْ حَكَّمَ فِيهِمْ حَلِيفَهُمْ الصَّحَابِي عُبَادةَ بنَ الصَّامِتِ _ رَضِيَ اللهُ عَنهُ _، إِذْ تَبرَّأَ مِنْ حِلْفِهِمْ وَقَضَى بِهِمْ مَا أَرَادَهُ اللهُ تَعَالَى وَرَسُولُهُ ﷺ بِالْجَلَاءِ كَمَا ذَكَرْنَا آنِفًا)**[2]. أمَّا قصَّةُ الجلاءِ الثَّانيةِ، فهيَ قِصَّةُ جَلاءِ يهودَ بَنِي النَّضيرِ، إذْ رَوى ابنُ هشامٍ في السِّيرةِ عنِ ابنِ إسحاقَ، قالَ:**(خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى بَنِي النَّضِيرِ يُطَالِبُهُمْ بِدَفْعِ الدِّيَتَينِ لِلْقَتِيلَينِ مِنْ بَنِي عَامِرٍ، أَيْ إِعَانَتِهِ فِي دَفْعِ الدِّيَةِ عَلَى مَا كَانَ بَينَ المُسلِمِينَ وَالْيَهودِ مِن تَشَارُكٍ فِي الدِّيَاتِ،**

[1] ابن هشام، أبو محمد عبد الملك. السيرة النبوية لابن هشام. مج٢. ص٣٦٩.

[2] المصدر نفسه. ص٣٧٠.

فَقَالُوا: نَعَم، يَا أَبَا الْقَاسِم، نُعِينَكَ عَلَى مَا أَحْبَبتَ، مِمَّا اسْتَعَنْتَ بِهِ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَدفَعُوا الدِّيَةَ، بَلْ قَرَّرُوا التَّآمُرَ عَلَيهِ مِنْ خِلالِ اجْتِمَاعِهِمْ وَاتِّفَاقِهِمْ عَلَى قَتْلِهِ بِإِسْقَاطِ صَخْرَةٍ عَلَيهِ مِنْ عُلُوٍّ، وَقَدْ نَزَلَ خَبَرٌ مِنَ السَّمَاءِ يُبْلِغُ الرَّسُولَ ﷺ بِتِلكَ المُؤَامَرةِ، وَلَمَّا تَحَقَّقَ الرَّسُولُ ﷺ مِنَ المُؤَامَرةِ، حَاصَرَهُمْ بِجَيْشِهِ سِتَّ لَيَالٍ، ثُمَّ أَمَرَ بِجَلَائِهِمْ دُوْنَ قِتَالٍ)[1]. أمَّا القِصَّةُ الثَّالثةُ، فقِصَّةُ يهودِ بنِي قُريظةَ وخيانتِهِم العهدَ أثناءَ غزوةِ الخَندقِ (الأحزابِ)، فقدْ روَى ابنُ هشامٍ عنِ ابنِ إسحاقٍ، قالَ:**(... وَلَمَّا أَصبحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ انصَرَفَ رَاجِعًا مِن الْخَندَقِ إلى الْمَدينَةِ، وَالمُسلِمونَ مَعهُ، وَوَضَعُوا سِلَاحَهُمْ لِيَستَرِيحُوا مِنْ مَشَقَّةِ الْحَربِ، وَلَمَّا جَاءَ مَوعِدُ صَلَاةِ الظُّهْرِ نَزَلَ جِبرِيلُ _ عَلَيهِ السَّلامُ _، فَقَالَ: أَوَضَعْتَ السِّلَاحَ يَا رَسُولَ اللهِ؟! قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ جِبرِيلُ _ عَلَيهِ السَّلامُ _: فَمَا وَضَعَتِ الْمَلَائِكَةُ السِّلَاحَ بَعدُ، وَمَا رَجَعَتِ الآنَ إِلَّا مِنْ طَلَبِ الْقَومِ، إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ يَا مُحمَّدُ بِالْمَسيرِ إلى بَنِي قُرَيظَةَ، فَإِنِّي عَامِدٌ إِلَيهِمْ، فَمُزَلْزِلٌ بِهِمُ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُؤَذِّنًا، فَأَذَّنَ فِي النَّاسِ:(مَنْ كَانَ سَامِعًا مُطِيعًا فَلَا يُصَلِّينَ الْعَصرَ إِلَّا فِي دِيارِ بَنِي قُرَيْظَةَ)، وَأَمَرَ عَلِيًّا بنَ أَبِي طَالِبٍ _ رَضِيَ اللهُ عَنهُ _ بِتَقَدُّمِ الْجَيشِ وَحَمْلِ اللِّوَاءِ إلى بَنِي قُرَيْظَةَ وَحَاصَرَهُمْ خَمْسَةً وَعِشرِينَ لَيْلَةً حَتَّى قَبِلُوا بِحُكْمِ مَوْلَاهُمْ الصَّحَابِي سَعْدٍ بنِ مُعَاذٍ _ رَضِيَ اللهُ عَنهُ _ الَّذِي حَكَمَ بِهِمْ مَا أَرَادَهُ اللهُ تَعَالَى وَرَسُولُهُ ﷺ، بِأَنْ يُقتَلَ الرِّجَالُ، وَتُقَسَّمَ الْأَمْوَالُ، وَتُسْبَى الذَّرَارِي وَالنِّسَاءُ)**[2]. أمَّا القِصَّةُ الرَّابعةُ والأخيرةُ فكانَتْ في القَضاءِ علَى يهودِ خيبرَ، آخرُ حُصونِ يهودَ في المَدينةِ المُنوَّرةِ وأمنعُهَا، فقدْ روَى ابنُ هشامٍ عنْ ابنِ إسحاقَ، قالَ:**(... وَلَمَّا انتَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ صُلْحِ الْحُدَيبيةِ، عَلِمَ مَا فَعَلَهُ يَهودُ خَيبَرٍ مِنْ إِيوَاءِ زُعَماءِ بَنِي النَّضِيرِ وَعَلَى رَأْسِهِمْ حُيَيُ بنُ أَخْطَبَ، وَرَفْضِهِمْ صُلْحَ الحُدَيبيةِ، وَتَآمُرِهِمْ مَعْ قَبيلَةِ غَطَفَانَ ضِدَّ المُسلمينَ، فَجَهَّزَ جَيْشًا عَظِيمًا، وَأَمَرَ عَلِيًّا بنَ أَبِي**

[1] المصدر السابق. ص٤٤١-٤٤٢.

[2] المصدر نفسه. ص٤٦٢-٤٦٥.

طَالِبٍ _ رَضِيَ اللهُ عَنهُ _ بِحَمْلِ اللِّوَاءِ الْأَبيضِ، وَسَارَ إِلَيهِمْ[1]**، وَبَدَأَ بِدَكِّ حُصُوْنِهِمْ وَاحِدًا تِلْوَ الْآخرَ حَتَّى بَلَغَ حِصْنَ وَادِي الْقُرَى، فَانْتَهَى بِحِصَارِهِمْ ثُمَّ قَتَلَ مِنْهُمْ مَنْ قَتَلَ مِنْ قَادَةٍ وَرِجَالٍ، عَلَى رَأْسِهِمْ حُيَيُ بنُ أَخْطَبَ، ثُمَّ سُبِيَتْ بَعْضُ نِسَائِهِمْ وَذَرَارِيهِمْ، وَأُجْلِيَ مَنْ تَبَقَّى مِنْهُمْ خَارِجَ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ)**[2]. وهكذَا انتهَى وجودُ يهودَ فِي جزيرةِ العربِ إلَّا قليلٌ منهُمْ رضُوا بالبقاءِ ودفعِ الجِزيةِ عنْ يدٍ وهمْ صاغرونَ، وفي عهدِ الخليفةِ الفَاروقِ عمرِ بنِ الخَطَّابِ _ رَضِيَ اللهُ عنهُ _، تمَّ طردُ الَّذِينَ بقُوا منهُمْ، لكَي لا يبقَى فِي جَزيرةِ العَربِ إلَّا دينُ الإسلامِ فَحسب[3]. وهذهِ القَصَصُ التَّاريخيَّةُ الواردةُ في (السِّيرةِ النَّبويَّةِ)، سردَهَا النَّبهَانِي في نَصِّهِ الشِّعرِي مُتناصًّا بهَا لتأكيدِ خبرِ جلاءِ يهودَ عنْ مدينةِ رسولِ اللهِ ﷺ، وعدمِ التَّعاملِ معهُمْ بِلينٍ عندَمَا كانُوا يَنكثُونَ العهدَ، ويُؤذونَ المُسلمينَ، ومِنْ أجلِ أنْ يُوصِلَ رسالةً أخرَى مفادُهَا أنَّ يهودَ وغيرَهُمْ ممَّنْ يَنقضُونَ العُهودَ ويُؤذونَ المُسلمينَ لا يَجوزُ الإبقاءُ عليهِمْ وعلَى العُهودِ معهُمْ، بلْ يجبُ التَّعاملُ معهُمْ بحزمٍ وشدَّةٍ، ومعاقبتِهِمْ بِالقَتلِ والسَّبِي والجَلاءِ، وتلكَ هيَ العُقوباتُ الثَّلاثةُ الَّتِي عاقبَ بهَا رسولُ اللهِ ﷺ اليهودَ الَّذِينَ ارتكبُوا الخِيانةَ والغَدرَ وإيذاءَ المُسلمينَ بِالقتلِ والشَّتمِ والخَوضِ في الأعراضِ، وكذلكَ فعلَ رسولُ اللهِ ﷺ معِ المُشركينَ مِنْ قُريشٍ حينمَا نقضُوا صُلحَ الحُديبيةِ، فحرَّكَ جيشًا قوامُهُ عشرةُ آلافِ مُقاتلٍ، وفتحَ مكَّةَ المُكرَّمةَ ردًّا على نقضِ صُلحِ الحُديبيةِ.

٢. **المشهدُ الثَّانِي:** يتحدَّثُ النَّبهَانِي فِي هذا المَشهدِ القَصَصِي التَّاريخِي عَنْ قصَّةِ صلبِ المَسيحِ عيسَى بنِ مريمَ _ عليهِ السَّلامُ _ وكيفَ أنَّ هذهِ القِصَّةَ مُلفَّقةٌ، ولَا أساسَ لهَا مِنَ الصِّحَّةِ، وأنَّ العقلَ والمنطقَ يُنكرانِ مَا صَاغَهُ قولُهُمْ وإنجيلُهُمْ، علاوةً علَى ذلكَ إنكارُ القُرآنِ الكريمِ لِقِصَّةِ الصَّلبِ هذهِ، فيقولُ النَّبهَانِي:

أَرَادْتُــهُ لِلْقَتْــلِ الْيَهُــودُ فَخَــافَهُمْ عَلَى نَفْسِــهِ تِلْكَ النَّفِيسَــةُ أَنْ تُزْرَى

---

[1] المصدر نفسه. ص٥٢٣.

[2] المصدر نفسه. ص٥٢٤.

[3] المصدر السابق. ص٥٢٢.

فَصَـــارَ يُنَـــادِي مُسْـتَغِيْثًا بِـرَبِّهِ وَقَـادُوْهُ رُغْمًـا عَنْ إِرَادَتِـــهِ جَبْـرَا

وَقَدْ وَضَـعُوا إِكْلِيْـلَ شَـوْكٍ بِـرَأْسِهِ شِـرَارُ الْـوَرَى حَتَّـى بِهِ سَخِرُوا سُخْرَا

وَكَـانَ لَـهُ حِـزْبٌ ضَـعِيفٌ فَعِنْـدَمَا أَحَـــاطَ بِـــهِ أَعْـــدَاؤُهُ لِلـــرَّدَى فَرَّا

وَسَـاقُوْهُ مَكْتُـوفًـا عَلِيْـهِ صَـلِيْبُهُ إِلَى أَنْ عَـــلَا بِـزَعْمِهِـمْ فَـوْقَـهُ قَسْرَا[1]

وَقَدْ حَاوَلَتْ فِيْهِ النَّـــصَارَى عَقِيْدَةً لِأَنْ يَجْعَلُـوا فَـوْقَ الْهَـوَانِ لَـهُ سِتْرَا

فَقَالُوا جَرَى مَا قَدْ جَرَى لَهُ بِاخْتِيَارِهِ لَقَدْ أَخْجَـلُوا وَجْـــهَ الْحَقِيْقَـةِ فَاحْمَرَّا

فَـإِنْ كَـانَ حَقًّا مَـا جَـرَى بِاخْتِيَارِهِ فَمَا بَالَـهُ قَدْ أَظْهَـرَ الْخَـوْفَ وَالذُّعْرَا

وَإِنْ كَـــانَ مَسْـرُوْرًا بِقَهْـــرِ عَـدِوِّهِ لَـهُ فَلِمَـاذَا لَـمْ يَـكُنْ يُظْـهِـرِ البِشْرَا

وَقَدْ كَانَ فِي حُـزْنٍ عَظِيْـمٍ فَمَا لَنَا نَـــرَى حِـــزْبَـهُ هَذَا بِنَكْبَتِـــهِ سُرَّا

وَهَبْـهُ عَلَى نَاسُـوتِـهِ كَـانَ جَارِيًا فَكَيْـفَ مِنَ الـلَّاهُوْتِ لَمْ يَجِدِ النَّصْرَا

وَمَعْ كَـوْنِ كُلِّ شَـطْرٍ كُـلٌّ بِمَزْجِهِ فَكَيْفَ بِهِ مَا حَازَ مِنْ صَلْبِهَ الشَّطَرَا

وَإِنْ كَـانَ هَذَا كُلُّـهُ كَـانَ بِـابْنِـــهِ فَكَيْـفَ تَخَـلَّى عَنْـهُ أَوْ وَجَـدَ الصَّبْرَا

أَمَـا يَسْـتَحِقُّ الذَّمَّ يَـا قَـوْمُ وَالِدًا أَعَـــزُّ بَنِيْـــهِ لَا يَشِـــدُّ بِـــهِ إِزْرَا

عَجَـــائِبُهُمْ لَا تَنْقَضِـــي فَبِحُـزْنِهِ لَهُـمْ فَـرَحٌ وَالْكَسْرُ كَـانَ لَهُـمْ جَبْرَا

وَقَدْ جَعَلُـوا عِيْـدًا لَـهُ يَـوْمَ صَـلْبِهِ فَكَمْ طَبَّـلُوا طَبْـلًا وَكَـمْ زَمَّـرُوا زَمْرَا

فَيَـا قَـوْمُ هَذَا يَـوْمُ أَحْـزَانِـكُمْ أَمَا لَدَيْكُـمْ عُقُوْلٌ تُفَـرِّقُ الْخَيْـرَ وَالشَّرَّا

تَقُـولُـونَ رَبٌّ ثُـمَّ قُلْتُـمْ عَبِيـدُهُ شِرَارُ الْوَرَى جَارُوا عَلَى ضَعْفِهِ جَوْرَا

أَلَا أَخْبِـرُوْنَا هَـلْ سَـمِعْتُمْ بِمَعْشَرٍ سِـوَاكُمْ رَأَوا فَي صَـلْبِ رَبِّـهِـمْ فَخْرَا

فَهَذَا اعْتِقَـادُ الْقَـوْمِ وَالْحَـقُّ أَنَّهُ دَعَـا رَبَّـهُ فَـــوْرًا فَخَـلَّصَـــهُ فَوْرَا

وَأَلْقَى عَلَى مَنْ خَـانَـهُ شَـبَهًا بِهِ فَكَـانَ هُوَ الْمَصْـلُوبُ إِذْ دَلَّـهُمْ غَدْرَا

وَأَمَّـا الْمَسِـيحُ الْحَقُّ فَاللَّهُ خَصَّـهُ بِرَفْعٍ إِلَيْـهِ حَيْثُ بِالْمُصْـطَفَى أَسْرَى

هَنِيْئًـا لَـهُ مِـنْ مُرْسَـلٍ عِنْـدَ رَبِّـهِ بِـأَهْنَئِ عَيْـشٍ لَا يَجُـوعُ وَلَا يَعْرَى

---

[1] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. القصيدة الرائية الكبرى في الكمالات الإلهية والسيرة النبوية ووصف الملة الإسلامية والملل الأخرى. ص٦١-٦٢.

وَأَكْـرَمَـهُ أَحْـلَى الْكَـرَامَـةِ بَعْـدَمَا قَضَـى مُرَّ عَيْـشٍ بَيْـنَ أَعْـدَائِهِ مُرَّا[1]

يتناصُ النَّبهَانِي في هذا النَّصّ الشِّعري القَصَصي معْ قِصَّةِ صَلبِ المَسيحِ، إذْ يَسردُ القِصَّةَ على لِسانِ النَّصَارَى كمَا وردَتْ في الإنجيلِ[2]، ثمَّ يقومُ بإثباتِ بُطلانِ هذهِ القِصَّةِ المُفبركةِ جملةً وتفصيلًا، مِنْ خِلالِ العَقلِ والمَنطقِ، وأخيرًا يأتِي بالدَّليلِ القُرآنِي الثَّابتِ على كِذبِهِمْ وافترائِهِمْ فِي هذهِ القِصَّةِ التَّاريخيَّةِ[3]، فيذكرُ ما وردَ في كتابِ اللهِ تعالَى مُتناصًّا معهُ دينيًّا مِنْ خِلالِ قولِهِ تعالَى في سُورةِ النِّساءِ :"**وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (١٥٦) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨) وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا**"[4]. فالآياتُ صريحةٌ وواضحةٌ في إنكارِ عقيدةِ الصَّلبِ الَّتِي روَّجَ لهَا اليهودُ بادِّعائِهِمْ قتلَ المَسيحِ عيسَى بنِ مريمَ _ عليهِ السَّلامُ _، وتصديقِ النَّصَارى لاعتقادِ اليَهودِ، والإيمانِ بِذلكَ واعتبارِهِ عقيدةً، ونَفي القُرآنِ الكريمِ لعقيدةِ الصَّلبِ، تكريمًا لعيسَى بنِ مريمَ _ عليهِ السَّلامُ _، إذْ رفعَهُ اللهُ إليهِ وكرَّمَهِ، وجعلَ المَصلوبَ مكانَهُ هوَ ذلكَ الجَاسوسُ الَّذِي دلَّ اليهودَ علَى مكانِ عيسَى _ عليهِ السَّلامُ _ إذْ دخلَ المَخبأَ قبلَهُمْ، فلَمْ يجدْ عيسَى _عليهِ السَّلامُ_ فِي المَخبأَ، ولكنَّ اليهودَ رأُوا صورةَ عيسَى في الجَاسوسِ وسحبُوهُ، وهوَ خائفٌ ومُنكرٌ أنَّهُ عيسَى _ عليهَ السَّلامُ _، ولكنَّ اليهودَ لمْ يُصدِّقُوهُ لأنَّهُمْ معروفونَ بالكذبِ فيحسبُونَ كلَّ النَّاسِ كاذبينَ مثلَهُمْ، وقدْ أشارَ إلى ذلكَ ابنُ كَثيرٍ عنِ الحَسنِ البَصري في رِوايتِهِ عنْ ابنِ إسحاقَ قالَ:(**... وَقَدْ أَمَرَ مَلِكُ اليهَودِ أَنَذَاكَ وَيُدعَى دَاودُ بنُ نُورَا فِي بَيتِ الْمَقدِسِ، أَمَرَ اليهُودَ بِقَتلِ عِيسَى _ عَلَيهِ السَّلامُ _ وَصَلْبِهِ فِي دَارِ بَيتِ الْمَقدِسِ أَمَامَ**

---

[1] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. القصيدة الرائية الكبرى في الكمالات الإلهية والسيرة النبوية ووصف الملة الإسلامية والملل الأخرى. ص٦٢-٦٥.

[2] انظر: ماضي، عيسى محمد علي. يوسف النبهاني الشاعر الفلسطيني الرائد. ج٢. ٣٠٩-٣١٠.

[3] انظر: المصدر نفسه. ص٣١٢.

[4] سورة النساء. الآيات رقم: ١٥٦-١٥٨.

أَتْبَاعِهِ؛ لِيَكُونَ عِبْرَةً لَهُمْ، وَذَلِكَ عَشِيَّةَ الجُمُعَةِ لَيْلَةَ السَّبْتِ، فَلَمَّا حَانَ وَقْتُ خُرُوجِهِمْ أَلْقَى اللهُ شَبَهَهُ عَلَى أَحَدِ الْحَاضِرِينَ مِمَّنَ أَلْقَى عَلَيهِ، أَيْ دَلَّ اليهُودَ عَلَيهِ، ظَانّينَ أَنَّهُ هُوَ، وَأَمَّا عِيسَى _ عَلَيهِ السَّلامُ _ فَرَفَعَهُ اللهُ إِلَيهِ مِنْ سَاحَةِ البَيتِ الَّذِي فِيهِ الرُّوْزَنَةُ إِلَى السَّمِاءِ، وَأَهْلُ الْبَيتِ يَنْظُرُونَ، دُونَ أَنْ يَتَكَلَّمُوا، وَحِيْنَمَا دَخَلَ الشُّرطُ وَجَدُوا ذَلِكَ الشَّابَّ الَّذِي أَلْقَى اللهُ الشَّبَهَ عَلَيهِ بَينَ الحُضُورِ، فَأَخَذُوهُ ظَانّينَ أَنَّهُ عِيسَى _ عَلَيهِ السَّلامُ _، فَقَتَلُوهُ، ثُمَّ صَلَبُوهُ، وَوَضَعُوا الشَّوكَ عَلَى رَأْسِهِ إِهَانَةً لَهُ، وَسَلَّمَ لِلْيهُودِ عَامَّةُ النَّصَارَى الَّذِينَ لَمْ يُشَاهِدُوا رَفْعَ عِيسَى _ عَلَيهِ السَّلامُ _ إِلَى السَّمَاءِ، وَلَمْ يُصَدِّقُوا أَهْلَ الْبَيتِ، بَلِ اعْتَقَدُوا بِقَتْلِهِ وَصَلْبِهِ عَلَى يَدِ اليَهُودِ، وَضَلُّوا بِهَذَا الافْتِرَاءِ الَّذِي صَنَعَهُ الْيَهُودُ، وَصَدَّقَهُ النَّصَارَى مُنْكِرِينَ رِوَايَةَ أَهْلِ الْبَيتِ مِنَ الْحَوارِيينَ أَتْبَاعِ عِيسَى _ عَلَيهِ السَّلَامُ _)[1]، ويستهجنُ النَّبهَانِي في نصّهِ الشِّعريِ ومشهدُ التَّناصِ القَصَصي التَّاريخِي ما يفتريهِ النَّصَارَى على نبِي اللهِ عيسَى _ عليهِ السَّلامُ_ فالمنطقُ والعقلُ يرفضانِ روايتِهِم، فكيفَ يقبلُ اللهُ أنْ يقومَ أعداؤهُ مِنَ اليَهودِ بقتلِ نبيًّا مقرَّبًا إليهِ كَعيسَى _ عليهِ السَّلامُ _ ثمَّ إنْ كانَ عيسَى ابنَ اللهِ على حدِّ زعمِهِم، فأيُّ أبٍ يقبلُ أنْ يُقتلَ ابنُهُ، ولا يمنعُ ذلكَ القتلِ، وهوَ القادرُ على كُلِّ شَيءٍ، وأيَّ قومٍ يَفتخرونَ بمقتلِ نبيِّهِمَ على يدِ العدوِ، ويتَّخذُونَ ذلكَ اليومَ الحزينَ عيدًا لهُم، إنَّ هذهِ الأفعالَ كلَّهَا تُدينَهُم، بلْ تجعلُهُمْ مَحلَّ سُخريَّةٍ واستهزاءٍ، فالمنطقُ لا يقبلُ ذلكَ، والعقلُ لا يرضَاهُ، أمَّا النَّصَارى فقد~ تَجاوَزُوا الحدودَ فِي عقيدتِهِمْ، وصدَّقُوا اليهودُ في قصَّةِ قتلِ المَسيحِ وصَلْبِهِ، تلكَ الفَريةُ الكُبرَى، إذْ وردَ فِي كتابِهِم المُقدَّسِ فِي إنجيلِ لوقَا قولَهُ:(**وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ إِذَا جَمْعٌ، وَالَّذِي يُدْعَى يَهُوذَا، أَحَدُ الاِثْنَيْ عَشَرَ، يَتَقَدَّمُهُمْ، فَدَنَا مِنْ يَسُوعَ لِيُقَبِّلَهُ. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «يَا يَهُوذَا، أَبِقُبْلَةٍ تُسَلِّمُ ابْنَ الإِنْسَانِ؟» فَلَمَّا رَأَى الَّذِينَ حَوْلَهُ مَا يَكُونُ، قَالُوا: «يَا رَبُّ، أَنَضْرِبُ بِالسَّيْفِ؟» وَضَرَبَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ عَبْدَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ فَقَطَعَ أُذْنَهُ الْيُمْنَى. فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ: «دَعُوا إِلَى هَذَا!» وَلَمَسَ أُذْنَهُ وَأَبْرَأَهَا. ثُمَّ قَالَ يَسُوعُ لِرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَقُوَّادِ جُنْدِ الْهَيْكَلِ وَالشُّيُوخِ الْمُقْبِلِينَ عَلَيْهِ: «كَأَنَّهُ عَلَى لِصٍّ خَرَجْتُمْ بِسُيُوفٍ**

[1] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. قصص الأنبياء. ص٧١٢. تح: مصطفى عبد الواحد. مكتبة الطالب الجامعي. مكة المكرمة. العزيزية. ط٣. (١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م).

وَعِصِيّ! إِذْ كُنْتُ مَعَكُمْ كُلَّ يَوْمٍ فِي الْهَيْكَلِ لَمْ تَمُدُّوا عَلَيَّ الأَيَادِيَ. وَلَكِنَّ هَذِهِ سَاعَتُكُمْ وَسُلْطَانُ الظُّلْمَةِ.» فَأَخَذُوهُ وَسَاقُوهُ وَأَدْخَلُوهُ إِلَى بَيْتِ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ. وَأَمَّا بُطْرُسُ فَتَبِعَهُ مِنْ بَعِيدٍ[1]... فَأَخَذَ عَسْكَرُ الْوَالِي يَسُوعَ إِلَى دَارِ الْوِلاَيَةِ وَجَمَعُوا عَلَيْهِ كُلَّ الْكَتِيبَةِ، فَعَرَّوْهُ وَأَلْبَسُوهُ رِدَاءً قِرْمِزِيًّا، وَضَفَرُوا إِكْلِيلاً مِنْ شَوْكٍ وَوَضَعُوهُ عَلَى رَأْسِهِ، وَقَصَبَةً فِي يَمِينِهِ. وَكَانُوا يَجْثُونَ قُدَّامَهُ وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِ قَائِلِينَ: «السَّلاَمُ يَا مَلِكَ الْيَهُودِ!» وَبَصَقُوا عَلَيْهِ، وَأَخَذُوا الْقَصَبَةَ وَضَرَبُوهُ عَلَى رَأْسِهِ. وَبَعْدَ مَا اسْتَهْزَأُوا بِهِ، نَزَعُوا عَنْهُ الرِّدَاءَ وَأَلْبَسُوهُ ثِيَابَهُ، وَمَضَوْا بِهِ لِلصَّلْبِ[2] ... فَخَرَجَ وَهُوَ حَامِلٌ صَلِيبَهُ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ «مَوْضِعُ الْجُمْجُمَةِ» وَيُقَالُ لَهُ بِالْعِبْرَانِيَّةِ «جُلْجُثَةُ،» حَيْثُ صَلَبُوهُ، وَصَلَبُوا اثْنَيْنِ آخَرَيْنِ مَعَهُ مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَا، وَيَسُوعُ فِي الْوَسْطِ. وَكَتَبَ بِيلاَطُسُ عُنْوَانًا وَوَضَعَهُ عَلَى الصَّلِيبِ. وَكَانَ مَكْتُوبًا: «يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ مَلِكُ الْيَهُودِ.» فَقَرَأَ هَذَا الْعُنْوَانَ كَثِيرُونَ مِنَ الْيَهُودِ، لأَنَّ الْمَكَانَ الَّذِي صُلِبَ فِيهِ يَسُوعُ كَانَ قَرِيبًا مِنَ الْمَدِينَةِ. وَكَانَ مَكْتُوبًا بِالْعِبْرَانِيَّةِ وَالْيُونَانِيَّةِ وَاللاتِينِيَّةِ. فَقَالَ رُؤَسَاءُ كَهَنَةِ الْيَهُودِ لِبِيلاَطُسَ: «لاَ تَكْتُبْ: مَلِكُ الْيَهُودِ، بَلْ: إِنَّ ذَاكَ قَالَ: أَنَا مَلِكُ الْيَهُودِ!» أَجَابَ بِيلاَطُسُ: «مَا كَتَبْتُ قَدْ كَتَبْتُ»[3]. وبهذَا فإنَّ النَّبهَانِي يؤكِّدُ مِنْ خِلالِ التَّناصِ التَّاريخِي القَصَصي على أهمِّيَّةِ الإشارةِ إلى عَقيدةِ النَّصَارَى الخَاطئةِ في قِصَّة صَلبِ المَسيحِ، والتَّأكيدِ مِنْ خِلالِ الإشارةِ الدِّينيَّةِ في كتابِ اللهِ تعالَى على أنَّ المَسيحَ قدْ رفعَهُ اللهُ إلى السَّماءِ، وبشهادةِ أهلِ البيتِ مِنَ الحَواريِّينَ الَّذِينَ تمَّ تَكذيبُهُم، كمَا تمَّ تَكذيبُ الدُّعاةِ المُخلصينَ في كلِّ مكانٍ وزمانٍ.

٣. **المشهدُ الثَّالثُ:** يتحدَّثُ النَّبهَانِي في هذا المَشهدِ عنْ حُكمِ المَماليكِ لِمِصرَ وشمالِ إفريقيا وبلادِ الشَّامِ، وكيفَ كانَ حُكمُهُمْ ظلمًا وطُغيانًا في مُعظمِ العُصورِ، وقدْ قاربَ حكمِ النَّصَارَى، بلْ كانَ هُناكَ اتِّفاقٌ بينَهُمْ ضدَ الخِلافةِ العَبَّاسيَّةِ في بَغدادَ، كمَا أنَّهُ يُشبِّهُهُم بسببِ حكمِهِم الظَّالمِ والطَّاغوتِي بالفَراعنةِ الَّذِينَ حكمُوا مصرَ في عَصرِ مُوسَى _ عليهِ السَّلامُ _ وبَنِي إسرائيلَ، وفي ذلكَ يقولُ النَّبهَانِي.

---

[1] الكتاب المقدس. إنجيل لوقا. الإصحاح رقم: ٢٢. ص٤٧-٥٤.

[2] المصدر نفسه. إنجيل متى. الإصحاح رقم: ٢٧. ص٢٧-٣١.

[3] المصدر نفسه. إنجيل يوحنا المعمدان. الإصحاح رقم: ١٩. ص١٧-٢٢.

وَكَمْ كِانِ حُكَّامُ الْمَمَالِيكِ قَبْلَنَا فَـرَاعِنَةً جَـارُوا عَلَى رُسُـلِهِمْ جَوْرَا
تَذَكَّـرْ خَلِيلَ اللهِ وَاذْكُـرْ كَلِيمَهُ وَأَسْـبَاطَ إِسْـرَائِيلَ إِذْ سَـكَنُوا مِصْرَا
تَذَكَّـرْ حَبِيـبَ اللهِ قَبْـلُ بِمَـكَّةَ وَلَا تَنَسى عِيسَى وَالْحَوارِيّنَ وَالْعَذْرَا
فَيَمْتَحِنُ الْأَحْبَـابَ جَـلَّ جَلَالَهُ وَيَسْـتَدرِجُ الْأَعْـدَاءَ يُمْلِي لَهُمْ مَكْرَا[1]

يتناصُ النَّبهَانِي هُنا معْ قِصَّةٍ تاريخيَّةٍ تتعلَّقُ بحُكمِ المَماليكِ لِمصرَ بعدَ وفاةِ المَلكِ الصَّالحِ الأيوبِي (ت:١٢٤٩م)، واستلامِ زوجتِهِ شجرةِ الدُّرِّ (ت:١٢٥٧م) حكمَ مصرَ، وزواجِهَا بقائدِ الجيشِ المملوكيِ عزْ الدِّينِ أيبك باشا (ت:١٢٥٧م) الَّذِي حكمَ مصرَ وشمالِ إفريقيا وبلادِ الشَّامِ، وكونُهُ لم يكنْ عربيًّا فقدْ كانَ حكمُهُ عنصريًّا ضدَّ العَربِ، وقدْ جارَ بالحُكمِ، وتلكَ أحداثُ القِصَّةِ وظلمِ المَمَاليكِ في مصرِ[2].

وقدْ أوردَ هذهِ القصَّةَ ابنُ إياسٍ (ت:١٥٢٤م) في كتابِهِ:(بدائعِ الزُّهورِ في رَوائعِ الدُّهورِ)، (... **إِذْ إِنَّ مَرَضَ المَلكِ المُرتضَى الصَّالحِ أَيوبٍ جعلَ المَماليكَ الَّذِينَ جَلبَهُم مِن تُركيَّا وَالأَناضُولِ؛ لِتكوينِ جَيشٍ مِنهُم، يَتَحكَّمُونَ فِي النَّاسِ مِن أجلِ الوصُولِ إِلى الحُكمِ، فَوَضعَ ابنَ أَخيهِ تُوران شاهْ[3] حَاكِمًا عَلَى مِصرَ، وهَذا لَم يُرضِ شَجرَةَ الدُّرِّ _ زَوجةِ المَلكِ الصَّالحِ بنِ أيوبٍ _ فانتَظَرَتْ حتَّى تَوفِي المَلكُ الصَّالِحُ، فَتَآمَرَتْ مَعْ قَائِدِ الجَيشِ المَملوكِي عِزِّ الدِّين أَيبكَ، الَّذِي قَامَ بِقَلْبِ النِّظامِ، وَقَتَلَ تُوران شاهْ، وَأصبَحَت شَجرةُ الدُّرِّ مَلكةً عَلَى مِصرَ رُغمَ اعتِراضِ الخَلِيفةِ العَبَّاسِي المستعصمِ بِاللَّهِ[4] عَلَى تَوَلِّى امْرأَةٌ الحُكمَ فِي مِصرَ، وَتَزَوَّجَ عِزُّ الدِّينِ أَيْبَكَ شَجرةَ الدُّرِّ فَأَصبحَ الحَاكِمَ الفِعلِي لِمِصرَ وَالمَناطقِ التَّابِعةِ لِدَولةِ الأيّوبيينَ فِي شَمالِ**

---

[1] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. القصيدة الرائية الكبرى في الكمالات الإلهية والسيرة النبوية ووصف الملة الإسلامية والملل الأخرى. ص٩٨_٩٩.

[2] منير، عمرو عبد العزيز. ثورات مصر الشعبية، ص١٠٥-١٠٧. الهيئة العامة للكتاب, القاهرة. ط١. ٢٠١٥.

[3] توران شاه: آخر سلاطين الدولة الأيوبية الأولى في مصر وشمال أفريقيا وبلاد الشام تولى الحكم بعد وفاة الملك الصالح الأيوبي لمدة عام، إذ تم اغتياله على يد قائد المماليك بالتآمر مع أرملة عمه شجرة الدر سنة ١٢٥٠م.

[4] **المستعصم بالله:** أخر خليفة عباسي، قضى ميتا تحت حوافر الحيوانات نتيجة هجمات التتار، وإسقاط الخلافة العباسية في آخر معاقلها بغداد سنة ١٢٥٨، وقد حكم المستعصم بعد وفاة والده المستنصر بالله ما بين عامي (١٢٤٢-١٢٥٨م).

إِفْريقيَا وَبِلادِ الشَّامِ، وَهَكَذا بَدأَ حُكمُ المَماليكِ فِي مِصرَ بِسيطرةِ عِزِّ الدِّينِ أَيبكَ بَاشا الَّذِي أَصبحَ حَاكمًا بَدلَ زَوجتِهِ شَجرةِ الدُّرِّ الَّتِي تَنازَلَتْ عَنِ الحُكْمِ لهُ بِسببِ رَفضِ الخَليفةِ لِذلِكَ، وَحدُوثِ احتِجَاجَاتٍ عَارِمَةٍ مِن المُهَمَّشينَ وَالحَرافيشِ[1] الَّذينَ قَادُوا تِلكَ الثَّوراتِ وَالاحتِجَاجاتِ، وَلمَّا عَلِمَتْ شَجَرةُ الدُّرِّ بِمُخطَّطِ عِزِّ الدِّينِ أَيبكَ بِالزَّواجِ مِن ابنةِ أَميرِ المُوصِلِ خَطَّطَتْ لِقَتلِهِ بِالتَّعاونِ معِ السَّلطانِ قُطُز، إِلَّا أَنَّ عِزَّ الدِّينِ أَيبكَ رَتَّبَ لاغتِيالِ الأَميرِ قُطُز بعدَ عَودتِهِ مِن انتصارِهِ عَلى التَّتَارِ فِي مَعركةِ عَينِ جَالوتَ، خَوفًا مِن تَآمُرِهِ مَعْ شَجَرةِ الدُّرِّ لِإزاحَةِ أَيبكَ عَنِ الحُكمِ، وِفعلًا تَمَّ اغْتيالُ الأَميرِ قُطُز، واستبعادِ الظَّاهرِ بِيبرسَ عَنِ الجَيشِ بِعَزلِهِ وَفَرضِ إِقَامَةٍ جَبرِيَّةٍ عَلَيهِ...)[2].

(... وَمَع ظُهورِ صَلاحِ الدِّينِ الأَيّوبِي فِي بِلادِ الشَّامِ، بَدأَ أَهلُ مِصرَ يَسْتَبشرُونَ خَيرًا، بِتَحريرِ مِصرَ مِنْ قَبضَةِ المَماليكِ، وَعَودةِ حُكمِهَا إِلى الأُسْرَةِ الأَيوبيَّةِ[3]، إِلَّا أَنَّ النَّاصرَ صَلاحَ الدِّينِ لَمْ يَتمَكَّنْ مِنْ هَزيمةِ أَيبكَ بِيك، رُغمَ شُيوعِ خَبرٍ بِهَزيمتِهِ وَفَرَحِ أَهلِ مِصرَ بِذلكَ، إِذْ عَادَ عِزُّ الدِّينِ أَيبكَ وَانتَقَمَ مِنْ أَهلِ مِصرَ بِالتَّعذِيبِ وَالْقَتلِ)[4]، وهذَا كلُّهُ قدْ رسمَهُ النَّبهَانِي في إشارتِهِ إلى حُكمِ المَماليكِ الظَّالمِ الَّذِي يشبِّهُهُ بحكمِ الفَراعنةِ أيَّامَ موسَى _ عليهِ السَّلامُ _، وتعذيبِهِمْ لأسباطِ بَنِي إسرائيلَ، وحكمِ قُريشٍ في بدايةِ دَعوةِ الإسلامِ، وتعذيبِهِمْ للرَّسولِ ﷺ وصحابتِهِ، فهيَ إشاراتٌ تاريخيَّةٌ متقاربةٌ، ومتماثلةٌ في وجودِ دَعوتينِ مُتصارعتينِ على الحُكمِ، دعوةٍ ظالمةٍ، ودعوةٍ مظلومةٍ، وهذا ماضٍ إلى يومِ القِيامةِ.

---

[1] **المهمّشون والحرافيش:** جماعة مصرية نشطت في عصر المماليك بسب إهمال الدولة لهم، وعدم تشغيلهم، فأصبحوا خارجين عن القانون، وشكلوا جماعة ثائرة، وقاموا باحتجاجات تطالب بالحصول على حقوقهم في العمل والخدمة، والعيش الكريم. وهناك رواية كتبها نجيب محفوظ الروائي المصري المعروف (ت:٢٠٠٦م) تحمل اسم الحرافيش للدلالة عليهم.

[2] ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي (أبو البركات). بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج١. ق١. ص٢٧٩-٢٨٦. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ط٥. ٢٠١٣م.

[3] المصدر نفسه. ص٥٣٨-٥٤٠.

[4] منير، عمرو عبد العزيز. ثورات مصر الشعبية. ص١٠٧.

٤. **المشهدُ الرَّابعُ:** يتحدَّثُ النَّبهَانِي عَنْ دُعاةِ الإصلاحِ الدِّينِي الَّذِينَ انتشرُوا في أواخرِ حكمِ الدَّولةِ العُثمانيَّةِ وأوائلِ حكمِ الاستعمارِ الغَربي، إذْ ينسبُ إليهِم تَاريخيًّا قِصَصًا دالةً على دورِهِم الكبيرِ في هدمِ دَولةِ الخِلافةِ العُثمانيَّةِ، ومساعدةِ الاستعمارِ الغَربي في غَزوِهِ الفِكري والتَّبشرِي ثمَّ العَسكري في آخرِ المَطافِ، ويذكرُ مِنْ هؤلاءِ المُصلحينَ :(مُحمَّد رَشيد رِضَا، جمالِ الدِّينِ الأفغانِي، ومُحمَّد عبدُه، ومحمود شُكرِي الأَلُوسِي، وغيرِهِم)، فهوَ يَشِنُّ هجومًا كبيرًا عليهِمْ، ويكشفُ عنْ دَورِهِمْ المَشبوهِ في دعوتِهِمْ لإصلاحِ الدِّينِ ظَاهريًّا، وإفسادِهِ باطنيًّا[1]، ويُشيرُ إلى فِرقةٍ خرجَتْ عنِ الإمامِ عليِّ بنِ أبِي طالبٍ _ رَضِيَ اللهُ عنهُ _ عندَمَا قَبِلَ بالتَّحكيمِ فِي حربِهِ ضدَّ مُعاويةَ بنِ أبي سُفيانَ، إذْ يقولُ:

وَهَـا هُـمْ أَتُونَـا مِثْـلَ مَـا قَـالَ رَبُّنَا بَـأَوْصَـافِهِمْ فَـاعَجَبْ بِهِـمْ آيَـةً أَخْرَى

خَـوَارِجُ لَكِـنْ شَـيْخُهُمْ غَيْـرُ نَـافِـعٍ وَلَـكِنَّـــهُ قَـدْ كَـــــانَ أَزْرَقَ مُغْبَـرًّا

وَقَدْ جَاءَ فِي الْأَخْبَارِ وَصْفُ مُرُوقِهِمْ مِنَ الدِّيْنِ مِثْلَ السَّهْمِ مِنَ الْجِهَةِ الْأُخْرَى

بِفِعْلِ البُـرُوسْتَنْتِ اقْتَـدُوا بِاجْتِهَادِهِمْ لِقُـــولِ رَسُـــولِ اللهِ لَـــوْ دَخَلُـــوا جُحْرَا

أُوْلَئِـكَ قَـدْ أَلْغُـــوا زَوَائِـدَ دِيْنِـهِمْ وَقَدْ ضَـلَّلُوا فِي ذَلِـكَ الْقِـــسَّ وَالْحَبْـرَا[2]

يتناصُ النَّبهَانِي في هذا النَّصِّ الشِّعرِي مِنْ خِلالِ ذكرِهِ لمشاهدَ قَصَصيَّةٍ تَاريخيَّةٍ عدَّة، إذْ يذكرُ دعاةَ الإصلاحِ الدِّينِي الَّذِينَ أَفسدُوا الدِّينَ، وينعتُهُمْ بِالخَوارجِ الَّذِينَ كانُوا في صفِّ عليِّ بنِ أبِي طالبٍ _ رَضِيَ اللهُ عنهُ _ فِي قتالِهِ ضدَّ معاويةَ بنِ أبِي سُفيانَ، ولمَّا قَبلَ بِالتَّحكيمِ لإنهاءِ الفِتنةِ بينَ المُسلمينَ، خَرجُوا علَى عليٍّ _ رَضِيَ اللهُ عنهُ _ وخذلُوهُ، وقدْ أشارَ إلى شَيخِ دُعاةِ الإصلاحِ الَّذِي لا فائدةَ منهُ، وليسَ يشبهُ عليًّا _ رَضِيَ اللهُ عنهُ _، كمَا يدعمُ قولَهُ في حقِّ دُعاةِ الإصلاحِ الدِّينِي

[1] انظر: ماضي، عيسى محمد علي. يوسف النبهاني الشاعر الفلسطيني الرائد. ج٢. ص٣٤٤.

[2] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. الرائية الصغرى في ذم البدعة ومدح السنة الغرا. ص٢٠٣.

بتشبيههِمْ بِالخوارجِ مِنْ خلالِ أدلَّةٍ شَرعيَّةٍ نقليَّةٍ بِالإشارةِ إلى حَديثِ رَسولِ اللهِ ﷺ، الَّذِي يرويهِ البُخارِي عنْ عليِّ بنِ أَبي طالبٍ _ رَضِيَ اللهُ عنهُ _، إذْ يقولُ :(**إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: سَيَخْرُجُ قَوْمٌ آخِرَ الزَّمَانِ، أَحْدَاثُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ قَوْلِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ، لَا يُجَاوِزُ إِيْمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَومَ الْقِيَامَةِ**)[1]. وفي هذا يتناصُ النَّبهَانِي دينيًّا مع الحَديثِ الشَّريفِ الَّذِي يصفُ دعاةَ الإصلاحِ الدِّينِي بالمَارقينَ على الدِّينِ مُروقَ السَّهمِ مِنَ الرَّميَّةِ، وتحذيرَ الرَّسولِ ﷺ منهُمْ، بلْ دعوتَهُ لقتلِهِمْ لِشِدَّةِ خُطورتِهِمْ علَى الدِّينِ، وربَّمَا ذلكَ لِأَنَّهُمْ قصدُوا تَمزيقَ الأمَّةِ بعدَ وَحدتِها المَفروضةِ.

ويُشيرُ في مشهدٍ آخرَ إلى طائفةٍ مِنْ طوائفِ النَّصَارَى نشطَتْ في بِريطانيَا، هيَ طائفةُ البرُوتستانَت الَّتِي تنادِي بفكرةِ الخَلاصِ وغفرانِ الخَطايَا بواساطةِ القِسِّ أوِ الرَّاهبِ، وذلكَ لِتسهيلِ ارتكابِ الذُّنوبِ علَى النَّاسِ، وهيُ طائفةٌ زادَتِ الانحدارَ والتَّحريفَ في العقيدةِ النَّصرانيَّةِ، ويُطلقُ عليهِم الإنْجيليينَ، وأشهرُ مؤسسيهَا (مارتن لوثر كينج) وهمْ كَالخَوارجِ في عصرِ الإسلامِ[2]، وأمَّا المشهدُ الأخيرُ فيتناصُ بِهِ النَّبهَانِي دينيًّا معْ حديثٍ شريفٍ آخرَ يتناولُ اتّباعَ بعضِ المُسلمينَ في آخرِ الزَّمانِ لليهودِ والنَّصارَى، شبرًا بشبرٍ وذراعًا بذراعٍ، إذ رَوى البُخارِي عنْ أبي سَعيدٍ الخَدَري _ رَضِيَ اللهُ عنهُ _ عنْ رَسولِ اللهِ ﷺ، قال:(**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبلِكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، قَالَ: فَمَنْ؟**)[3]. وهنَا كذلكَ يتناصُ دينيًّا معِ الحديثِ الشَّريفِ، وذلكَ دعمًا للقصَّةِ

---

[1] البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري. تح: مصطفى ذيب البُغا. ج٣. باب المناقب (٢٢). ص١٣٢١. رقم الحديث: ٣٤١٥.

[2] الخضري، حنا جرجس. (د.ت). المصلح مارتن لوثر (حياته وتعاليمه). ص١٤٧-١٤٩. دار الثقافة المسيحية. مطبعة دار الجيل . القاهرة. (د.ط).

[3] البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري. تح: مصطفى ذيب البُغا. ج٣. باب الأنبياء. (٥١). ص١٢٧٤. رقم الحديث: ٣٢٦٩.

التَّاريخيَّةِ المُتعلّقةِ بِالخَوارجِ الَّذِينَ شَبَّهَهُم النَّبهَانِي بدُعاةِ الإصلاحِ الدِّينِي في زمنِ تهاوي حكمِ الإسلامِ، وهجومِ الاستعمارِ الغَربِي على دَولةِ الإسلامِ العُثمانيَّةِ الَّتِي كانَتْ تُلقَّبث بالرَّجلِ المَريضِ. ثمَّ يؤكِّدُ علَى تَشبيهِ هَؤلاءِ الدُّعاةِ بفِرقةِ البرُوتِستانتِ الَّذِينَ حَرَّفوا دِينَ النَّصَارى، فأدَّى ذلكَ إلى وقوعِ القِسِّ والحَبرِ فِي الضَّلالِ والتِّيهِ، وهذا ما أكَّدَهُ مِنْ خِلالِ التَّجاوزاتِ الَّتِي قامُوا بهَا في حقِّ المَسيحِ _ عليهِ السَّلامُ _ ودينِهِ.

٥. **المشهدُ الخامسُ:** يتحدَّثُ النَّبهَانِي في هذا المَشهدِ عنِ الوهَّابيَّةِ الَّتِي ظهرَتْ في جزيرةِ العَربِ أوَّلَ حكمِ آلِ سُعودٍ، وقدْ أسَّسهَا الشَّيخُ مُحمَّدٌ بنُ عبدِ الوهَّابِ (ت:١٧٩٢م)، ونهجَ بهَا نهجَ السَّلفيَّةِ الدَّعويَّةِ، الَّتِي تدعُو إلى التَّوحيدِ، والابتعادِ عَنِ البِدعِ والخُرافَاتِ وتقديسِ أولياءِ اللهِ الصَّالحينَ، والتَّبرُّكِ بِقبورِهِمْ، فهاجَمَ النَّبهانِي هذهِ الدَّعوةَ ومؤسِّسَهَا وأصحابَهَا، وأشارَ إلى أنَّ نهجَ دُعاةِ الإصلاحِ الدِّينِي في مصرَ وبلادِ الشَّامِ يتَّفِقُ معْ مَا جاءَتْ بِهِ الدَّعوةُ الوهَّابيَّةُ في السعودية[١]، إذْ يقولُ:

وَأَعْجَبُ شَيْءٍ مُسْلِمٌ فِي حِسَابِهِ ... غَدَا قَلْبُهُ مِنْ حُبِّ خَيْرِ الْوَرَى صِفْرَا

أُوْلَئِكَ وَهَّابِيَّةٌ ضَلَّ سَعْيُهُمْ ... فَظَنُّوا الرَّدَى خَيْرًا وَظَنُّوا الْهُدَى شَرًّا

ضِعَافُ النُّهَى أَعْرَابُ نَجْدٍ جُدُودُهُمْ ... وَقَدْ أُوْرِثُوا عَنْهُمُ الزُّوْرَ وَالْوِزْرَا

مُسَيْلَمَةُ الْجَدُّ الْكَبِيرُ وَعُرْسُهُ ... سُجَاحٌ لِكُلٍّ مِنْهُمُ الْجَدَّةُ الْكُبْرَى

إِلَى اللهِ بِالْمُخْتَارِ لَمْ يَتَوَسَّلُوا ... لِأَنَّ لِكُلٍّ عِنْدَ خَالِقِهِ قَدْرَا

فَقَدْ وَرِثُوا الْكَذَّابَ إِذْ كَانَ يَدَّعِي ... بِأَنَّ لَهُ شَطْرًا وَلِلْمُصْطَفَى شَطْرَا

أَشَارَ رَسُولُ اللهِ لِلشَّرْقِ ذَمَّهُ ... وَهُمْ أَهْلُهُ لَا غُرُوَّ أَنْ أَطْلَعَ الشَّرَّا

[١] انظر: ماضي، عيسى محمد علي. يوسف النبهاني الشاعر الفلسطيني الرائد. ج٢. ص٣٦٠.

بِـهِ يَطْلَـعُ الشَّـيْطَانُ يَنْطَــحُ قَرْنَهُ رُؤُوسَ الْهُــدَى وَاللهُ يَكْسِــرُهُ كَسْرَا[1]

يتناصُ النَّبهانِي في هذا النَّصّ الشِّعرِي التَّاريخِي معْ قصَّةٍ تاريخيَّةٍ تتعلَّقُ بنشأةِ الوهَّابيَّةِ وعلاقتِهَا بالأحاديثِ الدَّالَّةِ على خُروجِ قرنِ الشَّيطانِ مِنْ نجدٍ، وإرجاعِهَا إلَى إصلِهَا بخُروجِ مُسيلمةَ الكذَّابِ مدَّعِي النُّبوَّةِ فِي أرضِ اليَمامةِ مِنْ جَزيرةِ العَربِ، وخُروجِ سُجاحٍ بنتِ الحارثِ كذلكَ مِنْ قبيلةِ تَميمٍ، فالحركةُ الوهَّابيَّةُ حركةٌ سلفيَّةٌ إصلاحيَّةٌ دينيَّةٌ ظهرَتْ في جَزيرةِ العَربِ وتحديدًا في نجدٍ منتصفِ القَرنِ الثَّامنَ عشرَ المَيلادي، وقدْ تَحالفَ مُؤسَّسُهَا مُحمَّدُ بنُ عبدِ الوهَّابِ معِ أميرِ الدِّرعيَّةِ مُحمَّدِ بنِ سُعودٍ (ت:١٧٦٥م) مؤسِّسِ المَملكةِ العَربيَّةِ السُّعوديَّةِ، واتَّفقَا على العملِ معًا في الإصلاحِ الدِّينِي في الجَزيرةِ العَربيَّةِ في الوقتِ الَّذِي أصبحَتْ فيهِ الدَّولةُ العُثمانيَّةُ تلفظُ أنفاسَهَا الأخيرةَ، وقدْ كانَ لهُمَا اليدُ الطُّولَى في فَصلِ الولايَاتِ عَنْ بعضِهَا والانفرادِ بجزيرةِ العَربِ لتأسيسِ المَملكةِ العَربيَّةِ السُّعوديَّةِ، كمَا كانَ لهُمُ دورٌ كبيرٌ في الثَّورةِ علَى الدَّولةِ العُثمانيَّةِ، والمُساهمةِ في تَمزيقِ الوحدَةِ الإسلاميَّةِ[2]. ويذكرُ النَّبهانِي متناصًّا معْ أفكارِهمَا الَّتِي أعلنَا عنهَا بتحريمِ التَّوسُّلِ للهِ عنْ طَريقِ رَسولِ اللهِ ﷺ، وتذكيرِهِمْ بسلَفِهِمْ مُسيلمةَ الكذَّابِ الَّذي ادَّعَى النُّبوَّةَ، والإشارةُ إلى أنَّ خُروجَهُمْ مِنْ نجدٍ علامةً دالَّةً على أنَّهُمْ أتباعُ الشَّيطانِ، ولِتأكيدِ ذلكَ احتجَّ بحديثِ رَسولِ اللهِ ﷺ الَّذِي أشارَ فيهِ إلى خُروجِ قرنِ الشَّيطانِ مِنْ نجدٍ، فقدْ رَوَى البُخَارِي فِي صحيحِهِ عَنْ عَبدِ اللهِ بنِ عُمرٍ _ رَضِيَ اللهُ عنهُ _، دعَا النَّبيُّ ﷺ قائلًا:**(اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَأْمِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمَنِنَا)، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَفِي نَجْدِنَا؟! قَالَ:(اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَأْمِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمَنِنَا)، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَفِي نَجْدِنَا؟! فَأَظُنُّهُ قَالَ فِي الثَّالِثَةِ:(هُنَاكَ الزَّلَازِلُ وَالفِتَنُ، وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ)**[3]. فالحديثُ يُشيرُ

[1] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. الرائية الصغرى في ذم البدعة ومدح السنة الغرا. ص٢٣٢-٢٣٣.

[2] الزركلي، خير الدين. الأعلام. ص٢٥٧. دار العلم للملايين. ط١٥. ٢٠٠٢م.

[3] البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري. ت: مصطفى ذيب البُغا. ج٦. باب الفتن. (١٦). ص٢٥٩٨. رقم الحديث: ٦٦٨١.

إلى دُعاءِ النَّبِيّ ﷺ للشَّامِ واليمنِ بالبَركةِ، وعدمِ الدُّعاءِ لنجدٍ الَّتِي هيَ مِنْ أرضِ الجَزيرةِ، وفيهَا الحِجازُ ومكَّةُ والمَدينةُ، إذْ يُشيرُ إلى وقوعِ الزَّلازلِ والفِتنِ فيهَا، وخُروجِ قرنِ الشَّيطانِ الدَّالّ علَى الفِتنِ أوْ ربَّمَا شَخصيَّةُ تدَّعِي الدِّينَ والإصلاحَ، وهذا مَا قصدَهُ النَّبهَانِي بالإشارةِ إلى خُروجِ مُحمَّدٍ بنِ عبدِ الوهَّابِ الدَّاعيةِ الإصلاحِي مِنَ نجدٍ، فهوَ بذلكَ يُفسِّرُ قصدَ النَّبِي ﷺ مِنْ قرنِ الشَّيطانِ بأنَّهُ الشَّيخُ مُحمَّدٌ بنُ عبدِ الوهَّابِ[1]، فالتَّناصُ هُنا تاريخِيٌّ قَصَصيٌّ دِيني، يَعرضُ قِصَّةَ ظُهورِ مُحمَّدٍ بنِ عبدِ الوهَّابِ كداعيةٍ دينيٍّ إصلاحِي، ثمَّ يستعرضُ تاريخَ ظهورِهِ واتِّفاقِهِ معْ مُؤسِّسِ المَملكةِ العَربيَّةِ السُّعوديَّةِ الأميرِ مُحمَّدٍ بنِ سُعودٍ، وأخيرًا يتناصُ دينيًّا معِ الحديثِ الشَّريفِ الَّذِي ذكرَ الفِتنَ، وذكرَ خُروجَ قَرنِ الشَّيطانِ مِنْ نجدٍ، وهوَ مَا قَصدَهُ النَّبهَانِي بمُحمَّدٍ بنِ عبدِ الوَهَّابِ.

ثالثًا: التَّناصُ التَّاريخِي باستدعاءِ الشَّخصيَّاتِ التَّاريخيَّةِ: الشَّخصيَّاتُ التَّاريخيَّةُ تلكَ الشَّخصيَّاتُ الَّتِي ذكرَهَا التَّاريخُ، وكانَتْ لهَا بصمَاتٌ واضحةٌ ومواقفُ مؤثِّرةٌ سلبًا أوْ إيجابًا، لذلكَ كانَ استدعاؤهَا مهمًّا فِي شعرِ يُوسُفِ النَّبهَانِي، سواءٌ ذكرَهَا معِ المَوقفِ الَّذِي قامَتْ بِهِ، أوِ الإشارةُ إليهَا في مِحورِ هذا المَوقفِ، وقدْ حرصَ النَّبهَانِي على استدعاءِ شَخصيَّاتٍ دينيَّةٍ وأدبيَّةٍ، وفي هذا السِّياقِ يَستدعِي شَخصيَّاتٍ تَاريخيَّةٍ لهَا دورٌ إيجابيٌّ في التَّاريخِ، ومواقفُ إيجابيَّةٌ كذلكَ، أوْ شَخصيَّاتٌ تاريخيَّةٌ لهَا دورٌ سلبيٌّ أوْ مَواقفُ سلبيَّةٌ مِنْ خِلالِ قصائدِهِ الطَّويلةِ فِي المَدحِ والوصفِ والهِجاءِ والرِّثاءِ، ومِنْ هذهِ الشَّخصيَّاتِ:

١. **الشَّخصيَّةُ الأولَى:** الخليفةُ العُثمانِي عبدُ الحميدِ الثَّانِي (ت:١٩١٨م) الَّذِي كانَ حاكمًا لِلمُسلمينَ جميعًا فِي دَولةِ الخِلافةِ العُثمانيَّةِ في آخرِ عهدِهَا، وقدْ كانَتْ تُدعَى الرَّجلُ المَريضُ، وقدْ استدعَى النَّبهَانِي شَخصيَّةَ الخَليفةِ عبدِ الحَميدِ الثَّانِي مادحًا

[1] انظر: ماضي، عيسى محمد علي. يوسف النبهاني الشاعر الفلسطيني الرائد. ج٢. ص٣٦٠.

ومفتخرًا بتلكَ الشَّخصيَّةِ الَّتِي كانَتْ تَحمِي بلادَ المُسلمينَ رَغمَ المُؤمراتِ الَّتِي حيكَتْ ضدَّهَا، ولَا شكَّ أنَّ مواقفَهُ كانَتْ مَحلَّ فَخرٍ واعتزازٍ[1]، وفِي ذلكَ يقولُ النَّبهَانِي:

أَجَلُّ الوَرَى عَبْدُ الْحَمِيدِ مَلِيكُنَا مُجَدِّدُ هَذَا الدِّينِ أَحْسَنُ تَجْدِيدِ

أَتَـى وَعِمَـادُهُ وَاهٍ لِحُكْـمِـهِ فَشَـيَّدَهُ بِالْحَـزمِ أَرْفَـعَ تَشْـيِيدِ[2]

يتناصُ النَّبهَانِي في هذا النَّصّ الشِّعرِي تاريخيًّا باستدعاءِ شَخصيَّةٍ مهمَّةٍ جدًّا في تَاريخِ الأمَّةِ الإسلاميَّةِ هيَ شَخصيَّةُ الخَليفةِ العُثمانِي عبدُ الحَميدِ الثَّانِي: الخليفةُ الثَّانِي بعدَ المئةِ مِنْ خلفاءِ الدَّولةِ العُثمانيَّة، والسُّلطانِ الرَّابعِ والثَّلاثونَ مِنْ سَلاطينِهَا. حكمَ بينَ العَامينِ (١٨٩١-١٩٠٨م)، ووقفَ في وجهِ المُؤمرَاتِ الَّتِي حِيكَتْ ضدَ الدَّولةِ العُثمانيَّةِ، ومنهَا: مؤامرةِ سيطرةِ اليهودِ على أرضِ فلسطينَ، إذْ جاءَهُ اليهودُ يَعرضُونَ عليهِ الأموالَ الكَثيرةَ مقابلَ تنازلِهِ عنْ أرضِ فلسطينَ لليهودِ فردَّ، قائلًا:(**إِنَّ عَملَ المِبضعِ فِي بَدَنِي لَأَهونُ عَليَّ مِنْ أَنْ أَرَى فِلسطينَ قَد بُتَرَتْ مِنَ الدَّولةِ الإِسْلَامِيَّةِ، فَإِنَّهُ أَمرٌ لَا يَكونُ، إِنِّي لَا أَسْتَطيعُ أَنْ أُوَافِقَ عَلَى تَشْرِيحِ أَجْسَادِنَا وَنَحْنُ عَلَى قَيْدِ الحَياةِ**). فكانَتِ المُؤامرةُ عليهِ بإحداثِ ثَوراتٍ وفِتَنٍ أدَّتْ إلى مَقتلِ المِئاتِ مِنَ الشَّعبِ والسِّياسيِّينَ والصَّحفيِّينَ، وحاصرَ الجيشُ قصرَ الخَليفةِ، وأجبرَهُ علَى المُغادرةِ معْ أُسرتِهِ بعدَ أنْ صدرَ قرارٌ مِنْ المَحكمةِ الدِّستوريَّةِ بِنفيهِ إلى جَزيرةِ (سَالونِيك) اليُونانيَّةِ سنةَ ١٩٠٨م[3]. وهكذَا أشارَ النَّبهَانِي إلى قدرةِ السُّلطانِ عبدِ الحَميدِ الثَّانِي على تَرميمِ الدَّولةِ في فَترةِ تصدُّعِهَا، وتجديدِهِ للدِّينِ علَى رأسِ المِئةِ المِيلاديَّةِ، علاوةً على مَواقفهِ البُطوليَّةِ، وخاصَّةً موقفُهُ مِنَ القَضيَّةِ الفِلسطينيَّةِ، وبهَذَا كانَ استدعَاؤهُ جديرًا بِذلِكَ.

---

[1] انظر: المصدر السابق. ص٦١٠.

[2] أبو الهُدى الصيادي الرفاعي. ديوان الفيض المحمدي والمدد الأحمدي. ص٦. تح: يوسف النبهاني. مطبعة الجوائب. القسطنطينية. ط١. ١٢٩٨هـ.

[3] عبد الحميد الثاني. كتاب السلطان عبد الحميد (مذكراتي السياسية: ١٨٩١-١٩٠٨). مؤسسة الرسالة. بيروت. ص٣٨. ط٢. ١٩٧٩م.

٢. **الشَّخصيَّةُ الثَّانيةُ:** يتناولُ النَّبهَانِي في نصِّهِ الشِّعرِي شَخصيَّةً عثمانيَّةً أخرَى هوَ السُّلطانُ العُثمانِي عبدُ المَجيدِ الثَّانِي (ت:١٩٤٤م) آخرُ سلاطينِ الدَّولةِ العُثمانيَّةِ، والَّذِي حاولَ إنعاشَهَا، فكانَتْ لهُ مواقفُ قريبةً مِنْ مواقفِ سَلفَهِ السُّلطانُ عبدُ الحَميدِ الثَّانِي، فقدْ ربطَ مدحَهُمَا ببعضِهِ، مُشيرًا إليهِمَا بِالنَّبيّينِ (داودَ وابنِهِ سليمانَ _ عليهِمَا السَّلامُ_)، إذْ قالَ:

وَذِكْـرُنَـــا عَبْـدَ الْمَجِيـدِ وَعَـدْلِـهِ فَقُلْنَـا سُـلَيْمَانُ أَتَـى بَعْــدَ دَاوُدِ

شَهِدْتُ وَلَمْ أَشْهَدْ عَلَى الْغَيبِ أَنَّهُ أَجَلُّ مُلُوكِ الأَرضِ بِالْعَدْلِ وَالْجُودِ[١]

يتناصُ النَّبهَانِي هنَا في هذا النَّصّ الشِّعرِي تاريخيًّا باستدعاءِ شخصيَّةٍ عثمانيَّةٍ أخرَى، إذْ يفتخرُ بهَا، وبعدلِهَا، فالخليفةُ العُثمانِي عبدُ المَجيدِ الثَّانِي الَّذِي حكمَ لعامينِ فقطْ (١٩٢٢-١٩٢٤)، وبعدَهَا تمَّ طردُهُ إلى فَرنسَا حيثُ تُوفّي فيهَا، وفِي عصرِهِ تمَّ إنشاءُ أوَّلِ غَوَّاصَةٍ فِي العَالمِ بأيدِي ألمانيَّةٍ، وربَّمَا لهذا السَّببُ قُضيَ عليهِ، ثمَّ أُلغِيتِ الخلافةُ الإسلاميَّةُ الَّتِي امتدَّتْ لثلاثةَ عشرَ قرنًا[٢]، فاستدعاءُ شخصيَّاتٍ تاريخيَّةٍ كهذِهِ مِنْ خِلالِ مَدحِهَا، والوقوفِ علَى مَواقِفِهَا وخدماتِهَا للأمَّةِ الإسلاميَّةِ هدفُهُ تذكيرُ الأمَّةِ بتلكَ الشَّخصيَّاتِ مِنْ خلالِ هذا التَّناصِ التَّاريخِي الهَادفِ إلى استدعاءِ شخصيَّاتٍ تَاريخيَّةٍ لهَا أثرُهَا فِي حَياةِ المُسلمينَ.

٣. **الشَّخصيَّةُ الثَّالثةُ:** يَستدعِي النَّبهَانِي في نصِّهِ التَّالِي شَخصيَّةً تاريخيَّةً ودينيَّةً في آنٍ واحدٍ، وهيَ شخصيَّةُ أبِي الهُدى الصَّيَّادِي (ت:١٩٠٩م)، شيخُ الصُّوفيَّةِ فِي الأستانةِ، إذْ كانَ الشَّيخُ المُقرَّبُ للخَليفةِ العُثمانِي عبدِ الحَميدِ الثَّانِي، فهوَ يَمدحُهُ ويُشيدُ بِهِ، قائلًا:

حَتَّى إِذَا احْتَجَبَتْ فِي الْأُفْقِ أَنْجُمُهُ وَغَيْهَبَ الْأُفْقُ فِي حُجُبٍ مِنَ السُّحُبِ

---

[١] أبو الهدى الصيادي الرفاعي. ديوان الفيض المحمدي والمدد الأحمدي. ص٧.

[٢] العزاوي، قيس جواد. الدولة العثمانية: قراءة جديدة لعوامل الانحطاط. ص٧٢-٧٤. الدار العربية للعلوم. بيروت. ط٢. ٢٠٠٣م.

حِـزْنَا فَلَمَّـا هَتَفْنَـا بِـاسْـمِ سَـيِّدِنَا أَبَا الهُدَى ضَاءَ نُورُ السَّـبْعَةِ الشُّهُبِ[1]

يتناصُ النَّبهَانِي في هذا النَّصِّ الشِّعرِي باستدعاءِ شَخصيَّةٍ تاريخيَّةٍ دينيَّةٍ، أُطلقَ عليهَا لقبُ صاحبُ السَّماحةِ والسِّيادةِ الأستاذُ الأكرمُ السَّيِّدُ مُحمَّدٌ أبو الهُدى الصَّيَّادِي الرِّفاعِي (١٨٤٩-١٩٠٩)، وهوَ مِنْ أعيانِ مدينةِ حلبِ السُّوريَّةِ، وقدْ اختارَهُ الخليفةُ عبدُ الحَميدِ الثَّانِي ليكونَ شَيخَهُ ومرجعيَّتَهُ الدِّينيَّةَ، ولهُ كُتُبٌ كثيرةٌ في تفسيرِ القُرآنِ الكريمِ والحَديثِ الشَّريفِ، والمَواعظِ[2]، واستدعاءُ شخصيَّةٍ كشخصيَّةِ أبي الهُدى الصَّيَّادِي يرَى فيهَا النَّبهَانِي تذكيرًا بفضلِهَا، وخاصَّةً أنَّهَا شخصيَّةٌ صُوفيَّةٌ، واختيارُ الخليفةِ عبدِ الحَميدِ الثَّانِي لهَا كَمرجعيَّةٍ دِينيَّةٍ، كذلكَ يؤكِّدُ علَى أهمِّيَّةِ هذهِ الشَّخصيَّةِ تاريخيًّا ودينيًّا؛ لذلكَ كانَ الاستدعاءُ التَّاريخِيُّ لهَا أمرًا مُهمًّا.

٤. **الشَّخصيَّةُ الرَّابعةُ:** يستدعِي النَّبهَانِي في نَصِّهِ الشِّعرِي التَّالِي شخصيَّةً تاريخيَّةً أدبيَّةً هيَ شخصيَّةُ أحمد فارسِ الشِّدياقِ (ت:١٨٨٧م) الَّذِي كانَ نَصرانيًّا مارونيًّا وأسلمَ فمدحَهُ النَّبهَانِي بقصائدَ عدَّة، إلَّا أنَّهُ بعدَ أنْ أيَّدَ دُعاةَ الإصلاحِ الدِّينِي شكَّ فِي إسلامِهِ، وعدَّهُ نفاقًا، وهناكَ أمرٌ خَفيٌّ وراءَ إسلامِهِ، فهاجمَهُ في شعرِهِ، وهجاهُ، ودعَا عليهِ، ومِنْ ذلكَ قولُهُ في هجائِهِ بعدَ وفاتِهِ:

يَا مَنْ رَحَلْتَ إِلَى الْجَحِيمِ مُسَوْكِرًا لَمْ يَبْقَ بَعْدَكَ لِلسَّـفَاهَـةِ بَاقِ

نَـــادَاكَ إِبْلِيـسُ اللَّعِيــنُ مُـؤَرِّخًا هَنِئْتُ بِأَحْمَدَ فَارِسِ الشِّدَيَاقِ[3]

يتناصُ النَّبهَانِي في هذا النَّصِّ الشِّعري باستدعاءِ شخصيَّةٍ سلبيَّةٍ في نظرِهِ، هيَ شخصيَّةُ أحمد فارسِ الشِّدياقِ (١٨٠٤-١٨٨٧)، مؤرِّخٌ وأديبٌ لبنانِيٌّ كانَ نَصرانيًّا مارونيًّا وأسلمَ، وألَّفَ العديدَ مِنَ الكُتُبِ فِي التَّاريخِ والأدبِ والصَّحافةِ، إذْ أصدرَ صَحيفةَ الجَوائبِ الَّتِي كانَتْ تصدرُ فِي إسطنبولَ، تنقَّلَ بينَ لِبنانَ وإسطنبولَ ودولِ

[1] مخطوطة في سفارة الأردن في بيروت، السفير أكرم زعيتر. (غير مرقمة). سنة ١٩٧٤م.

[2] نويهض، عادل. معجم المفسرين: من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر. ج٢. ص٥١٧. مؤسسة النويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر. بيروت. ط٣. ١٩٨٨

[3] ماضي، عيسى محمد علي. يوسف النبهاني الشاعر الفلسطيني الرائد. ج٢. ص٦١١.

أوروبَا، ثمَّ استقرَّ في آخرِ المَطافِ في مصرَ وتزوَّجُ فيهَا، ويُعدُّ صاحبُ الرّوايةِ العربيَّةِ الأولَى، ورُويَ أنَّهُ ارتدَّ عَنِ الإسلامِ فِي آخرِ عُمرِهِ، واعتنقَ المذهبَ البرُوتستانتِي، وهذا ما جعلَ النَّبهَانِي يؤكِّدُ علَى نفاقِهِ وزندقتِهِ، توفِي في إسطنبولَ، وكانَ مِنَ المُقرَّرِ دفنُهُ هناكُ، إلَّا أنَ والدَهُ طلبَ الإذْنَ بدفنِهِ فِي مقبرةِ العَائلةِ فِي جبلِ لِبنانَ[1]، وهذا ما أثارَ شُكوكَ النَّبهانِي فِي إسلامِهِ أكثرَ، فمِنَ الواجبِ دفنُهُ في قبورِ المُسلمينَ مَا دامَ مُسلمًا، إلَّا أنَّ والدَهُ الَّذِي كانَ أعلمَ بذلكَ أصرَّ علَى دَفنِهِ فِي قُبورِ النَّصارَى فِي جبلِ لِبنانَ. واستدعاءِ شَخصيَّةِ الشِّدياقِ تأتِي للتَّحذيرِ مِنْ هؤلاءِ المَارقينَ على الإسلامِ مِنْ غيرِ المُسلمينَ، الَّذِينَ يَنبهرُ بهِمِ المُسلمونَ أوَّلَ الأمرِ ثمَّ يَكتشفونَ أنَّهُمْ دخلُوا الإسلامَ ليفعلُوا أفعالَهُم القَبيحَةَ باسمِهِ، فيجعلونَ النَّاسَ تنفرُ منهُ، وهوَ مِنْ أفعالِهِم بَراءٌ. وللنَّبهَانِي قَصيدتانِ في مَدحِ أحمد الشِّدياقِ عندَ إسلامِهِ، ثمَّ إنَّهُ اكتشفَ أمرَهُ لمَّا أدخلَ على الإسلامِ مَا ليسَ فيهِ، وتبعَ أفكارَ دُعاةِ الإصلاحِ الدِّينِي (مُحمَّد رَشِيد رِضَا، وجَمالِ الدِّينِ الأفَغانِي، ومُحمَّد عبدُه)، فأخذَ يهاجمُهُ ويدعو عليهِ بالنَّصِّ الشِّعرِي الَّذِي ذكرنَاهُ آنفًا، ومِنْ مدحِهِ لهُ، قولُهُ:

وَأَحْرَزَ خَصْلَ السَّبْقِ فِي حَوْمَةِ الْعُلَا وَأَفكَــارُهُ كَانَتْ جِيَادًا مَذَاكِيَا

حَــلَاحِــلُ سَــمَّتْهُ الْمَعَــالِي بِفَارِسٍ فَجَرَّ مِنَ الْأَقْلَامِ سَيْرًا عَوَالِيَا[2]

وقيلَ إنَّهُ بالغَ فِي مدحِهِ، ثمَّ ندمَ عليهِ بعدَ ذلكَ، وهذا التِّيهُ الَّذِي عاشَهُ النَّبهَانِي في موقفِهِ مِنْ أحمد الشِّدياقِ جرَّ عليهِ نقدًا كثيرًا، فهوَ يمدحُهُ أوَّلَ الأمرِ ثمَّ يهجوهُ في آخرِهِ، وهذا يذكِّرُنَا بمَا فعلَهُ أميرُ الشُّعراءِ أحمد شوقِي الَّذِي مدحَ مُصطفَى كَمال أتاتورك (ت:١٩٣٨م) عندَمَا هزمَ جيشًا مِنْ جُيوشِ أوروبَّا، وهجاهُ عندَمَا أعلنَ إلغاءَ الخِلافةِ الإسلاميَّةِ، والقَضاءِ على وحدةِ المُسلمينَ.

[1] الجبوري، كامل سلمان.. معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢. ص٢٣٠. دار الكتب العلمية. بيروت. ط٢. ٢٠٠٣م.

[2] ماضي، عيسى محمد علي. يوسف النبهاني الشاعر الفلسطيني الرائد. ج٢. ص٦١٥-٦١٦.

٥. **الشَّخصيَّةُ الخامسةُ:** يستدعِي النَّبهَانِي في هذا النَّصّ الشِّعرِي شَخصِيّتينِ مَنبوذتينِ في شعرِهِ، وكذلكَ هُمَا مَنبوذتانِ عندَ المُسلمينَ جميعًا، **الأُولى:** شخصيَّةُ أَبِي جهلٍ (ت: ٦٢٤م)، **والثَّانيةُ:** شَخصيَّةُ عبدِ اللهِ بنِ أُبَي بنِ سَلولٍ (ت:٦٣١م)، ولكلٍّ منهُمَا مواقفُ ضدَّ الإسلامِ وأهلِهِ، فهوَ يُسقطُ هاتينِ الشَّخصيَّتينِ علَى أشخاصٍ في زمانِهِ، كَفرُوا باللَّهِ، أوْ نافقُوا المُسلمينَ، وهمْ ليسُوا بمسلمينَ، إذْ يقولُ في تلكُمَا الشَّخصيَّتينِ:

صَارَ فِي الشِّرْكِ فِي أَذَاهُ اشْتِراكٌ ... حِينَمَا لِلنِّفَاقِ مِنْهُ انْتِفَاءُ
كَمْ أَبُو جَهْلٍ اسْتَطَالَ عَلَى الدِّينِ ... وَكَمْ ذَا أَزِرَتْ بِهِ الْجُهَلَاءُ
وَلَكَمْ مِنْ ثِيَابِهِ ابْنُ سَلُولٍ ... شَاكَهُ مِنْ نِفَاقِهِ سَلَاءُ
مَا اغْتِرَارِي بِمَنْ تَلَوَّنَ مِنْهُمْ ... وَالْأَفَاعِي شَرُّهَا الرَّقْطَاءُ[1]

يتناصُ النَّبهَانِي في هذا النَّصّ الشِّعرِي تاريخيًّا باستدعاءِ شخصيَّتينِ تاريخيَّتينِ، كانَ لهُمَا دورٌ في فترةِ الدَّعوةِ الإسلاميَّةِ الأُولَى فِي مكَّةَ المُكرَّمةِ والمَدينةَ المُنوَّرَةِ، فشخصيَّةُ أَبِي جهلٍ (عمرِو بنِ هِشامٍ المُكنَّى بأبِي الحَكَمِ) مِنْ قَبيلةِ قُريشٍ، بلْ مِنْ كبارِهَا مِنْ بَنِي مَخزومٍ، وقدْ أظهرَ العِداءَ لرسولِ اللهِ ﷺ، فكانَ مِنْ أشدِّ المُشركينَ إيذاءً لرسولِ اللهِ ﷺ وصحبِهِ، وصاحبِ فكرةِ قتلِ الرَّسولِ ﷺ، وقدْ قُتلَ فِي معركةِ بدرٍ الكُبرى فِي السَّنةِ الثَّانيةِ للهِجرةِ[2]. أمَّا عبدُ اللهِ بنُ أُبَي بنُ سَلولٍ، فهوَ كَبيرُ منافقِي المَدينةِ المُنوَّرةِ، وكانَ أحدَ زُعماءِ الخَزرجِ، وعندَمَا وصلَ الرَّسولُ ﷺ إلى المَدينةِ المُنوَّرةِ كانَ قومُهُ يُعدِّونَهُ ليكونَ زعيمًا عليهِمْ، ولكنَّ وصولَ رَسولِ اللهِ ﷺ، وتسلُّمِهِ لحِكْمِ المَدينةِ المُنوَّرةِ بالإسلامِ، حالَ دونَ تَسلُّمِهِ لزَعامةِ قومِهِ، فاضطرَّ إلى اعتنَاقِ الإسلامِ ظاهريًّا، معْ إخفائِهِ لكفرِهِ، وقدْ كانَ يَعقدُ مُؤمراتٍ معْ يهودِ المَدينةِ مِنْ جهةٍ، ومعْ زَعاماتِ قُريشٍ فِي مكَّةَ المكرَّمةِ مِنْ جِهةٍ أُخرَى ضدَّ الرَّسولِ ﷺ والصَّحابةِ،

[1] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. المجموعة النبهانية في المدائح النبوية. مج١. ص٢٨٥-٢٨٦.

[2] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. السيرة النبوية . ج٢. ص٤٣٤-٤٣٧. تح: مصطفى عبد الواحد. دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت. لبنان. ط١. (١٣٩٦هـ-١٩٧٦م).

حتَّى لُقِّبَ بِرأسِ النِّفاقِ في المَدينةِ المُنوَّرةِ[1]، وهنَا يتناصُ النَّبهَانِي باستدعاءِ هذهِ الشَّخصيَّةِ المُنافقةِ لإسقاطِهَا على هَؤلاءِ الَّذِينَ يدَّعونَ الإصلاحَ الدِّينِي، وهمْ ينافقونَ الاستعمارَ، ويفَترُونَ على الإسلامِ، وقدِ ازدحمَتْ قِصَصُ التَّاريخِ بمثلِ هَؤلاءِ المُنافقينَ وأمثالِهِمْ.

[1] عياض، القاضي. مشارق الأنوار على صحاح الآثار. المكتبة العتيقة ودار الآثار. ج٢. ص٣٦١.

المَبحثُ الرَّابعُ

التَّناصُ التَّراثِي فِي شعرِ يُوسُفِ النَّبهَانِي

ظهرَ التَّناصُ التَّراثِي في شعرِ يُوسُفِ النَّبهَانِي مِنْ خلالِ الإشارةِ إلى الأَقوالِ المَأثورةِ والحِكَمِ والأمثالِ الشَّعبيَّةِ، واختفَتِ الشَّخصيَّاتُ التَّراثيَّةُ مِنْ شعرِهِ، فقدْ كانَ للجَانِبِ التَّراثِي الإسلامِي الحُضورُ الأبرزُ في شعرِهِ، وقليلًا مِنَ التَّراثِ العَربِي، وقدْ استدعَى أمثلةً شعبيَّةً كثيرةً دالةً علَى المَدحِ أوِ الهِجاءِ لشخصيَّاتٍ أسهبَ فِي مدحِهَا وهجائِهَا، فقدْ كانَ الغالبُ في مدحِهِ تناولَ المديحِ النَّبوي، والمَدحِ لشخصيَّاتٍ دينيَّةٍ وسياسيَّةٍ معروفةٍ، أمَّا الهِجاءُ فقدْ انصبَّ على اليهودِ والنَّصارَى والمُنافقينَ مِنَ العَربِ _ وعلَى رأيهِ _ دُعاةِ الإصلاحِ الدِّينِي ومَنْ سارَ على دربِهِمْ، وكانَ الهدفُ مِنَ استدعاءِ الأمثالِ الشَّعبيَّةِ إحياءً لهَا، وتَسهيلًا للتَّشبيهَاتِ الَّتِي يتداولُهَا النَّاسُ علَى ألسنِتِهِمْ بِسهولةٍ، أمَّا الأقوالُ المَأثورةُ والحِكَمُ فقدْ كانَ استدعاؤهَا إحياءً لهَا، وتذكيرًا بمَنْ قالهَا، وإثراءً لِلُّغةِ، واختصَارًا للوصفِ الطَّويلِ، والدَّلالةِ المَعنويَّةِ.

لذلكَ انقسمَ هذا المَبحثُ بتناولِهِ للتَّناصِ التُّراثِي إلى قِسمينِ، هُمَا:

أوَّلًا: التَّناصُ التُّراثِي معِ الحِكَمِ والأَقوالِ المَأثورةِ: الحِكَمُ مفردُهَا حِكْمَةٌ: وهيَ خُلاصةُ الجُهدِ الفكرِي الَّذِي يُصاغُ على شَكلِ كَلماتٍ مُختصرةٍ[1]، **والقَولُ المَأثورُ:** عبارةٌ موجزةٌ مختصرةٌ بليغةٌ، تحملُ في معانيهَا خبرةُ القائلِ في مَجالِ فلسفتِهِ الحَياتيَّةِ، أوْ مِنْ خلالِ تِجاربِهِ معِ الآخرينَ، والتَّفاعلِ معهُمْ، وربَّمَا يكونُ الحكيمُ شخصًا مِنْ وُجهاءِ القَومِ، أوْ رِجالاتِ الإصلاحِ العَارفينَ في مُجرياتِ الحَياةِ[2].

وقدْ وردَتِ الحِكَمُ والأقوالُ المأثورةُ في شِعرِ النَّبهَانِي، إذْ تناصَّ بهَا لإثباتِ مَسألةٍ أوْ فِكرةٍ أوْ إيصالِ رأي، في بعضِ قَصائدِهِ في المَديحِ النَّبوَي، والمَديحِ العَامِ، والوَصفِ، والهَجاءِ،

[1] وهبة، مجدي والمهندس، كامل. معجم المصطلحات الأدبية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان ناشرون، ص١٥٣. ط٢. ١٩٨٤م.

[2] المصدر نفسه. ص٣٠٠.

والرِّثاءِ، وكانَ التَّناصُ معهَا بنقلِ القَولِ المَأثورِ أوِ الحكمةِ نقلًا مباشرًا في القَالبِ الشِّعرِي، أوِ الإشارةِ إلى عبارةٍ وردَتْ فيهِ، أوْ معنًى يدلُّ عليهِ، ومِنَ النُّصوصِ الَّتِي وردَتْ فيهَا الحِكَمُ والأقوالُ المَأثورةُ في شعرِ النَّبهَانِي مَا يلي:

١. **النَّصُّ الأَوَّلُ:** يتحدَّثُ النَّبهَانِي فِي نصِّهِ الشِّعرِي عنِ الحَبيبِ والعدوِّ، فيُشيرُ إلى أنَّ الرَّسولَ ﷺ حبيبَهُ، وأنَّ الَّذِي يُعادِي حبيبَهُ فهوَ عَدوَّهُ، وهذَا قولٌ مأثورٌ، قالتْهُ شعراءُ العَربِ وحكماؤهَا قديمًا، إذْ يقولُ النَّبهَانِي:

مَنْ يُحِبُّ الْحَبِيبَ فَهْوَ حَبِيبُ وَعُدَاةُ الْحَبِيبِ هُمُ أَعْدَاءُ[١]

فقدْ تناصَّ النَّبهَانِي فِي هذا النَّصِّ الشِّعرِي المَأثورِ معِ الشَّاعرِ العَبَّاسِ بنِ الأحنفِ (ت:٨٠٩م) الَّذِي كانَ يُكثرُ مِنْ شعرِ الحِكَمِ والأمثالِ، فقدْ قالَ مُتَّفقًا مَعِ النَّبهَانِي:

تَوِدُّ عَدِوِّي ثُمَّ تَزْعُمُ أَنَّنِي صَدِيْقُكَ إِنَّ الرَّأْيَ مِنْكَ لَعَازِبُ[٢]

يتَّفقُ النَّصَّانِ في مَحبَّةِ الحَبيبِ ومُعاداةِ عدوِّ الحَبيبِ، إلَّا أنَّ نصَّ النَّبهَانِي كانَ صَريحًا واضحًا في اعتبارِ أنَّهُ يُحبُّ الرَّسولَ ﷺ، ويَعِدُّ أعداءَ الرَّسولِ ﷺ هُمْ أعداؤهُ، وهذا القَولُ المأثورُ، مفادُهُ أنَّ عُداوةَ عدوِّ الحَبيبِ أوِ الصَّديقِ واجبةٌ حتَّى تكونَ مَحبَّتُكَ لِحبيبِكَ أوْ صَديقِكَ صَادقةً مُخلصةً، والعَبَّاسُ بنُ الأحنفِ يَستنكرُ علَى صديقِهِ صداقتَهُ لهُ وادِّعاءَهُ بذلكَ، معْ مَودَّتِهِ لعدوِّهِ، فذلكَ زعمٌ واضحٌ أنَّكَ لستَ صديقًا لِي، والرَّأيُ الصَّوابُ يُشيرُ إلى أنَّكَ غيرُ مُتَّفقٍ معِي، ولسْتَ صَديقًا لِي في حُبِّكَ لعدوِّي.

٢. **النَّصُّ الثَّانِي:** يتحدَّثُ النَّبهَانِي في هذا النَّصِّ عَنِ العُسرِ واليُسرِ، وهُمَا أمرانِ مِنَ اللهِ _ عزَ وجلَّ _ ولكنَّهُمَا معْ رَسولِ اللهِ ﷺ يَتيسَّرانِ دائمًا، وإنَّ وقعَ العُسرِ فسريعًا

[١] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. المجموعة النبهانية في المدائح النبوية. مج١. ص٢١٢.

[٢] العباس بن الأحنف، أبو الفضل. ديوان أبي الفضل العباس بن الأحنف وآخره ديوان جمال الدين يحيى بن مطروح. ص١٠. مطبعة الجوائب. القسطنطينية. ط١. ١٢٩٨هـ.

ينجلِي، فقدْ ذكرَ هذينِ النَّقيضينِ للدَّلالةِ علَى مرورِ كلِّ إنسانٍ فيهِمَا، ولكنَّ الرَّسولَ ﷺ كانَ عسرُهُ يُسرًا، وهكذَا كلُّ مَنْ يقتدِي بِهِ ويَسيرُ عَلى سُنَّتِهِ، إذْ يقولُ النَّبهَانِي:

وَمَا كُلُّ مَعْنًى مِنْهُمَا مُتَيَسِّرٌ لِكُلِّ امْرِئٍ لَكِنْ مَعْ عُسْرِهِ يُسْرَا[1]

يتناصُ النَّبهَانِي في هذا النَّصِّ معْ نَصٍّ للشَّاعرِ بَهاءِ الدِّينِ زُهير (ت:١٢٥٨م) الَّذِي يُؤكِّدُ في نَصِّهِ الشِّعرِي علَى ضَرورةِ الإيمانِ بأنَّ بعدَ العُسرِ يسرًا، إذْ يقولُ:

إِذَا أَصْبَحْتَ فِي عُسْرٍ فَلَا تَحْزَنْ لَهُ وَافْرَحْ

فَبَعْـدَ الْعُسْرِ يُسْرٌ عَا جِلٌ وَاقْرَأْ (أَلَمْ نَشْرَحْ)[2]

ففِي نصِّ البَهاءِ زُهيرٍ اتِّفاقٌ معِ النَّبهَانِي أنَّ العُسرَ لا يعنِي نهايةَ المَطافِ للمُؤمنِ يسرا مُؤكَّدًا، بلْ إنَّهَا مرحلةٌ سريعةٌ تَسبقُ اليُسرَ، وهذا مَا انطبقَ علَى حَياةِ الرَّسولِ ﷺ، إذْ كانَ العُسرُ يمرُّ عليهِ سريعًا ليأتِي بعدَهُ اليُسرَ، فالبَهاءُ زهيرٌ يريدُ أنْ يُرسِّخَ مفهومِي اليُسرِ والعُسرِ كمَا وردَا في سُورةِ الشَّرحِ، في قولِهِ تعالَى:" **أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤) فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ (٧) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ**"[3]. وهذا الخِطابُ الرَّبَّانِي للرَّسولِ ﷺ هوَ خِطابٌ لأمَّتِهِ، بالتَّأكيدِ علَى أنَّ اللهَ شرحَ صدرَ رسولِهِ الكريمِ ﷺ لِيلهِمَهُ الصَّبرَ، ولا يَضعُ عليهِ ذنبًا، يرهقُهُ، ويُثْقِلُ ظهرَهُ، ليبقَى راغبًا في اللهَ تعالَى، متوكِّلًا عليهِ، لأنَّ بعدَ العُسرِ يأتيهِ اليُسرُ ويُسهِّلُ عليهِ الأمرَ. ولا بدَّ مِنَ الصَّبرِ في العُسرِ، والشُّكرِ عندَ اليُسرِ. وذلكَ هوَ الإيمانُ باللهِ وقضائِهِ وقدرِهِ.

---

[1] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. الرائية الصغرى في ذم البدعة ومدح السنة الغرا. ص١٩٧.

[2] البهاء زهير، بهاء الدين زهير.. ديوان بهاء الدين زهير. دار صادر. دار بيروت. لبنان. ص٧٠. (د.ط). (١٣٨٣هـ-١٩٦٤م).

[3] سورة الشرح.

٣. **النَّصُّ الثَّالثُ:** يتحدَّثُ النَّبهَانِي عنِ اختلافِ الأمَّةِ الإسلاميَّةِ، مُشيرًا إلى أنَّ اختلافَهَا رحمةٌ لهَا، إذْ يفتحُ بابَ الاجتهادِ، حتَّى الوصولِ إلى أيسرِ الأمورِ، فيقولُ في ذلكَ:

وَكُلُّ خِلَافٍ جَاءَ عَنْهُمُ فَإِنَّهُ لَنَا رَحْمَةٌ، مَعْ أَنَّهُ قَدْ أَتَى نَزْرَا[١]

يتناصُ النَّبهَانِي فِي هذا النَّصّ معْ قَولٍ مَأثورٍ مَنسوبٍ إلى رَسولِ اللهِ ﷺ، وينصُّ القَولُ المَأثورُ علَى :(**اخْتِلَافُ أُمَّتِي رَحْمَةٌ**)[٢]، ولكنَّ بعضَ علماءِ السَّلفِ قدْ ضَعَّفُوهُ، وأَوَّلوهُ إلَى :(**اخْتِلَافُ الْعُلَمَاءِ وَالْفُقَهَاءِ رَحْمَةٌ لِلْأُمَّةِ**)، ومهْمَا يكُنِ المَقصودُ فالقَولُ مأثورٌ عَنِ الصَّحَابةِ ومَنقولٌ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ _ رَضِيَ اللهُ عنهُ _ (ت:٦٨٧م)، وقدْ وردَ ذكرُهُ في الرِّسالةِ الأَشعريَّةِ للإمامِ البَيهقِي (ت:١٠٦٦م)، وأَوَّلَهُ علماءُ السَّلفِ كابنِ عُثيمينَ (ت:٢٠٠١م) فِي السُّعوديَّةِ بروايةِ :(**اخْتِلَافُ الْعُلَمِاءِ وَالْفُقَهَاءِ رَحْمَةٌ لِلأُمَّةِ**)[٣]، إلَّا أنَّ إشارةَ النَّبهَانِي إليهِ بنصِّهِ المَذكورِ فِي الرِّسالةِ الأشعريَّةِ يدلُّ علِى أنَّ هذا القَولُ مَأثورًا عَنْ أحدِ الصَّحَابةِ، وربَّمَا الَّذِي نسبَهُ إلى رَسولِ اللهِ ﷺ كانَ مُخطئًا. ويُعَدُّ القولُ المَنسوبُ إلى رَسولِ اللهِ ﷺ علَى لِسانِ أحدِ الصَّحَابةِ حَديثَ آحادٍ أوْ مَوضوعٍ، فيميلُ بعضُ العُلماءِ إلى اعتبارِهِ قولًا مأثورًا، إذا لمْ يخالفْ متنُهُ النُّصوصَ الشَّرعيَّةَ، وجاءَ مُتَّفقًا معهَا فِي أكثرِ مِنْ مَوضعٍ، لذلكَ فإنَّ تناصَ النَّبهَانِي معْ هذا القَولِ المَأثورِ ليسَ فيهِ عيبٌ.

٤. **النَّصُّ الرَّابِعُ:** يتحدَّثُ النَّبهَانِي في هذا النَّصّ الشِّعرِي عَنْ قولٍ مأثورٍ يتحدَّثُ عنْ سُنَّةِ الإتِّباعِ الحَتمِي لِرَسولِ اللهِ ﷺ، باعْتبارِ الحَديثِ المَروي أوِ القَولِ المَأثورِ إذَا صحَّ ووافَقَ حديثَ رَسولِ اللهِ ﷺ فهوَ مذهبُهُ ومتَّفِقٌ معهُ، وإنْ خالفَهُ فليضربُوا بِهِ عُرضَ الحَائطِ، إذْ يقولُ النَّبهَانِي:

---

[١] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. الرائية الصغرى في ذم البدعة ومدح السنة الغرا. ص١٩٧.

[٢] البيهقي في السنن الكبرى (١٦٢/٨). وفي شعب الإيمان (٤٣٠/١٥). وقد ضعّفه الألباني. ناصر الدين. في السلسلة الضعيفة والموضوعة . رقم الحديث (٩٨٩). (د. ت). (د. ت).

[٣] وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. المملكة المغربية. مقال بعنوان: هل اختلاف أمتي رحمة (حديث)؟. مجلة دعوة الحق. ع١٥٣. سنة: ١٩٥٧م. ص٤٠٠-٤٠٤.

إِذَا صَحَّ قَوْلُ الْمُصْطَفَى فَهْوَ مَذْهَبِي وَمَا قُلْتُهُ مِنْ قَبْلُ فَارْمُوا بِهِ الْجُدْرَا[1]

فالنَّبهَانِي يتناصُ في نصّهِ الشِّعرِي هذا الَّذِي يكشفُ عنْ أهمَّيَّةِ تَوافُقِ القَولِ الصَّادرِ عنِ العَالِمِ أوِ الفَقيهِ معْ قَولِ رَسولِ اللهِ ﷺ أوْ حَديثِهِ، فإذَا خالفَهُ فليضربُوا بِهِ عُرضَ الجِدارِ أوِ الحَائطِ؛ للدَّلالَةِ على رفضِهِ وعدمِ الأخذِ بِهِ لمُخالفتِهِ سنَّةَ رَسولِ اللهِ ﷺ، فلَا قولَ يعلُو علَى قولِ رَسولِ اللهِ ﷺ إلَّا القُرآنَ الكريمَ، وقدْ وردَ هذا القَولُ المَأثورُ على لِسانِ الإمامِ أَبي حَنيفةِ النُّعمانِ صاحبِ المذهبِ الحَنَفِي المَعروفِ (ت:٧٦٧م)، وقيلَ إنَّهُ قيلَ عَلى لِسانِ الإمامِ مُحمَّدٍ بنِ إدريسٍ الشَّافعِي صاحبِ المَذهبِ الشَّافعِي (ت:٨٢٠م)، إلَّا أنَّ الصَّوابَ أنَّ القائلَ الأوَّلَ للقولِ المَأثورِ هوَ الإمامُ أبو حَنيفةَ بنصّهِ التَّالِي، فقدْ قالَ:(**إِذَا صَحَّ هَذَا الْحَدِيثُ فَهُوَ مَذْهَبِي**)[2]، أمَّا قولُ الشَّافعِي فنصُّهُ :(**إِذَا صَحَّ الْحَدِيثُ بِخِلَافِ قَوْلِي، فَخُذُوا بِالْحَدِيثِ، وَاضْرُبُوا بِقَوْلِي عُرْضَ الْحَائِطِ**)، والمتأمّلُ فِي القَولينِ يجدُ أنَّهُمَا مُتَّفقَانِ، ولكنَّ قولَ الشَّافعِي جاءَ أقْوَى، وتناصَ النَّبهَانِي في نَصّهِ الشِّعرِي معْهُ، وليسَ معْ قولِ الإمامِ أبي حَنيفةِ النُّعمَانِ، وإنْ كانَ صدرُ النَّصّ الشِّعرِي يتَّفقُ معْ قولِ أَبِي حَنيفةَ تَمامًا، إلَّا أنَّ قولَ الشَّافعِي يَتناصُ ويتوافقُ معْ نصّ النَّبهَانِي الشِّعرِي بصدرِهِ وعَجُزِهِ، وبِالتَّالِي يكونُ التَّناصُ تامًّا مَعْ قولِ الإمامِ الشَّافعِي المَأثورِ، وجُزئيًّا مَعْ قولِ الإمامِ أَبِي حَنيفةَ النُّعمانِ المَأثورِ وصاحبِ السَّبْقِ.

٥. **النَّصُّ الخامسُ:** يتحدَّثُ النَّبهَانِي عنْ حالةِ التَّخبُّطِ والفَوضَى الَّتِي تأتِي بسببِ العَشوائيَّةِ، وكأنَّهَا تَضربُ دونَ هدفٍ، فتُصيبُ مَنْ تُصيبُ وتتركُ مَنْ تتركْ، فقدْ قَصدَ فِي قولِهِ هذا الأهواءَ الَّتِي يتّبعُهَا النَّاسُ، وخاصَّةً الَّذِينَ يُهاجِمُونَ غَيرَهُمْ دُونَ تثبُّتٍ ودليلٍ، فيُصيبونَ أعراضَهُمْ بِسوءٍ، ويُشوّهُونَ سُمعةَ الشَّخصِ بِسببِ هذا التَّخَبُّطِ والعَشوائيَّةِ، إذْ يقولُ:

---

[1] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. الرائية الصغرى في ذم البدعة ومدح السنة الغرا. ص١٩٩.

[2] ابن عبد البر، أبو أبو عمر يوسف. الإنتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء. ص١٤٤. تح: عبد الفتاح أبو عدة. مكتب المطبوعات الإسلامية. حلب. ط١. (١٤١٧هـ-١٩٩٧م).

وَلَكِنَّهُ عَشْوَاءُ تَخْبِطُ خَبْطَهَا بِلَيْلٍ مِنَ الْأَهْوَاءِ قَدْ فَقَدَ الْبَدْرَا[1]

يتناصُ النَّبهَانِي فِي هذا النَّصّ الشِّعرِي معْ حَكمةٍ قالَهَا الشَّاعرُ زهيرُ بنُ أَبِي سُلمَى حينَمَا وصفَ المَوتَ، وكيفَ يُصيبُ الإنسانَ دونَ تحذيرٍ، فكأنَّهَا سِهامٌ غيرُ مرئيَّةٍ تُطلقُ بِطريقةٍ عَشوائيَّةٍ، فتُصيبُ الَّذِي تُصيبُهُ فيموتُ، ومُنْ لمْ تُصبْهُ يَبقَ علَى قيدَ الحَياةَ، ويَطولُ عمرُهُ حتَّى يَهرمَ، وتلكَ مَفاهيمُ الجَاهليَّةُ عنِ المَوتِ، وقدْ جاءَ التَّناصُ فِي الحِكمةِ الَّتِي تَرى أنَّ الخَبطَ العَشوائَي يكونُ دونَ هَدَفٍ، ودونَ دَليلٍ، فهوَ يُشبهُ الأهواءُ الَّتِي تجعلُ الإنسانُ فِي حِيرةٍ مِنْ أمرِهِ تائِهًا دونَ دَليلٍ ولَا هَدَفٍ، إذْ يقولُ زُهيرُ بنُ أُبي سُلمَى في وصفَ المَوتَ أو المَنيَّةَ وجَمعُهَا (المَنايَا):

رَأَيْتُ الْمَنَايَا خَبْطَ عَشْوَاءَ مَنْ تُصِبْ تُمِتْهُ وَمَنْ تُخْطِئْ يُعَمَّرْ فَيَهْرَمِ[2]

فالنَّبهَانِي يتناصُ معهُ في مَسألةِ الخَبطِ العَشوائِي للمَوتِ، والخَبطِ العَشوائِي للهَوى الَّذِي يتحكَّمُ في النَّاسِ الَّذِينَ لا يَعملونَ بِمقياسِ الشَّرعِ، مِقياسِ الحَلالِ والحَرامِ، فيقومُونَ بِمُهاجمَةِ الصَّالحِ والطَّالحِ دونَ تَحقُّقٍ مِنَ الأمرَ، وهلْ هذا الشَّخصُ يَستحقُّ أوْ لَا، وهذَا عندَ زُهيرِ بنِ أبي سُلمَى يشبهُ الموتَ الَّذِي يُصيبُ مَنْ يُصيبُ فيقتلُهُ، ويُخطِيءُ مَنْ يُخطِيءُ فيعيشُ طويلًا، وهيَ فَلسفةٌ جاهليَّةٌ تنمُّ عَنْ فهمٍ خاصّ بالمفاهيمِ السَّائدةِ عَنِ الموتِ أنذاكَ، ومعْ ذلكَ نجدُ الحِكمةَ قدْ تجلَّتْ في هذا النَّصّ الشِّعرِي الَّذِي أوصلَ فكرةً ظاهرُهَا مقنعٌ للعَقلِ، لكنَّ باطنَهَا يذهبُ بعيدًا عَنْ علاقةِ الخَالقِ بِالمخلوقِ، ودورِ الخَالقِ في التَّحكُّمِ بِحياةِ المَخلوقِ وموتِهِ.

٦. **النَّصُّ السَّادَسُ:** يتحدَّثُ النَّبهَانِي عنِ الاغترابِ، ويرفضُ لومَ النَّاسِ لهُ بسببِ تركِ بلدِهِ والرَّحيلِ إلى بلدٍ آخرَ، فيذكرُ السَّفرَ والتَّنقُّلَ في البَلادِ بِالأمرِ المُحمودِ، ثمَّ يَسوقُ الأدلَّةَ والحِكَمَ الَّتِي تدلّلُ علِى أنَّ السَّفرَ وفِراقَ البِلادِ كانَ مِنْ أفعالِ الرُّسلِ والأنبياءِ،

[1] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. الرائية الصغرى في ذم البدعة ومدح السنة الغرا. ص٢٣٩.

[2] زهير بن أبي سلمى. ديوان زهير ابن أبي سلمى. ص٧٠.

وكثيرٍ مِنَ العُلماءِ والفُقهاءِ والأُدباءِ، فلَا يبقَى فِي وطنِهِ إلَّا العَاجزَ الَّذِي لَا يقوَى علَى مَشقَّةِ السَّفرِ، واكتشافِ الجَديدِ، فيقولُ:

وَقَالُوا اغْتِرَابُ الْمَرْءِ هَوْنٌ وَذِلَّةٌ نَعَمْ وَالْقُصَارَى أَنْ يَعِزَّ وَيَكْرَمَا
فَلَوْلَا فِرَاقُ الْخُلْدِ حَوَا وَآدَمٌ لَمَا جَاءَتِ الرُّسْلُ الْأَكَارِمُ مِنْهُمَا
وَأَحْمَدُ خَيْرُ الْخَلْقِ لَوْلَا فِرَاقُهُ لِمَكَّةَ لَمْ يَظْفَرْ بِمَا كَانَ صَمَّمَا
وَمُوسَى كَلِيمُ اللهِ لَوْلَا رَحِيلُهُ لِمَدْيَنَ لَمْ يَرْجِعْ رَسُولًا مُكَرَّمَا
وَفِي غُرْبَةِ الصِّدِّيقِ يُوْسُفَ عِبْرَةٌ أَمَا صَارَ فِي مَصْرِ الْعَزِيزَ الْمُكَرَّمَا
وَمَا ضَرَّنِي لَوْمٌ إِذَا كُنْتُ سَالِكًا طَرِيْقًا أَتَاهُ الرُّسْلُ فِيْمَا تَقَدَّمَا[1]

يتناصُ النَّبهَانِي في هذَا النَّصِّ الشِّعرِي المُعبِّرِ عنْ حِكمةِ تَرسِّخُ مفهومَ السَّفرِ وفوائدِهِ، وتدعمُ ذلكَ بِالأدِّلةِ النَّقليَّةِ والعَقليَّةِ، مِنْ أجلِ إثباتِ ضَرورةِ السَّفرِ، وردِّ لومِ العَاذلينَ والعَاجزينَ الَّذِينَ يُطلقونَ عِباراتٍ لَا أصلَ لهَا مِنَ الصِّحَّةِ، فقدْ أثبتَ ضَرورةَ السَّفرِ مِنْ خلالِ اغترابِ الرُّسلِ والأَنبياءِ، فآدمُ وحوَّاءُ فارقا الجَنَّةَ مِنْ أجلِ إيجادِ البَشريَّةِ كلِّهَا، وهوَ أوَّلُ اغترابٍ فِي تَاريخِ البَشريَّةِ، ثمَّ أنَّ الرَّسولَ مُحمَّدًا ﷺ غادرَ مكَّةَ المكرَّمةِ _ أحبَّ البِلادِ إلَى قلبِهِ _ متوجِّهًا إلَى المَدينةِ المُنوَّرةِ مِنْ أجلِ إقامةِ الدِّينِ، وإعادةِ المُسلمينَ، وموسَى _ عليهِ السَّلامُ _ غادرَ مصرَ مُتَّجِهًا إلى مَدينَ ليعودَ رَسولًا مُنقذًا لِبَنِي إسرائيلَ ومُعاقبًا لِفرعونَ الطَّاغوتِ بإذنِ اللهِ تعالَى، وكذلكَ يُوسُفُ نقلَهُ قدرُهُ بأمرِ اللهِ تعالَى منْ فلسطينَ إلَى مصرَ؛ ليصبحَ وزيرًا علَى الأرضِ، فليسَتْ هذهِ الأمثلةُ قليلةً علَى إثباتِ ضَرورةِ السَّفرِ وأهمِّيَّتِهِ، وهذا النَّصُّ الشِّعرِي المُعبِّرِ عَنْ حِكَمٍ راسخةٍ يتناصُ ويتوافقُ معْ حِكَمٍ أُخرَى لِحكيمٍ جُلُّ شعرِهِ حِكمًا[2]، فقدْ تناصَّ معِ قولِ الشَّافعِي:

مَا فِي الْمَقَامِ لِذِي عَقْلٍ وَذِي أَدَبٍ مِنْ رَاحَةٍ فَدَعِ الْأَوْطَانَ وَاغْتَرِبِ

[1] مخطوطة وجدت في السفارة الأردنية في بيروت، السفير أكرم زعيتر. سنة ١٩٧٤م.

[2] ماضي، عيسى محمد علي. يوسف النبهاني الشاعر الفلسطيني الرائد. ج٢. ص٦٢٢.

سَــافِرْ تَجِـدْ عِوَضًــا عَمَّـنْ تُفَارِقُهُ وَانْصَبْ فَإِنَّ لَذِيذَ الْعَيْشِ فِي النَّصَبِ

إِنِّي رَأَيْـــتُ وُقُـوفَ الْمَــاءِ يُفْسِدُهُ إِنْ سَــاحَ طَابَ وَإِنْ لَمْ يَجْرِ لَمْ يَطِبِ

وَالشَّمْسُ لَوْ وَقَفَتْ فِي الْفُلْكِ دَائِمَةً لَمَلَّهَا النَّـاسُ مِنْ عَجَـمٍ وَمِـنْ عَرَبِ

وَالتِّبْـرُ كَالتُّـرَابِ مُلْقًـى فِي أَمَـاكِنِهِ وَالْعُـودُ فِي أَرْضِــهِ نَـوْعٌ مِنَ الْحَطَبِ

فَـــإِنْ تَغَـرَّبَ هَـذَا عَــزَّ مَطْـلَبُهُ وَإِنْ تَغَـــرَّبَ ذَاكَ عَـــزَّ كَـــالذَّهَبِ[1]

ففِي هذهِ الأبياتِ المُعبّرةِ عَنْ حِكَمٍ خاصَّةٍ بالاغترابِ وأهمّيَّتِهِ، يتوافقُ الشَّافعِيُ معِ النَّبهَانِي في سَوقِ الأدلَّةِ والحِجَجِ المُقنعَةِ الدَّالةِ علَى أهمَّيَّةِ السَّفرِ، فكمَا أشارَ النَّبهَانِي بإدلَّتِهِ النَّقليَّةِ والعَقليَّةِ علَى أهمّيَّةِ السَّفرِ، يَسوقُ لنَا الشَّافعِيُ أدلَّةً عَقليَّةً أخرَى تُؤكّدُ علَى أهمّيَّةِ السَّفرِ والاغترابِ، ففِي السَّفرِ تَعرُّفٌ إلى أُناسٍ آخرينَ، قدْ يكونُوا أفضلَ مِنَ الأهلِ، وانتقالٍ مِنْ مكانٍ إلى آخرَ يبقَى المَاءُ عَذْبًا فُراتًا، بِعكسِ المَاءِ الرَّاكدِ الَّذِي يتعرَّضُ للقَاذُوراتِ والفَسادِ، وبَقاءِ الشَّمسِ فِي كَبدِ السَّماءِ أيَّامًا طَويلةً يجعلُ النَّاسَ يَملّونَهَا؛ لذلكَ فهيَ تنتقلُ إلى مكانٍ آخرَ، فيشتاقُ النَّاسُ إليهَا ثمَّ تعودُ، والذَّهبُ فِي مكانِهِ لا قِيمةَ لَهُ، وفِي مكانٍ عزَّ فيهِ وقلَّ تكونُ القِيمةُ عاليةً، وكَذا كلُّ جديدٍ وغريبٍ في غيرِ وطنِهِ، يُصبحُ عزيزًا فِي وطنِهِ وفِي الوطنِ الجَديدِ[2].

٧. **النَّصُّ السَّابعُ:** يتحدَّثُ النَّبهَانِي فِي نَصِّهِ الشَّعرِي عَنْ مُقابلةِ الإساءَةِ بِالإحسانِ، وفيهِ مِنَ الحِكَمِ الكَثيرِ، فقدْ جاءَتْ هذهِ الحِكمةُ حَصيلةَ هَدِيٍ ربَّانِي، وإرشادٍ نَبوُي، فقدْ قالَ النَّبهَانِي:

مَهْمَا أَسَاءَتْ فَلَنْ تَرْضَى إِسَاءَتَهَا حَسْبُ الْمُسِيءُ مِنَ الْإِحْسَانِ تَقْلِيلُ[3]

---

[1] الشافعي، محمد بن إدريس. ديوان الإمام الشافعي المسمى (الجوهر النفيس في شعر الإمام محمد بن إدريس). ص٢٦. تح: محمد إبراهيم سليم. مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع. مصر الجديدة. القاهرة. (د.ط). (د.ت).

[2] المصدر نفسه. ص٢٦+٢٧ (في الهامش).

[3] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. المجموعة النبهانية في المدائح النبوية. دار الفكر. مج٣. ص١٧٥ .

يتناص النَّبهَانِي في هذا النَّصّ المُشيرِ إلى حِكمةٍ مُتداولةٍ كثيرًا معِ الشَّاعرِ الأَفغانِي أَبِي الفَتحِ البِستِي (ت:١٠١٠م) الَّذِي دعَا إلَى الإحسانِ إلَى النَّاسِ مَهمَا بَلغَ بِالإنسانِ الأمرُ، لأنَّ الإحسانَ يَجعلُ النَّاسَ يَتحابونَ فيمَا بَينهُمْ، بلْ إنَّ الإحسانَ يَجعلُ الإنسانَ المُحسَنَ إليهِ عبدًا لِذلكَ المُحسِنِ لهُ: فيقولُ البِستِي:

أَحْسِنُ إِلى النَّاسِ تَسْتَعْبِدْ قُلُوبَهُمُ فَطَالَمَا اسْتَعْبَدَ الْإِنْسَانُ إِحْسَانُ[١]

وهذا التَّناصُ التُّراثِي مِنْ خلالِ التَّوافقِ بينَ الحِكَمِ الشِّعريَّةِ النَّصّيَّةِ، يُرافقهُ تناصًّا دينيًّا معِ القُرآنِ الكَريمِ والحَديثِ الشَّريفِ، فقدْ وردَتْ فِي القُرآنِ الكَريمِ آياتٌ تدعُو إلَى مقابلةِ الإساءَةِ بِالإحسانِ، ومنهَا قولُهُ تعالَى فِي سُورةِ فُصِّلَتْ :" **وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**"[٢]. فالسَّيئةُ ليسَتْ كَالحَسنةِ، ويجبُ التَّعامِلُ بالَّتِي هيَ أحسنُ، أيِ الحَسنةُ الَّتِي تُحوّلُ العَدوَّ إلَى صَديقٍ.

ويبقَى التَّناصُ التُّراثِي معِ الحِكَمِ والأقوالِ المَأثورةِ مُتأرجحًا بينَ اعتبارِهِ تناصًّا دينيًّا؛ لأنَّهُ يُرتبطُ بالأَخلاقِ والمَواعظِ والنَّصائحِ والوصايَا، واعتبارِهِ تناصًّا تُراثيًّا بِاعتبارِ أنَّهُ مرتبطٌ بتراثِ الأمَّةِ المُتعلّقِ بِأقوالِ الحُكمَاءِ فِي جَاهليَّتِهِمْ وإسلامِهِمْ، وليسَ مرتبطًا بِالإسلامِ فحسب، وهَذا هوَ الأصوبُ.

ثانيًا: التَّناصُ التُّراثِي معِ الأَمثالِ الشَّعبيَّةِ: المَثَلُ: حِكمةٌ كثيرةُ الذّيوعِ أوْ قولٌ مُختصرٌ شاعَ قديمًا، وتغلبُ عليهِ الاستعارةُ التَّمثيليَّةُ، فكلماتُهُ بَسيطةٌ وسهلةُ التَّداولِ، ولغتُهُ قريبةٌ مِنَ العَامّيةِ[٣]، وعادةً ما يرتبطُ بِقصَّةٍ حدثَتْ وتناقلَتْهَا الأَلسُنُ فَراحَتْ مثلًا سَائرًا أوْ شَائعًا، وقدْ تناصَّ الشُّعراءُ معِ الأمثالِ الشَّعبيَّةِ التُّراثيَّةِ كثيرًا، لغَرضِ الإحياءِ لهذهِ الأَمثالِ، أوْ لِتَسهيلِ

[١] أبو الفتح البستي، علي بن محمد بن الحسين. قصيدة عنوان الحكم. ص٢٢. تح: عبد الفتاح أبو غدة. مكتب المطبوعات الإسلامية. حلب. ط١. ١٤٠٤. دار عالم الكتب. بيروت. ط٢. ١٤٠٤هـ. مطبعة لاهور. باكستان. ط٣. ١٤١٢هـ. مطبعة الرسالة. بيروت. ط٤+٥. ١٤٢٧هـ.

[٢] سورة فصلت. آية رقم: ٣٤.

[٣] وهبة، مجدي والمهندس، كامل. معجم المصطلحات الأدبية في اللغة والأدب. ص٣٣٢. ط٢. ١٩٨٤م.

الفَهمِ للمَفهومَ الَّذِي ضُربَ المَثلُ لأجلِهِ، وعادةً مَا تُزيّنُ الأمثالُ الشِّعرَ وَالنَّثرَ، لِتَسهيلِ إيصالِ الفكرةِ أوِ المَفهومِ.

وقدْ تناصَ النَّبهَانِي معِ الأمثالِ الشَّعبيَّةِ التُّراثيَّةِ الَّتِي وردَتْ باللُّغةِ العَربيَّةِ الفَصيحةِ، فكانَتْ لهُ وقفاتٌ معِ الأمثالِ فِي ثنايَا قصائدِهِ، علَى شَكلِ مشاهدَ مِنْ قِصصِ الأمثالِ الَّتِي تَرِدُ بِالإشارةِ إلى فِكرةٍ أوْ مفهومٍ يتَّصلُ بهذَا المَثلِ اتِّصالًا مُباشرًا أوْ غيرَ مباشرٍ، ومِنْ هذهِ المَشاهدِ المَثَليَّةِ التُّراثيَّةِ مَا يلِي:

١. **المشهدُ الأوَّلُ:** يتحدَّثُ النَّبهانِي عنْ صفاتِ الكَمالِ الإلهِي المُطلقِ، فيُشيرُ إلى أنَّ الكمالَ للهِ، ولا أحدٌ يصلُ إلى كَمالِهِ في الوجودِ كلِّهِ، فيقولُ:

وَكُلُّ كَمَالٍ فِي الْوُجُودِ كَمَالُهُ أَفَاضَ عَلَى الدَّارَيْنِ مِنْ بَحْرِهِ قِطْرَا[١]

يتناصُ النَّبهانِي في هذا النَّصّ الشِّعرِي بِالمَثلِ الشَّعبِي أوِ القولِ الواردِ على ألسنةِ النَّاسِ:**(الْكَمَالُ للهِ وَحْدُهُ)**[٢]، وهذا القولُ يُشيرُ إلى الكَمالِ المُطلقِ وليسَ الكمالُ المُتعلِّقُ بالبَشرِ، لوردِ حديثٍ نبويٍّ شريفٍ يَعتبرُ الكَمالَ يحصلُ لبعضِ النَّاسِ المُقرَّبينَ مِنَ اللهِ كالرُّسلِ والأنبياءِ وأولياءِ اللهِ الصَّالحينَ، فقدْ روَى البُخارِي فِي صحيحهِ عنْ رسولِ اللهِ ﷺ :**(كَمُلَ مِنَ الرِّجالِ كثيرٌ وَلَمْ يَكمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إلاَّ مريمُ بنتُ عمرانَ وَآسِيةُ امرأةُ فرعونَ وفضلُ عائشةَ على النِّساءِ كفَضْلِ الثَّرِيدِ على سائرِ الطَّعَامِ"**[٣]، فذكرَ الكَمالَ للرِّجالِ الصَّالحينَ الكَثيرينَ، وحدَّدَ ثلاثَ نساءٍ فيهِنَّ كَمالٌ، يدلُّ على أنَّ هناكَ كمالًا محدودًا، وكمالًا مُطلقًا، والكمالُ المُطلقُ للهِ تعالَى فحسب[٤]. وهذا التَّناصُ التُّراثِي معْ مثلٍ شعبيٍّ حديثٍ

---

[١] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. القصيدة الرائية الكبرى في الكمالات الإلهية والسيرة النبوية ووصف الملة الإسلامية والملل الأخرى. ص٧.

[٢] موقع رابطة العلماء السوريين، على الرابط التالي: https://islamsyria.com/ar/%D9%82%D9%88%D9.

[٣] البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري. ج٦. باب الأنبياء. (٣٣-٣٤). ص١٢٥٢. رقم الحديث: (٣٢٣٠).

[٤] عرفة بن طنطاوي. ٢٠٢٣. القواعد الجلية في صفات رب البرية. بحث محكم. شبكة الألوكة. على الرابط التالي: https://www.alukah.net/sharia/0/163804/%D8%A7%D8%B9%D8.

مقتبسٍ منْ كتابِ اللهِ تعالَى، يتناصُ دينيًّا معِ القُرآنِ الكريمِ، ثمَّ يتناصُ معهُ النَّبهَانِي في نصِّهِ الشِّعرِي كمثلٍ شعبيٍّ تراثِيٍّ مُتداولٍ علَى ألسنةِ النَّاسِ.

٢. **المشهدُ الثَّانِي:** يتحدَّثُ النَّبهَانِي عنْ رِجالِ الإصلاحِ الدِّينِي، ويهجوهُمْ مُعتبرًا أنَّهُمْ دُعاةُ إصلاحٍ ولا علاقةَ لهُمْ بالإصلاحِ، بلْ هُمْ رأسُ الفَسادِ، ولَا علاقةَ لهُمْ بِالأئَمَّةِ والمُجدِّدِينَ، فيقولُ:

يَقُولُونَ إنّا كَالْأَئِمَةِ كُلُّنَا رِجَالٌ وَمَا زَادُوا عَلَى أَحَدٍ ظَفْرَا

وَقَدْ أَخْطَأُوا أَيْنَ الثُّرايَا مِنَ الثَّرَى وَهَلْ لِبُغَاثِ الطَّيْرِ أَنْ تُشْبِهَ النَّسْرَا[١]

يتناصُ النَّبهانِي في هذا النَّصِّ الشِّعرِي معْ مثلينِ شَعبيَّينِ مِنَ التَّراثِ العَربِي، إذْ يتناصُ معِ المَثَلِ الشَّعبِي القَائلِ **(شَتَّانَ مَا بَيْنَ الثَّرَى مِنَ الثُّرَيَّا)**، وهوَ مثلٌ عربيٌّ فصيحٌ يُقالُ عندَ التَّفريقِ بينَ أمرينِ أوْ شيئينِ أحدُهُمَا أفضلُ كثيرًا مِنَ الآخرِ، معْ وجودِ شبهٍ بسيطٍ بينهُمَا، فالثَّرَى هوَ التُّرابُ المُبتَلُ الموجودُ على سطحِ الأرضِ، والثُّرايَّا مَجموعةُ نُجومٍ في السَّماءِ تكونُ على شَكلِ دَائرةٍ تظهرُ ليلًا قريبةً مِنْ نجمِ سُهيلٍ[٢]. أمَّا المَثلُ الثَّانِي الفَصيحُ فقدْ تناصَ النَّبهَانِي معهُ في عَجُزِ البيتِ **(وَهَلْ لِبُغَاثِ الطَّيْرِ أَنْ تُشْبِهَ النَّسرَا)**، وهذا النَّصُّ الشِّعرِيُّ يُشبهُ المَثلَ الشَّعبِي الفَصيحَ القائلَ **(إِنَّ البُغَاثَ بِأَرْضِنَا يَسْتَنْسِرُ)**، و**الْبُغَاثُ:** ضربٌ مِنَ الطَّيرِ وجمعُهَا بُغثانٍ، وهوَ نوعٌ مِنَ الطُّيورِ الجَبانِ، قادرٌ على الطَّيرانِ ولكنَّهُ يخافُ، لذلكَ كثيرًا مَا يتعرَّضُ للصَّيدِ، وهوَ يُشبهُ طائرَ الرَّخْمَةِ، إذَا واجهتُهُ يستسلمُ وتصطادُهُ بهدوءٍ لأنَّ الطَّيرانَ عندَهُ أمرٌ صعبٌ فهوَ يخافُهُ، والنَّسرُ مَلِكُ الطُّيورِ، وأقواهَا، فعندَمَا يُحاولُ البُغاثُ الطَّيرانَ أوْ مواجهةَ الصَّيَّادِ واستخدامِ الحِيلِ، يُصبحُ كالنَّسرِ وهذَا لا يكونُ منهُ مطلقًا، لذلكَ يُطلقُ المثلُ على مَنْ يكونُ ضعيفًا ذليلًا ويُحاولُ أنْ يصبحَ قويًّا فيفشلَ وتكونَ

[١] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. الرائية الصغرى في ذم البدعة ومدح السنة الغرا. ص١٩٩.

[٢] قديح، فوزي،. منتخب الأمثال الشعبية الفلسطينية. ص١٤٧. حقوق النشر محفوظة للمؤلف. (د.ط). ٢٠٠٣م.

العواقبُ وخيمةً عليهِ[1]. وقدْ تناصَ النَّبهَانِي معْ هذينِ المَثلينِ معًا لأنَّهُمَا مُتشابهَانِ في الصِّفةِ المُرادِ إطلاقِهَا على دُعاةِ الإصلاحِ الدِّينِي الفَاسدينَ حسبَ زعمِهِ، والَّذِينَ يُطلقونَ على أنفسِهِمْ أئمةً، والإمامةُ منهُم بَراءٌ، فهُمْ لمْ يبلغُوا عشرَ مِعشارِ أصغرِ إمامٍ، فكيفَ يُصبحُوا أئمةً فِي الدِّينِ، وهلْ يُشبهُ التُّرابُ والطِّينُ النُّجومَ فِي السَّماءِ؟! وكذلكَ هلْ يمكنُ لبُغاثِ الطَّيرِ أنْ تُصبحَ نُسورًا، هذا مُحالٌ، وكَذلكَ مُحالٌ أنْ يكونَ دُعاةُ الفَسادِ الدِّينِي، دُعاةُ إصلاحٍ، أوْ أئمةَ إصلاحٍ.

٣. **المشهدُ الثَّالثُ:** يتحدَّثُ النَّبهَانِي عنِ الشَّخصِ الَّذِي يفعلُ في الخَفاءِ شرًّا، وأمامَ النَّاسِ يفعلُ خيرًا، أيْ مثلُ المُنافقِ، وربَّمَا يظهرُ أمامَ النَّاسِ إمامًا طيِّبًا، وإذَا عاشرتَهُ وكشفْتَ سرَّهُ ظهرَ لكَ فجورَهُ وشرَّهُ، مثلَ إبليسِ الَّذي يُغوِي البَشرَ، ثمَّ يتبرَّأُ منهُمْ أمامَ اللهِ، إذْ يقولُ النَّبهَانِي في حقِّ أمثالِ هَؤلاءِ، ويَقصدُ في هذا النَّصِّ الشِّعرِي مُحمَّد رَشيد رِضَا أحدَ دُعاةِ الإصلاحِ المِصريِّينَ:

أَتَـى لِبِـــلَادِ الشَّـــامِ أَيَّـــامَ نَفْيِـــهِ فَأَنْبَتَ فِيْهَا مِنْ ضَلَالَتِهِ بِذْرَا

بِهَا بَاضَ بَيْضًا كَانَ إِبْلِيسُ حَاضِنًا لَهُ فَسَعَتْ أَفْرَاخُهُ تَتْبَعُ الْأَثْرَا[2]

يتناصَ النَّبهَانِي في هذا النَّصِّ الشِّعرِي معْ نصٍّ تراثِيٍّ مِنَ الأمثالِ الشَّعبيَّةِ الكَثيرةِ الَّتِي تناولَتْ هؤلاءِ الَّذِينَ يتَّبعونَ إبليسَ، فرَشيدُ رِضَا في نظرِ النَّبهَانِي واحدٌ مِنْ هؤلاءِ، فقدْ جاءَ الشَّامَ عندَما نفتْهُ السُّلطاتُ المصريَّةُ، وفيهَا نشرَ الفسادَ، مثلمَا يَفعلُ إبليسُ أينمَا يَحلُّ، وهذ الجُزءُ المُتعلِّقُ بإبليسَ في البيتَ الثَّانِي يَدلُّ علَى مثلٍ شعبيٍّ معروفٍ يُقالُ:**(مَثَلُهُ مَثَلُ إِبْلِيسَ)** أو:**(إِبْلِيْسُ يَتَعَلَّمُ مِنْهُ)**[3] **أو:(الْفَتِي فَتِي عَلَمِي وَالْحَبِي حَبِي إِبْلِيس)**، أمَّا هذا المَثلُ الأخيرُ فينطبقُ تمامًا على مَا أرادَهُ النَّبهَانِي،

---

[1] الخراشي، سليمان بن صالح. المنتقى من أمثال العرب وقصصهم. ص٧. منشورات دار القاسم. الرياض. (د.ط). (١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م).

[2] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. الرائية الصغرى في ذم البدعة ومدح السنة الغرا. ص٢١٤.

[3] السهلي، محمد توفيق. موسوعة الأمثال الشعبية الفلسطينية. ص١٠. دار الأقصى للدراسات والترجمة والنشر. (د.ط). (د.ت).

فهوَ يتناصُ معهُ مِنْ حيثُ ذكرَ رَشيد رِضَا أمامَ النَّاسِ مِنْ خلالِ كلامِهِ الرَّصينِ، المُقنعِ، فهوَ يُفتِي فتاوَى تُرضِي النَّاسَ وتُقنعُهُم بهَا، ولكنْ في الحَقيقةِ يريدُ مِنْ هذهِ الفَتاوَى التَّسهيلَ علَى النَّاسِ علَى حسابِ الدِّينِ، والأوامرُ والنَّواهِي، فهوَ يلجأُ إلى الأمورِ الخِلافيَّةِ في الدِّينِ، ويجعلُهَا خاضعةً لِلعقلِ، فيصدرُ فتوَى مُرضيَّةً للنَّاسِ، ولكنْ مُسخطةً لربِّ النَّاسِ، وقليلٌ مِنْ أهلِ العلمِ يُدركونَ ذلكَ، فكيفَ بِعامَّةِ النَّاسِ؟! وهكذا يكونُ قدْ أضلَّ النَّاسَ عنْ علمٍ، وهذا دَيدنُ إبليسَ، يعلمُ الحقَّ ولكنَّهُ يريدُ للنَّاسِ الباطلَ لإيقاعِهِمْ في الإثمِ والنَّارِ[1].

٤. **المشهد الرابع:** يتحدث النبهاني عن خطورة دعاة الإصلاح الديني القاصدين تغيير الدين، وهدمه وليس إصلاحه، فهو يفرد قصيدة لكل منهم، وهم (جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبد، ومحمد رشيد رضا)، ويعتبر كل واحد منهم أخطر من الآخر، وخاصة الأخير (محمد رشيد رضا)، فيعتبرهم جميعا ثلاث أثافٍ، فيقول:

ثَلَاثُ أَثَافٍ تَحْتَهَا نَارُ فِتْنَةٍ وَمِنْ فَوْقِهَا الْإِلْحَادُ صَارَ لَهَا قَدْرَا

فهُنَا يتناصُ النَّبهَانِي معِ المَثلِ الشَّعبِي القَائلِ:**(رَمَاهُ اللهُ بِثَالِثَةِ الْأَثَافِي)** وهوَ مثلٌ يُضربُ لمَنْ يُصابُ بداهيةٍ أوْ مُصيبةٍ، إذْ إنَّ الأثافِي هيَ دَواهٍ ومَصائبَ[2]، وهكذَا أرادَ النَّبهَانِي في تناصِّهِ معِ المَثلِ الشَّعبِي الَّذِي يَعتبرُ الأثافِي مَصائبَ، كمَا يُعدُّ الدُّعاةَ المُفسدينَ فِي نظرِهِ مَصائبَ ثلاثةً كعددِ الأثافِي المَعروفةِ فِي المَثلِ الشَّعبِي وهيَ المَصائبُ والدَّواهِي.

٥. **المشهدُ الخامسُ:** يتحدَّثُ النَّبهَانِي عنِ المَدارسِ التَّبشريَّةِ النَّصرانيَّةِ الَّتِي غزَتْ بلدَ المُسلمينَ في أواخرِ القَرنِ التَّاسعَ عشرَ وأوائلِ القَرنِ العِشرينَ، إذْ كانَتْ تُعلِّمُ المُسلمينَ الفِكرَ الغَربي، والثَّقافةَ الغَربيَّةَ، فيتخرَّجُ فيهَا طلابٌ يذهبونَ لإكمالِ دِراستِهِمْ في الغَربِ ثمَّ يعودونَ حُكَّامًا لِبلادِ المُسلمينَ، وقدْ أخذُوا يُطبِّقونَ أنظمةَ الغَربِ فِي

[1] قديح، فوزي، ٢٠٠٣. منتخب الأمثال الشعبية الفلسطينية. ص٧٣.

[2] الميداني، أبو الفضل. مجمع الأمثال. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم. المكتبة العصرية. صيدا. بيروت. الباب العاشر: فيما أوله راء. ج٢. ص٢٨٧. رقم المثل: ١٥٢٤. (طبعة حديثة). (١٤٤٤هـ. ٢٠٢٣م).

الحُكمِ والسِّياسَةِ، ويحذِّرُونَ مِنْ خُطورةِ تلكَ المَدارسِ علَى المُسلمينَ وبلادِهِمْ، فهيَ تدسُّ السُّمَّ فِي الدَّسَمِ، والقَائمونَ عليهَا يَعملونَ عملَ إبليسَ، بلْ هُمْ أبالسةُ عصرِهِمْ، فيقولُ:

مَدَارِسٌ فِي حُكْمِ الْكَنَائِسِ أَحْكَمَتْ أَبَالِسُهُمْ فِيهَا الدَّسَائِسَ وَالْمَكْرَا

مُوَائِدُ عِلْمٍ تَحْتَوِي كُلَّ مُشْتَهًى بِهَا وَضَعُوا سُمًّا بِهَا نَفَثُوا سِحْرَا[1]

فالنَّبهَانِي في هذا النَّصّ الشِّعرِي يتناصُ معِ الأمثالِ الدَّالَّةِ علَى المَكرِ والدَّهاءِ والسِّحرِ، ودسِّ السُّمِّ في الدَّسمِ، إذْ يقولُ المَثلُ الأَوَّلُ:**(يَضَعُ السُّمَّ فِي الدَّسْمِ)**، ويعنِي ذلكَ وضعُ شيءٍ ضارٍّ في شيءٍ جذَّابٍ، بحيثُ يكونُ الشَّيءُ الجَذَّابُ أظهرَ وأوضحَ مِنَ الشَّيءِ الضَّارِ، وغالبًا مَا يكونُ الشَّيءُ الضَّارُ غيرَ ظاهرٍ، بلْ تَظهرُ أعراضُ ضررِهِ بعدَ فترةٍ[2]، وهذا مَا قصدَهُ النَّبهَانِي في التَّناصِ معِ هذا المَثلِ الشَّعبِي التَّراثِي، بأنْ يُوصلَ فكرةً مفادُهَا أنَّ مدارسَ النَّصارَى التَّبشريَّةِ لنْ يظهرَ ضررُهَا علَى الأطفالِ مبكرًا، بلْ سيكونُ الضَّررُ حتمًا في المُستقبلِ، ويدعمُ هذا التَّناصُ معِ النَّصّ الشِّعرِي مَثلانِ آخرانِ :**(أَقْبَحَ مِنَ السِّحْرِ)**[3]، وهوَ مَا يتوافقُ معْ فعلِ الضَّررِ بإنسانٍ بحيثُ لا يَظهرُ عليهِ فورًا بلْ يَظهرُ بعدَ مدَّةٍ مِنَ الزَّمنِ، فَلا يَعرِفُ المسحورُ مَنْ سحرَهَ، لأنَّ الوقتَ قدْ مضَى علَى السِّحرِ، فكانَ هذا الفعلُ قبيحًا لأنَّهُ يُخفِي الفاعلَ، بلْ يَستبعدُهُ حقًّا، والمَثلُ الآخرُ:**(أَقْتَلُ مِنَ السُّمِّ)**، لأنَّهُ قاتلٌ فِعلًا، وقدْ يقتلُ مثلَ السِّحرِ بعدَ فترةٍ مِنْ دُخولِ السُّمِّ إلى جِسمِ الإنسانِ، وبِالتَّالِي يفعلُ فعلَ السِّحرِ، فَلا يَنكشفُ فاعلَهُ[4]. وهذا مَقصدُ التَّناصِ معِ الأمثالِ الشَّعبيَّةِ الَّتِي تتفِقُ معِ النَّصّ الشِّعرِي المَذكورِ.

---

[1] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. الرائية الصغرى في ذم البدعة ومدح السنة الغرا. ص٢٤٢-٢٤٣.

[2] قاموس المعاني. قاموس إلكتروني. الأمثال. على الرابط التالي: https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar.

[3] العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل. جمهرة الأمثال. ج٢. ص٩٨. المثل رقم: ١٥٦٦. تح: أحمد عبد السلام وأبو هاجر محمد سعيد زغلول. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط١. (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م).

[4] المصدر نفسه. ج٢. ص٩٨. المثل رقم: ١٥٨٠.

٦. **المشهدُ السَّادسُ:** يتحدَّثُ الشَّاعرُ عَنِ المَارقينَ علَى الدِّينِ، والمُتَّخذينَ اليهودَ والنَّصارَى أولياءَ وهُمْ مسلمونَ، فهوَ يُعِدُّهُم مُنافقينَ، أمثالُ: عبدَ اللهِ بنِ أُبِي سَلولٍ، فيقولُ فيهِمْ:

وَلَكُمْ فِي ثِيَابِـهِ ابْنُ سَـلُولٍ شَـاكَهُ فِي نِفَاقِـهِ سَلَاءُ

مَا اغْتِرَارِي بِمَنْ تَلَوَّنَ مِنْهُمْ وَالْأَفَاعِي أَشَرُّهَا الرَّقْطَاءُ[١]

يتناصُ النَّبهَانِي في هذا النَّصِّ الشَّعرِي معِ المَثلِ الشَّعبِي التَّراثِي:**(أَفْحشُ مِنْ فَالِيَةِ الْأَفَاعِي)**[٢] (أيِ الرَّقطاءِ مِنَ الأفاعِي)، فهوَ يُهاجمُ الَّذِينَ يدَّعونَ إصلاحَ الدِّينِ، ثمَّ يُشبِّهُهُم بعبدِ اللهِ بنِ أُبي بنِ سَلولٍ، ثمَّ يُطلقُ عليهِمِ المَثلَ الَّذِي ذكرنَاهُ، معدَّهُمْ مثلَ الأفاعِي الرَّقطاءِ الَّتِي تُعَدُّ شرَّ الأفاعِي وأخطرَهَا.

٧. **المشهدُ السَّابعُ:** يتحدَّثُ الشَّاعرُ مادحًا أحمد فارسِ الشِّدياقِ الَّذِي هجاهُ آخرَ عهدِهِ، فقدْ مدحَهُ أوَّلَ عهدِهِ بالإسلامِ، وأطالَ في مدحِهِ بِقصيدتينِ، اعتذرَ عنهُمَا فيمَا بعدُ، وفي مدحِ الشِّدياقِ يقولُ النَّبهَانِي مُعبِّرًا عَنْ حبِّهِ الشَّديدِ لهُ:

يَقُولُونَ حُبُّ الْمَرءِ جَالِبَ حَتْفِهِ أَنَاشِدُهُمْ أَنْ لَا يَرُدُّوا حَيَاتِيَا[٣]

يتناصُ النَّبهَانِي في هذا النَّصِّ الشِّعرِي معِ المَثلِ الشَّعبِي التَّراثِي القائلِ:**(مَنْ حَبَّ طَبَّ)**[٤] أيْ ماتَ أوْ سُحرَ وفقدَ العقلَ، فهوَ يَهيمُ بحبِّ الشِّدياقِ مُعبِّرًا عنْ ذلكَ مِنْ خلالِ استدعاءِ المَثلِ الشَّعبِي المُعبِّرِ عَنِ المَوتِ للمُحبِّ العَاشقِ لحبيبهِ، ولا يقفُ عندَ ذلكَ بلْ يقولُ لمَنْ يعلمُوا عنهُ ذلكَ، أنْ لا يَردُوا عليهِ حَياتَهُ، فالموتُ فِي حبِّ حبيبِهِ مَطلوبٌ، وهذا التَّناصُ التُّراثِي المُستدعِي للمَثلِ الشَّعبِي هدفُهُ الكشفُ عنْ مدَى

---

[١] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. الهمزية الألفية. ص١٠١.

[٢] العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله. جمهرة الأمثال. ج٢. ص٧٩. المثل رقم: ١٤٩٧.

[٣] الشدياق، أحمد فارس، ١٨٧٢م. كنز الرغائب في منتخبات الجوائب. ج٤. ص١٤٠. مطبعة الجوائب في الأستانة. ط١. ١٢٩٥هـ.

[٤] العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله. جمهرة الأمثال. ج٢. ص١٨٥. المثل رقم: ١٨٢٩.

حبِّ النَّبهَانِي لممدوحِهِ الشِّدياقِ، رغمَ أنَّهُ هجاهُ في آخرِ حياتِهِ حتَّى بعدَ وفاتِهِ؛ لأنَّهُ اكتشفَ أنَّهُ أسلمَ نِفاقًا وليسَ حَقيقةً.

المبحثُ الخامسُ

التَّناصُ الإيقاعِي فِي شِعرِ يُوسُفِ النَّبهانِي

يُعَدُّ التَّناصُ الإيقاعِي نوعًا جديدًا من أنواعِ التَّناصِ، إذْ يتناولُ هذا النَّوعُ منَ التَّناصِ مُوسيقَى الشِّعرِ والقافيةِ، ويَهتمُّ بِالألفاظِ دونَ المَعانِي، إذْ يُركّزُ علَى الكَلمةِ الَّتِي تنتهِي عندَ الفَاصلةِ في القُرآنِ الكريمِ، أوْ نهايةِ القَافيةِ (الرَّوي) في الشِّعرِ؛ لِذلكَ نجدُهُ في النُّصوصِ الَّتِي تتضمنُ موسيقَى أوْ نوعًا منَ الإيقاعِ، ولا شكَّ أنَّ توافقَ القَصيدةِ مِنْ حيثُ القَافيةِ والتَّفعيلةِ والبحرِ، يُعدُّ إيقاعًا تامًّا، إذْ يشتملُ علَى مُقوّماتِ الإيقاعِ كلِّهَا باتِّفاقٍ تامٍّ بينَ النَّصَّينِ الشِّعريّينِ، وهذا ما نجدُهُ فِي المُعارضَاتِ والنَّقائضِ الشِّعريَّةِ غالبًا[1].

ومِنْ خِلالِ النَّظرِ في شِعرِ يُوسُفِ النَّبهَانِي، يتَّضحُ أنَّ شعرَهُ زاخرًا بالإيقاعِ، منْ حيثُ تأثيرِ القُرآنِ الكريمِ فيهِ، وهذا واضحٌ جليٌّ، أوْ مِنْ حيثُ تأثيرِ الشِّعرِ القَديمِ، وهذا يَظهرُ في مُعارضاتِ يُوسُفِ النَّبهَانِي الكثيرةِ فيمَا يَتعلَّقُ بالمَدائحِ النَّبويَّةِ، أوْ نقائِضِهِ الَّتِي تُعدُّ مُساجَلاتٍ شِعريَّةٍ مَعْ خُصومِهِ الفِكريينَ مِنْ دُعاةِ الإصلاحِ الدِّينِي، فقدْ كانَ السِّجالُ الهِجائِي مُحتدمًا بينَهُم، وكانَتِ القصائدُ الَّتِي يَتناقضُونَ بهَا تُبنَى عَلى التَّفعيلةِ والقَّافيةِ والبحرِ وحدةً واحدةً كَحالِ المُعارضَاتِ في المَدائحِ النَّبويَّةِ الَّتِي تتمثَّلُ التَّمثيلَ نفسَهُ، فيكونُ الإيقاعُ بينَ هذهِ النُّصوصِ الشِّعريَّةِ تامًّا[2]، وليسَ كمَا هوَ الحَالُ في التَّناصِ الإيقاعِي في القُرآنِ الكَريمِ الَّذِي جاءَ جُزئيًّا، إذْ اقتُصرَ علَى الكَلمةِ الَّتِي تنتهِي عندَ الفَاصلةِ، تلكَ الَّتِي نُسمّيهَا فِي لُغةِ الشِّعرِ القافيةَ، ومِنْ هُنَا جاءَ التَّقسيمُ للتَّناصِ الإيقاعِي فِي شعرِ يُوسُفِ النَّبهَانِي، فالإيقاعُ يتجسَّدُ فِي مَشهدينِ لهُمَا مِنَ الأهمِّيَّةِ الكَثيرُ، وهُمَا: القُرآنُ الكريمُ، والشِّعرُ القَديمُ، ويأتِي التَّناصُ الإيقاعِي في شعرِ يُوسُفِ النَّبهَانِي معهُمَا علَى صَعيدينِ مُفصَّلَينِ:

أوَّلًا: التَّناصُ الإيقاعِي معِ القُرآنِ الكَريمِ: إذْ يَبرزُ التَّناصُ الإيقاعِي الكريم في شِعرِ يُوسُفِ النَّبهانِي معِ القُرآنِ الكَريمِ جزئيًّا مِنْ خِلالِ تَوافقِ الكَلمةِ الَّتِي تنتهِي بِالفاصِلةِ فِي القُرآنِ الكَريمِ، معِ القَافيةِ أيِ الكلمةِ الَّتِي تنتهِي بِالبيتِ الشِّعري أوِ النَّصّ الشِّعرِي مهمَا كانَ نوعُهُ، وقدْ تأتِي كلمةٌ واحدةٌ أوْ جملةٌ تنتهِي بِالفاصلةِ وتتناصُ معْهَا القافيةُ فِي شِعرِ يُوسُفِ

---

[1] الغذامي، عبد الله محمد. ١٩٩٨م. الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، قراءة نقدية لنموذج معاصر. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ط٤. ص٣٣٧.

[2] انظر: ماضي، عيسى محمد علي. يوسف النبهاني الشاعر الفلسطيني الرائد. ج٢. ص٥٠٩-٥١٠.

النَّبهَانِي، وقدْ كَثُرتْ المَشاهدُ التَّناصّيَّةُ إيقاعيًّا فِي شِعرِ يُوسُفِ النَّبهَانِي مَعِ القُرآنِ الكَرِيمِ، ويُمكنُ التَّمثيلُ عليهَا بِالأمثلةِ التَّاليةِ:

١. **المَشهدُ الأَوَّلُ:** يَتحدَّثُ النَّبهَانِي فِي هذا المَشهدِ عَنْ تذكيرِ المُسلمينَ بِنعمِ اللهِ الكُبرَى، فهوَ يقولُ:

بِرَبِّكَ ذَكِّرْهُمْ عَسَى تَنْفَعُ الذِّكْرَى فَكَمْ نِعَمٍ أَجْدَى، وَكَمْ مِنَنٍ أَجْرَى[١]

يتناصُ النَّبهَانِي فِي هذا النَّصِ الشِّعرِي إيقاعيًّا فِي عجزِ البيتِ، مِنْ خِلالِ عِبارةِ **(عَسَى تَنْفَعُ الذِّكْرَى)**، وهذهِ العِبارةُ وردَتْ فِي كتابِ اللهِ بِالفاصلةِ نفسِهَا، فِي سُورةِ الأعلَى، في قولِهِ تعالَى:"**فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى**"[٢]، فهيَ تتناصُ إيقاعيًّا مع العِبارةِ الَّتِي ذكرَهَا النَّبهانِي فِي نِهايةِ عجزِ البَيتِ الشِّعرِي، إذْ يَتجلَّى الإيقاعُ فيشعرُ القَارِيءُ بأنَّهُ يتلو آيةً مِنْ سورةِ الأعلَى، فهيَ تُذكِّرهُ مُباشرةً بِالآيةِ المَذكورةِ، وقدْ تَوافقَتِ الكَلمتانِ تمامًا **(الذِّكْرَى)**، وإنْ اختلفَ الفِعلُ مِنْ حيثُ الزَّمنِ **(تَنْفَعُ، وَنَفَعَتْ)**، لكنْ النَّهايةَ كانَتْ واحدةً، فظهرَ التَّناصُ الإيقاعِي المُفردِ جَليًّا واضحًا.

٢. **المشهدُ الثَّانِي:** يتحدَّثُ النَّبهانِي عَنِ فتحِ مكَّةِ المكرَّمةِ مُعدَّهُ فتحَ الفُتوحِ، ومِنْ بعدِهِ نصبَ الإسلامُ رايتُهُ الكُبرَى، إذْ يقولُ:

وَكَانَ لَهُ فَتْحُ الْفُتُوحِ لِأَنَّهُ بِهِ نَصَبَ الْإِسْلَامُ رَايَتَهُ الْكُبْرَى[٣]

يتناصُ النَّبهَانِي في هذا النَّصِ إيقاعًا معِ الآيةِ القُرآنيَّةِ فِي سُورةِ النَّازعاتِ، فِي قولِهِ تعالَى:"**فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى**"[٤]، اختلفَ السِّياقُ بينَ الآيةِ والنَّصِ الشِّعرِي، فالحديثُ فِي النَّصِ الشَّعرِي يدورُ حولَ فتحِ مكَّةَ المُكرَّمةِ، وأنَّ الإسلامَ رفعَ رايتَهُ الكُبرَى فيهَا، وأصبحَتِ دارُ إسلامٍ بعدَمَا كانَتْ دارَ كُفرٍ، ويدورُ الحَديثُ فِي الآيةِ عَنْ معجزاتِ مُوسَى _ عليهِ السَّلامُ _ الَّتِي عرضَهَا أمامَ فِرعونَ لِإثباتِ نُبوَّتِهِ، كَالعَصَا الَّتِي تحوَّلَتْ إلى ثُعبانٍ، وإخراجِ يدِهِ مِنْ تحتِ إبطِهِ لِيصبحَ لونُهَا أبيضُ ناصعُ، إلَّا أنَّ

---

[١] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. القصيدة الرائية الكبرى في الكمالات الإلهية والسيرة النبوية ووصف الملة الإسلامية والملل الأخرى. ص٣.

[٢] سورة الأعلى. آية رقم: ٩.

[٣] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. القصيدة الرائية الكبرى في الكمالات الإلهية والسيرة النبوية ووصف الملة الإسلامية والملل الأخرى. ص٤٠.

[٤] سورة النازعات. آية رقم: ٢٠.

الكلمةَ المُعبّرةَ عَنِ الرَّايةِ والمُعجزةِ هيَ ذاتُهَا **(الكُبْرَى)**، وهيَ المُفردةُ الإيقاعيَّةُ الَّتِي تناصَ النَّبهانِي معهَا إيقاعيًّا فِي قافيتِهِ، معِ نهايةِ الفَاصلةِ في الآيةِ الكريمةِ.

٣. **المشهدُ الثَّالثُ:** يتحدَّثُ النَّبهَانِي عنْ أصنامِ قُريشٍ الَّتِي كانُوا يَعبدونَها فِي مكَّةَ أيَّامَ الجَاهليَّةِ، فيذكرُهَا بالاسمِ :(اللَّات، والعُزَّى، والثَّالِثةُ الكُبرَى يَقصدُ مُناةَ)، فَيقولُ:

هُوَ الوَثَنُ الْأَعَلْى الَّذِي عَمَّ شَرُّهُ فَمَا اللَّاتُ وَالْعُزَّى وَثَالِثَةٌ أُخْرَى[١]

يتناصُ النَّبهَانِي في هذا النَّصّ الشِّعرِي إيقاعيًّا بشكلٍ واضحٍ وصريحٍ معِ الآيتينِ الوَاردتينِ فِي سُورةِ النَّجمِ، إذْ قالَ تعالَى:" **أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى**"[٢]، يُظهِرُ التَّناصُ الإيقاعِي هنَا فِي الآيةِ كلِّهَا، ولكنَّ الكلمةَ المَطلوبةَ **(الْأُخْرَى، وَأُخْرَى)** هيَ الكلمةُ الإيقاعيَّةُ الَّتِي تناصَّتْ إيقاعيًّا مَعِ النَّصّ الشِّعرِي، وهذا التَّناصُ الإيقاعِي توافقَ لفظًا ومعنًى.

٤. **المشهدُ الرَّابعُ:** يتحدَّثُ النَّبهَانِي عنْ ضَلالِ النَّصارَى، وزيغِهِمْ، ويَذكرُ للآثامِ الَّتِي لحِقَتْ بهِمْ بسببِ افترائِهِمْ علَى اللهِ كَذبًا، فيقولُ:

وَمَنْ لَمْ يَكُنْ يَجْرِي اعْتِرَافًا كَهَذِهِ فَذَلِكَ أَشْقَى الْقَومِ أَعْظَمَهُمْ وِزْرَا[٣]

يتناصُ النَّبهَانِي فِي هذا النَّصّ إيقاعيًّا معِ الآيةِ فِي سُورةِ النَّجمِ، فِي قولِهِ تَعالَى:"**مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا**"[٤]، فالتَّناصُ هُنا فِي كلمةِ **(وِزرًا)** الَّتِي تناصَّتْ إيقاعيًّا معِ النَّصّ الشِّعرِي عندَ القافيةِ، والآيةُ عندَ الفَاصلةِ، والتَّوافقُ فِي المعنَى قريبًا، إذْ تحدَّثَ النَّبهَانِي عنِ الذَّنبِ العَظيمِ الَّذِي يقترفُهُ مَنْ لَا يَعترفُ بذنبِهِ ويطلبُ المَغفرةَ والتَّوبةَ، ويُعرضُ عَنِ الاعترافِ بِالذَّنبِ، كمَا هوَ الحَالُ فِي تفسيرِ الآيةِ أنَّ الَّذِي يُعرضُ عَنْ أمرِ اللهِ يَأتِي يومَ القِيامةِ يحملُ ذنبًا عظيمًا. فقدْ جاءَ التَّناصُ الإيقاعِيُّ هُنَا لفظًا ومعنًى.

---

[١] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. القصيدة الرائية الكبرى في الكمالات الإلهية والسيرة النبوية ووصف الملة الإسلامية والملل الأخرى. ص٧١.

[٢] سورة النجم. الآيتان رقم: ١٩-٢٠.

[٣] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. القصيدة الرائية الكبرى في الكمالات الإلهية والسيرة النبوية ووصف الملة الإسلامية والملل الأخرى. ص٨٢.

[٤] سورة طه. آية رقم: ١٠٠.

٥. **المشهدُ الخامسُ:** يتحدَّثُ النَّبهَانِي عنْ فلسفةِ النَّصَارَى فِي الثَّالوثِ المُقدَّسِ[١]، واعتبارِ ذلكَ مُنافٍ للعَقلِ، علاوةً علَى مُخالفتِهِ للنُّصوصِ النَّقليَّةِ فِي القُرآنِ الكَريمِ، فيقولُ:

نَعَمْ هُوَ ضِدُ الْعَقْلِ مَا هُوَ فَوْقُهُ وَأَحْكَامُهُ فِي اللهِ أَعْظَمُهَا نُكْرَا[٢]

يتناصُ النَّبهَانِي في هذا النَّصّ الشِّعرِي إيقاعيًّا معِ الآيةِ فِي سُورةِ الكَهفِ، فِي قولِهِ تعالَى:"**قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا**"[٣]، فقدْ تناصَّتِ المُفردةُ **(نُكْرَا)** فِي النَّصّ الشِّعرِي معِ النَّصّ القُرآنِي بِالقافيةِ والفَاصلةِ، واتَّفقتَا لفظًا، أمَّا المعنَى فقدْ جاءَ مُتقاربًا، إذْ يرَى النَّبهَانِي أنَّ عقيدةَ النَّصَارَى وأحكامَهَا تُخالفُ العقلَ، وهيَ ليسَتْ فوقَ العَقلِ كَالفلسفةِ، بلْ هيَ أقلُّ شأنًا مِنْ أنْ يناقشُهَا العقلُ، وهذا أعظمُ منكرٍ، فالنُّكْرُ هوَ الأمرُ الشَّديدُ صَعبُ القَبولِ، والعذابُ النُّكْرُ العَذابُ الشَّديدُ[٤]، فقدْ اتَّفقَ المَعنيانِ كذلكَ اتِّفاقًا جزئيًّا فِي مَضمونِ النَّصّ الشِّعرِي والآيةِ القُرآنيَّةِ، مِنْ حيثُ الأمرِ الَّذِي لا يَقبلُهُ العَقلُ وينكرُهُ إنكارًا شديدًا، وبينَ الَّذِي يظلمُ نفسَهُ ويظلمُ الآخرينَ فِي الدُّنيَا. فسوفَ يُعذَّبُ في الدُّنيَا، وفِي الآخرةِ يكونُ عذابُهُ شديدًا، فالتَّناصُ الإيقاعِي هنَا اتَّفقَ فِي اللَّفظِ التَّامِ، واتَّفقَ فِي المَعنى شِبهِ التَّامِ.

٦. **المشهدُ السَّادسُ:** يتحدَّثُ النَّبهَانِي عنْ حُبِّهِ وتعلُّقِهِ بملَّةِ الإسلامِ، مُتغزِّلًا بهَا، ومُستصعبًا الصَّبرَ علَى إهمالِ أيِ أمرٍ مِنْ أمورِهَا، فكلُّ مَا فيهَا مَفروضٌ عليهِ، وعليهِ أنْ يَصبرَ علَى الالتزامِ بِهِ، ويَحرصُ علَى عدمِ إهمالِهِ، فيقولُ:

وَلَوْ فَارَقْتَنِي لَحْظَةً ذُبْتُ حَسْرَةً وَلَكُمْ أَلْفٍ فِي وُسْعِي عَلَى بَعْدَهَا صَبْرَا[٥]

يتناصُ النَّبهَانِي فِي هذا النَّصّ الشِّعرِي إيقاعيًّا معِ الآيةِ فِي سورةِ الكهفِ، فِي قولِهِ تعالَى:"**قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا**"[٦]، فالتَّناصُ الإيقاعِي وردَ هنَا فِي كلمةٍ

---

[١] **الثالوث المقدس:** الأب (الرب) ، الابن (عيسى)، الروح القدس (جبريل)، ويُطلق عليهم كذلك (الأقانيم الثلاث).

[٢] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. القصيدة الرائية الكبرى في الكمالات الإلهية والسيرة النبوية ووصف الملة الإسلامية والملل الأخرى. ص٨٦.

[٣] سورة الكهف. آية رقم: ٨٧.

[٤] ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم. لسان العرب. مج٥. ص٢٣٣.

[٥] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. القصيدة الرائية الكبرى في الكمالات الإلهية والسيرة النبوية ووصف الملة الإسلامية والملل الأخرى. ص٨٦.

(صَبْرًا)، إذْ جاءَتْ فِي النَّصّ الشِّعرِي مَحلَّ القَافيةِ، وفِي النَّصّ القُرآنِي مَحلَّ الفَاصلةِ، واتَّفقَ اللَّفظَانِ اتِّفاقًا تامًّا، أمَّا المعنَى فقدْ اختلفَ فِي سِياقِ الصَّبرِ، إذْ الصَّبرُ فِي النَّصّ الشِّعرِي علَى الفِراقِ للملَّةِ الإسلاميَّةِ، وهوَ مُستحيلُ فِي نظرِ النَّبهَانِي، وكذلكَ قولُ الرَّجلِ الصَّالحِ الَّذِي رافقَ مُوسَى _ عليهِ السَّلامُ _ بأنَّهُ لا يَستطيعُ الصَّبرُ علَى ما سوفَ يقومُ بِهِ أثناءَ رِحلتِهِمَا، وفعلًا لمْ يستطعِ الصَّبرَ. فالاتِّفاقُ فِي اللَّفظِ التَّامِ يصاحبُهُ اتِّفاقُ جزئِي فِي السَّياقِ، معِ أنَّ النَّتيجةَ واحدةٌ، وهيَ استحالةَ الصَّبرِ علَى الأمرِ المَطلوبِ.

٧. **المشهدُ السَّابعُ:** يتحدَّثُ النَّبهَانِي عنْ لَفظينِ مُتضادينَ **(الْعُسْر، وِالْيُسْر)**، إذْ جاءَ الإسلامُ وجعلَ المسلمُ يقبلُ بهِمَا، لأنَّهُ علَى يقينٍ أنَّ بعدَ العُسرِ يسرًا، وأنَّهُ لَا يغلبُ عسرًا يَسرينَ، إذْ يقولُ:

وَمَا كُلُّ مَعْنًى مِنْهُمَا مُتَعَسِّرٍ لِكُلّ امْرِئٍ، لَكِنَّهُ مَعْ عُسْرِهِ يُسْرَا[١]

يتناصُ النَّبهَانِي في هذا النَّصّ الشِّعرِي إيقاعيًّا معِ الآيةِ فِي سُورةِ الشَّرحِ، إذْ يقولُ تعالَى:"**فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**"[٢]، فالتَّناصُ الإيقاعِي هنَا جاءَ معْ كلمةِ **(يُسْرًا)** إلَّا أنَّ كلمةَ **(عُسْرًا)** الَّتِي تصاحبُهَا عادةً سبقتْهَا، فكانَ التَّناصُ إيقاعيًّا لفظًا ومعنًى، رغمَ أنَّ الحديثَ فِي النَّصّ الشِّعرِي عنِ المَعانِي الواردةِ فِي القُرآنِ الكَريمِ والسُّنَّةِ النَّبويَّةِ، وأنَّهَا **(أيِ المَعانِي)** غيرُ مُتعسِّرةٍ، ولكنْ إذَا مَا تَعسَّرَ معنًى علَى امرئٍ فلَا بدَّ أنْ يتيسَّرَ بعدَ البَحثِ والتَّدقيقِ، والعُسرُ حسبَ لسانِ العَربِ ضدَّ اليُسرِ ومعناهُ الضِّيقُ والشِّدةُ والصُّعوبةُ،[٣] أمَّا اليُسرُ فمعناهُ اللِّينُ والانقيادُ[٤]، وكلاهُمَا نَقيضانِ، وعادةً ما يصاحبانِ بعضِهِمَا بعضًا فِي القُرآنِ الكَريمِ والشِّعرِ والنَّثرِ، والتَّناصُ الإيقاعِي جاءَ بينَهُمَا لفظًا ومعنًى، معِ اختلافِ السِّياقِ، فالآيةُ تتحدَّثُ عنْ تثبيتِ فؤادِ النَّبِي ﷺ وطمأنَتِهِ.

---

[٦] سورة الكهف. آية رقم: ٦٧.

[١] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. الرائية الصغرى في ذم البدعة ومدح السنة الغرا. ص١٩٧.

[٢] سورة الشرح. آية رقم: ٥.

[٣] ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم. لسان العرب. مج٤. ص٥٦٣.

[٤] المصدر نفسه. مج٤. ص٢٩٥.

٨. **المشهدُ الثَّامنُ:** يتحدَّثُ النَّبهَانِي عنْ طَاعةِ وَلِيّ الأمرِ بعدَ طاعتِهِ للهِ ورسولِهِ، فطاعةُ أولياءِ اللهِ الصَّالحينَ واجبةٌ، وعِصيانُ الأمرِ ذنبٌ عظيمٌ، إذْ يقولُ:

فَلَمْ يَلْفِ مِنْهُمْ غَيْرَ خَلٍّ مُوْافِقٍ سَمِيْعٍ لَهُ قَوْلًا مُطِيْعٌ لَهُ أَمْرَا[١]

فَالنَّبهانِي يتناصُ في هذا النَّصّ إيقاعيًّا بالقافيةِ معْ كلمةٍ وردَتْ فِي سُورةِ الكَهفِ، إذْ يقولُ اللهُ تعالَى:"**قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا**"[٢]، والتَّناصُ الإيقاعِي وردَ بينَ القَافيةِ فِي النَّصّ الشِّعرِي، والفَاصلةِ فِي النَّصّ القُرآنِي فِي مفردةِ **(أَمْرًا)**، وهيَ عكسُ النَّهْي وتعنِي مُوافقةَ الطَّلبِ أوِ الإتّباعِ، وهوَ طلبٌ جازمٌ[٣]. والتَّناصُ الإيقاعِي جاءَ هنَا مُتَّفقًا فِي مفردتِهِ المَذكورةِ فِي القَافيةِ والفَاصلةِ مُتَّفقَةٍ لفظًا ومعنًى، معْ تغيُّرٍ بَسيطٍ فِي السِّياقِ، فَسياقُ النَّصّ الشِّعرِي يَتحدَّثُ عَنْ دُعاةِ الإصلاحِ الَّذِينَ يُتعِبونَ بعضَهَمُ بعضًا فِي الأمرِ والنَّهْي علَى ضَلالَتِهِمْ، وفِي السِّياقِ القُرآنِي تأكيدٌ مِنْ موسَى _ عليهِ السَّلامُ _ بعدمِ عِصيانِ أمرِ الرَّجلِ الصَّالحِ الَّذِي يُريدُ أنْ يُعلِّمُهُ علمًا جديدًا لمْ يتعلَّمْهُ موسَى _ عليهِ السِّلامُ _ مِنْ قبلُ.

٩. **المشهدُ التَّاسعُ:** يتحدَّثُ النَّبهاني عنْ رجائِهِ باللَّهِ تعالَى، وطلبِهِ منهُ أنْ يكسبَ والآخرةَ جاعلًا الدُّنيَا طَريقَ الوصولِ إليهَا، ويدعوهُ دعاءً متواصلًا أنْ ينالَهَا، فيقولُ:

أَنَا فِي الدَّرَايْنِ أَبْغِي رَشَدِي مِنْكَ فِي الدُّنْيَا وَفِي دَارِ الْقَرَارِ[٤]

يتناصُ النَّبهَانِي في هذا النَّصّ الشِّعري إيقاعيا معِ الآيةِ في سورةِ غافرٍ، إذْ يقولُ تعالَى:"**يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ**"[٥]، فالتَّناصُ الإيقاعِي جاءَ فِي تركيبِ **(دَارُ الْقَرَارِ)** فِي القَافيةِ والفَاصلةِ، واتَّفقَ اللَّفظُ والمَعنَى بينَهُمَا بِالمَقصودِ وهيَ **(الدَّارُ الْآخِرَةِ)**، أيْ دارُ الاستقرارِ إلى الأبدِ، لِلتَّأكيدِ علَى أنَّ الدُّنيَا دارُ انتقالٍ وليسَتْ دارَ استقرارٍ، أمَّا السِّياقُ فقدْ اختلفَ قليلًا، ففِي النَّصّ الشِّعرِي يدعُو النَّبهَانِي ربَّهُ أنْ يُرشدَهُ إلَى العَيشِ الكريمِ، ويحقِّقُ لهُ مُرادَهُ فِي الدُّنيَا والآخرةِ، وفِي النَّصّ القُرآنِي جاءَ المَقصودُ مِنَ اللهِ _ عزَّ وجلَّ _ بأنَّ الدُّنيَا مَتاعٌ

---

[١] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. الرائية الصغرى في ذم البدعة ومدح السنة الغرا. ص٢٠٢.

[٢] سورة الكهف. آية رقم: ٦٩.

[٣] ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم. لسان العرب. مج٤. ص٢٩.

[٤] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. ديوان يوسف النبهاني، ص٢٨٠.

[٥] سورة غافر. آية رقم: ٣٩.

قليلٌ لفترةٍ محدودةٍ، وأنَّ الأخرةَ هيَ دارُ البَقاءِ والاستقرارِ إلى الأبدِ دونَ تحديدِ مدَّةٍ زَمنيَّةٍ. فالتَّناصُ فِي التَّركيبِ (**دَارُ الْقَرَارِ**) جاءَ لفظًا ومعنًى في القَافيةِ والفَاصلةِ، واختلفَ قليلًا فِي السِّياقِ مَا بينَ النَّصِّ الشِّعرِي والنَّصِّ القُرآنِي.

ثانيًا: التَّناصُ الإيقاعِي مَعِ الشِّعرِ القَديمِ: يُقصدُ بالشِّعرِ القَديمِ، أيْ عمودِ الشِّعرِ الَّذي التزمَ شعراؤهُ فيهِ بالأوزانِ الخَليليَّةِ، سواءٌ فِي العَصرِ الجَاهلِي أوْ في عُصورِ الإسلامِ المُتتابعةِ حتَّى نِهايةِ القَرنِ التَّاسعَ عشرَ معْ حدوثِ الصِّراعِ بينَ القديمِ والجَديدِ، وظهورِ مدارسَ أدبيَّةٍ متعدِّدةٍ، أشهرُهَا مدرسةُ الإحياءِ والبعثِ، الَّتِي دعَتْ إلَى التَّمسُّكِ بعمودِ الشِّعرِ القديمِ معْ تغيُّرٍ طفيفٍ يتعلَّقُ بالمُقدِّمةِ، وبعضِ الأوزانِ المُلتزمةِ بعمودِ الشِّعرِ معْ وجودِ تلكَ التَّغيُّراتِ كالشِّعرِ المُرسلِ، والمُوشَّحاتِ[1].

ويُعدُّ يُوسُفُ النَّبهَانِي مِنْ شُعراءِ مدرسةِ الإحياءِ والبعثِ ضمنيًّا؛ لأنَّهُ التزمَ بِعمودِ الشِّعرِ فِي قَصائدِهِ جميعِهَا، سِوى القليلِ مِنْ تقليدِ المُوشَّحاتِ الأندلسيَّةِ، والشِّعرِ المُرسلِ، ولمْ يقفْ عندَ ذلكَ فقدْ تناولَ فِي شعرِهِ فنَّ المُعارضَاتِ، وفَنَّ النَّقائضِ، ومِنْ خِلالِ هَذينِ الفَنَّيينِ تجلَّى التَّناصُ الإيقاعِي بينَ نُصوصٍ شِعريَّةٍ لِيُوسِفَ النَّبهَانِي، ونصوصٍ شِعريَّةٍ لِشُعراءَ سابقينَ لهُ ابتداءً منْ عصرِ الإسلامِ الأَوَّلِ حتَّى العَصرِ العُثمانِي قبلَ حُقبةِ الاستعمارِ، ويُمكنُ تقسيمُ التَّناصِ الإيقاعِي فِي شِعرِ يُوسُفِ النَّبهَانِي معِ الشِّعرِ القديمِ إلى قِسمينِ، إذْ تجلَّى التَّناصُ الإيقاعِيُّ فيهِمَا، وهُمَا:

أوَّلًا: المُعارضَاتُ: يَلجأُ الشَّاعرُ إلى المُعارضةِ عندَمَا يجدُ شعرَ الشَّاعرِ الَّذِي عارضَهُ مُتميِّزًا بِالفَصاحةِ والبَلاغَةِ، ومُناسبًا لِلفكرةِ والمَوضوعِ الَّذِي يُريدُ التَّطرُّقَ إليهِ فِي قصيدتِهِ المُعارضةِ[2]، وقدِ اشتُهرَ مِنْ شعراءِ المُعارضَاتِ قديمًا: البُحتُرِي، وأَبو تَمَّام، والبُوصيرِي، وحديثًا: أحمد شَوقي، وإبراهيم طُوقان (ت:١٩٤١م)، ويوسفُ النَّبهَانِي، وغيرُهُمْ.

وتجلَّى فنُّ المُعارضاتِ فِي شعرِ يُوسُفِ النَّبهَانِي في مَجموعتِهِ النَّبهانيَّةِ فِي المدائحِ النَّبويَّةِ، إذْ جاءَتْ في أربعةِ مُجلَّداتٍ، جمعَ فيهَا أشهرَ قَصائدِ المَديحِ النَّبوَي مِنْ عَصرِ الرَّسولِ ﷺ حتَّى عصرِ أُفولِ الدَّولةِ العُثمانيَّةِ، آخرِ دولةٍ إسلاميَّةٍ مُوحَّدةٍ، فقدْ عارضَ يُوسفُ النَّبهَانِي كعبَ بنَ زهيرٍ فِي قصيدتِهِ (بَانَتْ سُعَادُ)، وعارضَ حسَّانَ بنِ ثابتٍ فِي قصيدتِهِ (عَفَتِ

[1] الزيّات، أحمد حسن. (د.ت). تاريخ الأدب العربي. ص٣٩.

[2] مصطفى، عبد الرؤوف زهدي والأسعد، عمر. المعارضات وأثرها في إغناء التراث العربي. ص٩٠٨-٩١١.

الدَّيَارِ)، وعارضَ البُوصيرِي فِي قصيدتِهِ (البُردة)، وغيرِهِمْ مِنَ الشُّعراءِ الكَثيرينَ الَّذِينَ تناولُوا موضوعَ المديحِ النَّبوِي، ومِنْ خلالِ هذهِ المُعارضاتِ يظهرُ لنَا التَّناصُ الإيقاعِي في هذهِ المُعارضاتِ بشكلٍ جليٍّ وواضحٍ، إذْ إنَّ القَصائدَ الطَّويلةَ فِي مديحِ الرَّسولِ ﷺ جاءَتْ في المَوضوعِ نفسِهِ، وعلَى الأوزانِ والتَّفعيلاتِ نفسِهَا، وعلَى القافيةِ والبحرِ نفسيهِمَا، فكانَ التَّناصُ الإيقاعِي تامًّا لفظًا ومعنًى، وواضحًا فِي أبياتٍ محددةٍ أكثرَ مِنْ غيرِهَا، ويمكنُ التَّمثيلُ بشواهدَ مِنْ هذهِ القَصائدِ كمَا يَلي:

١. **المشهدُ الأَوَّلُ:** يعارضُ النَّبهَانِي في هذا المَشهدِ الشَّاعرِ كعبِ بنِ زهيرٍ في قصيدتِهِ **(بَانَتْ سُعَادُ)**، تلكَ القَصيدةُ الاعتذاريَّةُ الرَّجائيَّةُ الَّتِي ألقاهَا كعبُ بنُ زُهيرٍ بينَ يدَي رَسولِ اللهِ ﷺ بعدَمَا قرَّرَ الإسلامَ والاعتذارَ مِنْ رَسولِ اللهِ ﷺ علَى ما بدرَ منهُ في جاهليَّتِهِ مِنْ مُهاجمةِ الرَّسولِ ﷺ والصَّحابةِ، فجاءَتْ معارضةُ النَّبهَانِي لهَا إحياءً لهَا، واستمرارًا للاعتذارِ والتَّرَجِّي مِنَ الشُّعراءِ المَتتابعينَ، فلمْ تكُنْ قصيدةُ يُوسُفِ النَّبهَانِي معارضةً لقصيدةِ كعبِ بنِ زُهيرٍ فحسب، بلْ عارضَتْهَا قصائدُ أخرَى لِشعراءَ آخرينَ في عُصورِ الإسلامِ المُتتابعةِ، ويظهرُ البيتُ الأبرزُ فِي القَصيدةِ الَّتِي ذكرَهَا يُوسفُ النَّبهَانِي مُعارضًا لِكعبِ بنِ زُهيرٍ، إذْ يقولُ النَّبهَانِي:

أَتَـاكَ كَعْبٌ وَقَدْ جَلَّـتْ جِنَـايَتَهُ وَكَـادَ يَغْتَالُـهُ مِنْ ذَنْبِـهِ غُـوْلُ

إِنْ كَانَ مَتْبُولُ قَلْبٍ يَوْمَ أَنْشَدَكُمْ بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولُ[١]

يتناصُ النَّبهَانِي في هذا النَّصِّ الشِّعرِي إيقاعيًّا معْ نصٍّ شِعريٍّ عارضَهُ للشَّاعرِ كعبِ بنِ زُهيرٍ في قَصيدتِهِ (بَانَتْ سُعَادُ)، إذْ يقولُ كعبٌ:

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولُ مَتَيَّمٌ إِثْـرَهَا لَمْ يُجْـزِ مَكْبُولُ

فَمَا تَدُومُ عَلَى حَالٍ تَكُونُ بِهَا كَمَا تَلَوَّنُ فِي أَثْوَابِهَا الْغُولُ[٢]

نلاحظُ أنَّ النَّبهَانِي تناصَّ إيقاعيًّا فِي نصِّهِ الشِّعرِي معْ مفردَتَي **(مَتْبُولُ، وَالْغُولُ)** فِي نصِّ كعبِ بنِ زُهيرٍ الشِّعرِي، علاوةً علَى اتِّفاقِهِمَا فِي المَوضوعِ ذاتِهِ، والتَّفعيلةِ والوزنِ والبحرِ ذاتِهِمْ، وجاءَتِ القَافيةُ الإيقاعيَّةُ واضحةَ جليَّةً فِي المُفردتينِ

[١] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. المجموعة النبهانية في المدائح النبوية. مج٣. ص١٧٦.

[٢] كعب بن زهير. ديوان كعب بن زهير. ص٦٠-٦١.

المذكورتينِ، فكانَ التَّناصُ إيقاعيًّا تامًّا مُتكاملًا بينَ النَّصَّينِ لفظًا ومعنًى، وكذلكَ السِّياقُ ذاتُهُ.

٢. **المشهدُ الثَّانِي:** يُعارضُ النَّبهَانِي فِي نصِّهِ الشِّعرِي الَّذِي يتناولُ مدحَ الرَّسولِ ﷺ وتناولَ مراحلِ حياتِهِ كُلِّهَا حتَّى وفاتِهِ، الشَّاعرَ حسَّانَ بنَ ثابتٍ _ رَضِيَ اللهُ عنهُ _، إذْ يقولُ النَّبهَانِي:

أَتُرَاهُمْ لَوْ اسْتَطَاعُوا نَظِيْرًا رَاقَهُ عَنْهُمْ أَنْ تُـرَاقَ دِمَاءُ

فِيْهِ إِعْجَازُهُمْ وَفِيْهِ هُدَاهُمْ فَهُوَ سَقْمٌ لَهُمْ وَفِيْهِ شِفَاءُ[١]

يتناصُّ النَّبهَانِي فِي نصِّهِ الشِّعرِي المُعارضِ فِي مديحِ رَسولِ اللهِ ﷺ معْ حسَّانِ بنِ ثابتٍ _ رضي الله عنه _ فِي نصِّهِ الَّذِي تناولَ المَوضوعَ نفسَهُ معِ اختلافٍ فِي الأوزانِ والتَّفعيلةِ والبحرِ، واتِّفاقٍ فِي الرَّوِي نفسِهِ مِنْ خِلالِ مُفرداتٍ كَثيرةٍ برزَ فيهَا التَّناصُ الإيقاعِي، إذْ يقولُ حسَّانُ بنُ ثابتٍ _ رَضِيَ اللهُ عنهُ _:

فَنَحْكُمُ بِالْقَوَافِي مَنْ هَجَانَا وَنَضْرِبُ حِيْنَ تَخْتَلِطُ الدِّمَاءُ

فَـإِمَّـا تَثْقِفَـنَّ بَنُـو لُؤَيٍّ جُذَيْمَـةَ إِنَّ قَتْلُهُـمُ شِـفَاءُ[٢]

فالتَّناصُ الإيقاعِي برزَ فِي مفردَتَي **(الدِّمَاءُ، وَشِفَاءُ)**، فقدْ تناصَّتَا إيقاعيًّا مِنْ خِلالِ القَافيةِ الهَمزيَّةِ، واتَّفقَا فِي السِّياقِ كَذلكَ، فالحَديثُ يدورُ فِي نصِّ النَّبهَانِي الشِّعرِي عَنْ عُداةِ الرَّسولِ ﷺ الَّذِينَ تَربَّصُوا بِهِ فأُريقَتْ مِنهُمِ الدِّماءُ وأظهرَهُ اللهُ عليهِمْ، وكانَ النَّصرُ للمسلمينَ شفاءً لمَا فِي صدورِهِمْ، وكذلكَ نصَّ حسَّانِ بنِ ثابتٍ _ رَضِيَ اللهُ عنهُ _ الشِّعرِي، إذْ يتناولُ الهَجّائونَ لِرَسولِ اللهِ ﷺ والأعداءِ مِنَ الشُّعراءِ والكفَّارِ، ثمَّ يحدِّدُ فِي النَّصِّ الثَّانِي بِخلافِ النَّبهانِي نسبَ هَؤلاءِ الأعداءِ، فهُمْ مِنْ بَنِي جُذيمةَ أحلافِ بَنِي لؤيٍّ الَّذِينَ امتنعُوا عَنِ الحَربِ، وسوفَ يكونُ قتلُهُمْ شفاءً لِصدورِ المُسلمينَ ممَّا فعلوهُ فيهِمْ مِنْ هِجاءٍ لهُمْ واعتداءٍ عليهِمْ، فالتَّناصُ فِي هَذينِ النَّصَّينِ اقتصرَ عَلى مَشهدينِ، مَشهدِ المُفرداتِ، ومَشهدِ السِّياقِ ذاتِهِ.

٣. **المشهدُ الثَّالثُ:** يعارضُ النَّبهَانِي فِي نصِّهِ الشِّعرِي الَّذِي يتناولُ مدحَ الرَسولِ ﷺ فِي قصيدتِهِ الهَمزيَّةِ الألفيَّةِ الشَّاعرَ البُوصِيري، إذْ يقولُ النَّبهَانِي فِي مَطلعِهَا:

---

[١] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. المجموعة النبهانية في المدائح النبوية. مج٣. ص١٧٦.

[٢] حسان بن ثابت. ديوان حسان بن ثابت. ص٢٠-٢١.

نُـورُكَ الْكُـلُّ وَالْـوَرَى أَجْزَاءُ يَـا نَبِيًّا مِنْ جُنْـدِهِ الْأَنْبِيَاءُ
خَيْرُ أَرْضٍ ثَوَيْتَ فَهْيَ سَمَاءٌ بِكَ طَالَتْ مَا طَاوَلَتْهَا سَمَاءُ[1]

يتناصُ النَّبهَانِي فِي نصّهِ الشِّعرِي إيقاعيًّا مَعْ نصّ شِعريّ معارضٍ لهُ للبُوصيري فِي قصيدتِهِ الشَّهيرةِ بِالمديحِ النَّبوَي، إذْ يتناصُ بالمَوضوعِ نفسِهِ، والتَّفعيلةِ والأوزانِ والبَحرِ، وتبرزُ بعضُ القَوافِي المُتَّفقةِ تمامًا مِنْ خلالِ التَّناصِ الإيقاعِي، وذلكَ مثلُ مفردَتَي (**الْأَنْبِيَاءُ، وَسَمَاءُ**)، إذْ وردَتَا فِي بيتينِ مُتقاربينِ فِي القَصيدتينِ المُعارضتينِ، لتَمثيلِ التَّناصِ الإيقاعِي، إذْ يقولُ البُوصيرِي:

كَيْفَ تَرْقَى رُقِيَّكَ الْأَنْبِيَاءُ يَا سَمَاءٌ مَا طَاوَلَتْهَا سَمَاءُ[2]

فهذا مطلعُ قصيدتِهِ في المَديحِ النَّبوي، وقدْ جاءَ التَّناصُ الإيقاعِي فِي بيتِ القَصيدةِ الأولى، فِي حين جاءَ فِي نصّ النَّبهانَي مِنْ خِلالِ بيتينِ مُتقاربينِ، وظهرَتْ مُفردتَا التَّناصِ الإيقاعي فِي صدرِ البيتِ وعُجُزِهِ عندَ البُوصيري، في حين جاءَتْ عندَ النَّبهَانِي فِي عَجُزِي بيتينِ متقاربينِ فِي قَصيدتِهِ، وقدْ اتَّفقَ التَّناصُ الإيقاعِي فِي اللَّفظِ والمعنَى والسِّياقِ ذاتِهِ.

٤. **المشهدُ الرَّابعُ:** يُعارضُ النَّبهَانِي فِي نصّهِ الشِّعرِي الَّذِي يتناولُ المديحَ النَّبوِي، الشاعرَ المصري شهابَ الدِّينِ الخَفاجِي، إذْ يقولُ النَّبهَانِي فِي مَطلعِ قَصيدتِهِ:

أَحَبُّ لِي مِنْ كُلِّ مَنْ فَوْقَ الثَّرَى عَرَبُ النَّقَا[3] رُوْحِي فِدَا عَرَبِ النَّقَا[4]

يتناصُ النَّبهَانِي فِي نصّهِ الشِّعرِي إيقاعيًّا معْ نصّ الخَفاجِي فِي المَوضوعِ نفسِهِ، المديحُ النَّبوَي، معِ القَافيةِ نفسِهَا، والمفردةِ نفسِهَا (**النَّقا**)، معِ اختلافِ التَّفعيلةِ والأوزانِ والبحرِ، إذْ يقولُ شهابُ الدِّينِ الخَفاجِي:

يَتْرِكُنِـي تَـرْكَ الظَّلِيْـمِ ظِلُّهُ وَهَـذِهِ شِـــيْمَــةُ آرَامِ النَّقَا[5]

فقدْ توافقَ النَّصَّانِ إيقاعيًّا وتناصًّا مِنْ خلالِ مُفردةِ القَافيةِ (**النَّقا**)، رغمَ اختلافِ السِّياق، إذْ تحدَّثَ النَّبهَانِي عنْ حبِّهِ لعربِ النَّقا، بينَمَا تحدَّثَ الخَفاجِي عنْ تركِ

---

[1] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. المجموعة النبهانية في المدائح النبوية. مج٣. ص٢٠٤-٢٠٥ .

[2] البوصيري، شرف الدين أبي عبد الله محمد بن سعيد. ديوان البوصيري. ط٢. ص٩.

[3] **النقا:** كثيب الرمل، المكان الذي يعيش فيه البدو من العرب في صحراء جزيرة العرب، وصحراء النقب في فلسطين.

[4] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. المجموعة النبهانية في المدائح النبوية. دار الفكر. مج١. ص٣٥٧.

[5] الخفاجي، شهاب الدين، (د.ت). ديوان الشهاب الخفاجي. المكتبة التيمورية. القاهرة. ص٣٤٣. (د.ط).

صغيرِ النَّعامةِ للظِّلِّ فِي الصَّحراءِ، كمَا يفعلُ غُزلانِ النَّقا، وكِلاهُمَا يَرمزُ إلى هَؤلاءِ البَدوِ وتلكَ الحَيواناتِ الَّتِي آنسَتْ رسولَ اللهِ ﷺ وصاحبهُ أبا بكرٍ الصِّدِّيقِ _ رَضِيَ اللهُ عنهُ_ في طريقِهِمَا مِنْ مكَّةَ المُكرَّمةِ إلى المَدينةِ المُنوَّرةِ فِي رِحلةِ الهجرةِ.

٥. **المشهدُ الخامسُ:** يعارضُ النَّبهَانِي في نصِّهِ الشِّعرِي الَّذِي يتناولُ شوقَهُ لِطيبةَ (المَدينةِ المُنوَّرةِ) ويمدحُ الرَّسولَ ﷺ، الشَّاعرَ السُّورِي الصُّوفِي عبدَ الغِني النَّابلسِي (ت:١٧٣١م) فِي الموضوعِ نفسِهِ، إذْ يقولُ النَّبهَانِي في وصفِ طيبةَ ومدحِ رسولِ اللهِ ﷺ:

لِطَيْبَـةَ مِيْثَـاقٌ عَلَيَّ قَدِيمٌ إِذَا ذُكِـرَتْ يَـوْمَـًا لَـدَيَّ أَهِيْمُ

وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ فِيْهَا مُحَمَّدًا رَسُولَ الْهُدَى رُوْحَ الوُجُودِ مُقِيْمُ[1]

يتناصُ النَّبهَانِي إيقاعيًّا فِي هذا النَّصِّ الشِّعرِي المُعبِّرِ فيهِ عَنْ شوقِهِ لطيبةَ (مدينةِ رسولِ اللهِ ﷺ) ومدحِهِ لرسولِ اللهِ ﷺ، معْ أبياتٍ للشَّاعرِ عبدِ الغَني النَّابلسِي فِي المَوضوعِ نفسِهِ، إذْ يُعبِّرُ عَنْ شَوقِهِ لمرقدِ رَسولِ اللهِ ﷺ، ويَمدحُ المقامَ والمُقيمَ، إذْ يقولُ النَّابلسِي:

لِمَـنْ طَلَلٌ بِالـرَّقْمَتِيْـنَ قَدِيمٌ يُخَفِّـقُ فِيْهَـا شَـــمَأَلٌ فَنَسِـيْمُ

بِشَاةٍ وَصَاعٍ مِنْ شَعِيْرٍ كَفًى لَدَى الْجَمَاعَةِ أَلْفًا وَالْعَجِينُ مُقِيْمُ[2]

وردَ التَّناصُ الإيقاعِي بينَ النَّصَّيينِ فِي مفردَتَي **(قَدِيمُ، وَمُقِيمُ)** إذْ وردَتِ الأولَى فِي صدرِ البيتِ الأَوَّلِ فِي النَّصَّينِ، ووردَتِ الثَّانيةُ فِي عَجُزِ البيتِ الثَّانِي، وتوافقَ الموضوعُ فِي الشَّوقِ إلى المَقامِ، ومدحِ المُقيمِ، وجاءَ النَّصَّانِ مُتَّفقينِ بِالأوزانِ والتَّفعيلاتِ والبحرِ، وتناصَّا إيقاعيًّا بِالقافيةِ مِنْ خلالِ المُفردتينِ **(قَدِيمُ، وَمُقِيمُ)**.

٦. **المشهدُ السَّادسُ:** يتحدَّثُ الشَّاعرُ فِي مدحِ الرَّسولِ ﷺ معارضًا قصيدةَ الشَّاعرِ لسانِ الدِّينِ بنِ الخطيبِ فِي موشحاتِهِ الأندلسيَّةِ، وإنْ اختلفَ الموضوعُ، إلَّا أنَّ لسانَ الدِّينِ بنِ الخَطيبِ (ت:١٣٧٤م) أشارَ إلى مَدحِ الرَّسولِ ﷺ فِي موشَّحَاتِهِ، وخاصَّةً موشحتُهُ الشَّهيرةُ **(جَادَكَ الغَيْثُ)**، فالنَّبهَانِي يعارضُهَا فِي موشحَةٍ أُخرَى يقولُ فيهَا:

---

[1] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. المجموعة النبهانية في المدائح النبوية. مج٤. ص١٦٠.

[2] النابلسي، عبد الغني بن إسماعيل. ديوان عبد الغني النابلسي. ص٤٠٧. وقفية الأمير غازي للفكر الإسلامي. (د.ط). ١١٤٣هـ.

آهِ، مَنْ لِيَ بِالحِمَى كَيْ أَلْثِمَا تُرْبَهُ لَوْ نَهْزَةَ الْمُخْتَلِسِ[1]

يتناصُ النَّبهَانِي فِي معارضتِهِ معْ موشحةِ لِسانِ الدِّينِ بنِ الخَطيبِ الأندلسِي الشَّهيرةِ **(جَادَكَ الْغَيْثَ)**، وقدْ جاءَ فِي مَطلعِهَا:

جَادَكَ الْغَيْثُ إِذَا الْغَيْثُ هَمَا يَا زَمَـانَ الْوَصْلِ فِي الْأَنْدَلُسِ

لَمْ يَكُــنْ وَصْــلُكَ إِلَّا حُلُمَا فِي الكَرَى أَوْ خِلْسَةَ الْمُخْتَلِسِ

فقدْ وقعَ التَّناصُ الإيقاعِي فِي مفردةِ **(الْمُخْتَلِسِ)** فِي البيتِ الثَّانِي عندَ لِسانِ الدِّينِ بنِ الخَطيبِ، معِ البيتِ الوحيدِ للنَّبهَانِي، وهيَ مُفردةُ الرَّوِي، وتَوافقَ النَّظمُ فِي الوزنِ والتَّفعيلةِ والبحرِ، كمَا توافقَ فِي الرَّوي، واختلفَ قَليلًا في مَوضوعِ المُوشَّحةِ، إذْ جاءَتْ موشَّحةُ النَّبهَانِي فِي مدحِ الرَّسولِ ﷺ ووصفِهِ، فِي حين جاءَتْ موشَّحةُ لسانِ الدِّينِ بنِ الخَطيبِ في مدحِ الأندلسِ ووصفِهَا، وظلَّ التَّوافقُ في الغَرضِ مِنَ الموشَّحةِ وهوَ **(الْمَدْحُ وَالْوَصْفُ)**؛ لذلكَ يمكنُ القولُ أنَّ التَّناصَ الإيقاعِي جاءَ هُنَا تامًّا.

ثانيًا: النَّقائضُ: ذكرنَا سابقًا أنَّ النَّقائضَ فنٌّ مِنْ فُنونِ الشِّعرِ العَربي القَديم، يتَّجهُ فيهِ شاعرٌ إلى شاعرٍ آخرَ هاجيًا أوْ مفتخرًا، فيعمدُ الآخرُ إلى الرَّدِّ عليهِ كذلكَ هاجيًا أوْ مفتخرًا ملتزمًا بالبحرِ والوزنِ والرَّوي الَّذِي استخدمَهُ الشَّاعرُ الأوَّلُ، معْ ضرورةِ الالتزامِ بِالوحدتينِ العُضويَّةِ والمَوضوعيَّةِ[2]، والنَّقائضُ مِنْ فنونِ الشِّعرِ القَديم، والأهمُّ منْ ذلكَ وحدةُ المُوسيقَى والإيقاعِ الشِّعرِي، وهوَ المقصودُ في مَبحثِنَا هذَا.

ومِنْ أشهرِ النَّقائضِ فِي الشِّعرِ القديمِ نقائضُ جريرٍ والفَرزدقِ الشَّاعرانِ الأمويَّانِ، واشتُهرَا بالنَّقائضِ فخرًا وهجاءً بينَهُمَا، إذْ يفتخرُ كلُّ شاعرٍ منهُمَا بنفسِهِ وقومِهِ، ويهجو الآخرَ وقومَهُ، ومِنْ ذلكَ قولُ جريرٍ:

لِمَـنِ الدِّيَــارُ كَـأَنَّهَــا لَمْ تَحْلِلِ بَيْنَ الْكَنَاسِ وَبَيْنَ طَلْحِ الْأَعْزَلِ[3]

فردَّ عليهِ الفَرزدقُ قائِلًا:

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتــًا دَعَـائِمُـهُ أُعَـزُّ وَأَطْـوَلِ[4]

---

[1] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. ديوان يوسف النبهاني. ص٢٧٣.

[2] الشايب، أحمد. تاريخ النقائض في الشعر العربي. ص٥.

[3] أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي المصري. كتاب النقائض (نقائض جرير والفرزدق). ج١. ص١٥٦.

[4] المصدر السابق. ص١٣٤.

وأصبحَ الشُّعراءُ مِنْ بعدِهِمْ يتناولونَ هذا اللَّونَ مِنَ الشِّعرِ فِي المُساجلاتِ الشِّعريَّةِ مدحًا ورِثاءَ وهِجاءً، وفخرًا، إلَّا أنَّ الفَخرَ والهِجاءَ همَا الغَرضَانِ الغَالبانِ علَى شِعرِ النَّقائضِ، ويُعَدُّ النَّبهَانِي مِنَ الشُّعراءِ الَّذِينَ كانَ لهُمُ خُصومٌ، بسببِ هجومِهِ علَى بعضِ المُصلحينَ الدِّينيِّينَ، علاوةً علَى هجومِهِ علَى اليهودِ والنَّصَارَى بسببِ كفرِهِمْ وافترائِهِمْ علَى الأنبياءِ والرُّسلِ الكَذِب، وقدْ كانَ الغرضُ مِنْ نقائضِ النَّبهانِي فِي الأغلبِ الهِجاءَ، إذْ هاجمَ خصومَهُ ووصفَهُمْ بالتَّدليسِ والإفسادِ الدِّينِي بدلَ الإصلاحِ الدِّينِي، فانبرَى عددٌ مِنَ الشُّعراءِ إلى التَّصدِّي لهُ فِي قصائدَ اتَّحدَت فِي الوزنِ والتَّفعيلةِ والبحرِ والرَّوِي، فشكَّلَتْ مِنْ خِلالِ الرَّوِي تناصًّا إيقاعيًّا، إذْ اشتركَ النَّبهَانِي ببعضِ المُفرداتِ المُتقابلةِ، والمُترادفةِ، فشكَّلَتْ تناصًّا إيقاعيًّا تجلَّى فِي شعرِ النَّقائضِ الَّذِي استخدمَهُ ضدَّ خصومِهِ الفِكريينَ.

وقدْ برزَتْ مشاهدُ عدَّة مِنَ التَّناصِ الإيقاعِي فِي القَصائدِ المُتناقضةِ بينَ النَّبهَانِي وخصومِهِ مِنْ شُعراءِ العَصرِ نفسِهِ، إذْ يمكنُ التَّمثيلُ عليهَا بِالأمثلةِ التَّاليةِ:

١. **المشهدُ الأوَّلُ:** يهجوُ النَّبهَانِي في نَصِّهِ الشِّعرِي المَأخوذِ منْ رائيتِهِ الصُّغرَى رِجالَ الإصلاحِ الدِّينِي مِنْ دُعاةٍ فكريّينَ وعلَى رأسِهِم الإصلاحِي (مُحمَّد عبدُه)، ويهاجمُ الحركةَ الوهَّابيَّةَ الَّتِي تتَّفقُ معْ (عبدُه) فِي الرُّؤيةِ نَفسِهَا، إذْ قالَ:

ضِعَافُ النُّهَى أَعْرَابُ نَجْدٍ جُدُوْدُهُمْ وَقَدْ أُوْرِثُوا عَنْهُمُ الزُّوْرَ وَالْوِزْرَا[١]

يتناصُ النَّبهَانِي إيقاعيًّا فِي هذا النَّصِّ الشِّعرِي النَّقائضِي الَّذِي يهجُو فيهِ أحدَ دُعاةِ الإصلاحِ (مُحمَّد عبدُه)، معِ الشَّاعرِ السُّعودِي عَلي بنِ سَلمانَ، إذْ ناقضَهُ فِي قصيدتِهِ الرَّائيةِ الَّتِي هجَا النَّبهَانِي فيهَا رِجالَ الإصلاحِ، فيقولُ عليٌّ بنُ سُلمانَ:

وَطِئْتُ بِنَعْلِي فَوْقَ رَائِيَّةٍ صُغْرَى فَأَصْغَرْتُهَا مُذْ ضَمَّتِ الزُّوْرَ وَالْوِزْرَا[٢]

نلاحظُ أنَّ التَّناصَ الإيقاعِي برزَ فِي المُفردتينِ الأخيرتينِ **(الزُّوْرَ وَالْوِزْرَا)**، فالأخيرةُ هيَ الرَّوِي الدَّالُ علَى الإيقاعِ، وقدْ زادَتِ المُفردةُ الَّتِي قبلَهَا بشدَّةِ الإيقاعِ، واتَّفقَتِ القَصيدةُ كاملةً بِالوزنِ الشِّعرِي والتَّفعيلةِ والبحرِ، وهذا هوَ عُنوانُ النَّقائضِ، واتَّفقَتْ كذلكَ بالموضوعِ الهِجائِي، وهوَ مهاجمةُ النَّبهانِي للوهَّابيَّةِ وأصولِهَا النَّجديَّةِ الأعرابيَّةِ،

---

[١] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. الرائية الصغرى في ذم البدعة ومدح السنة الغرا. ص٢١٧.

[٢] علي بن سلمان اليوسف التميمي. مخطوطة الرد على النبهاني. رقم المخطوطة (٨٨٦٣). مكتبة المتحف العراقي . بغداد.

وما تضمَّنَهَا مِنْ كذبٍ وذُنوبٍ، فيردُّ عليهِ أحدُ مشايخِ الوهَّابيَّةِ (عليٌّ بنُ سَلمانَ)، ويهجُو رائيَّتَهُ، مَعدَّهَا بمَا ضمَّتهُ مِنْ هِجاءٍ وافتراءٍ كلِّهِ كذبٌ وتدليسٌ وإثمٌ علَى كاتبِهَا، فالتَّناصُ الإيقاعِي جاءَ فِي النَّصَّينِ تامًّا.

٢. **المشهدُ الثَّانِي:** يتحدَّثُ النَّبهَانِي فِي هجائِهِ لدُعاةِ الإصلاحِ الدِّينِي، وإخبارِ الرَّسولِ ﷺ، عنهُمْ في أحاديثِهِ، إذْ يمرُّونَ مِنَ الدِّينِ مُرورَ السَّهمِ، فيقولُ:

وَقَدْ جَاءَ فِي الْأَخْبَارِ وَصْفُ مُرُوْقِهِمْ مِنَ الدِّينِ مِثْلَ السَّهْمِ لِلْجِهَةَ الْأُخْرَى[١]

يتناصُ النَّبهَانِي إيقاعيًّا هَنا فِي هذا النَّصِّ مِنْ خلالِ نقيضتِهِ الَّتِي هاجمَ فيهَا دُعاةَ الإصلاحِ الدِّيني، ليردَّ عليهِ الشاعرُ عبدُ العزيزِ بنُ إبراهيمَ (ت:١٩٤٦م) مِنْ دُعاةِ الوهَّابيَّةِ، فيهاجمُ النَّبهَانِي ويردُّ عليهِ بقصيدةٍ تحملُ فِي ثناياهَا مَوضوعَ الهِجاءِ نفسِهِ، بالوزنِ الشِّعرِي والتَّفعيلةِ والبحرِ أنفسِهِم، فيقولُ عبدُ العزيزِ بنُ إبراهيمَ مخاطبًا النَّبهَانِي ومؤنِّبًا لهَ، ومَستنكرًا هجاءَهُ لدُعاةِ الإصلاحِ الدِّيني، والحَركةِ الوهَّابيَّةِ:

أَتَقْصِدُ بِالْإِضْلَالِ أَجْرًا وَتَرْتَجِي بِسَبِّ دُعَاةِ الدِّينِ نَجَحَكَ فِي الْأُخْرَى؟![٢]

ويأتِي التَّناصُ الإيقاعِي هُنَا فِي قافيةِ الرَّاءِ فِي مُفردةِ (**الْأُخْرَى**)، الَّتِي تكرَّرَتْ كثيرًا فِي رائيَّةِ النَّبهانِي؛ ليأتِي التَّناصُ الإيقاعِي فِي هذهِ النَّقيضةِ تامًّا كذلكَ.

٣. **المشهدُ الثَّالثُ:** يتحدَّثُ النَّبهَانِي فِي هجائِهِ لدُعاةِ الإصلاحِ الدِّيني والحركةِ الوهَّابيَّةِ النَّجديَّةِ، متناقضًا معْ عددٍ مِنَ الشُّعراءِ الَّذِينَ ردُّوا علَى هِجائِه، وهجُوه كذلكَ، فقدَ ذكرنَا اثنينَ والآنَ نذكرُ الشَّاعرُ الثَّالثُ الَّذِي ردَّ علَى النَّبهَانِي فِي رائيَّتِهِ فِي ذمِّ البِدعِ ومدحِ السُّنةِ الغَرا، إذْ يهجُو فِي هذا النَّصِّ الشَّيخَ محمود شُكري الأَلُوسِي صاحبِ كتابِ (بُلُوغُ الْأَمَانِي فِي الرَّدِّ عَلَى النَّبَهَانِي)، فيقولُ:

إِلَى أَنْ رَمَى مَجْنُـونُهُمْ بِرَجِيعِهِ عَلَى النَّاسِ مِنْ تَأْلِيفِهِ ذَلِكَ السِّفْرَا

وَمَا وَصَلَتْ أَرْجَاسُهُ غَيْرَ قَوْمِهِ بِهِ وَبِهِمْ أَرْجَاسُـهُ حُصِـرَتْ حَصْرَا[٣]

يتناصُ النَّبهَانِي إيقاعيًّا فِي هذا النَّصِّ النَّقيضِي معِ الشَّاعرِ الشَّيخِ سَلمانَ بنِ سَمحانِ الوهَّابِي (ت:١٩٣١م)، الَّذِي ردَّ علَى النَّبهَانِي فِي هجائِهِ لِشكرِي الأَلُوسِي،

---

[١] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. الرائية الصغرى في ذم البدعة ومدح السنة الغرا. ص٢٠٣.

[٢] عبد العزيز بن إبراهيم. مخطوطة في الرد على النبهاني. رقم المخطوطة (٨٧٢١). مكتبة المتحف العراقي. بغداد.

[٣] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. الرائية الصغرى في ذم البدعة ومدح السنة الغرا. ص٢٣٥.

ودافعَ عنِ الدُّعاةِ المُصلحينَ، والكُتَّابَ والشُّعراءَ الَّذِينَ تصدُّوا لافتراءَاتِ النَّبهانِي _ حسبَ زعمِهِ _، إذْ يقولُ ابنُ سَمحانَ:

وَمَـا كُـلُّ قَـــوْلٍ بَالْقَبُـــولِ مُقَـابِلٌ فَكَيـفَ وَقَدْ أَبْدَى ضَـلَالَتَهُ جَهْرَا

فَإِنْ كُنْتُ فِي شَكٍّ مِنَ النَّسَبِ الَّذِي نَقُولُ وَفِيهِ الشَّكُّ نَحْصُرُهُ حَصَرَا[1]

فقدْ توافقَتِ المفردةُ **(حَصْرًا)** فِي البيتِ الثَّانِي معِ الرَّوِي (حَرفُ الرَّاءِ)، فشكَّلَتِ التَّناصَ الإيقاعِي، كمَا جاءَ قبلَهَا الفعلُ مِنْ جنسِهَا (الْمَاضِي: حَصَرَتْ) و(الْمُضَارِعُ: نَحْصُرُهُ)، فكانَ هناكَ توافقًا جزئيًّا فِي المُفردةِ السَّابقةِ كذلكَ، ليتجلَّى التَّناصُ الإيقاعِي في هذهِ النَّقيضةِ، علاوةً علَى تَوافقِ غَرضِ الهَجاءِ، والرَّدِّ مِنْ خِلالِ ذكرِ الكِتابِ المَقصودِ، ونسبِ الشَّيخينِ (النَّبهانِي، والأَلُوسِي)، وتَوافقَ الوزنُ والتَّفعيلةُ والبحرُ، وبالتَّالِي يمكنُ القَولُ أنَّ التَّناصَ الإيقاعِي جاءَ هُنَا تامًّا.

٤. **المشهدُ الرَّابعُ:** يردُّ النَّبهانِي فِي هذا النَّصِّ الشِّعرِي علَى الشُّعراءِ والمَشايخِ الَّذِينَ هاجمُوا مَشايخَهُ مِنَ الصُّوفيِّينَ، أمثالِ الإمامِ الرِّفاعِي (ت:١١٨٢م)، وأحمد فارس الشِّدياق، والإمامِ مُحي الدِّينِ بنِ العَربي، والإمامِ تَقِي الدِّينِ السَّبكِي الَّذِي قالَ فيهِ:

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا أَسْتَعِدُّ بِهِ لِنُصْرَةِ الْحَقِّ كَيْ أُحْظَى بِمَطْلَبِهِ[2]

يتناص النبهاني إيقاعيا في هذا النص الشعري الذي يرد فيه على أبي المظفر الحنبلي في قصيدته التي جاءت بالموضوع نفسه، والوزن والتفعيلة والبحر أنفسهم، إذ جاء فيه:

رَدًّا مُلَخَّصُهُ أَشْيَاءَ أَذْكُرُهَا أَمَّا حَدِيثٌ ضَعِيفٌ عِنْدَ مَطْلَبِهِ[3]

فالتَّناصُ الإيقاعِي وردَ فِي مفردةِ **(مَطْلَبِهِ)** وهيَ مُفردةُ الرَّوِي المُشتركِ فِي النَّقيضَتينِ، غيرَ أنَّهُ اختلفَ حرفَ الجَرِّ الَّذِي سبقَهَا (حَرفُ البَاءِ عِندَ النَّبَهَانِي) و(الظَّرفُ عِندَهُ وَرَدَ قَبلَ الرَّوِي عِنْدَ الْحَنْبَلِي)، وهذا التَّناصُ الإيقاعِي جاءَ تامًّا، فِي الهِجاءِ رغمَ أنَّ البيتينِ لمْ يظهرْ بهمَا الهجاءُ صريحًا، لكنَّ موضوعَ القَصيدةِ فِي الهِجاءِ، وهذا لوحظَ فِي القَصيدةِ الثَّانيةِ الَّتِي هجَا فيهَا الإمامُ الحَنبلِي الإمامَ تَقي الدِّينِ السُّبكِي، فردَّ عليهِ

[1] سلمان بن سمحان. مخطوطة في الرد على النبهاني. رقم المخطوطة (٨٧٨٩). مكتبة المتحف العراقي. بغداد.

[2] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. ديوان يوسف النبهاني. ص٤٠٥.

[3] الألوسي، أبو المعالي محمود شكري. غاية الأماني في الرد على النبهاني. مج١. ص٣٣٠.

الشَّيخُ يوسُفُ النَّبهَانِي. ففِي هذهِ النَّقيضةِ كانَ دورُ النَّبهانِي رادًّا علَى خصومِهِ، وليسَ بادئًا للخُصومةِ كمَا فِي السَّابقِ[1].

وهكذَا، فإنَّ التَّناصَ الإيقاعِي فِي الشِّعرِ أكثرُ ما يكونُ فِي شعرِ المُعارضاتِ والنَّقائضِ، إذْ يأتِي غالبًا تناصًّا إيقاعيًّا تامًّا، وقدْ يَرِدُ فِي قَصائدَ أُخرَى تَتوافقُ وتَتَناصُّ فِي الرَّوِي فقطْ معْ اختلافٍ فِي الغَرضِ والمَوضوعِ، وكَذلكَ التَّفعيلةُ والوزنُ والبَحرُ، وهذا التَّناصُ الإيقاعِي يكونُ تناصًّا جزئيًّا، وفِي شعرِ النَّبهَانِي الزَّاخرِ بأنواعِ التَّناصِ، يتجلَّى التَّناصُ الإيقاعِي بصورٍ شتَّى، إذْ تمتلئُ قصائدُهُ خاصَّةً المَدائحُ النَّبويَّةُ والمُعارضاتُ والنَّقائضُ بالتَّناصِ الإيقاعِي، ممَّا يستدعِي إفرادُ بحثٍ أوْ دراسةٍ خاصَّةٍ حولَ التَّناصِ الإيقاعِي فِي شعرِ يوسُفِ النَّبهَانِي، كمَا يَغلبُ علَى التَّناصِ الإيقاعِي فِي شعرِ يُوسفِ النَّبهانِي التَّناصّيَّةِ التَّامَّةِ، خاصَّةً فِي المُعارضَاتِ الشِّعريَّةِ الَّتِي أفردَ لهَا النَّبهانِي أربعةُ مُجلَّداتٍ، زَخرِتْ جميعُهَا بِالمدَائحِ النَّبويَّةِ لشعراءَ سابقينَ ومُعاصرينَ لهُ، وقدْ كانَ يَختمُ كلَّ مَجموعةٍ تتَّفقُ بالرَّوِي نفسِهِ بقصيدةٍ مِنْ نسجِهِ، فتجدُ في كلِّ مُجلَّدٍ عددًا مِنَ القَصائدِ فِي مدحِ رَسولِ اللهِ ﷺ جاءَتْ بروِيهَا مُتناضةً إيقاعيًّا معْ سَابقاتِهَا.

[1] انظر: ماضي، عيسى محمد علي. يوسف النبهاني الشاعر الفلسطيني الرائد. ج٢. ص٤٩٦.

الخاتمةُ والنَّتائجُ والتَّوصياتُ

أوَّلًا: الخَاتمةُ

تنتهِي هذهِ الدِّراسةُ المَوسومةُ **(بِالتَّناصِ فِي شعرِ يُوسُفِ النَّبهَانِي)** بالتَّأكيدِ علَى أنَّ ظاهرةَ التَّناصِ البَلاغيَّةِ النَّقديَّةِ، تبقَى ظاهرةً حديثةً فِي دِراسةِ الأدبِ والبَلاغةِ والنَّقدِ، وإنْ كانَتْ جُذورُهَا قديمةً مِنْ خِلالِ العَلاقاتِ الَّتِي تربطُهَا بِالمُصطلحاتِ البَلاغيَّةِ النَّقديَّةِ القَديمةِ، (كالسَّرقَاتِ الشِّعريَّةِ، والاقتباسِ، والتَّضمينِ، والتَّوليدِ، والحِواريَّةِ، وغيرِهَا)، كمَا أنَّ الحَديثَ عنْ هذهِ الظَّاهرةِ لنْ يقفَ عندَ حدٍّ، فمنذُ أنْ بدأَتْ هذهِ الظَّاهرةُ بالظُّهورِ فِي أواسطِ القَرنِ الماضِي على يدِ البَاحثةِ (جُوليا كريستيفَا)، والدِّاراسَاتُ حولَهَا لمْ تتوقَّفْ سَواءٌ كانَتْ دِراساتٍ وصفيَّةً أوْ تَحليليَّةً أوْ تطبيقيَّةً أوْ غيرَهَا، فقدْ كانَ للمُسلمينَ الأوائلِ بَصماتٍ جُذوريَّةً فِي هذهِ الظَّاهرةِ البَلاغيَّةِ النَّقديَّةِ، مِنْ خِلالِ الحَديثِ عنِ (السَّرقاتِ الشِّعريَّةِ، والاقتباسِ، والتَّضمينِ، وغيرِهَا)، علَى لِسانِ عددٍ مِنَ علماءِ اللُّغةِ والنَّقدِ الأدَبي، أمثالُ: (عبدِ القاهرِ الجُرجانِي، وابنِ خُلدونَ، وأبي هِلالِ العَسكَري، وابنِ رشيقٍ القِيروانِي، وغيرِهِمْ)، ثمَّ جاءَ عُلماءُ الغَربِ ولُغويُّوهُ ونقَّادُهُ بعدَ ثورتِهِمْ العِلميَّةِ والأدبيَّةِ مُنتصفَ القَرنِ التَّاسعَ عشرَ، فواصلُوا البحثَ وانطلقُوا بِهِ مِنْ حيثُ انتهَى العُلماءُ المُسلمونَ، فأتُوا بِالجديدِ فِي عالمِ البَحثِ اللُّغوي بِشتَّى علومِهِ، وتوصَّلُوا إلى ظَاهرةِ التَّناصِ بعدَ دِراسةِ الظَّواهرِ المُشابهةِ لهَا عندَ عُلماءِ المُسلمينَ، فبرعَ منهُمْ: (ثيودُور دُوستويفسكِي، وميخائيل بَاختين، وتزفيتان تُودوروف، وجُوليا كرِيستيفَا، وغيرِهِم)، وتعمَّقَ علماءُ العَربِ والمُسلمينَ في العصرِ الحديثِ فِي دراسةِ هذهِ الظَّاهرةِ، وتطبيقِهَا فِي الأدبِ العربِي، فوجدَتْ متَّسعًا مِنَ الِّدراسَةِ والتَّحليلِ، وقدْ ساعدَ ذلكَ شُعراءُ جددٌ علَى الانطلاقِ فِي تجسيدِ هذهِ الظَّاهرةِ فِي شعرِهِمْ، ومِنْ هؤلاءِ الشُّعراءِ الَّذِينَ تجلَّتْ ظَاهرةُ التَّناصِ فِي شعرِهِمْ رغمَ أنَّهُمْ سَبقُوا تَاريخَ ظُهورِهَا، الشَّاعرُ يُوسُفُ النَّبهَانِي، فقدِ امتلأَتْ قَصائدُهُ المتنوعةُ بالتَّناصِ بِأنواعِهِ المُتعدِّدةِ (كالتَّناصِ الدِّينِي، والأدبِي، والتَّاريخِي، والتُّراثِي، والإيقاعِي)، باستثناءِ التَّناصُ الأُسطورِي الَّذِي لمْ نجدْ لهُ متَّسعًا فِي ثنايَا شعرِهِ سوَى فِي بيتٍ واحدٍ تناصَّ بِهِ معِ الشَّاعرِ كعبِ بنَ زُهيرٍ، إذْ يقولُ النَّبهَانِي:

أَتَاكَ كَعْبٌ وَقَدْ جَلَّتْ جِنَايَتُهُ وَكَادَ يَغْتَالُهُ مِنْ ذَنْبِهِ غُوْلُ[1]

[1] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. المجموعة النبهانية في المدائح النبوية. مج١. ص١٧٦.

فقدْ تناصَ النَّبهَانِي هُنَا أسطوريًّا مِنْ خلالِ ذكرِهِ للحَيوانِ الأُسطورِي **(الْغُوْلُ)**، وهذا التَّناصُ الأُسطورِي وردَ كذلكَ فِي بيتٍ شعريٍّ لكعبِ بنِ زُهيرٍ فِي قَصيدتِهِ الاعتذاريَّةِ المَدحيَّةِ الَّتِي نسجَهَا اعتذرًا لِرسولِ اللهِ ﷺ، وإعلانًا لإسلامِهِ، فقدْ قالَ كعبٌ بنُ زُهيرٍ:

فَمَا تَدُوْمُ عَلَى حَالٍ تَكُوْنُ بِهَا إِلَّا كَمَا تَلَوَّنَ فِي أَثْوابِهَا الْغُوْلُ[1]

يُلاحظُ أنَّ الشَّاعرينِ تناولَا مُفردةَ **(الْغُوْلُ)** مِنْ بابِ التَّناصِ الأُسطورِي، وربَّمَا ذكرَ النَّبهَانِي هذا الحَيوانَ الأُسطورِي ليُشيرَ إلى بيتِ كعبٍ فِي القَصيدةِ نفسِهَا الَّتِي عارضَهَا فِي مديحِ الرَّسولِ ﷺ.

وتجلَّتْ أنواعُ التَّناصِ الأخرَى فِي شعرِ يُوسُفِ النَّبهَانِي تجلِّيًا واضحًا، خاصَّةً التَّناصُ الدِّينِي الَّذِي ملأَ مَضامينَ شعرِهِ، فكادَ أنْ يَطغِي علَى الأنواعِ الأُخرَى، والسَّببُ فِي ذلكَ أنَّ الشَّاعرَ يُوسُفُ النَّبهَانِي شاعرًا صوفيًّا، وأغراضَ شعرِهِ كلَّهَا تدورُ فِي فَلكِ الألهيَّاتِ، والصُّوفيَّاتِ، والمَدائحِ النَّبويَّةِ، وقليلٍ منهَا فِي المَديحِ العَامِ، والوصفِ، والهِجاءِ، والرِّثاءِ، ولونِ المُوشَّحَاتِ الأندلسيَّةِ الَّذِي تناولَهُ فِي قَصيدتينِ فَحسب، علاوةً علَى لونٍ جديدٍ اسمُهُ (التَّخْميسُ فِي الشِّعرِ).

وجاءَ الحديثُ عنِ الشَّاعرِ يُوسُفِ النَّبهَانِي مفصَّلًا لِعلاقةِ حياتِهِ بشعرِهِ، إذْ جاءَتِ المُفارقةُ العجيبةُ فِي فترةِ نُبوغِهِ وبروزِهِ أثناءَ الحِقبةِ التَّاريخيَّةِ الصَّعبةِ الَّتِي بدأَ فيهَا الغَزوُ الغَربيُّ لبلادِ المُسلمينَ، واندلاعِ الحَربِ العالميَّةِ الأولَى، ثمَّ سُقوطُ الخِلافةِ العُثمانيَّةِ الإسلاميَّةِ فِي إسطنبولَ، فتلكَ التَّحوُّلاتُ الكُبرَى المُؤثِّرةُ رافقَتْ حياةَ النَّبهَانِي، ونبوغُهُ شاعرًا وكاتبًا وعالمًا صوفيًّا، ممَّا جعلَهُ يتناولُ قضايَا هامَّةً وملحَّةً، جعلتْ مِنْ كُتبِهِ المُتعدِّدَةِ مَحطَّاتٍ هامَّةً فِي تَاريخِ تلكَ الحِقبةِ المِفصليَّةِ فِي تاريخِ العَربِ وَالمُسلمينَ.

ولا شكَّ أنَّ دفاعَ النَّبهَانِي عنِ الخِلافةِ، وهجومِهِ علَى المُتعاونينَ معِ المُستعمرِ الغَربِي جعلَ لهُ أعداءَ كثيرينَ علَى صَعيدَي الفِكرِ والسِّياسةِ، علاوةً علَى قيامِ دُعاةِ الإصلاحِ بِالهُجومِ الكبيرِ عليهِ بسببِ اتِّهامِهِ لَهُمْ بِالتَّعاونِ معِ المُستعمرِ فِي ضربِ دَعائمِ الدِّينِ الإسلامِي، ممَّا أَثَرَ حَفيظتَهُمْ فانبرُوا للتَّصدِّي لهُ، وقدْ برزَ فِي شعرِهِ هَذا الاختلافُ، كمَا بيَّنَتْهُ ظاهرةُ التَّناصِ التَّاريخِي، والتَّناصُ الإيقاعِي لارتباطِهَا بشعرِ النَّقائضِ الَّذِي برزَ فِي شعرِهِ المُرتبطِ بالمُساجَلاتِ الشِّعريَّةِ وخاصَّةُ الهِجاءَ.

[1] كعب بن زهبر. ديوان كعب بن زهير. ص٦١.

وبناءَ علَى ذلكَ، فقدْ كشفَتِ هذهِ الدِّراسةُ كثيرًا مِنْ محطَّاتِ الفِكرِ، والسِّياسةِ، والأدبِ، فكانَتْ دراسةً فكريَّةً تبحثُ فِي الرُّؤيةِ الدِّينيَّةِ الإسلاميَّةِ أمامَ الرُّؤى النَّصرانيَّةِ واليَهوديَّةِ، بالكشفِ عَنِ المُفارقاتِ الواضِحةِ بينَ العَقيدةِ الفِكريَّةِ الإسلاميَّةِ والعقائدِ الأُخرَى، ودراسةً سياسيةً تكشفُ عنْ دَورِ المُستعمرِ فِي لعبِ الأدوارِ، وإشعالِ نارِ الفِتنِ فِي بلادِ المُسلمينَ مِنْ خِلالِ التَّعاونِ مَعْ أبنائِهَا مِنْ دُعاةِ الإصلاحِ الدِّينِي والسِّياسِي والاجتماعِي مقدِّمةً لاستعمارِهَا، ودراسةً أدبيَّةً مِنْ خلالِ الكشفِ عنْ ظاهرةِ التَّناصِ البَلاغيَّةِ، النَّقديَّةِ، الأدبيَّةِ، الَّتِي تجلَّتْ فِي شعرِ يُوسُفِ النَّبهَانِي بأنواعِهَا المُتعدِّدةِ.

وأبرزَتْ هذهِ الدِّراسةُ النَّوعَ الجديدَ مِنَ التَّناصِ وهوَ التَّناصُ الإيقاعِي مِنْ خِلالِ شِعرِ المُعارضاتِ، وشعرِ النَّقائضِ القديمِ المُتجدِّدِ، وأشارَتْ بكُلِّ وُضوحٍ إلَى نوعينِ مِنَ التَّناصِ إشارةً واضحةً، وهُمَا: التَّناصُ القَصَصِي بأنواعِهِ، والتَّناصُ الصُّوفِي بصورِهِ المُختلفةِ، فكانَتْ دِراسةً شُموليَّةً، مُتعمِّقةً، وكَاشَفةً.

ثانيًا: نتائجُ الدِّراسةِ

تُوِّجَتْ هذهِ الدِّراسةُ بالخُروجِ بنتائجَ رَئيسيَّةٍ عدَّة، تبلوَرَتْ حولَ ظَاهرةِ التَّناصِ بأنواعِهَا القَديمةِ والجَديدةِ، علاوةً علَى نتائجَ ثانويَّةٍ تركَتْ أثرًا مهمًّا فِي الدِّراسةِ، سَتخبرُ عنهُ التَّوصياتُ التَّابعةُ لهَا فِي نهايةِ الدِّراسةِ، ومِنْ أهمِّ هذهِ النَّتائجِ الَّتِي تُوِّجَتْ بهَا الدِّراسَةُ:

١. عرّفت الدراسة بشخصية الدراسة الشيخ الشاعر يوسف النبهاني تعريفا مستفيضا، مبينة الظروف والأحوال الفكرية، والسياسية، والاجتماعية، التي ترافقت مع حياته المثقلة بالعمل.
٢. عرَّفَتِ الدِّراسةُ بالتَّناصِ كظَاهرةٍ بلاغيَّةٍ، نقديَّةٍ أدبيَّةٍ، قديمةٍ متجدِّدةٍ باستمرارٍ تعريفًا متعدِّدَ المَشاربِ.
٣. كشفَتِ الدِّراسةُ عنْ ظَواهرَ أُخرَى مُشابهةٍ للتَّناصِ قديمةً وجديدةً (كَالسَّرقاتِ الشِّعريَّةِ، والاقتباسِ، والتَّضمينِ، والتَّوليدِ، والحِواريَّةِ، والتَّلاصِ، والتَّعالُقِ النَّصِّي، وغيرِهَا).
٤. تناولَتِ الدِّراسةُ أنواعَ التَّناصِ القديمةِ (كالتَّناصِ الدِّينِي، والأدبِي، والتَّاريخي، والأُسطورِي، والتُّراثِي)، والأنواعَ الجَديدةَ (كالتَّناصِ القَصَصِي، والصُّوفِي، والإيقاعِي).

٥. بيَّنَتِ الدِّراسةُ الأنواعَ الأُصوليَّةَ للتَّناصِ بنوعيهِ المُباشرِ وغيرِ المُباشرِ، والتَّناصُ الدَّاخلِي فِي شعرِ الشَّاعرِ نفسِهِ، والتَّناصُ الخَارجِي فِي شعرِ غيرِهِ مِنَ الشُّعراءِ.

٦. طبَّقَتِ الدِّراسةُ _ مُجيبةً عَنْ سؤالِهَا _ التَّناصُ فِي شعرِ يُوسُفِ النَّبهَانِي مُفصَّلةً قدرَ ما سمحَتْ لهَا النُّصوصُ الشِّعريّةِ المُتدفِّقَةِ، علَى النَّحوِ التَّالِي:

- التَّمثيلُ بأمثلةٍ متعدِّدةٍ علَى التَّناصِ الدِّينِي فِي شِعرِ يُوسُفِ النَّبهَانِي، سواءٌ كانَ التَّناصُ الدِّينِي مَعِ القُرآنِ الكَريمِ أمْ معِ الأحاديثِ النَّبويَّةِ، أمْ معِ القَصَصِ القُرآنِي، أوِ الاستدعائِي لشخصيَّاتٍ دينيَّةٍ.
- التَّمثيلُ بأمثلةٍ متعدِّدةٍ علَى التَّناصِ الأدَبِي فِي شعرِ يُوسُفِ النَّبهَانِي، سواءٌ أكانَ التَّناصُ الأدبِي مَعِ الشِّعرِ التَّقليدِي أمِ الصُّوفِي أمِ القَصَصِ الأدبيَّةِ أمْ معِ الاستدعائِي لشخصيَّاتٍ أدبيَّةٍ معروفةٍ.
- التَّمثيلُ بأمثلةٍ متعدِّدةٍ للتَّناصِ التُّراثِي الشَّعبِي في شعرِ يُوسُفِ النَّبهَانِي، سواءٌ كانَ التَّناصُ التُّراثِي الشَّعبِي معِ الحِكمِ والأقوالِ المَأثورةِ أمْ معِ الأمثالِ الشَّعبيَّةِ.
- التَّمثيلُ بأمثلةٍ متعدِّدةٍ للتَّناصِ الإيقاعِي فِي شعرِ يُوسُفِ النَّبهَانِي، سواءٌ كانَ التَّناصُ الإيقاعِي في المُعارضاتِ أمِ النَّقائضِ، معِ التَّركيزِ علَى التَّناصِ الكُلِّي أكثرُ مِنَ الجزئِي.
- لمْ تجدْ الدِّراسةُ أمثلةً على التَّناصِ الأسطورِي سِوى مثالٍ واحدٍ فقط، تمَّ ذكرُهُ في الخاتمةِ، ممَّا يُشيرُ إلى تَجنُّبِ الشَّاعرِ يوسُفِ النَّبهَانِي الحديثَ عنِ الأساطيرِ لاعتقادِهِ أنَّهَا مخالفةٌ للعَقيدةِ والفكرِ الإسلامِي، خاصَّةً لأنَّ المُخالفينَ للنَّهجِ الإسلامِي فِي الغَربِ والشَّرقِ استخدموهَا للصَّدِّ عَنِ الدَّعوةِ إلى توحيدِ اللهِ تعالَى وعبادتِهِ حقَّ عبادةٍ.
- إعطاءُ صورةٍ واضحةٍ جليَّةٍ عنْ ظاهرةِ التَّناصِ فِي شعرِ يُوسُفِ النَّبهَانِي تفيدُ الباحثينَ.

ثالثًا: تَوصياتُ الدِّراسةِ

انتهَتِ الدِّراسةُ بضرورةِ العَملِ علَى تنفيذِ التَّوصياتِ التَّاليةِ، توجيهًا للباحثينَ والدَّارسينَ في الأدبِ، والبَلاغةِ، والنَّقدِ، في سَبيلِ إثراءِ الدِّراسةِ، وتغطيةِ جوانبِهَا كافَّة فِي

دِراساتٍ أُخرَى تابعةً لهَا، أوْ متمِّمةً، لإكمالِ تطبيقِ التَّناصِ كاملًا فِي شعرِ هذا الشَّاعرِ غزيرِ الشِّعرِ ورائدِهِ، فجاءَتِ التَّوصياتُ على النَّحوِ التَّالِي:

١. ضرورةُ العملِ على دراسةِ التَّناصِ بمعزلٍ عنِ الظَّواهرِ المُشابهةِ لهُ، معِ اعتبارِ أنَّ الظَواهرَ البَلاغيَّةَ، والنَّقديَّةَ، والأدبيَّةَ الأخرَى قائمةً بذاتِهَا، ولنْ يكونَ التَّناصُ ناسخًا لهَا.

٢. ضرورةُ اعتبارِ الاقتباسِ ظاهرةٌ بلاغيَّةٌ خاصَّةٌ بِالقرآنِ الكريمِ والحَديثِ الشَّريفِ، ولا علاقةَ لهَا بالتَّناصِ، إلَّا إذَا كانَ الاقتباسُ معنويًّا لا لفظيًّا.

٣. ضرورةُ دراسةِ الحياةِ الفِكريَّةِ والسِّياسيَّةِ في حِقبةِ الاستعمارِ، ونهاياتِ دَولةِ الخِلافةِ العُثمانيَّةِ دراسةً موضوعيَّةً، معِ الاستفادةِ مِنْ بصماتِ الشَّاعرِ يوسُفِ النَّبهَانِي الَّذِي كشفَ عنْ جوانبَ مهمَّةٍ في أثرِ الاستعمارِ بأنواعِهِ (الفكرِي، والتَّبشيرِي، والسِّياسِي، والثَّقافِي)، علاوةً علَى الاستعمارِ العسكري الَّذِي أثبتَ فشلَهُ مقابلَ الأنواعِ الأخرَى المَذكورةِ.

٤. ضرورةُ التَّركيزِ في دراسةِ أنواعِ التَّناصِ علَى الأنواعِ الجَديدةِ، والعملِ الدَّؤوبِ مِنْ أجلِ اكتشافِ أنواعٍ أخرَى مِنَ التَّناصِ لتغطيةِ هذهِ الظَّاهرةِ البَلاغيَّةِ، النَّقديَّةِ، الأدبيَّةِ، تغطيةً تامَّةً.

٥. ضرورةُ قيامِ باحثينَ بدراسةِ ظاهرةِ التَّناصِ في شِعرِ يُوسفِ النَّبهَانِي بأنواعِهِ المُنفردةِ، بإفرادِ دراسةٍ خاصَّةٍ لكلِّ نوعٍ، بسببِ غَزارةِ شعرِهِ، وتدفُّقِ التَّناصِ منهُ خاصَّةً التَّناصُ الدِّينِي، والقَصَصي، والإيقاعِي.

٦. ضرورةُ التَّعمُّقِ فِي دراسةِ شِعرِ يوسفِ النَّبهَانِي، فقدْ يجدُ الباحثُ ضالتَهُ فِي اكتشافِ أنواعٍ جديدةٍ مِنَ التَّناصِ، أوْ ظواهرَ أدبيَّةٍ لمْ يتمِ التُّطرُّقُ إليهَا مُسبقًا، خاصَّةً لأنَّ دواوينَ النَّبهَانِي وقصائدَهُ الألفيَّةَ تُعَدُّ أوعيةً أدبيَّةً زاخرةً بأنواعِ الأدبِ، والظَّواهرِ البَلاغيَّةِ، والنَّقديَّةِ، وغيرِهَا.

انتهَى

المَلاحِقُ

المُلحَقُ رَقْم (١)

مَشَاهِدُ مُجَدوَلَةٌ مِن التَّنَاصِ بِأَنوَاعِهِ فِي شِعرِ يُوسُفِ النَّبهَانِي

أَوَّلًا: التَّنَاصُ الدِّينِي فِي شِعرِ يُوسُفِ النَّبهَانِي.

١. التَّنَاصُ الدِّينِي مَعِ القُرآنِ الْكَرِيمِ.	
النَّصُّ الشِّعرِي عِندَ النَّبهَانِي	النَّصُّ مِن القُرآنِ الكَرِيمِ
هِيَ كَانَتْ أَروَاحُهُمْ وَبِهَا كَا نَ لَهُمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ إِحْيَاءُ	يقول الله تعالى:"وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ".
مِنْهُ بَرْقٌ لَهُمْ أَضَاءَ وَمِنْهُمْ كُلُّ عَيْنٍ سَحَابَةٌ سَحَّاءُ	يقول الله تعالى:"يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ".
بِرَبِّكَ ذَكِّرْهُمْ عَسَى تَنْفَعُ الذِّكْرَى فَكَمْ نِعَمٍ أَجْدَى وَكَمْ مِنَنٍ أَجْرَى	يقول الله تعالى:"فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى".
وَرُؤْيَتُهُمْ للهِ خَيْرُ نَعِيْمِهِمْ وَجُوهُهُمْ مِنْ حُسْنِهَا نَضَرَتْ نَضْرَا	يقول الله تعالى:"وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ".
وَيَغْفِرُ مَا دُوْنَ الشِّرْكِ مَا شَاءَ مِنَّةً وَلَا يَجِدُ الكُفَّارُ مِنْ فَضْلِهِ غُفْرَا	يقول الله تعالى:"إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا".
وَتَأَمَّلْ سَبْحَانَ مَنْ مِنْهُ فَضْلًا كَانَ لَيْلًا بِعَبْدِهِ الإِسْرَاءُ	يقول الله تعالى:"سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ".
إِنَّ رَبِّي لِمَا يَشَاءُ لَطِيْفٌ وَعَلَى مَا يَشَاءُ قَدِيْرُ	يقول الله تعالى:"وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ".
لَا يَنْزِلُ الرَّيْبُ يَوْمًا حَوْلَ سَاحَتِهِ	يقول الله تعالى:"ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى

لِأَنَّهُ مِنْ لَدُنْ مَوْلَاهُ تَنْزِيْلُ	لِلْمُتَّقِينَ".
أَنَا فِي الدَّارَيْنِ أَبْغِي رَشَدِي مِنْكَ فِي الدُّنْيَا وَفِي دَارِ الْقَرَارِ	يقول الله تعالى:"مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ".
٢. التَّنَاصُ مَعَ الحَدِيثِ الشَّرِيفِ.	
النَّصُّ الشِّعرِي عِندَ النَّبَهَانِي	**النَّصُّ مِنَ الحَدِيثِ الشَّرِيفِ**
تَقَدَّسَ عَنْ أَنْ يَقْدِرُ الْخَلْقُ قَدْرَهُ وَأَنْ يَبْلُغُوا فِي حَقِّهِ النَّفْعَ وَالضَّرَّا	قال رسول الله ﷺ:(يَا غُلَامُ!إِنِّي أُعَلِّمكَ كَلمَات، احفَظِ اللهَ يَحفظْكَ، احفَظِ اللهَ تجدْهُ تِجاهَكَ، إِذَا سَألْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا استعَنْتَ فَاستَعِنْ باللَّهِ، وَاعلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَو اجتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنفَعُوكَ بِشَيءٍ، لَمْ يَنفعُوكَ إِلَّا بِشَيءٍ قَد كَتَبهُ اللهُ لكَ، وَلَو اجْتَمعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيءٍ لَنْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيءٍ قَد كَتَبَهُ اللهُ عَلَيكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ).
عَلَيْكَ بِالصِّدْقِ فِي حُبِّ الْحَبِيْبِ فَمَا بِغَيْرِهِ لَكَ تَحْصِيْلٌ وَتَوْصِيْلُ	قال رسول الله ﷺ:(عَلَيكُمْ بِالصِّدقِ، فَإِنَّ الصِّدقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهدِي إِلَى الجَنَّةِ، وَمَا يَزالُ الرَّجُلُ يَصدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِندَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالكَذِبُ فَإِنَّ الكَذِبَ يَهدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الكَذِبَ حَتَّى يُكتَبَ عِندَ اللهِ كَذَّابًا).
أَقْبِلْ، وَاشْفَعْ بِمَنْ تَخْتَارُهُ أَقْبِلِ وَاسْأَلْ، أُعْطِيْكَ مَهْمَا شِئْتَ مِنْ مَأْمَلِ	قال رسول الله ﷺ:(إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللَّهِ فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى فَإِنَّهُ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ _ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ _ فَيَأْتُونِي، فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي

	وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا لَا تَحْضُرُنِي الْآنَ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ، فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَنْطَلِقُ، فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ، فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ أَوْ خَرْدَلَةٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَخْرِجْهُ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، فَيَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلالِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي، لأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ).

مِنْهُمْ سَيِّدٌ لَهُ اهْتَزَّ عَرْشُ اللهِ شَوْقًا، وَمِنْهُمِ النُّقَبَاءُ	قال رسول الله ﷺ:(اهْتَزَّ الْعَرْشُ لِمَوْتِ سَعْدِ بنِ مُعَاذٍ).
بِهِ خَتَمَ اللهُ النَّبِيْيِنَ مَبْعَثًا فَأُمَّتُهُ الغَرَّا هِيَ الْأُمَّةُ الوُسْطَى	روى أبو أُمامةَ الباهليُّ قائلا: سَمِعتُ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ فِي حِجَّةِ الوَدَاعِ، فَقَالَ:(إنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي وَلَا أُمَّةَ بَعْدَكُمْ).
حَيْثُ الشَّفَاعَةُ لَا تَرْضَى سِوَاهُ وَلَا يَقْوَى لِخِطْبَتِهَا الْغُرُّ الْبَهَالِيْلُ	قال رسول الله ﷺ:(أُعْطِيْتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنْ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيْرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ

	الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُوْرًا، فأيَّمَا رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيْتُ الشَّفَاعَةُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّة).
مَقَامُهُ ثَمَّ مَحْمُودٌ وَفِي يَدِهِ فَوْقَ الْجَمِيْعِ لِوَاءُ الْحَمْدِ مَحْمُوْلٌ	قال رسول الله ﷺ:(أَنَا سَيِّدُ وَلَدُ آدَمَ وَلَا فَخْرُ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرُ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ وَلَا فَخْرُ، وَلِوَاءُ الْحَمْدِ بِيَدِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرُ).
مُنْيَتِي طَيْبَةُ لَا أَبْغِي سِوَاهَا فِيْهَا الْحُسْنُ لَعَمْرِي قَدْ تَنَاهَى	روى زيد بن ثابت _ رضي الله عنه _ ، قائلا:(لمَّا خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أُحِد، رَجَعَ نَاسٌ مِمَّنْ خَرَجَ مَعهُ، وَكَانَ أَصْحَابُ النَّبِيّ ﷺ فِرقَتَينِ: فِرقَةٌ تَقُولُ: نُقَاتِلُهُمْ، وَفِرقَةٌ تَقُولُ: لَا نُقَاتِلُهُمْ، فَنَزَلَ قَولُهُ تَعَالَى:"فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا"، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:(إِنَّهَا طَيْبَةُ، تَنْفِي الذُّنُوْبَ كَمَا تَنْفِي النَّارُ خَبَثَ الْفِضَّةِ).
وَلَوْ جَاءَ فِي أَعْصَارِهِمْ آمَنُوا بِهِ وَكَانُوا لَهُ مِنْ خَيْرِ أَجْنَادِهِ نُصَّرَا	فقال رسول الله ﷺ:(لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، وَلَوْ كَانَ مُوْسَى حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا اتِّبَاعِي).
٣. التّنَاصُ الدّينِي مَعِ القَصَصِ القُرآنِي.	
النَّصُّ الشِّعرِي عِندَ يُوسُفِ النَّبهَانِي	**النَّصُّ القَصَصي فِي القُرآنِ الكَرِيمِ**
جَاءَ وَالدَّهْرُ مُظْلِمٌ فَتَجَلَّتْ مِنْهُ فِيهِ شَمْسُ الْهُدَى فَأَضَاءَ صَارَ كُلُّ الزَّمَانِ مِنْهُ نَهَارًا وَلَقَدْ كَانَ لَيْلَةً لَيْلَاءَ جَاءَ وَالْعِلْمُ وَالفَضَائِلُ وَالتَّوْ حِيدُ مَوْتَى فَأَصْبَحَتْ أَحْيَاءُ هُوَ فَرْدُ الوُجُودِ مَا خَلَقَ اللهُ لَهُ فِي كَمَالِهِ نُظَرَاءَ	أشار ابن هشام في السيرة النبوية إلى ذلك فقال:(ولدَ رَسولُ اللهِ ﷺ يومَ الاثنينِ لِاثنتَي عَشرةَ خَلَتْ مِن رَبيعٍ الأوَّلِ، عَامَ الفيلِ، ويَروي حَسَّانُ بنُ ثابتٍ _ رَضِيَ اللهُ عنهُ _ شَاعِرُ الرَّسولِ _ وَقَد كانَ غُلامًا صَغيرَ السِّنِّ _ أنَّهُ سَمعَ تلكَ اللَّيلةِ يَهوديًّا فِي المَدينةِ كانَ يَصرُخُ فِي أعلَى أَطمَةٍ فِي يَثربَ، فَيقولُ: يَا مَعشرَ يَهودَ، حَتَّى اجتَمَعُوا إليهِ، وَقالُوا: وَيلكَ، مَا لكَ؟! قالَ: طَلَعَ اللَّيلةُ نَجْمُ أحمدَ الَّذِي وُلِدَ بِهِ).

وَبِمِيْـــلَادِهِ لَقَـدْ فَـاضَ نُوْر ضَاقَ عَنْ وُسْعِهِ المَلَا وَالْخَلَاءُ فَاضَ طُـوْفَـانُهُ فَغَـاضَـتْ مِيَاهُ الْفُـرْسِ وَالنَّـارُ عَمَّهَا الإِطْفَاءُ شُرُفَاتُ الإِيْوَانِ إِيْوَانَ كِسْرَى مِنْهُ خَـرَّتْ وَانْشَــقَّ هَـذَا الْبِنَاءُ وَرَأَى المُـوْبِذَانُ رُؤْيَا حَكَاهَا هِيَ حَـقٌّ وَلَيْـسَ فِيْـهَـا امْتِـرَاءُ وَبِمِيْـلَادِهِ تَنَكَّسَــتِ الْأَصْـنَامُ جَنَّـــتْ أَمْ مَسَّـــهَا إِغْمَاءُ	الحَدَيثُ عَنْ قصَّةِ ميلادِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّتِي سَرَدَهَا ابنُ هِشَامَ مُفصّلًا وَمُوضّحًا، وذَاكِرًا مَا صَاحَبَ ميلادَهُ في تلكِ اللّيلةِ :(... وَرَأَتْ أمُّهُ آمِنَةَ حِيْنَ حَمَلَتْ بِهِ أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نورًا رَأَتْ بِهِ قُصُورَ كِسْرَى مِنْ أَرْضِ الشَّامِ).
فَلَـوْلَا فِـرَاقُ الخُـلْدِ حَـوَّا وَآدَمٌ لَمَا جَـاءَتِ الرُّسْـلُ الْأَكَـارِمِ مِنْهُمَا وَأَحْمَدُ خَيْـرُ الْخَلْقِ لَوْلَا فِـرَاقُـهُ لِمَكَّـةَ لَمْ يَظْفَـرْ بِمَـا كَـانَ صَمَّمَا	رَوَى ابنُ كَثِيرٍ حَولَ قِصَّةِ نُزُولِ آدَمَ وَحَوَّاءَ _ عَلَيْهِمَا السَّلَامِ _ مِن الْجَنَّةِ، عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ _ رَضِيَ اللهُ عَنهُ _ عَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ:(... ثُمَّ لَمَّا أَسكنَ اللهُ آدمَ وزوجتَهُ حَواءَ الجَنَّةَ، أَقَامَا فيهَا يَأكلانِ مِنهَا رغَدًا كمَا أرادَا، فلمَّا أَكلَا مِن الشَّجرةِ الَّتِي نُهيَا عَن الأكلِ مِنهَا، إذْ أغواهُمَا الشَّيطانُ، سُلِبَا مَا كَانَا عَليهِمَا مِن اللِّباسِ، وَقالَ اللهُ لهُمَا: اهْبِطَا إلى الأَرضِ). وَرَوَى ابنُ إِسحَاقَ حَولَ قِصَّةِ هِجْرةِ الرَّسُولِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ المُكَرَّمَةِ إِلَى يَثْرِبَ قَائِلًا:(... فَلمَّا أَجْمَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الخُروجَ مِن مَكَّةَ إلى يَثربَ، أَتى أَبَا بَكرٍ بنِ أَبي قُحَافةَ، فخَرجَا مِن خَوخَةٍ لِأبي بَكرٍ فِي ظهرِ بيتِهِ، وعَمِدَا إلى غَارٍ بِثورٍ(أسفلَ مَكَّةَ)، فدخَلاهُ، فأقامَا فِيهِ ثَلاثًا حَتَّى مَرَّ عَنهُمَا رَكبُ قُريشٍ الَّذِي يُطاردهُمَا، وقَد استعَانَا بِمُشركٍ يهدِيهُمَا إلى الطَّرِيقِ نَحوَ يَثربَ هُوَ عُبدُ اللهِ بنُ أُريقطَ، كمَا استعَانَا بِخادمِ أَبِي بكرٍ وَهُوَ عَامرُ بنُ فَهِيرةَ، إِذْ كانَ يَرعَى الأَغنامَ فَيستخدِمُهَا فِي إِخفاءِ أَثرَ البَعيرينِ اللَّذينِ كَانَا يَركَبهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبي بَكرٍ...).

وَمُوْسَى كَلِيْمُ اللهِ لَوْلَا رَحِيْلُهُ لِمَدْيَنَ لَمْ يَرْجِعْ رَسُوْلًا مُكَرَّمَا	وَرَوَى ابنُ كَثِيرٍ حَولَ قِصَّةِ خُرُوجِ مُوسَى _ عَلَيهِ السَّلَامُ _ مِنْ مِصرَ بِسَببِ قَتْلِهِ رَجُلًا مِنْ آلِ فِرعَونَ، فَقَالَ:(فقَدْ خَرجَ مُوسَى خَائِفًا يَترقَّبُ بَعدَ فَعلتَهَ بقتلَ واحدٍ مَن أعدائَه، فَأصبَحَ تَائِهًا لَا يَعرفُ أينَ يَذهبُ حَتَّى هَدَاهُ اللهُ إلى السَّيرِ تِلقاءَ مَدينَ، فَلَمْ يكُنْ قدْ خَرَجَ مِنْ مِصرَ قَبلَ ذَلِكَ، فَوَصَلَ بِئْرًا يَسْتَقُونَ مِنْهُ أَهْلُ مَدينَ وَيَسقونَ دَوابَّهُم، فوجدَ عِندَهُ رُعاءَ يَستقونَ لِأغنَامِهِم، ويَمنعونَ امْرأتينِ مِن الشُّربِ وسَقَي أَغنَامِهِم، فَلَمَّا فَرِغَ الرُّعاءُ وَأغلقُوا بَابَ البِئرِ بِصَخْرةٍ كَبيرةٍ، اقْتَربَ مُوسَى وَأزَاحَ الصَّخرَةَ، وَجَعلَ المَرأتينِ يَستقيانِ وَيَسقيانِ أَغنامَهُمَا، فَكَانَتْ هذهِ الحَادثةُ سَببًا فِي وُصولِ مُوسَى لِنَبيِّ اللهِ شُعيبٍ _ عَليهِ السَّلامُ _، إذْ جَاءَتْ إحدَى ابنتِي شُعيبٍ إلى مُوسَى وَطَلَبتْ مِنهُ أَنْ يَأتِي إلى بَيتِ أَبيهَا بِناءً عَلَى طَلبِهِ...).
وَفِي غُرْبَةِ الصِّدِّيقِ يُوسُفَ عِبْرَةٌ أَمَا صَارَ فِي مِصْرِ العَزِيزِ المُعَظَّمَا	وَرَوَى ابنُ كَثِيرٍ حَولَ قِصَّةِ يُوسُفَ _ عَلَيهِ السَّلَامُ _ وَإلقَاءِ إخْوتِهِ لَهُ فِي البِئرِ، ثُمَّ مُرورِ قَافِلةٍ بِاتِّجَاهِ مِصْرَ، وَعُثُورِهَا عَلَى يُوسُفَ _ عَلَيهِ السَّلَامُ _ فِي البِئرِ، وَأَخْذِهَا لَهُ إلَى مِصرَ، حَسَبَ تَفْسِيرِ النَّصِّ القُرآنِي قَائِلا:(... يُوسُفُ أَصبحَ بعدَ الشَّقَاءِ الَّذِي عَانَى مِنهُ مِن إلقَائِهِ فِي البِئرِ وبيعِهِ بثمَنٍ بَخسٍ دَراهِمَ مَعدُودَةٍ، ثُمَّ شِراءُ عَزِيزُ مِصرَ لَهُ، وَسَجْنُهُ بِسببِ افتِراءِ امْرأةِ العَزيزِ عَليهِ، أَصْبحَ عَزيزًا بعدَ إطْلاقِ سَرَاحِهِ بِسببِ تَفسيرِهِ لِرؤيَا المَلك، واعْتِرافِ امْرأةِ العَزيزِ بِخطئِهَا، فكَانَ مِن المقرَّبينَ لِمَلكِ مِصر، فبعدَ السَّجنِ والضِّيقِ وَالشِّدةِ، أصبحَ مُطلقَ الرِّكابِ فِي دِيارِ مِصرَ، أيْ أَنَّهُ أينَ شاءَ حَلَّ عَزيزًا مُكرَّمًا مُعظَّمًا وَوزيرًا عَلَى خَزائنِ الأَرضِ).
هَذِهِ طَيْبَةُ بِمَدْحِكَ قَدْ طَا لَتْ وَطَابَ الْإِنْشَادُ وَالْإِنْشَاءُ	الحَدِيثُ عَنْ قِصَّةِ المَلِكَةِ بَلْقِيسَ (مَلِكَةُ سَبأ) فِي اليَمَنِ الَّتِي رَوَاهَا ابنُ كَثِير، إذ أرسلَ إليهَا سُلَيمانُ

كُلُّهَا وَهِيَ أَلْفُ بَيْتٍ قُصُورٌ عَنْـكَ ضَـاقَـتْ وَإِنَّهَـا فَيْحَاءُ سَكَنَتْهَا أَبْكَارُ غُرِّ المَعَانِي مِنْـكَ فَهِـيَ الْمَـدِينَـةُ الْعَـذْرَاءُ كُلُّ مَعْنَـى بَلْقِيْـسُ وَالْبَيتُ صَرْحٌ، وَمِنَ الدُّرِّ لَا الزُّجَاجِ الْبِنَاءُ	بنُ دَاودَ _ عَلَيهِ السَّلَامُ _ بِرِسَالَةٍ مَعَ الهُدهُدِ يَدعُوهَا وَقَومُهَا إِلَى الإِسْلَامِ، فَجمعَتْ قَومَهَا وَاسْتَشَارَتْهُم، فَتَركُوا الأَمرَ لهَا، فبعَثَتْ لَهُ بِهَديَّةٍ فَردَّهَا، وَطَلَبَ مِنهَا أَنْ تَأْتِي إِلْيهِ مُسلِمَةً مَعْ كِبارِ قَومِهَا أَو يُرسِلُ إِليهَا جَيْشًا عَرمرمَ يَفتحُ بِلَادَهَا، وَيُخضِعُهَا وَقَومَهَا لِمُلكِهِ، فَوَافَقَتْ وَأَتَتْ إِلَى مَملَكَةِ سُلَيمَانَ _ عَلَيهِ السَّلَامُ _ وَكَانَ قَد أَرسَلَ عِفْريتًا مِن الجِنِّ يَأتِي بِعَرشِهَا الَّذِي فِيهِ صَرحٌ مُمَرَّدٌ، وَهُوَ مِنْ أَجمَلِ العُرُوشِ يَومَئذٍ، فَقَالَ لهَا سُلَيمَانُ _ عَلَيهِ السَّلَامُ _ أَهَذا عَرشُكِ؟! قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ، وَلَمَّا تَيقَّنَتْ أَنَّهُ هُوَ، مَشَتْ عَلَيهِ وَرَفَعَتْ عَنْ سَاقِهَا؛ لِتَتَأَكَّدَ فَلمَّا تَيقَّنَتْ مِنْ ذَلِكَ أَسْلَمَتْ).
أُرْسِلُ الرِّسْـلُ لِلْمُلُوكِ فَفَاهُوا بِلُغَـاتٍ مَـا هُمُ بِهَـا عُلَمَاءُ صَانَعُوهُ مِنْ خَوْفِهِمْ بِالْهَدَايَا لَيْسَ يُغْنِي عَنِ الهُدَى الْإِهْدَاءُ	رَوَى البُخَارِي قِصَّةِ إِرسَالِ الرَّسُولِ ﷺ الرَّسَائلَ مَع مَجمُوعَةٍ مِن الرُّسلِ مِنْ أَصحَابِهِ إِلَى مَلُوكِ الأَرضِ وَأُمرَائِهَا، وَقَد كَانُوا يَتَكَلَّمُونَ بِلُغَاتٍ عَديدَةٍ، وَمَعْ ذَلِكَ فَهِمُوا فَحْوى رَسَالِتِه الَّتِي كَانَ نَصّهَا:(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ. سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى. أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلامِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ (أي أتباعه ورعاياه الذين يتابعونه على الكفر). وَ(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لا نَعْبُدَ إِلا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ).
طَلَعُوا فِي سَمَاءِ بَدْرٍ نُجُومًا بَيْنَهُمْ سَـيِّدُ الْأَنَـامِ ذُكَاءُ أَحْرَقَتْ شُهُبَهُمْ عُتَاةَ قُرَيْشٍ وَلَهِيْبُ الْحَـرِيقِ تِلْكَ الدِّمَاءُ	رَوَى ابنُ إِسحَاقَ قِصَّةَ غَزْوَةِ بَدرٍ الكُبْرَى، ذَاكِرًا مَشْهَدَ المُبارَزَةِ، قَائِلًا:(ثمَّ خَرَجَ عُتْبَةُ بنُ الوَلِيدِ بينَ أَخيهِ شَيبةَ، وابنِهِ الوَلِيدِ بنِ عُتبةَ، حتَّى إذا نَصَلَ مِن الصَّفِّ، فدَعَا إلى المُبَارَزةِ نُظراءَهُم مِن

كُلُّ قَـرْنٍ مِنْهُمْ بِغَيْرِ قَرِيْنِ وَلَنِـعْمَ الثَّـــلَاثَـةُ الْقُـرَنَاءُ حَمْزَةُ مَعْ عُبَيْـدَةَ مَعْ عَلِيٍّ طَحَنُوا الشِّرْكَ وَالرَّحَا الْهَيْجَاءُ	المُسلمينَ، فَخَرجَ إليهِم فِتيةٌ مِن الأَنْصارِ، هُم (عَوفٌ، وَمعوَّذٌ ابنَا الحَارثِ وأُمُّهُما عَفرَاء، وَعبدُ اللهِ بنِ رَواحَةَ _ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ)، فَقَالَ لَهُمْ عُتْبةُ: مَنْ أَنتُم؟ قَالُوا: رَهْطٌ مِن الأَنْصَارِ، قَالَ: مَا لَنَا بِكُمْ حَاجَةٌ، ثُمَّ نَادَي مُنادِيهُم: يَا مُحمَّد، أَخرِجْ لَنَا أَكِفَّاءَنَا مِنْ قَومِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :(قُمْ يَا عُبيدُ بنُ الحَارثِ، وَقُمْ يَا حَمْزَةُ، وَقُمْ يَا عَلِيُّ)، فَلَمَّا قَامُوا وَتَقَدَّمُوا لِلْقِتَالِ، قَالَ لَهُم عُتْبَة: مَنْ أَنْتُم؟ قَالَ عُبيدةُ: أَنَا عُبيدةُ، وَقَالَ حمزةُ: أَنَا حَمْزَةُ، وَقَالَ عَلِيٌّ: أَنَا عَلِيٌّ، قَالَ عُتبةُ: نَعَم، أَكِفَّاءُ كُرِام، فَبارزَ عُبيدةُ _ وَكَانَ أَحدثَ المُبارزينَ مِن المُسلمينَ سِنًّا_ بَارزَ عُتبةَ ابنَ رَبيعةَ فَقتلَهُ، وَبَارزَ حَمزَةُ شَيبةَ بنَ رَبيعةَ فَقتلَهُ، وَبارَزَ عَلِيٌّ الوَليدَ بنَ عُتبةَ فَقتلَهُ، إِلَّا أَنَّ عُبيدةَ أُصِيبَ بِضربَةٍ مِنْ عُتبةَ قَبلَ مَصْرَعِه، فَحَملَهُ حُمزَةُ وَعَلِيٌّ وَعَادَا بِهِ إلى جَيشِ المُسلمينَ مُصَابًا)، ثُمَّ كَرَّ الجَيشَانِ وَتَقَابَلا بِسُيوفِهِمَا...).
ثَمَّ جَـاءُوا لَـهُ مُحَارِبِيْنَ فِي أُحُـدٍ، حَيْثُ هَـاجَتِ الْهَيْجَاءُ صَـدَّهُمْ أَيُّ صَـدْمَةٍ آلَمَتْـهُمْ سَـالَ مِنْهَا دُمُوعُهُمْ وَالدِّمَاءُ أَلْحَـقَ اللهُ بِـالْقُلَيْـبِ وَأَهْلِيْـهِ عُتَـاةً مِنْـهُمُ عَنَـاهَا اللِّـوَاءُ فَعَـرَاهُمْ كَسْـرٌ بِهِ حَصَلَ الْجَبْرُ وَخَفْـضٌ بِــهِ لَنَـا اسْـتِعْلَاءُ ثُـمَّ لَمَّـا أَرَادَ رَبُّــكَ أَنْ يَـأْ تِيْـهِ مِـنْ جُنُـوْدِهِ الشُّـــهَدَاءُ خَالَفُوا الْمُصْـطَفَى بِتَـرْكِ مَكَانٍ مِنْهُ جَاءَتْ خَيْلُ العِدَا مِنْ وَرَاءُ فَقَضَـى مَنْ قَضَـى شَـهِيْدًا وَلَا حِيْلَةٌ تُنْجِي مِمَّا يَسُوْقُ الْقَضَاءُ	روى ابن هشام في السيرة عن ابن إسحاق قائلا:(وَمَضَى رَسُوْلُ اللهِ ﷺ حَتَّى نَزَلَ الشِّعبَ، فِي عَدْوةِ الوَادِي مِنْ جَبلِ أُحُد، إِذْ جَعَلَهَا ظَهْرَهُ لِلَجَبلِ وَعَسْكَرَهُ إِلى أُحِد، وَقالَ: لَا يُقاتلُ أَحدٌ حتَّى نَأمرُهُ بِالقِتالِ، وَتَعبَّأَ رَسولُ اللهِ ﷺ لِلقِتالِ، وَهُو فِي سَبعمئةِ رَجُل، وَوَضَعَ عَلَى تَلَّةٍ مُقَابِلةٍ لِلْجَبلِ خَمسينَ رَجُلًا مِنْ أَمْهَرِ الرُّمَاةِ، وَأَمَّرَ عَلَيهِم عَبدَ اللهِ بنِ جُبيرٍ _ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ _، وَقَالَ لَهُم: انْضَحُوا الْخَيلَ بِالنُّبْل، لَا يَأْتُونَنَا مِنْ خَلْفِنَا، إِنْ كَانَتْ لَنَا أَوْ لَهُم الْكَرَّةُ، فَأَثْبِتُوا مَكَانَكُم فِي الْحَالَتِينِ، فَلا نُؤْتَينَّ مِنْ قِبَلِكُم، وَظَاهرَ رَسولُ اللهِ ﷺ بَينَ دِرْعَينِ، ودَفَعَ اللِّواءَ إِلى مُصْعَبَ بنِ عُميرٍ _ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ _، ... وَتَعبَّأَتْ قُرَيشٌ فِي المُقَابلِ، وَهُمْ ثَلَاثَةُ آلَافِ رَجُل، وَمَعْهُم مِئَتَا فَرَسٍ قَد جَنَّبُوهَا بِبَطْنِ الْجَبَل،

	وَوَضَعُوا عَلَى مَيْمَنَتِهَا خَالدًا بنَ الوَلِيدِ، وَعَلَى مَيْسَرتِهَا عِكْرَمةَ بنَ أَبِي جَهْل) ، ثم يردف ابن هشام يروي عن ابن إسحاق، إذ يروي الأخير عن الزبير بن العوام، قائلا:(... وَاللهِ لَقَد رَأَيتَنِي أَنْظُرُ إِلى خَدَمِ هِنْدٍ بِنْتِ عُتْبةَ وَصَوَاحِبِهَا مُشَمِّرَاتٍ هَواربَ، مَا دُونَ أَخْذِهِنَّ كَثِيرٍ أَوْ قَلَيلٍ، وَحِينَهَا مَالَتِ الرُّمَاةُ إِلَى العَسْكَرِ، حِينَ كَشَفْنَا الْقَومَ عَنْهُ، وَخَلُّوا ظُهُرونَا لِلْخَيلِ، فَأُوْتِيْنَا مِنْ خَلْفِنَا، بِمِئَتَي فَارِسٍ يَتَقَدَّمُهُمْ خَالِدٌ وَعِكْرِمَةُ، فَسَمِعْتُ صَارِخٌ يَصْرُخُ: أَلَا إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِل، فَانْكَفَأْنَا وَانْكَفَأَ عَلَيْنَا الْقَوْمُ بَعْدَ أَنْ أَصَبْنَا أَصْحَابَ اللِّوَاءِ حَتَّى مَا يَدنُو مِنْهُ أَحَدٌ مِنَ الْقَوْمِ ...).
مَا شَفَى النَّفْسُ بَعْدَ هَذَا وَهَذَا غَيْرَ فَتْحٍ بِهِ اسْتَمَرَّ الشِّفَاءُ فَتْحُ أُمِّ الْقُرَى وَسَيِّدَةِ الْكُلِّ سِوَى طَيْبَةَ فَكُلٌّ إِمَاءُ أَيُّ فَتْحٍ لِلْمُصْطَفَى كَانَ فِيْهِ فَوْقَ عَرْشِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ اسْتِوَاءُ أَشْرَقَتْ شَمْسُهُ بِبَرْدٍ كَدَاءً فَاسْتَنَارَتْ عَلَى الْبِطَاحِ كَدَاءُ ثَارَ فِيْهَا أَوْبَاشُهُمْ كَوُحُوْشٍ بَانَ مِنْهَا لِلْقَانِصِ الْأَخْفِيَاءُ فَلَهُمْ بِالْحَرْابِ كَانَ اصْطِيَادٌ وَبِنَارٍ مِنَ الْحُرُوْبِ اشْتِوَاءُ وَلَغَتْ فِي نَجِيْعِهِمْ ثُمَّ صَدَّتْ رِوَايَاتٍ كَأَنَّهَا صَدَّاءُ سَأَلُوْهُ عَطْفَ الْحَمِيْمِ وَقَالُوا مِنْ قُرَيْشٍ أُبِيْدَتِ الْخَضْرَاءُ وَعَفَا عَنْهُمْ فَبَاؤُوْا بِسِلْمٍ وَاسْتَحَالَتْ حَاءٌ وَرَاءٌ وَبَاءٌ	رَوَى ابنُ هِشَامَ فِي السِّيرةِ بِرِوَايةِ ابنِ إِسْحَاقَ حَولَ قِصَّةِ فَتحِ مَكَّةَ المُكَرَّمَةِ، وَمَا سَبَقَهُ مِنْ عَقْدِ صُلْحِ الحُدَيبِيَةِ، إِذْ قَالَ:(...فَلَمَّا كَانَتْ الهُدنةُ (يَعنِي صُلحَ الحُديبيةِ)، إِذْ دخَلَتْ خُزاعَةُ فِي حِلفِ رَسولِ اللهِ ﷺ، ودَخَلت بَنو بَكْرٍ فِي حِلفِ قُريشٍ، فَاسْتَغَلَّ جَمَاعةٌ مِنْ بَنِي بَكْرٍ هَذا الْحِلْفَ، وَقَرَّرُوا الثَّأْرَ لِجَمَاعَتِهِم مِنْ خُزَاعةَ بِمُعاونَةِ فُرسَانٍ مِن قُرَيْشٍ، فَغَارُوا عَلَى خُزَاعَةَ لَيلًا مُستَخْفِينَ، وَقَتَلُوا مِن خُزاعةَ جَمعًا، وَعَادُوا إِلى قَبيلَتِهِم، كَأَنَّ شَيئًا لَمْ يَكُنْ...)، ثم يروي ابن إسحاق أحداث فتح مكة التي سببها نقض قريش لصلح الحديبية، ورفض رسول الله ﷺ البقاء في العهد مقابل قبول الدية للقتلى من خزاعة، فيقول ابن إسحاق:(...ثُمَّ جَاءَ أَبو سُفيانَ يَطلبُ الصُّلحَ وَتَمديدَ المُدَّةِ، مُقابلَ أَخْذِ مَا يَرِيدونَ مُقابلَ القَتْلَى مِن دِيَاتٍ، فَرفَضَ الرَّسولُ ﷺ وَصَحبُهُ عَرضَ أَبِي سُفْيَانَ، فَقَفَلَ عَائِدًا إِلَى مَكَّةَ، وَقَد أَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَحبَهُ بِالتَّجَهُّزِ لِفَتحِ مَكَّةَ، وَجَمَعَ الْجُمُوعَ مِنْ جَيشِ المُسلِمينَ وَأَحْلَافِهِم مِن الْقَبائِل،

	ثُمَّ مَضَى رَسولُ اللهِ ﷺ إلى مَكَّةَ مُسْتَخْلِفًا فِي المَدينةِ أَبَا رَهْمٍ كُلْثومُ بنُ حُصينِ الغَفَاري، وَخَرجَ لِعَشرةٍ مَضينَ مِن رَمضَانَ، فَصَامَ وَصَامَ مَعْهُ المُسلمونَ حَتَّى إِذَا وَصَلَ بِالكَديدِ بَينَ عَسفانَ وَأَمَجْ أَفْطَرَ، وَمَضَى حَتَّى وَصلَ مَرُّ الظَّهرانِ عَلَى مَشارفِ مَكَّةَ فِي عَشرةِ آلافِ مُقَاتلٍ بَعدَ المَغِيبِ، وَهُنَاكَ عَسْكَرَ بِجَيشِهِ العَرمْرمَ، لِمُدَّةِ ثَلاثِ لَيَالٍ يُفَاوِضُ فِيْهَا أَبَا سُفْيَانَ _ كَبيرَ قُرَيْشٍ _ لِيُسَلِّمَهُ مَكَّةَ دُونَ قِتالٍ،... وَلَمَّا كَانَتْ اللّيلةُ الثَّالِثةُ جَاءَ أَبُو سُفيانَ وَأَعلنَ إِسْلَامَهُ، وَوَافَقَ عَلَى تَسليمِ مَكَّةَ دُونَ قِتَالٍ، فَدَخَلَها رَسولُ اللهِ ﷺ فَاتِحًا مِنْ أَبوابِهَا الثَلَاثِ، وَأَسلمَ أَهلُهَا، إِلَّا قَليلاً مِنهُم، طَلَبُوا العَفْوَ قَائلينَ: مَاذَا سَتَفعلُ بِنَا؟ فَقَالَ لَهُمْ رَسولُ اللهِ ﷺ، أَخٌ كريمٌ وَابنُ أَخٍ كَريم، اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقاءِ، وَلَمْ يَلْبَثُوا أَنْ أَسْلَمُو بَقِيَّتَهُمْ، إِلَّا بَعضُ نَفرٍ أَخَذَتْهُم العِزَّةُ بِالْأِثم، فَخَرجُوا إِلَى شِعَابِ الْجِبَالِ أَو إِلى الطَّائَفِ فَارّينَ بِكُفْرِهِم مِن وَجْهِ رَسولِ اللهِ ﷺ، وَمِنْهُم الحَبَشِيُّ قَاتِلُ حَمْزَةَ عَمّ الرَّسُولِ ﷺ).
٤. التَّنَاصُ الدِّيني بِاستِدعَاءِ شَخَصيَّاتٍ دِينِيَّةٍ.	
النَّصُّ الشِّعرِي عَنَ النَّبَهَانِي	**النَّصُّ المُتضَمِّنُ لِلشَّخصِيَّةِ المُستَدعَاةِ**
مُحَمَّدٌ خَيْرُ خَلْقِ اللهِ أَفْضَلُهُمْ لَدَيْهِ سِيَّانٌ مِفْضَالٌ وَمَفْضُوْلٌ	أَفرَدَ ابنُ كَثِيرٍ كِتَابًا كَامِلًا تَحَدَّثَ فِيهِ عَنْ شَمَائِلِ الرَّسُولِ ﷺ، وَمِمَّا قَالَهُ فِيهِ:(... وَكَانَ ﷺ مِنْ أكملِ النَّاسِ تَربيةً وَنَشأةً، وَكَانَ مَعروفًا بِالصِّدْقِ وَالبِرِّ وَمَكَارِمِ الْأَخْلاقِ وَالعَدْلِ، وَتَرْكِ الفَواحشِ وَالظُّلمِ وَكُلِّ وَصْفٍ مَذْمُومٍ، مَشْهودٍ لَهُ بِذَلكَ عِندَ كُلِّ مَنْ يَعرِفُهُ فِي الجَاهِلِيَّةِ قَبلَ الإِسْلَامِ، وَزَادَ ذَلكَ بَعدَ النُّبُوَّةِ وَبعدَ ظُهُورِهِ عَلى النَّاسِ، فَلَمْ يَذكُروا شَيئًا يُعِيبُهُ لَا فِي أَقْوالِهِ وَلا فِي أَفْعالِهِ وَلَا فِي أَخْلاقِهِ،

	وَمَا جُرِّبَ عَليهِ كَذِبٌ قَط، وَلَا ظُلْمٌ وَلَا فَاحِشَةٌ ...).
فَإِنَّ النَّصَارَى لَمْ يُفِدْهُمْ مَدْحُهُمْ لِعِيْسَى رَسُوْلِ اللهِ أَوْ أُمِّهِ الْعُذْرَا	إِنَّ مَدحَ النَّصَارَى لِعِيسَى وَأُمِّهِ مَرِيَمَ _ عَلَيهُمَا السَّلَامُ _ لَمْ يَكُنْ لِيُفِيدَهُمَا، فقَدْ جَعَلُوا مِنهُمَا إِلَاهَينِ، وَفِي المُقَابِلِ ادَّعُوا صَلْبَ عِيسَى _ عَلَيهِ السَّلَامُ _ وَهُوَ غَيرُ مَقبُولٌ لِإِلَهٍ أَنْ يَصلُبَهُ البَشَرُ الَّذِينَ هُمْ تَحتَ إِمْرَتِهِ، فَفِي هَذَا الافْتِرَاءِ الَّذِي يَعتَبِرونَهُ مَدحًا قَد افْتَرُوا كَذِبًا عَلَى عِيسَى وَأُمِّهِ مَرِيمَ _ عَلَيهِمَا السَّلَامُ _.
سَيِّدُ الرُّسُلِ قَدْرُهُ مَعْلُوم أَيْنَ مِنْهُ الْمَسِيحُ أَيْنَ الْكَلِيمُ أَيْـنَ نُـوْحٌ أَيْنَ إِبْرَاهِيمُ كُلُّهُـمْ مِنْ مَقَـامِـهِ مَفْطُوْمُ عَلَيْـهِ الصَّـلَاةُ وَالتَّسْـلِيْمُ	ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى مُوسَى (كَلِيمُ اللهِ) _ عَلَيهِ السَّلَامُ _ وَقِصَّتَهُ مَعْ قَومِهِ الَّذِينَ آذُوهُ وَاضَّطَرُّوهُ إِلَى الفِرَارِ مِنْ بَطْشِهِم، فَانْتَقَلَ مِنْ مِصرَ إِلَى مَدِينَ، وَذَكَرَ عِيسَى _ عَلَيهِ السَّلَامُ _ الَّذِي يُؤَكِّدُ عَلَى أَنَّهُ رَسُولٌ لِبَنِي إِسرَائِيلَ، وَقَدْ صَدَّقَ بِكِتَابِ التَّورَاةِ الَّذِي نَزَلَ عَلَى نَبِي بَنِي إِسْرَائِيَلَ مُوسَى _ عَلَيهِ السَّلَامُ _، وَمُبَشِّرًا بِرَسُولِ اللهِ مُحمَّدٍ ﷺ الَّذِي ذَكَرَهُ بِاسْمِهِ الآخَرَ (أَحمَدَ)، وَهَذَا التَّنَاصُّ الاسْتِدعَائِي يُشيرُ إِلَى العَلَاقةِ المُتَداخِلَةِ بَينَ الأَنبِيَاءِ وَالرُّسُلِ _ عَلَيهِم السَّلَامُ _، وَجَعلُ الرَّسُولِ مَحَمَّدٍ ﷺ آخِرَهُمْ وَسَيِّدَهُم وَأَفضَلَهُمْ، ثَمَّ تَذْكُرُ الآيَاتُ اسمَي نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَآلِهُمَا، فَيقُولُ _ عَزَّ وَجَلَّ _ فِي سُورَةِ آلِ عِمرَانَ:"إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ".
واهْتَـدَى سَـادَةٌ فَصَـارَ لَهُمْ بِـالسَّـبْقِ وَالصِّـدْقِ رُتْبَةٌ عَلْيَاءُ سَـبَقَتْهُمْ خَدِيْجَـةُ وَأَبُـوْ بَـكْرٍ عَلِـيٌّ، زَيْـدٌ، بِـــلَالٌ، وَلَاءُ وَتَلَاهُمُ قَوْمٌ كِـرَامٌ كَذِي النُّورَينِ عُثْمَـــانَ، سَـــادَةٌ نُـجَبَاءُ عَـامِرٌ طَلْحَـةُ الـزُّبَيْـرُ وَسَعْدٌ	الشَّخصِيَاتُ الدِّينِيَةُ المُسْتَدَعَاةُ وَرَدَ ذِكْرُهُمْ فِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ، إِذْ قَالَ ابْنُ هِشَامٍ فِي رِوَايَتِهِ عَنِ ابنِ إِسْحَاقَ :(وَآمنَتْ بِهِ خَديجةُ بنتُ خويلدَ، وصَدَّقَت بمَا جَاءَ بِهِ مِن عندِ اللهِ تَعالَى، ووَازَرتْهُ عَلى أمْرِهِ، وكَانَتْ أَوَّلَ مَن آمَنَ مِن النِّساءِ، ... ثُمَّ آمَنَ بِهِ ابنُ عمِّهِ عَلِيٌّ بنُ أبِي طَالبَ، وَكَانَ حَدِثَ السِّنِّ، فكَانَ أَوَّلَ مَنْ آمنَ مِن الغِلمَانِ، ... ثُمَّ صَدَّقهُ أَبو بَكرٍ

وَابْنَ عَوْفٍ مَعْ صَاحِبِ الْغَارِ جَاؤُوا وَسَـعِيْدٌ عُبَيْدَةٌ حَمْـزَةُ المُرغِمُ أَنْـفَ الضَّـــــلَالِ مِنْـــهُ اهْتِدَاءُ أَسَــدُ اللهِ وَالـرَّسُــوْلِ الَّذِي دَانَتْ لَــهُ بِـالسِّـيَادَةِ الشُّـهَدَاءُ وَالْإِمَامُ الْفَارُوقُ بَعْدَ المُخْتَارِ فِي حَـقِّــهِ اسْــتُجِيْـبَ الدُّعَاءُ	الصّدِّيقِ عندَمَا خَرجَ إلى الشِّعبِ وَأَعلَن عَن نَفسِهِ نبيًّا وَرَسولًا، فَكذَّبتُهُ قُريشٌ وَصدَّقَهُ أَبُو بَكرٍ الصِّدِّيقِ، فَكَانَ أَوَّلَ مَن آمَنَ مِن الرِّجَالِ، ... ثُمَّ آمَنَ زَيدٌ بنُ حَارثةَ وَكَانَ ابنَ رَسولِ اللهِ ﷺ بِالتَّبَنِّي، فَكَانَ أَوَّلَ دَعِيٍّ يُؤمِنُ مِن الشَّبابِ... وَهَكَذا أخذَ الإِسْلامُ يَدُبُّ فِي مَكَّةَ، فَآمَنَ عَلَى يَدِ أَبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ أَبُو عُبيدةَ وَطَلحةَ وَعُثْمانَ وَبِلالَ الَّذِي أَعتَقَهُ أَبو بَكرٍ مِن أُمَيَّةَ بنَ خَلَف، ثُمَّ أَسْلَمَ عُمَرُ الفَاروقُ بِدعُاءِ رَسولِ اللهِ ﷺ، الَّذِي قَالَ فَيْهِ:(اللَّهُمَّ انْصُرَ الْإِسْلَامَ بِإِحْدَى الْعُمَرِينَ) يَقْصدُ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ، وَعَمْرو بنَ هِشامٍ (أَبُو جَهْلٍ)).
٥. **التَّنَاصُ الدِّينِي بِاستِدعَاءِ الْأَمَاكِنِ المُقدَّسةِ.**	
النص الشعري عند النبهاني	**النَّصُّ المُتضَمِّنُ المَكَانَ المَقدَّسَ المُستُدعَى**
رَحمَةُ اللهِ صَاحَبَتْ كُلَّ صَحْبٍ حِيْنَ عَزَّتْ فِي مَكَّةِ الرُّحَمَاءُ	وَرَدَ ذِكرُ مَكَّةَ المُكَرَّمَةَ فِي قَولِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الفَتحِ:"وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا".
هَوَايَ طَيْبَةُ لَا بَيْضَاءَ عَطْبُولُ وَمُنْيَتِي عَيْنُهَا الزَّرْقَاءُ لَا النِّيْلُ	وَرَدَ ذِكرُ المَدِينةِ فِي القُرآنِ الكَرِيمِ، إِذْ قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ المُنَافِقُونَ:"يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ". وَذَكَرَهَا النَّبهَانِي فِي مَوضِعٍ آخَرَ مِنْ شِعرِهِ قَائِلًا: وَلَهُ اشْتَاقَتِ الْمَدِينَةُ فَالْأَنْصَارُ فِيْهَا مِنْ شَوقِهِمْ أَنْضَاءُ

مَرَّ فِي طَيْبَةَ وَمُوْسَى وَعِيْسَى وَلَقَدْ شُرِّفَتْ بِهِ إِيلْيَاءُ	ذُكِرَتْ إِيلَيَاءُ (الْقُدسُ الشَّرِيفُ) فِي كِتَابِ البِدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ لِابنِ كَثِيرٍ وَفِي كُتُبِ التَّارِيخِ كَثِيرًا، إِذْ يَقُولُ ابنُ كَثِيرٍ:(... وَلَمَّا فَرِغَ أَبو عُبيدةَ عَامرُ بنُ الجَرَّاحِ مِن تَحريرِ دِمشقَ، كَتبَ إِلى أَهلِ إِيلْيَاءَ يَدعُوهُمْ إِلى الإِسلَامِ أَو إِلى الخُضُوعِ إِلى حُكمِ الإِسْلامِ، فَيؤدُّونَ الجِزيَةَ أَوْ يُؤذَنونَ بِحَربٍ، فَأَبُوا إِلَّا الحَربَ، فَرَكِبَ إِليهِم بِجُندِهِ وَحاصرَ بَيتَ المَقْدسِ وَضَيَّقَ عَلَيهِم حَتَّى أَجَابُوا إِلى الصُّلحِ وَالاسْتِسلامِ بِشَرطٍ أَنْ يَأتِي الْخَليفةُ عَمرُ بنَ الخَطَّابِ _ رَضِيَ اللهُ عَنهُ _ لِيَستَلِمَ مَفَاتيحَ القُدسِ، ... وَاسْتَشَارَ عُمرُ _ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ _ قَادَةَ المُسلِمينَ، فَأَشَارُوا عَلَيهِ بَينَ البَقَاءِ وَإِرسَالِ أَحدِهِم أَوِ الذَّهَابِ بِنفسِهِ، فَكَانَ الرَّأيُ الرَّاجِحُ أَنْ يَذهَبَ بِنَفسِهِ، فَجَهَّزَ نَفسَهُ وَرَكِبَ فَرسًا لِيُسرِعَ فِي السَّيرِ، حَتَّى بَلَغَهَا، ... وَاسْتَلَمَ مَفاتِيحَهَا مِنْ حَاكِمِهَا صَفْرُونْيوسَ فِي أَواخِرِ عَامَ ١٥ للهِجرةِ، وَقِيلَ فِي أَوَائِلِ عَامَ ١٦ لِلهِجْرةِ ...).

ثَانِيًا: التَّنَاصُ الأَدَبِي فِي شِعرِ يُوسُفِ النَّبهَانِي.

١. التَّنَاصُ الأَدَبِي مَعِ الشِّعرِ التَّقلِيدِي.	
النَّصُّ الشِّعرِي عِنْدَ النَّبَهَانِي	**النَّصُّ الشِّعرِي عِنْدَ غَيرِهِ مِنَ الشُّعَرَاءِ**
إِنْ كَانَ مَتْبُولُ قَلْبٍ يَوْمَ أَنْشَدَكُمْ بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولُ	قال كعب بن زهير: بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولُ مُتَيَّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُجْزِ مَكْبُوْلُ
خَيْرُ أَرْضِ اللهِ ثَوَيْتَ فِيْهَا سَمَاءٌ بِكَ طَالَتْ مَا طَاوَلَتْهَا سَمَاءُ	قال البوصيري: كَيْفَ تَرْقَى رُقِيَّكَ الْأَنْبِيَاءُ يَا سَمَاءٌ مَا طَاوَلَتْهَا سَمَاءُ
وَمِنَ الْفَوْزِ أَنْ أَكُوْنَ لَدَيْكُمُ ثَأْوِيًا لَا يَمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ	قال الحارث بن حلزة اليشكري: آذَنَتْنَا بِبَيْنِهَا أَسْمَاءُ رُبَّ ثَاوٍ يَمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ
فَارْضَ عَنِّي وَكُنْ شَفِيْعًا إِلَيْهِ	قال لسان الدين بن الخطيب:

كُلُّ صَعْبٍ إِذَا رَضِيْتَ يَهُوْنُ	كُنْ لِيْ شَفِيْعًا فَارْتِكَابُ الْهَوَى أَوْقَعَنِي بَيْنَ الشَّجَى وَالشُّجُوْنِ
فِي سَادَةٍ هَاجَرُوا للهِ شَارَكَهُمْ بِالنَّصْرِ أَنْصَارُهُ الشُّمُّ الرَّآبِيْلُ	**قال كعب بن زهير:** فِي فِتْيَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ فِي بَطْنِ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا زُوْلُوا
٢. التَّنَاصُ مَعِ الشِّعرِ الصُّوفِي	
النَّصُّ الشِّعرِي عِندَ النَّبَهَانِي	**النَّصُّ الشِّعرِي عِندَ الشُّعرَاءِ الصُّوفِيّينَ**
اللهُ يَـا مُعِـزُّ يَـا مُقَدِّمُ اللهُ يَـا مُـذِلُّ يَـا مُـنْـتَـقِمُ الْبَادِئُ الْبَاقِي فَلَا يَنْعَدِمُ الْمُحْسِنُ الْوَالِي الْحَفِيْظُ الْأَكْرَمُ لَيْسَ لَنَا سِوَاكَ مَنْ يَحْمِيْنَا	قال الشاعر الصوفي ابن عربي: غَزَالٌ مِنَ الْفِرْدَوسِ بَاتَ مُعَانِقِي فَقَبَّـلَنِي وُدًّا فَتَـمَّ مُرَادِي لَهُ زِيْنَةُ الْأَسْمَاءِ أَسْمَاءُ خَالِقِي عَلَيْهُ مِنَ الْأَثْوَابِ ثَوْبُ حِدَادِ
فَتَقَبَّلْ وَأَعْطِفْ وَكُنْ لِي شَفِيْعًا يَوْمَ تَحْتَاجُ فَضْلَكَ الشُّفَعَاءُ وَأَجِـرْنِي وَعِتْـرَتِي مِنْ زَمَـانٍ فَدَوَاهِيْـهُ كُـلُّهَـا دُهْيَـاءُ	قال البوصيري: قَدْ تَمَسَّـكْتُ مِنْ وِدَادِكَ بِالْحَبْلِ الَّذِي اسْتَمْسَكَتْ بِهِ الشُّفَعَاءُ وَانْطَوَتْ فِي الصَّدْرِ حَاجَاتُ نَفْسٍ مَا لَهَا مِنْ نَدَى يَدَيْكَ انْطِوَاءُ فَأَغِثْنَا يَـا مَنْ هُوَ الْغَوْثُ وَالْغَيْثُ إِذَا أَجْهَـدَ الْـوَرَى الـلَّأْوَاءُ
فَعَلَيْـكَ مِنَ اللهِ الصَّـــلَاةُ كَمَا شَـاءَ كَثْرَةً وَتَشَاءُ وَعَلَى الْأَوْلِيَاءِ آلِكَ وَالصَّحْبُ وَمَنْ لِلْجَمِيعِ فِيهِ وَلَاءُ	قال البوصيري: آلُ بَيْتِ النَّبِيِّ طِبْتُمْ فَطَـابَ الْمَدْحُ لِيْ فِيْكُمُ وَطَابَ الرِّثَاءُ أَنَـا حَسَّـانُ مَدْحِـكُمُ فَـإِذَا نُحْتُ عَلَيْـكُمُ فَإِنَّنِي الْخَنْسَاءُ سُدْتُمُ النَّاسَ بِالتُّقَى وَسِوَاكُمُ سَـوَّدَتْهُ السَّـوْدَاءُ وَالصَّفْرَاءُ وَبِأَصْـحَابِكَ الَّذِيْنَ هُمُ بَعْدُكَ فِيْنَـا الْهُـدَاةُ الْأَوْصِـيَاءُ أَحْسَـنُوا بَعْدَكَ الْخِـلَافَةَ فِي

	الدِّيْنِ وَكُلٌّ لَمَّا تـوَلَّى إِزَاءُ
هِيَ كَـانَتْ أَرْوَاحَهُمْ وَبِهَا كَـانَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِمْ أَحْيَاءُ قُبِضَ الْقَبْضُ بِهِمْ بُسِطَ الْبَسْطُ لَهُمْ حِيْـنَ بَـادَتِ الْبَيْدَاءُ	قال البوصيري: بِآبَائِكَ الْأَطْهَارُ زُيِّنَتِ الْعُلَا فَحَبَّاتُ عِقْدِ الْمَجْدِ مِنْهُمُ فَرَائِدُ فَلَمْ يَنْبَسِطْ إِلَّا بِعِلْمِكَ عَالَمٌ وَلَمْ يَنْقَبِضْ إِلَّا بِزُهْـدِكَ زَاهِدُ
٣. التناص الأدبي باستدعاء شخصيات أدبية	
النص الشعري عند النبهاني	**النص المتضمن للشخصية المستدعاة**
أَتَاكَ كَعْبٌ وَقَدْ جَلَّتْ جِنَايَتُهُ وَكَادَ يَغْتَالُهُ مِنْ ذَنْبِهِ الْغُوْلُ	قال البوصيري: لَقَدْ عَلَا كَعْبُ كَعْبٍ كُلَّ مُمْتَدِحٍ فَمَنْ يُفَاضِلُ يَوْمًا فَهُوَ مَفْضُولُ
رِاقَنِي يَا شَكِيبُ مِنْكَ قَصِيدُ بِاتِّفَاقٍ هُوَ الْبَلِيغُ الْفَصِيْحُ قِيْلَ دُرٌّ وَقِيْلَ زَهْرٌ وَبَعْضٌ قَالَ سِحْرٌ وَالْكُلُّ صَـحِيْحُ	قال مصطفى السباعي: سَـلَامٌ عَلَيْكَ أَبَـا غَالِبٍ أَمِيْـرُ الْبَيَـانِ أَمِيْرُ الْقَلَمْ هَتَكْتَ بِرَأْيِكَ حُجُبَ الظَّلَامِ وَثُرْتَ إِبَاءً إِذَا الْخَطْبُ عَمْ
وَأَمَّـا رَشِـيدُ ذُو الْمَنَـارِ فَإِنَّـهُ أَقَـلُّهُمْ عَقْـلًا وَأَكْثَـرُهُمْ شَـرًّا أَتَانِي بِبَيْـرُوتٍ بِشَـرْخِ شَـبَابِهِ بِمُقْلَتِهِ السَّوْدَا وَوَجْنَتِهِ الحَمْرَا لَهُ لِحْيَةٌ مَقْصُوصَةٌ مِنْ جُذُوْرِهَا تُنَرْجِمُ عَنْهُ أَنَّ فِي نَفْسِهِ أَمْرًا	قال شكيب أرسلان: عَدَا عَلَى عَبْقَـرٍ مَنْ لَيْـسَ ذَا صِـلَةٍ مَعْهَا عَلَى الرَّغْمِ مِنْ نَعْتٍ وَتَلْقِيْبِ فَالْعَبْقَـرِيَّـةُ وَصْـفٌ فِي رَشَـيْدٍ رِضَـا وَالْعَبْقَـرِيَّةُ لَيْسَـتْ بِالْأَكَـاذِيْبِ قِسْ عَلَى صَاحِبِ فَضْلٍ مَعْ رَشِيْدٍ رِضَا قَيْسَ الزِّهَامِ إِلَى الطَّيْرِ المَنَاسِيْبِ
وَلَمْ يَنْفَرِدْ شُـذَّاذُ مَذْهَبِ أَحْمَدَ فَقَدْ ضَـلَّ قَوْمٌ مِنْ مَذَاهِبِنَا الْأُخَرَى كَشُكْرِي الْأَلُوْسِي تَابِعًا أَثَرَ جَدِّهِ وَأَعْمَـامِـهِ لَكِنَّـهُمْ آثَـرُوا السِّـتْرَا إِلَى أَنْ رَمَى مَجْنُـوْنُهُمْ بِرَجِيْعِهِ عَلَى النَّاسِ فِي تَأْلِيْفِهِ ذَلِكَ السِّفْرَا	قال معروف الرصافي: لَأَشْكُرَنَّكَ يَا شُكْرِي مَدَى عُمُرِي وَأَبْـكِـيَنَّـكَ أَبْكَـارًا وَآصَـالَا فَأَنْتَ أَنْتَ الَّذِي لَقَّنْتَنِـي حِـكَمًا بِهَا اكْتَسَيْتُ مِنَ الْآدَابِ سِرْبَالَا أَوْجَرْتَنِي مِنْ فُنُوْنِ الْعِلْمِ أَدْوِيَةً

	شَفَتْ مِنَ الْجَهْلِ دَاءً كَانَ قَتَّالَا
٤. التَّنَاصُ الأَدَبِي مَعِ القِصَّةِ الأَدَبِيَّةِ	
النَّصُّ الشِّعرِي عِندَ النَّبَهَانِي	**النَّصُّ المُتَضَمِّنُ القَصَةَ الأَدَبِيَّةَ**
شَافَنِي فِي رُبُوعِهَا خَيْرُ حَيٍّ حَلَّ لَا زَيْنَبٌ وَلَا أَسْمَاءُ	قال الحارث بن حلزة اليشكري: آذَنَتْنَا بِبَيْنِهَا أَسْـمَاءُ رُبَّ ثَـاوٍ لَا يَمَلُّ مِنْـهُ الثَّـوَاءُ آذَنَتْنَا بِبَيْنِهَا ثُمَّ وَلَّتْ لَيْتَ شِعْرِي مَتَى يَكُونُ اللِّقَاءُ
وَمِنْ أَقْبَحِ الْأَشْيَاءِ حَسْنَاءُ غَادَةٌ كَـأَنَّ بِعَيْنَيْهَا إِذَا نَظَـرَتْ سِـحْرَا سَبَى النَّاسُ مِنْهَا رِدْفَهَا وَقَوَامَهَا وَوَجْنَتَهَا الْحَمرَا أَوْ مُقْلَتَهَا الْحَورَا تَجِئُ عَلَيْهَا الْحُلَى وَالْحُلَلُ انْجَلَتْ مُعَطَّـرَةً مَصْـقُولَةً صَـفَّتِ الشَّـعْرَا بِهَا يَخْتَلِي قِسْيسُـهَا وَهُوَ أَعْزَبٌ شَـقَاشَـقُهُ مِنْ تَوْقِـه هَدَرَتْ هَدْرَا فَتَعْتَـرِفُ الْأُنْثَـى لَـهُ بِذُنُـوبِـهَا وَلَوْ بِـالـزُّنَا سِـرًّا لِيَمْنَحَهَا الغُفْرَا وَمَنْ لَمْ يَكُنْ يَجْرِ اعْتِـرَافًا كَهَذِهِ فَذَلِكَ أَشْقَى الْقَومِ أَعْظَمَهُمْ وِزْرَا فَأُوفٍّ لِدِينٍ يَهْتِكُ الْعِرْضَ بِالرِّضَا وَيُوهِمُ رَبَّ الْعِـرْضِ أَنَّ لَـهُ أَجْرَا	وَرَدَتْ الإِشَارَةُ إِلَى هَذِهِ القِصَّةُ فِي الكِتَابِ المُقَدَّسِ (العَهدُ الجَدِيدُ) فِي (إِصْحَاحِ مَتَّى) فِيمَا قِيلَ عَلَى لِسَانِ (يَسُوعَ المَسِيحِ) :(قَالَ لَهُمْ يَسُوْعُ: الْحَقُّ أَقُولُ إِنَّ العَشَّارِينَ وَالزَّوَانِي يَسْبِقُونَكُمْ إِلَى مَلَكُوتِ اللهِ).
وَأَوَّلَهُمْ قَدْ كَـانَ شَـيْخًا مُشَـرَّدًا بِهِ مَلَكَ الْأَفْغَـانُ أَجْرَى الَّذِي أَحْرَى تَسَمَّى جَمَالَ الدِّينِ مَعْ قُبْحِ فِعْلِهِ كَمَـا وَضَـعُوا لَفْظَ الْمَفَـازَةِ لِلصَّـحْرَا أَتَى مِصْـرَ مَطْرُودًا فَعَاثَ بِقُطْرِهَا فَيَـا قُبْحَهُ شَـيْخًا وَيَـا حُسْـنَهُ قُطْرَا	الإِشَارَةُ إِلَى قِصَّةٍ حَدَثَتْ أَمَامَ النَّبَهانِي فِي إِحدَى المَسَاجِدِ فِي مِصرَ وَكَانَ المُدرِّسُ فِي ذَلكَ المَسجِدِ يُدعَى (الشِّربِينِي) وهُوَ إِمَامٌ الجَامِعِ وشَيخِهِ، وقَد حَضرَ جَمالُ الدِّينِ الأَفَغِانِي دَرسَ الشَّيخِ المَذكُورِ، فَطَرحَ عَلَى الشَّيخِ أَسئِلَةً عَدِيدةً تُثِيرُ الشَّكَّ فِي الدِّينِ

وَكُنْتُ بِذَاكَ الْحِينِ فِيهَا مُجَاوِرًا بِأَزْهُرِهَا صَاحَبْتُ أَنْجُمَهَ الزُّهْرَا بِتَارِيخِ سِتٍّ وَالثَّمَانِينَ قَدْ تَلَتْ مَعِ الْمِائَتِينِ الْأَلْفِ فِي الهِجْرَةِ الغَرَّا حَضَرْتُ بِفِقْهِ الشَّافِعِيِّ خَطِيْبَهُ عَلَى شَيْخِ شِرْبِينَ فَأَلْفَيْتُهُ بَحْرَا وَجَاءَ جَمَالُ الدِّيْنِ يَوْمًا لِدَرسِهِ فَأَلْقَى عَلَى الْأُسْتَاذِ أَسْئِلَةً تَتْرَى فَفَاضَتْ عَلَيْهِ مِنْ مَعَارِفِ شَيْخِنَا سُيُولٌ أَرَتْهُ عِلْمَهُ عِنْدَهُ قِطْرَا وَإِذْ شَمَّ مِنْهُ الشَّيْخُ رِيْحَ ضَلَالِهِ وَإِلْحَادِهِ، أَوْلَاهُ مَعْ طَرْدِهِ زَجَرَا	الإِسلَامِي، فَأَجَابَهُ الشَّيخَ الشِّربِينِي إِجَابَاتٍ وَافِيَةً، إِلَّا أَنَّهُ شَعَرَ مِن خِلَالِ أَسئِلَتِهِ أَنَّهُ يُرِيدُ التَّشكِيكَ فِي نُصُوصٍ قُرآنِيَّةٍ وَسُنِيَّةٍ، فَطَرَدَهُ مِنَ المَسجِدِ، لِأَنَّهُ اشْتَمَّ رَائِحَةَ ضَلَالٍ فِي أَسئِلَةِ الأَفغَانِي وحِوَارِهِ، وَكَانَ النَّبهَانِي حَاضِرًا فِي ذَلِكَ الْيومِ الَّذِي ذَكَرهُ بِتَارِيخِهِ سَنَةَ ١٢٨٦ لِلهِجْرةِ.
وَأَخْبَرَنِي مَنْ لَا أَشُكُّ بِصِدْقِهِ بِأَنْ قَدْ رَأَى مَنْ بَالَ مِنْهُمْ بِلَا اسْتِبَرَا وَلَازَمَهُ حَتَّى أَتَى بَعْدُ مَسْجِدًا فَصَلَّى وَلَمْ يُحْدِثْ مِنَ الْحَدَثِ الطُّهْرَا وَآخَرُ مِنْهُمْ قَدْ أَقَامَ صَلَاتَهُ بِدُوْنِ اغْتِسَالٍ مَعْ جَنَابَتِهِ الْكُبْرَى	هُنَا قِصَّةٌ أُخرَى لِدُعَاةِ الإِصْلَاحِ الدِّينِي رَوَاهَا أَحَدُ أصدِقَاءِ النَّبهَانِي وَمَشايخِهِ فِي مِصرَ وَيُدعَى: سَلِيم بِك العَنحُورِي(ت:١٩٣٣م)، وهُوَ مَحَلّ ثِقَةٍ وَصِدقٍ بِالنِّسبَةِ لِلنَّبهَانِي، إِذْ نَقَلَ عَلَى لِسَانِهِ أَنَّهُ رَأَى بَعضَهُمْ لَا يَستَبرِئُ مِن البَولِ كَأَهلِ الغَربِ، وَأَنَّهُ بَعدَ أَنْ دَخَلَ بَيتَ الخَلَاءِ لِلتَّبوُّلِ خَرجَ مِنهُ وَلَمْ يَتَوضَأْ، وَلمَّا دَخَلَ المَسجدَ صَلَّى بِدُونِ وُضُوءٍ، وَأَنَّ أَحَدَهُم مِنْ دُعَاةِ الإِصْلَاحِ الدِّينِي أَخبَرَ صَدِيقَهُ أَنَّهُ عَلَى جَنَابَةٍ، وَلَمْ يَغتَسِلْ، وَقَد دَخَلَ المَسجِدَ وَصَلَّى دُونَ أَنْ يَغتَسِلَ.

وَقَدْ كُنْتُ فِي لِبْنَانَ يَوْمًا صَحِبْتُهُ لِقُرْبِ غُرُوْبِ الشَّمْسِ مِنْ ضَحْوَةٍ كُبْرَى فَصَلَّيْتُ فَرْضَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ بَعْدَهُ لَدَيْهِ، وَمَا صَلَّى هُوَ الظُّهْرَ وَالْعَصْرَا وَكَانَ صَحِيْحَ الْجِسْمِ لَا عُذْرَ عِنْدَهُ بَلْ أَنَّ ضِعْفَ الدِّيْنِ كَانَ لَهُ عُذْرَا وَمَعْ كُلِّ هَذَا فَهُوَ أُسْتَاذُ عَصْرِهِ فَأُفٍّ لَهُ شَيْخًا وَأُفٍّ لَهُ عَصْرَا	يَروِي النَّبهَانِي قِصَّةً أُخرَى عَلَى لِسَانِهِ عِندَمَا صَاحَبَ الشَّيخَ (مَحمَّد عَبدُه) فِي لِبنَانَ ذَاتَ مَرَّةٍ، إِذْ يُشيرُ النَّبهَانِي إِلَى أَنَّهُ دَخَلَ يُصَلِّي الظُّهرَ فِي المَسجِدِ، وَلَمْ يَدخلْ لِلصَّلَاةِ مَعهُ بَلْ ذَهَبَ يَتَجوَّلُ فِي السِّوقِ، وَعِندَمَا حَلَّتْ صَلَاةُ العَصرِ كَذَلِكَ لَمْ يَدخُلْ بَلْ اعتذَرَ بِمَوعِدٍ عِندَ أَحَدِ الأَصدِقَاءِ فَتَركَ النَّبهَانِي وَغَادَرَ المَكَانَ، وَكَانَ النَّبهَانِي يَعلَمُ أَنَّهُ شَيخٌ وَمُصلِحٌ دِينَيٌّ، فَكَيفَ بِهِ لَا يُصَلِّي الظُّهرَ وَلَا العَصرَ فِي جَمَاعَةٍ، وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عُذرٌ شَرعِيٌّ قَاهِرٌ يَمنعُهُ مِن الصَّلَاةِ.
حَكَى الْحَسَنُ بنُ الْأُسْطُوانِي وَهُوَ مِنْ بُدُورِ الْهُدَى فِي الشَّامِ، أَكْرِمْ بِهِ بَدْرَا حَكَى أَنَّهُ مِنْ بَعْدِ مَا مَاتَ (عَبْدُهْ) رَأَى عَيْنَهُ فِي النَّومِ مَطْمُوسَةً عَورَا فَأَوَّلْتُ أَنَّ الشَّيْخَ دَجَّالُ عَصْرِهِ وَمَا زَالَ دَجَّالًا وَإِنْ سَكَنَ الْقَبْرَا فَقَدْ مَاتَ وَلَكِنْ أَحْيَتِ الدَّجَلَ كُتْبُهُ وَوَرَّثَ كُلًّا مِنْ تَلَامِيْذِهِ قَدْرَا	هُنَا رُوايَةٌ أُخرَى حَولَ الشَّيخِ مَحمَّد عَبدُه، إِذْ يَرويهَا عَلى لِسَانِ صَدِيقَهُ المُقَرَّبَ الشَّيخَ الصُّوفِي حَسَن أَفندِي الأُسْطُوانِي (ت:١٩٦٣م)، إِذْ يَقولُ الأُسْطُونِي: إِنَّهُ رَأَى فِي المَنَامِ أَنَّ الشَّيخَ مَحمَّد عَبدُه قَد زَارَهُ فِي بَيتِهِ وَقَد كَانَتْ عَينُهُ عَوراءُ مَطمُوسَةٌ، فَحَسبَهُ الأَعوَرَ الدَّجَّالَ، فَذُعرَ مِنهُ، وَأَغلَقَ البَابَ فِي وَجهِهِ، وَمَنعَهُ مِنْ دُخُولِ البَيتِ، وَقَد فَسَّرَ النَّبهَانِي الرُّؤْيَةَ قَائِلًا: إِنَّ مُحمَّدَ عَبدُه دَجَّالُ عَصرِهِ كَمَا سَيكُونُ الأَعوَرَ الدَّجَّالَ آخرَ الزَّمَانِ، وَقَد جَاءَ فِي الرُّؤْيَةِ عَلَى هَذِهِ الصُّورةِ بَعدَ مَوتِهِ لِلتَّأكيدِ عَلَى أَنَّهُ كَانَ دَجَّالًا يَسُوقُ النَّاسَ إِلَى الهَلَاكِ وَالفِتنَةِ فِي الدِّينِ، وَلَمْ يَكُنْ دَاعِيَةً وَمُصلِحًا كَمَا يَدَّعِي.

ثَالِثًا: التَّنَاصُ التَّارِيخِي فِي شِعرِ يُوسُفِ النَّبهَانِي

١. التَّنَاصُ التَّارِيخِي مَعِ الأَحدَاثِ التَّارِيخيَّةِ وَالمَوَاقِفِ.	

النص الشعري عند النبهاني	النَّصُّ التَّارِيخِي وَالمَوقِفُ المُتَعَلِّقُ بِهِ
وَلَدَتْهُ كَالشَّمْسِ أَشْرَقَ مَسْرُو رًا وَتَمَّـتْ بِخَتْنِـهِ السَّـرَّاءُ أَبْصَرَتْ بِنُورِهِ أَنَارَ بِبُصْـرَى فَـرَأَتْـهَا كَـأَنَّهَـا الْبَطْـحَاءُ وَبِمِيـلَادِهِ لَقَدْ فَـاضَ نُـورٌ ضَاقَ عَنْ وُسْعِهِ الْمَلَا وَالْخَلَاءُ فَاضَ طُوفَانُـهُ فَغَاضَـتْ مِيَاهُ الْفُـرْسِ وَالنَّارُ عَمَّهَا الإِطْفَاءُ شُرُفَـاتُ الإِيْوَانِ إِيْوَانِ كِسْرَى مِنْـهُ خَـرَّتْ وَانْشَـقَّ هَذَا الْبِنَاءُ	الحَدَثُ الهَام هُنَا مُتَمَثِّلٌ بِمِيلَادِ خَيرِ الأَنَامِ مَحَمَّدٍ ﷺ، إِذْ وَلِدَتهُ أُمُّهُ آمِنَةُ بنتُ وَهبٍ فَكَانَ مِيلَادُهُ حَدَثًا عَظِيمًا، وَتَناقَلَتْ الأَلسِنَةُ حَوَادِثَ مُثِيرَةٍ تَرَافقَتْ مَع مِيلَادِهِ، كَرُؤيَةِ نُورٍ يُنيرُ جَزِيرَةَ العَرَبِ حَتَّى مَدِينَةِ بُصرَى فِي الْعِراقِ، وَإِطْفَاءِ نَارِ الفُرسِ الَّتِي لَمْ تَكُنْ تَنطَفِئْ إِلَّا لِأَمرٍ عَظِيمٍ، وَسُقُوطِ شُرُفَاتِ قَصرِ كِسْرَى مَلِكِ الفُرسِ لَحظَةَ مِيلَادِهِ ﷺ.
شَقَّ مِنْهُ جِبْـرِيْلُ أَفْدِيْهِ صَدْرًا قَدْ وَعَى الْعَالَمِينَ مِنْهُ وِعَاءُ وَحَشَـاهُ بِحِكْمَـةٍ وَبِـإِيْمَـانٍ وَتَـمَّ الْخِتَـامُ، وَتَـمَّ الْوَكَـاءُ هُوَ بَحْرٌ وَلَسْتُ أَدْرِي وَقَدْ شَقَّ لِمَـاذَا لَـمْ تَغْـرَقِ الْأَرْجَـاءُ	هُنَا حَادِثَةٌ مُعجِزَةٌ، وَكَرَامَةٌ دَالَّةٌ عَلَى نُبُوَّتِهِ ﷺ، إِذْ شَقَّ جِبرِيلُ _ عَلَيهِ السَّلَامُ _ وَمَعهُ مَلَكٌ آخَرُ _ صَدرَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ طِفلٌ صَغيرٌ، وَتَروِي حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّةُ الحَادِثَةَ قَائِلَةً:(فَوَاللهِ إِنَّهُ _ بَعدَ مَقدمِنَا بِشهرٍ _ مَعْ أَخيهِ وَقَد كَانَا يَرتَعانِ عِندَ الْغَنَمِ، إِذْ جَاءَنا أَخُوهُ يَشْتَدُّ، فَقَالَ لِي وَلِأبيهِ: ذَاكَ أَخِي القُرَشِي قَد جَاءَهُ رَجُلانِ عَلَيهُمَا ثِيابٌ بِيضٌ فَأَضْجَعَاهُ فَشَقَّا بَطْنِهِ، فَهُمَا يَسُوطَانَهُ، قَالَتْ: فَخَرَجتُ أَنَا وَأَبُوهُ نَحوَهُ، فَوَجَدنَاهُ قَائِمًا مُنتَقِعًا وَجُهُه، قَالَتْ: فَالْتَزمْتُهُ وَالتَزَمهُ أَبُوهُ، فَقُلنَا لَهُ: مَا لَكَ يَا بُنَي؟ فَقَالَ: جَاءَنِي رَجُلانِ عَلَيهُمَا ثِيابٌ بِيْضٌ فَأَضْجَعَانِي وَشَقَّا بَطْنِي، فَالْتَمَسَا فِيهِ شَيئًا لَا أَدْرِي مَا هُوَ، قَالَتْ: فَرَجَعنَا إِلى خِبائِنَا، قَالَتْ: فَقَالَ لِي أَبُوهُ: يَا حَلِيمةُ، لَقَد خَشِيتُ أَنْ يَكونَ هَذَا الغُلَامُ قَدْ أُصِيبَ، فَأَلحِقِيهِ بِأَهْلِهِ قَبلَ أَنْ يَظْهَرَ ذَلِكَ بِهِ).
مَاتَتْ أُمُّ النَّبِيِّ وَعُمْـرُهُ سِـتٌّ وَأَبُـوهُ وَبَيتُـهُ الْأَحْشَـاءُ ثُمَّ أَحْيَـاهُمَا الْقَدِيـرُ فَحَـازَا	هُنَا رِوَايَةُ إِحيَاءِ وَالِدَي رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى أَسْلَمَا ثُمَّ إِماتَتِهِمَا، وَقَد رَوَتِ الحَدِيثُ عَائِشَةُ بِنتُ أَبِي بَكرٍ _ رَضِيَ اللهُ عَنهَا _، إِذْ قَالَتْ:(حَجَّ بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ،

شَرَفَ الدِّينِ حَبَّذَا الْإِحْيَاءُ وَهُمَا نَاجِيَانِ مِنْ غَيرِ شَكٍّ فَتْرَةٌ أَوْ حَيَاةٌ أَوْ حُنَفَاءُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وَكِرَامُ النَّاسِ مِنَّا، وَلْتَسْخَطِ اللُّؤَمَاءُ لَيْسَ يَرْتَابُ فِي نَجَاتِهِمَا إِلَّا رَقِيعٌ فِي الدِّيْنِ أَوْ رُقَعَاءُ	حِجَّةَ الوَدَاعِ، فَمَرَّ بِي عَلَى عَقَبَةِ الحَجُونِ وَهُوَ بَاكٍ حَزِيْنٍ مُغْتَمٍّ، فَبَكَيتُ لِبُكَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ إِنَّهُ نَزَلَ، فَقَالَ: يَا حُمَيرَاءُ اسْتَمْسِكِي، فَاسْتَنَدَ إِلَى الْبَعِيرِ فَمَكَثَ عَنِّي طَوِيلًا، ثُمَّ إِنَّهُ عَادَ إِلَيَّ وَهُوَ فَرِحٌ مُبْتَسِمٌ، فَقُلْتُ لَهُ: فَعَلَامَ ذَا يَا رَسُولَ اللهِ؟! فَقَالَ: ذَهَبْتُ لِقَبْرِ أُمِّي آمِنَةَ فَسَأَلْتُ اللهَ أَنْ يُحْيِيهَا فَأَحْيَاهَا، فَآمَنَتْ بِي وَرَدَّهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ).
ثُمَّ لَمَّا تَظَاهَرُوا لِقُرَيْشٍ حِيْنَ زَالَ الْخَفَاءُ زَادَ الْجَفَاءُ نَوَّعُوا فِيْهِمُ الْعَذابَ فَكَانَتْ مِنْ لَظَاهُمْ بِالْأَبْطُحِ الرَّمْضَاءُ لَهْفَ نَفْسِي عَلَى بِلَالٍ قَدْ صَبَّ عَلَيهِ وَفَاضَ عَنْهُ الْبَلَاءُ لَهْفَ نَفْسِي عَلَى الْوَلِي أَبِي الْيَقْظَانِ إِذْ آلَ يَاسِرٍ أُسَرَاءُ لَهْفَ نَفْسَي عَلَى الْجَمِيعِ وَمَا يَنْفَعُ لَهْفِي وَمَا يُفِيدُ الْبُكَاءُ	هُنَا أَحدَاثٌ تَارِيخِيَّةٌ، وَمَواقِفُ لِصَحَابَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، الَّذِينَ أَسلَمُوا فِي مَكَّةَ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُمْ دَولَةٌ يَأمَنُونَ فِيهَا عَلَى أَنفُسِهِم، فَقَامَ سَادَةُ قُرَيشٍ الكَافِرِينَ بِتَعذِيبِ الضِّعَافِ مِنهُمْ وَالعَبِيدِ، كَآلِ يَاسِرٍ وَبِلَالٍ بنِ رَبَاحٍ وَأَبِي يَقظَانَ مَولَى يَاسِرٍ _ رَضِيَ اللهُ عَنهُمْ _، فقَد تَوَلَّى آلُ مَخزُومٍ مِنْ قُرَيشٍ تَعذِيبَ آلَ يَاسِرٍ فقَتَلُوا يَاسرًا وَزَوجَتَهُ سُمَيَّةَ (أُمَّ عَمَّارٍ) تَحتَ التَّعذِيبِ، وَكَانُوا أَوَّلَ الشُّهَداءِ فِي تَارِيخِ الإِسلَامِ، وَكَادُوا يَقتُلونَ عَمَّارَ لَولَا أَنَّهَ ذَكَرَ (هُبَل) فَكَفُّوا عَنهُ، وَأَمَّا بِلَالُ بنُ رَبَاحٍ _ رَضِيَ اللهُ عَنهُ _ فَعَذَّبَهُ سَيِّدُهُ أُمَيَّةُ بنُ خَلفٍ، إِذْ كَانَ يَضَعُهُ عَلَى الرَّمضَاءِ فِي الصَّحرَاءِ عَارِيًا وَيَجلِدُهُ بِالسَّوطِ، ثُمَّ يَضَعُ الصَّخرَ عَلَى صَدرِهِ وَبَطنِهِ، وَبِلَالُ _ رَضِيَ اللهُ عَنهُ _ يُرَدِّدُ (أَحَدٌ، أَحَد)، وَهُوَ صَابِرٌ عَلَى التَّعذِيبِ دُونَ أَنْ يَستَسلِمَ، كَمَا عَذَّبُوا أَبَا يَقظَانَ مَولَى يَاسِرٍ، وَكَادَ يَموتُ، وتَظَاهرَ بِالمَوتِ فَكَفُّوا عَنهُ التَّعذِيبَ حَتَّى جَاءَ أَصحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَنقَذُوهُم، ثُمَّ أَمَرَهُم رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالهِجرةِ إِلى الحَبَشةِ.
كَلَّفُوهُ بِشَقِّهِ الْقَمَرَ الزَّاهِرَ لَيْلًا تَكْلِيْفَ مَا لَا يَشَاءُ فَدَعَا فَاسْتَبَانَ شِقَّيْنِ فِي الْحَالِ وَبَيْنَ الشِّقَّيْنِ بَانَ حِرَاءُ	الحَدِيثُ عَن حَادِثَةِ انْشِقَاقِ القَمرِ، وَبَيَانِ مَوقِفِ المُشرِكِينَ مِن قُرَيشٍ، إِذْ كَذَّبُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَادَّعُوا أَنَّ مَا يَحدُثُ سِحرًا، وَهَذِهِ الحَادِثَةُ وَرَدَتْ فِي سُورَةِ القَمَرِ فِي قَولِهِ تَعَالَى:"اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ

فَاسْـتَرَابُوا أَنَّـهُ السِّـحْرُ حَتَّى جَـاءَ مِنْ كُـلِّ وَارِدٍ أَنْبَاءُ أَخْبَـرُوهُمْ بِصِـدْقِهِ فَـاسْـتَمَرُّوا وَالْعَمَى لَا تُفِيْدُهُ الْأَضْوَاءُ	(١) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (٢) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ". إِذْ رَوَى عَبدُ اللهِ بنُ مَسعُودٍ _ رَضِيَ اللهُ عَنهُ _ تِلكَ الحَادِثةِ قَائِلًا:(انْشَقَّ الْقَمَرُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ شِقَّتَينِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: اشْهَدُوا...).
رُسُـلُ اللهِ هُمْ هُـدَاةُ الْبَـرَايَا وَلِكُـلٍّ مَحَجَّـةٌ بَيْضَـاءُ خَصَّ مِنْهُـمْ مُحمَّدًا بِالْمَزَايَا الْغُرِّ مِنْهَا الْمِعْرَاجُ وَالْإِسْرَاءُ أَرْسَـلَ الـرُّوْحَ بِـالْبُـرَاقِ كَمَـا تَفْعَلُهُ لِلْكَرَامَةِ الْكُرَمَاءُ فَعَـلَاهُ الْبَـدْرُ التَّمَـامِ أَبُو الْقَاسِمِ فَضَـاءً مِنْـهُ الْفَضَاءُ رَاحَ يَهْوِي بِهِ وَحَدُّ انْتِهَاءِ الطَّرْفِ مِنْـهُ إِلَى خُطَـاهُ انْتِهَاءُ مَرَّ فِي طَيْبَـةَ وَمُوْسَـى وَعِيْسَى وَقَدْ شَـرَّفَتْ بِـهِ إِيلْيَاءُ	هُنَا حَادِثةٌ تَارِيخِيَّةٌ وَمَوقِفٌ تَارِيخِيٌّ فِي دَعوةِ الإِسلَام، وَهِيَ حَادِثةُ الإِسرَاءِ والمِعرَاجِ، الَّتِي جَاءَ ذِكرُهَا فِي سُورَةِ الإِسرَاءِ، فِي قَولِهِ تَعَالَى:" **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**". رَوَى ابنُ هِشَامٍ عَن عَبدِ اللهِ بنِ مَسعُودٍ _ رَضِيَ اللهُ عَنهُ_ قَالَ:(أُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْبُرَاقِ وَهِيَ دَابَّةٌ كَانَتْ تَحْمِلُ الْأَنْبِياءَ قَبْلَهُ، تَضَعُ حَافِرَهَا فِي مُنْتَهَى طَرْفِهَا، فَحُمِلَ عَلَيْهَا ثُمَّ خَرَجَ بِهِ صَاحِبُهُ، يَرَى الْآيَاتِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، حَتَّى انْتَهَى بِهِ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَوَجَدَ فِيْهَا إِبْرَاهِيمَ وَمُوْسَى وَعِيْسَى وَنَفَرًا مِن الرُّسلِ وَالأَنبِياءِ _ عَلَيهُمِ السَّلامُ _، فَصَلَّى بِهِم جميعًا، ثُمَّ أُتِيَ بِثَلاثَةِ مِن الإِنَاءِ: إِنَاءٌ فِيهِ لَبَن، وَإِنَاءٌ فِيهِ خَمْر، وَإِنَاءٌ فِيهِ مَاءٌ، قَالَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:(فَسَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ حِينَ عُرِضَتْ عَلَيَّ: إِنْ أَخَذَ الْمَاءَ غَرِقَ وَغَرِقَتْ أُمَّتُهُ، وَإِنْ أَخَذَ الْخَمْرَ غَوَى وَغَوَتْ أُمَّتُهُ، وَإِنْ أَخَذَ اللَّبَنَ هُدِيَ وَهُدِيَتْ أُمَّتُهُ، قَالَ: فَأَخَذْتُ إِنَاءَ اللَّبَنِ فَشَرِبْتُ مِنْهُ، فَقَالَ لِي جِبْرِيلُ _ عَلَيهِ السَّلَامُ _ هُدِيْتَ وَهُدِيَتْ أُمَّتُكَ يَا مُحَمَّد)).
وَأَتَى عُمْرَةَ الْقَضَاءِ بِجَيْشٍ أَيُّ جَيْشٍ لِلْفَتْحِ لَوْلَا الْوَفَاءُ دَخَلُوا مَكَّـةَ فَفَرَّتْ أُسُـودٌ	الحَدِيثُ عَنْ رِحلَةِ عُمرَةِ القَضَاءِ التَّارِيخِيَّةِ، إِذْ وَرَدَ ذِكرُهَا فِي القُرآنِ الكَرِيمِ فِي سُورَةِ الفَتحِ، فِي قَولِهِ تَعَالَى:"لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ

مِنْ قُرَيْشٍ كَأَنَّمَا هُمُ ظِبَاءُ وَأَقَامُوا بِهَا ثَلَاثًا وَطَافُوا حَلَّقُوا قَصَّرُوا وَسِيْقَتْ دِمَاءُ ثُمَّ عَادَ النَّبِيُّ يَتْبَعُهُ السَّعْدُ وَتَمْشِي أَمَامَهُ السَّرَّاءُ	تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا". فَقَد بَيَّنَتِ الآيةُ مُبَايَعَةَ الصَّحابةِ لِرسُولِ اللهِ ﷺ تَحتَ الشَّجرَةِ، وَرِضْوَانِ اللهِ عَلَيهِم، وَمُباركَةِ تِلكَ البَيعَةِ، الَّتِي أُطلَقَ عَلَيهَا بَيعةُ الرِّضوَانِ، وَقَد ذُكِرَتِ الحَادثةُ فِي السِّيرةِ النَّبويَّةِ، إِذْ رَوَى ابنُ إِسحاقَ عَنْ عَبدِ اللهِ بنِ أَبِي بَكرٍ _ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا_ قَالَ:(إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ _ حِينَ بَلَغَهُ أَنَّ عُثمَانَ بنَ عَفَّانَ _ رَضِيَ اللهُ عَنهُ _ قَدْ قُتِلَ، :(لَا نَبْرَحُ حَتَّى نُنَاجِزُ الْقَومَ)، فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْبَيْعَةِ تَحْتَ الشَّجَرةِ، فَكَانَ النَّاسُ يَقُولُونَ: بَايَعَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الْمَوتِ، وَلَكِنْ بَايَعَنَا عَلَى أَنْ لَا نَفِرَّ، فَبَايَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّاسَ ...).
ثُمَّ سَارَ الرَّسُولُ نَحْوَ حُنَينٍ بِخَمِيسٍ مَا ضَرَّهُ أَرْبِعَاءُ وَالْأَعَادِي مِنْ عِدَّةٍ وَعَدِيْدٍ لَعِبَتْ فِي عُقُولِهِمْ صَهْبَاءُ رَكِبَ الْبَغْلَةَ النَّبِيُّ فَزَالَتْ مِنْ خُيُولِ الْفَوَارِسِ الْخُيَلَاءُ فَرَّ صَحْبٌ إِذْ أُعْجِبُوا ثُمَّ عَادُوا وَهُوَ نَحْوَ الْعِدَاءِ بِهَا عَدَّاءُ وَرَمَاهُمْ بِكَفِّ تُرَابٍ فَصَارَ الصَّدْرُ ظَهْرًا وَكُلُّ وَجْهٍ قَفَاءُ	الحَديثُ عَنْ وَقعَةِ حُنينٍ أَو غَزوَةِ حُنينٍ الَّتِي انتَصَرَ المُسلِمُونَ فِي آخِرِهَا بَعدَ أَن كَادُوا يُهزَمُونَ أَوَّلَهَا، بِخِلَافِ غَزوَةِ أُحُدٍ الَّتِي انتَصَرُوا فِي أَوَّلِهَا وَهُزِمُوا فِي آخِرِهَا، وَلِلغَزوَتَينِ دَلَالَتانِ تَتَعلَّقَانِ بِعَدَمِ الاسْتِهَانَةِ بِالعَدُوِّ، وَعَدمِ مُخَالَفَةِ أَوامِرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَد ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى ذَلِكَ فِي سُورَةِ التَّوبَةِ فِي قَولِهِ تَعَالَى:"لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ (٢٥) ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ". رُوِيَ عَن ابنِ إِسحَاقَ عَنِ الحَارثِ بنِ مَالكٍ _ رَضِيَ اللهُ عَنهُ _ قَولَهُ:(خَرَجنَا مَعْ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى حُنينَ بِجَيشٍ قَوَامُهُ اثْنَا عَشْرَةَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ، وَكُنَّا حَدِيثي عَهْدٍ مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَقَد أَعْجَبَتْنَا كَثْرَتُنَا، إِذْ قَالَ أَحَدُنَا: لَنْ نُغْلَبَ الْيَومَ عَنْ قِلَّةٍ، وَكَانَتْ لِكُفَّارِ قُرَيشٍ وَمَنْ سِوَاهُمْ شَجَرَةٌ خَضْرَاءُ عَظِيمَةٌ، يُقَالُ لَهَا:

	ذَاتُ أَنْوَاطٍ، يَأْتُونَهَا كُلَّ عَامٍ فَيَعقِلُونَ أَسْلِحَتَهُم عَلَيهَا، وَيَذبحُونَ عِندَهَا القَرابينَ، وَيَعكِفونَ عَلَيهَا، وَرَأَينَا فِي طَرِيقِنَا إِلَى حُنَينٍ سِدْرَةً خَضْرَاءَ عَظِيمَةً، فَتَنَادَيْنَا عَلَى جُنُبَاتِ الطَّرِيقِ، يَا رَسُولَ اللهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتِ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتِ أَنْوَاطٍ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :(اللهُ أكبَرُ، قُلْتُمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، كَمَا قَالَ قَومُ مُوسَى لِمُوسَى:" اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ"، إنها السنن (لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ ...)).
حَجَّ حِجَّ الْوَدَاعِ إِذْ كَمُلَ الدِّيْنِ وَفِي الْـوَدَاعِ كَـانَ اللِّقَاءُ صَـحِبَتْهُ صَـحْبٌ إِلَى كُلِّ خَيْرٍ هُمُ سِرَاعٌ عَنْ كُلِّ شَرٍّ بُطَاءُ يَمَّمُوا فِي الْبِطَـاحِ للهِ جَلَّ اللهُ بَيْتَـا لَـهُ الْبُـرُوجُ فِدَاءُ هُوَ مِنْهُ مَثَابَةٌ يَرْجِعُ النَّاسُ إِلَيْـهِ، وَهُـمْ بِـهِ أُمَنـاء	الحَديثُ عَن حِجَّةِ الوَدَاعِ، إِذْ رَوَى فِيهَا ابنُ هِشَامٍ عَن ابنِ إِسحَاقَ قَائِلًا:(فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ذُو الْقِعدَةِ، تَجَهَّزَ لِلْحَجِّ، وَأَمَرَ النَّاسَ بِالْجِهَازِ لَهُ، وَخَرَجَ إِلى الْحَجِّ لِخَمْسِ لَيَالٍ بَقِينَ مِنْ ذِي الْقِعدَةِ، وَاسْتَعمَلَ عَلَى الْمَدِينةِ أَبَا دُجَانَةَ السَّاعِدِي، وَسَاقَ مَعْهُ الْهَدِي، وَأَمَرَ النَّاسَ بِالْمَسِيرِ، حَتَّى بَلَغَ مَكَّةَ، وَلَمَّا وَصَلَ التَّنْعِيمَ، أَمَرَ النِّسَاءَ وَمَعْهُمْ عَائِشَةُ _ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا _ أَنْ يُحْلِلْنَ بِعُمْرَةٍ مَعِ الْحَجِّ، وَلَمْ يُحْلِلْ هُوَ بِعُمْرَةٍ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ _ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا _، فَقُلْنَا: فَمَا يَمْنَعُكَ يَا رَسُولَ اللهِ أَنْ تُحِلَّ مَعْنَا، فَقَالَ: إِنِّي أَهْدَيْتُ وَلَبَّدتُ، فَلَا أَحِلُّ حَتَّى أَنْحَرَ هَدْيِي، ... ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ إلى حَجِّهِ، وَأَرَى النَّاسَ مَنَاسِكَهُمْ، وَأَعْلَمَهُمْ سُنَنَ حَجِّهِمْ، وَخَطَبَ النَّاسَ خُطْبَتَهُ الَّتِي بَيَّنَ فِيْها مَا بِيَّنَ ...).
٢. التَّناصُ التَّارِيخي مَعِ القَصَصِ التَّارِيخيَّةِ	
النَّصُّ الشِّعريُّ عِندَ النَّبهَانِي	**القِصَّةُ التَّاريخِيَّةُ المُتنَاصَّةُ معهُ**
وَكَمْ هَمَّ كُفَّـارُ الْيَهُـوْدِ بِغَـدْرِهِ فَخَابُوا وَمَـا نَـالُوا مِنَ الظَّفَرِ الظِّفْرَا فَعَامَلَهُمْ بِـالـرِّفْقِ وَالْحِلْمِ صَـابِرًا فَمِنْ لُؤْمِهِمْ لَمْ يَتْرُكُوا الْخَتْلَ وَالْخَتْرَا وَمَـهْمَـا رَأَوا مِنْـهُ وَفَـاءً بِذِمَّةٍ	وَرَدَتِ القَصَصُ التَّاريخيَّةُ المُتَعلِّقةُ بِإجلَاءِ يَهودِ المَدِينةِ المُنَوَّرةِ وَنَفيهِم وَالهُجُومِ عَلَيهِم، وَاتِّخَاذِ إِجرَاءَاتٍ حَازِمَةٍ بِحَقِّهِم تِبَاعًا، فَقَد رَوَى ابنُ هِشَامٍ عَنْ عَبدِ اللهِ بنِ جَعفرَ عَنْ أَبِي عَونٍ قَالَ:(كَانَ مِنْ أَمرِ بَنِي قَينُقَاعَ أَنَّ امْرَأَةً مِنَ العَرَبِ

يـرَى كُـلَّ يـوْمٍ مِنْ خِيـانَتِهِمْ خَفْرَا
فَلَمـَّا رَآهُـمْ هَكَـذَا شَـــرَّ مَعْشَرٍ
رَأَى الْحَزْمَ أَنْ يَسْتَعمِلَ الْحَرْبَ وَالْحَذْرَا
فَقَنَّعْ خِـزْيـًا قَيْنُقَـــاعَ بِنَفِيـهِمْ
وَزَوَّدُهُـمْ خِـزْيـًا وَأَسْــلَمَهُـمْ قَفْرَا
وَأَجْلَى نَضِـيرًا بَعْدَ قَطْـعِ نَخِيْلِهِمْ
وَأَحْـرَمَهُمْ مِنْ لِينِـهِ التَّمْـرَ وَالْبُسْرَا
وَلَمَّـا اعْتَـدَتْ قُـرَيْظَـةُ سَـاقَهَا
إِلَى حَتْفِهَا لِلْمَوْتِ قَدْ حُشِرَتْ حَشْرَا
وَفِي نَشْرِهَا بِالسَّيْفِ نَالَتْ جَزَاءَهَا
فَمَا حَمَدَتْ مِنْ كُفْرِهَا الْحَشْرَ وَالنَّشْرَا
وَخَيْبَرُ قَدْ أَلْقَتْ إِلَيْـهِ حُصُـوْنَهَا
ذَخَـائِـرَهَا وَالنَّـخْـلَ سَـلَّمَهَـا التَّمْرَا
وَشُـجْعَانُهَـا دَامُـوا عَبِيْدًا لَهُ بِهَا
مَسَـاحَيْـهِمْ أَنَسْـتَهُمْ الْبِيْضَ وَالسُّمْرَا
وَكَـانُوا ذَوِي كَرٍّ وَفَرٍّ لَدَى الْوَغَى
فَعَوَّضَــهُمْ فِي حَقْـلِهِ الْكَــرَّ وَالْفَرَّا
وَسَالَ عَلَى وَادِي الْقُرَى سَيْلُ جَيْشِهِ
فَـأَجْـرَى بِهَا مَـا كَانَ فِي خَيْبَرٍ أَجْرَى

قَدِمَتْ بَجَلَبٍ لَهَا إِلى سُوقِ قَيْنُقَاعٍ لِبَيعِهِ، وَمَرَّتْ بِصَائِغٍ مِن اليَهودِ فِي السُّوقِ، فَجَعَلَ الْيَهودُ يُرِيدُونَهَا أَنْ تَكشِفَ وَجْهَهَا، فَأَبتْ فَعَمِدَ الصَّائِغُ إِلى طَرَفِ ثَوبِهَا فَرَبطَهُ فِي ظَهْرِهَا، فَلَمَّا قَامَتِ انْكَشَفَت سَوْءَتُهَا، فَضَحِكُوا بِهَا، فَصَاحَت، فَوَثَبَ رَجُلٌ مِن الْمُسْلِمِينَ عَلَى الصَّائِغِ فَقَتَلَهُ، فَشَدَّ الْيَهودُ عَلَى الْمُسلِمِ فَقَتَلُوهُ، فَاسْتَصْرَخَ أَهْلُ المُسلِمِ المَقتولِ المُسلِمِينَ، فَهَاجَمُوا يَهودُ بَنِي قَينُقَاعَ فِي دِيَارِهِم، وَقَتَلُوا مِنْهُم خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ أَمَرَ الرَّسُولُ ﷺ مَنْ تَبَقَّى مِنْهُم مِنْ شُيوخٍ وَنِساءَ وَأَطْفَالٍ بِالْجَلَاءِ عَنِ المَدينةِ بَعدَ أَنْ حَكَّمَ فِيهِمْ حَلِيفَهُمْ الصَّحَابِي عُبَادةَ بنَ الصَّامِتِ _ رَضِيَ اللهُ عَنهُ _، إِذْ تَبرَّأَ مِنْ حِلْفِهِمْ وَقَضَى بِهِمْ مَا أَرَادَهُ اللهُ تَعَالَى وَرَسُولُهُ ﷺ بِالْجَلَاءِ كَمَا ذَكَرْنَا آنِفًا). أَمَّا قِصَّةُ الجَلَاءِ الثَّانيةِ، فَهِيَ قِصَّةُ جَلَاءِ يَهودَ بَنِي النَّضِيرِ، إِذْ رَوَى ابنُ هِشَامٍ فِي السَّيرةِ عَنِ ابنِ إِسحَاقَ قَالَ:(خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى بَنِي النَّضِيرِ يُطَالِبُهُمْ بِدَفْعِ الدِّيَتَينِ لِلْقَتِيلَينِ مِنْ بَنِي عَامِرٍ، أَيْ إِعَانَتِهِ فِي دَفْعِ الدِّيَةِ عَلَى مَا كَانَ بَينَ المُسلِمِينَ وَالْيَهودِ مِن تَشَارُكٍ فِي الدِّيَاتِ، فَقَالُوا: نَعَم، يَا أَبَا الْقَاسِم، نُعِينَكَ عَلَى مَا أَحْبَبتَ، مِمَّا اسْتَعَنْتَ بِهِ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَدفَعُوا الدِّيَةَ، بَلْ قَرَّرُوا التَّآمُرَ عَلَيهِ مِنْ خِلَالِ اجْتِمَاعِهِمْ وَاتِّفَاقِهِمْ عَلَى قَتْلِهِ بِإِسْقَاطِ صَخْرَةٍ عَلَيهِ مِنْ عُلُوٍّ، وَقَدْ نَزَلَ خَبَرٌ مِنَ السَّمَاءِ يُبْلِغُ الرَّسُولَ ﷺ بِتِلكَ المُؤَامَرةِ، وَلَمَّا تَحَقَّقَ الرَّسُولُ ﷺ مِنَ المُؤَامَرةِ، حَاصَرَهُمْ بِجَيْشِهِ سِتُّ لَيَالٍ، ثُمَّ أَمَرَ بِجَلَائِهِمْ دُوْنَ قِتَالٍ). أَمَّا القِصَّةُ الثَّالثةُ، فَقِصَّةُ يَهودِ بَنِي قُرَيظَةَ وَخِيانَتِهِمْ العَهدَ أَثنَاءَ غَزوَةِ الخَندَقِ (الأَحزَابِ)، فَقَد رَوَى ابنُ هِشَامٍ عَنِ ابنِ إِسحَاقَ قَالَ:(...وَلَمَّا أَصبحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ انصَرَفَ رَاجِعًا مِن الْخَندَقِ إِلى الْمَدينَةِ، وَالمُسلِمونَ

	مَعهُ، وَوَضَعُوا سِلَاحَهُمْ لِيَستَرِيحُوا مِنْ مَشَقَّةِ الْحَربِ، وَلَمَّا جَاءَ مَوعِدُ صَلَاةِ الظُّهْرِ نَزَلَ جِبرِيلُ _ عَلَيهِ السَّلامُ _، فَقَالَ: أَوَضَعْتَ السِّلَاحَ يَا رَسُولَ اللهِ؟! قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ جِبرِيلُ _ عَلَيهِ السَّلامُ _: فَمَا وَضَعَتِ الْمَلَائِكَةُ السِّلَاحَ بَعدُ، وَمَا رَجَعَتِ الآنَ إِلَّا مِنْ طَلَبِ الْقَومِ، إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ يَا مُحمَّدُ بِالْمَسيرِ إِلى بَنِي قُرَيظَةَ، فَإِنِّي عَامِدٌ إِلَيهِمْ، فَمُزَلْزِلٌ بِهِمْ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُؤَذِّنًا، فَأَذَّنَ فِي النَّاسِ:(مَنْ كَانَ سَامِعًا مُطِيعًا فَلَا يُصَلِّينَ الْعَصرَ إِلَّا فِي دِيارِ بَنِي قُرَيْظَةَ)، وَأَمَرَ عَلِيًّا بنَ أَبِي طَالِبٍ _ رَضِيَ اللهُ عَنهُ _ بِتَقَدُّمِ الْجَيشِ وَحَمْلِ اللِّوَاءِ إِلى بَنِي قُرَيْظَةَ وَحَاصَرَهُمْ خَمْسَةً وَعِشرِينَ لَيْلَةً حَتَّى قَبِلُوا بِحُكْمِ مَوْلَاهُمْ الصَّحَابِي سَعْدٍ بنِ مُعَاذٍ _ رَضِيَ اللهُ عَنهُ _ الَّذِي حَكَمَ بِهِمْ مَا أَرَادَهُ اللهُ تَعَالَى وَرَسُولُهُ ﷺ، بِأَنْ يُقتَلَ الرِّجَالُ، وَتُقَسَّمَ الْأَمْوَالُ، وَتُسْبَى الذَّرَارِي وَالنِّسَاءُ). أَمَّا القِصَّةُ الرَّابعةُ وَالأَخِيرةُ فَكَانَتْ فِي القَضَاءِ عَلَى يَهودِ خَيبرٍ آخرَ حُصُونِ يَهودَ فِي المَدينةِ المُنَوَّرةِ وَأَمنَعَهَا، فَقَد رَوَى ابنُ هِشَامٍ عَنِ ابنِ إِسحَاقَ قَالَ:(...وَلَمَّا انتَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ صُلْحِ الْحُدَيبيةِ، عَلِمَ مَا فَعَلَهُ يَهودُ خَيبَرٍ مِنْ إِيوَاءِ زُعَماءِ بَنِي النَّضِيرِ وَعَلَى رَأْسِهِمْ حُيَيُ بنُ أَخْطَبَ، وَرَفْضِهِمْ صُلْحَ الحُدَيبيةِ، وَتآمُرِهِمْ مَعْ قَبيلَةِ غَطَفَانَ ضِدَّ المُسلمينَ، فَجَهَّزَ جَيْشًا عَظِيمًا، وَأَمَّرَ عَلِيًّا بنَ أَبِي طَالِبٍ _ رَضِيَ اللهُ عَنهُ _ بِحَمْلِ اللِّوَاءِ الأَبيضِ، وَسَارَ إِلَيهِمْ، وَبَدَأَ بِدَكِّ حُصُوْنِهِمْ وَاحِدًا تِلْوَ الْآخرَ حَتَّى بَلَغَ حِصْنَ وَادِي الْقُرَى، فَانْتَهَى بِحِصَارِهِمْ ثُمَّ قَتَلَ مِنْهُمْ مَنْ قَتَلَ مِنْ قَادَةٍ وَرِجَالٍ عَلَى رَأْسِهِمْ حُيَيُ بنُ أَخْطَبَ، ثُمَّ سُبِيَتْ بَعْضُ نِسَائِهِمْ وَذَرَارِيهِمْ، وَأُجْلِيَ مَنْ تَبَقَّى مِنْهُمْ خَارِجَ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ).

أَرَادْتْـهُ لِلْقَتْـلِ الْيَهُـودُ فَخَـافَهُمْ
عَلَى نَفْسِـهِ تِلْكَ النَّفِيسَـةِ أَنْ تُزْرَى
فَصَـارَ يُنَـادِي مُسْـتَغِيْثًا بِـرَبِّهِ
وَقَـادُوْهُ رُغْمًـا عَنْ إِرَادَتِـهِ جَبْـرَا
وَقَدْ وَضَـعُوا إِكْلِيْـلَ شَـوْكٍ بِـرَأْسِهِ شِـرَارُ
الْـوَرَى حَتَّى بِهِ سَخِرُوا سُخْرَا
وَكَـانَ لَـهُ حِزْبٌ ضَـعِيفٌ فَعِنْدَمَا
أَحَـاطَ بِـهِ أَعْـدَاؤُهُ لِلـرَّدَى فَرَّا
وَسَـاقُوْهُ مَكْتُـوفًا عَلِيْـهِ صَـلِيْبِهِ
إِلَى أَنْ عَـلَا بِـزَعْمِهِمْ فَـوْقَـهُ قَسْرَا
وَقَدْ حَاوَلَتْ فِيْهِ النَّـصَارَى عَقِيْدَةً
لِأَنْ يَجْعَلُـوا فَـوْقَ الْهَـوَانِ لَـهُ سِتْرَا
فَقَالُوا جَرَى مَا قَدْ جَرَى لَهُ بِاخْتِيَارِهِ
لَقَدْ أَخْجَـلُوا وَجْـهَ الْحَقِيْقَـةِ فَاحْمَرَّا
فَـإِنْ كَـانَ حَقًّا مَـا جَرَى بِاخْتِيَارِهِ
فَمَا بَالَـهُ قَدْ أَظْهَـرَ الْخَـوْفَ وَالذُّعْرَا
وَإِنْ كَـانَ مَسْـرُوْرًا بِقَهْـرِ عَدِوِّهِ لَـهُ
فَلِمَـاذَا لَـمْ يَـكُنْ يُظْـهِـرِ البِشْرَا
وَقَدْ كَانَ فِي حُـزْنٍ عَظِيْمٍ فَمَا لَنَا نَـرَى
حِـزْبَـهُ هَذَا بِنَكْبَتِـهِ سُرَّا
وَهَبْـهُ عَلَى نَاسُـوتِـهِ كَـانَ جَارِيًا فَكَيْـفَ
مِنَ الـلَّاهُوْتِ لَمْ يَجِدِ النَّصْرَا
وَمَعْ كَـوْنِ كُلِّ شَـطْرٍ كُلِّ بِمَزْجِهِ
فَكَيْفَ بِهِ مَا حَازَ مِنْ صَلْبِهِ الشَّطَرَا
وَإِنْ كَـانَ هَذَا كُلُّـهُ كَـانَ بِـابْنِـهِ
فَكَيْفَ تَخَـلَّى عَنْـهُ أَوْ وَجَدَ الصَّبْرَا
أَمَـا يَسْـتَحِقُّ الذَّمَّ يَـا قَـوْمُ وَالِدًا
أَعَـزُّ بَنِيْـهِ لَا يَشِـدُّ بِـهِ إِزْرَا
عَجَـائِبُهُمْ لَا تَنْقَضِـي فَبِحُـزْنِهِ
لَهُـمْ فَـرَحٌ وَالْكَسْرُ كَـانَ لَهُـمْ جَبْرَا

أَشَارَ إِلَى قِصَّةِ صَلبِ المَسيحِ المُختَلَقَةِ، ابنُ كَثِيرٍ عَنِ الحَسنِ البَصْرِي فِي رِوَايتِهِ عَنِ ابنِ إِسحَاقَ قَالَ:(... وَقَدْ أَمَرَ مَلِكُ اليهَودِ أَنَذَاكَ وَيُدعَى دَاودُ بنُ نُورَا فِي بَيتِ الْمَقدِسِ، أَمَرَ اليهُودَ بِقَتلِ عِيسَى _ عَلَيهِ السَّلامُ _ وَصَلْبِهِ فِي دَارِ بَيتِ الْمَقدِسِ أَمَامَ أَتْبَاعِهِ؛ لِيَكُونَ عِبْرَةً لَهُمْ، وَذَلِكَ عَشِيَّةَ الجُمُعَةِ لَيْلَةَ السَّبْتِ، فَلَمَّا حَانَ وَقْتُ خُرُوجِهِمْ أَلْقَى اللهُ شَبَهَهُ عَلَى أَحَدِ الْحَاضِرِينَ مِمَّنَ أَلْقَى عَلَيهِ، أَيْ دَلَّ اليهُودَ عَلَيهِ، ظَانّينَ أَنَّهُ هُوَ، وَأَمَّا عِيسَى _ عَلَيهِ السَّلامُ _ فَرَفَعَهُ اللهُ إِلَيهِ مِنْ سَاحَةِ البَيتِ الَّذِي فِيهِ الرَّوْزَنَةُ إِلَى السَّمَاءِ، وَأَهْلُ الْبَيتِ يَنْظُرُونَ، دُونَ أَنْ يَتَكَلَّمُوا، وَحِينَمَا دَخَلَ الشُّرطُ وَجَدُوا ذَلِكَ الشَّابَّ الَّذِي أَلْقَى اللهُ الشَّبَهَ عَلَيهِ بَينَ الحُضُورِ، فَأَخَذُوهُ ظَانّينَ أَنَّهُ عِيسَى _ عَلَيهِ السَّلامُ _، فَقَتَلُوهُ، ثُمَّ صَلَبُوهُ، وَوَضَعُوا الشَّوكَ عَلَى رَأْسِهِ إِهَانَةً لَهُ، وَسَلَّمَ لِلْيهُودِ عَامَّةُ النَّصَارَى الَّذِينَ لَمْ يُشَاهِدُوا رَفْعَ عِيسَى _ عَلَيهِ السَّلامُ _ إِلَى السَّمَاءِ، وَلَمْ يُصَدِّقُوا أَهْلَ الْبَيتِ، بَلِ اعْتَقَدُوا بِقَتْلِهِ وَصَلْبِهِ عَلَى يَدِ اليَهُودِ، وَضَلُّوا بِهَذَا الافْتِرَاءِ الَّذِي صَنَعَهُ الْيَهُودُ، وَصَدَّقَهُ النَّصَارَى مُنْكِرِينَ رِوَايَةَ أَهْلِ الْبَيتِ مِنَ الْحَوَارِيينَ أَتْبَاعِ عِيسَى _ عَلَيهِ السَّلَامُ _).

وَوَرَدَتْ قِصَّةُ صَلبِ المَسيحِ المُختَلَقَةِ كَذَلِكَ فِي كِتَابِهِم المُقَدَّسِ فِي إِنجِيلِ لُوقَا قَولَهُ:(وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ إِذَا جَمْعٌ، وَالَّذِي يُدْعَى يَهُوذَا، أَحَدُ الاِثْنَيْ عَشَرَ، يَتَقَدَّمُهُمْ، فَدَنَا مِنْ يَسُوعَ لِيُقَبِّلَهُ. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «يَا يَهُوذَا، أَبِقُبْلَةٍ تُسَلِّمُ ابْنَ الإِنْسَانِ؟» فَلَمَّا رَأَى الَّذِينَ حَوْلَهُ مَا يَكُونُ، قَالُوا: «يَا رَبُّ، أَنَضْرِبُ بِالسَّيْفِ؟» وَضَرَبَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ عَبْدَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ فَقَطَعَ أُذْنَهُ الْيُمْنَى. فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ: «دَعُوا إِلَى هَذَا!» وَلَمَسَ أُذْنَهُ وَأَبْرَأَهَا. ثُمَّ قَالَ يَسُوعُ لِرُؤَسَاءِ

وَقَدْ جَعَلُوا عِيدًا لَـهُ يَوْمَ صَلْبِهِ فَكَمْ طَبَّلُوا طَبْـلًا وَكَـمْ زَمَّـرُوا زَمْرَا فَيَـا قَـوْمُ هَذَا يَـوْمُ أَحْـزَانِكُمْ أَمَا لَدَيْكُـمْ عُقُوْلٌ تُفَرِّقُ الْخَيْـرَ وَالشَّرَّا تَقُولُـونَ رَبٌّ ثُـمَّ قُلْتُـمْ عَبِيـدُهُ شِرَارُ الْوَرَى جَارُوا عَلَى ضَعْفِهِ جَوْرَا أَلَا أَخْبِـرُوْنَا هَلْ سَـمِعْتُمْ بِمَعْشَرٍ سِوَاكُمْ رَأَوا فَي صَـلْبِ رَبِّـهِمْ فَخْرَا فَهَذَا اعْتِقَـادُ الْقَـوْمِ وَالْحَـقُّ أَنَّهُ دَعَـا رَبَّـهُ فَـوْرًا فَخَلَّصَــهُ فَوْرَا وَأَلْقَى عَلَى مَنْ خَـانَـهُ شَـبَهًا بِهِ فَكَانَ هُوَ الْمَصْـلُوبُ إِذْ دَلَّـهُمْ غَدْرَا وَأَمَّـا الْمَسِـيحُ الْحَقُّ فَاللَّهُ خَصَّـهُ بِرَفْعٍ إِلَيْـهِ حَيْثُ بِالْمُصْـطَفَى أَسْرَى هَنِيْئًـا لَـهُ مِـنْ مُرْسَـلٍ عِنْدَ رَبِّهِ بِـأَهْنَئِ عَيْـشٍ لَا يَجُـوعُ وَلَا يَعْرَى وَأَكْـرَمَـهُ أَحْلَى الْكَـرَامَـةِ بَعْـدَمَا قَضَـى مُرَّ عَيْـشٍ بَيْنَ أَعْدَائِهِ مُرَّا	الْكَهَنَةِ وَقُوَّادِ جُنْدِ الْهَيْكَلِ وَالشُّيُوخِ الْمُقْبِلِينَ عَلَيْهِ: «كَأَنَّهُ عَلَى لِصٍّ خَرَجْتُمْ بِسُيُوفٍ وَعِصِيٍّ! إِذْ كُنْتُ مَعَكُمْ كُلَّ يَوْمٍ فِي الْهَيْكَلِ لَمْ تَمُدُّوا عَلَيَّ الأَيَادِيَ. وَلَكِنَّ هَذِهِ سَاعَتُكُمْ وَسُلْطَانُ الظُّلْمَةِ.» فَأَخَذُوهُ وَسَاقُوهُ وَأَدْخَلُوهُ إِلَى بَيْتِ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ. وَأَمَّا بُطْرُسُ فَتَبِعَهُ مِنْ بَعِيدٍ[1]... فَأَخَذَ عَسْكَرُ الْوَالِي يَسُوعَ إِلَى دَارِ الْوِلاَيَةِ وَجَمَعُوا عَلَيْهِ كُلَّ الْكَتِيبَةِ، فَعَرَّوْهُ وَأَلْبَسُوهُ رِدَاءً قِرْمِزِيًّا، وَضَفَرُوا إِكْلِيلاً مِنْ شَوْكٍ وَوَضَعُوهُ عَلَى رَأْسِهِ، وَقَصَبَةً فِي يَمِينِهِ. وَكَانُوا يَجْثُونَ قُدَّامَهُ وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِ قَائِلِينَ: «السَّلاَمُ يَا مَلِكَ الْيَهُودِ!» وَبَصَقُوا عَلَيْهِ، وَأَخَذُوا الْقَصَبَةَ وَضَرَبُوهُ عَلَى رَأْسِهِ. وَبَعْدَ مَا اسْتَهْزَأُوا بِهِ، نَزَعُوا عَنْهُ الرِّدَاءَ وَأَلْبَسُوهُ ثِيَابَهُ، وَمَضَوْا بِهِ لِلصَّلْبِ[2] ... فَخَرَجَ وَهُوَ حَامِلٌ صَلِيبَهُ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ «مَوْضِعُ الْجُمْجُمَةِ» وَيُقَالُ لَهُ بِالْعِبْرَانِيَّةِ «جُلْجُثَةُ،» حَيْثُ صَلَبُوهُ، وَصَلَبُوا اثْنَيْنِ آخَرَيْنِ مَعَهُ مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَا، وَيَسُوعُ فِي الْوَسْطِ. وَكَتَبَ بِيلاَطُسُ عُنْوَانًا وَوَضَعَهُ عَلَى الصَّلِيبِ. وَكَانَ مَكْتُوبًا: «يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ مَلِكُ الْيَهُودِ.» فَقَرَأَ هَذَا الْعُنْوَانَ كَثِيرُونَ مِنَ الْيَهُودِ، لأَنَّ الْمَكَانَ الَّذِي صُلِبَ فِيهِ يَسُوعُ كَانَ قَرِيبًا مِنَ الْمَدِينَةِ. وَكَانَ مَكْتُوبًا بِالْعِبْرَانِيَّةِ وَالْيُونَانِيَّةِ وَاللاتِينِيَّةِ. فَقَالَ رُؤَسَاءُ كَهَنَةِ الْيَهُودِ لِبِيلاَطُسَ: «لاَ تَكْتُبْ: مَلِكُ الْيَهُودِ، بَلْ: إِنَّ ذَاكَ قَالَ: أَنَا مَلِكُ الْيَهُودِ!» أَجَابَ بِيلاَطُسُ: «مَا كَتَبْتُ قَدْ كَتَبْتُ».
وَكَمْ كَانِ حُكَّامُ الْمَمَالِيكِ قَبْلَنَا فَـرَاعِنَةً جَـارُوا عَلَى رُسْـلِهِمْ جَوْرَا تَذَكَّـرْ خَلِيلَ اللهِ وَاذْكُرْ كَلِيمَهُ	أَوْرَدَ قِصَّةَ المَمالِيكِ وَشَجَرَةِ الدُّرِّ، ابنُ إِياسٍ فِي كِتَابِهِ:(بَدَائِعُ الزُّهُورِ فِي رَوَائِعِ الدُّهُورِ)، (...إِذْ إِنَّ مَرَضَ المَلِكِ المُرتضَى الصَّالِحِ أَيوبٍ جعلَ المَمالِيكَ

[1] الكتاب المقدس. إنجيل لوقا. الإصحاح رقم: ٢٢. ص٤٧-٥٤.

[2] المصدر السابق. إنجيل متى. الإصحاح رقم: ٢٧. ص٢٧-٣١.

وَأَسْبَاطُ إِسْرَائِيلَ إِذْ سَكَنُوا مِصْرَا تَذَكَّرْ حَبِيبَ اللهِ قَبْلُ بِمَكَّةَ وَلَا تَنَسِى عِيسَى وَالْحَوارِيّنَ وَالْعَذْرَا فَيَمْتَحِنُ الْأَحْبَابَ جَلَّ جَلَالَهُ وَيَسْتَدرِجُ الْأَعْدَاءَ يُمْلِي لَهُمْ مَكْرَا	الَّذِينَ جَلبَهُم مِن تُركيَّا وَالأَناضُولِ؛ لِتكوينِ جَيشٍ مِنهُم، يَتَحكَّمُونَ فِي النَّاسِ مِن أجلِ الوصُولِ إِلى الحُكمِ، فَوَضعَ ابنُ أَخيهِ (تُوران شاه) حَاكِمًا عَلَى مِصرَ، وهَذا لَم يُرضِ شَجرَةَ الدُّرِّ _ زَوجةِ المَلكِ الصَّالحِ بنِ أيوبٍ _ فانتَظَرَتْ حتَّى تَوفِي المَلكُ الصَّالِحُ، فَتَآمَرَتْ مَعْ قَائِدِ الجَيشِ المَملوكِي (عِزّ الدِّين أَيبكَ)، الَّذِي قَامَ بِقَلْبِ النِّظامِ، وَقَتلَ (تُوران شاه)، وَأصبَحَت شَجرةُ الدُّرِّ مَلكةً عَلَى مِصرَ رُغمَ اعتِراضِ الخَلِيفةِ العَبَّاسِي (المستعصمِ بِاللَّهِ) عَلَى تَوَلّى امْرأَةً الحُكمَ فِي مِصرَ، وَتَزَوَّجَ عِزُّ الدِّينِ أَيْبَكَ شَجرةَ الدُّرّ فَأَصبحَ الحَاكِمَ الفِعلِي لِمِصرَ وَالمَناطقِ التَّابِعةِ لِدَولةِ الأيّوبيينَ فِي شَمالِ إِفْريقيَا وَبِلادِ الشَّامِ، وَهَكَذا بَدأَ حُكمُ المَماليكِ فِي مِصرَ بِسيطرةِ عِزّ الدِّينِ أَيبكَ بَاشا الَّذِي أَصبحَ حَاكمًا بَدلَ زَوجتِهِ شَجرةِ الدُّرّ الَّتِي تَنازَلَتْ عَنِ الحُكْمِ لهُ بِسببِ رَفضِ الخَليفةِ لِذلِكَ، وَحدُوثِ احتِجَاجَاتٍ عَارِمَةٍ مِن المُهَمَّشينَ وَالحَرافيشِ الَّذينَ قَادُوا تِلكَ الثَّوراتِ وَالاحتِجَاجاتِ، وَلمَّا عَلِمَتْ شَجَرةُ الدُّرّ بِمُخطَّطِ عِزّ الدِّينِ أَيبكَ بِالزَّواجِ مِن ابنةِ أَميرِ المُوصِلِ خَطَّطَتْ لِقَتلِهِ، إِلَّا أَنَّ عِزَّ الدِّينِ أَيبكَ رَتَّبَ لاغتِيالِ الأَميرِ قُطُز بعدَ عَودتِهِ مِن انتصارِهِ عَلى التَّتَارِ فِي مَعركةِ عَينِ جَالوتَ، خَوفًا مِن تَآمُرِهِ مَعْ شَجَرةِ الدُّرّ لِإزاحَةِ أَيبكَ عَنِ الحُكمِ، وِفعلًا تَمَّ اغْتيالُ الأَميرِ قُطُز، واستبعادِ الظَّاهرِ بِيبرسَ عَنِ الجَيشِ بِعَزلِهِ وَفَرضِ إِقَامَةٍ جَبرِيَّةٍ عَلَيهِ ... وَمَع ظُهورِ صَلاحِ الدِّينِ الأَيّوبِي فِي بِلادِ الشَّامِ، بَدأَ أَهلُ مِصرَ يَسْتَبشرُونَ خَيرًا، بِتَحريرِ مِصرَ مِنْ قَبضَةِ المَماليكِ، وَعَودةِ حُكمِهَا إِلى الأُسْرَة الأَيوبيَّةِ، إِلَّا أَنَّ النَّاصرَ صَلاحَ الدِّينِ لَمْ يَتمَكَّنْ مِنْ هَزيمةِ أَيبكَ بِيك، رُغمَ شُيوعِ خَبرِ بِهَزيمتِهِ وَفَرَحِ أَهلِ مِصرَ بِذلكَ، إِذْ عَادَ عِزُّ

	الدِّينِ أَبيكَ وَانتَقَمَ مِنْ أَهلِ مِصرَ بِالتَّعذِيبِ وَالْقَتلِ).
وَهَا هُمْ أَتُونَا مِثْلَ مَا قَالَ رَبُّنَا بَأَوْصَافِهِمْ فَاعَجَبْ بِهِمْ آيَةً أَخْرَى خَوَارِجُ لَكِنْ شَيْخَهُمْ غَيْرَ نَافِعٍ وَلَكِنَّهُ قَدْ كَانَ أَزْرَقَ مُغْبَرَا وَقَدْ جَاءَ فِي الْأَخْبَارِ وَصْفَ مُرُوقِهِمْ مِنَ الدِّيْنِ مِثْلَ السَّهْمِ مِنَ الْجِهَةِ الْأُخْرَى بِفِعْلِ البُرُوسْتَنْتِ اقْتَدُوا بِاجْتِهَادِهِمْ لِقَولِ رَسُولِ اللهِ لَوْ دَخَلُوا جُحْرَا أُوْلَئِكَ قَدْ أَلْغُوا زَوَائِدَ دِيْنَهُمْ وَقَدْ ضَلَّلُوا فِي ذَلِكَ الْقِسَّ وَالْحَبْرَا	يَتناولُ النَّبهانِي مَشاهدَ قَصَصيَّةً تَارِيخِيَّةً عِدَّة، إِذْ يَذكُرُ دُعاةَ الإِصلَاحِ الدِّينِي الَّذِينَ أَفسَدُوا الدِّينَ، وَينعتَهُم بِالخَوَارِجِ الَّذِينَ كَانُوا فِي صَفِّ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالبٍ _ رَضِيَ اللهُ عَنهُ _ فِي قِتالِهِ ضِدَّ مُعَاويةَ بنِ أَبِي سُفيانَ، وَلمَّا قَبِلَ بِالتَّحكِيمِ لِإنهَاءِ الفِتنةِ بَينَ المُسلِمينَ، خَرجُوا عَلَى عَلِيٍّ _ رَضِيَ اللهُ عَنهُ _ وَخَذَلُوهُ، وقَد أَشَارَ إِلَى شَيخِ دُعَاةِ الإِصلَاحِ الَّذِي لَا فَائدَةَ مِنهُ، وَلَيسَ يُشبِهُ عَلِيًّا _ رَضِيَ اللهُ عَنهُ _، كَمَا يَدعمُ قَولَهُ فِي حَقِّ دُعَاةِ الإِصلَاحِ الدِّينِي وَتَشبيهُهُمْ بِالخَوارِجِ مِنْ خِلالِ أَدِلَّةٍ شَرعِيَّةٍ نَقلِيَّةٍ بِالإِشَارةِ إِلَى حَدِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، الَّذِي يَروِيهِ البُخَارِي عَنْ عَلِي بنِ أَبِي طَالِبٍ _ رَضِيَ اللهُ عَنهُ _، قَولَهُ:(إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: سَيَخْرُجُ قَوْمٌ آخِرَ الزَّمَانِ، أَحْدَاثُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ قَوْلِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ، لَا يُجَاوِزُ إِيْمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَومَ الْقِيَامَةِ). كَمَا رَوَى البُخَارِي عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخَدَرِي _ رَضِيَ اللهُ عَنهُ _ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ:(لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبلِكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، قَالَ: فَمَنْ؟).
وَأَعْجَبُ شَيْءٍ مُسْلِمٍ فِي حِسَابِهِ غَدَا قَلْبُهُ مِنْ حُبِّ خَيْرِ الْوَرَى صِفْرَا أُوْلَئِكَ وَهَّابِيَّةٌ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فَظَنُّوا الرَّدَى خَيْرًا وَظَنُّوا الْهُدَى شَرًّا ضِعَافُ النُّهَى أَعْرَابُ نَجْدٍ جُدُودُهُمْ	يَتَحدَّثُ النبهانِي عَن قِصَّةٍ تَارِيخِيَّةٍ تَتعلَّقُ بِمَنشئِ الوَهابيَّةِ وَعَلاقتِهَا بِالأَحَاديثِ الدَّالةِ عَلَى خُروجِ قَرنِ الشَّيطانِ مِن نَجدٍ، وَإِرجَاعِهَا إِلَى أَصلِهَا بِخُروجِ مُسيلَمةَ الكَذَّابَ مُدَّعِي النُّبوَّةِ فِي أَرضِ اليَمامَةِ مِنْ جَزيرةِ العَرَبِ، وَخُروجِ سُجاحَ بنتِ الحَارثِ كَذلِكَ

وَقَدْ أُورِثُوا عَنْـهُمُ الـزُّوْرَ وَالْوِزْرَا مُسَـيْلَمَةُ الْجَدُّ الْكَبِيـرُ وَعُـرْسُـهُ سُـجَاحٌ لِكُـلٍّ مِنْهُمُ الْجَـدَّةُ الْكُبْرَى إِلَى اللهِ بِـالْمُخْتَـارِ لَـمْ يَتَـوسَّـلُوا لِأَنَّ لِـكُـلٍّ عِنْـدَ خَـالِقِــهِ قَدْرَا فَقَدْ وَرِثُوا الْكَـذَّابَ إِذْ كَـانَ يَدَّعِي بَـأَنَّ لَـهُ شَـطْرًا وَلِلْمُصْطَفَى شَطْرَا أَشَــارَ رَسُـولُ اللهِ لِلشَّـرْقِ ذَمَّهُ وَهُمْ أَهْلُـهُ لَا غَـرْوَ أَنْ أَطْـلَعَ الشَّرَّا بِـهِ يَطْلَـعُ الشَّـيْطَانُ يَنْطَـحُ قَرْنَهُ رُؤُوسَ الْهُـدَى وَاللهُ يَكْسِـرُهُ كَسْرَا	مِن قَبيلةِ تَميمٍ، فَالحَركَةُ الوَهَّابيَّةُ حَركَةٌ سَلَفيَّةٌ إِصلَاحيَّةٌ دِينيَّةٌ ظَهَرتْ فِي جَزيرةِ العَربِ وَتَحدِيدًا فِي نَجدٍ مُنتصفَ القَرنِ الثَّامنَ عشرَ المِيلادِي، وَقَد تَحالَفَ مُؤسِّسُهَا مُحَمَّدٌ بنُ عَبدِ الوَهَّابِ مَعْ أَميرِ الدِّرعيَّةِ مُحمَّدٍ بنِ سُعودٍ (ت:١٧٦٥م) مُؤسِّسِ المَملَكةِ العَربيَّةِ السُّعُوديَّةِ، واتَّفَقَا عَلَى العَملِ مَعًا فِي الإِصلَاحِ الدِّينِي فِي الجَزِيرَةِ العَربيَّةِ فِي الوَقتِ الَّذِي أَصبَحَتْ فِيهِ الدَّولَةُ العُثمَانِيَّةُ تَلفِظُ أَنفَاسَهَا الأَخيرةَ، وَقَد كَانَ لَهُمَا اليَدُ الطُّولَى فِي فَصلِ الوِلَاياتِ عَنْ بَعضِهَا وَالانفِرادِ بِجزيرةِ العَربِ لِتَأسيسِ المَملَكَةِ العَربيَّةِ السُّعوديَّةِ، كَمَا كَانَ لَهُمْ دَورٌ كَبيرٌ فِي الثَّورَةِ عَلَى الدَّولَةِ العُثمَانِيَّةِ، وَالمُساهَمَةِ فِي تَمزِيقِ الوِحدةِ الإِسلاميَّة. ويَذكرُ النَّبهانِي مُتناصًّا مَعْ أَفكارِهِمَا الَّتِي أَعلَنَا عَنهَا بِتحريمِ التَّوسُّلِ للهِ عَنْ طَرِيقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وتَذكِيرِهِمْ بِسَلَفِهِمْ مُسيلَمةَ الكَذَّابِ الَّذِي ادَّعَى النُّبوَّةَ، وَالإِشَارةُ إِلَى أَنَّ خُرُوجَهُم مِنْ نَجدٍ عَلَامَةً دَالَّةً عَلَى أَنَّهُمْ أَتبَاعُ الشَّيطانِ، وَلِتَأكِيدِ ذَلِكَ احتَجَّ بِحَديثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّذِي أَشارَ فِيهِ إِلَى خُرُوجِ قَرنِ الشَّيطَانِ مِنْ نَجْدٍ، فَقَد رَوَى البُخَارِي فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَبدِ اللهِ بنِ عُمَرٍ _ رَضِيَ اللهُ عَنهُ _ قَالَ: دَعَا النَّبِيُّ ﷺ قائلا:(اللَّهُمَّ بَارِكَ لَنَا فِي شَأْمِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكَ لَنَا فِي يَمَنِنَا)، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَفِي نَجْدِنَا؟! قَالَ:(اللَّهُمَّ بَارِكَ لَنَا فِي شَأْمِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمَنِنَا)، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَفِي نَجْدِنَا؟! فَأَظُنُّهُ قَالَ فِي الثَّالِثَةِ:(هُنَاكَ الزَّلَازِلُ وَالفِتَنُ، وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنَ الشَّيْطَانِ).
٣. التَّناصُ التَّاريخِيُّ بِاستِدعَاءِ الشَّخْصِيَّاتِ التَّارِيخيَّةِ	

النص الشعري عند النبهاني	النَّصُّ التَّارِيخِيُّ المُستَدعِي لِلشَّخصِيَّةِ التَّارِيخيَّةِ
أَجَلُّ الوَرَى عَبْدُ الْحَمِيدِ مَلِيكُنَا مُجَدِّدُ هَذَا الدِّينِ أَحْسَنُ تَجْدِيدِ أَتَـى وَعِمَـادُهُ وَاهٍ لِحُكْـمِـهِ فَشَـيَّدَهُ بِالْحَـزمِ أَرْفَـعَ تَشْييدِ	استِدعَاءُ شَخصِيَّةِ الخَلِيفةِ العُثمَانِي عَبدِ الحَمِيدِ الثَّانِي: الخَلِيفةِ الثَّانِي بَعدَ المِئةِ مِنْ خُلَفَاءِ الدَّولَةِ العُثمانِيَّةِ، وَالسُّلطَانِ الرَّابِعِ وَالثَّلاثُونَ مِنْ سَلَاطِينِهَا. حَكَمَ بَينَ العَامينِ (١٨٩١-١٩٠٨م)، ووَقَفَ فِي وجهِ المُؤمَراتِ الَّتِي حِيكَتْ ضِدَّ الدَّولةِ العُثمَانِيَّةِ، وَمِنهَا مُؤامَرةِ سَيطرَةِ اليَهُودِ عَلَى أَرضِ فِلسطينَ، إِذْ جَاءَهُ اليَهُودُ يَعرِضونَ عَلَيهِ الأَموالَ الكَثِيرةَ مُقَابِلَ تَنازُلِهِ عَنْ أَرضِ فِلسطِينَ لِليَهودِ فَرَدَّ، وَقَالَ:(إِنَّ عَملَ المِبضعِ فِي بَدَنِي لَأَهونُ عَليَّ مِنْ أَنْ أَرَى فِلسطينَ قَد بُتَرَتْ مِنَ الدَّولةِ الإِسْلَامِيَّةِ، فَإِنَّهُ أَمرٌ لَا يَكونُ، إِنِّي لَا أَسْتَطيعُ أَنْ أَوَافِقَ عَلَى تَشْرِيحِ أَجْسَادِنَا وَنَحْنُ عَلَى قَيْدِ الحَياةِ).
وَذِكْـرُنَـا عَبْـدَ الْمَجِيـدِ وَعَدْلِـهِ فَقُلْنَـا سُـلَيْمَانُ أَتَـى بَعْـدَ دَاوُدِ شَهِدْتُ وَلَمْ أَشْهَدْ عَلَى الْغَيبِ أَنَّهُ أَجَلُّ مُلُوكِ الأَرضِ بِالْعَدْلِ وَالْجُودِ	استِدعَاءُ شَخصِيَّةِ الخَلِيفَةِ العُثمَانِي عَبدِ المَجِيدِ الثَّانِي الَّذِي حَكَمَ لِعَامِينِ فَقَط (١٩٢٢-١٩٢٤)، وَبعدَهَا تَمَّ طَرْدُهُ إِلَى فَرنسَا حَيثُ تُوفِيَ فِيهَا، وَفِي عَصرِهِ تَمَّ إِنشَاءُ أَوَّلِ غَوَّاصَةٍ فِي العَالَمِ بِأَيدِي أَلمَانِيَّةٍ، وَرُبَّمَا لِهَذا السَّببِ قُضِيَ عَلَيهِ، ثُمَّ أُلْغِيَتِ الخِلَافَةُ الإِسلَامِيَّةُ الَّتِي امتَدَّتْ لِثَلَاثَةَ عَشرَ قَرنًا.
حَتَّى إِذَا احْتَجَبَتْ فِي الْأُفْقِ أَنْجُمُهُ وَغَيْهَبَ الْأُفْقِ فِي حُجُبٍ مِنَ السُّحُبِ حِرْنَا فَلَمَّا هَتَفْنَا بِاسْمِ سَيِّدِنَا أَبَا الهُدَى ضَاءَ نُورُ السَّبْعَةِ الشُّهُبِ	استِدعَاءُ شَخصِيَّةٍ تَارِيخِيَّةٍ دِينيَّةٍ، أُطْلِقَ عَلَيهَا لَقَبُ صَاحِبِ السَّمَاحَةِ وَالسِّيَادَةِ الأُستَاذُ الأكرمُ السَّيِّدُ مُحَمَّدٌ أَبِي الهُدَى الصَّيَّادِي الرِّفَاعِي (١٨٤٩-١٩٠٩)، المُقِيمُ فِي حَظوَةِ جَلَالةِ السُّلطَانِ الأَعظَمِ، وَهُوَ مِنْ أَعيَانِ مَدينَةِ حَلَبٍ السُّوريَّةِ، وَقَد اختَارَهُ الخَلِيفةُ عَبدُ الحَمِيدِ الثَّانِي لِيكُونَ شَيخَهُ وَمَرجِعِيَّتَهُ الدِّينِيَّةِ، وَلَهُ كُتُبٌ كَثِيرةٌ فِي تَفسِيرِ القُرآنِ الكَرِيمِ وَالحَدِيثِ الشَّرِيفِ، وَالمَوَاعِظِ.
يَا مَنْ رَحَلْتَ إِلَى الْجَحِيمِ مُسَوْكِرًا لَمْ يَبْقَ بَعْدَكَ لِلسَّفَاهَةِ بَاقِ	استِدعِاءُ شَخصِيَّةٍ سَلبِيَّةٍ فِي نَظَرِهِ، هَيَ شَخصِيَّةُ أَحمَد فَارِسُ الشِّدياقِ (١٨٠٤-١٨٨٧)، مُؤَرِّخٌ

نَــادَاكَ إِبْلِيـسُ اللَّعِيـنُ مُـؤَرِّخًا هَنِئْتُ بِأَحْمَدَ فَارِسِ الشِّدَيَاقِ	وَأَديبٌ لِبنَانِيٌّ كَانَ نَصرَانِيًّا مَارُونِيًّا وَأَسلَمَ، وَأَلَّفَ العَدِيدَ مِن الكُتُبِ فِي التَّارِيخِ وَالأَدَبِ وَالصَّحَافَةِ، إِذْ أَصدَرَ صَحِيفةَ الجَوائِبِ الَّتِي كَانَتْ تَصدُرُ فِي إِسطَنبُولَ، وَقَد تَنقَّلَ بَينَ لِبنَانَ وَإِسطَنبُولَ وَدُولِ أُورُوبَّا، ثُمَّ استَقَرَّ فِي آخرِ المَطَافِ فِي مِصرَ وَتَزوَّجَ فِيهَا، وَيُعتَبرُ صَاحِبَ الرِّوَايَةِ العَرَبِيَّةِ الأُوْلَى، وَرُوِيَ أَنَّهُ ارتَدَّ عَنِ الإِسلَامِ فِي آخَرِ عُمُرِهِ، واعتَنَقَ المَذهَبَ البُروتِستَانتِي، وَهَذا مَا جَعلَ النَّبهَانِي يُؤَكِّدُ عَلَى نِفَاقِهِ وَزَندَقَتِهِ، تُوفِيَ فِي إِسطَنبُولَ، وَكَانَ مِنَ المُقَرَّرِ دَفْنُهُ هُنَاكَ، إِلَّا أَنَّ وَالِدَهُ طَلَبَ الإِذنَ بِدَفنِهِ فِي مَقبَرَةِ العَائلةِ فِي جَبَلِ لِبنَانِ.

صَارَ فِي الشِّرْكِ فِي أَذَاهُ اشْتِراكٌ حِينَمَا لِلنِّفَاقِ مِنْهُ انْتِفَاءُ كَمْ أَبُو جَهْلٍ اسْتَطَالَ عَلَى الدِّينِ وَكَمْ ذَا أَزِرَتْ بِهِ الْجُهَلَاءُ وَلَكَمْ مِنْ ثِيَابِهِ ابْنُ سَلُولٍ شَاكَهُ مِنْ نِفَاقِهِ سَلَاءُ مَا اغْتِرَارِي بِمَنْ تَلَوَّنَ مِنْهُمْ وَالْأَفَاعِي شَرُّهَا الرَّقْطَاءُ	استِدعَاءُ شَخصِيَّةِ أَبِي جَهلٍ (عَمْرُو بنِ هِشَامٍ المُكَنَّى بَأَبِي الحَكَمِ) مِنْ قَبِيلَةِ قُرَيشٍ، بَلْ مِنْ كِبَارِهَا مِنْ بَنِي مَخزُومٍ، وَقَد أَظْهَرَ العَدَاءَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَكَانَ مِنْ أَشَدِّ المُشرِكِينَ إِيذَاءً لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَصَحبِهِ، وَصَاحِبِ فِكرَةِ قَتلِ الرَّسُولِ ﷺ، وَقَدْ قُتِلَ فِي مَعرَكَةِ بَدرٍ الكُبرَى فِي السَّنَةِ الثَّانِيةِ لِلهِجْرَةِ[1]. أَمَّا عَبدُ اللهِ بنُ أُبِي بنُ سَلُولٍ فَهُوَ كَبِيرُ مُنَافِقِي المَدِينةِ المُنَوَّرَةِ، وَكَانَ أَحَدَ زُعَمَاءِ الخَزرَجِ، وَعِندَمَا وَصَلَ الرَّسُولُ ﷺ إِلَى المَدِينةِ المُنَوَّرَةِ كَانَ قَومُهُ يُعِدّونَهُ لِيكُونَ زَعِيمًا عَلَيهِمْ، وَلَكِنَّ وُصُولَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَتَسلُّمَهُ لِحُكمِ المَدِينةِ المُنَوَّرَةِ بِالإِسْلَامِ، حَالَ دُونَ تَسَلُّمِهِ لِزَعَامَةِ قَومِهِ، فَاضْطُرَّ إِلَى اعتِنَاقِ الإِسلَامِ ظَاهِرِيًّا، مَعْ إِخفَائِهِ لِكُفرِهِ، وَقَد كَانَ يَعقِدُ مَؤمَراتٍ مَعْ يَهُودِ المَدِينةِ مِنْ جِهَةٍ، وَمَعْ زَعَامَاتِ قُرَيشٍ فِي مَكَّةَ مِن جِهَةٍ أُخرَى ضَدَّ الرَّسُولِ ﷺ وَالصَّحَابَةِ، حَتَّى لُقِّبَ بِرَأْسِ النِّفَاقِ فِي المَدِينةِ المُنَوَّرَةِ.

رَابِعًا: التَّنَاصُ التُّرَاثِي فِي شِعرِ يُوسُفِ النَّبَهَانِي

١. التَّنَاصُ التُّرَاثِي مَعِ الحِكَمِ وَالأَقوَالِ المَأثُورَةِ	
النَّصُّ الشِّعرِي عِندَ النَّبَهَانِي	**النَّصُّ المُعَبِّرُ عَنِ الحِكْمَةِ أَوِ القَولِ المَأْثُورِ**
مَنْ يُحِبُّ الْحَبِيبَ فَهْوَ حَبِيبُ وَعُدَاةُ الْحَبِيبِ هُمُ أَعْدَاءُ	تَوِدُّ عَدِوِّي ثُمَّ تَزْعَمُ أَنَّنِي صَدِيقُكَ إِنَّ الرَّأْيَ مِنْكَ لَعَازِبُ
وَمَا كُلُّ مَعْنًى مِنْهُمَا مُتَيَسِّرٌ لِكُلِّ امْرِئٍ لَكِنَّ مَعْ عُسْرِهِ يُسْرَا	إِذَا أَصْبَحْتَ فِي عُسْرٍ فَلَا تَحْزَنْ لَهُ وَافْرَحْ فَبَعْدَ الْعُسْرِ يُسْرٌ عَا جِلٌ وَاقْرَأْ (أَلَمْ نَشْرَحْ)

[1] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. السيرة النبوية . ج٢. ص٤٣٤-٤٣٧. تح: مصطفى عبد الواحد. دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت. لبنان. ط١. (١٣٩٦هـ-١٩٧٦م).

وَكُلُّ خِلَافٍ جَاءَ عَنْهُمُ فَإِنَّهُ لَنَا رَحْمَةٌ، مَعْ أَنَّهُ قَدْ أَتَى نَزْرَا	يَنُصُّ القَولُ المَأثُورُ عَلَى :(اخْتِلَافُ أُمَّتِي رَحْمَةٌ) ، ولكن بعض علماء السلف قد ضعفوه، وأولوه إلى :(اخْتِلَافُ الْعُلَمَاءِ وَالْفُقَهَاءِ رَحْمَةٌ لِلْأُمَّةِ).
إِذَا صَحَّ قَوْلُ الْمُصْطَفَى فَهُوَ مَذْهَبِي وَمَا قُلْتُهُ مِنْ قَبْلُ فَارْمُوا بِهِ الْجُدْرَا	القَائِلُ الأَوَّلُ لِلقَولِ المَأثُورِ هُوَ الإِمَامُ أَبُو حَنيفةٍ بِنصِّهِ التَّالِي، فَقَد قَالَ:(إِذَا صَحَّ هَذَا الْحَدِيثُ فَهُوَ مَذْهَبِي) ، أَمَّا قَولُ الشَّافِعِي فَنَصُّهُ عَلَى النَّحوِ التَّالِي :(إِذَا صَحَّ الْحَدِيثُ بِخِلَافِ قَوْلِي، فَخُذُوا بِالْحَدِيثِ وَاضْرُبُوا بِقَوْلِي عُرْضَ الْحَائِطِ).
وَلَكِنَّهُ عَشْوَاءُ تَخْبِطُ خَبْطَهَا بِلَيْلٍ مِنَ الْأَهْوَاءِ قَدْ فَقَدَ الْبَدْرَا	رَأَيْتُ الْمَنَايَا خَبْطَ عَشْوَاءَ مَنْ تُصِبْ تُمِتْهُ وَمَنْ تُخْطِئْ يُعَمَّرْ فَيَهْرَمِ
وَقَالُوا اغْتِرَابُ الْمَرْءِ هَوْنٌ وَذِلَّةٌ نَعَمْ وَالْقُصَارَى أَنْ يَعِزَّ وَيَكْرَمَا فَلَوْلَا فِرَاقُ الْخُلْدِ حَوَا وَآدَمٌ لَمَا جَاءَتِ الرُّسْلُ الْأَكَارِمُ مِنْهُمَا وَأَحْمَدُ خَيْرُ الْخَلْقِ لَوْلَا فِرَاقُهُ لِمَكَّةَ لَمْ يَظْفَرْ بِمَا كَانَ صَمَّمَا وَمُوسَى كَلِيمُ اللهِ لَوْلَا رَحِيلُهُ لِمَدْيَنَ لَمْ يَرْجِعْ رَسُولًا مُكَرَّمَا وَفِي غُرْبَةِ الصِّدِّيقِ يُوسُفَ عِبْرَةٌ أَمَا صَارَ فِي مَصْرِ الْعَزِيزِ الْمُكَرَّمَا وَمَا ضَرَّنِي لَوْمٌ إِذَا كُنْتُ سَالِكًا طَرِيقًا أَتَاهُ الرُّسْلُ فِيمَا تَقَدَّمَا	مَا فِي الْمَقَامِ لِذِي عَقْلٍ وَذِي أَدَبِ مِنْ رَاحَةٍ فَدَعِ الْأَوْطَانَ وَاغْتَرِبِ سَافِرْ تَجِدْ عِوَضًا عَمَّنْ تُفَارِقُهُ وَانْصَبْ فَإِنَّ لَذِيذَ الْعَيْشِ فِي النَّصَبِ إِنِّي رَأَيْتُ وُقُوفَ الْمَاءِ يُفْسِدُهُ إِنْ سَاحَ طَابَ وَإِنْ لَمْ يَجْرِ لَمْ يَطِبِ وَالشَّمْسُ لَوْ وَقَفَتْ فِي الْفُلْكِ دَائِمَةً لَمَلَّهَا النَّاسُ مِنْ عَجَمٍ وَمِنْ عَرَبِ وَالتِّبْرُ كَالتُّرَابِ مُلْقًى فِي أَمَاكِنِهِ وَالْعُودُ فِي أَرْضِهِ نَوْعٌ مِنَ الْحَطَبِ فَإِنْ تَغَرَّبَ هَذَا عَزَّ مَطْلَبُهُ وَإِنْ تَغَرَّبَ ذَاكَ عَزَّ كَالذَّهَبِ
مَهْمَا أَسَاءَتْ فَلَنْ تَرْضَى إِسَاءَتَهَا حَسْبُ الْمُسِيءُ مِنَ الْإِحْسَانِ تَقْلِيلُ	أَحْسِنْ إِلى النَّاسِ تَسْتَعْبِدْ قُلُوبَهُمُ فَطَالَمَا اسْتَعْبَدَ الْإِنْسَانُ إِحْسَانُ
٢. التَّنَاصُ التَّرَاثِي مَعِ الأَمثَالِ الشَّعبِيَّةِ.	
النَّصُّ الشِّعرِي عِندَ النَّبهَانِي	**النَّصُّ المُقَابِلُ مِن المَثَلِ الشَّعبِي**
وَكُلُّ كَمَالٍ فِي الْوُجُودِ كَمَالُهُ أَفَاضَ عَلَى الدَّارَيْنِ مِنْ بَحْرِهِ قِطْرَا	المَثلُ الشَّعبِي أَوِ القَولُ الوَارِدُ عَلَى أَلسِنَةِ النَّاسِ:(الْكَمَالُ للهِ وَحْدُهُ).

يَقُولُونَ إنِّا كَالْأَئِمَةِ كُلُّنَا رِجَالٌ وَمَا زَادُوا عَلَى أَحَدٍ ظَفْرَا وَقَدْ أَخْطَأُوا أَيْنَ الثُّرايَا مِنَ الثَّرَى وَهَلْ لِبُغَاثِ الطَّيْرِ أَنْ تُشْبِهَ النَّسْرَا	المَثلُ الشَّعبِيُّ القَائِلُ (شَتَّانَ مَا بَيْنَ الثَّرَى مِنَ الثُّرَيَّا). المَثلُ الثَّانِي الفَصِيحُ فَقَد تَنَاصَّ النَبهَانِي مَعهُ فِي عَجُزِ البَيتِ (وَهَلْ لِبُغَاثِ الطَّيْرِ أَنْ تُشْبِهَ النَّسرَا).
أَتَى لِبِلَادِ الشَّامِ أَيَّامَ نَفْيِهِ فَأَنْبَتَ فِيْهَا مِنْ ضَلَالَتِهِ بِذْرَا بِهَا بَاضَ بَيْضًا كَانَ إِبْلِيسُ حَاضِنًا لَهُ فَسَعَتْ أَفْرَاخُهُ تَتْبَعُ الْأَثْرَا	البَيتُ الثَّانِي يَدُلُّ عَلَى مَثَلٍ شَعبِيٍّ مَعرُوفٍ يُقَالُ (مَثَلُهُ مَثَلُ إِبْلِيسَ) أو (إِبْلِيْسُ يَتَعَلَّمُ مِنْهُ) أو (الْفَتِي فَتِي عَلَمِي وَالَحَبِي حَبِي إِبْلِيس).
ثَلَاثُ أَثَافٍ تَحْتَهَا نَارُ فِتْنَةٍ وَمِنْ فَوْقِهَا الْإِلْحَادُ صَارَ لَهَا قَدْرَا	المَثلُ الشَّعبِي القَائِلُ:(**رَمَاهُ اللهُ بِثَالِثَةِ الْأَثَافِي**).
مَدَارِسٌ فِي حُكْمِ الْكَنَائِسِ أَحْكَمَتْ أَبَالِسُهُمْ فِيهَا الدَّسَائِسَ وَالْمَكْرَا مُوَائِدُ عِلْمٍ تَحْتَوِي كُلَّ مُشْتَهًى بِهَا وَضَعُوا سَمَا بِهَا نَفَثُوا سِحْرًا	يَقُولُ المَثَلُ الأَوَّلُ:(يَضَعُ السُّمَّ فِي الدَّسْمِ). وَيَقُولُ المَثَلُ الثَّانِي:(أَقْبَحَ مِنَ السِّحْرِ). وَيَقُولُ المَثَلُ الثَّالِثُ:(أَقْتَلُ مِنَ السَّمِّ).
وَلَكُمْ فِي ثِيَابِهِ ابْنُ سَلُولٍ شَاكَهُ فِي نِفَاقِهِ سَلَاءُ مَا اغْتِرَارِي بِمَنْ تَلَوَّنَ مِنْهُمْ وَالْأَفَاعِي أَشَرُّهَا الرَّقْطَاءُ	المَثَلُ الشَّعبِيُ التُّرَاثِي (أَفْحشُ مِنْ فَالِيَةِ الْأَفَاعِي).
يَقُولُونَ حُبُّ الْمَرءِ جَالِبَ حَتْفِهِ أَنَاشِدُهُمْ أَنْ لَا يَرُدُّوا حَيَاتِيَا	المَثَلُ الشَّعبِي التُّرَاثِي القَائِلُ:(مَنْ حَبَّ طَبَّ).

خَامِسًا: التَّنَاصُ الإِيقَاعِي فِي شِعرِ يُوسُفِ النَّبَهَانِي

١. التَّنَاصُ الإِيقَاعِي مَعَ القُرآنِ الكَرِيمِ.	
النَّصُّ الشِّعرِي عِندَ النَّبهَانِي	**النَّصُّ القُرآنِي المُقَابِلُ لَهُ إِيقَاعِيًّا**
بِرَبِّكَ ذَكِّرْهُمْ عَسَى تَنْفَعُ الذِّكْرَى فَكَمْ نِعَمٍ أَجْدَى، وَكَمْ مِنَنٍ أَجْرَى	في قوله تعالى:"فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى".
وَكَانَ لَهُ فَتْحُ الْفُتُوحِ لِأَنَّهُ بِهِ نَصَبَ الْإِسْلَامُ رَايَتَهُ الْكُبْرَى	في قوله تعالى:"فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى".
هُوَ الوَثَنُ الْأَعْلَى الَّذِي عَمَّ شَرُّهُ فَمَا اللَّاتُ وَالْعُزَّى وَثَالِثَةٌ أُخْرَى	في قوله تعالى:" أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى".

وَمَنْ لَمْ يَكُنْ يَجْرِي اعْتِرَافًا كَهَذِهِ فَذَلِكَ أَشْقَى الْقَومِ أَعْظَمَهُمْ وِزْرَا	في قوله تعالى:"مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا".
نَعَمْ هُوَ ضِدُ الْعَقْلِ مَا هُوَ فَوْقُهُ وَأَحْكَامُهُ فِي اللهِ أَعْظَمُهَا نُكْرَا	في قوله تعالى:"قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا".
وَلَوْ فَارَقْتَنِي لَحْظَةً ذُبْتُ حَسْرَةً وَلَكُمْ أَلْفٍ فِي وُسْعِي عَلَى بَعْدَهَا صَبْرَا	في قوله تعالى:"قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا".
وَمَا كُلُّ مَعْنًى مِنْهُمَا مُتَعَسِّرٍ لِكُلّ امْرِئٍ، لَكِنَّهُ مَعْ عُسْرِهِ يُسْرَا	في قوله تعالى:"فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا".
فَلَمْ يَلْفِ مِنْهُمْ غَيْرَ خَلٍّ مُوَافِقٍ سَمِيْعٍ لَهُ قَوْلًا مُطِيْعٌ لَهُ أَمْرَا	في قوله تعالى :"قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا".
أَنَا فِي الدَّرَايْنِ أَبْغِي رَشَدِي مِنْكَ فِي الدُّنْيَا وَفِي دَارِ الْقَرَارِ	في قوله تعالى:"يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ".
٢. التَّنَاصُ الإِيقَاعِي مَعِ الشِّعرِ القَدِيمِ.	
أولا: المعارضات	
النَّصُّ الشِّعرِي عِندَ النَّبهَانِي	**النَّصُّ الشِّعرِي المُقَابِلُ لَهُ إِيقَاعِيًّا عِندَ الشُّعَرَاءِ**
أَتَاكَ كَعْبٌ وَقَدْ جَلَّتْ جِنَايَتَهُ وَكَادَ يَغْتَالُهُ مِنْ ذَنْبِهِ غُوْلُ إِنْ كَانَ مَتْبُولُ قَلْبٍ يَوْمَ أَنْشَدَكُمْ بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولُ	قال الشاعر كعب بن زهير: بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولُ مَتَيَّمٌ إِثرُهَا لَمْ يُجْزِ مَكْبُولُ فَمَا تَدُومُ عَلَى حَالٍ تَكُونُ بِهَا كَمَا تَلَوَّنُ فِي أَثْوَابِهَا الْغُولُ
أَتُرَاهُمْ لَوْ اسْتَطَاعُوا نَظِيْرًا رَاقَهُ عَنْهُمْ أَنْ تُرَاقَ دِمَاءُ فِيْهِ إِعْجَازُهُمْ وَفِيْهِ هُدَاهُمْ فَهُوَ سَقْمٌ لَهُمْ وَفِيْهِ شِفَاءُ	قال حسّان بن ثابت _ رضي الله عنه _: فَنَحْكُمُ بِالْقَوَافِي مَنْ هَجَانَا وَنَضْرِبُ حِيْنَ تَخْتَلِطُ الدِّمَاءُ فَـإِمَّـا تَثْقَفَنَّ بَنُـو لُؤَيٍّ جُذَيْمَـةَ إِنَّ قَتْلُهُـمُ شِـفَاءُ
نُـورُكَ الْكُلُّ وَالْـوَرَى أَجْزَاءُ يَـا نَبِيًّا مِنْ جُنْـدِهِ الْأَنْبِيَاءُ خَيْرُ أَرْضٍ ثَوَيْتَ فَهْيَ سَمَاءٌ بِكَ طَالَتْ مَا طَاوَلَتْهَا سَمَاءُ	قال البوصيري: كَيْفَ تَرْقَى رُقِيَّكَ الْأَنْبِيَاءُ يَا سَمَاءٌ مَا طَاوَلَتْهَا سَمَاءُ

أَحَبُّ لِي مِنْ كُلِّ مَنْ فَوْقَ الثَّرَى عَرَبُ النَّقَا رُوْحِي فِدَا عَرَبِ النَّقَا	قال الشهاب الخفاجي: يَتْرُكُنِـي تَرْكَ الظَّلِيْـمِ ظِلُّهُ وَهَذِهِ شِـيْمَـةُ آرَامِ النَّقَا
لِطَيْبَـةَ مِيْثَاقٌ عَلَيَّ قَدِيمٌ إِذَا ذُكِـرَتْ يَـوْمَـا لَـدَيَّ أَهِيْمُ وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ فِيْهَا مُحَمَّدًا رَسُولَ الْهُدَى رُوْحَ الوُجُودِ مُقِيْمُ	قال عبد الغني النابلسي: لِمَـنْ طَلَلٌ بِالـرَّقْمَتِيْنَ قَدِيمٌ يُخَفِّـقُ فِيْهَا شَـــمَأَلٌ فَنَسِـيْمُ بِشَاةٍ وَصَاعٍ مِنْ شَعِيْرٍ كَفَى لَدَى الْجَمَاعَةِ أَلْفًا وَالْعَجِينُ مُقِيْمُ
آهِ، مَنْ لِيَ بِالحِمَى كَيْ أَلْثِمَا تُرْبَهُ لَوْ نَهْزَةَ الْمُخْتَلِسِ	قال لسان الدين بن الخطيب: جَادَكَ الْغَيْثُ إِذَا الْغَيْثُ هَمَا يَا زَمَـانَ الْوَصْلِ فِي الْأَنْدَلُسِ لَمْ يَكُـنْ وَصْـلُكَ إِلَّا حُلُمَا فِي الكَرَى أَوْ خِلْسَةَ الْمُخْتَلِسِ
ثَانِيًا: النَّقَائِض	
النَّصُّ الشِّعرِي عِندَ النَّبَهَانِي	**النَّصُّ الشِّعرِي المُقَابِلُ لَهُ إِيقَاعِيًّا عِندَ الشُّعَرَاءِ**
ضِعَافُ النُّهَى أَعْرَابُ نَجْدٍ جُدُوْدُهُمْ وَقَدْ أُوْرِثُوا عَنْهُمُ الزُّوْرَ وَالْوِزْرَا	قال علي بن سلمان: وَطِئْتُ بِنَعْلِي فَوْقَ رَائِيَّةٍ صُغْرَى فَأَصْغَرْتُهَا مُذْ ضَمَّتِ الزُّوْرَ وَالْوِزْرَا
وَقَدْ جَاءَ فِي الْأَخْبَارِ وَصْفُ مُرُوْقِهِمْ مِنَ الدِّينِ مِثْلَ السَّهْمِ لِلْجِهَةِ الْأُخْرَى	قال عبد العزيز بن إبراهيم: أَتَقْصِدُ بِالْإِضْلَالِ أَجْرًا وَتَرْتَجِي بِسَبِّ دُعَاةِ الدِّينِ نَجَحَكَ فِي الْأُخْرَى؟!
إِلَى أَنْ رَمَى مَجْنُونُهُمْ بِرَجِيعِهِ عَلَى النَّاسِ مِنْ تَأْلِيفِهِ ذَلِكَ السِّفْرَا وَمَا وَصَلَتْ أَرْجَاسُهُ غَيْرَ قَوْمِهِ بِهِ وَبِهِمْ أَرْجَاسُـهُ حُصِـرَتْ حَصْرَا	قال ابن سمحان: وَمَـا كُـلُّ قَـوْلٍ بَالْقَبُـولِ مُقَـابِلٌ فَكَيـفَ وَقَدْ أَبْدَى ضَـلَالَتَهُ جَهْرَا فَإِنْ كُنْتُ فِي شَكٍّ مِنَ النَّسَبِ الَّذِي نَقُولُ وَفِيهِ الشَّكُّ نَحْصُرُهُ حَصَرَا
الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا أَسْتَعِدُّ بِهِ لِنُصْرَةِ الْحَقِّ كَيْ أُحْظَى بِمَطْلَبِهِ	قال أبو المظفّر الحنبلي: مُلَخَّصُهُ أَشْيَاءَ أَذْكُرُهَا أَمَّا حَدِيثٌ ضَعِيفٌ عِنْدَ مَطْلَبِهِ

المُلحَق رَقْم (٢)

صُورَةٌ شَخْصِيَّةٌ لِلشَّاعِرِ الشَّيخِ يُوسُفِ بنِ إسماعيلِ النَّبهَانِي

المُلحَق رَقْم (٣)

الصَّفحَةُ الأُولى مِنْ دِيوانِ الشَّيخِ يُوسُفِ النَّبهَانِي المَوسُومِ بـِ

العُقودِ اللُّؤلُئِيَّةِ فِي المَدَائِحِ النَّبَويَّةِ

هـذا ديوان المدائح النبويـة المسمى

العقود اللؤلئية * في المدائح المحمدية

نظم الفقير الى الله تعالى يوسف بن

اسماعيل النبهاني غفر الله

له ولوالديـه ولمن

دعالهم بالمغفرة

تنبيه اعلم ايها الواقف عَلَى هذا الديوان · المشتمل عَلَى كل الحسن وجميع الاحسان · في مدح سيدنا محمد حبيب الرحمن · صلى الله عليه وسلم انه مع كونه في الدرجة العالية من حسن الصناعة الشعرية · والمعاني الادبية · والاوصاف الجميلة التي لا يستحقها احد من الخلق سوى الحضرة المحمدية · قد اشتمل عَلَى كل المعاني الشريفة التي يجب عَلَى كل مسلم ان يعلمها من اوصاف هذا النبي الكريم وصاف دينه المبين · واخباره وديارهِ وآثاره ومولده ومعجزاته وشمائله وسيرته وآياته وشفاعته وسائر فضائله في الدنيا والآخرة ومدح آله الكرام وازواجه واصحابه الغر الميامين وذم اعدائه من الكفرة واهل البدعة وما كان من بدايته ونهايته صلى الله عليه وسلم وجميع ذلك حقائق وردت في القرآن وفي الاحاديث النبوية والآثار المروية فلا يجوز لمسلم ان يخلي نفسه من معرفتها وليست معاني هذه المدائح النبوية · من الخيالات الشعرية · التي لا حقيقة لها في الخارج وحسنها يرجع الى المبالغات الفكرية · فانا مهما بالغنا في مدحه صلى الله عليه وسلم لا نبلغ حقيقته المحمدية التي يعجز عن معرفتها جميع الخلق عَلَى الاطلاق · ولا يعرفها عَلَى التحقيق الا الخالق · فاعلم ذلك ولا تظن اني بالغت في شيء من اوصافه الشريفة صلى الله عليه وسلم فلا تنسني ووالدي من دعوة صالحة · وتفضل علينا بقراءة الفاتحة · فانك يا أخي تكدح في مدح باطل بالخيالات الكاذبة جدك واباك · فكيف لا تكافيء من يمدح بهذه الحقائق الله ملائكته وحبيبك ومولاك · واني عَلَى يقين من ان هذا الديوان سيكون له عند غير الله عليه وسلم من الكفرة والمبتدعة القبول التام والحمد لله ولي الاحسان

طبع بمطبعة صبرا في بيروت سنة ١٣٢٩ هـ

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم بقراءة حفصٍ عن عاصم.**

أولا: الكتب العربية

١. أبو شهبة. محمد بن محمد. الوسيط في علوم ومصطلح الحديث. علم المعرفة. بيروت. ط١. ٢٠٠٨م.

٢. أحمد بن حنبل. مسند الإمام أحمد بن حنبل. ج١(العقيدة والعلم). تح: صالح أحمد الشامي. دار القلم. دمشق. ط١. (١٤٣٤هـ-٢٠١٣م).

٣. الإمام مسلم النيسابوري. صحيح مسلم. مج٢. تح: نظر بن محمد الفاريابي أبو قتيبة. منشورات دار طيبة. المدينة المنورة. المملكة السعودية. ط١. ٢٠٠٦م.

٤. الإمام مسلم بن الحجاج، أبو الحسين. صحيح مسلم. مج١. دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط٢. (١٤١٢هـ-١٩٩١م).

٥. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري. تح: مصطفى ذيب البُغا. ج(١+٢+٣+٤). دار ابن كثير ودار اليمامة. دمشق. بيروت. ط٥. (١٤١٤هـ-١٩٩٣م).

٦. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري. مج٢. منشورات دار ابن كثير. دمشق. سوريا. ط١. ٢٠٠٢م.

٧. ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين الموصلي المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ج٢. تح: محمد محي الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية. صيدا. لبنان. ط١. ١٩٩٠م.

٨. ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي (أبو البركات). بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج١. ق١. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ط٥. ٢٠١٣م.

٩. ابن حبان، البستي. صحيح ابن حبان. تح: أحمد شاكر. دار المعارف. القاهرة. مصر. ط١: ١٩٥٢م.

١٠. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. فتح الباري بشرح صحيح البخاري. تح: عبد القادر سيبة الحمد. مكتبة الملك فهد الوطنية. الرياض. السعودية. ط٣. (١٤٣٢هـ- ٢٠١١م).

١١. ابن خلدون. عبد الرحمن بن محمد الحضرمي. مقدمة ابن خلدون، مج٢. تح: عبد الله الدرويش. دار البلخي دمشق. ط١. ٢٠٠٤م.

١٢. ابن عبد البر، أبو أبو عمر يوسف. الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء. تح: عبد الفتاح أبو عدة. مكتب المطبوعات الإسلامية. حلب. ط١. (١٤١٧هـ-١٩٩٧م).

١٣. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير). ج٤. ص٢٧٧. تح: سامي بن محمد السلامة. طبعة دار طيبة للنشر والتوزيع. الرياض. المملكة العربية السعودية. ط١. ١٩٩٧م وط٢. ١٩٩٩م.

١٤. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. البداية والنهاية. ج١+٢. مكتبة المعارف. بيروت. ط١. (١٤١٠هـ- ١٩٩٠م).
١٥. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. السيرة النبوية. مج١+٢. تح: مصطفى عبد الواحد. دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت. لبنان. ط١. (١٣٩٦هـ-١٩٧٦م).
١٦. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. قصص الأنبياء. تح: مصطفى عبد الواحد. مكتبة الطالب الجامعي. مكة المكرمة. العزيزية. ط٣. (١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م).
١٧. ابن ماجة، الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القوريني. سنن ابن ماجة. مج٣. تأ: محمد ناصر الدين الألباني. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. الرياض. ط١. (١٤١٧هـ-١٩٩٧م).
١٨. ابن منظور، لسان العرب، المجلدات (٤،٥،٦،٧). ط: دار صادر، بيروت _ لبنان. (د. ت).
١٩. ابن هشام، عبد الملك، سيرة ابن هشام (السيرة النبوية). (مجلدان). تح: مصطفى السقا وآخرون. شركة مطبعة مصطفى البابي الحلبي. القاهرة. مصر. ط٢. ١٩٥٥م.
٢٠. ابن هشام الأنصاري. السيرة النبوية. الأجزاء(١+٢+٣+٤). تح: عمر عبد السلام تدمري. دار الكتاب العربي. بيروت. ط٣. (١٤١٠هـ- ١٩٩٠م).

٢١. البيهقي في السنن الكبرى. (ج٢. ص٨١٦)، وفي شعب الإيمان. (ج١٥. ص٤٣٠)، وقد ضعّفه: الألباني، ناصر الدين. في السلسلة الضعيفة والموضوعة . رقم الحديث (٩٨٩). (د. ط). (د. ت).
٢٢. الجرجاني، عبد القادر. أسرار البلاغة. تح: محمود شاكر. الناشر: دار المدني. جدة. المملكة العربية السعودية.
٢٣. الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز في علم المعاني. دار اليقين للنشر والتوزيع. بيروت. ط١. ٢٠٠١م.
٢٤. الحريري، أبو محمد القاسم بن علي. مقامات الحريري. مطبعة المعارف. بيروت. لبنان. (د.ط) السنة: ١٩٧٣م.
٢٥. الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله. خزانة الأدب وغاية الأرب. ج٢. تح: عصام شقيو. دار ومكتبة الهلال. بيروت. لبنان. (د. ط). السنة: ٢٠٠٤م.
٢٦. الخراشي، سليمان بن صالح. المنتقى من أمثال العرب وقصصهم. منشورات دار القاسم. الرياض. (د.ط). (١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م).
٢٧. الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن. تح: محمد أبو الفضل إبرهيم. دار إحياء الكتب العربية. بيروت. لبنان. ط١. ١٩٥٧م.
٢٨. السبكي، أبو حامد بهاء الدين أحمد بن علي. جمال القراء وكمال الإقراء. ج٢. تح: عبد الحق عبد الدايم سيف القاضي. مؤسسة الكتب الثقافية. بيروت. لبنان. ط١. ٢٠٠٣م.
٢٩. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. الإتقان في علوم القرآن. تح: أبو الفضل إبراهيم. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. مصر. (د. ط). ١٩٧٤م.
٣٠. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. الحاوي للفتاوي. ج١. تح: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط١. ٢٠٠٠م.

٣١. السيوطي، جلال الدين. عقود الجمان في علم البلاغة والبيان. ج١. تح: إبراهيم الحمداني وأمين الحبار. دار الفكر. بيروت. لبنان. ط٢. ١٩٥٥م.
٣٢. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل. جمهرة الأمثال. ج٢. تح: أحمد عبد السلام وأبو هاجر محمد سعيد زغلول. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط١. (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م).
٣٣. العسكري، أبو هلال. الصناعتين في الكتابة والشعر. منشورات العصرية. بيروت. لبنان. (د.ط)(د.ت).
٣٤. القاري، نور الدين بن سلطان بن محمد. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح. كتاب الإيمان. ج١. تح: الشيخ جمال عيتاني. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط١. ٢٠٠١م.
٣٥. القاضي عياض. مشارق الأنوار على صحاح الآثار. ج٢. المكتبة العتيقة ودار الآثار. (د.ط). (د.ت).
٣٦. القرطاجني، حازم.. المقصورة. تح: محمد الحبيب بن الخوجة. مطبعة الدار التونسية. تونس. ١٩٧٢م.
٣٧. القزويني، جلال الديم أبو عبد الله محمد. الإيضاح في علوم البلاغة. دار إحياء العلوم. بيروت. لبنان. ط٤. ١٩٩٨م.
٣٨. القيرواني، ابن رشيق. العمدة في صناعة الشعر ونقده. ج٢. تح: النبوي عبد الواحد شعلان. الشركة الدولية للطباعة. ط١. ٢٠٠٠م.
٣٩. القِيرواني، ابنُ رَشيق. العمدة في محاسن الشعر وآدابه. ج٢. تح: محمد محي الدين عبد الحميد. دار الجيل. بيروت. ط٥. ١٩٨١م.
٤٠. الكتاب المقدس. العهد الجديد. سفر الرؤيا. الإصحاح الثالث عشر. رؤيا يوحنا اللاهوتي.
٤١. الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر التثنية، إصحاح الملوك الأول، رقم١، داود يُعطي الملك لسليمان.
٤٢. الكتاب المقدس. إنجيل متى. الإصحاح رقم٥. العهد القديم. جمعية الكتاب المقدس. لبنان. الإصدار الثاني. ط٤. ١٩٩٥م. العهد الجديد. منشورات دار الكتاب المقدس. الشرق الأوسط. الإصدار الرابع. ط٣٠.
٤٣. المسعودي، علي بن الحسين. مروج الذهب ومعادن الجوهر. ج١. تح: محمد محي الدين عبد الحميد. دار صادر. بيروت. ط٥. ١٩٧٣م.
٤٤. المقري التلمساني، أحمد بن محمد. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. مج٧. تح: إحسان عباس. دار صادر. بيروت. (د. ط). (١٣٨٨هـ-١٩٦٨م).
٤٥. المناوي، محمد عبد الرؤوق. فيض القدير في شرح الجامع الصغير. ج٢. رقم الرواية (٢١٨١). ضبطه وصححه: أحمد عبد السلام. بيروت. لبنان. طبعة دار الكتب العلمية. ٢٠٠١م.
٤٦. الميداني، أحمد بن محمد النيسابوري. مجمع الأمثال. ج١. رقم المثل (٢٠٤٢). تح: محمد محي الدين عبد الحميد. مطبعة السنة المحمدية. القاهرة. مصر. ط١. ١٩٥٥م.

ثانيا: الكتب الأجنبية

٤٧. الأسدي، عبد الستار. السرقة الأدبية والتأثر(بارت، كريستيفا، باختين). مجلة كتابات المعاصرة. ع٤٤. ١٩٩٩م.
٤٨. الأسدي، ناصر الدين. مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية. دار المعارف بمصر. ط٧. ١٩٨٨م.

٤٩.الإسكندري، كيرلس الكبير. شرح إنجيل القديس يوحنا. مج ١، الإصحاح (١-١٠). تر: نصحي عبد الشهيد. مكتبة الكتب المسيحية. الإسكندرية.

٥٠.إسماعيل، عز الدين، الشعر العربي المعاصر (قضاياه وظواهره الفنية والاجتماعية). دار الكتاب العربي، القاهرة. مصر. ط: ١٩٦٧م.

٥١.الألباني، ناصر الدين. ظلال الجنة في تخريج السنة ومعه كتاب السنة للحافظ أبي عمرو الضحاك الشيباني. المكتب الإسلامي. بيروت. دمشق. ط١. (١٤٠٠هـ-١٩٨٠م).

٥٢.الألوسي، محمود شكري. غاية الأماني في الرد على النبهاني. مج٢. مطابع الرياض. المملكة العربية السعودية. ط١. (د. ت).

٥٣.البادي، حصة. التناص في الشعر العربي الحديث (البرغوثي أنموذجا). دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع. عمان. المملكة العربية السعودية. ط١. ٢٠٠٩م.

٥٤.البعلبكي، روحي. معجم الحكمة والأقوال المأثورة. منشورات دار العلم الملايين. بيروت. لبنان. ط٣. ٢٠٠٢م.

٥٥.باسيم، بولس (النائب البابوي) وآخرون. موسوعة المعرفة المسيحية (أسفار الشريعة أو التوراة). دار المشرق بيروت. لبنان. ط١. ١٩٩٠م.

٥٦.بدران، أيوب. التعليم والتحديث في المجتمع الفلسطيني. ج١. إصدار مركز الأبحاث الفلسطيني. لبنان. ١٩٧٩م.

٥٧.بدوي، أحمد أحمد. أسس النقد الأدبي عند العرب. دار نهضة مصر. القاهرة. مصر. ط١. ١٩٩٦م.

٥٨.بوخاتم، مولاي علي. مصطلحات النقد العربي السيماوي (الإشكالية والأصول والامتداد). منشورات اتحاد الكتاب العرب. ط٣. ٢٠٠٥م. دمشق. سوريا. ط١. ٢٠٠٣م.

٥٩.بينس، محمد. ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب. دار العودة. بيروت. لبنان. ط١. ١٩٧٩م.

٦٠.الجبوري، كامل سلمان. معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢. دار الكتب العلمية. بيروت. ط٢. ٢٠٠٣م.

٦١.جعافرة، ماجد. التناص والتلقي (دراسات في الشعر العباسي). منشورات دار الكندي. عمان. الأردن. ط١. ٢٠٠٣م.

٦٢.جمعة، حسين، المسيار في النقد الأدبي. منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق. سوريا. ط١. ١٩٨٦م.

٦٣.جودت، نصر عاطف. الرمز الشعري في الصوفية. دار الأندلس. بيروت. (د.ط). (د. ت).

٦٤.حسين، طه. في الأدب الجاهلي. مؤسسة هنداوي. طبعة سنة: ٢٠١٤م.

٦٥.حمادة، حسن محمد. تداخل النصوص في الرواية العربية. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. مصر. ط١. ١٩٩٧م.

٦٦.جهاد، كاظم. أدونيس منتحلا (دراسة في الاستحواذ الأدبي وارتجالية الترجمة، يسبقها: ما هو التناص؟). مكتبة مدبولي. القاهرة. مصر. ط٢. ١٩٩٣م.

٦٧. الخضري، حنا جرجس. المصلح مارتن لوثر (حياته وتعاليمه). دار الثقافة المسيحية. مطبعة دار الجيل. القاهرة. (د.ط). (د.ت).

٦٨. الخطيب، علي. اتجاهات الشعر الصوفي بين الحلاج وابن عربي. دار المعارف. القاهرة. (د.ط). ١٤٠٤هـ.

٦٩. الدباغ، مصطفى مراد. بلادنا فلسطين. ج٧. مطبعة دار الهدى. كفر قرع. فلسطين. ط٢. ١٩٩١م.

٧٠. داود، أنس. الأسطورة في الشعر المعاصر. مكتبة عين شمس. القاهرة. مصر. (د. ط). ١٩٧٥م.

٧١. زايد، علي عشري. استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر. دار الفكر العربي. ط١. ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٧٢. الزركلي، خير الدين. الأعلام. دار العلم للملايين. ط١٥. ٢٠٠٢م.

٧٣. الزعبي، أحمد إبراهيم. الأمثال الشعبية ومناسباتها. دار الكتاب الثقافي. عمان. الأردن. (د. ط).

٧٤. الزعبي، أحمد. التناص نظريا وتطبيقيا. مؤسسة عمون للطباعة والنشر. عمان. الأردن. ط٢. ٢٠٠٠م.

٧٥. الزواهرة، ظاهر محمد. التناص في الشعر العربي المعاصر. دار الحامد للنشر والتوزيع. عمان. الأردن. ط١. ٢٠١٣م.

٧٦. الزيات، أحمد حسن. تاريخ الأدب العربي. دار نهضة مصر للطباعة والنشر. القاهرة. (د. ط). (د.ت).

٧٧. السباعي، مصطفى. عظماؤنا في التاريخ. دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة. مصر. ط٣. (١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م).

٧٨. سريكس، يوسف. معجم المطبوعات. مطبعة سركيس. القاهرة . مصر. ط١. ١٩٢٨م.

٧٩. السعدني، مصطفى. المدخل اللغوي في نقد الشعر (قراءة بنيوية). مطبعة دار المعارف، القاهرة. مصر. ط١. ١٩٨٧م.

٨٠. السهلي، محمد توفيق. موسوعة الأمثال الشعبية الفلسطينية. دار الأقصى للدراسات والترجمة والنشر. (د.ط). (د.ت).

٨١. السوافيري، كامل. الأدب العربي المعاصر في فلسطين. دار المعارف. القاهرة. مصر. ط١. ١٩٩٨م.

٨٢. السيد، فؤاد صالح. الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر. (د.ط). ١٩٨٥م.

٨٣. الشايب، أحمد. تاريخ النقائض في الشعر العربي. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة. ط٢. ١٩٥٤م.

٨٤. الشدياق، أحمد فارس. كنز الرغائب في منتخبات الجوائب. ج٤. مطبعة الجوائب. بيروت. لبنان. ط١. ١٢٨٩هـ.

٨٥. شعيب، محمد عبد الرحمن. المتنبي بين ناقديه. دار المعارف. القاهرة. مصر. ط١. ١٩٦٤م.

٨٦. الشيباني، محمد بن عبد الهادي. والخضر. محمد سالم. القول السديد في سيرة الحسين الشهيد. مبرة الآل والأصحاب. مكتبة الكويت الوطنية. الكويت. ط١. ٢٠٠٥م.

٨٧.ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في الشعر العربي. ج١. مطبعة دار المعارف. القاهرة. مصر. ط١٢. ١٩٩٦م.
٨٨.عبد الحميد الثاني. كتاب السلطان عبد الحميد (مذكراتي السياسية: ١٨٩١-١٩٠٨). مؤسسة الرسالة. بيروت. ط٢. ١٩٧٩م.
٨٩.عبد الحميد الثاني. مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني. تر: أحمد حرب. منشورات دار القلم. دمشق. ط٣. ١٤٤٢- ١٩٩٠م.
٩٠.عبد الحليم، شوقي. الزير سالم (أبو ليلى المهلهل). مؤسسة هنداوي. ط١. ٢٠١٧م.
٩١.عبد الله، أحمد جاسر عبد الله. مجمع الأمثال للميداني (دراسة لغوية دلالية). مكتبة طريق العلم. ودار زهدي للنشر والتوزيع. عمان. الأردن. ط١. ٢٠١٦م.
٩٢.العزاوي، قيس جواد. الدولة العثمانية: قراءة جديدة لعوامل الانحطاط. الدار العربية للعلوم. بيروت. ط٢. ٢٠٠٣م.
٩٣.العنحوري، سليم بك. سحر هاروت. مكتبة الكتاب العربي. دمشق. ط١. ١٨٨٥م.
٩٤.الغذامي، عبد الله. الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية (قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر). النادي الأدبي الثقافي. جدة. المملكة العربية السعودية. ط١. ١٩٨٥م.
٩٥.الغماري، مصطفى. أسرار الغربة. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر. ط٢. ١٩٨٢م.
٩٦.الغماري، مصطفى. قصائد منتفضة (أسرار من كتاب النار). اتحاد الكتّاب الجزائريين. الجزائر. ط١. ٢٠٠١م.
٩٧.فضل، صلاح. في النقد الأدبي. مطبعة اتحاد كتّاب العرب. دمشق. سوريا. ط١. ٢٠٠٧م.
٩٨.فضل، صلاح. مناهج النقد المعاصر. مطبعة دار الآفاق العربية. القاهرة. مصر. ط١. ٢٠٠٢م.
٩٩.قديح، فوزي،. منتخب الأمثال الشعبية الفلسطينية. حقوق النشر محفوظة للمؤلف. (د.ط). ٢٠٠٣م.
١٠٠. قطب، سيد. في ظلال القرآن الكريم. ج٢٧. دار الشروق. القاهرة. ط١: ١٩٧٢م. ط٣٢. ٢٠٠٣م.
١٠١. كحالة، عمر رضا. معجم المؤلفين. ج٤. مؤسسة الرسالة. بيروت. ط١. (١٤١٤هـ- ١٩٩٣م).
١٠٢. مجاهد، أحمد. أشكال التناص. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. مصر. ط١. ١٩٩٨م.
١٠٣. محمد حماد، حسن. تداخل النصوص في الرواية العربية. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. ط١. ١٩٩٧م.
١٠٤. مرتاض، عبد الملك. نظرية النص الأدبي. دار هومة للطباعة والنشر. الجزائر. ط٢. ٢٠١٠م.
١٠٥. المغربي، حافظ. التناص وتحولات الخطاب الشعري المعاصر. دار المناهل. بيروت. لبنان. ط١. ٢٠١٠م.
١٠٦. مفتاح، محمد، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص). منشورات المركز الثقافي العربي. ط١. ١٩٨٦م.
١٠٧. المناصرة، علم التناص والتلاص (نحو منهج عنكبوتي تفاعلي). الهيئة العامة لقصور الثقافة. القاهرة. مصر. ط١. ٢٠١١م.

١٠٨. مناع، عادل. أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني (١٨٠٠م–١٩١٨م). مؤسسة الدراسات الفسطينية. بيروت. لبنان. ط١. ١٩٨٦م. ط٥. ١٩٩٥م.

١٠٩. منصور، إبراهيم محمد. الشعر والتصوف (الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر). دار الأمين. القاهرة. ط١. ١٩٩٥م.

١١٠. منير، عمرو عبد العزيز. ثورات مصر الشعبية. الهيئة العامة للكتاب. القاهرة. ط١. ٢٠١٥م.

١١١. النبهاني، يوسف، تفسير جزء عم للشيخ يوسف النبهاني. تح: محمد مصطفى أبو العلا الشهير بحامد.

١١٢. النبهاني، يوسف بن إسماعيل. قصيدة مخطوطة للشيخ النبهاني كتبها الشيخ عبد الهادي راوية شعر النبهاني. (د.ط). (د.ت).

١١٣. النبهاني، يوسف. هادي المريد إلى طريق الأسانيد. مطبوعات دار الكتب. بيروت. ط١. ٢٠٠٨م.

١١٤. نجم، محمد يوسف. فن القصة. دار الثقافة. بيروت. لبنان. (د.ط). (د.ت).

١١٥. نويهض، عادل. معجم المفسرين: من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر. ج٢. مؤسسة النويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر. بيروت. ط٣. ١٩٨٨م.

١١٦. واصل، عصام حفظ الله. التناص التراثي في الشعر العربي المعاصر (أحمد العوضي أنموذجا). دار غيداء للنشر والتوزيع. عمان. الأردن. ط١. ٢٠١١م.

١١٧. وهبة، مجدي والمهندس، كامل. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب. مكتبة لبنان (ناشرون). بيروت. لبنان. ط٢. ١٩٨٤م.

١١٨. ياغي، عبد الرحمن. حياة الأدب الفلسطيني الحديث. دار الآفاق الجديدة. لبنان. ط١. ١٩٨١م.

١١٩. يقطين، سعيد. انفتاح النص الروائي (النص والسياق). المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء. المغرب. بيروت. لبنان. ط٢. ٢٠٠١م.

ثالثا: الكتب الأجنبية المترجمة

١٢٠. أنجينو، مارك. في أصول الخطاب النقدي الجديد. تر: أحمد المديني. دار الشؤون الثقافية. بغداد. العراق. ط١. ١٩٨٧م.

١٢١. باختين، ميخائيل. المبدأ الحواري. تر: فخري صالح. المؤسسة العربية للدراسات. بيروت. ط٢. ١٩٩٦م.

١٢٢. بارت، لوران. لذة النص. تر: منذر عياشي. منشوارات دار لوسوي. باريس. فرنسا. ط١. ١٩٩٢م.

١٢٣. بارت، رولان. نظرية النص. تح: محمد الشملي وآخرون. حوليات الجامعة التونسية. ع٢٧. سنة ١٩٨٨م.

١٢٤. باسكال، بلير. (١٩٩٠م). خواطر باسكال. تر: ادوار البستاني. اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع. ط١. ١٩٧٢م.

١٢٥. تودوروف، تزفيطان. نظرية الأجناس الأدبية (دراسات في التناص والكتابة الأدبية). تح: عبد الرحمن بو علي. دار نينوى للطباعة والنشر والتوزيع. دمشق. سوريا. ط١. ٢٠١٦م.

١٢٦. توما، إميل. فلسطين في العهد العثماني. الدار العربية للنشر والتوزيع. عمان. (د. ط). ١٩٨٠م.

١٢٧. جينيت، جيرار. طروس...الأدب على الأدب. تح: محمد البقاعي ومحمود خير. مجلة الموقف الأدبي. مج٢٨. ع٣٣٣، السنة: ١٩٩٩م.

١٢٨. جيني، لورون. إستراتيجية الشكل (نظرية التناص في الثقافة العالمية). تر: نور الدين محقق. مؤسسة دال للنشر والتوزيع. سورية. دمشق. ط١. ٢٠١٥م.

١٢٩. دوبيازي، بيير مارك. النظرية الجامعة (نظرية التناصية). تر: عبد الرحيم الرحوتي. باريس. فرنسا. مجلة علامات. مج٦. ع٢١. السنة: ١٩٩٦م.

١٣٠. سومفيل، ميشيل. التناصية والنقد الجديد. تر: وائل بركات مجلة علامات. مج٦. ع٢١. السنة: ١٩٩٦م.

١٣١. شربل، داغر. التناص سبيلا إلى دراسة النص الشعري وغيره. القاهرة. مصر. مجلة فصول. مج٦. ع١. ١٩٩٧م.

١٣٢. شولز، روبرت. السيمياء والتأويل. تر: سعيد الغانمي. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت. لبنان. ط١. ١٩٩٤م.

١٣٣. غروس، ناتالي بييقي. مدخل إلى التناص. تر: عبد الحميد بورايو. دار نينوى. دمشق. سوريا. ط١. ١٩٩٦م.

١٣٤. كريستيفا، جوليا، علم النص. تح: فريد الراهي. دار طوبقال. الدار البيضاء. المغرب. ط١. ١٩٩١م.

١٣٥. كولر، جوناثان. مدخل إلى النظرية الأدبية. تر: مصطفى بيومي عبد السلام. المجلس الأعلى للثقافة. القاهرة. مصر. ط١. ٢٠٠٣م.

١٣٦. لارشفوكوا، فرانسوا دو. (١٩٨٠م). حكم وأفكار. الدار التونسية للنشر. المعهد القومي للآثار والفنون. تونس. ط١. ١٩٩٠م.

١٣٧. لوتريامون، أيزيدور توكاس. (١٩٦٦م). أناشيد مالدورور. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. ط١. ١٩٨٢م.

رابعا: دواوين الشعر

١٣٨. أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي. ديوان الحماسة برواية: أبو منصور موهوب الجواليقي. تح: أحمد حسن بسج. منشورات محمد علي بيضون. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط١: ١٩٩٨م.

١٣٩. أبو عبيدة، المثنى بن معمر التيمي. كتاب النقائض (نقائض جرير والفرزدق). ج١. حاشية: خليل عمران المنصور. منشورات محمد علي بيضون. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط١. ١٩٩٨م.

١٤٠. أبو الفتح البستي، علي بن محمد بن الحسين. قصيدة عنوان الحكم. تح: عبد الفتاح أبو غدة. مكتب المطبوعات الإسلامية. حلب. ط١. ١٤٠٤هـ. دار عالم الكتب. بيروت. ط٢. ١٤٠٤هـ. مطبعة لاهور. باكستان. ط٣. ١٤١٢هـ. مطبعة الرسالة. بيروت. ط٤+٥. ١٤٢٧هـ.

١٤١. أبو نواس، أبو علي الحسن بن هانئ. ديوان أبي نواس. تق: علي فاعور. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط١. ١٩٧١م.

١٤٢. أبو الهدى الصيادي الرفاعي. ديوان الفيض المحمدي والمدد الأحمدي. ص٦. تح: يوسف النبهاني. مطبعة الجوائب. القسطنطينية. ط١. ١٢٩٨هـ.

١٤٣. الأخطل، أبو مالك غياث بن غوث. ديوان الأخطل. شرح وتصنيف: مهدي محمد ناصر الدين. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط٢. ١٩٩٤م.

١٤٤. أدونيس، علي أحمد سعيد. الأعمال الشعرية الكاملة (المسرح والمرايا). مج٢ . دار العودة. بيروت. ط٢. ١٩٨٨م.

١٤٥. أرسلان، شكيب. ديوان الأمير شكيب أرسلان. تص: محمد رشيد رضا. منشئ المنار. القاهرة. مصر. ط١. ١٩٣٥م.

١٤٦. الأعشى، ميمون بن قيس. ديوان الأعشى الكبير. تح: محمد حسين. مكتبة الآداب. القاهرة. مصر. ط١. ١٩٧٤م.

١٤٧. ابن الرومي، أبو الحسن علي بن العباس. ديوان ابن الرومي. ج٢. شرح: أحمد حسن بسج. منشورات: محمد علي بيضون. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط٣. ٢٠٠٢م.

١٤٨. ابن عباد، المعتمد. ديوان المعتمد بن عبّاد. تح: أحمد بدوي وحامد عبد المجيد. المطبعة الأميرية. القاهرة. مصر. ط١. ١٩٥١م.

١٤٩. ابن عبدون، عبد المجيد اليابري الأندلسي. ديوان ابن عبدون. تح: سليم النتير. دار الكتاب العربي. دمشق. سوريا. ط١. ١٤٠٨هـ.

١٥٠. ابن عربي. ديوان ابن عربي. تح: أحمد حسن بسج. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط١. (١٤١٦هـ-١٩٩٦م).

١٥١. البحتري، أبو عبادة الوليد. ديوان البحتري. تح: حسن كامل الصيرفي. مطبعة دار المعارف. القاهرة. مصر. ط٣. ٢٠٠٩م.

١٥٢. البهاء زهير، بهاء الدين زهير. ديوان بهاء الدين زهير. دار صادر. دار بيروت. لبنان. (١٣٨٣هـ-١٩٦٤م).

١٥٣. البوصيري، محمد بن سعيد. البردة. شرح: إبراهيم الباجوري. ضبط: عبد الرحمن حسن محمود. مكتبة الآداب: ٤٢. ميدان الأوبرا. القاهرة. مصر. ط١. ١٩٩١م.

١٥٤. البوصيري، شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد. ديوان البوصيري. تح: أحمد حسن بسج. منشورات محمد علي بيضون. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. (د.ط). (١٤١٥هـ-١٩٩٥م).

١٥٥. جرير بن عطية الكلبي. ديوان جرير. دار بيروت للطباعة والنشر. بيروت. لبنان. ط١. ١٩٨٦م.

١٥٦. الحارث بن حلزة اليشكري. ديوان الحارث بن حلزة اليشكري. تح: مروان العطية. مطبعة دار الإمام النووي. دمشق. ومطبعة دار الهجرة. بيروت. ط١. (١٤١٥هـ-١٩٩٤م).

١٥٧. حسان بن ثابت الأنصاري. ديوان حسان بن ثابت. شرح وتقديم: عبدأ مهنا. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط٢. ١٩٩٤م.

١٥٨. الخفاجي، شهاب الدين. ديوان الشهاب الخفاجي. المكتبة التيمورية. القاهرة. (د. ط). (د. ت).

١٥٩. الرصافي، معروف. ديوان معروف الرصافي. مر: مصطفى الغلاييني. مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. القاهرة. جمهورية مصر العربية. ط١. ٢٠١٤م.

١٦٠. زهير بن أبي سلمى. ديوان زهير بن أبي سلمى. شرح وتقديم: علي حسن فاعور. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط١. ١٩٨٨م.

١٦١. الزير سالم، المهلهل بن ربيعة التغلبي. ديوان المهلهل بن ربيعة التغلبي. تح: طلال حرب. الدار العالمية. بيروت. لبنان. ط.١. ٢٠١٨م.

١٦٢. السموأل بن عادياء الأزدي. ديوان السمؤال بن عادياء الأزدي. تح: واضح الصمد. منشورات دار الجيل، بيروت. لبنان. ط١. ١٩٩٦م.

١٦٣. الشافعي، محمد بن إدريس. ديوان الإمام الشافعي (الجوهر النفيس في شعر الإمام محمد بن إدريس). إعداد وتقديم: محمد إبراهيم سليم. مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع. القاهرة. مصر. ط١. ١٩٨٨م.

١٦٤. الشريف الرضي، أبو الحسن السيد محمد القرشي. ديوان الشريف الرضي. ج٢. شرح: يوسف شكري فرحات. دار الجيل. بيروت. لبنان. ط١. ١٩٩٥م.

١٦٥. شعراء أمويون. تح: نوري حمودي القيسي. ساعدت جامعة بغداد في طبعه. ط١. ١٩٧٦م.

١٦٦. شوقي، أحمد. الشوقيات. طبعة مؤسسة هنداوي. ٢٠١٢م. القاهرة. مصر. ط١. ١٩٢٦م.

١٦٧. الصرصري، يحيى بن يوسف بن جمال الدين. ديوان الصرصري. تح: مخيمر صالح. منشورات جامعة اليرموك. عمادة البحث العلمي والدراسات العليا. ط١. (د.ت).

١٦٨. طرفة بن العبد. ديوان طرفة بن العبد. شرح: مهدي محمد ناصر الدين. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط٣. ٢٠٠٢م.

١٦٩. العباس بن الأحنف، أبو الفضل. ديوان أبي الفضل العباس بن الأحنف وآخره ديوان جمال الدين يحيى بن مطروح. مطبعة الجوائب. القسطنطينية. ط١. ١٢٩٨م.

١٧٠. عنترة ابن شداد. ديوان عنترة بن شداد. تح: محمد سعيد مولوي. (رسالة ماجستير). كلية الآداب. جامعة القاهرة. مطبعة المكتب الإسلامي. الطبعة الأخيرة. ٢٠٠٩م. القاهرة. مصر. ط١. ١٩٦٤م.

١٧١. الفرزدق، همام بن غالب الدارمي. ديوان الفرزدق شرح وتقديم. علي فاعور. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط١. ١٩٨٧م.

١٧٢. الفيتوري، محمد. ديوان محمد الفيتوري. مج٢. منشورات دار العودة. بيروت. ١٩٧٩م.

١٧٣. كعب بن زهير. ديوان كعب بن زهير. شرحه وقدم له: الأستاذ علي فاعور. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط٢. ١٩٩٧م.

١٧٤. لبيد بن ربيعة العامري. ديوان لبيد بن ربيعة العامري. مطبوعات دار صادر. بيروت. لبنان.

١٧٥. لوصيف، عثمان. أعراس الملح. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر. ط١. ١٩٨٨م.

١٧٦. المتنبي، أبو الطيب. ديوان المتنبي. دار بيروت للطباعة والنشر. بيروت. لبنان. ط١. ١٩٨٣م.

١٧٧. امرؤ القيس، ديوان امرئ القيس. القسم الأول: رواية الأصمعي عن الأعلم. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف. بيروت. لبنان. ط١. ١٩٨٤م.

١٧٨. المعري، أبو العلاء. سقط الزند. دار بيروت للطباعة والنشر بالاشتراك مع دار صادر للطباعة والنشر. بيروت. لبنان. ط١: ١٩٥٧م.

١٧٩. معلوف، شفيق. ديوان عبقر (شعر ١٩٣٦). دار الطباعة والنشر العربية. منشورات العصبة الأندلسية. سان باولو. البرازيل. ط٣. ١٩٤٩م.

١٨٠. النابغة الذبياني. ديوانه النابغة الذبياني. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف. القاهرة. مصر. ط٢. ٢٠٠٩م.

١٨١. النابلسي، عبد الغني بن إسماعيل. ديوان عبد الغني النابلسي. وقفية الأمير غازي للفكر الإسلامي. (د.ط). ١١٤٣هـ.

١٨٢. النبهاني، يوسف بن إسماعيل. الرائية الصغرى في ذم البدعة ومدح الشريعة الغرا. شركة ومطبعة محمد البابي الحلبي في مصر. ط١. (د.ت).

١٨٣. النبهاني، يوسف بن إسماعيل. طيبة الغراء في مدح سيد الأنبياء. ص٤.المطبعة الأدبية. بيروت.

١٨٤. النبهاني، يوسف بن إسماعيل. العقود اللؤلؤية في المدائح المحمدية (ديوان شعر). ومعه كتاب البشائر الإيمانية في المبشرات المنامية (كتاب رؤى وأحلام)، مطبعة صبرا. بيروت. ١٣٢٩هـ.

١٨٥. النبهاني، يوسف بن إسماعيل. القصيدة الرائية الكبرى في الكمالات الإلهية والسيرة النبوية ووصف الملة الإسلامية والملل الأخرى. شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر. (د.ط). ١٣١٤هـ.

١٨٦. النبهاني، يوسف بن إسماعيل. مجموع كتب (الرائية الكبرى، والرائية الصغرى، وسعادة الأنام، ومختصر إرشاد الحيارى). شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر. (د.ط). (د.ت).

١٨٧. النبهاني، يوسف بن إسماعيل. المجموعة النبهانية في المدائح النبوية. المجلدات:١+٢+٣+٤. دار الفكر. دمشق. (د.ط). (د.ت).

١٨٨. النبهاني، يوسف بن إسماعيل. الهمزية الألفية. المطبعة الأدبية. (د.ط). (د.ت).

خامسا: الدراسات والمقالات

١٨٩. ابن خليفة، عبد الفتاح وسرقمة، عاشور. التناص التاريخي والديني في شعر مفدي زكرياء ديوان (أمجادنا تتكلم وقصائد أخرى) أنموذجا. (أطروحة دكتوراه) في اللغة والأدب العربي، جامعة غرداية. الجزائر. ٢٠٢١م.

١٩٠. ابن قومار مليكة وبو عامر، بو علام.. فن الملاحم في الآداب الأجنبية والأدب العربي (تشكيلات وتشاكلات). (دراسة). كلية الآداب واللغات. جامعة غرداية. الجزائر. مجلة دراسات إنسانية واجتماعية. جامعة وهران٢. مج٩.ع٢(عدد خاص). السنة: ٢٠٢٠م. ص٤٥٧-٤٦٤.

١٩١. بوترعة، الطيب. التناص في الشعر الجزائري المعاصر (دراسة: رسالة ماستر). كلية الآداب. جامعة وهران. الجزائر. (٢٠١٠/٢٠١١م).

١٩٢. التومي، منجية. التناص الأسطوري في شعر أدونيس. المعهد العالي لعلوم التربية بقفصة. تونس. مجلة بدايات. مج٤. ع١. السنة: ٢٠٢٢م. ص٨٦-٩٦.

١٩٣. الجبر، خالد عبد الرؤوف. رمز العنقاء في شعر محمود درويش. جامعة البتراء، عمان. الأردن. مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداي، م٩. ع٢. السنة: ٢٠١٢. ص١١٣٧-١١٨٤.

١٩٤. حافظ، صبري. التناص وإشارات العمل الأدبي. جامعة القاهرة. مجلة عيون المقالات. ع٢. إبريل: ١٩٨٦م. ص٦١-٨١.

١٩٥. الحكم الحضرمي. شعر الحكم الحضرمي (جمع وتحقيق ودراسة). تح: محمد القرني. مجلة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية. جامعة الملك عبد العزيز. جدة. المملكة العربية السعودية. السنة السابعة. ع٢٠. السنة:١٤٤١هـ.

١٩٦. الخويطر، عبد العزيز بن محمد. الهجاء من الجاهلية حتى نهاية العصر الأموي (نظرة في طبيعة الفن وتراوحه بين القبلية والإسلام والسياسة). (دراسة). كلية اللغة العربية. قسم الآداب. جامعة عبد العزيز آل سعود. الرياض. السنة: ١٤٣١هـ.

١٩٧. الدباغ، حنان، التناص أنماطه وأنواعه في شعر المتنبي. (رسالة ماجستير). كلية الآداب. جامعة الإسراء. الأردن. ٢٠٢١م.

١٩٨. الدهلكي، رحاب لفتى حمود. التناص مع الشخصيات التراثية في شعر أمل دنقل. كلية التربية الأساسية. الجامعة المستنصرية. بغداد. العراق. مجلة الأستاذ. مج١. ع٢١١. السنة: ٢٠١٤م.

١٩٩. راوي، أسماء. التناص الأسطوري في الشعر الجزائري. جامعة أحمد بن بلة١ (وهران). مجلة المعيار. م١٠. ع٣. السنة: ٢٠١٩م. ص١٤- ٣٠.

٢٠٠. ربة، امحمد. الاقتباس من القرآن الكريم (عرض وتقديم). جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية. قسنطينة. الجزائر. مجلة الدراسات الإسلامية. مج١. ع١. السنة: ٢٠٢٢م.

٢٠١. سلطان، سامح فالح. التناص التاريخي في شعر محمد بن عثيمين (دراسة نقدية). جامعة الطائف. المملكة العربية السعودية. مجلة ابن خلدون. للدراسات والأبحاث. مج٣. ع٦. السنة: ٢٠٢٣. ص٢٠٠-٢١٤.

٢٠٢. شرفبياني، محمد. المدح في الشعر العربي القديم (نشأته، وتطوره، وشروطه، وبناء قصيدته). أطروحة دكتوراة. جامعة آزاد الإسلامية. طهران. ٢٠١٠م.

٢٠٣. طاهري نيا، علي باقر وتركاش وند. مريم رحمتي و طرقبه. روح الله مهديان. استدعاء الشخصيات التاريخية والأسطورية في مقصورة حازم القرطاجني. مجلة العلوم الإنسانية الدولية. مج١. ع١٩. السنة: ٢٠١٢م.

٢٠٤. عباس، محمد زبير. التناص مفهومه وخطر تطبيقه على القرآن الكريم. (دراسة). كلية اللغة العربية. الجامعة الإسلامية العالمية. إسلام أباد. باكستان. ٢٠١٤م.

٢٠٥. عزام، محمد. النص الغائب (تجليات التناص في الشعر العربي). (دراسة). منشورات اتحاد الكتّاب العرب. ط١. ٢٠٠١م.

٢٠٦. عطية، وهيبة. جماليات البنية السردية والدلالية في الشعر القصصي (مقاربة سيميائية، تأويلية لديوان الأعشى أنموذجا). أطروحة دكتوراه. جامعة العربي التبسي. تبسة. كلية الآداب واللغات. ٢٠١٩م.

٢٠٧. عمار، سامية. محاضرات الملاحم في الآدب القديمة . (دراسة) جامعة منتوري الأخوة. قسنطينة. كلية الآداب واللغات. الجزائر. (٢٠١٩-٢٠٢٠).

٢٠٨. عيسى، عبد الخالق، التناص مع القصة القرآنية في شعر أبي تمام. (مقال). كلية الآداب. جامعة النجاح الوطنية. مجلة جامعة الأزهر في غزة. سلسلة العلوم الإنسانية. مج١٤. ع٢. ٢٠١٢م. ص٤٣١- ٤٤٦.

٢٠٩. ماضي، عيسى محمد علي. يوسف النبهاني الشاعر الفلسطيني الرائد. ج١+٢. (أطروحة دكتوراه). كلية اللغة العربية. جامعة الأزهر الشريف. القاهرة. (١٣٩٧هـ-١٩٧٧م).

٢١٠. مراشدة، عبد الباسط، التناص في الشعر العربي الحديث (دراسة نظرية تطبيقية). (أطروحة دكتوراه). قسم اللغة العربية. كلية الآداب. الجامعة الأردنية. عمان. الأردن. ٢٠٠٠م.

٢١١. مصطفى، عبد الرؤوف زهدي والأسعد، عمر. المعارضات وأثرها في إغناء التراث العربي. مجلة دراسات العلوم الاجتماعية والإنسانية. (دراسة). مج٣٦ (ملحق). السنة: ٢٠٠٩م. ص٩٠٤-٩١١.

٢١٢. معلم، صفاء. ٢٠٢١. التناص الديني في رواية (جلالته الأب الأعظم) لحبيب مونسي. (دراسة). جامعة تبسة. الجزائر. مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية. مج٤. ع٤. ٢٠٢١م. ص٧١٠-٧٢٣.

٢١٣. الموسى، خليل. التناص ومرجعياته. مجلة المعرفة. دمشق. سوريا. مجلة المعرفة. ع٤٧٦. السنة (٤٢). أيار: ٢٠٠٣م. ص٩٤-١١٥.

٢١٤. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. المملكة المغربية. عنوان المقال: هل اختلاف أمتي رحمة (حديث)؟. مجلة دعوة الحق. ع١٥٣. السنة:١٩٥٧م. ص٤٠٠-٤٠٤.

٢١٥. ياحي، خيرة ودني، علي. التناص الأسطوري في شعر محمد الفيتوري (آلية الاستدعاء أنموذجا). جامعة الأغواط. الجزائر. مجلة اللغة العربية. مج٢٥. ع٣. السنة الثالثة. ٢٠٢٣م. ص٢٧٣-٢٩١.

سادسا: المخطوطات

٢١٦. سلمان بن سمحان. مخطوطة في الرد على النبهاني. رقم المخطوطة (٨٧٨٩). مكتبة المتحف العراقي. بغداد.

٢١٧. عبد العزيز بن إبراهيم. مخطوطة في الرد على النبهاني. رقم المخطوطة (٨٧٢١). مكتبة المتحف العراقي. بغداد.

٢١٨. علي بن سلمان اليوسف التميمي. مخطوطة الرد على النبهاني. رقم المخطوطة (٨٨٦٣). مكتبة المتحف العراقي. بغداد.

٢١٩. مخطوطة في سفارة الأردن في بيروت، السفير أكرم زعيتر. (غير مرقمة). سنة ١٩٧٤م.

٢٢٠. النبهاني، يوسف بن إسماعيل. مخطوطة مكتوبة بخط علي بن سلمان اليوسف التميمي موجودة في مكتبة المتحف العراقي في بغداد برقم (٨٨٣٦).

سابعا: مواقع الإنترنت

٢٢١. باسيد، شيماء صالح. (٢٠١١م). بلاد الواق واق (شعر). موقع عدن الغد. على الرابط: https://www.adengad.net/news/5045.

٢٢٢. سراج الدين، أسامة فؤاد. ٢٠١٨. قصيدة ألف ليلة وليلة. على الرابط: https://osamapoems.com.

٢٢٣. عرفة بن طنطاوي. ٢٠٢٣. القواعد الجلية في صفات رب البرية. بحث محكم، شبكة الألوكة. على الرابط التالي: https://www.alukah.net/sharia/0/163804/%D8%A7%D8%B9%D8.

٢٢٤. قاموس المعاني. قاموس إلكتروني. الأمثال. على الرابط التالي: https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar.

٢٢٥. موقع رابطة العلماء السوريين، على الرابط التالي: https://islamsyria.com/ar/%D9%82%D9%88%D9.

٢٢٦. موقع مسبار. (٢٠٢١). على الرابط: https://misbar.com/qna/2021/08/14.

٢٢٧. معجم الأسماء، الرابط:http://arabicnames.hawramani.com

الفهرس

١. **الإهداء** ..... ت
٢. **الشَّكر والتَّقدير** ..... ث
٣. **الملخَّص** .....ح
٤. **المقدَّمة** .....د
٥. **المدخل** ١٣
أوَّلا: مولد الشَّيخ يوسف النَّبهاني ونشأته ١٣
ثانيا: أسرته ١٥
ثالثا: وفاته ١٦
رابعا: ما قيل فيه مدحا ١٧
خامسا: ما قيل فيه نقدا وهجاء ١٨
سادسا: آثاره ١٩
سابعا: الحياة الفكريَّة الَّتي واكبها النَّبهاني ٢٣
ثامنا: الحياة السياسيَّة الَّتي واكبها النَّبهاني ٢٤
تاسعا: الحياة الثَّقافيَّة الَّتي واكبها النَّبهاني ٢٦
عاشرا: الحياة الأدبيَّة الَّتي واكبها النَّبهاني ٣١
٦. **الفصل الأوَّل: التَّناص: مفهومه وعلاقاته، خصائصه وأنواعه** ٣٦
المبحث الأوَّل: مفهوم التَّناص وأصوله ٣٧
أوَّلا: التَّناص لغة ٣٧
ثانيا: التَّناص اصطلاحا ٣٧
ثالثا: أصول التَّناص ٤٦
المبحث الثَّاني: التَّناص وعلاقاته ٥٣
أوَّلا: التَّناص والسَّرقات الشِّعريَّة ٥٣

ثانيا: التَّناص وحسن الأخذ ٥٥
ثالثا: التَّناص وتوارد الخواطر ٥٧
رابعا: التَّناص والتَّوليد ٥٨
خامسا: التَّناص والتَّضمين ٥٩
سادسا: التَّناص والاقتباس ٦١
سابعا: التَّناص والنَّقائض ٦٨
ثامنا: التَّناص والمعارضات ٧٠
المبحث الثَّالث: التَّناص في الأدب الغربي ٧٣
المبحث الرَّابع: التَّناص في الأدب العربي الحديث ١٠٠
المبحث الخامس: أنماط التَّناص وخصائصه ١٢٠
أوَّلا: أنماط التَّناص ١٢٠
ثانيا: خصائص التَّناص ١٢٢
٧. **الفصل الثَّاني: أنواع التَّناص** ١٢٨
المبحث الأوَّل: التَّناص الدِّيني ١٣١
أوَّلا: التَّناص الدِّيني مع القرآن الكريم ١٣١
ثانيا: التَّناص الدِّيني مع الحديث الشَّريف ١٣٤
ثالثا: التَّناص الدِّيني مع الأقوال المأثورة ١٣٥
رابعا: التَّناص الدِّيني مع الكتاب المقدَّس ١٣٧
المبحث الثَّانِي: التَّناص الأدبي ١٤١
المبحث الثَّالث: التَّناص التَّاريخي ١٤٩
المبحث الرَّابع: التَّناص التُّراثي (الأدب الشَّعبي) ١٥٧
المبحث الخامس: التَّناص الأسطوري ١٦٤
٨. **الفصل الثَّالث: مشاهد من التَّناص بأنواعهِ في شعر يوسف النَّبهَاني** ١٧٧
توطِئة ١٧٨

أغراض الشِّعر عندَ يوسف النَّبهاني

أوَّلا: المحامد الإلهيَّة ١٧٨
ثانيا: المدائح النَّبويَّة ١٧٩
ثالثا: الشِّعر الصُّوفي ١٨٠
رابعا: الشِّعر القَصَصي ١٨١
خامسا: المدح للصَّحابةِ وأولياء اللهِ الصَّالحين ١٨٣
سادسا: الهجاءُ لليهودِ والنَّصارَى ودعاةِ الإصلاح الدِّيني من المُسلمين ١٨٥
المبحث الأوَّل: التَّناص الدِّينِي في شعرِ يوسف النَّبهَاني ١٨٨
أوَّلا: التَّناص الدِّيني مع القرآن الكريم ١٨٩
ثانيا: التَّناص الدِّيني مع الحديث الشريف ١٩٦
ثالثا: التَّناص الدِّيني مع القَصص القرآني (التَّناص القَصصي) ٢٠٥
رابعا: التَّناص الدِّيني باستدعاءِ شخصيَّاتٍ دينيَّة ٢١٩
خامسا: التَّناص الدِّيني باستدعاءِ الأماكن المقدَّسة ٢٢٥
المبحث الثَّاني: التَّناص الأدبي في شعرِ النَّبهانِي ٢٢٩
أوَّلا: التَّناص الأدبي مع الشِّعر التَقليدي ٢٢٩
ثانيا: التَّناص الأدبي مع الشِّعر الصُّوفي (التَّناص الصُّوفي) ٢٣٣
ثالثا: التَّناص الأدبي باستدعاءِ شخصيَّاتٍ أدبيَّة ٢٣٨
رابعا: التَّناص الأدبي مع القَصَصِ الأدبيَّة (التَّناصُ القَصَصي) ٢٤٢
المبحث الثَّالث: التَّناص التَّاريخِي في شعرِ يوسف النَّبهاني ٢٥٠
أوَّلا: التَّناص التَّاريخي مع الأحداثِ التَّاريخيَّةِ والمواقف ٢٥٠
ثانيا: التَّناص التَّاريخِي مع القَصَص التَّاريخيَّة (التَّناص القَصَصي) ٢٦١
ثالثا: التَّناص التَّاريخي باستدعاءِ الشَّخصيَّاتِ التَّاريخيَّة ٢٧٦
المبحث الرَّابع: التَّناص التُّراثِي في شعرِ يوسف النَّبهاني ٢٨٣
أوَّلا: التَّناص التُّراثي مع الحِكَم والأقوالِ المَأثورة ٢٨٣

ثانيا: التَّناص التُّراثي معِ الأمثالِ الشَّعبيَّةِ ٢٩١
المبحث الخامس: التَّناص الإيقاعي في شعر يوسف النَّبهاني ٢٩٩
أوَّلا: التَّناص الإيقاعي مع القرآنِ الكريم ٢٩٩
ثانيا: التَّناص الإيقاعي مع الشِّعر القَديم ٣٠٥
أوَّلا: المُعارضات ٣٠٥
ثانيا: النَّقائض ٣١٠
٩. **الخاتمةُ والنَّتائجُ والتَّوصيات** ٣١٥
أوَّلا: الخَاتمة ٣١٥
ثانيا: نتائجُ الدِّراسة ٣١٧
ثالثا: توصياتُ الدِّراسة ٣١٨
١٠. **المَلاحقُ** ٣٢٠
الملحق (١): مشاهد مجدولة من التَّناص بأنواعهِ في شعر يوسف النَّبهَاني ... ٣٢١
الملحق (٢): صورة شخصيَّة للشَّاعرِ الشَّيخِ يوسف بن إسماعيل النَّبهاني ٣٥٨
الملحق (٣): الصَّفحة الأولى من ديوانِ شعرِ الشَّيخ يوسف النَّبهاني الموسوم بِـ (العُقودِ **اللَّؤلئيَّةِ فِي المَدائحِ النَّبويَّة**) ٣٥٩
١١. **المصادر والمراجع** ٣٦٠
١٢. **الفهرس** ٣٧٤